

تَارِيخُ ابْنِ خَلْدُون

المُسْتَمَرِّ

قَوْلَانِ الْمُبْتَدَأِ وَالْخَبَرِ فِي تَارِيخِ الْعَرَبِ وَالسُّبُرِ
وَمِنْ عَالَمِهِمْ مَنْ قَوَّى السَّنَاءَ لِلْكَبَرِ

تَأَلِيفُ

عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ خَلْدُون

٧٣٢-٨٠٨ هـ - ١٣٣٢-١٤٠٦ م

مراجعة الدكتور

سهيل زكار

ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس

الأستاذ خليل شحادة

طبعة مُسْتَكْمَلَةٌ وَمُقَارَنَةٌ مَعَ عِدَّةٍ نَسَخَ
وَمَخْطُوطَاتٍ وَمُذَيَّلَةٍ بِحَوَاشِيٍّ وَشُرُوحٍ وَتَمَتَّازَ
بِفَهَارِسَ لِلْمَوْضُوعَاتِ وَالْأَعْلَامِ وَالْأَمَاكِنِ الْجُغْرَافِيَّةِ

الجزء الخامس

دار الفكر

للطباعة والنشر والتوزيع

جميع حقوق إعادة الطبع محفوظة للناسِر

١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م

Email: darelfkr@cyberia.net.lb
E-mail: darlfikr@cyberia.net.lb
Home Page: www.darelfikr.com.lb



حارة حريك - شارع عبد النور - بريقيا: فكيو - صرب: ١١/٧٠٦١
تلفون: ٥٥٩٩٠٠ - ٥٥٩٩٠١ - ٥٥٩٩٠٢ - ٥٥٩٩٠٣
فاكس: ٥٥٩٩٠٤ - ٩٦١١٥٥٩٩٠٤



بسم الله الرحمن الرحيم

الخبر عن دولة السلجوقية من الترك المستولين على ممالك الاسلام ودوله بالمشرق
كلها الى حدود مصر مستبدّين على الخليفة ببغداد من خلافة القائم
الى هذا الزمان وما كان لهم من الملك والسلطان
في أقطار العالم وكيف فعلوا بالعلماء وحجروهم
وما تفرّغ عن دولتهم من الدول

قد تقدم لنا ذكر أنساب الأمم والكلام في أنساب الترك وأنهم من ولد كومر بن يافث أحد
السبعة المذكورين من بني يافث في التوراة وهم ماواق وماذاي وماغوغ وقطوبال وماشيخ
وطيراش^(١) وعدّ ابن اسحق منهم ستة ولم يذكر ماذاي وفي التوراة أيضاً أنّ ولد كومر ثلاثة
توغرما واشكان وريعات ووقع في الاسرائيليات أنّ الافرنج من ريعات والصقالبة من
اشكان والخزر من توغرما والصحيح عند نسابة الاسرائيليين أنّ الخزر هم التركمان وشعوب

(١) قوله : وهم ماواق وماذاي ... الخ . وكذا في النسخ التي بأيدينا ووقع في أول الجزء الثاني ما يخالفه . وقد ذكرنا
أسماءهم هناك . في أول الجزء الثاني ، كما هي مذكورة في التوراة .

الترك كلهم من ولد كومر ولم يذكر من أيّ ولده الثلاثة والظاهر أنهم من توغرما وزعم بعض النسابة أنهم من طيراش بن يافث ونسبهم ابن سعيد الى ترك بن غامورين سويل والظاهر أنه غلط وأن غامور تصحيف كما مرّ وأما سويل فلم يذكر أحد أنه من بني يافث وقد مرّ ذكر ذلك كله (والترك أجناس) كثيرة وشعوب فنههم الروس والإعلان ويقال إبلان والخفشاخ وهم القفجق والهياطلة والخلج والغز الذين منهم السلجوقية والخطا وكانوا بأرض طمعاغ ويمك والقوروتركس واركس والططر ويقال الطغرغر وأنكر وهم مجاورون للروم وأعلم أن هؤلاء الترك أعظم أمم العالم وليس في أجناس البشر أكثر منهم ومن العرب في جنوب المعمور وهؤلاء في شماله قد ملكوا عامة الأقاليم الثلاثة من الخامس والسادس والسابع في نصف طوله مما يلي المشرق فأول مواطنهم من الشرق على البحر بلاد الصين وما فوقها جنوباً الى الهند وما تحتها شمالاً الى سدّ يأجوج ومأجوج وقد قيل انهم من شعوب الترك وآخر مواطنهم من جهة الغرب بلاد الصقالية المجاورين للفرنجة مما يلي رومة الى خليج القسطنطينية وأول مواطنهم من جهة الجنوب بلاد القور المجاورة للنهر ثم خراسان واذريجان وخليج القسطنطينية وآخرها من الشمال بلاد فرغانة والشاش وما وراءها من البلاد الشمالية المجهولة لبعدها وما بين هذه الحدود من بلاد غزنة ونهر جيحون وما بجفافية من البلاد وخوارزم ومفاوز الصين وبلاد القفجق والروس حفا في خليج القسطنطينية من جهة الشمال الغربي قد اعتمر لهذه البسائط منهم أمم لا يحصيه الا خالقهم رحالة متنقلون فيها مستنجمين مساقط الغيث في نواحيه يسكنون الخيام المتخذة من اللبود لشدة البرد في بلادهم فقروا عليها * ومرّ بديار بكر^(١) وخرج اليه صاحبها نصر بن مروان وحمل مائة ألف دينار لنفقته فلما سمع أنه قبضها من الرعايا ردّها عليه ثم مرّ بناهرو وأمنها وأطاف على السور وجعل يمسه بيده ويمرّ بها على حدوده تبركاً بغير المسلمين ثم مرّ بالرها وحاصرها فامتنعت عليه ثم سار الى حلب فبعث اليه صاحبها محمود ريعول القائد الذي عنده يخبر بطاعته وخطبته ويستغفیه من الخروج اليه منكرأ منه الأذى ويحيي على خير العمل فقال لا بدّ من خروجه واشتدّ الحصار فخرج محمود ليلاً مع أمّه بنت وثاي الهني متطارحاً على السلطان فأكرم مقدمها وخلع عليه وأعادته الى بلده .

(١) قوله ومرّ بديار بكر... الخ . غير ملتئم مع ما قبله . فلعل المصنف ترك هنا بياضاً ، ولم يلتفت اليه الناسخ كما يظهر لمن تأمل النص .

* (غزاة السلطان ألبارسلان الى خلاط واسر ملك الروم) *

كان ملك الروم بالقسطنطينية لهذا العهد اسمه أرمانيوس وكان كثيراً ما يخيف ثغور المسلمين وتوجه في سنة اثنتين وستين في عساكر كثيرة الى الشام ونزل على مدينة مَنبج واستباحها وجمع له محمود بن صالح بن مَرْدِاس الكلابي وابن حسان الطائي قومها ومن اليهم من العرب فهزمتهم الروم ثم رجع أرمانيوس الى القسطنطينية واحتشد الروم والفرنج والروس والكرخ ومن يليهم من العرب والطوائف وخرج الى بلاد كرد من أعمال خلاط وكان السلطان ألبارسلان بمدينة خوف من أَذْرَبَيْجان منقلباً من حلب فبعث بأهله وأثقاله الى همدان مع وزير نظام المُلْك وسار هوفي خمسة عشر ألف مقاتل وتوجه نحوهم متهياً ولقيت مقدمته الروس فهزموهم وجاؤا بملكهم أسيراً الى السلطان فجدعه وبعث اسلابهم الى نظام المُلْك ثم توجه الى سمرقند ففارقها ألتكير وأرسل في الصلح ويعتذر عن تومق فصالحه ملك شاه وأقطع بلخ وطخارستان لأخيه شهاب الدين مكين الى خراسان ثم الى الري .

* (فتنة قاروت بك صاحب كرمان ومقتله) *

كان بكَرْمَان قاروت ^(١) بك أخو السلطان البارسلان أميراً عليها فلما بلغه وفاة أخيه سار الى الري لطلب الملك فسبقه اليها السلطان ملك شاه ونظام الملك ومعها مُسْلِم بن قُرَيْش ومنصور بن ديبس وأمراء الأكراد والتقوا على نهر مان فانهمز قاروت بك وجيء به الى أمام سعد الدولة كوهراس ^(٢) فقتله خنقاً وأمر كرمان بسير بنييه وبعث اليهم بالخلع وأقطع العرب والأكراد مجازاة لما أبلوا في الحرب وقد كان السلطان البارسلان شافعاً فيه على الخليفة فلقبهم خبر وفاة البارسلان في طريقهم فروا الى ملك شاه وسبق اليه مُسْلِم بطاعته وأما بهاء الدولة منصور بن ديبس فان أباه أرسله بالمال الى ملك شاه فلقبه سائراً للحرب فشدها معه ثم توفي أياز أخو السلطان ملك شاه ببلخ سنة خمس وستين فكفله ابنه ملك شاه الى سنة سبع وستين وتوفي القائم منتصف شعبان منها لخمس وأربعين سنة من خلافته ولم يكن له يومئذ ولد وانما كان له حافد وهو المقتدي بالله بن محمد وكان أبوه محمد بن القائم ولي عهده

(١) كذا ، واسمه في الكامل : قاروت بك ج ٩ ص ٦٤٥ .

(٢) كوهراس هو كوهرايين ، كما في نسخة أخرى أو كوهرايين كما في الكامل لابن الاثير .

وكان يلقب ذخيرة الدين ويكنى ابا العباس وتوفي سنة (١) وعهد القائم لحافده
فلما توفي اجتمع أهل الدولة وحضر مؤيد الملك بن نظام الملك والوزير فخر الدولة بن جهير
وابنه عميد الدولة والشيخ أبو اسحق الشيرازي ونقيب القباء طراد وقاضي القضاة الدامغاني
فبايعوه بالخلافة لعهد جدّه اليه بذلك وأقرّ فخر الدولة بن جهير على الوزارة وبعث ابنه
عميد الدولة الى السلطان ملك شاه لأخذ بيعته والله الموفق للصواب .

استيلاء السلجوقية على دمشق وحصارهم مصر ثم استيلاء تتش ابن السلطان ألبارسلان على دمشق

قد تقدم لنا ملك انسر^(٢) الرملة وبيت المقدس وحصاره دمشق سنة احدى وستين ثم عاد
عنها وجعل يتعاهد نواحيها بالعيث والافساد كل سنة ثم سار اليها في رمضان سنة سبع وستين
رحاضرها ثم عاد عنها وهرب منها أميرها من قبل المستنصر العلوي صاحب مصر المعلى بن
حيدر لأنه كثر عسفه بالجند والرعية وظلمه فثاروا به فهرب الى بانياس ثم الى صور ثم الى
مصر فحبس ومات بها محبوساً واجتمعت المصامدة بدمشق وولي عليهم أنصار بن يحيى
المصمودي ولقب نصير الدولة وغلت الاقوات عندهم واضطربوا فعاد اليها انسر في شعبان
سنة ثمان وستين فاستأمنوا اليه وعوض انتصاراً منها بقلعة بانياس ومدينة يافا من الساحل
ودخلها في ذي القعدة وخطب بها للمقتدي ومنع من النداء بحجّي على خير العمل وتغلب
على كثير من مدن الشام ثم سار سنة تسع وستين الى مصر وحاصرها وضيق عليها واستنجد
المتنصر بالبوادي من نواحيها فوعده بالنصر وخرج بدر الجمالي في العساكر التي كانت
بالقاهرة وجاء أهل البلاد لميعادهم فأنهزم أنسر وعساكره ونجا الى بيت المقدس فوجدهم
قد^(٣) بمخلفه فتحصنوا منه بالمعاقل فاقتتها عليهم عنوة واستباحها حتى
قتلهم في المسجد وقد تقدم ضبط هذا الاسم وأنه عند أهل الشام انسييس والصحيح انسر
وهو اسم تركي ثم ان السلطان ملك شاه أقطع أخاه تتش بن ألبارسلان بلاد الشام وما
يفتحه من تلك النواحي سنة سبعين وأربعمائة فقصد حلب أولاً وحاصرها ومعه جموع من

(١) كذا بياض بالأصل ، ولم نهثر في المراجع التي لدينا على سنة وفاته .

(٢) اسمه في الكامل : انسر ، ج ١٠ ص ٩٩ .

(٣) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ١٠ ص ١٠٣ ، وأتى البيت المقدس فرأى أهله قد قحوا على أصحابه
ومخلفيه ، وحصروهم في محراب داود عليه السلام .

التركمان وكان بدر الجمالي المستولي على مصر قد بعث العساكر لحصار دمشق وبها أنسز فبعث الى تش وهو على حلب يستنجد به فصار اليه وأخرت عساكر مصر عنه منهزمين ولما وصل الى دمشق قعد أنسز على لقائه وانتظر قدومه فلقيه عند السور وعاتبه على ذلك فتساهل في العذر فقتله لوقته وملك البلد واستولى على الشام أجمع كما سيأتي وكان يلقب تاج الدولة ثم سار في سنة اثنتين وسبعين الى حلب فحاصرها أياماً وأفرج عنها وملك مراغة والبيرة وعاد الى دمشق وخالفه مسلم بن قريش الى حلب فملكها كما تقدم في أخباره وضمها للسلطان ملك شاه فولاه إياها وسار مسلم بن قريش فحاصرها آخر سنة أربع وسبعين ثم أفرج عنها فخرج تش وقصد طرسوس من الساحل فافتتحها ورجع^(١) ثم حاصرها مسلم ثانية سنة تسع وسبعين وبلغه أن تاج الدولة تش سار الى بلاد الروم غازياً فخالفه الى دمشق وحاصرها معه العرب والأكراد وبعث اليه العلوي صاحب مصر بعده بالمدد وبلغ الخبر الى تش فكرر راجعاً وسبقه الى دمشق فحاصرها أياماً ثم خرج اليه تش في جموعه فهزمه واضطرب أمره ووصله الخبر بانتفاض أهل حرّان فرحل من مرج الصفر راجعاً الى بلاده ثم سار أمير الجيوش من مصر في العساكر الى دمشق سنة ثمان وسبعين وحاصرها فامتنعت عليه ورجع فلحقوا بأخيه تُكُش في^(٢) فقوي به وأظهر العصيان واستولى على مرو الرّوذ ومرو

الساهجان وغيرهما وسار الى نيسابور طامعاً في ملك خراسان وبلغ الخبر الى السلطان فسبقه الى نيسابور فرجع تش وتحصن بترمذ وحاصره السلطان حتى سأل الصلح وأطلق من كان في أسره من عسكر السلطان ونزل عن ترمذ وخرج اليه فأكرمه ثم عاود العصيان سنة سبع وسبعين^(٣) وملك مرو الرّوذ ووصل قريباً من سرخس وحاصر قلعة هناك لمسعود ابن الأمير فاخر وتحيل أبو الفتوح الطوسي صاحب نظام وهو بنيسابور على ملطفة وضعوها على شبه خط نظام الملك يخاطب فيها صاحب القلعة بأنه واصل في ركاب السلطان ملك شاه وأنه مصالح للقلعة وتعرض حاملها لأهل المعسكر حتى أخذوا كتابه بعد الضرب والعرض على القتل وحلّتهم بمثل ما في الصحيفة وإن السلطان وعساكره في الري فأجفلوا لوقتهم الى قلعة

(١) وكذا في الأصل وفي الكامل ج ١٠ ص ١٤٥ : وفي هذه السنة (٤٧٨) في ربيع الأول وصل أمير الجيوش في عساكر مصر الى الشام فحصر دمشق وبها صاحبها تاج الدولة تش فضيق عليه ، وقاتله فلم يظفر منها بشيء ، فرحل عنها عائداً الى مصر .

(٢) كذا بياض بالأصل ولم نعر في المراجع التي لدينا على اسم الموقع الذي التقوا فيه .

(٣) كذا بالأصل ويظهر أن تنسيق العبارات والحوادث غير وطرد . وان خطأ وقع أثناء النسخ لأن عصيان تُكُش على أخيه السلطان ملكشاه كان سنة ٤٧٧ ومسير أمير الجيوش من مصر الى دمشق وقع سنة ٤٧٨ .

رَبَّحَ وخرج أهل الحصن فأخذوا ما في العسكر وجاء السلطان بعد ثلاثة أشهر فحاصره في قلعة حتى افتتحها وحده ودفعه الى ابنه أحمد فتسلمه وجبسه فخرجوا من يمينه معه .

* (سفارة الشيخ أبي اسحق الشيرازي عن الخليفة) *

كان الخليفة المقتدي وكان عميد العراق أبو الفتح بن أبي الليث يُسيء معاملة الخليفة فبعث المقتدي الشيخ أبا اسحق الشيرازي الى السلطان ملك شاه وزيره نظام الملك باصفهان شاكياً من العميد فسار الشيخ لذلك ومعه الإمام أبو بكر الشاشي وغيره من الأعيان ورأى الناس عجباً في البلاد التي يمر بها من اقبال الخلق عليه وازدحامهم على محفته يتمسحون بها ويلثمون أذيالها وينشرون موجودهم عليها من الدراهم والدنانير لأهلها والمصنوعات لأهل الصنائع والبضائع للتجار والشيخ في ذلك يبكي ويتحب ولما حضر عند السلطان أظهر المحرمة وأجابه الى جميع ما طلبه ورفعت يد العميد عن كل ما يتعلق بالخليفة وحضر الشيخ مجلس نظام الملك فجرت بينه وبين إمام الحرمين مناظرة خبرها معروف .

اتصال بني جهير بالسلطان ملك شاه ومسير فخر الدولة لفتح ديار بكر

كان فخر الدولة أبو نصر بن جُهِير وزير المقتدي قد عزل سنة احدى وسبعين على يد نظام الملك ولحق به ابنه عميد الدولة واسترضاه فرضي نظام الملك وشفع الى الخليفة فاعتمد عميد الدولة دون أبيه كما تقدم في أخبار الخلفاء ثم أرسل المقتدي سنة أربع وسبعين فخر الدولة الى ملك شاه يخطب له ابنته فسار الى اصبهان وعقد له نكاحها على خمسين ألف دينار معجلة وعاد الى بغداد ثم عزل المقتدي ابنه عميد الدولة عن الوزارة سنة ست وسبعين وكانوا قد علقوا بخطة من نظام الملك فبعث عن نفسه وعن ملك شاه يطلب حضور بني جُهِير عندهم فساروا بأهلهم فعظمت حظوظهم عند السلطان وعقد لفخر الدولة على ديار بكر وبعث معه العساكر لفتحها من يد بني مروان وأذن له في اتخاذ الآلة وأن يخطب لنفسه ويكتب اسمه على السكة فسار في العساكر السلطانية .

* (استيلاء ابن جهير على الموصل) *

ولما سار فخر الدولة ابن جُهِير لفتح ديار بكر استنجد ابن مروان مُسْلِم بن قريش وشرط له

أمراً وتحالفا على ذلك واجتمعا لحرب ابن جُهير وبعث السلطان الأمير ارتق بن أكسك في العساكر مدداً لابن جُهير فجَنَح ابن جُهير الى الصلح وبادرُ ارتق الى القتال فهزم العرب والأكراد وغنم معسكرهم ونجا مُسلم بن قريش الى آمد وأحاطت به العسكر فلما اشتدَّ مخنقه راسل الأمير ارتق في الخروج على مال بذله له فقبله وكانت له حراسة الطريق فخرج الى الرقة وسار ابن جُهير الى ميفارقين وفارقه منصور بن مزيد وابنه صدقة فعاد منها الى خلاط ولما بلغ السلطان انحصار مُسلم في آمد بعث عميد الدولة في جيش كثيف الى الموصل ومعه أقسنقر قسم الدولة الذي أقطعه بعد ذلك حلب وساروا الى الموصل فلقمهم ارتق ورجع معهم ولما نزلوا على الموصل بعث عميد الدولة الى أهلها بالترغيب والترهيب فاذعنوا واستولى عليها وجاء السلطان في عساكره الى بلاد مسلم بن قريش وقد خلص من الحصار وهو مقيم قبالة الرحبة فبعث اليه مؤيد الكتاب ولاطف السلطان واسترضاه ووفد اليه بالقوارح وردّه السلطان الى أعماله وعاد لحرب أخيه تُتَش الذي ذكرناه آنفاً .

فتح سليمان بن قطلمش انطاكية والخبر عن مقتله ومقتل مسلم ابن قريش واستيلاء تتش على حلب

كان سليمان بن قُطْلُمَش بن اسرائيل بن سلجوق قد ملك قرسة واقتصرها أعمالها من بلاد الروم الى الشام وكانت انطاكية بيد الروم من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وكان ملكها لعهد الفرديوس فأساء السيرة الى جنده ورعاياه وتنكر لابنه وجبسه فداخل الشحنة في تمكين سليمان من البلد فاستدعوه سنة سبع وسبعين فركب اليها البحر وخرج الى البر في أقرب السواحل اليها في ثلثمائة ألف فارس ورجل كثير وسار في جبال واوعار فلما انتهى الى السور وأمكنه الشحنة من تسلّم السور دخل البلد وقاتل أهلها فهزمهم وقتل كثيراً منهم ثم عفا عنهم وملك القلعة وغنم من أموالهم ما لا يحصى وأحسن الى أهلها وأمرهم بعمارة ما خرب وأرسل الى السلطان ملك شاه بالفتح ثم بعث اليه مُسلم بن قريش يطلب منه ما كان يحمل اليه الفرد روس ملك انطاكية من المال ويخوفه معصية السلطان فأجابه بتقرير الطاعة للسلطان وبأنّ الجزية لا يعطيها مسلم فسار مسلم ونهب نواحي انطاكية فنهب سليمان نواحي حلب ثم جمع سليمان العرب والتركمان وسار لنواحي انطاكية ومعه جماهير التركمان وجمع سليمان كذلك والتقى آخر صفر سنة ثمان وسبعين وانحاز جُقّ الى سليمان فانهزمت العرب وقتل مُسلم وسار سليمان بن قُطْلُمَش الى حلب وحاصرها فامتنعت عليه وأرسل اليه ابن الحُثَيْثي

العباسي كبير حلب بالأموال وطالبه أن يمهّل حتى يكاتب السلطان ملك شاه ودس الى تاج الدولة تتش صاحب دمشق يستدعيه للملكها فجاء لذلك ومعه أرسوس أُنْسُكُ وكان خائفاً على نفسه من السلطان ملك شاه لفعلته في أمر فاستجار بتتش وأقطعته المورس وسار معه لهذه الحرب وبادر سليمان بن قُطْلُمُش الى اعتراضهم وهم على تعبئة وأبلى أُرْتُق في هذه الحروب وانهمز سليمان وطعن نفسه بخنجر فمات وغنم تتش معسكره وبعث الى ابن الحُثَيْثِي العباسي فيأ استدعاه اليه فاستمهله الى مشورة السلطان ملك شاه وأغلظ في القول فغضب تتش وداخله بعض أهل البلد فتسوّرها وملكها واستجار ابن الحُثَيْثِي بالأمير أُرْتُق فأجاره وسع له .

* (استيلاء ابن جُهير على ديار بكر) *

ثم بعث ابن جُهير سنة ثمان وسبعين ابنه زعيم الرؤساء ابا القاسم الى حصار آمد ومعه جناح الدولة اسلار فحاصرها واقتلع شجرها وضيق عليها حتى جهدهم الجوع وغدر بعض العامة في ناحية من سورها ونادى بشعار السلطان واجتمع اليه العامة لما كانوا يلقون من عسف العمال النصاري فبادر زعيم الرؤساء الى البلد وملكها وذلك في المحرم وكان أبوه فخر الدولة محاصراً لميافارقين ووصل اليه سعد الدولة كوهراس شحنة بغداد بمدد العساكر فاشتد الحصار وسقطت من السور ثلثة في سادس جمادي فنادوا بشعار السلطان ومنعوا ابن جُهير من البلد واستولى على أمرال بني مروان وبعثها مع ابنه زعيم الرؤساء الى السلطان فسار مع كوهراس الى بغداد ثم فارقه الى السلطان باصبيان ولما انقضى أمر ميافارقين بعث فخر الدولة جيشاً الى جزيرة ابن عمر فحاصرها وقام بعض أهلها بدعوة السلطان وفتحوا مما يليهم باباً قريباً دخل منه العسكر فلكوا البلد وانقرضت دولة بني مروان من ديار بكر والبقاء لله ثم أخذ السلطان ديار بكر من فخر الدولة بن جُهير وسار الى الموصل فأقام بها الى أن توفي سنة ثلاث وثمانين .

* (استيلاء السلطان ملك شاه على حلب وولاية اقسنقر عليها) *

لما ملك تاج الدولة تتش مدينة حلب وكان بها سالم بن ملك بن مروان ابن عم مُسلم بن قريش وامتنع بالقلعة وحاصره تتش سبعة عشر يوماً حتى وصل الخبر بمقدم أخيه السلطان ملك شاه وقد كان ابن الحُثَيْثِي كتب اليه يستدعيه لما خاف من تتش فسار من اصبهان

متتصف تسع وسبعين وفي مقدمته برسق وبدران وغيرهما من الأمراء ومّر بالموصل في رجب ثم سار الى هراة وبها ابن الشاطي فملكها وأقطعها لمحمد بن شرف الدولة مُسَلِّم بن قُرَيْش وأقطعها معها مدينة الرّحبة وأعمالها . حرّان وسروج والرّقة وخابور وزوجه أخته زليخا خاتون ثم سار الى الرها وافتتحها من الروم وكانوا اشتروها من ابن عَطِيّة كما مرّ وسار الى قلعة جعفر فملكها وقتل من كان بها من بني قُشَيْر وكان صاحبها جعفر أعمى وكان يخيف السابلة هو وولده فأزال ضررهم ثم ملك مِنبج وعبر الفرات الى حلب فأجفل تنش عن المدينة ودخل (١) ومعه الأمير أُرْتُق ورجع الى دمشق فلما وصل السلطان الى حلب ملكها ثم الى القلعة فملكها من سالم بن ملك على أن يعطيه قلعة جعفر فلم تزل بيد عقبه الى أن ملكها منهم نور الدين الشهيد ثم بعث اليه نصر بن علي بن مُنْقذ الكناني بالطاعة فأقره على شيراز (٢) وتسلم منه اللاذقية وبعرطاف وجامية (٣) ورجع ثم رجع السلطان بعد أن ولى على حلب قسيم الدولة أُمُسْنَقُر ورغب اليه أهل حلب أن يعفيهم من ابن الحثيثي فأخرجه عنهم الى ديار بكر وتوفي بها ثم رجع السلطان الى بغداد فدخلها في ذي الحجة من سنته ونزل بدار المملكة وأهدى للخليفة هدايا كثيرة واجتمع بالخليفة ليلاً ثم دخل اليه في مجلسه نهاراً وأفيضت عليه الخلع وسلم أمراء السلجوقية على الخليفة ونظام الملك قائم يقرّ بهم واحداً واحداً ويعرف بهم ثم صرح المقتدي للسلطان ملك شاه بالتفويض وأوصاه بالعدل فقبل يده ووضعها على عينيه وخلع الخليفة على نظام الملك وجاء الى مدرسته التي فيها الحديث وأملى .

* (خبر الزفاف) *

قد قدّمنا أن السلطان ملك شاه زوج ابنته من الخليفة المقتدي سنة أربع وسبعين بخطبة الوزير ابن جهير فلما كان سنة ثمانين في المحرم نقل جهازها للزفاف الى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملاً مجللة بالديباج الرومي أكثرها ذهب وفضة ومعه ثلاث عماريات ومعه أربع وسبعون بغلاً مجللة بأنواع الديباج المكي وقلائدها الذهب وعلى ستة منها اثنا عشر صندوقاً من فضة مملوءة بالحليّ والجواهر ومهد عظيم من ذهب وسار بين يدي الجهاز سعد الدولة

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ١٠ ص ١٤٧ : وسار منها يسلك البريه ومعه الأمير أُرْتُق .

(٢) وفي بعض النسخ شيزر .

(٣) وفي بعض النسخ افامية .

كوهراس والأمير أرتق وغيرهما من الأمراء والناس ينثرون عليهم الدنانير والثياب وبعث الخليفة وزيره أبا شجاع الى زوجة السلطان تركان خاتون ومعه خادمه ظفر بمحفة لم ير مثلها ومعهم ثلثائة من الشمع الموكف ومثلها مشاعل وأوقدت الشموع في دكاكين الحريم الخلافي وقال الوزير لخاتون سيدنا أمير المؤمنين يقول أن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها وقد أذن في نقل الوديعة الى داره فقالت سمعاً وطاعة ومشى بين يديها أعيان الدولة مع كل واحد الشمع والمشاعل يحملها الفرسان ثم جاءت المأمون من بعدهم في محفة مجللة عليها من الذهب والجواهر ما لا يحصى ويحيط بالمحفة مائتا جارية من الأتراك على مراكب رائعة وأولم الخليفة وليلة لم يسمع بمثلها ثم أطلع للناس من الغد سباط مائدة عليها أربعون ألفاً من السكر وخلع على أعيان العسكر وعلى جميع الحواشي .

* (استيلاء السلطان ملك شاه على ما وراء النهر) *

كان صاحب سمرقند لهذا العهد من الخانية أحمد خان بن خضر خان أخى شمس الملك الذي كان أميراً عليها وعمته خاتون زوجة ملك شاه وكان رديء السيرة فبعثوا الى السلطان يسألونه الرجوع الى ايبالته وجاء بذلك مفتي سمرقند أبو طاهر الشافعي قدم حاجاً وأسر ذلك الى السلطان فسار من اصبهان سنة اثنتين وثمانين ومعه رسول الروم بالخراج المقدر عليهم فاستعجم وأحضر للفتح ولما انتهى الى خراسان جمع العساكر وعبر النهر بجيوش لا تحصى وأخذ ما في طريقه من البلاد ثم انتهى الى بخارى فللكها وما جاورها ثم سار الى سمرقند فحاصرها وأخذ بهجتها ثم رماها بالمنجنق وثلم سورها ودخل من الثلمة وملك البلد واختفى أحمد خان ثم جيء به أسيراً فأطلقه وبعث به الى اصبهان وولى على سمرقند أبا طاهر عميد خوارزم وسار الى كاشغر فبلغ الى نور وكنم وبعث الى كاشغر بالخطبة وضرب السكة فأطاع وحضر عند السلطان فأكرمه وخلع عليه وأعادته الى بلده ورجع السلطان الى خراسان وكان بسمرقند عساكر يعرفون بالحكالية فأرادوا الوثوب بالعميد نائب السلطان فلاطفهم ولحق ببلده خوارزم .

(عصبان سمرقند وفتحها ثانياً) * كان مقدم الحكالية بسمرقند اسمه عين الدولة وخاف السلطان لهذه الحادثة فكاتب يعقوب تكين أخا ملك كاشغر وكانت مملكته تعرف بارياسي فاستحضره وملكه ثم شكر له يعقوب وحمل أعداءه من الرعية على طلب الثأر منه وقتله بفتاوى الفقهاء واستبد بسمرقند وسار السلطان ملك شاه اليها سنة اثنتين وثمانين لما انتهى

الى بخارى هرب يعقوب الى فرغانة ولحق بولايته وجاء بعسكره مستأمنين الى السلطان فلقوه بالطواويس من قرى بخارى ووصل السلطان الى سمرقند وولى عليها الامير انز^(١) وأرسل العساكر في طلب يعقوب وأرسل الى ملك كاشغر بالحد في طلبه وشعب على يعقوب عساكره ونهبوا خزائنه ودخل على أخيه كاشغر مستجيراً به وبعث السلطان في طلبه منه فتردد بين المخافة والأنفة ثم غلب عليه الخوف فقبض على أخيه يعقوب وبعثه مع ابنه وأصحابه الى السلطان وأمرهم أن يسملوه في طريقه فان قنع السلطان بذلك والا أسلموه اليه فلما قربوا على السلطان وعزموا على تسليمه بلغهم الخبر بأن طغرل بن نبال أسرى من ثمانين فرسخاً بعساكر لا تحصى فكبس ملك كاشغر وأسرهم فأطلقوا يعقوب ثم خشي السلطان شأن طغرل بن نبال وكثرة عساكره فرجع على البلد ودس تاج الملك في استصلاح يعقوب فشفع له وردّ الى كاشغر وردّ الطغرل ورجع هو الى خراسان ثم قدم الى بغداد سنة أربع وثمانين العزبة الثانية ووجد عليه أخوه تاج الدولة تتش صاحب الشام وقسم الدولة أقسنقر صاحب حلب وبوران صاحب الرها وعمال الأطراف وأقام صنيع الميلاء ببغداد وتألق بما لم يعهد مثله وأمر وزيره نظام الملك وأمراءه ببناء الدور ببغداد لترهيم ورجع الى اصبهان .

* (استيلاء تتش على حمص وغيرها من سواحل الشام) *

لما قدم السلطان سنة أربع وثمانين وفد عليه أمراء الشام كما قدمنا فلما انصرفوا من عنده أمر أخاه تاج الدولة تتش أن يذهب دولة العلويين من ساحل الشام ويفتح بلادهم وأمر أقسنقر وبوران أن يسيرا لانجاده فلما رجعا الى دمشق سار الى حمص وبها صاحبها ابن ملاعب وقد عظم ضرره وضرر ولده على الناس فحاصرها وملكها ثم سار الى قلعة عرفة فملكها عنوة ثم الى قلعة افامية فاستأمن اليه خادماً كان بها فأرسل الى أمراء تتش في اصلاح حاله فسدّوا عليه المذاهب فأرسل الى وزير أقسنقر يسعى له عند صاحبه وعمل له على ثلاثين ألف دينار ومثلها عروضاً فجئح الى مصالحته واختلف مع تتش على ذلك وأغلظ كل منهما لصاحبه في القول فرحل أقسنقر مغاضباً واضطرّ الباقون الى الرحيل وانتفض أمرهم .

(١) انز : ورد اسمه آنر في كتاب العلاقات الاجتماعية (للدكتور زكي النقاش) ص ٤٠ . وفي الكامل ج ١٠ ص ٢١٤ أنر .

* (ملك اليمن) *

كان فيمن حضر عند السلطان ببغداد كما قدّمناه عثمان حق أمير التركان صاحب قمرميس وغيرها فأمره السلطان أن يسير في جموع التركان للحجاز واليمن فيظهر أمرهم هناك وقوض الى سعد الدولة كوهراس شحنة بغداد فولى عليهم أمير اسمه تُرْشُك وسار الى الحجاز فاستولى عليه وأساء السيرة فيه حتى جاء أمير الحجاز محمد بن هاشم مستغيثاً منهم ثم ساروا سنة خمس وثمانين الى اليمن وعاثوا في نواحيه وملكوا عدن وأسأوا السيرة في أهلها وأهلكوا ترشك سابع دخولها وأعاده أصحابه الى بغداد فدفنوه بها .

* (مقتل الوزير نظام الملك) *

ثم ارتحل السلطان ملك شاه الى بغداد سنة خمس وثمانين فأنتهى الى اصبهان في رمضان وخرج نظام الملك من بيته بعد الافطار عائداً الى خيمته فاعترضه بعض الباطنية في صورة متظلم فلما استدناه لسماع شكواه طعنه بخنجر فأشواه وعثر الباطني في أطناب الخيام ودخل نظام الملك الخيمة فمات لثلاثين سنة من وزارته واهتاج عسكره فركب اليه السلطان وسكن الناس ويقال أن السلطان ملك شاه وضع الباطني على قتله لما وقع منه ومن بنيه من الدالة والتحكم في الدولة وقد كان السلطان دس على ابنه جمال الدين من قتله سنة خمس وسبعين كان بعض حواشي السلطان سعى به فسطا به جمال الدين وقتله فأحقد السلطان بذلك وأخذ عميد خراسان فقتله خنقاً فدس لخدام من خدام جمال الدين بذلك وأنهم اذا تولوا قتله بأنفسهم كان أحفظ لنعمتهم فسقاه الخادم سماً ومات وجاء السلطان الى نظام الملك وأغراه به وما زال بطانة السلطان يغيضون منه ويحاولون السعاية فيه الى أن ولي حافده عثمان بن جمال الملك على مرو وبعث السلطان اليها كردن من أكابر المالك والأمرأ شحنة ووقعت بينه وبين عثمان منازعة في بعض الأيام فأهانته وحبسه ثم أطلقه وجاء الى السلطان شاكياً فاستشاط غضباً وبعث فخر الملك البارسلان الى نظام الملك وأغراه به وما زال يقول إن كنت تابعاً فقف عند حدك وإن كنت شريكاً في سلطاني فافعل ما بدا لك وقرر عليه فعل حافده وسائر بنيه في ولايتهم وأرسل معه نكيرذ من خواصه ثقة على ما يؤديه من القول ويحييه الآخر فانبط لسان نظام الملك يعدد الوسائل منه والمدافعة عن السلطان وجمع الكلمة وفتح الأمصار في كلام طويل حملته عليه الدالة وقال في آخره ان شاء فله مؤيد مرو آتي ومتي

أطعت هذه زالت تلك فليأخذ حذره ثم زاد في انبساطه وقال قولوا عني ما أردتم فان توبيخكم نأ في عضدي ومضى نكبرذ فصدّق السلطان الخبر وجاء الآخرون وحاولوا الكتان فلم يسعهم لما وشي نكبرذ بجلية القول فصدّقه كما صدّقه ومات نظام الملك بعدها بقليل ومات السلطان بعده بنحو شهر وكان أصل نظام الملك من طوس من أبناء الدهاقين اسمه أبو علي الحسن بن علي بن اسحق ذهبت نعمة آبائه وماتوا فنشأ يتيمًا ثم تعلم وحذق في العلوم والصنائع وعلق بالخدم السلطانية في بلاد خراسان وغزنة وبلغ ثم لازم خدمة أبي علي بن شاذان وزير البارسلان ومات ابن شاذان فأوصى به السلطان البارسلان وعرفه كفايته فاستخدمه فقام بالأمر أحسن قيام فاستوزره ثم هلك السلطان البارسلان وهو في وزارته ثم استوزره ملك شاه بعد أبيه وكان عالماً جواداً صفوحاً مكرماً للعلماء وأهل الدين ملازماً لهم في مجلسه شيد المدارس وأجرى فيها الجرايات الكثيرة وكان يملّي الحديث وكان ملازماً للصلوات محافظاً على أوقاتها وأسقط في أيامه كثيراً من المكوس والضرائب وأزال لعن الاشعرية من المنابر بعد أن فعله الكندوي من قبله وحمل عليه السلطان طغرلبيك وأجراهم مجرى الرافضة وفارق امام الحرمين وأبو القاسم القشيري البلاد من أجل ذلك فلما ولى البارسلان حملة نظام الملك على ازالة ذلك ورجع العلماء الى أوطانهم ومناقبه كثيرة وحسبك من عكوف العلماء على مجلسه وتدوينهم الدواوين باسمه فعل ذلك أمام الحرمين وأشباهه وأمّا مدارسه فقد بنى النظامية ببغداد وناهيك بها ورتب الشيخ أبا اسحق الشيرازي للتدريس بها وتوفي سنة ست وسبعين فرتب ابنه مؤيد الملك مكانه أبا سعيد المتولي فلم يررضه نظام الملك وولى فيها الإمام أبا نصر الصباغ صاحب الشامل ومات أبو نصر في شعبان من تلك السنة فولى أبو سعيد من سنة ثمان وسبعين ومات فدرس بعده الشريف العلوي أبو القاسم الدبوسي وتوفي سنة اثنتين وثمانين وولى تدريسه بعدها أبو عبدالله الطبري والقاضي عبد الوهاب الشيرازي بالنوبة يوماً بيوم ثم ولى تدريسها الإمام أبو حامد الغزالي سنة أربع وثمانين واتصل حكمها على ذلك وفي أيامه عكف الناس على العلم واعتنوا به لما كان من حسن أثره في ذلك والله أعلم .

* (وفاة السلطان ملك شاه وولاية ابنه محمود) *

ثم لما سار السلطان بعد مقتل نظام الملك الى بغداد ودخلها آخر رمضان وكان معه في الدولة أبو الفضل الهروسماني وزير زوجته الخاتون الجلالية من الملوك الخانية فيما وراء النهر وكان

أشدّ الناس سعاية في نظام الملك وعزم السلطان أن يستوزره لأوّل دخوله بغداد فعافت المنية عن ذلك وطرقه المرض ثالث الفطر وهلك منتصف شوال سنة خمس وثمانين وكانت زوجته تركمان خاتون الجلالية عنده في بغداد وابنها محمود غائباً في اصبهان فكتمت موته وسارت بشلوه الى اصبهان وتاج الملك في خدمتها وقدمت بين يديها قوام الدين كربوقا الذي ولى الموصل من بعد وأرسلته بخاتم السلطان الى مستحفظ القلعة فلكها وجاءت على أثره وقد أفاضت الأموال في الأمراء والعساكر ودعّتهم الى بيعة ولدها محمود وهو ابن أربع سنين فأجابوا الى ذلك وبايعوه وأرسلت الى المقتدر في الخطبة له فأجابها على أن يكون الأمير أنز قائماً بتدبير الملك ومجد الملك مشيراً وله النظر في الأعمال والجباية فنكرت ذلك أمّه خاتون وكان السفير أبا حامد الغزالي فقال لها أنّ الشرع لا يحيز ولاية ابنك فقبلت الشرط وخطب له آخر شوال سنة خمس وثلاثين وأرسلت تركمان خاتون الى اصبهان في القبض على بركيارق فحبس باصبهان وكان السلطان ملك شاه من أعظم ملوك السلجوقية ملك من الصين الى الشام ومن أقصى الشام الى اليمن وحمل اليه ملوك الروم الجزية ومناقبه عظيمة مشهورة .

* (منازعة بركيارق لأخيه محمود وانتظام سلطانه) *

كان بركيارق أكبر أولاد السلطان ملك شاه وكانت أمّه زبيدة بنت ياقوتي بن داود وياقوتي عمّ ملك شاه ولما حبس بركيارق وخاف عليه أمّه زبيدة دست الممالك نظام الملك فتعصبوا له وكانت خاتون غائبة ببغداد مع ابنها محمود لفقد سلطانه فوثب الممالك النظامية على سلاح لنظام الملك باصبهان وأخرجوا بركيارق من محبسه وخطبوا له وبلغ الخبر الى خاتون فسارت من بغداد وطلب العسكر تاج الملك في عطائهم فهرب الى قلعة بوجين ليتزل منها الأموال وامتنع فيها ونهب العسكر خزائنه وساروا الى اصبهان وقد سار بركيارق والنظامية الى الري فأطاعه أرغش النظامي في عساكره وفتحوا قلعة طغر عنوة وبعثت خاتون العساكر لقتال بركيارق فترع اليه سبكرد وكمستكن الجاندار وغيرهما من أمراء عساكره ولقيهم بركيارق فهزمهم وسار في أثرهم الى أصفهان فحاصروهم بها وكان عز الملك بن نظام الملك باصبهان وكان والياً على خوارزم فحضر عند السلطان قبل مقتل أبيه وبقي هناك بعد وفاة السلطان فخرج الى بركيارق ومعه جماعة من اخوانه فاستوزره بركيارق وفوض اليه الأمور كما كان أبوه .

* (مقتل تاج الملك) * وهو أبو الغنائم المرزبان بن خسر وفيروز كان وزيراً لخاتون وابنها ولما هرب الى قلعة بوجين خوفاً من العسكر كما قدمنا وملكت خاتون اصهبان عاد اليها واعتذر بأن صاحب القلعة حبسه فقبلت عذره وبعثته مع العساكر لقتال بركيارق فلما انهزموا حل أسيراً عنده وكان يعرف كفاءته فأراد أن يستوزره وكان النظامية ينافرونه ويتهمون به بقتل نظام الملك وبذل فيهم أموالاً فلم يغنه ووشوا به فقتلوه في المحرم سنة ست وثمانين وكان كثير الفضائل جَمَّ المناقب وانما غطى على محاسنه بملااته على قتل نظام الملك وهو الذي بنى تربة الشيخ أبي اسحق الشيرازي والمدرسة بازائها ورتب بها أبا بكر الشاشي مدرّساً .

* (مهلك محمود) * ثم هلك السلطان محمود وهو محاصر باصهبان لسنة من ولايته واستقل بركيارق بالملك .

* (منازعة تتش بن البارسلان وأخباره الى حين انهزامه) *

كان تاج الدولة تُتُش أخو السلطان ملك شاه صاحب الشام وسار الى لقاء أخيه ملك شاه ببغداد قبيل موته فلقبه خبر موته بهيت فاستولى عليها وعاد الى دمشق فجمع العساكر وبذل الأموال وأخذ في طلب الملك فبدأ بجلب ورأى صاحبها قسيم الدولة أفسنقر اختلاف ولد ملك شاه وحقرهم فأطاع تاج الدولة تُتُش وتبعه في طاعته وبعث الى باغي يسار صاحب انطاكية والى مران صاحب الرها وحرّان يشير عليهما بمثل ذلك فأجابا وخطبوا لتاج الدولة تُتُش في بلادهم وساروا معه الى الرحبة فلحقها ثم الى نصيبين فلحقها واستباحها وسلمها لمحمد بن شرف الدولة مسلم بن قريش وساروا الى الموصل وقدم عليه الكافي بن فخر الدولة ابن جُهير من جزيرة ابن عمر فاستوزره وكانت الموصل قد ملكها علي بن شرف الدولة مُسلم بن قريش وأمه صفية عمة ملك شاه وأطلقت تركيان خاتون عمه ابراهيم فجاء وملك الموصل من يده كما تقدم في أخبار بني الملقّد فبعث اليه تُتُش في الخطبة وأن يهبيء له الطريق الى بغداد فامتنع وزحف لحربه فانهزم العرب وسبق ابراهيم أسيراً الى تُتُش في جماعة من أمراء العرب فقتلوا صبراً ونهبت أموالهم واستولى تُتُش على الموصل وغيرها واستتاب عليها علي بن مُسلم وهو ابن صفية عمة أبيه وبعث الى بغداد في الخطبة ووافقه كوهراس^(١) الشحنة وحزر الجواب بانتظار الرسل من العسكر فسار تُتُش الى ديار بكر

(١) وفي بعض النسخ كوهرائن .

فلحها ثم سار الى اذربيجان وزحف بركيارق يعتذر من سعيه مع تتش فعزله بركيارق بسعاية كُمنستكين الجاندار بقسيم الدولة وأقام عوضه شحنة ببغداد الأمير مكرد وأعطاه أقطاعه وسار الى بغداد ثم رده من دقوقالكلام بلغه عنه وقتله وولى على شحنة بغداد فتكين حب .

* (مقتل اسمعيل بن ياقوتي) *

كان اسمعيل بن ياقوتي بن داود بن عمّ ملك شاه وخال بركيارق أميراً على أذربيجان فبعثت تركمان خاتون اليه فأطعمته في الملك وأنها تتزوج به فجمع جموعاً من التركمان وغيرهم وسار لحرب بركيارق فلقبه عند كرخ ونزع عنه مكرد الى بركيارق فانهزم اسمعيل الى اصبهان فخطبت له خاتون وضربت اسمه على الدنانير بعد ابنها محمود وأرادت العقد معه فنعها الأمير أنز مدبر الدولة وصاحب العسكر وخوفهم وفارقهم ثم أرسل أخته زبيدة أمّ بركيارق فأصلحت حاله مع ابنها وقدم عليه فأكرمه واجتمع به رجال الدولة كمنستكين الجاندار وأقسنقر وبوران وكشفوا سرّه في طلب الملك ثم قتلوه وأعلموا بركيارق فأهדר دمه .

* (مهلك توران شاه بن قاروت بك) * كان توران شاه بن قاروت بك صاحب فارس وأرسلت خاتون الجلالية الأمير أنز لفتح فارس سنة سبع وثمانين فهزمه أولاً ثم أساء السيرة مع الجند فلحقوا بتوران شاه وزحف الى أنز فهزمه واستردّ البلد من يده وأصاب توران شاه في المعركة بسهم هلك معه بعد شهرين .

* (وفاة المقتدي وخلافة المستظهر وخطبته لبركيارق) * ثم توفي المقتدي منتصف محرّم سنة سبع وثمانين وكان بركيارق قد قدم بغداد بعد هزيمة عمه تتش فخطب له وحملت اليه الخلع فلبسها وعرض التقليد على المقتدي فقرأه وتدبره وعلم فيه وتوفي فجأة وبويج لابنه المستظهر بالخلافة فأرسل الخلع والتقليد الى بركيارق وأخذت عليه البيعة للمستظهر .

* (استيلاء تتش على البلاد بعد مقتل أقسنقر ثم هزيمة بركيارق) *

لما عاد تُتش منهزماً من أذربيجان جمع العساكر واحتشد الأمم وسار من دمشق الى حلب سنة سبع وثمانين واجتمع قسيم الدولة أقسنقر وبوران^(١) وجاء كربوقاً مدداً من عند

(١) كذا واسمه في الكامل ج ١٠ ص ١٤٨ بوزان .

بركيارق وساروا الحرب تُتَشُّ ولقوه على ستة فراسخ من حلب فهزمهم وأخذ أفسُنقر أسيراً فقتله ولحق كربوقا وبوران بحلب واتبعها تتش فحاصرهما وملك حلب وأخذهما أسيرين وبعث الى حرّان والرها في الطاعة فامتنعوا فبعث اليهم برأس بوران وملك البلدين وبعث بكربوقا الى حمص فحبسه بها وسار الى الجزيرة فملكها ثم الى ديار بكر وخلاط فملكها ثم الى أذربيجان ثم سار الى همدان ووجد بها فخر الدولة ابن نظام الملك جاء من خراسان الى بركيارق فلقية الأمير قجاج من عسكر محمود باصبيان فنبه ماله ونجا الى همدان فصادف بها تتش فأراد قتله وشفع فيه باغي يسار وأشار بوزارته لئيل الناس الى بيته واستوزره وكان بركيارق قد سار الى أفسيس فحالفه تتش الى أذربيجان وهمدان فسار بركيارق من نصيين وعبر دجلة من فوق الموصل الى أربل فلما تقارب العسكران أشرف الأمير يعقوب بن ألق (١) من عسكر تتش فكبس بركيارق وهزمه ونهب سواده ولم يبق معه الا برسق وكمستكن الجاندار والبارق من أكابر الأمراء فلجؤا الى أصبهان وكأنت خاتون أم محمود قد ماتت فنبه محمود وأصحابه من الدخول ثم خرج اليه محمود وأدخله الى اصبهان واحتاطوا عليه وأرادوا أن يسلموه فرفض محمود فأبقوه .

* (مقتل تتش واستقلال بركيارق بالسلطان) *

ثم مات محمود منسلخ شوال سنة سبع وثمانين واستولى بركيارق على اصبهان وجاء مؤيد الملك بن نظام الملك فاستوزره عوض أخيه عز الملك وكان قد توفي بنصيين فكتب مؤيد الملك الأمراء واستألمهم فرجعوا الى بركيارق وكشف جمعه وبعث تاج الملك تتش بعد هزيمة بركيارق يوسف بن اتق التركماني شحنة الى بغداد في جمع من التركمان فنع من دخول بغداد وزحف اليه صدقة بن مزيد صاحب الحلة فقاتله في يعقوب وانهزم صدقة الى الحلة ودخل يوسف بن ألق ببغداد وأقام بها وكان تتش لما هرم بركيارق سار الى همدان وقد تحصن بها بعض الأمراء فاستأمن اليه واستولى على همدان وسار في نواحي اصبهان والى مرو وراسل الأمراء باصبيان يستميلهم بالمقاربة والوعد وبركيارق مريض فلما أفاق من مرضه خرج الى جرباذقان واجتمع اليه من العسكر ثلاثون ألفاً ولقيه تتش فهزمه بركيارق وقتله بعض أصحاب أفسُنقر بثأر صاحبه وكان فخر الملك بن نظام الملك أسيراً عنده فانطلق عند هزيمته واستقامت أمور بركيارق وبلغ الخبر الى يوسف .

(١) يوسف بن ألق التركماني (الكامل ج ١٠/ ٢٤٤) .

* (استيلاء كربوقا على الموصل) *

قد كنا قدّمنا أنّ تاج الدولة تتش أسر قوام الدولة أبا سعيد كربوقا وحجسه بعد ما قتل أقسُنقر بوران فأقام محبوساً بجلب الى أن قتل تتش واستولى رضوان ابنه على حلب فأمره السلطان بركيارق باطلاقه لأنه كان من جهة الأمير أتر^(١) فأطلقه رضوان وأطلق أخاه التوسطاش^(٢) فاجتمعت عليها العساكر وكان بالموصل علي بن شرف الدولة مُسلم منذ ولاه عليها تتش بعد وقعة المضيع وكان بنصيبين أخوه محمد بن مسلم ومعه مروان بن وهب^(٣) وأبو الهيجاء الكردي وهو يريد الزحف الى الموصل فكاتب كربوقا واستدعاه للنصرة ولقيه على مرحلتين من نصيبين فقبض عليه كربوقا وسار الى نصيبين وحاصرها أربعين يوماً وملكها ثم سار الى الموصل فامتنعت عليه فتحول عنها الى بلد^(٤) وقتل بها محمد بن شرف الدولة تغريقاً وعاد الى حصار الموصل ونزل منها على فرسخ واستنجد علي بن مسلم بالامير مكرس^(٥) صاحب جزيرة ابن عمر فجاء لانجاده واعترضه التوسطاش فهزمه ثم سار الى طاعة كربوقا وأعانه على حصار الموصل ولما اشتدّ بصاحبه علي بن مسلم الحصار بعد تسعة أشهر هرب عنها ولحق بصدقة بن مزيد ودخل كربوقا الى الموصل وعاث التوسطاش في أهل البلد ومصادرتهم واستطال على كربوقا فأمر بقتله ثلاثة دخوله سنة تسع وثمانين وسار كربوقا الى الرحبة فملكها وعاد فأحسن السيرة في أهل الموصل ورضوا عنه واستقامت أموره .

استيلاء أرسلان أرغون إخي السلطان ملك شاه على خراسان ومقتله

كان أرسلان أرغون مقيماً عند أخيه السلطان ملك شاه ببغداد فلما مات وبوع ابنه محمود سار الى خراسان في سبعة من مواليه واجتمعت عليه جماعة وقصد نيسابور فامتنعت عليه فعاد الى مرو وكان بها شحنة الأمير قودر^(٦) من موالي السلطان ملك شاه وكان أحد الساعين في قتل

(١) كذا في الأصل : وكذا في الكامل لابن الأثير، واسمه في الكتب الحديثة أتر (كتاب العلاقات الاجتماعية

للدكتور زكي النقاش) طبع دار الكتاب اللبناني — بيروت ص ٤٢ .

(٢) اسمه في الكامل ج ١٠ ص ٢٥٩ : التوتناش .

(٣) اسمه في الكامل ثروان بن وهيب .

(٤) اسم بلدة في العراق .

(٥) كذا وهو جكرمش .

(٦) ورد اسمه في الكامل قودن .

نظام الملك فقال الى طاعة أرغون وملكه البلد وسار الى بَلَخَ وكان بها فخر الملك بن نظام الملك ففر عنها ووصل الى همدان ووزر لتاج الدولة تُتَشَّ كما مرَّ وملك ارسلان أرغون بَلَخَ وترمذ ونيسابور وسائر خراسان وأرسل الى السلطان بركيارق وزيره مؤيد الملك في تقرير خراسان عليه بالضمان كما كانت لحدّه داود ما عدا نيسابور فأعرض عنه بركيارق لاشتغاله بأخيه محمود وعمه تتش ثم عزل بركيارق مؤيد الملك عن الوزارة بأخيه فخر الملك واستولى فخر الملك البارسلان على الأمور فقطع ارسلان مراسلة بركيارق فبعث حينئذ عمه بورسوس^(١) في العساكر لقتاله فانهمز ارسلان الى بَلَخَ وأقام بورسوس بهراً وسار ارسلان الى مرو وفتحها عنوة وخربها واستباحها وسار اليه بورسوس من هُراء سنة ثمان وثمانين وكان معه مسعود بن تاخر^(٢) الذي كان أبوه مقدّم عساكر داود ومعه ملك شاه من أعظم الأمراء فبعث اليه ارسلان واستماله فقال اليه ووُثب لمسعود بن تاخر وابنه فقتلها في خيمته فضعف أمر بورسوس وانفض الناس عنه وجيء به أسيراً الى أخيه ارسلان أرغون فحبسه بترمذ ثم قتله في محبسه بعد سنة وقتل أكابر خراسان وخرب أسوارها مثل سودان ومرو الشاهجان وقلعة سرخس ونهاوند ونيسابور وصادر وزيره عماد الملك بن نظام الملك على ثلثمائة ألف دينار ثم قتله واستبدّ بخراسان وكان مرهف الحدّ كثير العقوبة لمواليه وأنكر على بعضهم يوماً بغض فعلاته وهو في خلوة وضربه قطعنه الغلام بخنجر معه فقتله وذلك في الحرم من سنة تسعين .

* (ولاية سنجر على خراسان) *

ولما قتل ارسلان أرغون ملك أصحابه من بعده صبيّاً صغيراً من ولده وكان السلطان بركيارق قد جهز العساكر لخراسان للقتال ومعه الآتابك قجاج ووزيره علي بن الحسن الطغراني وانتهى اليه مقتل ارسلان بالدامغان فأقاموا حتى لحقهم السلطان بركيارق وساروا الى نيسابور فلكها في جمادي سنة تسعين وأربعمئة وملك سائر خراسان وسار الى بَلَخَ وكان أصحاب ارسلان قد هربوا بابنه الذي نصبوه للملك الى جبل طخارستان وبعثوا يستأمنون له ولهم فأمّنهم السلطان وجاؤا بالصبي في آلاف من العساكر فأكرمه السلطان وأقطع ما

(١) ورد اسمه في الكامل ج ١٠ ص ٧٥ بوري برش .

(٢) ورد اسمه في الكامل ج ١٠ ص ٢٦٣ مسعود بن تاخر .

كان لأبيه أيام ملك شاه وانفض عنه العسكر الذين كانوا معه واقتروا على أمراء السلطان وأقرّوه فضمته أم السلطان اليها وأقامت من يتولى رتبته وسار السلطان الى ترمذ فلحقها وخطب له بسمرقند ودانت له البلاد وأقام على بلخ سبعة أشهر ثم رجع وترك أخاه سنجر نائباً بخراسان .

* (ظهور المخالفين بخراسان) *

لما كان السلطان بخراسان خالف عليه محمود بن سليمان من قرابته ويعرف بأمر أميران وسار إلى بلخ واستمدّ صاحب غزنة من بني سبكتكين فأمدّه بالعساكر والخيول على أن يخطب له فيما يفتح من خراسان فقويت شوكتة فسار اليه الملك سنجر وكبسه فانهزم وجيء به أسيراً فسمله ولما انصرف السلطان عن خراسان سار نائب خوارزم واسمه أكنجي في اتباعه وسبق إلى مرو فتشاغل بلذاته وكان بها الأمير تورد قد تشاغل عن السلطان واعتذر بالمرض فدخل بارقشاش من الأمراء في قتل أكنجي صاحب خوارزم فكبسه في طائفة من أصحابه وقتلوه وساروا إلى خوارزم فلحقوها مظهرين أن السلطان ولاهما عليها وبلغ الخبر إلى السلطان وكان قد بلغه في طريقه خروج الأمير أنزبافارس عن طاعته ففضى إلى العراق وأعاد داود الحبشي ابن التونطاق في العساكر لقتالها فسار إلى العراق من هراة وأقام في انتظار العسكر فعاجله فهرب أمامها وهرب جيحون وتقدّم بارقشاش قبل تودن وقاتله فهزمه داود وأسرّه وبلغ الخبر إلى تودن فثار به عسكره ونهبوا أثقاله ولحق بسنجر فقبض عليه صاحبها ثم أطلقه فلحق بالملك سنجر ببلخ فقتله وأفرغ هو طاعته في نظمه وجمع العساكر على طاعته ثم مات قريباً وبقي بارقشاش أسيراً عند داود إلى أن قتل .

* (بداية دولة بني خوارزم شاه) *

كان أبو شكين مملوكاً لبعض أمراء السلجوقية واشتراه من بعض أهل غرشفان فدعى أبا شكين غرشه^(١) ونشأ على حال مرضية وكان مقدماً وولد له ابنه محمد فأحسن تربيته وتقدّم هو بنفسه ولما سار الأمير داود الحبشي إلى خراسان كما مرّ سار محمد في جملة فلما مهد

(١) ورد اسمه في الكامل ج ١٠ ص ٢٦٧ : نوشكين غرشفه .

خراسان وأزال الخوارج نظر فيمن يوليه خوارزم وكان نائبها أكنجي قد قتله كما مرّ فوقه اختياره على محمد بن أبي شكين فولاه ولقبه خوارزم شاه فحسنت سيرته وارتفع محله وأقره السلطان سنجر وزاده عناية بقدر كفايته واضطلاعه وغاب في بعض الأيام عن خوارزم فقصدتها بعض ملوك الأتراك وكان طغرلتيكين محمد الذي كان أبوه أكنجي نائباً بخوارزم وبادر محمد بن أبي شكين إلى خوارزم بعد أن استمد السلطان سنجر وسار بالعساكر مدداً له وتقدم محمد بن أبي شكين فتأخر الأتراك إلى منقشلاع ورحل طغرلتيكين إلى جرجان وازداد محمد بذلك عناية عند سنجر ولما توفي ولي ابنه بعده أقسى وأحسن السيرة وكان قد قاد الجيوش أيام أبيه وياشر الحروب فملك مدينة منقشلاع ولما توفي اختصه السلطان سنجر وكان يصاحبه في أسفاره وحروبه واتصل الملك في بني محمد أبي شكين خوارزم شاه وكانت لهم الدولة وتمت دولة بني ملك شاه وعليها كان ظهور الططر^(١) بعد المائة السادسة ومنهم أخذوا الملك كما سيأتي في أخبارهم .

* (استيلاء الافرنج على انطاكية وغيرها من سواحل الشام) *

كان الافرنج قد ظهر أمرهم في هذه السنين وتغلبوا على صقلية واعتزموا على قصد الشام وملك بيت المقدس وأرادوا المسير إليها في البر فراسلوا ملك الروم بالقسطنطينية أن يسهل لهم الطريق إلى الشام فأجابهم على أن يعطوه انطاكية فعبروا خليج القسطنطينية سنة تسعين وأربعمائة وسار ارسلان بن سليمان بن قطلمش صاحب مرقية وبلاد الروم لمدايعتهم فهزموه ثم مروا ببلاد ابن لبون الارمني ووصلوا إلى انطاكية فحاصروها تسعة أشهر وصاحبها يومئذ باغي سيان فأحسن الدفاع عنها ثم تبوّأ البلد بمدخله بعض الحامية أضعدهم السور بعد أن رغبوه بالاموال والاقطاع وجاءوا إلى السور فدلهم على بعض المخادع ودخلوا منه ونفخوا البوق فخرج باغي سيان هارباً حتى إذا كان على أربعة فراسخ راجع نفسه وندم فسقط مغشياً عليه ومّره أرمني فحمل رأسه إلى انطاكية وذلك سنة إحدى وتسعين وأربعمائة واجتمعت عساكر المسلمين وزحفوا إلى انطاكية من كل ناحية ليرتجموها من الافرنج وجاء قوام الدين كربوقا إلى الشام واجتمعت عليه العساكر بمرج دابق فكان معه ذقاق بن تشش وطغرلتيكين أتائبك وجناح الدولة صاحب حمص وارسلان تاش صاحب سنجار وسقمان بن أرتق

(١) وهي التتار والتتار، كما في كتب التاريخ .

وغيرهم وساروا الى انطاكية فانزلوها واستوحش الامراء من كربوقا وأنفوا من ترفعه عليهم وضاق الحصار بالافرنج لعدم الاقوات لانّ المسلمين عاجلهم عن الاستعداد فاستأمنوا كربوقا فمنعهم الامان وكان معهم من الملوك بردويل وصخبيل وكدمري والقمط صاحب الرها وسمند^(١) صاحب انطاكية وهو مقدم العساكر فخرجوا مستأمنين وضربوا مصافّ وتحاذل الناس لما كان في قلوبهم من الاضغان لكربوقا فتمت الهزيمة عليهم وآخر من انهزم سقمان بن أرتق واستشهد منهم العرب وغنم العدو سوادهم بما فيه وساروا الى معرة النعمان فلكوها وأفحشوا في استباحتها ثم ساروا الى غزة فحاصروها أربعة أشهر وامتنعت عليهم وصالحهم ابن منقذ على بلده شيراز وحاصروا حصص فصالحهم صاحبها جناح الدولة ثم ساروا الى عكا فامتنعت عليهم وكان هذا بداية الافرنج بسواحل الشام ويقال انّ المصريين استنابوا رجلاً يعرف بافتخار الدولة من خلفاء العميد بن نصر لما خشوا من السلجوقية عند استيلائهم على الشام الى غزة وزحف الاقيسيس من أمرائهم الى مصر وحاصرها فراسلوا الى الافرنج واستدعوهم لملك الشام لينشلوهم عن أنفسهم ويحولوا بينهم وبين مصر والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (انتفاض الامير انز وقتله) *

لما سار السلطان بركيارق الى خراسان ولى على بلاد فارس الامير انز وكانت قد تغلبت الشوانكار واستظهروا بايران شاه بن قاروت بك صاحب كرمان فلما سار اليهم انز قاتلوه فهزموه ورجع الى اصبهان فاستأذن السلطان فأمره بالمقام هناك وولاه اماراة العراق وكانت العساكر في جواره بطاعته وجاءه مؤيد الملك بن نظام الملك من بغداد على الحلة فأغراه بالخلاف وخوفه غائلة بركيارق وأشار عليه بمكاتبة محمد بن ملك شاه وهو في كنجه وشاع عنه ذلك فازداد خوفه وجمع العساكر وسار من اصبهان الى الريّ وجاهر السلطان بالخلاف وطلب منه أن يسلم اليه فخر الملك البارسلان ويبدأ هو في ذلك اذ هجم عليه ثلاثة نفر من الاتراك المولدين بخوارزم من جنده فطعنوه فقتلوه واهتاج عسكره فنهبوا اخزائنه وحمل شلوه الى اصبهان فدفن بها وأشهر خبر قتله الى السلطان في أحواز الريّ وهو سائر لقتاله فسرّ بذلك هو وفخر الملك البارسلان وذلك في سنة ثنتين وتسعين وكان محمود المذاهب كبير المناقب ولما

(١) كذا بالاصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٢٧٦ وكان معهم من الملوك بردويل . صنجيل وكندفري والقمص صاحب الرها ويمنت صاحب انطاكية وهو القدم عليهم .

قتل هرب اصهز صبار^(١) الى دمشق فأقام بها مدة ثم قدم على السلطان محمد سنة احدى وخمسمائة فأكرمه وأقطعته رحبة مالك بن طوق .

* (استيلاء الافرنج على بيت المقدس) *

كان بيت المقدس لتاج الدولة تُش وأقطعته الأمير سقمان بن أرتق التركماني وكان تُش ملكه من يد العلويين أهل مصر فلما وهن الاتراك بواقعة انطاكية طمع المصريون في ارتجاعه وسار صاحب دولتهم الافضل بن بدر الجمالي وحاصر الأمير سقمان وأخاه ايلغاري وابن أخيها ياقوتي وابن عمها سونج ونصب المجانيق فثلثوا سورهم ثم ملكوه بالامان لاربعين يوما من حصاره في شعبان سنة تسع وثمانين وأحسن الافضل الى سقمان وايلغاري ومن معها وأطلقهم فأقام سقمان ببلد الرها وسار ايلغاري الى العراق وولى الافضل على بيت المقدس افتخار الدولة من أمرائهم ورجع الى مصر فلما رجع الافرنج من عكا جاؤا الى بيت المقدس فحاصروه اربعين يوما واقتحموه من جهة الشمال آخر شعبان من سنة اثنتين وتسعين وعاثوا في أهله واعتصم فلهم بمحارب داود عليه السلام ثلاثا حتى استأمنوا وخرجوا ليلا الى عسقلان وقتل بالمسجد سبعون ألفا أوزيرون من المجاورين فيهم العلماء والزهاد والعباد وأخذوا نيفا وأربعين قنديلا من الفضة زنة كل واحد ثلاثة آلاف وستائة درهم ومائة وخمسين قنديلا من الصغار وتنورا من الفضة زنته أربعون رطلا بالشامي وغير ذلك مما لا يحصى ووصل الصريح الى بغداد مستغيثين فأمر المقتدي أن يسير الى السلطان بركيارق أبو محمد الدامغاني وأبو بكر الشاشي وأبو القاسم الزنجاني وأبو الوفاء بن عقيد وأبو سعد الحلواني وأبو الحسين بن السماك فساروا الى بركيارق يستصرخونه للمسلمين فأنتهوا الى حلوان وبلغهم مقتل مجد الملك الباسلاني^(٢) وقتنه بركيارق مع أخيه محمد فرجعوا وتمكن الافرنج من البلاد ونحن عازمون على افراد أخبارهم بالشام وما كان لهم فيه من الدولة على حكم أخبار الدول في كتابنا .

* (ظهور السلطان محمد بن ملك شاه والخطبة له) *

* ببغداد وحروبه مع أخيه بركيارق *

كان محمد وسنجر شقيقين وكان بركيارق استعمل سنجر على خراسان ثم لحق به محمد

(١) وهو الاصهز صباوو (الكامل في التاريخ ج ١٠ ص ٢٣٩)

(٢) مجد الملك الباسلاني (الكامل في التاريخ ٥٩١/٩ .

باصبهان وهو يحاصرها سنة ثمان وثمانين فأقطعه كنجة وأعمالها وأنزل معه الأمير قطنغ تكين أتابك وكانت كنجة من أعمال آران وكانت لقطون فانترعها ملك شاه وأقطعه استراباذ وولى على آران سرهناسا وتكين الخادم ثم ضمن قطنون بلاده وأعيد اليها فلما قوي رجع الى العصيان فسرّح اليه ملك شاه الامير يوزان فغلبه على البلاد وأسرّه ومات ببغداد سنة أربع وثمانين وأقطع ملك شاه بلاد آران لاصحاب باغي سيان صاحب انطاكية ولما مات باغي سيان رجع ابنه الى ولاية أبيه ثم أقطع السلطان بركيارق كنجة وأعمالها لمحمد كما قلناه سنة ست وثمانين ولما اشتد واستفحل قتل اتابك قطنغ تكين واستولى على بلاد آران كلها ولحق مؤيد الملك عبد الله بن نظام الملك بعد مقتل صاحبه أنز فاستخلصه وقربه وأشار عليه مؤيد الملك فطلب الامر لنفسه فخطب له بأعماله واستوزر مؤيد الملك وقارن ذلك مقتل مجد الملك الباسلاني المتغلب في دولة بركيارق فاستوحش أصحابه لذلك ونزعوا الى محمد وساروا جميعاً الى الري وكان بركيارق قد سبقهم اليها واجتمع اليه الامير نبال بن أبي شكين الحسامي^(١) من أكابر الإمراء وعز الملك بن نظام الملك ولما بلغه مسير أخيه محمد اليه رجع الى اصبهان فمنعوه من الدخول فسيار الى خوزستان وملك محمد الري في ذي القعدة سنة اثنتين وتسعين ووجد بهاز بيده أم بركيارق قد تخلفت عن ابنها فحبسها مؤيد الملك وصادها ثم قتلها خنقاً بعد ان تنصح له أصحابه في شأنها فلم يقبل وكان سعد الدولة كوهراس شحنة بغداد قد استوحش من بركيارق فاتفق هو وكربوقا صاحب الموصل وجكرمش صاحب جزيرة ابن عمر وسرخاب بن بدر صاحب كنكسون وساروا الى السلطان محمد بقم فخلع عليهم وردّ كوهراس الى بغداد في شأن الخطبة فخطب له بالخليفة ولقبه حياة الدين والدنيا وسار كربوقا وجكرمش مع السلطان محمد الى اصبهان والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (مقتل الباسلاني) *

كان أبو الفضل سعد الباسلاني ويلقب مجد الملك متحكماً عند السلطان بركيارق ومتحكماً في دولته ولما فشا القتل في أمرائه من الباطنية استوحشوا ونسبوا ذلك للباسلاني وكان من أعظم من قتل منهم الأمير برسق فأتهم ابنه زنكي وأقبورني الباسلاني في قتله ونزعوا عن بركيارق الى السلطان محمد فاجتمع الامراء ومقدمهم أمير الحيرة لكابك وطغابرك من الروز وبعثوا

(١) نبال بن انوشكين الحسامي : ابن الأنيرج ٢٨٨/١٠ .

الى بني برسق يستدعونهم للطلب بثار أبيهم فجاءوا واجتمعوا قريبا من همدان ووافقهم
العسكر جميعاً على ذلك وبعثوا الى بركيارق يطلبون الباسلاني فامتنع وأشار عليه الباسلاني
باجابتهم لئلا يفعلوا ذلك بغير رأي السلطان فيكون وهناً على الدولة فاستحلفهم السلطان
فدفعه اليهم فقتله الغلمان قبل أن يتصل بهم وسكنت الفتنة وحمل رأسه الى مؤيد الملك
واستوحش الامراء لذلك من بركيارق وأشاروا عليه بالعود الى الري وكفونه قتال أخيه
محمد فعاد متشاعلاً ونهبوا سرادقه وساروا الى أخيه محمد ولحق بركيارق باصبهان ثم لحق
رستاق كما تقدم .

* (اعادة الخطبة ببغداد لبركيارق) *

ولما سار بركيارق الى خوزستان ومعه نبال بن أبي شكين الحسامي مع عسكره سار من
هنالك الى واسط ولقيه صدقة بن مزيد صاحب الجلة ثم سار الى بغداد وكان سعد الدولة
كوهراس الشحنة على طاعة محمد فخرج عن بغداد ومعه أبو الغازي بن بن ارتق
وغيره وخطب لبركيارق ببغداد منتصف صفر سنة ثلاث وتسعين بعد ان فارقتها
كوهراس وأصحابه وبعثوا الى السلطان محمد ومؤيد الملك يستحثونها فأرسلوا اليهم كربوقا
صاحب الموصل وجكرمش صاحب جزيرة ابن عمر يستكثرون بهم في المدافعة وطلب
جكرمش من كوهراس السير لبلده خشية عليها فأذن له ثم ينس كوهراس وأصحابه من
محمد فبعثوا الى بركيارق بطاعتهم فخرج اليهم واسترضاهم ورجع الى بغداد وقبض على
عميد الدولة بن جُهير وزير الخليفة وطالبه بما أخذ هو وأبوه من الموصل وديار بكر أيام
ولايتهم عليها فصادرهم على مائة وستين ألف دينار واستوزر الاغر أبا المحاسن عند الجليل
ابن علي بن محمد الدهستاني وخلع الخليفة على بركيارق .

* (المصاف الاول بين بركيارق ومحمد ومقتل) *

* كوهراس وهزيمة بركيارق والخطبة لمحمد) *

ثم سار بركيارق من بغداد لحرب أخيه محمد ومر بشهرزور فاجتمع اليه عسكر كثير من
التركمان وكاتب رئيس همدان يستحثه فركب وسار للقاء أخيه على فراسخ من همدان في أول
رجب من سنة ثلاث وتسعين وفي ميمنته كوهراس وعز الدولة بن صدقة بن مزيد وسرحاب

ابن بدر وفي ميسرته كربوقا وفي ميمته محمد بن اضر وابنه ايار ^(١) وفي ميسرته مؤيد الملك والنظامية ومعه في القلب أمير سرخو شحنة اصهبان فحمل كوهراس من الميمنة على مؤيد الملك والنظامية فهزمهم وانتهى الى خيامهم فنهبا وحملت ميمنة محمد على ميسرة بركياريق فانهزموا وحمل محمد على بركياريق فهزمه ووقف محمد مكانه وعاد كوهراس من طلب المنهزمين فكبا به فرسه فقتل وجيء بالاغر أبي المحاسن يوسف وزير بركياريق أسيرا فأكرمه مؤيد الملك ونصب له خيمة وبعثه الى بغداد في الخطبة لمحمد فخطب له منتصف رجب من السنة وكانت أولية سعد الدولة كوهراس انه كان خادماً للملك أبي كلينجار بن بويه وجعله في خدمة ابنه أبي نصر ولما حبسه طغرل بك مضى معه الى قلعة طغرل فلما مات انتقل الى خدمة السلطان البارسلان وترقى عنده وأقطعه واسط وجعله شحنة بغداد وحضر يوم قتله فوقاه بنفسه ثم أرسله ملك شاه الى بغداد في الخطبة وجاء بالخلع والتقليد وحصل له من نفوذ الامر واتباع الناس ما لم يحصل لغيره الى أن قُتل في هذه المعركة وولى شحنة بغداد بعده ايلغازي بن أرتق .

مسير بركياريق خراسان وانهزامه من أخيه سنجر ومقتل الأمير داود حبشي أمير خراسان

لما انهزم بركياريق من أخيه محمد خلص في الفلّ الى الريّ واجتمع له جموع من شيعته فسار الى خراسان وانتهى الى اسفرين وكتب الامير داود حبشي ^(٢) الى التونطاقي يستدعيه من الدامغان وكان أميراً على معظم خراسان وعلى طبرستان وجرجان فأشار عليه بالمقام بنيسابور فقصدتها وقبض على عميدها أبي محمد وأبي القاسم بن امام الحرمين ومات أبو القاسم في حبسه مسموماً ثم زحف سنجر الى الامير داود فبعث الى بركياريق يستدعيه لنجدته فسار اليه والتقى الفريقان بظاهر بوشنج وفي ميمنة سنجر الامير برغش وفي ميسرته الامير كوكر ^(٣) ومعه في القلب الامير رستم فحمل بركياريق على رستم فقتله وانقضّ الناس على سنجر وكاد ينهزم وأخذ بركياريق أم سنجر أسيرة وشغل أصحاب بركياريق بالنهب فحمل عليهم برغش وكوكر فانهزموا واستمرت الهزيمة على بركياريق وهرب الامير داود فجاء به الى برغش أسيراً

(١) وكان محمد في القلب ومعه الأمير سرمز وعلى ميمته أمير آخر وابنه اياز الكامل ج ١٠ ص ٢٩٥

(٢) الامير دازحبشي (الكامل ج ١٠ ص ٢٩٦)

(٣) كندكر (الكامل ج ١٠ ص ٢٩٧)

فقتله وسار بركيارق الى جرجان ثم الى الدامغان ودخل البرية ثم استدعاه أهل اصبهان وجاءه جماعة من الامراء منهم جاول سقاوو وسبقه محمد الى اصبهان فعدل عنها الى عسكر مكرم .

المصاف الثاني بين بركيارق ومحمد وهزيمة محمد وقتل وزيره مؤيد الملك والخطبة لبركيارق

لما انهزم بركيارق أمام سنجر سنة ثلاث وتسعين وسار الى اصبهان فوجد أخاه محمدا قد سبقه اليها فعدل عنها الى خوزستان ونزل الى عسكر مكرم وقدم عليه هناك الاميران زنكي والبكي ابنا برسق سنة أربع وتسعين وساروا معه الى همدان وهرب اليه الامير اياز في خمسة آلاف من عسكر محمد لأن صاحب اميراً ضر^(١) مات في تلك الايام وظنوا أن مؤيد الملك دس عليه وزيره فسمه وكان اياز في جملة أمير اضر فقتل الوزير المتهم ولحق بركيارق ثم وصل اليه سرحاب بن كنجر وصاحبه فاجتمع له نحو من خمسين ألف فارس ولقيه محمد في خمسة عشر ألفاً واستأمن أكثرهم إلى بركيارق يوم أول جمادي الأخيرة سنة أربع وتسعين واستولت الهزيمة على محمد وجيء بمؤيد الملك أسيراً فوبخه ثم قتله بيده لانه كان سيء السيرة مع الامراء كثير الحيل في تدبير الملك ثم بعث الاغر أبو المحاسن وزير بركيارق أبا أبراهيم الاستراباذي لاستقصاء أحوال مؤيد الملك وذخائره ببغداد فحمل منها ما لا يسعه الوصف يقال انه وجد في ذخائره ببلاد العجم قطعة بلخش زنتها أربعون مثقالاً واستوزر محمد بعده خطيب الملك أبا منصور محمد بن الحسين ثم سار السلطان بركيارق الى الري ووفد عليه هنالك كربوقا^(٢) صاحب الموصل ودييس بن صدقة وأبوه يومئذ صاحب الحلقة وسار السلطان قافلاً الى جرجان وبعث الى أخيه سنجر يستجديه فبعث اليه ما أقامه ثم طلبه في المدد فسار اليه سنجر من خراسان ثم سارا جميعاً الى الدامغان فخرباها وسار الى الري

(١) اميراضر : ورد في الكامل أمير آخر وهو الصحيح وآخر : (بضم الخاء المعجمة والراء : قصبة ناحية دهستان ، بين جرجان وخوارزم وقيل آخر قرية بدّهستان نسب اليها جماعة من اهل العالم ، منهم أبو الفضل العباس بن احمد بن الفضل الزاهد وكان فقيهاً ، فاضلاً ، معتزلياً ، اديباً ، لغوياً ومنهم أبو الفتيان عمر بن عبد الكريم الرواسي ونزار بن عبد الواحد الدهستاني وغيرهم . وآخر قرية بين سمنان ودامغان ، بينها وبين سمنان تسعة فراسخ ، سمع بها المحافظ أبو عبد الله بن النجار نقلته من خطّة وأخبرني به من لفظة) معجم البلدان .

(٢) وفي الكتب الحديثة اسمه كربونخا (العلاقات الاجتماعية ، نقاش ص ٢١)

واجتمعت عليه النظامية وغيرهم فكثرت جموعهم وكان بركيارق بعد الظفر قد فرق عساكره لضيق الميرة ورجع ديبس بن صدقة الى أبيه وخرج باذريجان داود بن اسمعيل ابن ياقوتي فبعث لقتاله قوام الدولة كربوقا في عشرة آلاف واستأذنه اياز في المسير الى ولايته بهمدان ويعود بعد الفطر فبقي في قلة من العساكر فلما بلغه قرب أخيه محمد وسنجر اضطرب حاله وسار الى همدان ليجتمع مع اياز فبلغه انه قد راسل أخاه محمدا وأطاعه فعاد الى خوزستان ولما انتهى الى تستر استدعى ابن برسق وكان من جملة اياز فلم يحضر وتأخر فامنه فسار نحو العراق فلما بلغ حلوان لحق به اياز وكان راسل محمدا فلم يقبله وبعث عساكره الى همدان فليحق بهمدان اياز وأخذ محمد محلة (١) اياز بهمدان وكانت كثيرا من كل صنف وصور أصحابه (٢) بهمدان بمائة ألف دينار وسار بركيارق واياز الى بغداد فدخلها منتصف ذي القعدة من سنة أربع وتسعين وطلب من الخليفة المال للنفقة فبعث اليه بعد المراجعة بخمسين ألف دينار وعاث أصحاب بركيارق في أموال الناس وضجروا منه ووفد عليه أبو محمد عبدالله بن منصور المعروف بابن المصلحية (٣) قاضي جبلة من سواحل الشام منهزما من الافرنج بأموال جليلة المقدار فأخذها بركيارق منه وقد تقدم خبر ابن المصلحية في دولة العباسيين ثم بعث وزير بركيارق الاغر (٤) بالمحاسن الى صدقة بن مزيد صاحب الحلة في ألف ألف دينار يزعم أنها تخلفت عنده من ضمان البلاد وتهده عليها فخرج عن طاعة بركيارق وخطب لمحمد أخيه وبعث اليه بركيارق في الحضور والتجاوز عن ذلك وضمن له اياز جميع مطالبه فأبى الا ان يدفع الوزير واستمر على عصيانه وطرد عامل بركيارق عن الكوفة واستضافها اليه .

* (مسير بركيارق عن بغداد ودخول محمد وسنجر اليها) *

ولما استولى السلطان محمد وأخوه سنجر على همدان سار في اتباع بركيارق الى حلوان فقدم عليه هنالك أبو الغازي ابن ارتق في عساكره وخدمه وكثرة جموعه فسار الى بغداد وبركيارق عليل بها فاضطرب أصحابه وعبروا به الى الجانب الغربي ووصل محمد الى بغداد آخر سنة

(١) واخذ عسكر محمد ما تخلف للأمر اياز بهمدان (الكامل ج ١٠ ص ٣٠٧)

(٢) كذا يياض بالاصل وفي الكامل : ونهبوا داره وصادروا جماعة من اصحابه وصور رئيس همدان بمائة ألف دينار .

(٣) ورد اسمه في الكامل ابن صليحة

(٤) وهو الاغر أبو المحاسن الدهستاني

أربع وتسعين وتراءى الجمعان بشاطيء دجلة وجرت بينهم المراماة والنشاب وكان عسكر محمد ينادون عسكر بركيارق يا باطنية ثم سار بركيارق الى واسط ونهب عسكره جميع ما مروا عليه ودخل محمد الى دار المملكة ببغداد وجاءه توقيع المستظهر بالاستبشار بقدمه وخطب له ونزل الملك سنجر بدار كوهراس ووفد على السلطان محمد ببغداد صدقة صاحب الحلة في محرّم سنة خمس وسبعين ^(١) .

* (قتل بركيارق الباطنية) *

كان هؤلاء الباطنية قد ظهوروا بالعراق وفارس وخراسان وهم القرامطة والدعوة بعينها دعوتهم الا أنهم سمو في هذه الاجيال بالباطنية والاسماعيلية والملاحدة والفداوية وكل اسم منها باعتبار فالباطنية لانهم ييطنون دعوتهم والاسماعيلية لا تنساب دعوتهم في أصلها لاسماعيل الامام بن جعفر الصادق والملاحدة لان بدعتهم كلها الحاد والفداوية لانهم يفادون أنفسهم بالمال على قتل من يسلطون والقرامطة نسبة الى قرمط منشيء دعوتهم وكان أصلهم من البحرين في المائة الثالثة وما بعدها ثم نشأ هؤلاء بالمشرق أيام ملك شاه فأول ما ظهوروا باصبهان واشتدّ في حصار بركيارق وأخيه محمود وأمّه خاتون فيها ثم ثارت عامة اصبهان بهم بإشارة القضاة وأهل الفتيا فقتلوه في كل جهة وحرقوهم بالنار ثم انتشروا واستولوا على القلاع ببلاد العجم كما تقدّم في أخبارهم ثم أخذ بمذهبيهم نيران شاه بن بدران شاه بن قارت بك ^(٢) صاحب كرمان حملة عليه كاتب من أهل خوزستان يسمى أبا زرعة وكان بكرمان فقيه من الخنفيه يسمى أحمد بن الحسين البلخي مطاع في الناس فخشى من نكيره فقتله فهرب عنه صاحب جيشه وكان شحنة البلد ولحق بالسلطان محمد ومؤيد الملك باصبهان وثار الجنا بعده بنيران شاه الى مدينة كرمان ففنع أهلها ونهبه فقصد قلعة سهدم ^(٣) واستجار بصاحبها محمد بهستون وبعث أرسلان شاه عساكر لحصارها فطرده بهستون وبعث مقدم العساكر في طلبه فجيء به أسيرا وبأبي زرعة الكاتب معه فقتلها أرسلان شاه واستولى على بلاد كرمان وكان بركيارق كثيرا ما يسلطهم على من يريد قتله من الامراء مثل انز شحنة اصبهان وأرغش وغيرهم فامنوا جانبهم وانتشروا في عسكره واغروا الناس ببذعتهم

(١) ذكرت هذه الحادثة في الكامل ج ١٠ ص ٣٠٨ : من حوادث سنة أربع وتسعين واربعمائة .

(٢) نيران شاه بن تورانشاه بن قاروت بك الكامل ج ١٠ ص ٣٢٠ وورد اسمه في نسخة اخرى نيران شاه .

(٣) وفي الكامل : قلعة سجرم .

وتجاوزوا الى التهديد عليها حتى خافهم اعيان العسكر وصار بركيارق يصرفهم على أعدائه والناس يتهمنه بالميل اليهم فاجتمع أهل الدولة وعذلوا بركيارق في ذلك فقبل نصيحتهم وأمر بقتل الباطنية حيث كانوا فقتلوا وشردوا كل مشرد وبعث الى بغداد بقتل ابي ابراهيم الاستراباذي الذي بعثه أبو الاغر لاستقصاء أموال مؤيد الملك وكان يتهم بمذهبهم فقتل وقتل بالعسكر الامير محمد من ولد علاء الدين بن كاكويه وهو صاحب مدينة تبرد وكان يتهم بمذهبهم وسعى بالكيا الهراسي مدرس النظامية انه باطني فأمر السلطان محمد بالقبض عليه حتى شهد المستظهر ببراءته وعلو درجته في العلم فاطلقه وحسنت علة الباطنية بين الجمهور وبقي امرهم في القلاع التي ملكوها الى ان انقضوا كما تقدم في اخبارهم مستوفي .

* (المصاف الثالث بين بركيارق ومحمد والصلح بينهما) * ولما رحل بركيارق عن بغداد الى واسط ودخل اليها السلطان محمد اقام بها الى منتصف المحرم من سنة خمس وتسعين ثم رحل الى همدان وصحبه السلطان سنجر لقصد خراسان موضع امارته وجاءت الاخبار الى المستظهر باعتزام بركيارق على المسير الى بغداد ونقل له عنه قبائح من أقواله وأفعاله فاستدعى السلطان محمداً من همدان وقال أنا أسير معك لقتاله فقال محمد أنا أكفيكه يا أمير المؤمنين ورجع ورتب ببغداد أبا المعالي شحنة وكان بركيارق لما سار من بغداد الى واسط هرب أهلها منه الى الزبيدية ونزل هو بواسط عليلاً فلما أفاق أراد العبور الى الجانب الشرقي فلم يجد سفناً ولا نواتية وجاءه القاضي أبو علي الفارسي الى العسكر واجتمع بالامير اياز والوزير فاستعطفها لاهل واسط وطلب اقامة الشحنة بينهم فبعثاه وطلباً من القاضي من يعبر فأحضرهم رجلاً عبروا بهم فلما صاروا في الجانب الشرقي نهب العسكر البلد فجاء القاضي واستعطفهم فمنعوا النهب واستأمن اليهم عسكر واسط فأمنوهم وسار بركيارق الى بلاد بلخ وبرسق في الاهواز وساروا معه ثم بلغه مسير أخيه محمد عن بغداد فسار في اتباعه على نهاوند الى أن أدركه وتصافوا ولم يقتلوا لشدة البرد ثم عاودوا في اليوم الثاني كذلك وكان الرجل يخرج لقريه من الصف الآخر فيتصافحان ويتساءلان ويفترقان ثم جاء الأمير بكرج وعبر من عسكر محمد الى الأمير أياز والوزير الأغر فاجتمعوا وعقدوا الصلح بين الفريقين على ان السلطان بركيارق والملك محمد ويضرب له ثلاث نوب ويكون له من البلاد حرة وأعمالها وأذربيجان وديار بكر والجزيرة والموصل ويمده بركيارق بالعساكر على من يمتنع عليه منها وتحالفا على ذلك وافترقا وكان العقد في ربيع الأول سنة خمس وتسعين وسار بركيارق الى ساوة ومحمد الى استراباذ وكل أمير على أقطاعه والله سبحانه وتعالى أعلم .

انتفاض الصلح والمصاف الرابع بين السلطانين وحصار محمد باصبيان

لما انصرف السلطان محمد الى استراياذ وكان اتم الامراء الذين سعوا في الصلح بالخديعة فسار الى قزوين ودس الى رئيسها لان يصنع صنيعا ويدعوه اليه مع الامراء ففعل وجاء السلطان الى الدعوة وقد تقدم الى أصحابه بحمل السلاح ومعه يشمك وافتكين من أمرائه فقبض عليهما وقتل يشمك وسمل افتكين وورد عليه الأمير نبال بن أبي شكين الحسامي نازعا عن أخيه بركيارق .

ولما التقى الفريقان حمل سرخاب بن كشم^(١) الدلي صاحب ساوة على نبال الحسامي فهزمه واتبعه عامّة العسكر واستولت الهزيمة على عسكر محمد ومضى بعضهم الى طبرستان وبعضهم الى قزوين وذلك في جمادى من سنة خمس وتسعين لاربعة أشهر من المصاف قبله ولحق محمد في الفل باصبيان ومعه نبال الحسامي واصبيان في حكمه فحصنها وسدّا ما ثلم من سورها وأعمق الخندق وفرّق الامراء في الاسوار وعلى الابواب ونصب المجانيق وجاء بركيارق في خمسة عشر ألف مقاتل فأقام محاصرا للبلد حتى اشتدّ الحصار وعدمت الاقوات واستقرض محمد المال للجند من أعيان البلدة مرّة بعد أخرى فلما جهده الحصار خرج من البلد ومعه الامير نبال وترك باقي الامراء وبعث بركيارق الأمير أياز في عسكر لطلبه فلم يدركه وقيل بل أدركه وذكره العهد فرجع عنه بعد ان أخذ رايته وجشره^(٢) وثلاثة أحوال من المال ولما خرج محمد عن أصبيان طمع المفسدون والسودية في نهبا فأجتمع منهم ما يزيد على مائة ألف وزحفوا بالسلام والذبابات وطموا الخندق وصعدوا في السلام بأشارة أهل البلد وجدّوا في دفاعهم وعادوا خائبين ورحل بركيارق آخر ذي القعدة من سنة خمس وتسعين واستخلف على البلاد القديم الذي يقال له شهرستان مرشد الهراس في ألف فارس مع ابنه ملك شاه وسار الى همدان وفي هذا الحصار قتل وزير بركيارق الاغر أبو المحاسن عبد الجليل الدهستاني عرض له يوما بعض الباطنية عندما ركب من خيمته لباب السلطان طعنه طعنات

(١) وفي بعض النسخ سرخاب بن كيخسرو الديلمي وفي الكامل ج ١٠ ص ٣٠٣ ، وحضر الدعوة ومعه الامير افتكين ويسمل فقتل الامير بسمل ، وهو من اكابر الامراء ، وكحل الامير افتكين ، وكان الامير نبال بن انو شكين الحسامي قد فارق بركيارق ، وأقام مجاهداً للباطنية الذين في القلاع والجبال فقصد الآن السلطان محمد وسار معه الى الري يضرب التوب الخمس

(٢) وفي الكامل : وأخذ علمه والجزر

وتركه بأخر رمق وقتل غلام من غلمان بعض المكوس للوزير ثار فيه بمولاه وكان كريما واسع الصدر وولى الوزارة على حين فساد القوانين وقلة الحباية فكان يضطر لأخذ أموال الناس بالاضافة فنفرت الصفوة منه ولما مات استوزر بركيارق بعده الخطير أبا منصور الميذي كان وزيراً لمحمد وقد وكله في الحصار ببعض الأبواب فبعث اليه محمد نبال بن أبي شكين يطالبه بالاموال لا قائمة العسكر فخرج من الباب ليلاً ولحق ببلده وامتنع بقلعتها فأرسل السلطان بركيارق اليها عساكر وحصاروها حتى استأمن وجاء عند قتل وزيره الأغر فاستوزره بركيارق مكانه والله تعالى أعلم بغيبه .

* (مسير صاحب البصرة الى واسط) *

كان صاحب البصرة لهذا العهد اسمعيل بن ارسلان حين كان السلطان ملك شاه شحنة بالري وولاه عليها عندما اضطر أهلها وعجز الولاة عنهم فحسنت كفايته وأثنى فيهم وأصلح أمورها ثم عزل عنها وأقطع السلطان بركيارق البصرة للأمير قجاج وكان ممن لا يفارقه فاختر اسمعيل لولاية البصرة ثم نزع قجاج عن بركيارق وانتقل الى خراسان فحدثت اسمعيل نفسه بالاستبداد بالبصرة وانتقض وزحف اليه مهذب الدولة بن أبي الخير من البطيحة ومعدل بن صدقة بن منصور بن الحسين الاسدي من الجزيرة في العساكر والسفن فقاتلوه في مطاري وقتل معدل بسهم أصابه فعاد ابن أبي الخير الى البطيحة فأخذ اسمعيل السفن وذلك سنة احدى وتسعين وأسرهما واستفحل أمره بالبصرة وبنى قلعة بالايلة وقلعة بالشاطيء قبالة مطاري وأسقط كثيرا من المكوس واتسعت امارته لشغل السلاطين بالفتنة وملك المسبار وأضافها الى ما بيده ولما كان سنة خمس وتسعين طمع في واسط وداخل بعض أهلها وركب اليها السفن الى نعاجار وخيم عليها بالجانب الشرقي أيا ما ودفعوه فارتحل راجعا حتى ظنّ خلاء البلد من الحامية فدرس اليها من يضم النار بها ليرجعوا فرجع عنهم فلما دخل أصحابه البلد فتك أهل البلد فيهم وعاد الى البصرة منهزما فوجد الأمير أبا سعيد محمد بن نصر بن محمود صاحب الأعمال لعمان وجنايا وشيراز وجزيرة بني نفيس محاصراً للبصرة وكان أبو سعيد قد استبدّ بهذه الأعمال منذ سنين وطمع اسمعيل في الاستيلاء على أعماله وبعث اليها السفن في البحر فرجعوا خائبين فبعث أبو سعيد خمسين من سفنه في البحر فظفروا بأصحاب اسمعيل معهم الى الصلح ولم يقع منه وفاء به فسار أبو سعيد بنفسه في مائة سفينة وأرسى بفوهة نهر الابلّة ووافق دخول اسمعيل من واسط فتراحقوا برّاً وبحراً فلما رأى اسمعيل

عجزه عن المقاومة كتب الى ديوان الخليفة بضمن البلد ثم تصالحا ووقعت بينهما المهاداة وأقام اسمعيل مستبدًا بالبصرة الى أن ملكها من يده صدقة بن مزيد في المائة الخامسة كما مر في اخباره وهلك برامهرمز .

وفاة كربوقا صاحب الموصل واستيلاء جكرمش عليها واستيلاء سقمان بن ارتق على حصن كيفا

كان السلطان بركيارق أرسل كربوقا الى أذربيجان لقتال مودود بن اسمعيل بن ياقوتي الخارج بها سنة أربع وتسعين فاستولى على أكثر أذربيجان من يده ثم توفي منتصف ذي القعدة سنة خمس وتسعين وكان معه أصهر صباوة بن خمار تكين وسُنُقُرجه من بعده وأوصى الترك بطاعته فسار سُنُقُرجه الى الموصل واستولى عليها وكان أهل الموصل لما بلغهم وفاة كربوقا قد استدعوا موسى التركماني من موضع نيابته عن كربوقا بحصن كيفا للولاية عليهم فبادر اليهم وخرج سُنُقُرجه للقائه فظنّ انه جاء اليه وجرت بينهما محاورات وردّ سُنُقُرجه الامر الى السلطان فأل الامر بينهما الى المطاعنة وكان مع موسى منصور بن مروان بقية أمراء ديار بكر وضرب سنقرجه فأبان رأسه وملك موسى البلد ثم زحف جكرمش صاحب جزيرة ابن عمر الى نصيبين فلحقها وخالفه موسى الى الجزيرة فبادر اليه جكرمش وهزمه واتبعه الى الموصل فحاصره بها فبعث موسى الى سقمان بن ارتق بديار بكر يستنجده على أن يعطيه حصن كيفا ^(١) فسار سقمان اليه وأفرج عنه جكرمش وخرج موسى للقاء سقمان فقتله مواليه ورجع سقمان الى كيفا وجاء جكرمش الى الموصل فحاصرها وملكها صلحا واستلحم قتلة موسى ثم استولى بعد ذلك على الخابور وأطاعه العرب والاكرد وأما سقمان بن ارتق فسار بعد مقتل موسى الى حصن كيفا واستمرّ بيده قال ابن الاثير وصاحبها الآن في سنة خمس وعشرين وستائة محمود بن الفراء ارسلان بن داود بن سقمان بن ارتق والله تعالى أعلم .

* (أخبار نبال بالعراق) * كان نبال بن أبي شكين الحسامي مع السلطان محمد باصهنا لما حاصرها بركيارق بعد المصاف الرابع سنة خمس وتسعين فلما خرج محمد من الحصار الى أذربيجان ومعه نبال استأذنه في قصد الريّ ليقم بها دعوتهم وسار هو وأخوه عليّ وعسف بأهل الريّ وصادهم وبعث السلطان بركيارق الأمير بُرسق بن بُرسق في ربيع من سنة ست

(١) وفي بعض النسخ حصن كيفا وهو تحريف .

وتسعين فقاتله وهزمه واستولى برسق على الري وأعاده على ولاية بقزوين وسلط نبال على الجبال وهلك كثير من أصحابه وخلص الى بغداد فأكرمه المستظهر وأظهر طاعة السلطان محمد وتحالف هو وأبو الغازي وسقمان بن أرتق على مناصحة السلطان محمد وساروا الى صدقة بن مزيد بالحلة فاستخلفوه على ذلك ثم إن نبال بن أبي شكين عسف بأهل بغداد وتسلط عليهم وصادر العمال فاجتمع الناس الى أبي الغازي بن أرتق وكان نبال صهره على أخته التي كانت زوجاً لتس وطلبوا منه أن يشفع لهم عنده وبعث المستظهر اليه قاضي القضاة أبا الحسن الدامغاني بالنهي عما يرتكبه فأجاب وحلف ثم نكث فأرسل المستظهر الى صدقة بن مزيد يستدعيه فوصل في شوال من السنة واتفق مع نبال على الرحيل من بغداد ورجع الى حلتة وترك ولده ديبسا يزعم نبال للخروج فصار نبال الى اوان ، وعاث في السابلة وأقطع القرى لأصحابه وبعث الى صدقة فأرسل اليه العساكر وخرج فيها أبو الغازي بن أرتق وأصحاب المستظهر فصار نبال الى أذربيجان ورجعوا عنه .

ولاية كمستكين النصيري شحنة بغداد وفتنته مع أبي الغازي وحربه

كان أبو الغازي بن أرتق شحنة بغداد ولاء عليها السلطان محمد عند مقتل كوهراس ولما ظهر الآن بركيارق على محمد وحاصره بأصهبان ونزل بركيارق همدان وأرسل الى بغداد كمستكين النصيري في ربيع سنة ست وتسعين وسمع أبو الغازي بمقدمة فاستدعى أخاه سقمان بن أرتق من حصن كيبعا^(١) يستنجد به وسار الى صدقة بن مزيد فحالفه على النصرة والمدافعة ورجع الى بغداد ووصل اليه أخوه سقمان بعد أن نهب في طريقه ووصل كمستكين الى قرقيسيا ولقيه شيعة بركيارق وخرج أبو الغازي وسقمان عن بغداد ونهب قرى دجيل واتبعتها العساكر ثم رفعت عنها وأرسل كمستكين الى صدقة صاحب الحلة فامتنع من طاعة بركيارق وسار من الحلة الى صرصر وقطع خطبة بركيارق وعبر بغداد واقتصر على الدعاء للخليفة وبعث صدقة الى أبي الغازي وسقمان يعرفهما بوصله وهما بالحرني^(٢) وجاء الى دجيل ونهب القرى واشتد فسادهم وأضر ذلك بحال بغداد في غلاء الاسعار وجاء أبو الغازي وسقمان ومعها ديبس بن

(١) وفي بعض النسخ حصن كيبعا

(٢) وفي الكامل ج ١٠ ص ٣٥٧ وكان بحربي يعرفها انه اتى لنصرتها

صدقة فخيّموا بالرملة وقاتلهم العامة ففتكوا فيهم وبعث المستظهر قاضي القضاة أبا الحسن الدامغاني وتاج الرؤساء بن الرحلات الى صدقة بن مزيد بمراجعة الطاعة فشرط خروج كمستكين عن بغداد فأخرجه المستظهر الى النهروان وعاد صدقة الى الحلة وأعيدت خطبة السلطان محمد ببغداد ثم سار كمستكين النصيري الى واسط وخطب فيها لبركيارق ونهب عسكره سوادها فسار صدقة وأبو الغازي اليه وأخرجاه من واسط وتحصن بدجلة فقصدته صدقة فانفض عنه أصحابه ورجع الى صدقة بالامان فأكرمه وعاد الى بركيارق وأعيدت خطبة السلطان محمد بواسط وبعده لصدقة وأبي الغازي وولى كل واحد فيها ولده وعاد أبو الغازي الى بغداد وعاد صدقة الى الحلة وبعث ابنه منصوراً مع أبي الغازي يطلب الرضا من المستظهر لانه كان سخطه من أجل هذه الحادثة .

* (المصاف الخامس بين بركيارق ومحمد) *

كان السلطان محمد لما سار عن كنجة وبلاد آران استخلف بها الأمير غزلي وأقام بها في طائفة من عسكره مقيماً خطبة السلطان محمد في جميع أعماله الى زنجان من آخر أذربيجان فلما انحصر محمد بأصبهان سار غزلي لانجاده ومعه منصور بن نظام الملك ومحمد ابن أخيه مؤيد الملك فانتهوا الى الري وملكوها آخر خمس وتسعين ولقوا السلطان محمداً بهمدان عندما خرج من أصبهان ومعه نبال بن أبي شكين وأخوه علي وأقاموا معه بهمدان ثم جاء الخبر بمسير بركيارق اليهم فتوجه السلطان محمد قاصداً شروان وانتهى الى أذربيجان فبعث اليه مودود بن اسمعيل بن ياقوتي الذي كان بركيارق قتل أباه اسمعيل وكانت أخت مودود هذا تحت محمد وكان له طائفة من أعمال أذربيجان فاستدعى محمداً ليظاهاه على بركيارق فسار اليه وانتهى الى سُقمان وتوفي مودود في ربيع سنة ست وتسعين واجتمع عساكره على السلطان محمد وفيهم سُقمان^(١) القبطي ومحمد بن باغي بركيارق وقاتلهم على خراسان وسار أياز من عسكر بركيارق وجاء من خلف السلطان محمد فانهزم محمد وأصحابه ولحق بارقيش من أعمال خلاط ولقيه الأمير علي صاحب ارزن الرومي ففضى الى أصبهان وصاحبها منوچهر أخو فظون الروادي ثم سار الى هرمز وأمّا محمد بن مؤيد الملك بن نظام الملك فنجاً من الواقعة الى ديار بكر ثم الى جزيرة ابن عمر ثم الى بغداد وكان أيام أبيه مقيماً ببغداد في جوار المدرسة النظامية فشكى الى أبيه وخاطب كوهراس بالقبض عليه فاستجار بدار الخلافة

(١) وفي الكامل ج ١٠ ص ٣٦٠ سكان القبطي

ولحق سنة اثنتين وتسعين بمجد الملك الياسلاني وأبوه بكنجة عند السلطان محمد فلما خطب السلطان محمد لنفسه واستوزر أباه مؤيد الملك لحق محمد هذا بأبيه ثم قتل أبوه وبقي في جملة السلطان محمد .

* (استيلاء ملك بن بهرام على مدينة غانة) *

كان ملك بن بهرام بن ارتق ابن أخي ابي الغازي بن ارتق مالكا مدينة سروج فلما كان الفرنج من يده فسار عنها الى غانة وغلب عليها بني العيش بن عيسى بن خلاط كانت لهم فقصدوا صدقة بن مزيد مستنجدين به فأنجدهم وجاء معهم فرحل ملك بن بهرام والتركمان عنها ودخلها بنو العيش وأخذ صدقة رهائنهم وعاد الى الحلة فرجع ملك إليها في ألفي رجل من التركمان وحاربها قليلا ثم عبر المخاضة وملكها واستباح أهلها ومضى الى هيت ورجع عنها .

* (الصلح بين السلطان بركيارق ومحمد) * ثم استقر الامر اخيراً بالسلطان بركيارق في الري وكان له الجبال وطبرستان وخوزستان وفارس ودياربكر والجزيرة والحرمين ولحمد اذربيجان وبلاد اران وارمينية واصبهان والعراق جميعا غير تكريت والبطائح بعضها وبعضها والبصرة لها جميعا وخراسان لسنجر من جرجان الى ما وراء النهر يخطب فيها لأخيه محمد وله من بعده والعساكر كلهم يتحكمون عليهم بسبب الفتنة بينهما وقد تطاول الفساد وعمّ الضرر واختلفت قواعد الملك فأرسل بركيارق الى أخيه محمد في الصلح مع فقيهين من أمثال الناس ورغباه في ذلك وأعاد معها رسلا آخرين وتقرر الامر بينهما أن يستقر محمد على ما بيده سلطانا ولا يعارضه بركيارق في الطول ولا يذكر اسمه في أعمال محمد وأن المكاتب تكون بين الوزيرين والعساكر بالخيار في خدمة من شاؤا منها ويكون للسلطان محمد من النهر المعروف باسترد الى باب الابواب ودياربكر والجزيرة والموصل والشام والعراق بلاد صدقة بن مزيد وبقية الممالك الاسلامية لبركيارق وتحالفا على ذلك وانتظم الامر وأرسل السلطان محمد الى أصحابه باصبهان بالخروج عنها لآخيه بركيارق واستدعاهم إليه فأبوا وجنحوا الى خدمة بركيارق وساروا إليه بحريم السلطان محمد الذي كانوا معهم فأكرمهم بركيارق ودلهم الى صاحبهم وحضر أبو الغازي بالديوان ببغداد وسار المستظهر في الخطبة لبركيارق فخطب له سنة سبع وتسعين وكذلك بواسط وكان أبو الغازي قبل ذلك في طاعة محمد فأرسل صدقة الى المستظهر يعذله في شأنه ويخبره بالمسير لأخراجه من بغداد ثم سار

صدقة ونزل عند الفجاج وخرج أبو الغازي الى عقربا وبعث لصدقة بأنه انما عدل عن طاعة محمد للصلح الوقع بينه وبين أخيه وأنها تراضيا على أن بغداد لبركيارق وانشأته به واقطاعي حلوان فلا يمكنني التحول عن طاعة بركيارق فقبل منه ورجع الى الحلة وبعث المستظهر في ذي القعدة سنة سبع وتسعين بالخلع للسلطان بركيارق والامير أياز والوزير الخطير واستخلفهم جميعاً وعاد الى بغداد والله سبحانه وليّ التوفيق .

* حرب سقمان وجكرمس (١) الافرنج *

قد تقدم لنا استيلاء الافرنج على معظم بلاد الشام وشغل الناس عنهم بالفتنة وكانت حرّان لقراجا من مماليك ملك شاه وكان غشوما فخرج منها لبعض مذهبها وولى عليها الاصبهاني من أصحابه فعصى فيها وطرده أصحاب قراجا منها ما عدا غلاما تركيا اسمه جاولى جعله مقدم العسكر وأنس به فقرّره وتركه وملك حرّان وسار الافرنج إليها وحاصروها وكان بين جكرمس صاحب جزيرة ابن عمر وسقمان صاحب كيفا حروب وسقمان يطالبه بقتل ابن أخيه فانتدبا لنصر المسلمين واجتمعا على الخابور وتحالفا وسار سقمان في سبعة آلاف من التركمان وجكرمس في ثلاثة آلاف من الترك والعرب والاكرد والتقوا بالافرنج على نهر بَلَخ فاستطرد لهم المسلمون نحو فرسخين ثم كَرّوا عليهم فغنموا فيهم وقتلوا سوادهم وأخذ القمص بردويل صاحب الرها أسره تركياني من أصحاب سقمان في نهر بَلَخ وكان سمند صاحب انطاكية من الافرنج ونيكري (٢) صاحب الساحل منهم قد كمنوا وراء الجبل ليأتيا المسلمين من ورائهم عند المعركة فلما عاينوا الهزيمة كمنوا ببقية يومهم ثم هربوا فاتبعهم المسلمون واستلحموهم وأسروا منهم كثيراً وفلت سمند ونيكري بدماء أنفسهم ولما حصل الظفر للمسلمين عصى أصحاب جكرمس باختصاص سقمان بالقمص وحملوه على أخذه لنفسه فأخذ جكرمس من خيام سقمان وشق ذلك عليه وأراد أصحابه (٣) فأبى حذرا من افتراق المسلمين ورحل وفتح في طريقه عدّة حصون وسار جكرمس الى حرّان ففتحها ثم سار الى الرها فحاصرها خمس عشرة ليلة وعاد الى الموصل وقاد من القمص

(١) وفي بعض النسخ جكرمش .

(٢) وفي بعض النسخ : وكان يميز صاحب انطاكية من الافرنج وطنكري صاحب الساحل .

(٣) كذا بياض في الأصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٣٧٥ : فلما عاد سكان شق عليه الامر وركب أصحابه للقتال فدرهم وقال لهم : لا يقوم فرح المسلمين في هذه الغزاة بغمهم باختلافنا .

بخمسة وثلاثين ألف ديناراً ومائة وستين أسيراً من المسلمين .

* (وفاة بركيارق وولاية ابنه ملك شاه) * ثم توفي السلطان بركيارق بن ملك شاه بنزدرجرد^(١) في أوائل ربيع الآخر سنة ثمان وتسعين لاثنتي عشرة سنة ونصف من ملكه جاء إليها عليلاً من اصبهان واشتد مرضه بنزدرجرد فولى عهد لابنه ملك شاه وعمره نحو من خمس سنين وخلع عليه وجعل الامير اياز كافلة وأوصى أهل الدولة بالطاعة والمساعدة وبعثهم الى بغداد فأدركهم خبر وفاته بالطريق ورجع اياز حتى دفنه باصبهان وجمع السراقات والخيام والخيثر والسمسمه لابنه ملك شاه وكان بركيارق قد لقي في ملكه من الرخاء والشدّة والسلم ما لم يلقه أحد فلما استقر^(٢) واستقامت سعادته أدركته المنية ولما توفي خطب لابنه ملك شاه ببغداد وكان أبو الغازي قد سار من بغداد إليه وهو باصبهان يستحثه الى بغداد وجاء معه فلما مات سار مع ابنه ملك شاه والامير اياز الى بغداد وركب الوزير أبو القاسم علي بن جهير فلقيم به^(٣) مالى وحضر أبو الغازي والامير طغلبرك بالديوان وطلبا الخطبة للملك شاه فخطب له ولقب باللقاب جده ملك شاه .

* (حصار السلطان محمد الموصل) *

لما انعقد الصلح بين بركيارق ومحمد واختص كل منهما اعماله وكانت اذربيجان في قسمة محمد رجع محمد الى اذربيجان ولحق به سعد الملك أبو المحاسن الذي كان نائباً بأصبهان بعد أن أبلى في المدافعة عنها ثم سلمها بعد الصلح الى نواب بركيارق واستوزره فأقام محمد الى صفر من سنة ثمان وتسعين ثم سار يريد الموصل على طريق مراغة ورحل وبلغ الخبر الى جكرمس فاستعد للحصار وأدخل أهل الضاحية الى البلد وحاصره محمد ثم بعث له يذكره ما استقر عليه بينه وبين أخيه وأن الموصل والجزيرة له وعرض عليه خط بركيارق بذلك وبايمانه عليه ووعدته أن يقرّها في عائلته فقال له جكرمس انّ السلطان كتب إلي بعد الصلح بخلاف ذلك فاشتدّ في حصاره واشتدّ أهل البلد في المدافعة ونفس الله عنهم برخص الاسعار وكان عسكر جكرمس مجتمعين قريباً من الموصل وكانوا يغزون على أطراف العسكر

(١) وفي بعض النسخ بترجرد وفي الكامل بروجرد وهو الصحيح .

(٢) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ١٠ ص ٣٨١ : ولما قوي أمره في هذا الوقت وأطاعه المخالفون وانقادوا له ادرّكته منيته .

(٣) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ١٠ ص ٣٨٢ : فلقيمهم من ديبالي وكانوا خمسة آلاف فارس ، وحضر ايلغازي والامير طغا بدك بالديوان .

ويعنون عنهم الميرة ثم وصل الخبر عاشر جمادي الاولى بوفاة السلطان بركيارق فاستشار جكرمس أهل البلد فردوا النظر إليه واستشار الجند فأشاروا بطاعة السلطان محمد فأرسل إليه بذلك واستدعى وزيره سعد الملك فدخل عليه وأشار عليه بلقاء السلطان فخرج إليه على كره من أهل البلد فتلقاء السلطان بالكرامة وأعاده سريعاً الى البلد ليطمئن الناس .

استيلاء السلطان محمد على بغداد وخلع ملك شاه ابن أخيه ومقتل أياز

قد كنا قدّمنا صلح بركيارق وأخيه محمد من أنه يستقل بركيارق بالسلطنة وينفرد محمد بالاعمال التي ذكرنا وموت بركيارق أثر ذلك وتقدير ابنه ملك شاه ببغداد فوصل الخبر بذلك إلى محمد وهو يحاصر الموصل فأطاعه جكرمس وسار محمد إلى بغداد ومعه جكرمس وسُقمان القطبي مولى قطب الدولة اسمعيل بن ياقوتي بن داود وياقوتي عمّ ملك شاه ومحمد وغيرهما من الامراء وجمع صدقة صاحب الحلة العساكر وبعث ابنه بدران وديساً إلى محمد يستحثانه وجاء السلطان محمد الى بغداد فاعتزم الامير أياز أتاك ملك شاه على دفاعه وخيم خارج بغداد وأشار عليه بذلك أصحابه وخالفهم وزيره أبو المحاسن الضبيعي وأبلغ في النصيحة له بطاعة السلطان فأقام متردداً ونزل محمد بالجانب الغربي وخطب له هنالك منفرداً ولها معا في بعض الجوامع واقتصر على سلطان العالم في بعضها ورجع اياز إلى استحلاف الامراء ثانياً فوقف بعضهم وقال لا فائدة في إعادة اليمين وارتاب أياز عندها وبعث وزيره الضبيعي أبا المحاسن لعقد الصلح مع السلطان واستحلافه فقرأ على وزيره سعد الملك أبي المحاسن سعد بن محمد فدخل معه الى السلطان وأجابه الى ما طلب وجاء معه من الغد قاضي القضاة والفتيان واستحلفاه لا ياز وللامراء فحلف إلا أن ينال الحسامي و^(١) وقال أما ملك شاه فهو ابني وأنا أبوه وجاء اياز من الغد وقارن وصول صدقة بن مزيد فانزلها واحتفى بهما وذلك آخر جمادي الاولى من سنة ثمان وتسعين ثم احتفل اياز بعدها في عمل صنيع للسلطان في بيته وهي دار كوه راس وأهدى إليه تحفاً من جملتها جبل

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٣٨٥ فلما سمع الأمير أياز بمسيره إليه خرج هو والعسكر الذين معه من الدور ونصبوا الخيام بالزاهر خارج بغداد ، وجمع الأمراء واستشارهم فيما يفعله فبذلوا له الطاعة واليمين على قتاله وحربه ومنعه عن السلطنة والاتفاق معه عن طاعة ملكشاه بن بركيارق وكان أشدهم في ذلك نبال وصباوة فإنهم بالغاً في الاطاع بالسلطان محمد والمنع له عن السلطنة .

البلخش الذي أخذه من تركة نظام الملك بن مؤيد الملك واتفق أن أياز تقدّم لمواليه بلبس السلاح ليعرضهم على السلطان وكان عندهم مصفعان فألبسوه درعاً تحت ثيابه وتناولوه بالنخس فهرب عنهم ودخل في حاشية السلطان مذعوراً فلمسوه فاذا الدرع تحت ثيابه فارتابوا ونهض السلطان إلى داره ثم دعا الامراء بعد ذلك بأيام^(١)

فاستشارهم في بعث يبعثهم إلى ديار بكر^(١) أن أرسلان بن سليمان بن قطلمش قصدها فاتفقوا على الإشارة بمسير أياز وطلب هو أن يكون معه صدقة بن مزيد فأسغفه السلطان بذلك واستدعاهما لانتفاذ ذلك وقد أرصد في بعض المخادع بطريقهم جماعة لقتل أياز فلما مرّ بهم تعاورته سيوفهم وقطع رأسه وهرب صدقة وأغوى على الوزير وهرب عسكر أياز فنهبوا داره وأرسل السلطان من دفعهم عنها وسار السلطان من بغداد إلى أصبهان وهذا أياز من موالي السلطان ملك شاه ثم سار في جملة ملك آخر فساء وأما الضبعي وزير أياز فاختفى أشهراً ثم حمل إلى الوزير سعد الملك في رمضان فلما وصل كان ذلك سبب رياسته بهمدان .

* (استيلاء سقمان بن أرتق على ماردين وموته) *

كان هذا الحصن في ديار بكر أقطعه السلطان بركيارق لمغني كان عنده وكان حوالها خلق كثير من الأكراد يغيرون عليها ويخيفون سابلتها واتفق أن كربوقا خرج من الموصل لحصار آمد وكانت لبعض التركمان فاستنجد بسقمان فسار لانجاده ولقيه كربوقا ومعه زنكي بن اقسنقر وأصحابه وأبلوا ذلك اليوم بلاء شديداً فانهزم وأسر ابن أخيه ياقوتي بن ارتق فحبسه بقلعة ماردين عند المغني فبقي مدةً محبوساً وكثر خروج الأكراد بنواحي ماردين فبعث ياقوتي إلى المغني يسأله أن يطلقه ويقيم عنده بالريف لدفاع الأكراد ففعل وصار يغير عليهم في سائر النواحي إلى خلاط وصار بعض أجناد القلعة يخرجون للاغارة فلا يهجمهم ثم حدثته نفسه بالتوثب على القلعة فقبض عليهم بعض الايام بعد مرجعه من الاغارة ودنا من القلعة وعرضهم للقتل ان لم يفتحها أهلوه ففتحوها وملكها وجمع الجموع وسار إلى نصيبين وإلى جزيرة ابن عمر وهي الجكرمس فكبسه جكرمس وأصحابه وأصابه في الحرب سهم فقتله

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٣٨٨ : استدعي السلطان الأمير صدقة وأياز وجكرمش وغيرهم من الأمراء فلما حضروا أرسل إليهم أنه بلغنا أن قلع أرسلان بن سليمان بن قطلمش قصد ديار بكر ليتملكها ويسير منها إلى الجزيرة .

وبكاه جكرمش وكانت تحت ياقوتي بنت عمه سقمان فضت الى أبيها وجمعت التركان وجاء^(١) بهم الى نصيين لطلب الثأر فبعث اليه جكرمش ما ارضاه من المال في ديتة .

فرجع وأقام بماردين بعد ياقوتي أخوه على طاعة جكرمش وخرج منها لبعض المذاهب وكتب نائبه بها الى عمه سقمان بأنه تملك ماردين على جكرمش فبادر إليها سقمان واستولى عليها وعوض عنها ابن أخيه جبل جور وأقامت ماردين في حكمه مع حصن كيفا واستضاف إليها نصيين ثم بعث إليها فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس يستنجد على الافرنج وكان استبد بها على الخلفاء العبيد بين أهل مصر وثار له الافرنج عندما ملكوا سواحل الشام فبعث بالصرخ إلى سقمان بن ارتق سنة ثمان وتسعين فأجابه وبينما هو يتجهز للمسير وافاه كتاب طغتكين صاحب دمشق المستبد بها من موالي بني تتش يستدعيه لحضور وفاته خوفاً على دمشق من الفرنج فأسرع السير معترفاً على قصد طرابلس وبعدها دمشق فأنتهى إلى القريتين وندم طغتكين على استدعائه وجعل يدبر الرأي مع أصحابه في صرفه ومات هو بالقريتين فكفاهم الله تعالى أمره وقد كان أصحابه عندما أيقن بالموت أشاروا عليه بالعود إلى كيفا فامتنع وقال هذا جهاد وان مت كان لي ثواب شهيد .

* (خروج منكبرس على السلطان محمد ونكبته) *

كان منكبرس بن بورس^(٢) بن البارسلان مقيماً بأصبهان وانقطعت عنه المواد من السلطان فخرج إلى نهاوند ودعا لنفسه وكاتب الامراء بني برسق بخوزستان يدعوههم إلى طاعته وكان أخوهم زنكين عند السلطان محمد فقبض عليه وكاتب إخوته في التدبير على منكبرس فأرسلوا إليه بالطاعة حتى جاءهم فقبضوا عليه بخوزستان وبعثوا به إلى أصبهان فاعتقل مع ابن عمه تتش وأطلق زنكين بن برسق وأعيد إلى مرتبته وكانت اقطاع بني برسق الاسير وسابور وخوزستان وغيرها ما بين الاهواز وهمدان فعوضهم عنها بالدينور وأخرجهم من تلك الناحية والله تعالى أعلم .

(١) كذا بياض بالأصل : وفي الكامل ج ١٠ ص ٣٩٢ : وجمعت التركان وطلبت بثأر ابن ابنها وحصر سلمان نصيين ، وهي لجكرمش ، فسير جكرمش إلى سكان مالا كثيراً سرّاً فأخذه ورضي وقيل : أنه قتل في الحرب ولا يعرف قاتله .

(٢) وفي الكامل بورس وفي كتب التاريخ الحديثة بربروس .

* (مقتل فخر الملك بن نظام الملك) * قد ذكرنا قبل أن فخر الملك بن نظام الملك كان وزيراً لتتش ثم حبسه ولما هزمه بركيارق ووجده في محبسه أطلقه وكان أخوه مؤيد الملك وزيراً له فقال إليه فخر الدولة بسعاية مجد الملك الباسلاني واستوزره سنة ثمان وثمانين ثم فارق وزارته ولحق بسنجر بن ملك شاه بخراسان فاستوزره فلما كان في آخر المائة الخامسة جاء باطني يتظلم إلى باب داره فأدخله يسمع شكواه فطعنه بخنجر فقتله وأمر السلطان سنجر بضربه فأقر على جماعة من الناس وقتل .

* (ولاية جاوли سكاور^(١) على الموصل وموت جكرمش) *

كان جاوли سكاور قد استولى على ما بين خوزستان وفارس فعمر قلاعها وحصنها وأساء السيرة في أهلها فلما استقل السلطان محمد بالملك خافه جاولي وأرسل السلطان إليه الأمير مودود بن أنوتكين فتحصن منه جاولي وحاصره مودود ثمانية أشهر ودس جاولي إلى السلطان بطلب غيره فأرسل إليه خاتمه مع أمير آخر فصار إليه بأصبيان وجهزه في العساكر للجهاد الأفرنج بالشام واسترجاع البلاد منهم وكان جكرمش صاحب الموصل قد قطع الحمل فأقطع السلطان الموصل وديار بكر والجزيرة لجاولي فصار إلى الموصل وجعل طريقه على بغداد على البواريج^(٢) فاسباحها أياماً ثم سار إلى أربل وكان صاحبها أبو الهيجاء بن برشك الكردي الهرباني^(٣) إلى جكرمش يستحثه فصار في عسكر الموصل والقوا قريباً من أربل فانهزم أصحاب جكرمش وكان يحمل في المحفة^(٤) فقاتل عنده غلماناً وأحمد بن

قاروت بك فخرج وانهمز إلى الموصل ومات وجيء بجكرمش فحبسه ووصل من الغد إلى الموصل فولوا أزنكين بن جكرمش وأقام بالجزيرة وقام بأمره غزغلي مولى أبيه وفرق الأموال والخيول وكتب إلى قلعج أرسلان صاحب بلاد الروم ميتا وكان قد شيد الموصل وبني أسوارها وحصنها بالخذق وبينما هو كذلك سار إليه قلعج أرسلان من بلاد الروم باستدعاء غزغلي كما تقدم وانتهى إلى نصيبين فرحل جاوли عن الموصل ثم جاء البرسقي شحنة بغداد

(١) وفي بعض النسخ سكاور .

(٢) وفي الكامل البوزيج والأصوب : البوازيج كما في معجم البلدان .

(٣) وفي الكامل : فأناه كتاب أبي الهيجاء بن موسك الكردي الهذباني صاحب أربل لذكر إستيلاء جاولي على البوازيج .

(٤) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٤٢٣ : وأرسل إليه أبو الهيجاء عسكره مع أولاده ، فاجتمعوا بقرية باكلبا من أعمال أربل .

ونزل عن الموصل وخاطبهم فلم يحبوه فرجع من يومه وسار قلعج أرسلان من نصيبين إلى الموصل وتأخر عنها جاوли إلى سنجار واجتمع ابو الغازي بن أرتق وجماعة من عسكر جكرمش وجاء جريح رضوان بن تئش من الشام على الافرنج^(١) فسار إلى الرحبة وبعث أهل الموصل وعسكر جكرمش إلى قلعج أرسلان بنصيبين واستحلفوه فحلف وجاء إلى الموصل فلما كان في منتصف ختام المائة الخامسة وخلع على ابن جكرمش وخطب لنفسه بعد الخليفة وقطع خطبة السلطان محمد وأحسن إلى العسكر وأخذ القلعة من غزلي فولى جكرمش وأقر القاضي أبا محمد عبدالله بن القاسم الشهرزوري على القضاء وجعل الرئاسة لأبي البركات محمد بن محمد بن خميس وكان في جملة فلهم أرسلان إبراهيم بن نبال التركماني صاحب آمد ومحمد بن حموا صاحب خرتبرت كان إبراهيم ابن نبال ولاية تئش على آمد فبقيت بيده وكان ابن حموا ملك خرتبرت من يد القلادروس ترجان الروم كانت له الرها وانطاكية فملك سليمان قطلمس انطاكية وبقيت له الرها وخرتبرت وأسلم القلادروس على القيام بأعماله فملك محمد بن حموا خرتبرت وأسلم القلادروس فلما ولي فخر الدولة بن جهرديار بكر ضعف القلادروس عن الرها على يد ملك شاه وأمره عليها ولما سار جاوли إلى الرحبة قاصداً صريخ رضوان بن تئش نزل عليها آخر رمضان من السنة وحاصرها وبها محمد بن السباق من بني شيان ولاء عليها دقاق فاستبد بها وخطب لقلعج أرسلان فحاصره جاولي وكتب إلى رضوان يستدعيه ويعدّه بالمسير معه لدفاع فجاء رضوان وحاصره معه الرحبة ثم دس إلى جاولي جماعة من حامية الأسوار فوثبوا بها وأدخلوا وملك البلد وأبقى على محمد الشيباني وسار معه ثم إن قلعج أرسلان لما فرغ من أمر الموصل ولّى عليها ابنه ملك شاه في عسكر ومعه أمير يدبره وسار إلى قتال جاولي ورجع عنه إبراهيم بن نبال إلى بلده آمد من الخابور فبعث إلى بلده في الحشد فعاجله جاولي بالحرب والتقوا في آخر ذي القعدة من السنة وانهزم أصحاب قلعج أرسلان على دفاعه وأعاد الخطبة للسلطان واستصنى أصحاب جكرمش ثم سار إلى الجزيرة وبها جيش بن جكرمش ومعه غزلي من موالي أبيه فحاصره مدة ثم صالحه على ستة آلاف دينار ورجع إلى الموصل وأرسل ملك شاه من قلعج أرسلان إلى السلطان محمد والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) وفي الكامل ج ١٠ ص ٤٢٦ : فأتاه كتاب الملك رضوان يستدعيه إلى الشام ويقول له : إن الفرنج قد عجز من بالشام عن منهم .

* (مقتل صدقة بن مزيد) *

ولما استوحش صدقة بن مزيد صاحب الحلة من السلطان محمد سار إليه السلطان وملك أعماله ولقيه صدقة فهزمه السلطان وقتل في المعركة كما ذكرنا ذلك في أخبار صدقة في دولة ملوك الحلة والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (قدوم ابن عمار صاحب طرابلس على السلطان محمد) * كان فخر الدولة أبو علي بن عمار صاحب طرابلس استبدّ بها على العبيدين فلما ملك الافرنج سواحل الشام ردّوا عليها الحصار فضاقت أحوالها فلما انتظم الأمر للسلطان محمد واستقام ملكه قصده فخر الملك بن عمار صريخا للمسلمين بعد أن استخلف على طرابلس ابن عمه ذا المناقب وفرق في الجند عطاءهم لسته أشهر ورتب الجامكية في مقاعدهم للقتال وسار إلى دمشق فلقبه طغتكين أتاك وخيم بظاهرها أياما ورحل إلى بغداد فأركب السلطان الأمراء لتلقيه ولم يدخر عنه برا ولا عرامة وكذلك الخليفة وأتحف السلطان بهدايا وذخائر نفيسة وطلب النجدة وضمن النفقة على العسكر فوعده بالنصر وأقام ثم لقي الأمير حسين بن أتاك طغتكين ليسير بالعاكر إلى الموصل مع الأمير مودود لقتال صدقة وجاوي ثم يسير حسين معه إلى الشام ثم رحل السلطان عن بغداد سنة إحدى وخمسمائة لقتال صدقة واستدعى ابن عمار وهو بالنهر وآن فودّعه وسار معه الأمير حسين إلى دمشق وكان ابن عمار لما سار عن طرابلس استخلف عليها ابن عمه ذا المناقب فانتقض واجتمع مع أهل طرابلس على إعادة الدولة العلوية وبعثوا إلى الأفضل ابن أمير الجيوش المستبدّ على الدولة بمصر بطاعتهم ويسألون الميرة فبعث إليهم شرف الدولة بن أبي الطيب والياً معه الزاد من الأقوات والسلام فدخل البلد وقبض على أهل ابن عمار وأصحابه واستصفي ذخائرهم وحمل الجميع إلى مصر في البحر .

* (استيلاء مودود بن أبي شكين على الموصل من يد جاوي) *

قد تقدم لنا استيلاء جاوي على الموصل من يد قلع بن أرسلان وابن جكرمش وهلاكهما على يده واستفحل ملكه بالموصل وجعل السلطان محمد ولاية ما يفتح من البلاد له فقطع الحمل عن السلطان واستنفذه لحرب صدقة فلم ينفر معه وداخل صدقة بأنه معه فلما فرغ السلطان من أمر صدقة بعث مودود بن أبي شكين في العساكر وولاه الموصل وبعث معه الأمراء ابن برسق وسقمان القبطي وأفسقر البرسقي ونصر بن مهلهل بن أبي الشوك

الكردي وأبو الهيجاء صاحب أربل مددا فوصلوا الموصل وخيموا عليها فوجدوا جاوли قد استعد للحصار وحبس الاعيان وخرج عن البلد وترك بها زوجته هي وابنه برسق في ألف وخمسمائة مقاتل فأحسن في مصادرة الناس واشتد عليهم الحصار فلما كان المحرم سنة اثنتين خرج بعض الحامية من فرجة من السور وأدخلوا منها مودود والعساكر وأقامت زوجة جاوли بالقلعة ثمانية أيام ثم استأمنت وخرجت إلى أخيها يوسف بن برسق بأموالها واستولى مودود على الموصل وأعمالها وأما جاولي فلما سار عن الموصل حمل معه القمص الذي كان أسر بنعمان وأخذه منه جكرمش وسار به إلى نصيبين وسأل من صاحبها أبو الغازي بن أرتق المظاهر على السلطان فلم يجبه إلى ذلك ورحل عن نصيبين إلى ماردين بعد أن ترك ابنه مقيماً مع الحامية فتبعه جاولي ودخل عليه وحده بالقلعة متطارحاً عليه فأجابه وسار معه إلى نصيبين إلى سنجار وحاصرها فامتنعت عليها ثم هرب أبو الغازي ليلاً إلى نصيبين وتركه فسار جاولي إلى الرجة وأطلق القمص بردويل لخمس سنين من الصرة على مال قرره عليه وأسرى من المسلمين يطلقهم وعلى النصرة مها طلبة وأرسله إلى سالم بن مالك بقلعة جعفر حتى جاء ابن خالته جوسكر صاحب تل ناشز^(١) من زعماء الفرنج وكان أسر مع القمص فافندى بعشرين ألف دينار وأقام جوسكر رهينة وسار القمص إلى انطاكية ثم أطلق جاولي جوسكر وأخذ رهناً عنه صهره وصهر القمص وبعثه في إتمام ما ضمن ولما وصل إلى انطاكية أعطاه شكري صاحبها ثلاثين ألف دينار وخيلاً وسلاحاً وغير ذلك وكانت الرها ومروج بيد القمص ولما أسر ملك جكرمش الرها من أصحابه طلبها منه إلآن فلم يجبه فخرج القمص مغاضباً له ولحق بتل ناشز وقدم عليه جوسكر عندما أطلقه جاولي ثم سار إليهما شكري يعاجلهما قبل اجتماع أمرهما فحاصرهما أياماً ورجع القمص وجوسكر على حصون شكري صاحب انطاكية واستمد أبو سيل الأرمني صاحب رعيان وكيسوم والقلاع شمالي حلب فأنجدهم بألف فارس وسار إليهم شكري وحضر البترك وشهد جماعة من القسيسين والبطارقة أن أسندخال شكري قال له عند ما ركب البحر إلى بلاده أعد الرها إلى القمص اذا خلص من الاسر فحكم البترك بإعادتها فأعادها تاسع صفر من السنة وعبر القمص الفرات ليرفع إلى جاولي المال والاسرى كما شرط له وكان جاولي لما أطلق القمص سار إلى الرجة ولقيه أبو النجم بدران وأبو كامل منصور وكانا مقيمين بعد قتل أبيهما عند سالم بن مالك فاستنجدها ووعداه أن يسير معها إلى الحلة واتفقوا على تقديم أبي الغازي تكين ثم قدم عليهم أصهبز صباوو وقد أقطعه السلطان

(١) وفي نسخة أخرى تل باشز.

الرحبة فأشار على جاولي بقصد الشام لخلوها عن العساكر والتجنب عن العراق وطريق السلطان فقبل إشارته وأحصر على الرحبة ثم وفد عليه صريح سالم بن مالك صاحب قلعة جعفر يستغيث به من بني نمير وكان حيوش البصري قد نزل على ابن سالم بالرقّة وملكها وسار إليه رضوان من حلب فصالحه بنو نمير بالمال ورجع عليهم فاستنجد سالم الآن جاولي فجاء وحاصر بني نمير بالرقّة سبعين يوماً فأعطوه مالا وخيلاً ورحل عنهم واعتذر لسالم ثم وصل جاولي إلى الأمير حسين بن أتابك قطلع تكين كان أبوه أتابك السلطان محمد بكنجة فقتلته وتقدم ولده هذا عند السلطان وبعثه مع ابن عمار ليصلح أمر جاولي وتسير العساكر كلها إلى الجهاد مع ابن عمار فأجاب جاولي لذلك وقال لحسين سر إلى الموصل ورحل العساكر عنها وأنا أعطيك ولدي رهينة وتكون الجباية لوال من قبل السلطان فجاء حسين إلى العساكر قبل أن يفتحوها فكلهم أجاب إلا الأمير مودود فإنه امتنع من الرحيل إلا بإذن من السلطان وأقام محاصراً لها حتى افتتحها وعاد ابن قطلع إلى السلطان فأحسن الاعتذار عن جاولي وسار جاولي إلى بالس فللكها من أصحاب رضوان بن تئش وقتل جماعة من أهلها فيهم القاضي محمد بن عبد العزيز بن الياس وكان فقيهاً صالحاً ثم سار رضوان بن دقاق لحرب جاولي واستمدّ شكري صاحب انطاكية فأمدّه بنفسه وبعث جاولي إلى القمّص بالرها يستمدّه وترك له مال المفاداة فباء إليه بنفسه ولحقه بمنيج وجاء الخبر إلى جاولي باستيلاء مودود وعساكر السلطان على الموصل وعلى خزائنه فاضطرب أمره وانفض عنه كثير من أصحابه منهم زنكي بن أفسنقر وبكتاش وبقي معه أصبهيد صباوو وبدران بن صدقة وابن جكرمش وانضمّ إليه كثير من المتطوعة ونزل تل ناشر وأتى عسكر رضوان وشكري وكاد أن يهزمهم لولا أن أصحابه ساروا عنه وسار في أتباعهم فأبوا عليه ففضى منزماً وقصد أصبهيد الشام وبدران بن صدقة قلعة جعفر وابن جكرمش جزيرة ابن عمر وقتل من المسلمين خلقاً ونهب صاحب انطاكية سوادهم وهرب القمّص وجوسكر إلى تل ناشر وكان المنهزمون من المسلمين يمرون بهم فيكرمونهم ويحيزونهم إلى بلادهم ولحق جاولي بالرحبة فلقى بها سرايا مودود صاحب الموصل وخفي عنهم فأرتاب في أمره ولم ير الخير له من قصد السلطان محمد ثقة بما ألقى إليه حسين بن قطلع تكين في شأنه فأوغر في السير ولحق بالسلطان قريباً من أصبهان ونزل حسين بن قطلع فدخل به إلى السلطان فأكرمه وطلب منه بكتاش ابن عمه تئش واعتقله بأصبهان .

مقتل مودود بن توتكين^(١) صاحب الموصل في حرب الافرنج وولاية البرسقي مكانه

كان السلطان محمد قد أمر مودوداً صاحب الموصل سنة خمس وخمسمائة بالمسير لقتال الإفرنج وأمدّه سقمان القبطي صاحب ديار بكر وأرمينية وإياكي وزنكي ابني برسق أمراء همدان وما جاورها والامير أحمد بك أمير مراغة وأبو الهيجاء صاحب اربل والأمير أبو الغازي صاحب ماردين وبعث إليه أياز مكانه فسار إلى سنجار وفتحوا حصوناً للإفرنج وحاصروا مدينة الرها فامتنعت عليهم وأقام الإفرنج على الفرات بعد أن طرّقوا أعمال حلب فعاثوا فيها ثم حاصر العساكر الإسلامية قلعة ناشر فامتنعت ودخلوا إلى حلب فامتنع رضوان من لقائهم فعادوا ومات سقمان القبطي في دلاس فحمّله أصحابه في تابوت إلى بلاده واعترضهم أبو الغازي بن أرتق ليأخذهم فهزمهم ثم افترقت العساكر بمرض ابن برسق ومسير أحمد ابن صاحب مراغة إلى السلطان لطيف بلاد سقمان القبطي واجتمع قتلغتكين صاحب دمشق بمودود ونزل معه على نهر القاضي وسمع الإفرنج بافتراق العساكر فساروا إلى أفامية وجاء السلطان ابن منقذ صاحب شيراز إلى مودود وقطلغتكين وحصرهما على الجهاد ونزلوا جميعاً على شيراز ونزل الفرنج قبالتهم ثم رأوا قوة المسلمين فعادوا إلى أفامية ثم سار مودود سنة ست إلى الرها وسروج فعات في نواحيها فكبسه جوسكر صاحب تل ناشر في الإفرنج ونال منه ثم اجتمع المسلمون سنة سبع للجهاد باستنجد قتلغتكين صاحب دمشق لمودود فاجتمع معه بمنزل صاحب سنجار وأياز بن أبي الغازي وعبروا الفرات إلى قتلغتكين وقصدوا القدس فسار إليهم صاحبها بقروين ومعه جوسكر صاحب تل ناشر على جيشه ونزلوا الأردن واقتتلوا قريباً من طبرية فانهمز الإفرنج وقتل كثير منهم وغرق كثير في بحيرة طبرية ونهر الأردن وغنم المسلمون سوادهم ثم لقيهم عسكر طرابلس وإنطاكية من الفرنج فاستعانوا بهم وعادوا الحرب ونزلوا في جبل طبرية فحاصروهم فيه المسلمون ثم ساروا فعاثوا في بلاد الإفرنج ما بين عكا إلى القدس ثم نزلوا دمشق وفرق مودود عساكره ووعدهم العود من قابل للجهاد ودخل دمشق ليستريح عند قتلغتكين فضلى الجمعة في الجامع فطعنه باطني فأنواه وهلك لآخر يومه واتهم قتلغتكين به وقتل الباطني من يومه ولما بلغ الخبر السلطان بقتل مودود ولي

(١) وفي بعض النسخ انوتكين . ومودود بن ابني شكين .

على الموصل وأعمالها أُقْسُنُقُ البرسقي سنة ثمان وخمسمائة وبعث معه ابنه الملك مسعود في جيش كثيف وأمره بجهاد الإفرنج وكتب إلى الأمراء بطاعته فوصل إلى الموصل واجتمعت إليه عساكر النواحي فيهم عماد الدين زنكي بن أُقْسُنُقُ ونمير صاحب سنجار وسار البرسقي إلى جزيرة ابن عمر فأطاعه نائب مودود بها ثم سار إلى ماردين فأطاعه أبو الغازي صاحبها وبعث معه ابنه أياز فسار إلى الرها فحاصرها شهرين ثم ضاقت الميرة على عسكره ثم رحل إلى شمشاط بعد أن خرب نواحي الرها وسروج وشميشاط وكانت مرعش للإفرنج هي وكسوم وريعان وكان صاحبها كراسك واتفقت وفاته وملكت زوجته بعده فراست البرسقي بالطاعة وبعث إليها رسوله فأكرمه وأرجعته إلى البرسقي بالهدايا والطاعة وقرعها كثير من الإفرنج إلى إنطاكية ثم قبض البرسقي على أياز بن أبي الغازي لآتيامه إياه في الطاعة فسار إليه أبو الغازي في العساكر وهزمه واستنقذ ابنه أياز من أسره كما ترى في أخبار دولة أبي الغازي وبنه وبعث السلطان يهدده فوصل يده بقطلغتكين صاحب دمشق والفرنج وتحالفوا على التظاهر ورجع أبو الغازي إلى ديار بكر فسار إليه قزجان بن مراجاً صاحب حمص وقد تفرق عنه أصحابه فظفر به وأسره وجاء قطلغتكين في عساكره وبعث إلى قزجان في إطلاقه فامتنع وهم بقتله فعاد عنه قطلغتكين إلى دمشق وكان قزجان قد بعث إلى السلطان بخبره وانتظر من يصل في قتله فأبطأ عليه فأطلق أبا الغازي بعد أن توثق منه بالحلف وأعطاه ابنه أياز رهينة ولما خرج سار إلى حلب وجمع التركمان وحاصر قزجان في طلب ابنه إلى أن جاءت عساكر السلطان .

مسير العساكر لقتال أبي الغازي وقطلغتكين

والجهاد بعدهما

ولما كان ما ذكرناه من عصيان أبي الغازي وقطلغتكين على السلطان محمد وقوة الفرنج على المسلمين جهز السلطان جيشاً كثيراً مقدمهم الأمير برسق صاحب همدان ومعه الأمير حيوش بك والأمير كشغرة وعساكر الموصل والجزيرة وأمرهم بقتال أبي الغازي وقطلغتكين فإذا فرغوا منها ساروا إلى الفرنج فارتجعوا البلاد من أيديهم فساروا لذلك في رمضان من سنة ثمان وعبروا الفرات عند الرقة وجاؤا إلى حلب وطلبوا من صاحبها لؤلؤ الخادم ومن مقدم العسكر المعروف بشمس الخواص تسليم حلب بكتاب السلطان في ذلك فتعلل عليهم وبعث إلى أبي الغازي وقطلغتكين بالخبر واستنجدهما فسار إليهما في ألفين وامتنت حلب على

عساكر السلطان فسار برسق بالعساكر إلى حماة وهي لقطلغتكين فلكها عنوة وسلمها إلى قزجان صاحب حمص بعهد السلطان له بذلك في كل ما يفتحونه من البلاد فتقل ذلك على الأمراء وتحاذلوا وتسلم قزجان حماة بن برسق وأعطاه ابن أبي الغازي ابنه رهينة عنده ثم سار أبو الغازي وقطلغتكين وشمس الخواص إلى إنطاكية مستنجدين بصاحبها بردويل وجاءهم بعد ذلك بغدوين صاحب القدس وصاحب طرابلس وغيرهما من الإفرنج واتفقوا على تأخير الحرب إلى إنصرام الشتاء واجتمعوا بقلعة أفامية وأقاموا شهرين وانصرم الشتاء والمسلمون مقيمون فوهنت عزائم الإفرنج وعادوا إلى بلادهم وعاد أبو الغازي إلى ماردين وقطلغتكين إلى دمشق وسار المسلمون إلى كفرطاب من بلاد الإفرنج فحاصروه وملكوه عنوة وأسروا صاحبه واستلحموا من فيه ثم ساروا إلى قلعة أفامية فامتنت عليهم فعادوا إلى المرة وفارقهم حيوش بك إلى مراغة فلكه وسارت العساكر من المرة إلى حلب وقدموا أثقالهم وخيامهم فصادفهم بردويل صاحب إنطاكية في خمسمائة فارس وألني راجل صريحاً لأهل كفرطاب وصادف مخيم العسكر ففتك فيه وفعل الأفاعيل وهم متلاحقون وجاء الأمير برسق وعابن مصارعهم وأشار عليه إخوته بالنجاء بنفسه فنجأ بنفسه وأتبعهم الإفرنج ورجعوا عنهم على فرسخ وعاثوا في المسلمين في كل ناحية وقتل أياز بن أبي الغازي قتله الموكلون به وجاء أهل حلب وغيرها من بلاد المسلمين ما لم يحتسبوه ويشوا من النصرة ورجعت العساكر منهزمة إلى بلادها وتوفي برسق زكري سنة عشر بعدها .

* (ولاية حيوش بك ومسعود بن السلطان محمد علي الموصل) *

ثم أقطع السلطان الموصل وما كان بيد أقسنقر البُرسُقي للأمير حيوش بك وبعث معه ابنه مسعود وأقام البُرسُقي بالرحبة وهي أقطاعه إلى أن توفي السلطان محمد .

* (ولاية جاوي سكاو على فارس وأخباره فيها ووفاته) *

كان جاوي سكاو لما رجع إلى السلطان محمد ورضي عنه ولاء فارساً وأعمالها وبعث معه ابنه جعفري بك طفلاً كما فصل من الرضاع وعهد إليه بأصلاحها فسار إليها ومّر بالأمير بلداجي في بلاده كليل وسرماة وقلعة اصطخر وكان من ممالك السلطان ملك شاه فاستدعاه للقاء جعفري بك وتقدّم إليه بأن يأمر بالقبض عليه فقبض عليه ونهبت أمواله وكان أهله وذخائره في قلعة

اصطخر وقد استتاب فيها وزيره الخيمي ولم يمكنه الا من بعض أهله فلما وصل جاوي إلى فارس ملكها منه وجعل فيها ذخائره ثم أرسل إلى خسرو وهو الحسين بن مبارز صاحب نسا وأمير الشوا مكارم الأكراد فاستدعاه للقاء جعفري بك من السلطان خشية مما وقع لبلداجي فأعرض عنه وأظهر الرجوع إلى السلطان ومضى رسول خبره فبشر بأنصافه عن فارس فما أدى إليه الخبر إلا وجاوي قد خالطهم رجع من طريقه وأوغر في السير إليهم ثم هرب خسرو إلى عمدالج وفتك جاوي في أصحابه وماله ثم سار جاوي إلى مدينة نسا فملكها ونهب جهرم وغيرها وسار إلى خسرو فامتنع عليه بحصنه فرجع إلى شيراز وأقام بها ثم سار إلى كازرون فملكها وحاصر أبا سعيد بن محمد في قلعة مدة عامين وراسله في الصلح فقتل الرسل مرتين ثم اشتد عليه الحصار واستأمن فأمنه وملك الحصن ثم استوحش من جاوي فهرب وقبض على ولده وجيء به أسيراً فقتل ثم سار جاوي إلى دار بكرد فهرب صاحبها إبراهيم إلى كرمان وصاحبها أرسلان شاه كرمان شاه ابن أرسلان بن قاروت بك فسار جاوي إلى حصار درابكرد فامتنعت عليه فخرج إلى البرية ثم جاءهم من طريق كرمان كآنة مدد لهم من صاحب كرمان فأدخلوه فلك البلد واستلحم أهله ثم سار إلى كرمان وبعث إلى خسرو مقدّم الشوذ كان يستدعيه للمسير معه فلم يجد بداً من موافقته وجاء وصاحبه إلى كرمان وبعث إلى ملك كرمان بإعادة الشواذ كان الذين عنده فبعث بالشفاعة فيهم فاستخلص السلطان الرسول بالإحسان وحنه على صاحبه ووعدته بأن يرد العساكر عن وجهه ويخذلهم عنه ما استطاع وإنقلب عنه إلى صاحبها في عساكر كرمان ووزيره بالسيرجان فترأى لهم أن جاوي عازم على مواصلتهم وأنه مستوحش من اجتماع العساكر بالسيرجان وأشار عليه بالرجوع فرجعوا وسار جاوي في أثر الرسول وحاصر حصناً بطرف كرمان فأرتاب ملك كرمان بخبر الرسول ثم أطلع عليه من غير جامعة فقتله ونهب أمواله وبعث العساكر لقتاله واجتمع معهم صاحب الحصن المحاصر وسلك بهم غير الجادة وسمع جاوي بخبرهم فأرسل بعض الأمراء ليأتيه بالخبر فلم يجد بالجادة أحداً فرجع وأخبره أن عسكر كرمان قد رجع فاطمأن ولم يكن الا قليل حتى بيته عساكر كرمان في شوال سنة ثمان وخمسمائة فانهمز وفتكوا فيه قتلاً وأسراً وأدركه خسرو بن أبي سعد الذي كان قتل أباه فلما رأها خاف منها فأنساه وأبلغاه إلى مأمنه بمدينة نسا ولحقته عساكره وأطلق ملك كرمان الأسري وجهزهم إليه وبينما هو يجهز العساكر لكرمان لأخذ ثاره توفي جعفري بك ابن السلطان في ذي الحجة من سنة تسع لخميس سنين من عمره فقطعه ذلك عن معاداة كرمان ثم بعث ملك كرمان

إلى السلطان ببغداد في منع جاوли عنه فقال له لا بدّ أن تسلم الحصن إلى حاصره جاولي في أحد كرمين وإنهزم عليه وهو حصن فرح ثم توفي جاولي في ربيع سنة عشر فامنوا إعادته والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود) *

ثم توفي السلطان محمد بن ملك شاه آخر ذي الحجة سنة إثنتي عشرة من ملكه بعد أن أجلس ولده محموداً على الكرسي قبل وفاته بعشر ليال وفوّض إليه أمور الملك فلما توفي نفذت وصيته لابنه محمود فأمره فيها بالعدل والإحسان وخطب له ببغداد وكان مناهز الحلم وكان السلطان محمد شجاعاً عادلاً حسن السيرة وله آثار جميلة في قتال الباطنية قد مرّ ذكرها في أخبارهم ولما ولي قام بتدبير دولته الوزير أبو منصور وأرسل إلى المستظهر في طلب الخطبة ببغداد له في منتصف المحرم من سنة إثنتي عشرة وأقر طهرون شحنة على بغداد وقد كان السلطان محمد ولاه عليها سنة اثنتين وخمسمائة ثم عاد البرسقي وقاتله وإنهزم إلى عسكر السلطان محمود على الحلة دبّيس بن صدقة وقد كان عند السلطان محمد منذ قتل أبوه صدقة وأحسن إليه وأقطعه وولي على الحلة سعيد بن حميد العمري صاحب جيش صدقة فلما توفي رغب من ابنه السلطان محمود العود إلى الحلة فأعاده واجتمع عليه العرب والأكراد .

* (وفاة المستظهر وخلافة ابنه المسترشد) *

ثم توفي المستظهر بن المقتدي سنة إثنتي عشرة وخمسمائة منتصف ربيع الآخر ونصب للخلافة ابنه المسترشد واسمه الفضل وقد تقدّم ذلك في أخبار الخلفاء .

* (خروج مسعود ابن السلطان محمد على أخيه محمود) *

تقدّم لنا أنّ السلطان ولي على الموصل ابنه مسعوداً ومعه حيوس بك وإن السلطان محمود أودبّيس بن صدقة سارا إلى الحلة فلما توفي السلطان محمد وولي ابنه محمود سار مسعود من الموصل مع اتابك حيوس بك ووزيره فخر الملك علي بن عمار وقسيم الدولة وزنكي بن اقسنقر صاحب سنجار وأبي الهيجاء صاحب أربل وكرباوي بن خراسان صاحب

المواريج^(١) وقصدوا الحلة فدافعهم ديبس فرجعوا إلى بغداد وسار البرسقي إلى قتالهم فبعث إليه حيوس بك بأنهم إنما جاؤا لطلب الصريخ على ديبس صاحب الحلة فانفقوا وتعاهدوا ونزل مسعود بدار الملك ببغداد وجاء الخبر بوصول عماد الدين منكبرس الشحنة وقد كان البرسقي هزم ابنه حسينا كما مر فسار بالعساكر إلى البرسقي فلما علم بدخول مسعود إلى بغداد عبر دجلة من النعمانية إلى ديبس بن صدقة فاستنجده وخرج مسعود وحيوس بك والبرسقي ومن معهم للقائهم وانتهوا إلى المدائن فأتتهم الأخبار بكثرة جموع منكبرس وديبس فرجعوا وأجازوا نهر صرصر ونهبوا السواد من كل ناحية وبعث المسترشد إلى مسعود والبرسقي^(٢) والحث على المودة والصلح وجاءهم الخبر بأن منكبرس وديبس بعثا مع منصور أخي ديبس وحسين بن أرز^(٣) وبني منكبرس عسكرياً لحماية بغداد فرجع البرسقي إلى بغداد دليلاً ومعه زنكي بن أفسنقر وترك ابنه عز الدين مسعوداً على العسكر بصرصر فالتقى^(٤) ومنع عسكر منكبرس من العبور وأقام يومين ثم وافاه كتاب ابنه بأن الصلح تم بين الفريقين بعده ففشل وعبر إلى الجانب الغربي ومنصور وحسين في أثره ونزلا عند جامع السلطان وخيم البرسقي عند القنطرة القبلية وخيم مسعود وحيوس بك عند المارستان وديبس ومنكبرس تحت الرقة وعز الدين مسعود بن البرسقي عند منكبرس منفرداً عن أبيه وكان سبب انعقاد الصلح أن حيوس بك أرسل إلى السلطان محمود يطلب الزيادة له وللملك مسعود فأقطعها أذربيجان ثم وصل الخبر بمسيرهما إلى بغداد فاستشعر منها العضيان وجهز العساكر إلى الموصل فكتب إليه رسوله بذلك ووقع الكتاب بيد منكبرس الشحنة فبعث إليه وضمن له إصلاح الحال له وللسلطان مسعود وكان منكبرس متروجاً بأم السلطان مسعود واسمها سرجهان فكان يؤثر مصلحته فاستقر الصلح وانفقوا على إخراج البرسقي من بغداد إلى الملك وأقام عنده واستقر منكبرس شحنة بغداد وساء أثره في الرعية وتعرض لأموال الناس وحرّمهم وبلغ الخبر إلى السلطان محمود فاستدعاه إليه فبقي يدافع ثم سار خوفاً من عامة بغداد والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) وفي بعض النسخ البوازيج .

(٢) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٥٤٠ : فأرسل المسترشد بالله إلى الملك مسعود والبرسقي ينكر هذه الحال ويأمرهم بحقن الدماء وترك الفساد .

(٣) الأمير حسين بن أريك ريب منكبرس .

(٤) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ، واستحب معه عماد الدين زنكي بن افسنقر فوصل إلى ديبالي ، ومنع عسكر منكبرس من العبور .

* (خروج الملك طغرل ^(١) على أخيه السلطان محمود) *

كان الملك طغرل بن السلطان محمد عند وفاة أبيه مقيماً بقلعة سرجهان وكان أبوه أقطعه سنة أربع سهاوة وآوة وزنجان وجعل أتابك الأمير شريك الذي حاصر قلاع الإسماعيلية كما مر في أخبارهم وكان عمره يومئذ عشرين عاماً فأرسل السلطان محمد الأمير كسعودي أتابكاً له وأعجله إليه وكان كسعودي حاقداً عليه فحمل طغرل على العصيان ومنعه من المجيء إلى أخيه وإنتهى ذلك إلى محمود فأرسل إلى أخيه بتحف وخلع وثلاثين ألف دينار ومواعيد جميلة فلم يصيخوا إليها وأجابه كسعودي ^(٢) إننا في الطاعة ومعتضون لمراسم الملك فسار إليهم السلطان مغداً ليكبسهم وجعل طريقه على قلعة شهران التي فيها ذخائر طغرل وأمواله ونما الخبر إلى طغرل وكسعودي فخرجوا من العسكر في خفية قاصدين شهران وأخلوا الطريق عنها لما سبق من اللطف فوقما على قلعة سرجهان وجاء السلطان إلى العسكر فأخذ خزائن أخيه طغرل وفيها ثلثمائة ألف دينار ثم أقام بزنجان أياماً ولحق منها بالري ولحق طغرل وكسعودي بكنجة واجتمع إليه أصحابه وتمكنت الوحشة بينه وبين أخيه .

* (فتنه السلطان محمود مع عمه سنجر) *

ولما توفي السلطان محمد بلغ الخبر إلى أخيه سنجر بخراسان أظهر من الجزع والحزن ما لم يسمع بمثله حتى جلس للغزاء على الرماد وأغلق باباً سبعة ثم سمع بولاية ابنه محمود فنكر ذلك وعزم على قصد بلاد الجبل والعراق وطلب السلطنة لنفسه مكان أخيه وكان قد سار إلى غزنة سنة ثمان وخمسين وفتحها وتنكر لوزير أبي جعفر محمد بن فخر الملك أبي المظفر ابن نظام الملك لما بلغه أنه أخذ عليه الرشوة من صاحب غزنة ليثنيه عن قصده إليه وفعل مثل ذلك بما وراء النهر وامتحن أهل غزنة بعد فتحها وأخذ منها أموالاً عظيمة وشكا إليه الأمراء اهانتهم أيامهم فلما عاد إلى بلخ قبض عليه وقتله واستصفى أمواله وكانت لا يعبر عنها كان فيها من العين وحده ألف دينار مرتين واستوزر بعده شهاب الإسلام عبد الرزاق ابن أخي نظام الملك وكان يعرف بابن الفقير فلما مات أخوه السلطان محمد عزم على طلب الأمر

(١) وبعض النسخ طغرل

(٢) ورد اسمه في الكامل كتغدي ج ١٠ ص ٣٤٧ .

لنفسه وعأوده الندم على قتل وزيره أبي جعفر لما يعلم من اضطجاعه بمثلها ثم أن السلطان محمود أبعث إليه يصطنعه بالهدايا والتحف وضمن له ما يزيد عن مائتي ألف دينار كل سنة وبعث في ذلك شرف الدين أنوشروان بن خالد وفخر الدين طغرل فقال لهما سنجر أن ابن أخي صغير وقد تحكم عليه وزيره وعلي بن عمر الحاجب فلا بد من المسير وبعث في مقدمته الأمير أنزوسار السلطان محمود وبعث في مقدمته الحاجب علي بن محمد وكان حاجب أبيه قبله فلما تقاربت المقدمتان بعث الحاجب علي بن عمر إلى الأمير أنز وهو يخرج بالعتاب ونوع من الوعيد فتأخر عن جرجان فلحقته بعض العساكر ونالوا منه ورجع الحاجب إلى السلطان محمود بالري فشكر له فعله وأقاموا بالري ثم ساروا إلى كرمان وجاءته الإمداد من العراق مع منكبرس ومنصور بن صدقة أخي ديبس وأمراء فصار إلى همدان وتوفي وزيره الربيب فاستوزر أبا طالب الشهيري ثم سار السلطان في عشرين ألفاً وثمانية عشر فيلاً ومعه ابن الأمير أبي الفضل صاحب سجستان وخوارزم شاه محمد والأمير أنز والأمير قجاج وكرشاسف بن ضرام بن كاكويه صاحب بُرد وهو صهره على أخته وكان خصيصاً بالسلطان محمد فاستدعاه بعد موته سنجر وتأخر عنه وأقطع بلده لقراجا السامر فبادر إليه وتراجعوا بقرب ساوة في جمادي ثالث عشرة فسبقت عساكر السلطان محمود إلى الماء من أجل المسافة التي بين ساوة وخراسان وكانت عساكر السلطان ثلاثين ألفاً ومعه الحاجب علي بن عمر ومنكبرس وأتابك غزلي وبنو برسق وأقسنقر البحاري وقراجا الساني ومعه سبعائة حمل من السلاح فعندما اصطفوا إلى الحرب إنهم عساكر السلطان سنجر ميمنة وميسرة وثبت هو في القلب والسلطان محمود قبالة وحمل السلطان سنجر في الفيلة فانهزمت عساكر السلطان محمود واسر أتابك غزلي وكان يكاتب السلطان سنجر بأنه يحمل إليه ابن أخيه فعاتبه على ذلك ثم قتله ونزل سنجر في خيام محمود واجتمع إليه أصحابه ونجا محمود من الواقعة وأرسل ديبس ابن صدقة للمسترشد في الخطبة لسنجر فخطب له أواخر جمادي الأولى من السنة وقطعت خطبة محمود ثم أن السلطان سنجر رأى قلة أصحابه وكثرة أصحاب محمود فراسله في الصلح وكانت تحضه على ذلك فامتنع ولحق البرسقي بسنجر وكان عند الملك مسعود بأذربيجان من يوم خروجه من بغداد فصار سنجر من همدان إلى الكرخ وأعاد مراسلة السلطان محمود في الصلح ووعده بولاية عهده فأجاب وتحالفا على ذلك وسار محمود إلى عمه سنجر في شعبان بهدية حافلة ونزل على جدته فتقبل منه سنجر وقدم له خمسة أفراس عربية وكتب لعماله بالخطبة لمحمود بعده في جميع ولايته وإلى بغداد بمثل ذلك

وأعاد عليه جميع ماأخذ من بلاده سوى الريّ وصار محمود في طاعة عمه سنجر ثم سار منكبرس عن السلطان محمود إلى بغداد وبعث ديبس بن صدقة من منعه من دخولها فعاد ووجه الصلح بين الملكين قد أسفر فقصد السلطان سنجر مستجيراً به من الإستبداد عليه ومسيره لشحنة بغداد من غير إذنه ثم أنّ الحاجب علي بن عمر ارتفعت منزلته في دولته وكثرت سعاية الأمراء فيه فأضمر السلطان نكبته فاستوحش وهرب إلى قلعة له كان يتزل بها أهله وأمواله وسار منها إلى خوزستان وكانت بنوبرسق اسوري وابن أخويه ارغوي بن ملتكى وهدد بن زنكي^(١) بعثوا عسكرياً يصدّونه عن بلادهم ولقوه قريباً من تستر فهزموه وجاؤا به أسيراً وكاتبوا السلطان محموداً بأمره فأمرهم بقتله وحمل رأسه إليه ثم أمر السلطان سنجر بإعادة مجاهد الذين تهدّدوا إلى شحنة بغداد فعاد إليها وعزل نائب ديبس بن صدقة^(٢).

* (استبداد علي بن سكرمان بالبصرة) *

كان السلطان محمد قد أقطع البصرة للامير اقسنقر البخاري واستخلف عليها سنقر الشامي فأحسن السيرة فلما توفي السلطان محمد وثب عليه غزغلي مقدّم الاتراك الاسماعيليه وكان يحج بالناس منذ سنين وسنقر ألبا وملكا البصرة من يده وجبّاه وذلك سنة احدى عشرة وهم سنقر البا بقتله فعارضه غزغلي فلم يرجع وقتله فقتله غزغلي به وسكن الناس وكان بالبلد أمير اسمه علي بن سكرمان حج بالناس وغاب عن هذه الواقعة فغصّ به غزغلي لتنام الحج على يده وخشي أن يثار منهم بسنقر البا لتقدّمه عليهم فأوغر الى عرب البرية فنهب الحاج^(٣) واتّنى علي بن سكرمان في الدفاع عنهم الى أن قارب البصرة والعرب يقاتلون فبعث اليه غزغلي بالمنع من البصرة فقصد القرى أسفل دجلة وصدق الحملة على العرب فهزمهم ثم سار اليه غزغلي وقاتله فأصابه سهم فمات وسار علي بن سكرمان الى البصرة وملكها وكاتبه اقسنقر البخاري صاحب عمان بالطاعة وأقترنوا به على أعماله وكان عند السلطان وطلبه أن يوليه البصرة فأبى وبقي ابن سكرمان مستبداً بالبصرة الى أن بعث السلطان اقسنقر البخاري الى البصرة سنة أربع

(١) كذا الأصل وفي الكامل ج ٩ ص ٥٥٧ : وكانت بير اقبورى بن برسق وابني أخويه أوغاي بن بليكي وهندو بن زنكي .

(٢) كذا في الأصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٥٦٠ أمر السلطان سنجر بإعادة مجاهد الدين بهروز إلى شحنة الطرق ، وكان بها نائب ديبس بن صدقة فعزل عنها .

(٣) توصل لفرض فاسد بلحوف ضرر لحجاج بيت الله الحرام فلم يتم له ذلك الغرض وحالت المنية دون الامنية — (من خط الشيخ العطار) .

* (استیلاء الکرج علی تفلیس) *

كان الکرج قديما يغيرون علی أذربيجان وبلاد آران قال ابن الاثير والکرج هم الخزر وقد بينا الصحيح من ذلك عند ذکر الأنساب وأن الخزر هم التركمان^(١) الا أن يكون الکرج من بعض شعوبهم فيمكن ولما استفحل ملك السلجوقية أمسکوا عن الاغارة علی البلاد المجاورة لهم فلما توفي السلطان محمد رجعوا الى الغارة فكانت سراياهم وسرايا القفجاق تغير علی البلاد ثم اجتمعوا وكانت بلد الملك طغرل وهي آران ونقجوان الى أوس مجاورة لهم فكانوا يغيرون عليها الى العراق لملك بغداد ونزل علی ديبس ابن صدقة فسار هو وأتابک کبغري ودييس بن صدقة وأبي الغازي بن أرتق وسار في ثلاثين ألفا الى الکرج والقفجاق فاضطرب المسلمون وانهزموا وقتل منهم خلق وتبعهم الکفار عشرة فراسخ وعادوا عنهم وحاصروا مدينة تفليس وأقاموا عليها سنة وملكوها عنوة سنة خمس عشرة^(٢) ووصل صريخهم سنة ست عشرة الى السلطان محمود بهمدان فسار لصريخهم وأقام بمدينة تبريز وانفذ عساكره الى الکرج فكان من أمرها ما يذكر ان شاء الله تعالى .

* (الحرب بين السلطان محمود وأخيه مسعود) *

قد تقدم لنا مسير مسعود الى العراق وموت أبيه السلطان محمد وما تقرّر بينهما من الصلح ورجوعه الى الموصل بلده وان السلطان محموداً زاده اذربيجان ولحق به قسم الدولة البرسي عندما طرده عن شحنة بغداد فأقطعه مسعود مراغة مضافة الى الرحبة وكاتب ديبس حيوس بك أتابک مسعود يحرضه علی نكبة البرسي وانه يباطن السلطان محمودا ووعدته علی ذلك بالاموال وحرصهم علی طلب الامر لمسعود ليقع الاختلاف فيحصل له علو الكامة كما حصل لأبيه في فتنة بركيارق ومحمد وشعر البرسي بسعاية ديبس فخشي علی نفسه ولحق بالسلطان محمود فقبله وأعلى محله ثم اتصل بالملك مسعود الاستاذ أبو اسمعيل الحسين بن علي

(١) الصحيح ان الکرج من الارمن ، واما الخزر فهم يعدون من الاتراك ، والآن اختلطوا مع الروم لقرب الديار والتغلب عليهم .

(٢) كانت تفليس داخلية في الفتح الاسلامي ، واستمرت بيد المسلمين الى هذا الحد ، وبعد اخذها بقيت بيد الکرج واتخذوها مقر — (من خطه ايضا) .

الاصهباني الطغرثي^(١) وكان ابنه أبو الوليد محمد بن أبي اسمعيل يكتب الطغرثي للملك مسعود فلما وصل أبوه استوزره مسعود وعزل أبا علي بن عمار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة فأغري مسعودا بالخلاف على أخيه السلطان محمود فكتب اليهم السلطان بالترغيب والترهيب فآظفروا أمرهم وخاطبوا الملك مسعودا بالسلطان وضربوا له النوب الخمس واغزوا اليه السير وهو في خوف من العسكر فسار اليهم في خمسة عشر ألفا وفي مقدمته البرسقي ولقيهم بعقبة استراباذ منتصف ربيع الأول سنة أربع عشرة فانهزم الملك مسعود وأصحابه وأسر جماعة من أعيانهم منهم الاستاذ أبو اسمعيل الطغرثي وزير الملك مسعود فأمر السلطان محمود بقتله وقال ثبت عندي فساد عقيدته وكان قتله لسنة من وزارته وكان كاتباً شاعراً يميل الى صناعة الكيمياء وله فيها تصانيف معروفة ولما انهزم الملك مسعود لحق ببعض الجبال على إثني عشر فرسخاً من المعركة فاخفى فيه مع غلمان صغار وبعث يستأمن من أخيه فأرسل اليه أقسنقر البرسقي يؤمنه ويحيى به اليه وخالفه اليه بعض الامراء فحرضه على اللحاق بالموصل واذريجان ومكاتبه ديبس ومعاودة الحرب فسار معه لذلك وجاء البرسقي الى مكانه الأول فلم يجده فاتبعه الى أن أدركه على ثلاثين فرسخاً وأعلمه حال أخيه من الرضا عنه وأعادته فرجع ولقيه العساكر بأمر السلطان محمود وأنزله عند أمه ثم أحضره وهش له وبكى وخلطه بنفسه وذلك ثمانية وعشرين يوماً من الخطبة باذريجان وأما حيوس بك الاتابك فافترق من السلطان من المعركة وسار الى الموصل وجمع الغلال من سوادها واجتمعت اليه العساكر وبلغه فعل السلطان مع أخيه فسار الى الزاب مورياً بالصيد ثم أجد السير الى السلطان بهمدان فأمنه وأحسن اليه وبلغ الخبر بالهزيمة الى ديبس وهو بالعراق فذهب البلاد وأخربها وبعث اليه السلطان فلم يصغ الى كتابه .

ولاية أقسنقر البرسقي على الموصل ثم على واسط وشحنة العراق

ولما وصل حيوس بك الى السلطان محمود بعثه الى أخيه طغرل وأتابك كبغري فسار الى كنجة وبنى أهل الموصل فوضى من غير وال وكان أقسنقر البرسقي قد أبلى في خدمة السلطان محمود ورد اليه أخاه مسعوداً يوم الهزيمة فعرف له حق نصحه وحسن أثره فأقطع الموصل وأعمالها

(١) وهو صاحب اللامية المشهورة بلامية المعجم ، وهي من فرائد الشعر مملوءة حكماً وامثالاً . يقال ان الطغرثي كان من الواصلين في علم الكيمياء — (من خط الشيخ العطار) .

وما يضاف اليها كسنجار والجزيرة فسار اليها سنة خمس عشرة وتقدم الى سائر الامراء بطاعته وأمره بمجاهدة الافرنج واسترجاع البلاد منهم فوصل الى الموصل وقام بتدبيرها واصلاح احوالها ثم أقطعه سنة ست عشرة بعدها مدينة واسط وأعمالها مضافة الى الموصل وجعله شحنة بالعراق فاستخلف عماد الدين زنكي بن اقسنقر وبعثه اليها فسار اليها في شعبان من السنة .

* (مقتل حيوس بك والوزير الشهيري) *

ثم انَّ السلطان بعد وصول حيوس بك بعثه لحرب أخيه طغرل كما قلناه وأقطعه أذربيجان فتنكر له الامراء وأغروا به السلطان فقتله على باب هرمز في رمضان سنة عشر وأصله تركي من موالي السلطان محمد وكان عادلاً حسن السيرة ولما ولي الموصل والجزيرة وكان الاكراد بتلك الاعمال انتشروا وكثرت قلاعهم وعظم فسادهم فقصدهم وفتح كثيراً من قلاعهم كبلد البكاريه^(١) وبلد الزوزن وبلد النكوسة وبلد التخشبية وهربوا منه في الجبال والشعاب والمضايق وصلحت السابلة وأمن الناس وأما الوزير الكمال أبو طالب الشهيري فانه برز مع السلطان ديس الى همدان وخرج في موكبه وضاق الطريق فتقدم الموكب بين يديه فوثب عليه باطني وطعنه بسكين فأنفذه واتبعه الغلمان فوثب عليه آخر فجذبه عن سرجه وطعنه طعنات وشردهم الناس عنه فوثب آخر فجذبه وذلك لاربع سنين من وزارته وكان سيء السيرة ظلوماً غشوماً كثير المصادر ولما قتل رفع السلطان ما كان أحدث من المكوس .

* (رجوع طغرل الى طاعة أخيه السلطان محمود) *

قد ذكرنا عصيان طغرل على أخيه السلطان محمود بالري سنة ثلاث عشرة وأنَّ السلطان محمود سار اليه وكبسه فلاحق برجهان ثم لحق منها بكنتجة وبلاد أَران ومعه أتابك كبغري^(٢) فاشتدت شوكته وقصد التغلب على بلاد اذربيجان وهلك كبغري في شوال سنة خمس عشرة ولحق باقسنقر الارمني صاحب مراغة ليقم له الاتابكية وحرّضه على قتال السلطان محمود فسار معه الى مراغة ومروا باردليل فامتنعت عليهم فساروا الى هرمز وجاءهم الخبر

(١) وفي بعض النسخ الهكارية .

(٢) وفي الكامل ج ١٠ ص ٥٦٧ : كنتغدي .

هنالك بأنَّ السلطان محمود بعث الامير حيوس بك الى أذربيجان وأقطعته البلاد وأنه وصل الى مراغة في عسكر كثيف فساروا عن هرمرز الى خُونَج وانتقض عليهم وراسلوا الامير بشيركين^(١) الذي كان أتابك طغرل أيام أبيه يستنجد به وكان كبغري الاتابك قبض عليه بعد السلطان محمد ثم أطلقه السلطان سنجر وعاد الى أبهر وزَنْجان وكانت أقطاعه فأجاب داعيهم وسار أمامهم الى أبهر ولم يتم أمرهم فراسلوا السلطان في الطاعة وعاد طغرل الى أخيه وانتظم أمرهم .

* (مقتل وزير السلطان محمود) *

كان وزير السلطان محمود شمس الملك بن نظام الملك وكان حظيا عنده فكثرت سعاية أصحابه فيه وكان ابن عمه الشهاب أبو المحاسن وزير السلطان سنجر فتوفي واستوزر سنجر بعده أبا طاهر القمي عدواً لبني نظام الملك فأغرى السلطان سنجر حتى أمر السلطان محمود بنكبته فقبض عليه ودفعه الى طغرل فحبسه بقلعة جليجلال^(٢) ثم قتله بعد ذلك وكان أخوه نظام الدين أحمد قد استوزره المسترشد وعزل به جلال الدين أبا علي بن صدقه فلما بلغه نكبة شمس الملك ومقتله عزل أخاه نظام الدين وأعاد ابن صدقة الى وزارته والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (ظفر السلطان بالكرج) *

ثم وفد سنة سبع عشرة على السلطان محمود جماعة من أهل ديباوند وشروان يستصرخونه على الكرج ويشكون ما يلقون منهم فسار لصريخهم ولما تقارب الفتتان همَّ السلطان بالرجوع وأشار به وزيره شمس وتطارح عليه أهل شروان فأقام وباتوا على وجل ثم وقع الاختلاف بين الكرج وقفجاق واقتتلوا ليلتهم ورحلوا منهزمين وعاد السلطان الى همدان والله تعالى أعلم .

(١) وفي بعض النسخ الأمير شيركير .

(٢) كذا في الاصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٦١٤ : فبعثه الى بلدة خلخال فحبسه فيها .

* (عزل البرسقي عن شحنة العراق وولاية برتقش الزكوي) *

كان الخليفة المسترشد قد وقعت بينه وبين ديبس بن صدقة حروب شديدة بنواحي المباركة من أطراف غانة وكان البرسقي معه وانهمز ديبس فيها هزيمة شنيعة كما مرّ في أخباره وقصد غزنة صريحاً فلم يصرخوه فقصده المنتفق وسار بهم الى البصرة فدخلوها واستباحوها وقتلوا سلمان نائبها فأرسل الخليفة الى البرسقي بالنكير على اهمال أمر ديبس حتى فتك في البصرة فسار البرسقي اليه وهرب ديبس فلاحق بالافرنج وجاء معهم لحصار حلب فامتنعت فلاحق بطغرل ابن السلطان محمد يستحثه لقصده العراق كما مر ذلك في أخبار ديبس وبقيت في نفس المسترشد عليه ولحق بها أمثالها فتكره له وبعث الى السلطان محمود في عزله فعزله وأمره بالعود الى الموصل لجهاد الافرنج ووصل نائب برتقش الى بغداد وأقام بها الشحنة وبعث السلطان ابناً له صغيراً ليكون معه على الموصل وسار البرسقي به ووصل الموصل وقام بولايتها .

* (بداية أمر بني اقسنقر وولاية عماد الدين زنكي على البصرة) *

كان عماد الدين زنكي في جملة البرسقي ولما أقطعه السلطان واسط بعث عليهما زنكي فأقام فيها أياماً ثم كان مسير البرسقي الى البصرة في أتباع ديبس فلما هرب ديبس عنها بعث البرسقي اليها عماد الدين زنكي فأقام بجمايتها ودفع العرب عنها ثم استدعاه البرسقي عندما سار الى الموصل فضجر من تلون الاحوال عليه واختار اللحاق باصبيان^(١) فقدم عليه باصبيان فأكرمه السلطان وأقطعه البصرة وعاد اليها سنة ثمان عشرة والله تعالى أعلم .

* (استيلاء البرسقي على حلب) *

لما سار ديبس الى الافرنج حرّضه على حلب وان ينوب فيها عنهم ووجدتهم قد ملكوا مدينة صور وطمعوا في بلاد المسلمين وساروا مع ديبس الى حلب فحاصروها حتى جهد أهلها الحصار وبها يومئذ تاس بن^(٢) ابن ارتق فاستنجد بالبرسقي صاحب الموصل وشرط عليهم ان يمكنوه من القلعة ويسلموها الى نوابه وسار الى انجاهم فاجفل عنهم

(١) وفي بعض النسخ : اصفهان .

(٢) كذا بياض بالاصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٦٢٣ : حسام الدين تمرش بن ايلغازي بن ارتق .

الافرنج ودخل الى حلب فأصلح أمورها ثم سار الى كفرطاب فملكها من الافرنج ثم سار الى قلعة إغزاز من أعمال حلب وصاحبها جوسكين فحاصرها وسارت اليه عساكر الافرنج فانهمز وعاد الى حلب فخلف فيها ابنه مسعوداً وعبر الفرات الى الموصل .

* (مسير طغرل ودييس الى العراق) *

ولما ارتحل الافرنج عن حلب فارقهم ديبس ولحق بالملك طغرل فلتقاه بالكرامة والميرة وأغراه بالعراق وضمن له ملكه فساروا لذلك سنة تسع عشرة وانتهوا الى دقوقا فكتب مجاهد الدين بهرام بن تكريت الى المسترشد يخبرهم فتجهز للقائهم وأمر برتقش الزكوي ان يتجهز معه (١) خامس صفر وانتهى الى الخالص وعدل طغرل ودييس الى طريق خراسان ثم نزلوا رباط جلولا ونزل الخليفة باللهسكرة وفي مقدمته الوزير جلال الدين بن صدقة وسار ديبس الى جسر النهر وان لحفظ المقابر وقد كان رأيه مع طغرل أن يسير طغرل الى بغداد فيملكها وتقدم ديبس في انتظاره فقعده به المرض عن لحاقه وغشيتهم أمطار أثقلتهم عن الحركات وجاء ديبس الى النهر وان طريحا من التعب والبرد والجوع واعترضوا ثلاثين حملا للخليفة جاءت من بغداد بالملبوس والمأكول فطعموا وأكلوا وناموا في دفء الشمس واذا بالمسترشد قد طلع عليهم في عساكره بلغه الخبر بأن ديبساً وطغرل خالفوه الى بغداد فاضطرب عسكره واجفلوا راجعين الى بغداد فلقوا في طريقهم ديبساً كما ذكرنا على دبال غرب النهر وان وقف الخليفة عليه فقبل ديبس الارض واستعطف حتى هم الخليفة بالعمو عنه ثم وصل الوزير ابن صدقة فثناه عن رأيه ووقف ديبس مع برتقش الزكوي يحادته ثم شغل الوزير بمد الجسر للعبور فتسلل ديبس ولحق بطغرل وعاد المسترشد الى بغداد ولحق طغرل ودييس بهمدان فعاثوا في أعمالها وصادروا أهلها وخرج اليهم السلطان محمود فانهمزوا بين يديه ولحقوا بالسلطان سنجر بخراسان شاكين من المسترشد برتقش الشحنة والله أعلم بغيه وأحكامه .

(١) كذا بياض بالأصل : وفي الكامل ج ١٠ ص ٦٢٦ وامر برتقش الزكوي شحنة العراق ان يكون مستعداً للحرب . وجمع العساكر والامراء البكجية وغيرهم فبلغت عدة العساكر اثني عشر الفا سوى الرجال واهل بغداد ، وفرق السلاح وبرز خامس صفر وبين يديه ارباب الدولة ورجالة

* (مقتل البرسقي وولاية ابنه عز الدين على الموصل) *

ثم ان المسترشد تنكر للشحنة برتقش وتهدده فلحق بالسلطان محمود في رجب سنة عشرين فأغراه بالمسترشد وخوفه غائلته وانه تعود الحروب وركب العيث ويوشك أن يمتنع عنك ويستصعب عليك فاعترم السلطان على قصد العراق وبعث اليه الخليفة يلاطفه في الرد لغلاء البلاد وخرابها ويؤخره الى حين صلاحها فصدق عنده حديث الزكوي وسار مجداً فغير المسترشد بأهله وولده وأولاد الخلفاء الى الجانب الغربي في ذي القعدة راحلاً عن بغداد والناس باكون لفراقه وبلغ ذلك الى السلطان فشق عليه وأرسل يستعطفه في العود الى داره فشرط عليه الرجوع عن العراق في القوت كما شرط أولاً فغضب السلطان وسار نحو بغداد والخليفة بالجانب الغربي ثم أرسل خادمه عفيفاً الى واسط يمنع عنها نواب السلطان فسار اليه عماد الدين زنكي من البصرة وهزمه وقتل في عسكره قتلاً وأسراً وجمع المسترشد السفن اليه وسد أبواب قصره ووكل حاجب الباب ابن الصباح بدار الخلافة ووصل السلطان الى بغداد في عشر من ذي الحجة ونزل باب الشماسية وأرسل المسترشد في العود والصلح وهو يمتنع وجرت بين العسكرين مناوشة ودخل جماعة من عسكر السلطان الى دار الخليفة ونهبوا التاج أول المحرم سنة احدى وعشرين وخمسمائة فضج العامة لذلك ونادوا بالجهاد وخرج المسترشد من سرادقه ينادي بأعلى صوته وضربت الطبول ونفخت البوقات ونصب الجسر وعبر الناس دفعة وعسكر السلطان مشغولون بالنهب في دور الخلافة والامراء وكان في دار الخلافة ألف رجل كامنون في السرداب فخرجوا عند ذلك ونالوا من عسكر السلطان وأسروا جماعة من أمرائه ونهب العامة دور وزير السلطان وأمرائه وحاشيته ومثل منهم خلق وعبر المسترشد الى الجانب الشرقي في ثلاثين ألف مقاتل من أهل بغداد والسواد ودفع السلطان وعسكره عن بغداد وحفر عليها الخنادق واعترموا على كبس السلطان فأخافهم أبو الهيجاء الكردي صاحب اربل ركب للقتال فلحق بالسلطان ووصل عماد الدين زنكي من البصرة في جيش عظيم في البر والبحر أذهل الناس برؤيته فحام المسترشد عن اللقاء وتردد الرسل بينهما فأجاب الى الصلح وعفا السلطان عن أهل بغداد وأقام بها الى عاشر ربيع الآخر وأهدى اليه المسترشد سلاحاً وخيلاً وأموالاً ورحل الى همدان وولى زنكي بن اقسنقر شحنة بغداد ثقة بكفائته واستقامت أحواله مع الخليفة وأشار به أصحابه ورأوا أنه يرقع الخرق ويصلح الامر فولاه على ذلك مضافاً الى ما بيده من البصرة وواسط وسار الى همدان وقبض في طريقه على وزيره أبي القاسم علي بن الناصر الشادي اتهمه بمالأة المسترشد لكثرة سعيه

في الصلح فقبض عليه واستدعى شرف الدولة أنوشروان بن خالد من بغداد فلدقه باصبعان في شعبان واستوزره عشرة أشهر ثم عزله ورجع الى بغداد وبقي أبو القاسم محبوبا الى أن جاء السلطان سنجر الى الري فأطلقه وأعادته الى وزارة السلطان محمود آخر اثنتين وعشرين .

وفاة عز الدين بن البرسقي وولاية عماد الدين زنكي على الموصل وأعمالها ثم استيلائه على حلب

ولما استولى عز الدين على الموصل وأعمالها واستفحل أمره طمعت همته الى الشام فاستأذن السلطان في المسير اليه وسار الى دمشق ومّر بالرحبة فحاصرها وملكها ثم مات اثر ذلك وهو عليها وافترقت عساكره وشغلوا عن دفنه ثم دفن بعد ذلك ورجعت العساكر الى الموصل وقام بالامر مملوكه جاوли ونصب أخاه الاصغر وأرسل الى السلطان يطلب تقرير الولاية له وكان الرسول في ذلك القاضي بهاء الدين أبو الحسن علي الشهرزوري وصلاح الدين محمد الباغسياني أمير حاجب البرسقي واجتمعا بنصير الدين جعفر مولى عماد الدين زنكي وكان بينه وبين صلاح الدين سر فخوفهما جعفر ابن جاولي وحملهما على طلب عماد الدين زنكي وضمن لهما عنه الولايات والاقطاع فأجابوه وجاء بهما الى الوزير شرف الدين أنوشروان بن خالد فقالا له ان الجزيرة والشام قد تمكن منهما الافرنج من حدود ماردين الى عريش مصر وكان البرسقي يكفهم وقد قتل وولده صغير ولا بد للبلد ممن يضطلع بأمرها ويدفع عنها وقد خرجنا عن النصيحة اليكم فبلغ الوزير مقالتهما الى السلطان فأحضرهما واستشارهما فذكر جماعة منهم عماد الدين زنكي وبذلا عنه مقرباً الى خزانة السلطان مالا جزيلا فولاه السلطان لما يعلم من كفايته وولى مكانه شحنة العراق مجاهد الدين بهروز صاحب تكريت وسار عماد الدين زنكي فبدأ بالبوازيح وملكها ثم سار الى الموصل وتلقاه جاولي مطيعا وعاد الى الموصل في خدمته فدخلها في رمضان وأقطع جاولي الرحبة وبعثه اليها وولى نصير الدين جعفر قلعة الموصل وسائر القلاع وجعل صلاح الدين محمد الباغسياني أمير صاحب وولى بهاء الدين الشهرزوري قضاء بلاده جميعا وزاده أملاكاً وأقطاعاً وشركه في رأيه ثم سار الى جزيرة ابن عمر وقد امتنع بها ممالك البرسقي فجذب في قتالهم وكانت دجلة تحول بينه وبين البلد فغير بعسكره الماء سبحا واستولى على المسافة التي بين دجلة والبلد وهزم من كان فيها من الحامية حتى أحجزهم بالبلد وضيق حصارهم فاستأنوا وأمنهم ثم سار الى نصيبين وهي لحسام الدين تمر تاش ابن أبي الغازي صاحب ماردين فحاصرها واستنجد حسام الدين ابن عمه

ركن الدولة داود بن سكران بن ارتق صاحب كيفا فأنجده بنفسه وأخذ في جمع العساكر وبعث تمرناش ماردين الى نصيين يعرف العساكر بالخبر وأنّ العساكر واصله الهمم عن خمسة أيام وكتبه في رقعة وعلقها في جناح طائر فاعترضه عسكر زنجي وصادوه وقرأ زنجي الرقعة وعوض الخمسة أيام بعشرين يوما وأطلق الطائر بها الى البلد فقرأوا الكتاب وسقط في أيديهم واستطالوا العشرين واستأمنوا لعماد الدين زنجي فأمنهم وملك نصيين وسار عنها الى سنجار فلما صلبها وبعث العساكر الى الخابور فلما صلبها ثم سار الى حران وخرج اليه أهل البلد بطاعتهم وكانت الرها وسروج والميرة ونواحيها للافرنج وعليها جوسكين صاحب الرها فكاتب زنجي وهادنه ليتفرغ للجهاد بعد ثم عبر الفرات الى حلب في المحرم سنة اثنتين وعشرين وقد كان عز الدين مسعود بن اقسنقر البرسقي لما سار عنها الى الموصل بعد قتل أبيه استخلف عليها قرمان من امرائه ثم عزله بآخر اسمه قطلع ابيه وكتب له الى قرمان فنهى الا أن يرى العلامة التي بينه وبين عز الدين ابن البرسقي فعاد قطلع الى مسعود ليحيى بالعلامة فوجده قد مات بالرحبة فعاد الى حلب وأطاعه رئيسها فضائل بن بديع والمقدمون بها واستزلوا قرمان من القلعة على ألف دينار وأعطوه اياها وملك قطلع القلعة منتصف احدى وعشرين ثم ساءت سيرته وظهر ظلمه وجوره وكان بالمدينة بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار ابن ارتق وكان ملكها قبل وخلع عنها فدعاه الناس الى البيعة وثاروا. بقطلع فامتنع بالقلعة لمحاصروه وجاء مهيار صاحب منبج وحسن صاحب مراغة لاصلاح أمرهم فلم يتفق وطمع الافرنج في ملكها وتقدم جوسكين بعسكره اليها فدافعوه بالمال ثم وصل صاحب انطاكية فحاصروهم الى آخر السنة وهم محاصرون القلعة فلما ملك عماد الدين زنجي الموصل والجزيرة والشام فأطاعوا وسار عبد الجبار وقطلع الى عماد الدين بالموصل وأقام أحد الاميرين بحلب حتى بعث عماد الدين زنجي صاحبه صلاح الدين محمد الباغسياني في عسكر فملك القلعة ورتب الامور وولى عليها وجاء عماد الدين بعساكره في أثره وملك في طريقه منبج ومراغة ثم دخل حلب وأقطع أعمالها الاجناد والامراء وقبض على قطلع ابيه وسلمه لابن بديع فكحله فمات واستوحش ابن بديع فهرب الى قلعة جعفر وأقام عماد الدين مكانه في رئاسة حلب أبا الحسن علي بن عبد الرزاق .

* (قدوم السلطان سنجر الى الري ثم قدوم السلطان محمود

الى بغداد) *

الموصل طغرل وديس الى السلطان سنجر بخراسان حرضه ديس على العراق والسلطان

محمود قد اتفقا على الامتناع منه ^(١) فسار سنجر وأخبر السلطان محمود باستدعائه فوافاه لاقرب وقت وأمر العساكر بتلقيه وأجلسه معه على التخت وأقام السلطان محمود عند الى آخر اثنتين وعشرين ثم رجع سنجر الى خراسان بعد أن أوصى محمود بدبيس وأعادته الى بلده ورجع محمود الى همدان ثم سار الى العراق وخرج الوزير للقائه ودخل بغداد في تاسوعاء سنة ثلاث وعشرين ثم لحقه دبّيس بمائة ألف دينار في ولاية الموصل وسمع بذلك زنكي وجاء الى السلطان وحمل المائة ألف مع هدايا جليلة فخلع عليه وأعادته وسار منتصف السنة عن بغداد الى همدان بعد أن ولى الحلة مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد .

* (وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود) * ثم توفي السلطان محمود بهمدان في شوال سنة خمس وعشرين لثلاث عشرة سنة من ملكه بعد أن كان قبض على جماعة من امرائه وأعيان دولته منهم عزيز الدولة أبو نصر أحمد بن حامد المستوفي وأبو شيكين المعروف بشيركين بن حاجب وابنه عمر فخافهم الوزير أبو القاسم الشابادي فأسرى بهم السلطان فنكهم وقتلهم ولما توفي اجتمع الوزير أبو القاسم والاتابك اقسنقر الاحمدي وبايعوا لابنه داود وخطبوا له في جميع بلاد الجبل وأذربيجان ووقعت الفتنة بهمدان وسائر بلاد الجبل ثم سكنت وهرب الوزير الى الريّ مستجيراً بالسلطان فأمر بها .

* (منازعة السلطان مسعود لداود ابن أخيه

واستيلاؤه على السلطان بهمدان) *

لما هلك السلطان محمود سار أخوه مسعود من جرجان الى تبريز فملكها فسار داود من همدان في ذي القعدة سنة خمس وعشرين وحاصره بتبريز في محرم سنة ست وعشرين ثم اصطالحوا وتأخر داود عن الامر لعمه مسعود فسار مسعود من تبريز الى همدان وكاتب عماد الدين زنكي صاحب الموصل يستنجد فوعده بالنصر وأرسل الى المسترشد في طلب الخطبة ببغداد وكان

(١) كذا بالاصل ، عبارات غير مترابطة وغير منسجمة وفي الكامل ج ١٠ ص ٦٥١ : في هذه السنة (٥٢٢) خرج السلطان سنجر من خراسان الى الري في جيش كثير وكان سبب ذلك ان دبّيس بن صدقه لما وصل اليه هو والملك طغرل علي ما ذكرناه لم يزل يطعمه في العراق ويسهل عليه قصده ، ويليقي في نفسه ان المسترشد بالله والسلطان محمودا متفقان على الامتناع منه . ولم يزل به حتى اجابه الى السير الى العراق . فلما ساروا وصل الى الري وكان السلطان محمود بهمدان فارسل اليه السلطان سنجر يستدعيه اليه لينظر هل هو على طاعته ام قد تغير على ما زعم دبّيس .

داود قد أرسل في ذلك قبله وردّ المسترشد الامر في الخطبة الى السلطان سنجر ودسّ اليه أن لا يأذن لواحد منها وان تكون الخطبة له فقط وحسن موقع ذلك عنده وسار السلطان مسعود الى بغداد وسبقه إليها أخوه سلجوق شاه مع اتابك قراجا الساقى صاحب فارس وخوزستان ونزل في دار السلطان واستخلفه الخليفة لنفسه ولما سار السلطان مسعود أوعز الى عماد الدين زنكي أن يسير الى بغداد فصار من الموصل اليها وأنهى السلطان مسعود الى عباسية الخالص وبرزت اليه عساكر المسترشد وسلجوق شاه وسار قراجا الساقى الى مدافعة زنكي فدافعه على المعشوق فهزمه وأسر كثيرا من أصحابه ومّر منهزما الى تكريت وبها يومئذ نجم الدين أيوب أبو الاملاك الايوبية فهياً له المعابر وعبر دجلة الى بلاده وسار السلطان مسعود من العباسية وقاتلت طلائعه طلائع أخيه سلجوق وبعث سلجوق يستحث قراجا بعد انهزام زنكي فعاد سريعا وتأخر السلطان مسعود بعد هزيمة زنكي وأرسل الى المسترشد بأن عمه سنجر وصل الى الريّ عازما على بغداد ويشير بمدافعته عن العراق وتكون العراق لوكيل الخليفة ثم ترأس القوم واتفقوا على ذلك وتحالفوا عليه وان يكون مسعود السلطان وليّ العهد ودخلوا الى بغداد فقتل مسعود ديار السلطان وسلجوق دار الشحنة والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق .

* (هزيمة السلطان مسعود وملك طغرل أخيه) *

لما توفي السلطان محمود سار السلطان سنجر من خراسان الى بلاد الجبل ومعه طغرل ابن أخيه محمد وانتهى الى الريّ ثم سار الى همدان فصار مسعود لقتاله ومعه قراجا الساقى وسلجوق شاه وقد كان الخليفة عزم أن لا يتجهز معهم فأبطأ فبعثوا اليه قراجا فصار الى خانقين وأقام وقطعت خطبة سنجر من العراق وخالفهم الى بغداد دبّيس وزنكي وقد سمي اقطاعه لسنجر الحلة وزنكي ولاه شحنة بغداد فرجع المسترشد الى بغداد لموافقتها وسار السلطان وأخوه سلجوق شاه للقاء سنجر ثم سمعا بكثرة عساكره فتأخرا فصار في طلبهم يوما وليلة ثم تراجعوا عند الدينور وكان مسعود يماطل باللقاء انتظارا للمسترشد فلم يجد بدا من اللقاء فالتقوا على النقيبة^(١) وحمل قراجا عليهم وتورّط في المعركة وأصيب بجراحات ثم

(١) لم يذكرها صاحب معجم البلدان ولعلها قرية صغيرة في العراق وورد في معجم البلدان : النقيب : تصغير نقب ، موضع في بلاد الشام بين تبوك ومعان على طريق حاج الشام . وورد ايضا نقب بالفتح : شعب من اجاء .

التفوا عليه وأسرره وانهم من أصحاب مسعود قزل وقد كان واطأهم على الهزيمة فانهم
السلطان مسعود عند ذلك منتصف ستة وعشرين وقتل كثير من أكابر الامراء ونزل سنجر في
خيامهم وأحضر قراجا فقتله وجيء اليه بالسلطان مسعود فأكرمه وأعادته الى كنجة وخطب
للملك طغرل ابن أخيه في السلطنة وخطب له في جميع البلاد واستوزر له أبا القاسم
الساباذي وزير السلطان محمود وعاد الى نيسابور آخر رمضان سنة ست وعشرين وخمسمائة .

* (هزيمة السلطان داود واستيلاء طغرل بن محمد على الملك) *

لما وليّ طغرل همدان ووليّ عنه السلطان سنجر الى خراسان وبلغه أن صاحب ما وراء النهر
المرخان قد انتقض عليه فسار لاصلاحه وشغل بذلك فقام الملك داود بأذربيجان وبلاد
كنجة وطلب الامر لنفسه وجمع العساكر وسار الى همدان ومعه برتقش الزكوي وatabك
اقسنقر الاحمديلي ومعه طغرل بن برسق ونزل وقد استقرّ ثم اضطرب عسكر داود وأحسوا
من برتقش الزكوي بالفشل فنهب التركان خيامه وهرب اقسنقر اتابك وانهم في رمضان سنة
ست وعشرين ثم قدم بغداد في ذي القعدة ومعه اتابك اقسنقر فأكرمه الخليفة وأنزله بدار
السلطان .

* (عود السلطان مسعود الى الملك وهزيمة طغرل) * قد تقدّم لنا هزيمة السلطان مسعود
من عمه سنجر وعوده الى كنجة وولاية طغرل السلطان ثم محاربة داود ابن أخيه له وانهم
داود ثم رجوع داود الى بغداد فلما بلغ الخبر الى مسعود جاء الى بغداد ولقيه داود قريبا منها
وترجل له عن فرسه ودخلا بغداد في صفر سنة سبع وعشرين ونزل مسعود بدار السلطان
وخطب له ولداود بعده وطلبا من السلطان عسكراً ليسير معها الى أذربيجان فبعث معها
العساكر الى أذربيجان ولقيهم اقسنقر الاحمديلي في مراغة بالاقامة والاموال وملك مسعود
بلاد أذربيجان وهرب بين يديه من كان بها من الامراء وامتنعوا بمدينة أذربيجان
فحاصروهم بها وملكها عليهم وقتل منهم جماعة وهرب الباقون ثم سار الى همدان لمحاربة أخيه
طغرل فهزمه وملك همدان في شعبان من السنة ولحق طغرل بالريّ وعاد الى أصهبان ثم قتل
اقسنقر الاحمديلي بهمدان غيلة ويقال انّ السلطان مسعوداً دسّ عليه من قتله ثم سار الى
حصار طغرل بأصهبان ففارقها طغرل الى فارس وملكها مسعود وسار في اثر طغرل الى
البيضاء فاستأمن اليه بعض أمراء طغرل فأمنه وخشي طغرل أن يستأمنوا اليه فقصده الريّ

وقتل في طريقه وزيره أبا القاسم الساباذي في شوال من السنة ومثل به غلمان الأمير شيركين الذي سعى في قتله كما مرّ ثم سار الأمير مسعود يتبعه الى أن تراجعاً ودارت بينهما حرب شديدة وانهمز طغرل وأسر من أمرائه الحاجب تنكي وأتى بقراً وأطلقها السلطان مسعود وعاد الى همدان والله تعالى أعلم .

* (عود الملك طغرل الى الجبل وهزيمة السلطان مسعود) *

ولما عاد مسعود من حرب أخيه طغرل بلغه انتفاض داود ابن أخيه محمود بأذربيجان فسار اليه وحاصره بقلعة^(١) * فحصر جمع طغرل العساكر وتغلب على بلاده وسار اليه واستعمل بعض قواده فسار مسعود للقائه ولقيه عند قزوين وفارق مسعود الامراء الذين استألفهم طغرل ولحقوا به فانهمز مسعود في رمضان سنة ثمان وعشرين وبعث الى المسترشد يستأذنه في دخول بغداد فأذن له وكان أخوه سلجوق بأصبهان مع نائبه فيها البقش السلاحي فلما سمع بانهمزه سبقه الى بغداد وأنزله المسترشد بدار السلطان وأحسن اليه بالاموال ووصل مسعود وأكثر أصحابه رجلاً فوسع عليه الخليفة بالانفاق والمراكب والظهر واللباس والآلة ودخل دار السلطان منتصف شوال وأقام طغرل بهمدان .

* (وفاة طغرل واستيلاء مسعود على الملك) * ولما وصل مسعود الى بغداد حمل اليه المسترشد ما يحتاج اليه وأمره بالمسير الى همدان لمدافعة طغرل ووعدته بالمسير معه بنفسه فتباطأ مسعود عن المسير واتصل جماعة من أمرائه بخدمة الخليفة ثم اطلع على مداخلة بعضهم لطغرل فقبض عليه ونهب ماله وارتاب الآخرون فهربوا عن السلطان مسعود وبعث المسترشد في اعادتهم اليه فدافعه ووقعت لذلك بينهما وحشة فقعد المسترشد عن نصره بنفسه وبينما هم في ذلك وصل الخبر بوفاة أخيه طغرل في المحرم سنة تسع وعشرين فسار مسعود الى همدان واستوزر شرف الدين أنوشروان بن خالد حملة من بغداد وأقبلت اليه العساكر فاستولى على همدان وبلاد الجبل اهـ .

فتنة المسترشد مع السلطان مسعود ومقتله وخلافة ابنه الراشد

قد تقدّم لنا أنّ الوحشة وقعت عندما كان ببغداد بسبب أمرائه الذين اتصلوا بخدمة

(١) كذا يبايض بالاصل وفي الكامل ج ١١ ص ١٢ : فسار اليه وحصره بقلعة (روئين دزوكان) فتحصن بها واشتغل بخصمه .

المسترشد ثم هربوا عنه الى السلطان مسعود فلما سار السلطان مسعود الى همدان بعد موت أخيه طغرل وملكها استوحش منه جماعة من أعيان أمرائه منهم برتقش وقرل وقرا سنقر الخمارتكين والي همدان وعبد الرحمن بن طغرلبك ودييس بن صدقة وساروا الى خوزستان ووافقهم صاحبها برسق بن برسق واستأمنوا الى الخليفة فارتاب من ديبس وبعث الى الآخرين بالامان مع سديد الدولة بن الانباري وارتاب ديبس منهم أن يقبضوا عليه فرجع الى السلطان مسعود وسار الآخرون الى بغداد فاستحثوا المسترشد للمسير الى قتال مسعود فأجابهم وبالع في تكرمهم وبرز آخر رجب من سنة تسع وعشرين وهرب صاحب البصرة اليها وبعث اليه بالامان فأبى فتكاسل عن المسير فاستحثوه وسيهلوا له الامر فسار في شعبان ولحق به برسق بن برسق وبلغ عدّة عسكره سبعة آلاف وتحلف بالعراق مع خادمه اقبال ثلاثة آلاف وكتبه أصحاب الاطراف بالطاعة وأبطأ في مسيره فاستعجلهم مسعود وزحفوا اليه فكان عسكره خمسة عشر ألفا وتسلسل عن المسترشد جماعة من عسكره وأرسل اليه داود ابن محمود من أذربيجان يشير بقصد الدينور والمقام بها حتى يصل في عسكره فأبى واستمرّ في مسيره وبعث زنكي من الموصل عسكرا فلم يصل حتى تواقعوا وسار السلطان محمود اليهم مجداً فوافاهم عاشر رمضان ومالت ميسرة المسترشد اليه وانهمزت ميمته وهوثابت لم يتحرك حتى أخذ أسيراً ومعه الوزير والقاضي وصاحب المحرّر وابن الانباري والخطباء والفقهاء والشهود فأنزل في خيمة ونهب مخيمه وحمل الجماعة أصحابه الى قلعة ترجمعان ورجع بقية الناس الى بغداد ورجع السلطان الى همدان وبعث الامير بك ابيه الى بغداد شحنة فوصلها سلخ رمضان ومعه عميد وقبضوا أملاك المسترشد وغلاتها وكانت بينهم وبين العامة فتنة قتل فيها خلق من العامة وسار السلطان في شوال الى مراغة وقد ترددت الرسل بينها في الصلح على مال يؤديه المسترشد وأن لا يجمع العساكر ولا يخرج من داره لحرب ما عاش وأجابه السلطان وأذن له في الركوب وحمل الغاشية وفارق المسترشد بعض الموكلين به فهجم عليه جماعة من الباطنية فألحموه جراحا وقتلوه ومثلوا به جدعا وصلبا وتركوه سلياً في نفر من أصحابه قتلوهم معه وتبع الباطنية فقتلوا وكان ذلك منتصف ذي القعدة سنة ستة وعشرين لثمان عشرة سنة من خلافته وكان كاتباً بليغاً شجاعاً قرماً ولما قتل بمراغة كتب السلطان مسعود الى بك ابيه شحنة بغداد بأن يبايع لابنه فبوع ابنه الراشد أبو جعفر منصور بعهد اليه لثمانية أيام من مقتله وحضر بيعته جماعة من أولاد الخلفاء وأبو النجيب الواعظ وأما

اقبال خادم المسترشد فلما بلغه خبر الواقعة وكان مقبياً ببغداد كما قدّ مناه عبر الى الجانب الغربيّ ولحق بتكريت ونزل على مجاهد الدين بهروز.

* (فتنة الراشد مع السلطان مسعود) *

لما بويح الراشد بعث اليه السلطان مسعود برتقش الزكوي يطالبه بما استقرّ عليه الصلح مع أبيه المسترشد وهو أربعمائة ألف دينار فأنكر الراشد أن يكون له مال وإنما مال الخلافة كان مع المسترشد فنهب ثم جمع الراشد العساكر وقدم عليهم كجراية وشرع في عمارة السور واتفق برتقش مع بك ايه على هجوم دار الخلافة وركبوا لذلك في العساكر فقاتلهم عساكر الراشد والعامّة وأخرجوهم عن البلد الى طريق خراسان وسار بك ايه^(١) الى واسط وبرتقش الى سرخس ولما علم داود بن محمود فتنة عمه مسعود مع الراشد سار من أذربيجان الى بغداد في صفر سنة ثلاثين ونزل بدار السلطان ووصل بعده عماد الدين زنكي من الموصل وصدقة بن ديبس من الحلة ومعه عش بن أبي العسكر يدبر أمره ويديره وكان أبوه ديبس قد قتل بعد مقتل المسترشد بأذربيجان وملك هو الحلة ثم وصل جاعة من أمراء مسعود منهم برتقش بازدار صاحب فروق والبقش الكبير صاحب أصبهان وابن برسق وابن الاحمديلي وخرج للقائهم كجراية والطرنطاي وكان اقبال خادم المسترشد قد قدم من تكريت فقبض عليه الراشد وعلى ناصر الدولة أبي عبد الله الحسن بن جُهير فاستوحش أهل الدولة وركب الوزير جلال الدين بن صدقة الى لقاء عماد الدين زنكي فأقام عنده مستجيراً حتى أصلح حاله مع الراشد واستجار به قاضي القضاة الزينبيّ ولم يزل معه الى الموصل وشفع في اقبال فأطلق وسار اليه ثم جدّ الراشد في عمارة السور وسار الملك داود لقتال مسعود استخلفه الراشد واستخلفه عماد الدين زنكي وقطعت خطبة مسعود من بغداد وولى داود شحنة بغداد برتقش بازدار ثم وصل الخبر بأنّ سلجوق شاه أخا الامير مسعود ملك واسط وقبض على الامير بك ايه فسار الامير زنكي لدفاعه فصالحه ورجع وعبر الى طريق خراسان للحاق داود واحتشد العساكر ثم سار السلطان مسعود لقتالهم وفارق زنكي داود ليسير الى مراغة ويخالف السلطان مسعود الى همدان وبرز الراشد من بغداد أوّل رمضان وسار الى طريق خراسان وعاد بعد ثلاث وعزم على الحصار ببغداد واستدعى داود الامراء ليكونوا معه عنده فجاءوا لذلك ووصلت رسل السلطان مسعود بطاعة الراشد والتعريض بالوعيد

(١) ورد اسمه بك ايه (الكامل) ج ١١ ص ٢٥

للامراء المجتمعين عنده فلم يقبل طاعة من أجلهم والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (حصار بغداد ومسير الراشد الى الموصل وخلعه وخلافة المقتفي) *

ثم انَّ السلطان مسعوداً أجمع المسير الى بغداد وانتهى الى الملكية فسار زين الدين علي من أصحاب زنكي حتى شارف معسكره وقتلهم ورجع ونزل السلطان على بغداد والعيارون فأفسدوا سائر المحال ببغداد وانطلقت أيديهم وأيدي العساكر في النهب ودام الحصار نيفاً وخمسين يوماً وتأخر السلطان مسعود الى النهروان عازماً على العود الى أصبهان فوصله طرنتاي صاحب واسط في سفن كثيرة فركب الى غربيّ بغداد فاضطرب الامراء وافترقوا وعادوا إلى أذربيجان وكان زنكي بالجانب الغربي فعبر اليه الراشد وسار معه الى الموصل ودخل السلطان مسعود بغداد منتصف ذي القعدة فسكن الناس وجمع القضاة والفقهاء وأوقفهم على يمين الراشد التي كتبها بخطه اني متى جمعت أو خرجت أولقيت أحداً من أصحاب السلطان بالسيف فقد خلعت نفسي من الامر فأفتوا بخلعه واتفق أرباب الدولة ممن كان ببغداد ومن أسرمع المسترشد وبقي عند السلطان مسعود كلهم على ذمّه وعدم أهليته على ما مرّ في أخباره بين أخبار الخلفاء وبويع محمد بن المستظهر ولقب المقتفي وقد قدّمت هذه الاخبار بأوسع من ذلك ثم بعث السلطان العساكر مع قراستقر لطلب داود فأدركته عند مراغة وقتلته فهزّمه وملك أذربيجان ومضى داود الى خوزستان واجتمع عساكر من التركمان وغيرهم فحاصروا تستر وكان عمه سلجوق بواسط فسار اليه بعد ان أمره أخوه مسعود بالعساكر ولقي داود على تستر فهزّمه داود ثم عزل السلطان وزيره شرف الدين أنوشروان بن خالد واستوزر كمال الدين أبا البركات بن سلامة من أهل خراسان ثم بلغه انَّ الراشد قد فارق الموصل فأذن للعساكر التي عنده ببغداد في العود الى بلادهم وصرف فيهم صدقة بن ديبس صاحب الحلة بعد ان أصهر اليه في ابنته وقدم عليه جماعة من الامراء الذين كانوا مع داود منهم البقش السلامي وبرسق بن برسق وصاحب تُسْتُرُ وسُنْقُرُ الخمارتكنين شحنة همدان فرضي عنهم وأمنهم وعاد الى همدان سنة احدى وثلاثين .

* (الفتنة بين السلطان مسعود وبين داود)

* (الراشد وهزيمة مسعود ومقتل الراشد) *

كان الامير بوزابة صاحب خوزستان والامير عبد الرحمن طغرل بك صاحب خلخال والملك

داود ابن السلطان محمود خائفين من السلطان فاجتمعوا عند الامير منكبرس صاحب فارس وبلغهم مسير الراشد من الموصل الى مراغة فراسلوه في أن يجتمعوا عليه ويردّوه الى خلافته فأجابهم وبلغ الخبر الى السلطان مسعود فسار اليهم في شعبان سنة اثنتين وثلاثين وأوقع بهم وأخذ منكبرس أسيراً فقتله وافترت عساكره للنهب فانفرد بوزابة وطغربك وصدقا الحملة عليه فانهمز وقبض على جماعة من الامراء مثل صدقة بن ديبس صاحب الحلة وكافله غبتر ابن أبي العساكر وابن أتاتك قراسنقر صاحب اذربيجان وحبسهم بوزابة حتى تحقق قتل منكبرس ولحق السلطان مسعود باذربيجان منهنما وسار داود الى همدان فملكها ووصل اليه الراشد هنالك وأشار بوزابة وكان كبير القوم بالمسير الى فارس فساروا معه واستولى عليها وملكها ولما علم سلجوق شاه وهو بواسط أن أخاه السلطان مسعود امضى الى اذربيجان سار هو الى بغداد ليملكها ودافعه البقش الثحث ونظم الخادم أمير الحاج وثار العيارون بالبلدان وأفحشوا في النهب فلما رجع الشحنة استأصل شأفتهم وأخذ المستورين بخنايتهم فجلد الناس عن بغداد الى الموصل وغيرها ولما قتل صدقة بن ديبس أقر السلطان مسعود أخاه محمداً على الحلة ومعه مهلهل بن أبي العساكر أخوعش المقتول كما مرّ في أخباره ثم لما ملك بوزابة فارس رجع مع الراشد والملك داود ومعها خوارزم شاه الى خوزستان وخبروا الجزيرة فسار اليهم مسعود لينعهم عن العراق فعاد الملك داود الى فارس وخوارزم شاه الى بلده وسار الراشد الى أصبهان فثاربه نفر من الخراسانية كانوا في خدمته فقتلوه عند القائلة في خامس عشر رمضان من السنة ودفن بظاهر أصبهان ثم قبض السلطان آخر السنة على وزيره أبي البركات بن سلامة الدركريني واستوزر بعده كمال الدين محمد بن الخازن وكان نبياً حسن السيرة فرفع المظالم وأزال المكوس وأقام وظائف السلطان وجمع له الاموال وضرب على أيدي العمال وكشف خيانتهم فقتل عليهم وأوقعوا بينه وبين الامراء فبالغوا في السعاية فيه عند السلطان وتولى كبرها قراسنقر صاحب اذربيجان فانه بعث الى السلطان يتهدده بالخروج عن طاعته فأشار على السلطان خواصه بقتله خشية الفتنة فقتله على كرهه وبعث برأسه الى قراسنقر فرضي وكان قتله سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة لسبعة أشهر من وزارته واستوزر بعده أبا العز طاهر بن محمد اليزدجردي وزير قراسنقر ولقب عز الملك وضافت الامور على السلطان وأقطع البلاد للامراء ثم قتل السلطان البقش السلاحى الشحنة بما ظهر منه من الظلم والعسف فقبض عليه وحبسه بتكرت عند مجاهد الدين بهروز ثم أمر بقتله فلما قرب

للقتل ألقى نفسه في دجلة فمات وبعث برأسه الى السلطان فقَدَّم مجاهد الدين بهروز شحنة بغداد فحسن أثره ثم عزله السلطان سنة ست وثلاثين وولى فيها قزلي أميراً آخراً من موالى السلطان محمود وكانت له يزدجر والبصرة فأُضيف له اليها والله سبحانه وتعالى أعلم بغيه .

* (فتنة السلطان سنجر مع خوارزم شاه) *

وهو أول بداية بني خوارزم قد تقدّم لنا ذكر أولية محمد خوارزم شاه وهو محمد بن أبي شَتَكِين وَاَنَّ خوارزم شاه لقب له وَاَنَّ الأمير داود حبشي لما ولاه بركيارق خراسان وقتله إكنجي ولى محمد بن أبي شَتَكِين وولى بعده ابنه أُنسز فظهرت كفاءته وقرّ به السلطان سنجر واستخلصه واستظهر به في حروبه فزاده ذلك تقدّم ما ورفعة واستفحل ملكه في خوارزم ونمي للسلطان سنجر انه يريد الاستبداد فسار اليه سنة ثلاث وثلاثين وبرز أُنسز ولقيه في التعبئة فلم يثبت وانهمز وقتل من عسكره خلق وقتل له ابن فحزن عليه حزناً شديداً وملك سنجر خوارزم وأقطعها غياث الدين سليمان شاه ابن أخيه محمد ورتب له وزيراً وأتابك وحاجباً وعاد الى مرو منتصف السنة فخالفه أُنسز الى خوارزم وهرب سليمان شاه ومن معه الى سنجر واستولى أُنسز على خوارزم وكان من أمره ما يذكر بعد ان شاء الله تعالى .

* (استيلاء قراسنقر صاحب اذربيجان على بلاد فارس) * ثم جمع أتابك قراسنقر صاحب اذربيجان وبرز طالبا ثأر أبيه الذي قتله بوزابة في المصاف كما مرّ وأرسل السلطان مسعود في قتل وزيره الكمال فقتله كما مرّ فانصرف عنه الى بلاد فارس وتحصن عنه بوزابة في القلعة البيضاء ووطى قراسنقر البلاد وملكها ولم يمكنه مقام فسلمها لسلجوق شاه ابن السلطان محمود وهو أخو السلطان مسعود وعاد الى اذربيجان فترل بوزابة من القلعة سنة أربع وثلاثين وهزم سلجوق شاه وأسرّه وحبسه ببعض قلاعه واستولى على البلاد ثم هلك قراسنقر صاحب اذربيجان وآران بمدينة أردبيل وكان من ممالك طغرل وولى مكانه جاولي الطغرلي والله سبحانه ولى التوفيق .

* (مسير جهان دانكي الى فارس) * ثم أمر السلطان سنة خمس وثلاثين الأمير اسمعيل جهان دانكي فسار اليها ومنعها مجاهد الدين بهروز من الوصول واستعدّ لذلك بخسف المعابر وتغريقها فقصّد الحلة فنعها أيضاً فقصّد واسط فقاتله طرُنْطاي وانهمز ودخل واسط ونهبها ونهب النعمانية وما اليها واتبعهم طرُنْطاي الى البطيحة ثم فارقه عسكره الى طرُنْطاي فلاحق بُسْتَر وكتب اسمعيل الى السلطان فعفا عنه .

هزيمة السلطان سنجر امام الخطا واستيلاؤهم على ما وراء النهر

وتلخيص هذا الخبر من كتاب ابن الاثيران أنسز بن محمد ملك خوارزم واستقر بها فبعث الى الخطا وهم أعظم الترك فيما وراء النهر وأغراهم بمملكة السلطان سنجر واستحشهم لها فساروا في ثلثمائة ألف فارس وسار سنجر في جميع عساكره وعبر الهم النهر ولقيهم سنة ست وثلاثين واقتتلوا أشد قتال ثم انهزم سنجر وعساكره وقتل منهم مائة ألف فيهم أربعة آلاف امرأة وأسرت زوجة السلطان سنجر ولحق سنجر بترمد وسار منها الى بلخ وقصد أنسز مدينة مرو فدخلها مراغماً للسلطان وقتل فيها وقبض على جماعة من الفقهاء والأعيان وبعث السلطان سنجر الى السلطان مسعود يأذن له في النصر وفي الري ليدعوه ان احتاج اليه فجاء عباس صاحب الري بذلك الى بغداد وسار السلطان مسعود الى الري أمثالاً لأمرعه سنجر قال ابن الاثير وقيل ان بلاد تركستان وهي كاشغر وبلاد سامسون وجي^(١) وطرأز وغيرها مما وراء النهر كانت بيد الخائية وهم مسلمون من نسل مراسيان ملك الترك المعروف خبره مع ملوك الكينية وأسلم جدّهم الأول سبق قراخان لأنه رأى في منامه ان رجلاً نزل من السماء وقال له بالتركية ما معناه أسلم تسلم في الدنيا والآخرة وأسلم في منامه ثم أسلم في يقظته ولما مات ملك مكانه موسى بن سبق ولم يزل الملك في عقبه الى ارسلان خان بن سليمان بن داود ابن بقرخان بن ابراهيم طغاج خان بن ايلك نصر بن ارسلان بن علي بن موسى بن سبق فخرج عليه قردخان وانتزع الملك منه ثم نصر سنجر وقتل قردخان وخرج بعد ذلك خوارزم ونصره السلطان سنجر منهم وأعادته الى ملكه وكان في جنده نوع من الاتراك يقال لهم القارغلية والاتراك الغزية الذين نهبوا خراسان على ما ذكره بعد وهم صنفان صنف يقال لهم حق وأميرهم طوطي بزداديك وصنف يقال لهم برق وأميرهم برغوث بن عبد الحميد . وكان لأرسلان نصر خان شريف يصحبه من أهل سمرقند وهو الاشرف بن محمد بن أبي شجاع العلوي فحمل ابن ارسلان نصر خان وطلبوا انتزاع الملك منه فاستصرخ السلطان سنجر فعبّر اليه في عساكره سنة أربع وعشرين وخمسمائة وانتهى الى سمرقند فهرب القارغلية أمامه وعاد الى سمرقند فقبض على ارسلان خان وحبسه ببلخ فمات بها وولى على

(١) جي : بضم الجيم وتشديد الباء الموحدة وفي الآخر باء آخر الحروف ، مدينة كثيرة النخل وقصب السكر ، ومنها ابو علي الجبائي المعتزلي ، قال في المشترك جي كورة وبلد من نواحي خوزستان ، قال وجي ايضا قرية من نواحي النهروان (تقويم البلدان لأبي الفداء) .

سَمَرْقَنْد مكانه قلع طُمُقَاج أبا المعالي الحسن بن علي بن عبد المؤمن ويعرف بحسن تكرر من أعيان البيت الخانية إلا أن ارسلان خان اطرحة فولاه سنجر ولم تطل أيامه فولى بعده محمود بن ارسلان خان وأبوه هو الذي ملك سَمَرْقَنْد من يده وهو ابن أخت سنجر وكان في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة قد خرج كوهرخان من الصين الى حدود كاشغر في جموع عظيمة وكوهرا اعظم بلسانهم وخان السلطان . ففتحاه أعظم ملك ولقيه صاحب كاشغر أحمد بن الحسن الخان فهزمه وقد كان خرج قبله من الصين اترك الخطا وكانوا في خدمة الخانية أصحاب تَرْمُكْسَانَ وكان ارسلان خان محمد بن سليمان يتزلهم على الدروب بينه وبين الصين مسالحي ولهم على ذلك جرايات واقطاعات وسخط عليهم بعض السنين وعاقبهم بما عظم عليهم فطلبوا فسيحا من البلاد يأمنون فيه من ارسلان خان لكثرة ما كان يغزوهم ووصفت لهم بلاد سامسون فساروا اليها ولما خرج كونان من الصين ساروا اليه واجتمعوا عليه ثم ساروا جميعا الى بلاد ما وراء النهر ولقيهم الخان محمود بن ارسلان خان محمد في حدود بلاده في رمضان سنة احدى وثلاثين فهزموه وعاد الى سمرقند وعظم الخطب على أهلها وأهل بخارى واستمد محمود السلطان سنجر وذكر ما لقي السلطان من العنت واجتمع عنده ملوك خراسان وملك سجستان من بني خلف وملك غزنة من الغوريين وملك مازندران وعبر النهر للقاء الترك في أكثر من مائة ألف وذلك لآخر خمس وثلاثين وخمسمائة وشكا اليه محمود خان من القارغلية فقصدهم واستجاروا بكوهرخان ملك الصين فكتب الى سنجر بالشفاعة فيهم فلم يشفعه وكتب اليه يدعوه للاسلام ويتهدده بكثرة العساكر فأهان الرسول وزسف للقاء سنجر والتقى الجمعان بموضع يسمى قُطْران خامس صفر سنة ست وثلاثين وأبلى القارغلية من الترك وصاحب سجستان من المسلمين ثم انهزم المسلمون فقتل كثير منهم وأسر صاحب سجستان والأمير قُماج وزوجة السلطان سنجر فأطلقهم كوهرخان ومضى السلطان سنجر منهزما وملك الترك الكفار والخطا بلاد ما وراء النهر الى أن مات كوهرخان ملكهم سنة سبع وثلاثين ووليت بعده ابنته ثم ماتت قريبا وملك أمها من بعدها وهو زوجة كوهرخان وابنه محمد وصار ما وراء النهر بيد الخطا الى أن غلبهم عليه عماد الدين محمد خوارزم شاه سنة اثنتي عشرة وستائة .

* (أخبار خوارزم شاه بخراسان وصلحه مع سنجر) *

ولما عاد السلطان منهزما سار خوارزم شاه الى سرخس في ربيع سنة ست وثلاثين فأطاعته ثم الى مرو الشاهجان فشفع فيهم الامام أحمد الباخري ونزل بظاهرها وبينما هو قد استدعى أبا الفضل الكرماني وأعيان أهلها للشورى ثار عامة البلد وقتلوا من كان عندهم من جنده وامتنعوا فطاوها ودخلها عنوة وقتل كثيرا من علمائها ثم رجع في شوال من السنة الى نيسابور وخرج اليه علماءها وزهادها يسألون معافاتهم مما نزل بأهل مرو فأعفاهم واستصفى أصحاب السلطان وقطع خطبة سنجر وبعث عسكرا الى أعمال صغد فقاتلوهم أياما ولم يطق سنجر مقاومته لمكان الخطأ وجوارهم له ثم سار السلطان سنجر سنة ثمان وثلاثين لقتال خوارزم وحاصرها أياما وكاد يملكها واقتحمها بعض أمرائه يوما فدافعه أئسز بعد حروب شديدة ثم أرسل أئسز الى سنجر بالطاعة والعود الى ما كان عليه فقبله وعاد سنة ثمان وثلاثين .

* (صلح زنكي مع السلطان مسعود) *

ثم وصل السلطان مسعود سنة ثمان وثلاثين الى بغداد^(١) عادته فتجهز لقصد الموصل وكان يحمل لزنكي جميع ما وقع من الفتن فبعث اليه زنكي يستعطفه مع أبي عبدالله بن الأنباري وحمل معه عشرين ألف دينار وضمن مائة ألف على أن يرجع عنه فرجع وانعقد الصلح بينهما وكان مما رغب السلطان في صلحه أن ابنه غازي بن زنكي هرب من عند السلطان خوفا من أبيه فردّه الى السلطان ولم يجتمع به فوقع ذلك من السلطان أحسن موقع والله تعالى أعلم .

* (انتقاض صاحب فارس وصاحب الري) * كان بوزابة صاحب فارس وخوزستان كما قدمنا فاستوحش من السلطان مسعود فانتقض سنة أربعين وخمسائة وباع لمحمد ابن محمود وهو ابن أخي السلطان مسعود وسار الى مامشون واجتمع بالامير عباس صاحب الري ووافقه على شأنه واتصل به سليمان شاه أخو السلطان مسعود وتغلبوا على كثير من بلاده فسار اليهم من بغداد في رمضان من السنة ومعه الأمير طغايك حاجبه وكان له التحكم في الدولة والميل الى القوم واستخلفه على بغداد الامير مهلهل ونصير أمير الحاج وجماعة من غلمان بهروز وسار فلما تقاربوا للحرب نزع السلطان شاه عنهم الى أخيه مسعود وسعى عبد الرحمن في الصلح

(١) كذا يياض بالاصل وفي الكامل ج ١١ ص ٩٣ : وصل السلطان مسعود الى بغداد على عادته .

فانعقد بينهما على ما أحبه القوم وأضيف الى عبد الرحمن ولاية أذربيجان وآران الى خلخال عوضاً من جاوولي الطغرلي واستوزر أبا الفتح بن دراست وزير بوزابة وقد كان السلطان سنة تسع وثلاثين قبض على وزيره اليزدجردي واستوزر مكانه المرزبان بن عبدالله بن نصر الاصبهاني وسلم اليه اليزدجردي واستصفي أمواله فلما كان هذه السنة وفعل بوزابة في صلح القوم ما فعل اعتصد بهم على مقامه عند السلطان وتحكم عليه وعزل وزيره واستوزر له أبا الفتح هذا .

* (مقتل طغابرك^(١) وعباس) *

قد قدمنا ان طغابرك وعبد الرحمن تحكما على السلطان واستبدّا عليه ثم آل أمره الى أن منعاً بك ارسلان المعروف بابن خاص بك بن البتكري^(٢) من مباشرة السلطان وكان تربيته وخصاً به ونجى خلوته وتجهز طغابرك لبعض الوجوه فحمله في جملته فأسر السلطان الى بك ارسلان الفتك بطغابرك وداخل رجال العسكر في ذلك فأجاب منهم زكي جاندار ان يباشر قتله بيده ووافق بك ارسلان جماعة من الامراء واعترضوا له في موكله فصره الجاندار فصرعه عن فرسه وأجهز عليه ابن خاص بك ووقف الامراء الذين واطؤه على ذلك دون الجاندار فنعوه وكان ذلك بظاهر صهوة^(٣) وبلغ الخبر الى السلطان مسعود ببغداد ومعه عباس صاحب الري في جيش كثيف فامتعض لذلك ونكره فداراه السلطان حتى سكن وداخل بعض الامراء في قتله فأجابوه وتولى كبر ذلك البقش حروسوس^(٤) للحف وأحضر السلطان عباساً وأدخله في داره وهذان الاميران عنده وقد أكمنا له في بعض المخادع رجالا وعدلوا به الى مكانهم فقتلوه ونهبت خيامه وأصاحت البلاد لذلك ثم سكنت وكان عباس من موالي السلطان محمود وكان عادلاً حسن السيرة وله مقامات حسان في جهاد الباطنية وقتل في ذي القعدة سنة احدى وأربعين ثم حبس السلطان أخاه سليمان شاه في قلعة تكرت وسار عن بغداد الى اصبهان والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق .

(١) وقد ورد اسمه ايضاً طغابرك

(٢) ورد في بعض النسخ المعروف بابن خاص بك بن بتكري .

(٣) كذا بالاصل وفي معجم البلدان : صهوة كل شيء اعلاه والصهوة بناحي المدينة . وفي الكامل : قتله بظاهر حجرة . وحجرة اسم مدينة باران كما في معجم البلدان واستنادا الى رواية معجم البلدان تكون رواية ابن الاثير أصح .

(٤) وفي الكامل : البقش كون خروتنر ، وهو امير الحف .

* (مقتل بوزابة صاحب فارس) *

قد تقدّم لنا أنّ طغابرك كان مستظهما على السلطان بعبّاس صاحب الريّ وبوزابة صاحب فارس وخوزستان فلما قتل طغابرك وامتعص له عبّاس قتل اثره وانتهى الخبر الى بوزابة فجمع العساكر وسار الى اصبهان سنة اثنتين وأربعين فحاصرها وبعث عسكرياً آخر لحصار همدان وآخر الى قلعة الماهكي من بلاد اللحف وكان بلاد اللحف من قلاع البقش كوزحر^(١) فسار اليها ودفعهم عنها ثم سار بوزابة عن اصبهان لطلب السلطان مسعود فامتنع وتراجعاً بمرج مزاتكن واشتدّ القتال بينهما وكبا الفرس ببوزابة وسبق إلى السلطان فقتل بين يديه وقيل أصابه سهم فسقط ميتاً وانهمزت عساكره وكان هذا الحرب من أعظم الحروب بين السلجوقية .

* (انتفاض الامراء على السلطان) * ولما قتل طغابرك وعبّاس وبوزابة اختص بالسلطان ابن خاص بك لمليه اليه واطرح بقية الامراء فاستوحشوا وارتابوا بأنفسهم أن يقع بهم ما وقع بالآخرين ففارقوه وساروا نحو العراق أبوركن المسعودي صاحب كنجة وآران والبقش كوزحر صاحب الجبل والحاجب خريطاي المحمودي شحنة واسط وابن طغابرك والركن وقرقوب ومعهم ابن أخي السلطان وهو محمد بن محمود وانتهوا الى حرّان فاضطرب الناس ببغداد وغلت الاسعار وبعث اليهم المقتني بالرجوع فلم يرجعوا ووصلوا الى بغداد في ربيع الآخر من سنة ثلاث وأربعين ونزلوا بالجانب الشرقي وهرب أجناد مسعود شحنة بغداد الى تكريت ووصل اليهم علي بن ديبس صاحب الجبله ونزل بالجانب الغربي وجمع الخليفة العساكر ثم قاتل العامة عساكر الامراء فاستطردوا لهم ثم كروا عليهم فملؤا الارض بالقتلى ثم جاست خيولهم خلال الديار فنهوا وسبوا ثم جاؤا مقابل التاج يعتذرون وردّوا الرسل الى الخليفة سائر يومهم ثم ارتحلوا من الغد الى النهر وان فعاثوا فيها وعاد مسعود من بلاد تكريت الى بغداد ثم افترق الامراء وفارقوا العراق ثم عاد البقش كوزحر والطرنتاي وابن ديبس سنة أربع وأربعين ومعهم ملك شاه بن محمود وهو ابن أخي السلطان وطلبوا من الخليفة الخطبة لملك شاه فأبى وجمع العساكر وشغل بما كان فيه من أمر عم السلطان سنجر وذلك أن السلطان سنجر بعث اليه يلومه في تقديم ابن خاص بك ويأمره بابعاده وتهدّده فغالطه ولم يفعل فسار الى الريّ فبادر اليه مسعود وترضاه فرضي عنه ولما علم البقش كوزحر مراسلة

(١) وفي بعض النسخ كوزحر .

المقتني لمسعود نهب النهروان وقبض على عليّ بن ديبس وسار السلطان بعد لقاء عمه الى بغداد فوصلها منتصف شوال سنة أربع وأربعين فهرب الطرّطي الى النعمانية ورحل البقش الى النهروان بعد أن أطلق علي بن ديبس فجاء الى السلطان واعتذر فرضي عنه .

* (وفاة السلطان مسعود وولاية ملك شاه بن أخيه محمود ثم أخيه

محمد من بعده) *

ثم توفي السلطان مسعود بهمدان في رجب منتصف سبع وأربعين لأثنتين وعشرين سنة من طلبه الملك وبه كمل استفحال ملك السلجوقية وركب الخمول دولتهم بعده وكان عهد الى ملك شاه بن أخيه محمود فلما توفي بايع له الامير ابن خاص بك وأطاعه العسكر وانتهى خبر موته الى بغداد فهرب الشحنة بلاك الى تكريت وأمر المقتني بالحوطة على داره ودور اصحاب السلطان مسعود ثم بعث السلطان ملك شاه عسكر الى الجبلية مع سلاذكرد من أمرائه فلكها وسار اليه بلاك الشحنة فخادعه حتى استمكن منه فقبض عليه وغرقه واستبدّ بلاك الشحنة بالجبلية وجهاز المقتني العساكر مع الوزير عون الدين بن عبيرة الى الجبلية وبعث عساكرًا الى الكوفة وواسط فلكها ووصلت عساكر السلطان ملك شاه فلكوها وسار اليها الخليفة بنفسه فارتجعها منهم وسار منها الى الجبلية ثم الى بغداد آخر ذي القعدة من السنة ثم ان ابن خاص بك طمع في الانفراد بالامر فاستدعى محمد بن محمود من خوزستان فأطمعه في الملك ليقبض عليه وعلى أخيه ملك شاه فقبض على ملك شاه أولاً لسته أشهر من ولايته ووصل محمد في صفر من سنة ثمان وأربعين فأجلسه على التخت وخطب له بالسلطنة وحمل اليه الهدايا وقد سعى للسلطان محمد بما انطوى عليه ابن خاص بك فلما باكره صبيحة وصوله فتك به وقتله وقتل معه زنكي الجاندار قاتل طغابرك وأخذ من أموال ابن خاص بك كثيرا وكان صبيبا كما بينا اتصل بالسلطان مسعود وتنصح له فقدمه على سائر العساكر والامراء وكان أنوغري التركي المعروف بشملة في جملة ابن خاص بك ومن أصحابه ونهاه عن الدخول الى السلطان محمد فلما قتل ابن خاص بك نجا شملة الى خوزستان وكان له بها بعد ذلك ملك والله أعلم بغيبه وأحكم .

* (تغلب الغز على خراسان وهزيمة السلطان سنجر وأسرته) *

كان هؤلاء الغز فيما وراء النهر وهم شعب من شعوب الترك ومنهم كان السلجوقية أصحاب

هذه الدولة وبقوا هنالك بعد عجزهم وكانوا مسلمين فلما استولى الخطا على ملك الصين وعلى ما وراء النهر حجر هؤلاء الغز الى خراسان وأقامو بنواحي بَلْخَ وكان لهم من الامراء محمود ودينار وبختيار وطوطي وارسلان ومغز وكان صاحب بَلْخَ الامير قجاج فتقدم اليهم أن يبعدوا عن بَلْخَ فصانعوه فتركهم وكانوا يعطون الزكاة ويؤمنون السابلة ثم عاد اليهم في الانتقال فامتنعوا وجمعوا فخرج اليهم في العساكر وبذلوا له مالا فلم يقبل وقتلوه فهزموه وقتلوا العسكر والرعايا والفقهاء وسبوا العيال ونجا قجاج الى مرو وبها السلطان سِنَجَرِ فبعث اليهم يتهددهم ويأمرهم بمفارقة بلاده فلاطفوه وبذلوا له فلم يقبل وسار اليهم في مائة ألف فهزموه وأثنوا في عسكره وقتل علاء الدين قجاج وأسروا السلطان سِنَجَرِ ومعه جماعة من الامراء فقتلوا الامراء واستبقوا السلطان سِنَجَرِ وبايعوه ودخلوا معه الى مرو فطلب منه بخيار اقطاعها فقال هي كرسي خراسان فسخروا منه ثم دخل سِنَجَرِ خانقاه فقصط على الناس وأطرحهم وعسفهم وعلق في الاسواق ثلاث غرائر وطالبهم بملئها ذهبا فقتله العامة ودخل الغزنيسابور ودمروها تدميرا وقتلوا الكبار والصغار وأحرقوها وقتلوا القضاة والعلماء في كل بلد ولم يسلم من خراسان غير هُرة وسبستان لحصانتها وقال ابن الاثير عن بعض مؤرخي العجم ان هؤلاء الغز انتقلوا من نواحي التغرغر من أقاصي الترك الى ما وراء النهر أيام المقتني وأسلموا واستظهر بهم المقنع الكندي على محارقه وشعوذته حتى تم أمره فلما سارت اليه العساكر خذلوه وأسلموه وفعلوا مثل ذلك مع الملوك الخانية ثم طردهم الاتراك القارغلية عن اقطاعهم فاستدعاهم الامير زنكي بن خليفة الشيباني المستولي على حدود طخارستان وأتزلهم بلاده واستظهر بهم على قجاج صاحب بَلْخَ وسار بهم لمحاربه فخذلوه لأن قجاج كان استألمهم فانهزم زنكي وأسروا وابنه وقتلها قجاج وأقطع الغز في بلاده فلما سار الحسين بن الحسين الغوري الى بَلْخَ برز اليه قجاج ومعه هؤلاء الغز فخذلوه ونزعوا عنه الى الغوري حتى ملك بَلْخَ فسار السلطان سِنَجَرِ الى بَلْخَ وهزم الغوري واستردّها وبقي الغز بنواحي طخارستان وفي نفس قجاج حقد عليهم فأمرهم بالانتقال عن بلاده فتألفوا وتجمّعوا في طوائف من الترك وقدموا عليهم أرسلان بوقا التركي ولقيهم قجاج فهزموه وأسروه وابنه أبا بكر وقتلوهما واستولوا على نواحي بَلْخَ وعاثوا فيها وجمع السلطان سِنَجَرِ وفي مقدمته محمد بن أبي بكر بن قجاج المقتول والمؤيد ابنه في محرّم سنة ثمان وأربعين وجاء السلطان سِنَجَرِ على أثرهم وبعثوا اليه بالطاعة والاموال فلم يقبل منهم وقتلهم فهزموه الى بَلْخَ ثم عاود قتالهم فهزموه الى مرو واتبعوه فهرب هو وعسكره من مرو رعباً منهم ودخلوا البلد وأفحشوا فيه قتلا ونهباً وقتلوا القضاة والأئمة والعلماء

ولما خرج سنجر من مرو وأسرره وأجلسوه على التخت على عادته وآتوه طاعتهم ثم عاودوا الغارة على مرو فنعمهم أهلها وقتلوه ثم عجزوا واستسلموا فاستباحوها أعظم من الاولى ولما أسر سنجر فارقه جميع امراء خراسان ووزيره طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك ووصلوا الى نيسابور واستدعوا سليمان شاه بن السلطان محمود وخطبوا له بالسلطان في منتصف السنة واجتمعت عليه عساكر خراسان وساروا لطلب الغز فبارزوه على مرو وانهزمت العساكر رعباً منهم وقصدوا نيسابور والغز في اتباعهم ومروا بطوس فاستباحوها وقتلوا حتى العلماء والزهاد وخبروا حتى المساجد ثم ساروا الى نيسابور في شوال سنة تسع وأربعين ففعلوا فيها أفحش من طوس حتى ملؤا البلاد من القتل وتحصن طائفة بالجامع الاعظم من العلماء والصالحين فقتلوه عن آخرهم وأحرقوا خزائن الكتب وفعلوا مثل ذلك في جوين واسفراين فحاصروهما واقحموهما مثل ما فعلوا في البلاد الاخرى وكانت أفعال الغز في هذه البلاد أعظم وأقبح من أفعال الغز في غيرها ثم ان السلطان سليمان شاه توفي وزيره طاهر بن فخر الملك بن نظام الملك في شوال سنة ثمان وأربعين فاستوزر ابنه نظام الملك وانحل أمره وعجز عن القيام بالملك فعاد الى جرجان في صفر سنة تسع وأربعين فاجتمع الامراء وخطبوا للخان محمود بن محمد بن بقرخان وهو ابن أخت سنجر واستدعوه فلكوه في شوال من السنة وساروا معه لقتال الغز وهم محاصرون هراة فكانت حروبه معهم سجالات وأكثر الظفر للغز ثم رحلوا عن هراة الى مرو منتصف خمسين وأعادوا مصادرة أهلها وسار الخان محمد الى نيسابور وقد غلب عليها المؤيد كما يذكر فراسل الغز في الصلح فصالحوه في رجب .

* (استيلاء المؤيد على نيسابور وغيرها) *

هذا المؤيد من موالي سنجر واسمه وكان من أكابر أوليائه ومطاعاً فيهم ولما كانت هذه الفتنة وافترق أمر الناس بخراسان تقدم فاستولى على نيسابور وطوس ونسا^(١) وان ورد وشهرستان والدامغان وحصنها ودافع الغز عنها ودانت له الرعية لحسن سيرته فعظم شأنه وكثرت جموعه واستبدت بهذه الناحية وطالبه الخان محمود عندما ملكوه بالحضور عنده وتسليم البلاد فامتنع وترددت الرسل بينهما على مال

(١) كذا بياض بالاصل وفي الكامل ج ١١ ص ٢٣٦ : تقدم المؤيد «اي ابيه» بقبض اعيان نيسابور وجسهم وقال : انتم الذين اطعمتم الزنود والمفسدين حتى فعلوا هذه الفعالة ، ولو اردتم منعهم لاقتنعوا . وقتل من أهل الفساد وجاعة فخر بن نيسابور بالكلية .

يحملة للخان محمود فضمنه المؤيد وكف عنه محمود واستقر الحال على ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (استيلاء ايتاخ على الري) * كان ايتاخ من موالي السلطان سنجر وكانت الري أيضا من أعمال سنجر فلما كانت فتنة الغزلق بالري واستولى عليها وصانع السلطان محمد شاه ابن محمود صاحب همدان واصهبان وغيرهما وبذل له الطاعة فأقره فلما مات السلطان محمد مدّ يده الى أعمال تجاوزته وملكها فعظم أمره وبلغت عساكره عشرة آلاف فلما ملك سليمان شاه همدان على ما نذكره وقد كان أنس به عند ولاية سليمان على خراسان سار اليه وقام بخدمته وبقي مستبداً بتلك البلاد والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (الخبر عن سليمان شاه وحبيه بالموصل) *

كان سليمان شاه بن السلطان محمد بن ملك شاه عند عمه السلطان سنجر وجعله وليّ عهده وخطب له على منابر خراسان فلما وقعت فتنة الغز وأسر سنجر قدمه أمراء خراسان على أنفسهم ثم عجز ومضى الى خوارزم شاه فزوجه ابنة أخيه ثم سعى به عنده فأخرجه من بلده وجاء الى اصهبان فمنعه الشحنة من الدخول فمضى الى قاشان فبعث السلطان محمد شاه ابن أخيه محمود عسكرياً ليدفعه عنها فسار الى خوزستان فمنعه ملك شاه منها فقصده للحف ونزل وأرسل المقتني في أثره فطلبه في زوجته رهينة ببغداد فبعث بها مع جواربها وأتباعها فأكرمهم المقتني وأذن له في القدوم وخرج الوزير ابن هبيرة وقاضي القضاة والفتيان لتلقيه وخلع عليه المقتني وأقام ببغداد حتى اذا دخلت سنة احدى وخمسين أحضر بدار الخلافة وحضر قاضي القضاة والاعيان واستحلف على الطاعة والتجاني للخليفة عن العراق وخطب له ببغداد ولقب ألقاب أبيه وأمدّ بثلاثة آلاف من العسكر وجعل معه الامير دوران أمير حاجب صاحب الجبلية وسار الى بلاد الجبل في ربيع الاول من السنة وسار المقتني الى حلوان وبعث الى ملك شاه بن السلطان محمود يدعوه الى موافقة عمه سليمان شاه وان يكون وليّ عهده فقدم في ألني فارس وتحالفا وأمدّهما المقتني بالمال والاسلحة واجتمع معهم ايلدكر صاحب كنجة وارانية وساروا لقتال السلطان محمد فلما بلغه خبرهم أرسل الى قطب الدين مودود بن زنكي ونائبه زين الدين على كوجك في المساعدة والارتفاق فاجاباه وسارا للقاء عمه سليمان شاه ومن معه واقتتلوا في جمادي الاولى فهزمها السلطان محمد وافترقوا وتوجه سليمان شاه الى بغداد على شهرزور وكانت لصاحب الموصل وبها الامير بوران من جهة على كوجك نائب

الموصل فاعترضه هنالك كوجك وبوران فاحتمله كوجك الى الموصل فحبسه بها وبعث الى السلطان محمد بالخبر وانه على الطاعة والمساعدة فقبل منه وشكر له .

* (فرار سنجر من أسر الغز) *

قد تقدّم لنا ما كان من أسر السلطان سنجر بيد الغز وافتراق خراسان واجتماع الامراء بنيسابور وما اليها على الخان محمود بن محمد وامتنعوا من الغز وامتنع أئمز بن محمد أنوشكين بخوارزم وانقسمت خراسان بينهم وكانت الحرب بين الغز وبينهما سجالات ثم هرب سنجر من أسر الغز وجماعة من الامراء كانوا معه في رمضان سنة احدى وخمسين ولحق بترمز ثم عبر جيحون الى دار ملكه بمرو فكانت مدة أسره من جمادي سنة ثمان وأربعين ثلاث سنين وأربعة أشهر ولم يتفق فراره من الاسر الا بعد موت علي بك مقدّم القارغلية لأنه كان أشدّ شيء عليه فلما توفي انقطعت القارغلية اليه وغيرهم ووجد فسحة في أمره والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (حصار السلطان محمد بغداد) * كان السلطان محمد بن محمود لأول ولايته الملك بعد عمه مسعود بعث الى المقتني في الخطبة له ببغداد والعراق على عاداتهم فنعه لما رجا من ذهاب دولتهم استفحالهم واستبدادهم فصار السلطان من همدان في العساكر نحو العراق ووعدده صاحب الموصل ونائبه بمدد العساكر فقدم آخر احدى وخمسين وبعث المقتني في الحشد فجاء خطا وفرس في عسكر واسط وخالفهم مهلهل الى الجبله فلحقها واهتم المقتني وابن هبيرة بالحصار وقطع الجسر وجمع السفن تحت التاج ونودي في الجانب الغربي بالعبور فعبروا في محرم سنة اثنتين وخمسين وخرب المقتني ما وراء الخرسة صلاحا في استبداده وكذلك السلطان محمد من الجهة الاخرى ونصبت المنجنيقات والعرادات وفرّق المقتني السلاح على الجند والعامه وجاء زين الدين كجك في عسكر الموصل ولقي السلطان علي أوانا واتصلت الحرب واشتدّ الحصار وفقدت الاقوات وانقطعت المواد عن أهل بغداد وفتر كجك وعسكره في القتال أدبا مع المقتني وقيل أوصاه بذلك نور الدين محمود بن زنكي أخو قطب الدين الاكبر ثم جاء الخبر بأن ملك شاه أخا السلطان محمد وايلدكر صاحب آران وربييه ارسلان بن طغرل قصدوا همدان فصار عن بغداد مسرعا الى همدان آخر ربيع الأول وعاد زين الدين الى الموصل ولما وصل ملك شاه وايلدكر وربييه ارسلان الى همدان أقاموا بها قليلا وسمعوا بمجيء السلطان فاجفلوا وساروا الى الري فقاتلهم الشحنة انبانج فهزموه

وحاصروه وأمدّه السلطان محمد بعسكر بن سقمس بن قماز فوجدهم قد أفرجوا عنه وقصدوا بغداد فقاتلهم فهزموه ونهبوا عسكره فسار السلطان محمد ليسابقيهم الى بغداد فلما انتهى الى حلوان بلغه أن ايلدكر بالدينور ثم وافاه رسول انبانج بانه ملك همدان وخطب له فيها وان شملة صاحب خراسان هرب عن ايلدكر وملك شاه الى بلاده فعاد الى آران ورجع السلطان الى همدان قاصدا للتجهز الى بلاد ايلدكر باران .

* (وفاة سنجر) *

ثم توفي السلطان سنجر صاحب خراسان في ربيع سنة اثنتين وخمسين وقد كان ولي خراسان منذ أيام أخيه بركيارق وعهد له أخوه محمد فلما مات محمد خطب بالسلطنة وكان الملوك كلهم بعدها في طاعته نحو أربعين سنة وخطب له قبلها بالملك عشرين سنة وأسر الغز ثلاث سنين ونصف ومات بعد خلاصه من الاسر وقطعت خطبته ببغداد والعراق ولما احتضر استخلف على خراسان ابن أخته محمد بن محمود بن بقراخان فأقام يجرجان وملك الغز مرو وخراسان وملك به المؤيد نيسابور وناحيته من خراسان وبقي الامر على هذا الخلاف سنة اربع وخمسين وبعث الغز الى محمود الخان ليحضر عندهم فيملكوه فخافهم على نفسه وبعث ابنه اليهم فاطاعوه مدة ثم لحق هو بهم كما نذكر بعد .

* (منازعة ايتاق للمؤيد) *

كان ايتاق هذا من موالي السلطان سنجر فلما كانت الفتنة وافترق الشمل ومات السلطان سنجر وملك المؤيد نيسابور وحصل له التقدم بذلك على عساكر خراسان حسده جماعة من الامراء وانحرف عنه ايتاق هذا فتارة يكون معه وتارة يكون في مازندان فلما كان سنة اثنتين وخمسين سار من مازندان في عشرة آلاف فارس من المنحرفين عن المؤيد وقصد نسا وبيورد وأقام بها^(١) المؤيد ايتاق فسار اليه وكبسه وغنم معسكره ومضى ايتاق منهزما الى مازندان وكان بين ملكها رسم وبين أخيه علي منازعة فتقرب ايتاق الى رسم بقتال أخيه علي فوجد لذلك غلبة ودفعه عنه وسار يتردد في نواحي خراسان بالعيث والفساد والح على

(١) بياض بالاصل ، وفي الكامل ج ١١ ص ٢٢٦ : واقام بنواحي نسا وبيورد لا يظهر المخالفة للمؤيد ، بل يرأسه بالموافقة والمعاضدة له ويطن ضدها . وانتقل المؤيد من المكتبة الى المكافحة وسار اليه جريدة فاغار عليه ووقع به ففرق عنه جموعه .

اسفراين فخرها وراسله السلطان محمود الخان والمؤيد في الطاعة والاستقامة فامتنع فساروا اليه في العساكر في صفر سنة ثلاث وخمسين فهرب الى طبرستان وبعث رسم شاه مازندان الى محمود والمؤيد بطاعته وبأموال جلييلة وهدية فقبلوا منه وبعث ايتاق ابنه رهنا على الطاعة فرجعوا عنه واستقرّ يجرجان ودستان وأعمالها .

* (منازعة سنقر العزيزي للمؤيد ومقتله) *

كان سنقر العزيزي من أمراء السلطان سنقر وكان في نفسه من المؤيد ما عند الباقيين فلما شغل المؤيد بحرب ايتاق سار سنقر من عسكر السلطان محمود بن محمد الى هراة فملكها واشترط عليه أن يستظهر بملك الغورية الحسين فأبى وطمع في الاستبداد لما رأى من استبداد الامراء على السلطان محمود بن محمد فحاصره المؤيد بهراة واستمال الاتراك الذين كانوا معه فأطاعوه وقتلوا سنقر العزيزي غيلة وملك السلطان محمد هراة ولحق الفل من عسكر سنقر بايتاق وتسلطوا على طوس وقراها واستولى الخراب على البلاد والله تعالى أعلم .

* (فتنة الغز الثانية بخراسان وخراب نيسابور على يد المؤيد) *

كان الغز بعد فتنتهم الاولى أوطنوا بلخ ونزعوا عن النهب والقتل بخراسان واتفقت الكلمة بها على طاعة السلطان محمود بن محمد الخان وكان القائم بدولته المؤيد أبوابه فلما كان سنة ثلاث وخمسين في شعبان سار الغز الى مرو فزحف المؤيد اليهم وأوقع طائفة منهم وتبعهم الى مرو وعاد الى سرخس وخرج معه الخان محمود لحربهم فالتقوا خامس شوال وتواقعوا مرارا ثلاثا انهزم فيها الغز على مرو وأحسنوا السيرة وأكرموا العلماء والأئمة ثم أغاروا على سرخس وطوس واستباحوها وخربوها وعادوا الى مرو وأمّا الخان محمود بن محمد فسار الى جرجان ينتظر مال أمرهم وبعثوا اليه الغزنسة أربع وخمسين يستدعونه لملكوه فاعتذر لهم خشية على نفسه فطلبوا منه جلال الدين عمر فتوثق منهم بالحلف وبعثه اليهم فعظموه وملكوه في ربيع الآخر من سنة أربع ثم سار أبوه محمود الى خراسان وتحلف عنه المؤيد ابوابه وانتهى الى حدود نساوا بيورد فولى عليهم الامير عمر بن حمزة النسوي فقام في حمايتها المقام المحمود بظاهر نسا ثم سار الغز من نيسابور الى طوس لامتناع أهلها من طاعتهم فلكوها واستباحوها

وعادوا الى نيسابور فساروا مع جلال الدين عمر بن محمود الخان الى حصار سارورا^(١) وبها النقيب عماد الدين محمد بن يحيى العلوي الحسيني فحاصروه وامتنعت عليهم فرجعوا الى نسا وابيورد للقاء الخان محمود يجر جان كما قدّمناه فخرج منها سائر الى خراسان واعترضه الغز ببعض القرى في طريقه فهرب منه وأسر بعضهم ثم هرب منه ولحق بنيسابور فلما جاء الخان محمود اليها مع الغز فارقها منتصف شعبان ودخلها الغز وأحسنوا السيرة وساروا الى سرخس ومرو فعاد المؤيد في عساكره الى نيسابور وامتنع أهلها عليه فحاصرها وافتتحها عنوة وخربها ورحل عنها الى سبق في شوال سنة أربع وخمسين .

* (استيلاء ملك شاه بن محمود على خوزستان) * ولما رجع السلطان ملك شاه محمد بن محمود من حصار بغداد وامتنع الخليفة من الخطبة له أقام بهمدان عليلا وسار أخوه ملك شاه الى قم وقاشان فافحش في نهبا ومصادرة أهلها وراسله أخوه السلطان محمد في الكف عن ذلك فلم يفعل وسار الى اصبهان وبعث الى ابن الجمقري وأعيان البلد في طاعته فاعتذروا بطاعة أخيه فعاث في قراها ونواحيها فسار السلطان اليه من همدان وفي مقدمته كرجان الخادم فافترقت جموع ملك شاه ولحق ببغداد فلما انتهى الى قوس لقيه موبدان وسنقر الهمداني فأشارا عليه بقصد خوزستان من بغداد فسار الى واسط ونزل بالجانب الشرقي وساء أثر عسكره في النواحي ففتحوا عليهم البثوق وغرق كثير منهم ورجع ملك شاه الى خوزستان فنعه شملة من العبور فطلب الجوار في بلده الى أخيه السلطان فنعه فتزل على الاكراد الذين هنالك فاجتمعوا عليه من الجبال والبساتي وحارب شملة ومع ملك شاه سنقر الهمداني وموبدان وغيرهما من الامراء فانهمز شملة وقتل عامة أصحابه واستولى ملك شاه على البلاد وسار الى فارس والله هو المؤيد بنصره .

* (وفاة السلطان محمد وولاية عمه سليمان شاه) *

ثم توفي السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملك شاه آخر سنة أربع وخمسين وهو الذي حاصر بغداد يطلب الخطبة له من الخليفة ومنعه فتوفي آخر هذه السنة لسبع سنين ونصف من ولايته وكان له ولد صغير فسلمه الى سنقر الاحمدي وقال هو وديعة عندك فأوصل به

(١) وردت في الكامل ج ١١ ص ٢٣٣ : (سازوار) . ولم يذكر صاحب معجم البلدان سارورا ولعلها سارية . وقال البلاذري : كورطستان ثنائي كور ، ساريه وبها منزل العامل في ايام الطاهرية ، وكان العامل قبل ذلك في آمل ، وجعلها ايضا الحسن بن زيد ومحمد بن زيد العلويان دار مقامها .

الى بلادك فانّ العساكر لا تطيعه فوصل به الى مراغة واتفق معظم الجند على البيعة لعمه سليمان شاه وبعث أكابر الامراء همذان الى أتابك^(١) زين الدين مودود أتابك وزير مودود وزيره فأطلقه مودود وجهازه بما يحتاج اليه في سلطانه وسار معه زين الدين على كجك في عساكر الموصل فلما انتهى الى بلاد الجبل وأقبلت العساكر للقاء سليمان شاه ذكر معاملتهم مع السلطان ودالّتهم عليه فخشي على نفسه وعاد الى الموصل ودخل سليمان شاه همذان وبايعوا له والله سبحانه تعالى أعلم .

* (وفاة المقتني وخلافة المستنجد) * ثم توفي المقتني لامر الله في ربيع الأوّل سنة خمس وخمسين لاربع وعشرين سنة من خلافته وقد كان استبدّ في خلافته وخرج من حجر السلجوقية عند افتراق أمرهم بعد السلطان مسعود كما ذكرناه في أخبار الخلفاء ولما توفي ببيع بعده بالخلافة ابنه المستنجد فجرى على سنن أبيه في الاستبداد واستولى على بلاد الماهلي ونزل اللحف وولى عليها من قبله كما كانت لآبيه وقد تقدّم ذكر ذلك في أخبارهما انتهى .

* (اتفاق المؤيد مع محمود الخان) * قد كنا قدّمنا أنّ الغز لما تغلبوا استدعوا محمود الخان ليملكوه فبعث اليهم بابنه عمر فملكوه ثم سار محمود من جرجان الى نسا وجاء الغز فساروا به الى نيسابور فهرب عنها المؤيد ودخلها محمود والغز ثم ساروا عنها فعاد اليها المؤيد فحاصرها وملكها عنوة وخرّبها في شوال سنة أربع وخمسين ورحل عنها الى سرخس فعاد اليها المؤيد فحاصرها وملكها عنوة ورحل عنها الى بيهق ثم رجع اليها سنة خمس وخمسين وعمر خرابها وبالغ في الاحسان اليها ثم سار لاصلاح أعمالها ومحو آثار المفسدين والثوار من نواحها ففتح حصن اشقيل وقتل الثوار الزيدية وخرّب حصن خسر وجور من أعمال بيهق وهو من بناء كنجر وملك الفرس أيام حربه مع جراسياق وملكه ورتب فيه الحامية وعاد الى نيسابور ثم قصد مدينة كندر من أعمال طرسا وفيها متغلب اسمه خرّسده يفسد السابلة ويخرب الاعمال ويكثر الفتك وكان البلاء به عظيما في خراسان فحاصره ثم ملك عليه الحصن عنوة وقتله وأراح البلاد منه ثم قصد في رمضان من السنة مدينة بيهق وكانوا قد

(١) كذا بياض بالاصل ، وفي الكامل ج ١١ ص ٢٥٤ : سار سليمان شاه من الموصل الى همذان لتولي السلطنة . وقد تقدم سبب قبضه واخذه الى الموصل . وسبب مسيره اليها ان الملك محمد بن السلطان محمود بن محمد بن ملك شاه لما مات ارسل اكابر الامراء من همذان الى اتابك قطب الدين مودود بن زنكي صاحب الموصل يطلبون منه ارسال الملك سليمان شاه بن السلطان محمد بن ملك شاه اليهم ليؤلوه السلطنة فاستقرت القاعدة بينهم ان يكون سليمان شاه سلطانا وقطب الدين اتابك وجمال الدين وزير قطب الدين وزيراً لسليمان شاه وتحالفوا على هذا .

عصوا عليه فراجعوا الطاعة وقبلهم واستفحل أمره فأرسل اليه الخان محمود بن محمد وهو مع الغز بالولاية على نيسابور وطوس وما إليها فاتصلت يده به واستحكم الصلح بينه وبين الغز وذهبت الفتن .

* (الحرب بين عسكر خوارزم شاه والأتراك البرزية) *

كان هؤلاء الأتراك البرزية من شعوب الترك بخراسان وأميرهم بقراخان بن داود فأغار عليهم جمع من عساكر خوارزم شاه وأوقعوا بهم وقتكوا فيهم ونجا بقراخان في الفل منهم الى السلطان محمود بخراسان ومن معه من الغز مستصرخا بهم وهو يظن أن أيتاق هو الذي هيج عليهم فسار الغز معه على طريق نسا وبيورد وقصدوا أيتاق فلم يكن له بهم قوة فاستنصر شاه مازندان فسار لنصره واحتشد في أعماله من الأكراد والديلم والتركمان وقاتلوا الغز والبرزية^(١) بنواحي دهستان فهزمهم خمسا وكان أيتاق في ميمنة شاه مازندان وأفحش الغز في قتل عسكرهم ولحق شاه مازندان بسارية وأيتاق شهروز خوارزم ثم ساروا الى دهستان فنهبوا وخربوها سنة ست وخمسين وخربوا جرجان كذلك وافترق أهلها في البلاد ثم سار أيتاق الى بقراتكن المتغلب على أعمال قزوین فانهزم من بين يديه ولحق بالمؤيد وصار في جملة واکتسح أيتاق سائر أعماله ونهب أمواله فقوى بها .

* (وفاة ملك شاه بن محمود) *

قد قدّمنا أنّ ملك شاه بن محمود سار بعد أخيه السلطان محمد من خوزستان الى أصبهان ومعه شملة التركماني ودكلا صاحب فارس فأطاعه ابن الخجندي رئيس اصبهان وسائر أهلها وجمع له الأموال وأرسل ملك شاه الى أهل الدولة بأصبهان يدعوهم الى طاعته وكان هو اهم مع عمه سليمان فلم يجيبوه الى ذلك وبعثوا عن سليمان من الموصل وملكوه وانفرد ملك شاه بأصبهان واستفحل أمره وبعث الى المستنجد في الخطبة له ببغداد مكان عمه سليمان شاه وان تعاد الامور الى ما كانت ويتهددهم فوعد الوزير عميد الدين بن هبيرة جارية جاعلها على سمه فسمته في الطعام وفطن المطيب بأنه مسموم وأخبر بذلك شملة

(١) كذا بياض بالاصل ، وعبارة ابن الاثير ج ١٠ ص ٢٦١ : فاستنجد شاه مازندران فجاءه ومعه من الأكراد والديلم والأتراك والتركمان الذين يسكنون نواحي ايسكون جمع كثير فاقتلوا ودامت الحرب بينهم .

ودكلا فاحضروا الجارية وأقرت ومات ملك شاه وأخرج أهل أصبهان أصحابه وخطبوا
لسليمان شاه وعاد شملة الى خراسان فارتجع ما كان ملك شاه تغلب عليه منها .

* (قتل سليمان شاه والخطبة لإرسلان) *

كان سليمان لما ملك أقبل على اللهو ومعاورة الخمر حتى في نهار رمضان وكان يعاشر
الصفاعين والمساخر وعكف على ذلك مع ما كان فيه من الخرق والتهور فقعد الامراء عن
غشيان بابه وشكوا الى شرف الدين كردبازة الخادم وكان مدبر مملكته وكان حسن التربية
والدين فدخل عليه يوما يعذله على شأنه وهو مع ندمائه بظاهر همدان فأشار اليهم أن يعثوا
بكردبازة فخرج مغضبا واعتذر اليه عندما صحا فأظهر له القبول وقعد عن غشيان مجلسه
وكتب سليمان شاه الى انبانج صاحب الريّ يدعو الى الحضور فوعده بذلك اذا أفاق من
مرضه وزاد كردبازة استيحاشا فاستحلف الامراء على خلع سليمان وبدأ بقتل جميع
الصفاعين الذين كانوا يتادمونهم وقال انما فعلته صونا للملك ثم عمل دعوة في داره فحضر
سليمان شاه والامراء وقبض على سليمان شاه ووزيره أبي القاسم محمود بن عبد العزيز
الحاقدي وعلى خواصه وذلك في شوال سنة خمس وخمسين وقتل وزيره وخواصه وحبس
سليمان شاه قليلا ثم قتله ثم أرسل الى ايلدكر صاحب آران وأذربيجان يستقدم ربيبه أرسلان
بن طغرل ليبيع له بالسلطنة وبلغ الخبر الى انبانج صاحب الريّ فسار الى همدان ولقيه كردبازة
وخطب له بالسلطنة بجميع تلك البلاد وكان ايلدكر قد تزوج بأمر أرسلان وولدت له ابنة
البهلوان محمد ومزدارسلان عثمان فكان ايلدكر أتاك وبنته البهلوان حاجبا وهو أخو أرسلان
لأمه وايلدكر هذا من موالي السلطان مسعود ولما ملك أقطعه آران وبعض أذربيجان وحدثت
الفتن والحروب فاعتصم هو باران ولم يحضر عند أحد من ملوكهم وجاء اليه أرسلان شاه من
تلك الفتى فأقام عنده الى أن ملك ولما خطب له بهمدان بعث ايلدكر أتاك الى انبانج
صاحب الريّ ولاطفه وصاهره في ابنته لابنته البهلوان وتحالفا على الاتفاق وبعث الى
المستنجد بطلب الخطبة لإرسلان في العراق واعادة الامور الى عاداتها أيام السلطان مسعود
فطرد رسوله بعد الاهانة ثم أرسل ايلدكر الى اقسنقر الاحمدي يدعو الى طاعة السلطان
إرسلان فامتنع وكان عنده ابن السلطان شاه بن محمود المدني أسلمه اليه عند موته فتهدده
بالببيعة له وكان الوزير ابن هبيرة يكاية من بغداد ويقمعه في الخطبة لذلك الصبي قصدا
لنصر من بينهم فجهاز ايلدكر العساكر مع البهلوان الى اقسنقر واستمد اقسنقر شاهر بن سقمان

* (الحرب بين ايلدكر وانبانج) *

لما مات ملك شاه بن محمود باصهان كما قلناه لحق طائفة من أصحابه ببلاد فارس ومعهم
ابنه محمود فانتزع منهم صاحب فارس زنكي بن دكلا السلقيدي^(١) وأنزله في قلعة اصطخر
فلما ملك ايلدكر السلطان ارسلان وطلب الخطبة ببغداد وأخذ الوزير ابن هبيرة في استفساد
الاطراف عليهم وبعث لابن اقسنقر في الخطبة لابن السلطان محمد شاه الذي عنده وكتب
صاحب فارس أيضا يشير عليه بالبيعة للسلطان محمد بن السلطان ملك شاه الذي عنده
ويعذه بالخطبة له إن ظفر بايلدكر فبايع له ابن دكلا وخطب له بفارس وضرب النوب
الخمس على بابه وجمع العساكر وبلغ الى ايلدكر فجمع وسار في أربعين ألفاً الى أصهان
يريد فارس فأرسل الى زنكي في الخطبة لارسلان شاه فأبى فقال له ايلدكر أني المستنجد
اقطعني بلادك وأنا سائر اليها وتقدمت طائفة الى نواحي ارجان فلقيتها سرية لارسلان بوقا
صاحب ارجان فأوقعوا بطائفته وقتلوا منهم وبعثوا بالخبر الى انبانج فترل^(٢) من الري في
عشرة آلاف وأمدّه اقسنقر الاحمدي^(٣) بخمسة آلاف فقصد^(٤) وهرب صاحب ابن
البازدان وابن طغايرك وغيرهما من أولياء ايلدكر للقاء انبانج ورد عسكر المدافعة زنكي عن
شهرم وغيرها من البلاد فهزمهم زنكي بن دكلا ورجعوا اليه فاستدعى عساكره من
أذربيجان وجاء هيس بن مزدارسلان واستمدّ انبانج وقتل أصحابه ونهب سواده ودخل
الريّ وتحصن في قلعة طبرك ثم ترددت الرسل بينه وبين ايلدكر في الصلح وأقطعه
حربادقان^(٥) وغيرها وعاد ايلدكر الى همدان والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (الفتنة بنيسابور وتخريبها) *

وفي ربيع سنة ست وخمسين قبض المؤيد على أحياء^(٦) نيسابور وحبسهم وفهم نقيب

(١) وقد ورد اسمه ايضا السلفري (الكامل) ج ١٠ ص ٣٤٦ .

(٢) وقد ورد اسمه ايضا ايتانج (الكامل) ج ١١ ص ٢٦٦ .

(٣) ورد في بعض النسخ اقسنقر الاحمدي وفي الكامل ايضا ج ١١ ص ٢٧٠ .

(٤) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ١١ ص ٢٧١ : فأرسل اليه ابنه اقسنقر الاحمدي خمسة الاف فارس
وهرب ابن البازداد صاحب قروين .

(٥) لم يذكر صاحب معجم البلدان بلدة بهذا الاسم ، وفي الكامل ج ٩ ص ٧٥ : جرماذقان .

(٦) ورد في الكامل اعيان نيسابور ج ١١ ص ٢٧١ .

العلويين أبو القاسم زيد بن الحسن الحسيني وأخذهم على ما فعله آباؤهم بأهل البلد من أهل البلد من النهب والاعتداء على الناس في أموالهم وحرصهم فأخذ هؤلاء الأعيان ينهونهم كأنهم لم يضربوا على أيديهم^(١) وقتل جماعة من أهل الفساد فخرّب البلد وامتدّت الأيدي إلى المساجد والمدارس وخزائن الكتب وأحرق بعضها ونهب بعضها وانتقل المؤيد إلى الشادباخ فأصلح سوره وسدّ ثلثة وسكنه وخرب نيسابور بالكلية وكان الذي اختط هذا الشادباخ عبد الله بن طاهر أيام ولايته على خراسان يتفرد بسكناه هو وحشمه عن البلد نجافيا عن مزاحمتهم ثم خربت وجدّدها البارسلان ثم خربت فجددّها الآن المؤيد وخربت نيسابور بالكلية ثم زحف الغز والخان محمود معهم وهو ملك خراسان لذلك العهد فحاصروا المؤيد بالشادباخ شهرين ثم هرب الخان عنهم إلى شهرستان كأنه يريد الحمام وأقام بها وبقي الغز إلى آخر شوال ثم رجعوا فنهبوا البلاد ونهبوا طوس ولما دخل الخان إلى نيسابور أمهله المؤيد إلى رمضان سنة سبع وخمسين ثم قبض عليه وسمله وأخذ ما كان معه من الذخائر وحبسّه وحبس معه جلال محمد فاتا في محبسها وخطب المؤيد لنفسه بعد المستنجد ثم زحف المؤيد إلى شهرستان وقرب نيسابور فحاصرها حتى نزلوا على حكمه في شعبان سنة تسع وخمسين ونهبها عسكره ثم رفع الأيدي عنها واستقامت في ملكه والله أعلم .

* (فتح المؤيد طوس وغيرها) *

ثم زحف المؤيد إلى قلعة دسكره من طوس وكان بها أبو بكر جاندار ممتنعاً فحاصره بها شهراً وأعانه أهل طوس لسوء سيرته فيهم ثم جهده الحصار فاستأمن ونزل فحبسه وسار إلى كرمان فأطاعوه وبعث عسكراً إلى اسفراين فتحصن بها رئيسها عبد الرحمن بن محمد بالقلعة فحاصره واستنزله وحمله مقيداً إلى الشادباخ فحبس ثم قتل في ربيع الآخر سنة ثمان وخمسين ثم ملك المؤيد قهنندر ونيسابور واستفحل ملكه وعاد إلى ما كان عليه وعمر الشادباخ وخرب المدينة العتيقة ثم بعث عسكراً إلى بوشنج وهراة وهي في ولاية محمد بن الحسين ملك الغور فحاصرها وبعث الملك محمد عسكراً لمدافعته فافرجوا عنها وصفت ولاية هراة للغورية .

(١) وفي الكامل : وحبسهم في ربيع الآخر سنة ست وخمسين وقال : انتم الذين اطعمتم الزنود والمفسدين حتى فعلوا هذه الفعال ولو اردتم منعهم لامتنعوا (ج ١١ ص ٢٧١) .

* (الحرب بين المسلمين والكرج) *

كان الكرج قد ملكوا مدينة انى من بلاد أران في شعبان سنة ست وخمسين واستباحوها قتلا وأسرا وجمع لهم شاه ارمن بن ابراهيم بن سكرمان صاحب خلاط جموعا من الجند والمتطوعة وسار اليهم فقاتلوه وهزموه وأسركثير من المسلمين ثم جمع الكرج في شعبان سنة سبع وخمسين ثلاثين ألف مقاتل وملكوا دوس من أذربيجان والجل واصبها فسار اليهم ايلدكر وسار معه شاه ارمن بن ابراهيم بن سكرمان صاحب خلاط واقسقر صاحب مراغة في خمسين ألفا ودخلوا بلاد الكرج في صفر سنة ثمان وخمسين فاستباحوها وأسروا الرجال وسبوا النساء والولدان وأسلم بعض أمراء الكرج ودخل مع المسلمين وكمن بهم في بعض الشعاب حتى زحف الكرج وقاتلوا المسلمين شهرا أو نحوه ثم خرج الكمين من ورائهم فانهزموا واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون وعادوا ظافرين .

* (ملك المؤيد اعمال قومس والخطبة للسلطان ارسلان بخراسان) *

ثم سار المؤيد الى ابيه صاحب نيسابور الى بلاد قومس فللك بسطام ودامغان وولى بسطام مولاه تنكر فجرى بينه وبين شاه مازندان اختلاف أدى الى الحرب واقتتلوا في ذي الحجة سنة ثمان وخمسين ولما ملك المؤيد قومس بعث اليه السلطان ارسلان بن طغرل بالخلع والاولية لما كان بين المؤيد وايلدكر من المودة وأذن له في ولاية ما يفتحه من خراسان ويخطب له فيها فخطب له في أعمال قومس وطوس وسائر أعمال نيسابور ويخطب لنفسه بعد ارسلان وكانت الخطب في جرجان ودهستان لخوارزم شاه ارسلان بن اتسر وبعده للامير ايتاق والخطبة في مرو وبلخ وسرخس وهي بيد الغزوهراة وهي بيد الامير اتيكين وهو مسالم للغز للسلطان سنجر يقولون اللهم اغفر للسلطان السعيد سنجر وبعده لأمير تلك المدينة والله تعالى وليّ التوفيق .

* (اجلاء القارغلية من وراء النهر) *

كان خان خاقان الصيني ولي على سمرقند وبخارى الخان جفرا بن حسين تكين وهو من بيت

قديم في الملك ثم بعث اليه سنة سبعة وخمسين باجلاء القارغلية من أعماله الى كاشغر ويشغلون بالمعاش من الزراعة وغيرها فامتنعوا فألح عليهم فاجتمعوا وساروا الى بخارى فدخل أهل بخارى الى جغراخان وهو بسمرقند ووعدوا القارغلية بالمصانعة وطاوعوهم الى أن صبحهم جفر في عساكره فأوقع بهم وقطع دابرهم والله تعالى أعلم .

* (استيلاء سنقر على الطالقان وغرستان) *

وفي سنة تسع وخمسين استولى الامير صلاح الدين سنقر من موالي السلطان سنجر على بلاد الطالقان وأغار على غرستان حتى ملكها وصارت في حكمه بحصونها وقلاعها وصالح أمراء الغز وحمل لهم الاتاوة .

* (قتل صاحب هراة) *

كان صاحب هراة الامير اتيكين وبينه وبين الغز مهادنة فلما قتل الغز ملك الغور محمد بن الحسين كما مرّ في أخباره طمع اتيكين في بلاده فجمع جموعه وسار اليها في رمضان سنة تسع وخمسين وتوغل في بلاد الغور فقاتله أهلها وهزموه وقتل في المعركة وقصد الغز هراة وقد اجتمع أهلها على أثير الدين منهم فاتهموه بالميل للغز وقتلوه واجتمعوا على أبي الفتوح بن علي ابن فضل الله الطغرثي ثم بعثوا الى المؤيد بطاعتهم فبعث اليهم مملوكه سيف الدين تنكر فقام بأمرهم وبعث جيشا الى سرخس ومرو وأغاروا على دواب الغز فأفرجوا عن هراة ورجعوا لطاعته والله تعالى أعلم .

* (ملك شاه مازندران قومس وبسطام ووفاته) *

قد ذكرنا استيلاء المؤيد على قومس وبسطام وولاية مولاة تنكر عليها ثم أن شاه مازندان وهو رستم بن علي بن هربار بن قاروت^(١) جهز اليها عسكرا مع سابق الدين القزويني من امرائه فلما دامغان وسار إليه تنكر ممن معه من العسكر فكبسهم القزويني وهزمهم واستولى على البلاد وعاد تنكر إلى المؤيد بنيسابور وجعل يغير على بسطام قومس ثم توفي شاه مازندان في ربيع سنة ستين فكتب ابنه علاء الدين موته حتى استولى على حصونه وبلاده ثم أظهره وملك مكانه ونازعه اتيق صاحب جرجان ودهستان ولم يرع ما كان بينه وبين أبيه فلم يظفر بشيء والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) وفي الكامل ج ١ / ٥٠٠ رستم بن علي بن شهر يار بن قارن

*** (حصر عسكر المؤيد نسا) ***

ثم بعث المؤيد عساكره في جمادي سنة ستين لحصار مدينة نسا فبعث خوارزم شاه بك ارسلان بن اتسز في عساكره اليها فأجفلت عنها عساكر المؤيد ورجعوا إلى نيسابور وصارت نسا في طاعة خوارزم شاه وخطب له فيها ثم سار عسكر خوارزم إلى دهستان وغلبوه عليها وأقام فيها بطاعته والله أعلم .

*** (الحرب بين البهلوان وصاحب مراغة) ***

ثم بعث اقسنقر الأحمدلي صاحب مراغة سنة ثلاث وستين إلى بغداد في الخطبة للملك الذي عنده وهو ابن السلطان محمد شاه على أن يتجافى عن العراق ولا يطلب الخطبة منه إلا إذا أسعف بها فاجيب بالوعد الجميل وبلغ الخبر إلى ايلدكر صاحب البلاد فبعث ابنه البهلوان في العساكر لحرب اقسنقر فحاربه وهزمه وتحصن بمراغة فنازله البهلوان وضيق عليه وتردد بينهما الرسل واصطلحوا وعاد البهلوان إلى أبيه بهمدان .

*** (ملك شملة فارس وإخراجه عنها) ***

كان زنكي بن دكلا قد أساء السيرة في جنده فأرسلوا إلى شملة صاحب خوزستان واستدعوه ليملكوه فسار ولقي زنكي وهزمه ونجا إلى الاكراد الشوابكار وملك شملة بلاد فارس فأساء السيرة في أهلها ونهب ابن أخيه خرسنكا البلاد فنفر أهل فارس عنه ولحق بزنكي بعض عساكره فزحف إلى فارس وفارقها شملة إلى بلاده خوزستان وذلك كله سنة أربع وستين وخمسمائة .

*** (ملك ايلدكر الري) ***

كان إنبانج قد استولى على الري واستقرّ فيها بعد حروبه مع ايلدكر على جزية يؤديها إليه ثم منع الضريبة واعتذر بنفقات الجند فسار إليه ايلدكر سنة أربع وستين وحاربه إنبانج فهزمه ايلدكر وحاصره بقلعة طبرك وراسل بعض مماليكه ورغبهم فغدروا به وقتلوه واستولى ايلدكر

على طبرك وعلى الريّ وولي عليها علي بن عمر باغ ورجع إلى همدان وشكر لموالي إبنانج الذين قتلوه ولم يف لهم بالوعد فافترقوا عنه وسار الذي تولى قتله إلى خوارزم شاه فصلبه لما كان بينه وبين انبانج من الوصلة والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق بمنه وكرمه .

* (وفاة صاحب كرمان والخلف بين أولاده) *

ثم توفي سنة خمس وستين الملك طغرل بن قاروت بك صاحب كرمان وولي ابنه أرسلان شاه مكانه ونازعه أخوه الأصغر بهرام شاه فحاربه أرسلان وهزمه فلحق بالمؤيد في نيسابور فأنجده بالعساكر وسار إلى أخيه أرسلان فهزمه وملك كرمان ولحق أرسلان بأصبهان مستنجداً بایلدكز فأنجده بالعساكر وارتجع كرمان ولحق بهرام بالمؤيد وأقام عنده ثم هلك أرسلان فسار بهرام إلى كرمان وملكها ثم توفي المستنجد وولي ابنه المستضيء ولم نترجم لوفاة الخلفاء ههنا لأنها مذكورة في أخبارهم وإنما ذكرناها قبل هؤلاء لأنهم كانوا في كفالة السلجوقية وبنو بويه قبلهم فوفاتهم من جملة أخبار الدولتين وهؤلاء من لدن المقتي قد استبدوا بأمرهم وخلافتهم من بعد ضعف السلجوقية بوفاة السلطان مسعود وافترت دولتهم في نواحي المشرق والمغرب واستبد منها الخلفاء ببغداد ونواحيها ونازعوا من قبلهم أنهم كانوا يخطبون لهم في أعمالهم ونازعهم فيها مع ذلك حرصاً على الملك الذي سلبوه وأصبحوا في ملك منفرد عن أولئك المنفردين مضافاً إلى الخلافة التي هي شعارهم وتداول أمرهم إلى أن انقرضوا بمهلك المستعصم على يد هلاكوا .

* (وفاة خوارزم شاه وولاية ابنه سلطان شاه ومنازعة

مع أخيه الأكبر علاء الدين تكش) *

لما انهزم خوارزم شاه أرسلان أمام الخطا رجع إلى خوارزم فمات سنة ثمان وستين وولي ابنه سلطان شاه فنازعه أخوه الأكبر علاء الدين تكش واستنجد بالخطا وسار إلى خوارزم فملكها ولحق سلطان شاه بالمؤيد صريحاً فسار معه بجيوشه ولقيهم تكش فانهمز المؤيد وجيء به أسيراً إلى تكش فقتل بين يديه صبراً وعاد أصحابه إلى نيسابور فولوا ابنه طغان شاه أبو بكر ابن المؤيد وكان من أخبار طغان شاه وتكش ما نذكره في أخبار دولتهم وفي كيفية قتله خبر آخر نذكره هنالك ثم سار خوارزم شاه سنة تسع وستين إلى نيسابور وحاصرها مرتين ثم هزم

في الثانية طغان شاه بن المؤيد وأخذه أسيراً وحمله إلى خوارزم وملك نيسابور وأعمالها وجميع ما كان لبني المؤيد بخراسان وانقرض أمرهم والبقاء لله وحده والله تعالى أعلم .

* (وفاة الأتابك شمس الدين أيلديكر وولاية ابنه

محمد البهلوان) *

ثم توفي الأتابك شمس الدين أيلديكر أتابك أرسلان شاه بن طغرل صاحب همدان وأصبهان والري وأذربيجان وكان أصله مملوك الكمال الشهير ابن وزير السلطان محمود ولما قتل الكمال صار السلطان وترقى في كتب الولاية فلما ولي السلطان مسعود ولاه أرابانية فاستولى عليها وبقيت طاعته للملوك على البعد واستولى على أكثر أذربيجان ثم ملك همدان وأصبهان والري وخطب لربييه أرسلان بن طغرل وبني أتابك وبلغ عسكره خمسين ألفاً واتسع ملكه من تغليس إلى مكران وكان متحكماً على أرسلان وليس له من الدولة إلا جرایة تصل إليه ولما هلك أيلديكر قام بالأمر بعده ابنه محمد البهلوان وهو أخو السلطان أرسلان لامه فسار أول ملكه لإصلاح أذربيجان وخالفه ابن سنكي وهو ابن أخي شملة صاحب خوزستان إلى بلد نهاوند فحاصرها ثم تأخر ابن سنكي من تستر وصحبهم من ناحية أذربيجان يومهم أنه مدد البهلوان ففتحوا له البلد ودخل فطلب القاضي والأعيان ونصبهم وتوجه نحو ما سندان قاصدا العراق ورجع إلى خوزستان ثم سار شملة سنة سبعين وقصد بعض التركمان فاستنجدوا البهلوان بن أيلديكر فأنجدهم وقتلوه فهزموه وأسر شملة جريحاً وولده وابن أخيه وتوفي بعد يومين وهو من التركمان الأتسرية وملك ابنه من بعده وسار البهلوان سنة سبعين إلى مدينة تبريز وكان صاحبها أفسنقر الأحمدلي قد هلك وعهد بالملك بعده لابنه ملك الدين فسار إلى بلاده وحاصر مراغة وبعث أخاه فترل وعاد عن مراغة إلى همدان والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (وفاة السلطان أرسلان بن طغرل) *

ثم توفي السلطان أرسلان بن طغرل مكفول البهلوان بن أيلديكر وأخوه لامه بهمدان سنة ثلاث وسبعين وخمسائة وخطب بعده لابنه طغرل .

* (وفاة البهلوان محمد بن أيلديكر وملك أخيه قزل) *

ثم توفي البهلوان محمد بن أيلديكر أول سنة اثنتين وخمسمائة وكانت البلاد والرعايا في غاية الطمأنينة فوق عقب موته بأصبيان بين الحنفية والشافعية وبالري بين أهل السنة والشيعة فتن وجزوب آلت إلى الخراب وملك البلاد بعد البهلوان أخوه قزل أرسلان واسمه عثمان وكان البهلوان كافلاً للسلطان طغرل وحاكماً عليه ولما هلك قزل لم يرض طغرل بتحكمه عليه وفارق همدان ولحق به جماعة من الأمراء والجند وجرث بينه وبين قزل حروب ثم غلبه طغرل إلى الخليفة فأمره بعمارة دار السلطان فطرد رسوله وهدمت دار السلطنة وألحقت بالأرض وبعث الخليفة الناصر لدين الله سنة أربع وثمانين عسكرياً مع وزيره جلال الدين عبيد الله بن يونس لانجاده قزل على طغرل قبل همدان وهزمهم ونهب جميع ما معهم وأسر الوزير ابن يونس .

* (قتل قزل أرسلان قتلغ وولاية أخيه) *

قد تقدم لنا ما كان بين السلطان طغرل وبين قزل بن أيلديكر من الحروب ثم أن قزل غلبه واعتقله في بعض القلاع ودانت له البلاد وأطاعه ابن دكلا صاحب فارس وخوزستان وعادا إلى أصبيان والفتن بها متصلة فأخذ جماعة من أعيان الشافعية وصلبهم وعاد إلى همدان وخطب لنفسه بالسلطنة سنة سبعة وثمانين ثم قتل غلبة على فراشه ولم يعرف قاتله وأخذ جماعة من غلمانه بالظنة وكان كريماً حليماً يحب العدل ويؤثره ولما هلك ولي من بعده قتلغ ابن أخيه البهلوان واستولى على الممالك التي كانت بيده .

* (قتل السلطان طغرل وملك خوارزم شاه الري ووفاته) *

* أخيه سلطان شاه *

ولما توفي قزل وولي قتلغ بن أخيه البهلوان كما قلناه أخرج السلطان طغرل من محبسه بالقلعة التي كان بها واجتمع إليه العساكر وسار إلى همدان فلقية قتلغ بن البهلوان فانهزم بين يديه ولحق بالري وبعث إلى خوارزم شاه علاء الدين تتش ليستنجد فصار إليه سنة ثمان وثمانين وندم قتلغ على استدعائه فتحصن ببعض قلاعه وملك خوارزم شاه الري وملك قلعة طبرك

وصالح السلطان طغرل وولي على الريّ وعاد إلى خوارزم سنة تسعين فأحدث أحدوة السلطان شاه^(١) تذكره في أخبارهم وسار السلطان طغرل إلى الري فأغار عليها وفر منه قتلغ بن البهلوان وبعث إلى خوارزم شاه يستنجد به ووافق ذلك وصول منشور من الخليفة إليه بإقطاعه البلاد فسار من نيسابور إلى الريّ وأطاعه قتلغ وسار معه إلى همدان وخرج طغرل للقائهم قبل أن يجمع العساكر ولقيهم قريباً من الريّ في ربيع الأول فحمل عليهم وتورط بينهم فصرع عن فرسه وقتل وملك خوارزم شاه همدان وتلك البلاد جميعاً وانقرضت مملكة بني ملك شاه وولي خوارزم شاه على همدان وملك الأعمال فبلغ انبانج بن البهلوان وأقطع كثيراً منها ممالكه وقدم عليهم مساحق منهم ثم استولى وزير الخليفة ابن العطار على همدان وأصحبها والريّ من يدمو إليه وانتزعها منهم خوارزم كما ذكرناه في أخبار الخلفاء وجاءت العساكر من قبل الخليفة إلى همدان مع أبي الهيجاء الشمس من أمراء الايوية وكان أميراً على القدس فعزلوه عنها وسار إلى بغداد فبعثه الناصر سنة ثلاث وتسعين بالعساكر إلى همدان ولقي عندها أزيك بن البهلوان مطيعاً فقبض عليه وأنكر الخليفة ذلك وبعث باطلاقه وخلع عليه وعاد إلى بلاد أذربيجان .

* (ملك الكرج الدويرة) *

كان أزيك بن البهلوان قد استولى على أذربيجان بعد موته وكان مشغولاً ببلذاته فسار الكرج إلى مدينة دور^(٢) وحاصرها وبعث أهلها إليه بالصرى فلم يصرخهم حتى ملكها الكرج عنوة واستباحوها والله تعالى أعلم .

(١) وفي الكامل ج ١٢ ص ١٠٧ : فشتى خوارزم شاه بخوارزم فلما إنقضى الشتاء سار إلى مرو لقصد أخيه سنة تسع وثمانين فترددت الرسل بينها في الصلح . وإذ قد ورد على خوارزم شاه رسول من مستحفظ قلعة سرخس لأخيه سلطان شاه يدعو له لئلا يسلّم إليه القلعة لأنه قد استوحش من صاحبه سلطان شاه ، فسار خوارزم شاه إليه مجدداً فتسلم القلعة وصار معه . وبلغ ذلك سلطان شاه فقتل ذلك في عضده ، وتزايد كرده فأتى سلخ رمضان سنة تسع وثمانين وخمسماية فلما سمع خوارزم شاه بموته سار من ساعته إلى مرو فتسلمها ، وتسلم مملكة أخيه سلطان شاه جميعها وخزائنه .

(٢) ورد اسمها في بعض النسخ دويرة وفي الكامل ج ١٢ ص ٢٨٣ : استولى الكرج على مدينة دوين من أذربيجان ونهبوها واستباحوها واكثروا القتل في أهلها ، وكانت هي وجميع بلاد أذربيجان للأمير أبي بكر بن البهلوان .

* (قتل كوجه ببلاد الجبل وملك أيدغمش) *

كان كوجه^(١) من موالي البهلوان قد تغلب على الريّ وهمدان وبلاد الجبل واصطنع صاحبه أيدغمش ووثق به فنازعه الأمر وحاربه فقتله واستولى أيدغمش على البلاد وبقي أزيك بن البهلوان مغلباً ليس له من الحكم شيء .

* (قصد صاحب مراغة وصاحب أربل أذربيجان) *

قد ذكرنا أن أزيك كان مشغولاً بسلذاته مهملاً للملكه ثم حدثت بينه وبين صاحب أربل وهو مظفر الدين كوكبري سنة إثنين وسمائه فتنة حملت مظفر الدين على قصده فسار إلى مراغة واستنجد صاحبها علاء الدين بن قراسنقر الأحمدلي فسار معه لحصار تبريز وبعث أزيك الصريح إلى أيدغمش بمكانه من بلاد الجبل فسار إليه وأرسل مظفر الدين بالفتن والتهديد فعاد إلى بلده وعاد علاء الدين بن قراسنقر إلى بلاد مراغة فسار أيدغمش وأزيك وحاصروه بمراغة حتى سلم قلعة من قلاعهم ورجعوا عنه والله تعالى أعلم .

* (وفاة صاحب مازندران والخلف بين أولاده) *

ثم توفي حسام الدين أزدشير صاحب مازندران^(٢) وولي ابنه الأكبر وأخرج أخاه الأوسط عن البلاد فلهحق يجرجان وبها على شاه برتكش نائباً عن أخيه خوارزم فاستنجدته على شرط الطاعة له وأمره أخوه تكش بالمسير معه فساروا من جرجان وبلغهم في طريقهم مهلك صاحب مازندران المتولي بعد أبيه وأن أخاه الأصغر استولى على الكراع والأموال فساروا إليه وملكوا البلاد ونهبوها مثل سارية وآمد وغيرها وخطب لخوارزم شاه فيها وعاد علي شاه إلى خراسان وأقام ابن صاحب مازندران وهو الأوسط الذي استصرخ به وقد إمتنع أخوه الأصغر بقلعة كوري ومعه الأموال والذخائر وأخوه الأوسط فراسله واستعطف وقد ملك البلاد جميعاً والله وليّ التوفيق .

(١) ورد اسمه في الكامل : كوكجا .

(٢) ورد في بعض النسخ مازندران وهو الصحيح وفي معجم البلدان : مازندران : بعد الزاي نون ساكنه ، ودال مهملة وراء وآخره نون ، إسم لولاية طبرستان ، وما أظن هذا إلا إسماً محدثاً لها فإني لم أره مذكوراً في كتب الأوائل .

* (ملك ابن البهلوان مراغة) *

ثم توفي سنة أربع وستائة علاء الدين بن قراسنقر الأحمدلي صاحب مراغة وأقام بأمرها من بعده خادمه ونصب ابنه طفلاً صغيراً وعصى عليه بعض الأمراء وبعث العسكر لقتاله فانهمزوا أولاً ثم استقر ملك الطفل ثم توفي سنة خمس وستائة وانقرض أهل بيته فسار أربك ابن البهلوان من تبريز إلى مراغة واستولى على مملكة آل قراسنقر ما عدا القلعة التي اعتصم بها الخادم وعنده الخزائن والذخائر .

* (إستيلاء منكلي على بلاد الجبل وأصفهان وغيرها
 وهرب أيد غمش وقتله) *

لما تمكن أيد غمش في بلاد الجبل بهمدان وأصهبان والري وما إليها عظم شأنه حتى طلب الأمر لنفسه وسار لحصار أربك ابن مولاه الذي نصبه للأمر وكان بأذربيجان فخرج عليه مولى من موالي البهلوان اسمه منكلي وكثر جمعه واستولى على البلاد وقدم أيد غمش إلى بغداد واحتفل الخليفة لقدمه وتلقاه وذلك سنة ثمان وأقام بها ^(١) كان أيد غمش قد وفد سنة ثمان وستائة إلى بغداد وشرفه الخليفة بالخلع والألوية وولاه على ما كان بيده ورجع إلى همدان ووعده الخليفة بمسير العساكر فأقام ينتظرها عند سليمان بن مرحم ^(٢) أمير الأيوانية من التركمان فدخل إلى منكلي بخبره ثم قتل أيد غمش وحمل أصحابه إلى منكلي وافترق أصحابه واستولى منكلي وبعث إليه الخليفة بالنكير فلم يلتفت إليه فبعث إلى مولاه أربك بن البهلوان صاحب أذربيجان يحرضه عليه وإلى جلال الدين الإسماعيلي صاحب قلعة الموت لمساعدته على أن يكون للخليفة بعض البلاد ولأربك بعضها ولجلال الدين بعضها وبعث الخليفة العساكر مع مولاه سنقر ووجه السبع ^(٣) وأمره بطاعة مظفر الدين كوكبري بن زين الدين على كجك صاحب أربل وشهرزور وهو مقدم العساكر جميعاً فسار

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ١٢ ص ٢٩٦ : فخرج الناس كافة ، وكان يوم وصوله مشهوداً ثم قدمت زوجته في رمضان في محمل فاكرمت وانزلت عند زوجها ، وأقام ببغداد إلى سنة عشر وستائة .

(٢) ورد اسمه في الكامل : ابن ترجم .

(٣) وفي بعض النسخ : وبعث الخليفة العساكر مع مولاه سنقر الملقب بوجه السبع .

لذلك وهرب منكلي وتعلق بالجبل ونزلوا بسفحه قريباً من كوج فناوشهم الحرب فانهم
أزبك ثم عاد ثم أسرى من ليلته منهزماً وأصبحوا فاقسموا البلاد على الشريطة وولي أزبك
فما أخذ منها^(١) مولى أخيه فاستولى عليها ومضى منكلي إلى ساو وبها شحنة له
فقتله وبعث برأسه إلى أزبك واستقر^(٢) في بلاد الجبل حتى قتله الباطنية سنة
أربع عشرة وستائة وجاء خوارزم شاه فملكها كما نذكر في أخباره ودخل أزبك بن البهلوان
صاحب أذربيجان وأران في طاعته وخطب له على منابر أعماله وانقرض أمر بني ملك شاه
وموالهم من العراقيين وخراسان وفارس وجميع ممالك المشرق وبقي أزبك ببلاد أذربيجان ثم
استولى التتر على أعمال محمد بن تكش فما وراء النهر وخراسان وعراق العجم سنة ثمان عشرة
وستائة وموالي الهند وسار جنكزخان فأطاعه أزبك بن البهلوان سنة إحدى وعشرين وأمره
بقتل من عنده من الخوارزمية ففعل ورجع عنه إلى خراسان ثم جاء جلال الدين بن محمد
بن تكش من الهند سنة اثنتين وعشرين فاستولى على عراق العجم وفارس وسار إلى
أذربيجان فملكها ومّر أزبك إلى كنجة من بلاد أران ثم ملك كنجة وبلاد أران ومد أزبك
إلى بعض القلاع هنالك ثم هلك وملك جلال الدين على جميع البلاد وانقرض أمر بني
أزبك واستولى التتر على البلاد وقتلوا جلال الدين سنة ثمان وعشرين كما يأتي في أخبارهم
جميعاً وانتهى الكلام في دولة السلجوقية فلنرجع إلى أخبار الدول المتشعبة عنها واحدة بعد
واحدة والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ١٢ ص ٣٠٧ : واستولى عسكر الخليفة وأوزبك على البلاد فأعطى جلال
الدين ملك الإسماعيلية من البلاد ما كان استقر له ، وأخذ الباقي أوزبك فسلمها إلى غلمش مملوك أخيه . وكان
توجه إلى خوارزم شاه علاء الدين محمد وبقي عنده . ثم عاد عنه وشهد الحرب فأبلى فيها فولاه أوزبك البلاد ،
وعلى كل طائفة من العسكر إلى بلادهم .

(٢) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل : وأرسل رأسه إلى أوزبك ، وأرسله أوزبك إلى بغداد وفي صفحة ٣١٦ :
ومنها أن أغلمش لما ملك بلاد الجبل خطب لخوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش فيها جميعاً ، فلما قتله
الباطنية غضب له وخرج لئلا يخرج البلاد عن طاعته ، فسار مُجَبِّداً في عساكر تطبق الأرض فوصل إلى الرّي
فملكها .

أحمد

محمد — بن أوتاش —

ابراهيم نبال —

ابن عم طفرك وأخوه لأمه

—

—

—

—

—

—

طفـرل بن ارسلان شاه بن طفـرل — بن محمد — بن ملك شاه — بن ارسلان — بن جعفر بك — بن ميكال — بن سلجوق

—

—

—

—

—

—

—

—

محمد بن مسعود —
محمد بن ملك شاه بن محمود —
محمد بن ميسا شاه —

ملك شاه بن كنانى —

برتيش —

تكش —

اساف —

قاروت بك —

قطلمش بن سعيد —

قطلمش بن اسرائيل —

ارسلان —

خاموس —
بن ازبك بن البهلوان — بن ابلدكر
عشان قزل

ايدغمش
قبكالي بغا
قزل

* (بنو أنوشتكين) *

كان أنوشتكين جدّهم تركيا مملوكا لرجل من غرستان ولذلك يقال له أنوشتكين غرشه ثم صار لرجل من أمراء السلجوقية وعظماهم اسمه ملكابك وكان مقدماً عنده لنجابه وشجاعته ونشأ ابنه محمد على مثل حاله من النجابه والشجاعة وتحلى بالأدب والمعارف واختلط بأمراء السلجوقية وولي لهم الأعمال واشتهر فيهم بالكفاية وحسن التدبير ولما ولي بركيارق ابن السلطان ملك شاه وانتقض عليه عمه أرسلان أرغون واستولى على خراسان بعث إليه العساكر سنة تسعين وأربعمائة مع أخيه سنجر وسار في أثره ولقيهم في طريقهم خبر مقتل أرغون عمهم وأن بعض مواليه خلفه فعدا عليه فقتله كما مر قبل فسار بركيارق في نواحي خراسان وما وراء النهر حتى دّوخها وولي عليها أخاه سنجر وانتقض عليه أمير ميران^(١) من قرابته اسمه محمد بن سليمان فسار إليه سنجر وظفر به وسمله وغاد بركيارق إلى العراق بعد أن ولي على خوارزم أكنجي شاه ومعنى شاه بلسانهم السلطان فأضيف إلى خوارزم على عادتهم في تقديم المضاف إليه على المضاف ولما إنصرف بركيارق إلى العراق تأخر من أمرائه قودز^(٢) وبارقش وانتقضا على السلطان ووثبا بالأمير اكنجي صاحب خوارزم وهو بمرور ذاهباً إلى السلطان شاه فقتلاه وبلغ الخبر إلى السلطان وقد انتقض عليه بالعراق الأمير أنزو مؤيد الملك بن نظام الملك فضى لحر بهما وأعاد الأمير داود حبشي بن أيتاق في عسكر إلى خراسان لقتالهما فسار إلى هراة وعاجلاه قبل إجتماع عساكره فعبر جيحون وسبق إليه بارقش فهزمه داود وأسرّه وبلغ الخبر إلى قودز فتأربه عسكره وقرّ إلى بخارى فقبض عليه نائباً ثم أطلقه ولحق بالملك سنجر فقبله وأقام بركشاس أسيراً عند الأمير داود وصفت خراسان من الفتنة والثوار واستقام أمرها للأمير داود حبشي فاخترت لولاية خوارزم محمد بن أنوشتكين فولاه وظهرت كفايته وكان محباً لأهل الدين والعلم مقرّ بالهم عادلاً في رعيته فحسن ذكره وارتفع محله ثم استولى الملك سنجر على خراسان فأقر محمد بن أنوشتكين وزاده تقديماً وجمع بعض ملوك الترك وقصد خوارزم وكان محمد غائباً عنها ولحق بالترك محمد بن اكنجي الذي كان أبوه أميراً على خوارزم وإسمه طغرل تكين محمد فحرض الترك على خوارزم وبلغ الخبر إلى محمد بن أنوشتكين فبعث إلى سنجر بنيسابور يستمده وسبق إلى خوارزم فافترق الترك وطغرل تكين

(١) ورد في بعض النسخ : أميران ولم يذكرها صاحب معجم البلدان .

(٢) قودن : ابن الاثير : ج ١٠ / ٢٠٥

محمد وسار كلّ منها إلى ناحية ودخل محمد بن أنوشتكين إلى خوارزم فازداد بذلك عند سنجر ظهوراً والله سبحانه وتعالى ولي التوفيق لا رب سواه .

*** (وفاة محمد بن أنوشتكين وولاية ابنه أتسر) ***

ثم هلك محمد بن أنوشتكين خوارزم وولي بعده ابنه أتسر وسار بسيرة أبيه وكان قد قاد الجيوش أيام أبيه وحارب الأعداء فلما ولي افتتح أمره بالاستيلاء على مدينة مقيشلاخ وظهرت كفايته في شأنها فلما استدعاه السلطان سنجر فاختره وكان يصاحبه في أسفاره وحروبه وكما مرّ يزيد تقدماً عنده والله تعالى أعلم بغيبه وأحكامه .

*** (الحرب بين السلطان سنجر وأتسر خوارزم شاه) ***

ثم كثرت السعاية عند السلطان سنجر في أتسر خوارزم شاه وإنه يحدث نفسه بالامتناع فسار سنجر إليه ليتترع خوارزم من يده فتجهز أتسر للقائه واقتتلوا فانهزم أتسر وقتل ابنه وخلق كثير من أصحابه واستولى سنجر على خوارزم وأقطعها غياث الدين سليمان شاه ابن أخيه محمداً ورتب له وزيراً وأتابكاً وحاجباً إلى مرو منتصف ثلاث وثلاثين وكان أهل خوارزم يستغيثون لأتسر فعاد إليهم بعد سنجر فأدخلوه البلد ورجع سليمان شاه إلى عمه سنجر واستبدّ أتسر بخوارزم والله أعلم .

*** (انهزام السلطان سنجر من الأتراك الخطا وملكهم**

ما وراء النهر) *

ثم سار سنجر سنة ست وثلاثين لقتال الخطا من الترك فيما وراء النهر لما رجعوا للملك تلك البلاد فيقال أن أتسر أغراههم بذلك ليشغل السلطان سنجر عن بلده وأعماله ويقال أن محمود بن محمد سليمان بن داود بقراخان ملك الخانية في كاشغر وتركستان وهو ابن أخت سنجر زحف إلى أتم الخطا من الترك ليملكوا بلاده فسار إليهم وقاتلهم فهزموه وعاد إلى سمرقند وبعث بالصريح إلى خاله سنجر فعبر النهر إليه في عساكر المسلمين وملوك خراسان والتقوا في أول صفر سنة ست وثلاثين فانهزم سنجر والمسلمون وفشا القتل فيهم يقال كان القتلى مائة ألف رجل وأربعة آلاف امرأة وأسرت زوجة السلطان سنجر وعاد منهزماً وملك الخطا ما

وراء النهر وخرجت عن ملك الإسلام وقد تقدّم ذكر هذه الواقعة مستوفي في أخبار السلطان سنجر ولما إنهمز السلطان سنجر قصد اتسز خوارزم شاه خراسان فملك سرخس ولقي الإمام أبا محمد الزيادي وكان يجمع بين العلم والزهد فأكرمه وقبل قوله ثم قصد مرو الشاهجان فخرج إليه الإمام أحمد الباخوري وشفع في أهل مرو وأن لا يدخل لهم أحد من العسكر فشفعه وأقام بظاهر البلد فثار عامة مرو وأخرجوا أصحابه وقتلوا بعضهم وامتنعوا فقاتلهم اتسز وملكها عليهم غالباً أول ربيع من سنة ست وثلاثين وقتل الكثير من أهلها وكان فيهم من أكابر العلماء وأخرج كثيراً من علمائها إلى خوارزم منهم أبو بكر الكرمانى ثم سار في شوال إلى نيسابور وخرج إليه جماعة من العلماء والفقهاء متطارحين أن يعفيهم مما وقع بأهل مرو فأعفاهم واستصفى أموال أصحاب السلطان وقطع الخطبة لسنجر وخطب لنفسه ولما صرح باسمه على المنبر هم أهل نيسابور بالثورة ثم ردّهم خوف العواقب فاقصروا وبعث جيشاً إلى أعمال بيتق فحاصرها خمساً ثم ساروا في البلاد ينهبون ويكسحون والسلطان سنجر خلال ذلك متغافل عنه فيما يفعله في خراسان لما وراءه من مدد الخطا وقوتهم ثم أوقع الغزسة ثمان وأربعين بالسلطان سنجر واستولوا على خراسان وكان هؤلاء الغزمقيمين بما وراء النهر منذ فارقههم ملوك السلجوقية وكانوا يدينون بالإسلام فلما استولى الخطا على ما وراء النهر أخرجوهم منها فأقاموا بنواحي بلخ وأكثروا فيها العيث والفساد وجمع لهم سنجر وقاتلهم فظفروا به وهزموه وأسروه وانتثر سلك دولته فلم يعد انتظامه وافترت أعماله على جماعة من مواليه واستقلّ حينئذ اتسز بملك خوارزم وأعماله وأورثها بنيه ثم استولوا على خراسان والعراق عندما ركدت ريح السلجوقية وكانت لهم بعد ذلك دولة عظيمة نذكر أخبارها مفصلة عند دول أهلها والله تعالى ولي التوفيق بمنه وكرمه .

* (وفاة اتسز وملك ولده أرسلان) *

ثم توفي اتسز بن محمد بن أنوشتكين في منتصف إحدى وخمسين وخمسمائة لستين سنة من ولايته وكان عادلاً في رعيته حسن السيرة فيهم ولما توفي ملك بعده أرسلان بن اتسز فقتل جماعة من عماله وسمل أخاه ثم بعث بطاعته للسلطان سنجر عندما هرب من أسر الغز فكتب له بولاية خوارزم وقصد الخطا خوارزم وجمع أرسلان للقائهم وسار غير بعيد ثم طرده المرض فرجع وأرسل الجيوش لنظر أمير من أمرائه فقاتله الخطا وهزموه وأسروه ورجع إلى ما وراء النهر والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (وفاة خوارزم شاه ارسلان وملك ولده سلطان شاه وبعده ولده الآخر تكش وملك طغان شاه بن المؤيد ثم موته وملك ابنه سنجر شاه) *

ثم توفي خوارزم شاه ارسلان بن أتسز من مرضه الذي قعد به عن لقاء الخطا وملك بعده ابنه الأصغر سلطان شاه محمود في تدبير أمه وكان ابنه الأكبر علاء الدين تكش مقيماً في إقطاعه بالجند فاستنكف من ولاية أخيه الأصغر وسار إلى ملك الخطا مستنجدا ورغبه في أموال خوارزم وذخائرها فأنجده بجيش كثيف وجاء إلى خوارزم ولحق سلطان شاه وأمه بالمؤيد أنه صاحب نيسابور والمتغلب عليها بعد سنجر وأهدى له ورغبه في الأموال والذخائر فجمع وسار معه إذا كان على عشرين فرسخاً من خوارزم سار إليه تكش وهزمه ووجيء بالمؤيد أسيراً إلى تكش فأمر بقتله وقتل بين يديه صبراً ولحق أخوه سلطان شاه بدhestان وتبعه تكش فملكها عنوة وهرب سلطان شاه وأخذت أمه فقتلها تكش وعاد إلى خوارزم ولحق سلطان شاه بنيسابور وقد ملكوا طغان شاه أبا بكر ابن ملكهم المؤيد ثم سار سلطان شاه من عنده إلى غياث الدين ملك الغورية فأقام عنده وعظم تحكم الخطا على علاء الدين تكش صاحب خوارزم واشتطوا عليه وبعثوا يطلبونه في المال متفرقين على أهل خوارزم ودس إليهم فيبتوهم ولم ينج منهم أحد ونبذ إلى ملك الخطا عهده وسمع ذلك أخوه سلطان شاه فسار من غزنة إلى ملك الخطا يستنجده على أخيه تكش وادعى أن أهل خوارزم يميلون إليه فبعث معه جيشاً كثيفاً من الخطا وحاصروا خوارزم فامتنعت وأمر تكش بإجراء ماء النهر عليهم فكادوا يغرقون وأفرجوا عن البلاد ولاموا سلطان شاه فيما غرهم فقال لقائدهم أبعث معي الجيش لمرو لا تترعها من دينار الغزي الذي استولى عليها من حين فتنهم مع سنجر فبعث معه الجيش وسار إلى سرخس واقتحمها على الغز الذين بها وأفحش في قتلهم واستباحهم ولحقاً دينار إلى القلعة فتحصن بها ثم سار سلطان شاه إلى مرو وملكها وأقام بها ورجع الخطا إلى ما وراء النهر وأقام سلطان شاه بخراسان يقاتل الغز فيصيب منهم كثيراً وعجز دينار ملك الغز عن سرخس فسلمها لطفان شاه بن المؤيد صاحب نيسابور فولى عليها مراموش من أمرائه ولحق دينار بنيسابور فحاصر دينار سلطان شاه وعاد إلى نيسابور ولحق به مراموش وترك قلعة سرخس ثم ملك نطوش والتم وضائق الأمور على طغان شاه بنيسابور إلى أن مات في محرم سنة اثنتين وثمانين وملك ابنه سنجر شاه واستبد عليه منكلي تكين مملوك

جده المؤيد وأنف أهل الدولة من استبداده وتحكمه فلحق أكثرهم بسطان شاه في سرخس وأسر الملك دينار من نيسابور في جموع الغز إلى كرمان فملكها ثم أساء منكلي تكن السيرة بنيسابور في الرعية بالظلم وفي أهل الدولة بالقتل فسار إليه خوارزم شاه علاء الدين تكش في ربيع سنة اثنتين وثمانين فحاصره بنيسابور شهرين فامتنعت عليه فعاد إلى خوارزم ثم رجع سنة ثلاث وثمانين فحاصرها وملكها على الأمان وقتل منكلي تكن وحمل سنجر شاه إلى خوارزم فأنزله بها وأكرمه ثم بلغه أنه يكاتب أهل نيسابور فسلمه وبقي عنده إلى أن مات سنة خمس وتسعين قال ابن الأثير ذكر هذا أبو الحسن بن أبي القاسم البهقي في كتاب مسارب التجارب وذكر غيره أن تكش بن أرسلان لما أخرج أخاه سلطان شاه من خوارزم وقصد سلطان شاه إلى مرو فملكها من يد الغز ثم ارتجعوها منه ونالوا من عساكره فعبّر إلى الخطا واستنجدهم وضمن لهم المال وجاء بجيوشهم فلك مرو وسرخس ونسا وبيورد من يد الغز وصرف الخطا فعادوا إلى بلادهم ثم كاتب غياث الدين الغوري وله هراة وبوشنج وباذغيس وأعمالها من خراسان يطلب الخطبة له يتوعده فأجابه غياث الدين بطلب الخطبة منه بمرور سرخس وما ملكه من بلاد خراسان ثم ساءت سيرة سلطان شاه في خراسان وصاد رعاياها فجهز غياث الدين العساكر مع صاحب سجستان وأمر ابن أخته بهاء الدين صاحب باميان بالمسير معه فساروا إلى هراة وخاف سلطان شاه من لقاءهم فرجع من هراة إلى مرو حتى أنصرم فصل الشتاء ثم أعاد مراسلة غياث الدين فامتنع وكتب إلى أخيه شهاب الدين بالخبر وكان بالهند فرجع مسرعاً إليه وساروا إلى خراسان واجتمعوا بعسكرهم الأول على الطالقان وجمع سلطان شاه جموعه من الغز وأهل الفساد ونزل بجموع الطالقان وتوافقوا كذلك شهرين وترددت الرسل بين سلطان شاه وغياث الدين حتى جنح غياث الدين إلى النزول له عن بوشنج وباذغيس وشهاب الدين ابن أخته وصاحب سجستان يحنحان إلى الحرب وغياث الدين يكفهم حتى حضر رسول سلطان شاه عند غياث الدين لإتمام العقد والملوك جميعاً حاضرون فقام^(١) الدين العلوي الهودي وكان غياث الدين يختصه وهو يدلّ عليه فوق في وسط الجمع ونادى بفساد الصلح وصرخ ومزق ثيابه وحنى التراب على رأسه وأفحش لرسول سلطان شاه وأقبل على غياث الدين وقال كيف تعمد إلى ما ملكناه بأسيافنا من الغز والأترار والسنجيرية فتعطيه

(١) كذا بياض في الأصل ، وفي الكامل ج ١١ ص ٣٨١ : فبينما الناس مجتمعون في تحرير الأمر واذ قد أقبل مجد الدين العلوي الهروي إليه ، وكان خصيصاً بغياث الدين ، بحيث يفعل في ملكه ما يختار له فلا يخالف .

هذا الطريد اذ لا يقنع منا أخوه وهو الملك بخوارزم ولا بغزاة والهند فأطرق غياث الدين ساكتا فنادى في عسكره بالحرب والتقدم الى مرو الروذ وتواقع الفريقان فانهمز سلطان شاه وأخذ أكثر أصحابه أسرى ودخل إلى مرو في عشرين فارساً ولحق الفل من عسكره وبلغ الخبر إلى أخيه تكش فسار من خوارزم لاعتراضه وقدم العساكر إلى جيحون بمنعون^(٢) إلى الخطا وسمع أخوه سلطان شاه بذلك فرجع عن جيحون وقصد غياث الدين ولما قدم عليه أمر بتلقيه وأنزله معه في بيته وأنزل أصحابه عند نظرائهم من أهل دولته وأقام إلى انصرام الشتاء وكتب أخوه علاء الدين خوارزم إلى غياث الدين في ردّه إليه ويعدّد فعلاته في بلاده وكتب مع ذلك إلى نائب غياث الدين بهراة يتهدّده فامتعض غياث الدين لذلك وكتب إلى خوارزم شاه بأنه مجير له وشفيع في التجافي عن بلاده وانصافه من وراثة أبيه ويطلب مع ذلك الخطبة له بخوارزم والصهر مع أخيه شهاب الدين فامتعض خوارزم شاه وكتب إليه يتهدّده ببعض بلاده فجهز غياث الدين إليه العساكر مع ابن إخته أبوغازي إلى بهاء الدين سامي صاحب سجستان وبعثها مع سلطان شاه إلى خوارزم وكتب إلى المؤيد أبيه صاحب نيسابور يستنجده وكانت إبنته تحت غياث الدين فجمع المؤيد عساكره وخيم بظاهر نيسابور وكان خوارزم شاه عزم على لقاء أخيه والغورية وسار عن خوارزم فلما سمع خبر المؤيد عاد إلى خوارزم واحتمل أمواله وذخائره وعبر جيحون إلى الخطا وترك خوارزم وسار أعيانها إلى أخيه سلطان شاه والبوغازي ابن أخت غياث الدين فأتوا طاعتهم وطلبوا الوالي عليهم وتوفي سلطان شاه منسلخ رمضان سنة تسع وعاد البوغازي إلى خاله غياث الدين ومعه أصحاب سلطان شاه فاستخدمهم غياث الدين وأقطعهم وبلغ وفاة سلطان شاه إلى أخيه خوارزم تكش فعاد إلى خوارزم وعاد الشحنة إلى بلاد سرخس ومرو فجهز إليهم نائب الغورية بمرو عمر المرغني عسكراً ومنعهم منها حتى يستأذن غياث الدين وأرسل خوارزم شاه إلى غياث الدين في الصلح والصهر في وفد من فقهاء خراسان والعلوية يعظمونه ويستجيرون به من خوارزم شاه أن يحجز إليهم الخطا ويستحجم ولا يحسم ذلك إلا صلحه أو سكاك بمرو فأجابهم إلى الصلح وعقدوه وردّ على خوارزم تكش بلاد أخيه وطمع الغز فيها فعاثوا في نواحيها وجاء خوارزم شاه إليها ودخل مرو وسرخس فسار البورد وتطرق إلى طوس وهي للمؤيد ابنه فجمع وسار إليها وعاد خوارزم شاه إلى بلده وأفسد الماء في طريقه وأتبعه المؤيد

(٢) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل : وأرسل إلى جيحون ثلاثة آلاف فارس يقطعون الطريق على أخيه إن أراد الخطا . ج ١١ ص ٣٨٢ .

فلم يجد ماءً ثم كثر عليه خوارزم شاه وقد جهد عسكره العطش فأوقع بهم وجيء إليه بالمؤيد أسيراً فقتله وعاد إلى خوارزم وقام بنيسابور بعد المؤيد ابنه^(١) طغان شاه ورجع إليه خوارزم شاه من قابل فحاصره بنيسابور وبرز إليه فأسره وملك نيسابور واحتمل طغان شاه وعياله وقرابته فأنزلهم بخوارزم قال ابن الأثير هذه الرواية مخالفة للأولى وإنما أوردتها ليتأمل الناظر ويستكشف أيهما أوضح فيعتمدها والله تعالى أعلم .

* (وفاة أيلديكز وملك ابنه محمد البهلوان) *

قد تقدم لنا في أخبار الدولة السلجوقية ولاية أرسلان شاه بن طغرل في كفالة أيلدكز وابنه محمد البهلوان من بعده ثم أخيه أربك أرسلان بن أيلدكز وأنه إعتقل السلطان طغرل ثم توفي فولي مكانه قطلغ ابن أخيه البهلوان فخرج السلطان من محبسه وجمع لقتاله ستة ثمان وثمانين فهزمه ولحق قطلغ بالريّ وبعث إلى خوارزم شاه علاء الدين تكش فسار إليه وندم قطلغ على استدعائه فتحصن منه ببعض قلاع وملك خوارزم شاه الريّ وقلة طبرك ورتب فيها الحامية وعاد إلى خوارزم لما بلغه أن أخاه سلطان شاه خالفه إليها ولما كان ببعض الطريق لقيه الخبر بأن أهل خوارزم منعوا سلطان شاه وعادى خائباً فمادى إلى خوارزم وأقام إلى إنسلاخ فصل الشتاء ثم سار إلى أخيه سلطان شاه بمرور سنة تسع وثمانين وترددت الرسل بينهما في الصلح ثم استأمن إليه نائب أخيه بقلعة سرخس فسار إليها وملكها ومات أخوه سلطان شاه سنة تسع فصار خوارزم شاه إلى مرو وملكها وملك ابورود ونسا وطوس وسائر مملكه أخيه واستولى على خزائنه وبعث على ابنه علاء الدين محمد فولاه مرو وولي ابنه الكبير ملك شاه نيسابور وذلك آخر تسع وثمانين ثم بلغه أن السلطان طغرل أغار على أصحابه بالريّ قطلغ أبنانج فبعث إليه بابنه يستنجد ووصل إليه رسول الخليفة يشكو من طغرل وأقطعه أعماله فسار من نيسابور إلى الريّ وتلقاه قطلغ أبنانج بطاعته وسار معه ولقيهم السلطان طغرل قبل استكمال تعبته وحمل عليهم بنفسه وأحيط به فقتل في ربيع سنة تسعين وبعث خوارزم شاه برأسه إلى بغداد وملك همدان وبلاد الجبل أجمع وكان الوزير مؤيد الدين بن القصاب قد بعثه الخليفة الناصر مدد الخوارزم شاه في أمره فرحل إليه واستوحش ابن القصاب فامتنع ببعض الجبال هنالك وعاد خوارزم شاه إلى همدان وسلمها وأعطاها إلى قطلغ أبنانج وأقطع

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ١١ ص ٣٧٨ : فلما قتل ملك نيسابور ملك ما كان له ابنه طغان شاه .

كثيراً منها مماليكه وقدم عليهم مناجي وأنزل معه ابنه وعاد إلى خوارزم ثم اختلف مناجي وقطلع أبنانج واقتلوا سنة إحدى وتسعين فانهزم قطلع وكان الوزير ابن القصاب قد سار إلى خوزستان فملكها وكثيراً من بلاد فارس وقبض على بني شملة أمراءها وبعث بهم إلى بغداد وأقام هو يمهّد البلاد فلحق به قطلع أبنانج هنالك مهزوماً سلباً واستنجدته على الري فأزاح عنه وسار معه إلى همدان فخرج مناجي وابن خوارزم شاه إلى الريّ وملك ابن القصاب همدان في سنة إحدى وتسعين وسار إلى الريّ فأجفل الخوارزميون أمامهم وبعث الوزير العساكر في أثرهم حتى لحقوهم بالدامغان وبسطام وجرجان ورجعوا عنهم واستولى الوزير على الريّ ثم انتقض قطلع أبنانج على الوزير وامتنع بالريّ فحاصره الوزير وغلبه عليها ولحق أبنانج بمدينة ساوة ورحل الوزير في أتباعه حتى لحقه على دريندكرخ فهزمه ونجا أبنانج بنفسه وسار الوزير إلى همدان فأقام بظاهرها ثلاثة أشهر وبعث إليه خوارزم شاه بالنكير على ما فعل ويطلب إعادة البلاد فلم يجب إلى ذلك وسار خوارزم إليه وتوفي قبل وصوله فقاتل العساكر بعده في شعبان سنة اثنتين وتسعين فهزمهم وأثنى فيهم وأخرج الوزير من قبره فقطع رأسه وبعث به إلى خوارزم لأنه كان قتل في المعركة واستولى على همدان وبعث عسكره إلى أصبهان فملكها وأنزل بها ابنه وعاد إلى خوارزم وجاءت عساكر الناصر أثر ذلك مع سيف الدين طغرل فقطع بلاد اللحف من العراق فاستدعاه أهل أصبهان فملكوا البلد ولحق عسكر خوارزم شاه بصاحبهم ثم اجتمع ممالك البهلوان وهم أصحاب قطلع وقدموا على أنفسهم كركجة من أعيانهم وساروا إلى الريّ فملكوها ثم إلى أصبهان كذلك وأرسل كركجة إلى الديوان ببغداد يطلب أن يكون الريّ له مع جوار الريّ وسأوة وقم وقاشان وما ينضاف إليها وتكون أصبهان وهمدان وزنجان ومرو من الديوان فكتب له بذلك والله أعلم .

* (وفاة ملك شاه بن خوارزم شاه تكش) *

قد تقدّم لنا أنّ خوارزم شاه تكش ولي ابنه ملك شاه علي نيسابور سنة تسع وثمانين وأضاف إليه خراسان وجعله ولي عهده في الملك فأقام بها إلى سنة ثلاث وتسعين ثم هلك في ربيع منها وخلف ابناً اسمه هندوخان وولى خوارزم شاه علي نيسابور ابنه الآخر فطلب الذي كان ولاه بمرو .

(الخطأ)

* (إنهزام الخطا من الغورية)

كان خوارزم شاه تكشف لما ملك الريّ وهمدان وأصبهان وهزم ابن القصاب وعساكر الخليفة بعث إلى الناصر يطلب الخطبة ببغداد فامتعض الناصر لذلك وأرسل إلى غياث الدين ملك غزنة والغور فقصد بلاد خوارزم شاه فكتب إليه غياث الدين يتهدده بذلك فبعث خوارزم شاه إلى الخطا يستنجدهم على غياث الدين ويحذرهم أن يملك البلاد كما ملك بلخ فسار الخطا في عساكرهم ووصلوا بلاد الغور وراسلوا بهاء الدين سام ملك باميان وهو يبلغ يأمرونه بالخروج عنها وعاثوا في البلاد وخوارزم شاه قد قصد هراة وانتهى إلى طوس واجتمع أمراء الغورية بخراسان مثل محمد بن بك مقطع الطالقان والحسين بن مرميل وحروس^(١) وجمعوا عساكرهم وكبسوا الخطا وهزموهم وألحقوهم بجمون فتقسموا بين القتل والغرق وبعث ملك الخطا إلى خوارزم شاه يتجنى عليه في ذلك ويطلب الدية على القتلى من قومه ويجعله السبب في قتلهم فراجع غياث الدين واستعطفه ووافقه على طاعة الخليفة وأعادة ما أخذه الخطا من بلاد الإسلام وأجاب ملك الخطا بأن قومه إنما جاؤا لانتزاع بلخ من يد الغورية ولم يأتوا لنصرتي وأنا قد دخلت في طاعة غياث الدين فجهز ملك الخطا عساكره إليه وحاصروه فامتنع فرجعوا عنه بعد أن فني أكثرهم بالقتل وسار في أثرهم وحاصر بخارى وأخذ بمخنفها حتى ملكها سنة أربع وتسعين فأقام بها مدة وعاد إلى خوارزم والله تعالى ولي التوفيق .

* (ملك خوارزم شاه تكين الريّ وبلاد الجبل) *

ثم سار خوارزم شاه تكين لإرتجاع الريّ وبلاد الجبل من يد مناجق والبهلوانية الذين انتفضوا عليه فهرب مناجق عن البلاد وتركها وملكها خوارزم شاه واستدعاه فامتنع من الحضور واتبعه فاستأمن أكثر أصحابه ورجعوا عنه ولحق هو بقلعة من أعمال مازندان فامتنع بها فبعث خوارزم شاه إلى الخليفة الناصر فبعث بالخلع له ولولده قطب الدين وكتب له تقليداً

(١) كذا بالأصل وفي الكامل ج ١٢ ص ١٣٦ : فانتدب الأمير محمد بن جربك الغوريّ ، وهو مقطع الطالقان من قبل غياث الدين وكان شجاعاً ، وكاتب الحسين بن حرميل وكان بقلعة كرزيان ، واجتمع معها الأمير حروش الغوري .

بالأعمال التي بيده ثم سار خوارزم شاه لقتال الملحدة فافتتح قلعة لهم قريبة من قزوين وانتقل إلى حصار قلعة الموت من قلاعهم فقتل عليها رئيس الشافعية بالري صدر الدين محمد بن الوزان وكان مقدماً عنده ولازمه ثم عاد إلى خوارزم فوثب الملحدة على وزيره نظام الملك مسعود بن علي فقتلوه فجهز ابنه قطب الدين لقتالهم فسار إلى قلعة من نسييس من قلاعهم فحاصرها حتى سأله في الصلح على مائة ألف دينار يعطونها فامتنع أولاً ثم بلغه مرض أبيه فأجابهم وأخذ منهم المال المذكور وعاد والله أعلم .

* (وفاة خوارزم شاه) *

ثم توفي خوارزم شاه تكش بن البارسلان بن أتمز بن محمد أنوشتكين صاحب خوارزم بعد أن استولى على الكثير من خراسان وعلى الري وهمدان وغيرها من بلاد الجبل وكان قد سار من خوارزم إلى نيسابور فات في طريقه إليها في رمضان سنة ست وتسعين وخمسمائة وكان عندما اشتد مرضه بعث لأبيه قطب الدين محمد يخبره بحاله ويستدعيه فوصل بعد موته فبايع له أصحابه بالملك ولقبوه علاء الدين لقب أبيه وحمل شلو أبيه إلى خوارزم فدفعه بالمدرسة التي بناها هنالك وكان تكش عادلاً عارفاً بالأصول والفقه على مذهب أبي حنيفة ولما توفي ابنه علاء الدين محمد كان ولده الآخر علي شاه بأصبهان فاستدعاه أخوه محمد فسار إليه ونهب أهل أصبهان فخلعه وولاه أخوه على خراسان فقصد نيسابور وبها هندوخان ابن أخيها ملك شاه منذ ولاد جدّه تكش عليها بعد أبيه ملك شاه وكان هندوخان يخاف عمه محمداً لعداوة بينه وبين أبيه ملك شاه ولما مات جدّه تكش نهب الكثير من خزائنه ولحق بمرو وبلغ وفات تكش إلى غياث الدين ملك غزنة فجلس للعزاء على ما بينها من العداوة أعظماً لقدرة ثم جمع هندوخان جموعاً وسار إلى خراسان فبعث علاء الدين محمد بن تكش العساكر لدفاعه مع جنقر التركي فخام هندوخان عن لقائه ولحق بغياث الدين مستنجداً فأكرمه ووعدته النصر ودخل جنقر مدينة مرو وبعث بام هندوخان وولده إلى خوارزم مكرمين فأرسل غياث الدين صاحب غزنة إلى محمد بن ضربك نائبه بالطالقان أن ينبذ إلى جنقر العهد ففعل وسار من الطالقان إلى مرو الروذ فلكها وبعث إلى جنقر يأمره بالخطبة في مرو لغياث الدين أو يفارقها فبعث إليه جنقر يتهدده ظاهراً ويسأله سراً أن يستأمن له غياث الدين فقوي طمعه في البلاد بذلك وأمر أخاه شهاب الدين بالمسير إلى خراسان والله أعلم .

ملوك الغورية

استيلاء ملوك الغورية على أعمال خوارزم شاه محمد تكش
بخراسان وارتجاعه اياها منهم ثم حصاره هراة من أعمالهم

ولما استأمن جنقر^(١) نائب مرو الى غياث الدين طمع في أعمال خوارزم شاه بخراسان كما قلناه واستدعاه أخوه شهاب الدين للمسير اليها فصار الى غزنة واستشار غياث الدين نائبه بهراة عمر بن محمد المرغني في المسير الى خراسان فنهاه عن ذلك ووصل أخوه شهاب الدين في عساكر غزنة والغور وسجستان وساروا منتصف سبع وتسعين ووصل كتاب جنقر نائب مرو الى شهاب الدين وهو بقرب الطالقان يحثه للوصول وأذن له غياث الدين فصار الى مرو وقتل العساكر الذين بها من الخوارزمية فغلهم وأحجرهم بالبلد وسار بالفيلة الى السور فاستأمن أهل البلد وأطاعوا وخرج جنقر الى شهاب الدين ثم جاء غياث الدين بعد الفتح الى هراة مكرما وسلم مرو الى هندوخان بن ملك شاه كما وعده ثم سار الى سرخس فلحقها صلحا وولى عليها زنكي بن مسعود من بني عمه وأقطعه معها نسا وأبيورد ثم سار الى طوس وحاصرها ثلاثا واستأمن اليه أهلها فلحقها وبعث الى علي شاه علاء الدين محمد بن تكش بنيسابور في الطاعة فامتنع فصار اليه وقاتل نيسابور من جانب وأخوه شهاب الدين من الجانب الآخر^(٢) اليه سقوطه ودخلوا نيسابور وملكوها ونادوا بالامان وجىء بعلي شاه من خوارزم الى غياث الدين فأمنه وأكرمه وبعثه بالامراء الخوارزمية الى هراة وولى على خراسان ابن عمه وصهره على ابنته ضياء الدين محمد بن علي الغوري ولقبه علاء الدين وأنزله نيسابور في جمع من وجوه الغورية وأحسن الى أهل نيسابور وسلم على شاه الى أخيه شهاب الدين ورحل الى هراة ثم سار شهاب الدين الى قهستان^(٣) وقيل له عن قرية من قراها انهم اسماعيلية فأمر بقتلهم وسى ذراريهم ونهب أموالهم وخرّب القرية ثم سار الى حصن من

(١) اسمه في الكامل ج ١٢ ص ١٦٤ : جقر التركي ، نائب علاء الدين خوارزم شاه بمرو

(٢) كذا بياض بالأصل وفي الكامل : فلم يردهم احد عن السور ، حتى اصعدوا علم غياث الدين اليه . فلما رأى شهاب الدين علم أخيه على السور قال لاصحابه : اقصدوا بنا هذه الناحية ، واصعدوا السور من هاهنا ، وأشار الى مكان فيه ، فسقط السور منهذما ، فضج الناس بالتكبير ، وذهل الخوارزميون وأهل البلد ، ودخل الغورية البلد وملكوه عنوة . (ج ١٢ ص ١٦٥)

(٣) كذا بالأصل ، وكذا بالكامل . وفي معجم البلدان قوهستان .

أعمال قهستان وهم اسماعيلية فلكه بالامان بعد الحصار وولى عليه بعض الغورية فأقام بها الصواب وشعار الاسلام وبعث صاحب قهستان الى غياث الدين يشكو من أخيه شهاب الدين ويقول ان هذا نقض العهد الذي بيني وبينكم فما راعه الا نزول أخيه شهاب الدين على حصن آخر للاسماعيلية من أعمال دهستان فحاصره فبعث بعض ثقاته الى شهاب الدين يأمره بالرحيل فامتنع فقطع أطناب سرادقه ورحل مراغماً وقصد الهند مغاضباً لأخيه ولما اتصل بعلاء الدين محمد بن تكش مسيرهما عن خراسان كتب الى غياث الدين يعاتبه عن أخذه بلاده ويطلب اعادتها ويتوعده باستنجد الخطا عليه فاطله بالجواب الى خروج أخيه شهاب الدين من الهند لعجزه عن الحركة لاستيلاء مرض النقرس عليه فكتب خوارزم شاه الى علاء الدين الغوري نائب غياث الدين بنيسابور يأمره بالخروج عنها فكتب بذلك الى غياث الدين فأجابه يعده بالنصر وسار اليه خوارزم شاه محمد بن تكش آخر سنة سبع وتسعين وخمسائة فلما قرب أبيورد هرب هندوخان من موالى غياث الدين وملك محمد بن تكش مدينة مرو ونسا وأبيورد وسار الى نيسابور وبها علاء الدين الغوري فحاصرها وأطال حصارها حتى استأمنوا اليه واستحلفوه وخرجوا اليه فأحسن اليهم وسأل من علاء الدين الغوري السعي في الاصلاح بينه وبين غياث الدين فضمن ذلك وسار الى هراة وبها أقطاعه وغضب على غياث الدين لعوده عن انجاده فلم يسر اليه وبالع محمد بن تكش في الاحسان الى الحسن بن حرميل من أمراء الغورية ثم سار الى سرخس وبها الامير زنكي من قرابة غياث الدين فحاصرها أربعين يوماً وضيق مخنفها بالحرب وقطع الميرة ثم سأل زنكي الافراج ليخرج عن الامان فأفرج عنه قليلاً ثم ملأ البلد من الميرة بما احتاج اليه وأخرج العاجزين عن الحصار وعاد الى شأنه فندم محمد بن تكش ورحل عنها وجهاز عسكرياً لحصارها وجاء نائب الطالقان ممداً للمحمد بن خربك داعس بعد ان أرسل اليه بأنه (١)

عساكر الخوارزمية المحمرة عليه وأشاع ذلك فأفرجوا عنه وجاء اليه زنكي من الطالقان فخرج معه ابن خربك الى مرو الروذ وجي خراجها وما يحاورها وبعث اليه محمد بن تكش عسكرياً نحو من ثلاثة آلاف مع خاله فلقبهم محمد بن خربك في تسعمائة فارس فهزمهم وأنخن فيهم قتلاً وأسراً وغنم سوادهم وعاد خوارزم شاه محمد بن تكش الى خوارزم وأرسل الى غياث الدين في الصلح فأجابه مع الحسن بن محمد المرغني من كبراء

(١) كذا بياض بالاصل ، وفي الكامل ج ١٢ ص ١٧٥ : فلما ابعث خوارزم شاه سار محمد بن خربك من الطالقان ، وهو من أمراء الغورية وأرسل الى زنكي امير سرخس يعرفه انه يريد يكبس أن الخوارزميين للثأر يترعج اذا سمع القلبة . وسمع الخوارزميون الخبر ففارقوا سرخس ، وخرج زنكي ولقي محمد بن خربك وعسكرياً في مرو الروذ ...

الغورية وغالطه في القول ولما وصل الحسن المرغني الى خوارزم شاه واطلع على أمره قبض على الحسن وسار الى هراة فحاصرها وكتب الحسن الى أخيه عمر بن محمد المرغني أمير هراة بالخبر فاستعدّ للحصار وقد كان لحق بغياث الدين أخوان من حاشية سلطان شاه عمّ محمد بن تكش المتوفي في سرخس فأكرمها غياث الدين وأنزلها بهراة فكاتبها محمد بن تكش وداخلها في تملكه هراة فساد لذلك وحاصر البلد وأميرها عمر المرغني مرّ الى الاخوين وعندهما مفاتيح البلد واطلع أخوه الحسن في محبسه على شأن الاخوين في مداخلة محمد بن تكش فبعث الى أخيه عمر بذلك فلم يسعه فبعث اليه بخط أحدهما فقبض عليهما وعلى أصحابهما واعتقلهم وبعث محمد بن تكش عسكريا الى الطالقان للغارة عليها فظفر بهم ابن خربك ولم يفلت منهم أحد ثم بعث غياث الدين ابن أخته البوغاني في عسكر من الغورية فترلوا قريبا من عسكر خوارزم شاه محمد بن تكش وقطع عنهم الميرة ثم جاء غياث الدين في عسكر قليل لأن أكثرها مع أخيه شهاب الدين بالهند وغزاة فترل قريبا من هراة ولم يقدم على خوارزم فلما بلغ الحصار أربعين يوما وانهمز أصحاب خوارزم شاه بالطالقان ونزل غياث الدين وابن أخته البوغاني قريبا منه وبلغه وصول أخيه شهاب الدين من الهند الى غزاة أجمع الرحيل عن هراة وصالح عمر المرغني على مال حمله اليه وارتحل الى مرو منتصف ثمان وتسعين وسار شهاب الدين من غزاة الى بلخ ثم الى باميان معترما على محاربة خوارزم شاه والتقت طلائعها فقتل بين الفريقين خلق ثم ارتحل خوارزم شاه عن مرو فجفلا الى خوارزم وقتل الأمير سنجر صاحب نيسابور لاثامه بالمخادعة وسار شهاب الدين الى طوس وأقام بها الى انسلاخ الشتاء معترما على السير لحصار خوارزم فأثاه الخبر بوفاة أخيه غياث الدين فرجع الى هراة واستخلف بمرو محمد بن خربك فساد اليه جماعة من أمراء خوارزم شاه سنة تسع وتسعين^(١) ابن خربك ولم ينج منهم الا القليل فبعث خوارزم شاه الجيوش مع منصور التركي لقتال ابن خربك ولقيهم على عشرة فراسخ من مرو وقتلهم فهزموه ودخل مرو منهزما فحاصروه خمسة عشر يوما ثم استأ من اليهم وخرج فقتلوه وأسف ذلك شهاب الدين وترددت الرسل بينه وبين خوارزم شاه في الصلح فلم يتم وأراد العود الى غزاة فاستعمل على هراة ابن أخته البوغاني وملك علاء الدين بن أبي علي الغوري مدينة مرو وزكورة وبلد الغور وعمال خراسان وقوض اليه في مملكته وعاد الى غزاة سنة تسع وتسعين وخمسمائة ثم عاد خوارزم شاه الى هراة منتصف سنة ستائة وبها البوغاني ابن أخت شهاب

(١) كذا بياض بالاصل وفي الكامل ج ١٢ ص ١٧٦ : فخرج اليهم محمد ليلا وبيتهم فلم ينج منهم الا القليل .

الدين الغوري وكان شهاب الدين قد سار عن غزنة الى لهاوون^(١) غازيا فحصر خوارزم شاه هراة الى منسلخ شعبان وهلك في الحصار بين الفريقين خلق وكان الحسن بن حرميل مقبلا بخوزستان وهي اقطاعه فأرسل الى خوارزم شاه يخادعه ويطلب منه عسكريا يستلمون القبيلة وخزانة شهاب الدين فبعث اليه ألف فارس فاعترضهم هو والحسن بن محمد المرغني فلم ينج منهم الا القليل فندم خوارزم شاه على انفاذ العسكر وبعث الى البوغاني أن يظهر بعض طاعته ويفرج عنه الحصار فامتنع ثم أدركه المرض فخشي أن يشغله المرض عن حاية البلد فيملكها عليه خوارزم شاه فرجع الى اجابته واستحلفه وأهدى وخرج له ليلقاه ويعطيه بعض الخدمة فمات في طريقه وارثل خوارزم شاه عن البلد وأحرق المجانيق وسار الى سرخس فأقام بها .

* (حصار شهاب الدين خوارزم شاه وانهزامه أمام الخطا) *

ولما بلغ شهاب الدين بغزنة ما فعل خوارزم شاه بهراة وموت نائبه بها البوغاني ابن أخته وكان غازيا الى الهند فانشى عزمه وسار الى خوارزم وكان خوارزم شاه قد سار من سرخس وأقام بظاهر مرو فلما بلغه خبر مسيره أجفل راجعا الى خوارزم فسبق شهاب الدين اليها وأجرى الماء في السبخة حوالها وجاء شهاب الدين فأقام أربعين يوما يطرق المسالك حتى أمكنه الوصول ثم التقوا واقتتلوا وقتل بين الفريقين خلق كان منهم الحسن المرغني من الغورية وأسرجاعة من الخوارزمية فقتلهم شهاب الدين صبوا وبعث خوارزم شاه الى الخطا فيما وراء النهر يستنجدهم على شهاب الدين فجمعوا وساروا الى بلاد الغور وبلغ ذلك شهاب الدين فسار اليهم فلقبهم بالمفازة فهزموه وحصلوه في ايد حوى حتى صالحهم وخلص الى الطالقان وقد كثر الارجاف بموته فتلقيه الحسن بن حرميل صاحب الطالقان وأزاح عله ثم سار الى غزنة واحتمل ابن حرميل معه خشية من شدة جزعه أن يلحق بخوارزم شاه ويطيعه فولاه حجابته وسار معه ووجد الخلاف قد وقع بين أمرائه لما بلغهم من الارجاف بموته حسبا مراً في أخبار الغورية فأصلح من غزنة ومن الهند وتأهب للرجوع لخوارزم شاه وقد وقع في خبر هزيمته أمام الخطا بالمفازة وجه آخر ذكرناه هنالك وهو أنه فرق عساكره في المفازة لقلعة الماء فأوقع بهم الخطا منفردين وجاء في الساقة فقاتلهم أربعة أيام مصابرا وبعث اليه صاحب

(١) (وفي الكامل لهاوون) واسمها اليوم لاهورج ١٢ — ص ١٨٥ .

سمرقند من عسكر الخطا وكان مسلماً وأشار عليه بالتهويل عليهم فبعث عسكراً من الليل وجاؤا من الغد متسايلين وخوفهم صاحب سمرقند بوصول المدد لشهاب الدين فرجعوا الى الصلح وخلص هو من تلك الواقعة وذلك سنة احدى وستمائة ومات شهاب الدين اثر ذلك .

* (استيلاء خوارزم شاه على بلاد الغورية بخراسان) *

كان نائب الغورية بهراة من خراسان الحسن بن حرميل ولما قتل شهاب الدين الغوري في رمضان سنة اثنتين وستمائة قام بأمرهم غياث الدين محمود ابن أخيه غياث الدين واستولى على الغور من يد علاء الدين محمد بن أبي علي سروركاة ولما بلغ وفاة شهاب الدين الى الحسن بن حرميل نائب هراة جمع أعيان البلد وقاضيه واستحلفهم على الامتناع من خوارزم شاه ظاهراً ودسّ الى خوارزم شاه بالطاعة ويطلب عسكراً يمتنع به من الغورية وبعث ابنه رهينة في ذلك فأنفذ اليه عسكراً من نيسابور وأمرهم بطاعة ابن حرميل وغياث الدين خلال ذلك يكاتب ابن حرميل ويطلبه في الطاعة فيراوغه بالمواعدة وبلغه خبره مع خوارزم شاه فاعترم على النهوض اليه واستشار ابن حرميل بهراة أعيان البلد يختبر ما عندهم فقال له علي بن عبد الخالق مدرّس مية وناظر الاوقاف الرأي صدق الطاعة لغياث الدين فقال انما أخشاه فسر اليه وتوثق لي منه ففعل وسار الى غياث الدين فأطلعه على الحلّي من أمر ابن حرميل ووعدته الثورة به وكتب غياث الدين الى نائبه بمرو يستدعيه فتوقف وحمله أهل مرو على المسير ففسار فخلع عليه غياث الدين وأقطعه واستدعى غياث الدين أيضاً نائبه بالطالقان أميران قطر فتوقف فأقطع الطالقان سونج مملوك ابنه المعروف بأمرشكار وبعث الى ابن حرميل مع ابن زياد بالخلع ووصل معه رسوله يستنجز خطبته له فطله أياماً حتى وصل عسكر خوارزم شاه من نيسابور ووصل في اثرهم خوارزم شاه وانتهى الى بلخ على أربعة فراسخ فندم ابن حرميل عندما عاين مصدوقة الطاعة وعرف عسكر خوارزم شاه بأنّ صاحبيه قد صالح غياث الدين وترك له البلاد فانصرفوا الى صاحبيه وبعث اليه معهم بالهدايا ولما سمع غياث الدين بوصول عسكر خوارزم شاه الى هراة أخذ اقطاع ابن حرميل وقبض على أصحابه واستصفي أمواله وما كان له من الذخيرة في حروبان وتبين ابن حرميل في أهل هراة الميل الى غياث الدين والانحراف عنه وخشي من ثورتهم به فأظهر طاعة غياث الدين وجمع أهل البلد على مكاتبته بذلك فكتبوا جميعاً وأخرج الرسول بالكتاب ودسّ

اليه بأن يلحق عسكر خوارزم شاه فيردّهم اليه فوصل الرسول بهم لرايع يومه ولقيهم ابن حرميل وأدخلهم البلد وسمل ابن زياد الفقيه وأخرج صاعدا القاضي وشيع الغورية فلاحقوا بغياث الدين وسلم البلد لعسكر خوارزم شاه وبعث غياث الدين عسكره مع علي بن أبي علي وسار معه أميران صاحب الطالقان وكان منحرفا عن غياث الدين بسبب عزله فدرس الى ابن حرميل بأن يكبسه وواعده الهزيمة وحلف له على ذلك فكبسه ابن حرميل فانهمز عسكر غياث الدين وأسر كثير من أمرائه وشنّ ابن حرميل الغارة على بلاد باذغيس وغيرها من البلاد واعتزم غياث الدين على المسير بنفسه الى هراة ثم شغل عن ذلك بأمر غزنة ومسير صاحب باميان الى الدوس فأقصر واستظهر خوارزم شاه الى بلخ وقد كان عند مقتل شهاب الدين أطلق الغورية الذين كان أسرهم في المصاف على خوارزم وخيرهم في المقام عنده أو اللحاق بقومهم واستصفي من أكابرهم محمد بن بشير وأقطعه فلما قصد الآن بلخ قدم اليه أخوه علي شاه في العساكر وبرز اليه عمر بن الحسن أميرها فدافعه عنها ونزل على أربعة فراسخ وأرسل الى أخيه خوارزم شاه بذلك فسار اليه في ذي القعدة من السنة ونزل على بلخ وحاصرها وهم ينتظرون المدد من صاحبهم باميان بن بهاء الدين وقد شغلوا بغزنة فحاصرها خوارزم شاه أربعين يوما ولم يظفر فبعث محمد بن بشير الغوري الى عماد الدين عمر بن الحسن نائبا يستترله فامتنع فاعتزم خوارزم شاه على المسير الى هراة ثم بلغه أن أولاد بهاء الدين أمراء باميان ساروا الى غزنة وأسره تاج الدين الزر فاعاد محمد بن بشير الى عمر بن الحسين فأجاب الى طاعة خوارزم شاه والخطبة له وخرج اليه فأعاده الى بلده وذلك في ربيع سنة ثلاث وستمئة ثم سار خوارزم شاه الى جوزجان وبها علي بن أبي علي فترل له عنها وسلمها خوارزم شاه الى ابن حرميل لأنها كانت من أقطاعه وبعث الى غياث الدين عمر بن الحسين من بلخ يستدعيه ثم قبض عليه وبعث به الى خوارزم شاه وسار الى بلخ فاستولى عليها واستخلف عليها جفري التركي وعاد الى بلاده .

* (استيلاء خوارزم شاه على ترمذ وتسليمها للخطا) *

ولما أخذ خوارزم شاه بلخ سار عنها الى ترمذ وبها عماد الدين عمر بن الحسين الذي كان صاحب بلخ وقدم اليه محمد بن بشير بالعذر عن شأن أبيه وانه انما بعثه لخوارزم مكرما وهو أعظم خواصه ويعدّه بالاطلاع فاتهم^(١) على صاحبها أمره واجتمع عليه خوارزم شاه

(١) مقتضى السياق : فابهم على صاحبها امره .

والخطا من جميع جوانبه وأسر أصحابه ملوك باميان بغزنة فاستأ من الى خوارزم شاه وملك منه البلد ثم سلمها الى الخطا وهم على كفرهم ليسالموه حتى يملك وينترعها منهم فكان كما قدره والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (استيلاء خوارزم شاه على الطالقان) *

ولما ملك خوارزم شاه ترمذ سار الى الطالقان وبها سونج واستتاب على الطالقان أمير شكار نائب غياث الدين محمود وبعث اليه يستميله فامتنع وبرز للحرب حتى تراءى الجمعان فترل عن فرسه ونبذ سلاحه وجاء متطارحا في العفو عنه فأغرض عنه وملك الطالقان واستولى على ما فيها وبعث اليه سونج واستتاب على الطالقان بعض أصحابه وسار الى قلاع كالومين ومهوار وبها حسام الدين علي بن أبي علي فقاتله ودفعه على ناحيته وسار الى هراة وخيم بظاهرها وجاء رسول غياث الدين بالهدايا والتحف ثم جاء ابن حرميل في جمع من عساكر خوارزم شاه الى اسفراين فملكها على الامان في صفر من السنة وبعث الى صاحب سجستان وهو حرب بن محمد بن ابراهيم من عقب خلف الذي كان ملكها منذ عهد ابن سبكتكين في الطاعة لخوارزم والخطبة له فامتنع وقصد خوارزم شاه وهو على هراة القاضي صاعد بن الفضل الذي أخرجه ابن حرميل ولحق بغياث الدين فلما جاء الى خوارزم شاه رماه ابن حرميل بالليل الى الغورية فحبسه بقلعة زوزن وولى القضاء بهراة الصفي أبابكر بن محمد السرخسي وكان ينوب عن صاعد وابنه في القضاء .

* (استيلاء خوارزم شاه على مازندان وأعمالها) * (١)

ثم توفي صاحب مازندان حسام الدين ازدشير وولى مكانه ابنه الاكبر وطرد أخاه الاوسط فقصد جرجان وبها الملك على شاه ينوب عن أخيه خوارزم شاه محمد بن تكش واستنجد به فاستأذن أخاه وسار معه من جرجان سنة ثلاث وستمائة ومات الاخ الذي ولى على مازندان وولى مكانه أخوهما الاصغر ووصل على شاه ومعه أخو صاحب مازندان فعاثوا في البلاد وامتنع الملك بالقلاع مثل سارية وآمد فلكوها من يده وخطب فيها لخوارزم شاه وعاد على شاه الى جرجان وترك ابن صاحب مازندان الذي استجار به ملكا في تلك البلاد وأخوه بقلعة كوره .

(١) مازندان (معجم البلدان) .

* (استيلاء خوارزم شاه على ما وراء النهر وقتاله مع الخطا وأسره وخلاصه) *

قد تقدّم لنا كيف تغلب الخطا على ما وراء النهر منذ هزموا سنجر بن ملك شاه وكانوا أمة بادية يسكنون الخيام التي يسمونها الخركاوات وهم على دين المجوسية كما كانوا وكانوا موطنين بنواحي أوزكندة وبلاد ساغون وكاشغر وكان سلطان سمرقند وبخارى من ملوك الخانية الاقدمين عريقا في الإسلام والبيت والملك وبلقب خان خاقان بمعنى سلطان السلاطين وكان الخطا وضعوا الجزية على بلاد المسلمين فيما وراء النهر وكثر عيشهم وثقلت وطأتهم فأنف صاحب بخارى من تحكمهم وبعث الى خوارزم شاه يستصرخه لحادثتهم على أن يحمل اليه ما يحملونه للخطا وتكون له الخطبة والسكة وبعث في ذلك وجوه بخارى وسمرقند فحلفوا له ووضعوا رهائنهم عنده فتجهّز لذلك وولّى أخاه على شاه على طبرستان مع جرجان وولّى على نيسابور الامير كركك خان من أخواله وأعيان دولته وندب معه عسكريا وولّى على قلعة زوزن أمين الدين أبابكر وكان أصله حمالا فارتفع وترقى في الرتب الى ملك كرمان وولّى على مدينة الجمام الامير جلدك وأقر على هراة الحسن بن حرميل وأنزل معه ألفا من المقاتلة واستناب في مرو وسرخس وغيرهما وصالح غياث الدين محمودا على ما بيده من بلاد الغور وكرمسين وجمع عساكر وسار الى خوارزم فتجهّز منها وعبر جيحون واجتمع بسلطان بخارى وسمرقند وزحف اليه الخطا فتوافقوا معه مرّات وبقيت الحرب بينهم سجالات ثم انهزم المسلمون وأسر خوارزم شاه ورجعت العساكر الى خوارزم معلولة وقد أرجف بموت السلطان وكان كركك خان نائب نيسابور محاصراً لهراة ومعه صاحب زوزن فرجعوا الى بلادهما وأصلح كركك خان سور نيسابور واستكثر من الجنود والاقوات وحدّثه نفسه بالاستبداد وبلغ خبر الارجاف الى أخيه علي شاه بطبرستان فدعا لنفسه وقطع خطبة أخيه وكان مع خوارزم شاه حين أسر أمير من أمرائه يعرف بابن مسعود فتحيل للسلطان بأن أظهر نفسه في صورته واتفقا على دعائه باسم السلطان وأوهما صاحبهما الذي أسرها أن ابن مسعود هو السلطان وأن خوارزم شاه خديمه فأوجب ذلك الخطائي حقه وعظمه لاعتقاده انه السلطان وطلب منه بعد أيام أن يبعث ذلك الخديم لاهله وهو خوارزم شاه في الحقيقة ليعرف أهله بخبره ويأتيه بالمال فيدفعه اليه فأذن له الخطائي في ذلك وأطلقه بكتابه ولحق بخوارزم ودخل اليها في يوم مشهود وعلم بما فعله أخوه علي شاه بطبرستان وكركك خان بنيسابور وبلغها خبر خلاصه

فهرب كركل خان الى العراق ولحق علي شاه بغيث الدين محمود فأكرمه وأنزله وسار خوارزم شاه الى نيسابور فأصلح أمورها وولّى عليها وسار الى هراة فتنزل عليها وعسكره محاصر دونها وذلك سنة أربع وستائة والله أعلم .

* (مقتل ابن حرميل ثم استيلاء خوارزم شاه على هراة) *

كان ابن حرميل قد تنكر لعسكر خوارزم شاه الذي كانوا عنده بهراة لسوء سيرتهم فلما عبر خوارزم شاه جيحون واشتغل بقتال الخطا قبض ابن حرميل على العسكر وحبسهم وبعث الى خوارزم شاه يعتذر ويشكو من فعلهم فكتب اليه يستحسن فعله ويأمره بانفاذ ذلك العسكر اليه ينتفع بهم في قتال الخطا وكتب الى جلدك بن طغرل صاحب الجلم أن يسير اليه بهراة ثقة بفعله وحسن سريره وأعلم ابن حرميل بذلك ودسّ الى جلدك بالتحيل على ابن حرميل بكل وجه والقبض عليه فسار في ألفى مقاتل وكان يهوي ولاية هراة لأنّ أباه طغرل كان واليا بها لسنجر فلما قارب هراة أمر ابن حرميل الناس بالخروج لتلقيه وخرج هو في اثرهم بعد ان أشار عليه وزيره خواجا الصاحب فلم يقبل فلما التقى جلدك وابن حرميل ترجلا عن فرسيهما للسلام وأحاط أصحاب جلدك بابن حرميل وقبضوا عليه وانهزم أصحابه الى المدينة فأغلق الوزير خواجا الابواب واستعدّ للحصار وأظهر دعوة غياث الدين محمود وجاء جلدك فناداه من السور وتهدّده بقتل ابن حرميل وجاء بابن حرميل حتى أمره بتسليم البلد لجلدك فأبى وأساء الردّ عليه وعلى جلدك فقتل ابن حرميل وكتب الى خوارزم شاه بالخبر فبعث خوارزم شاه الى كركل خان نائب نيسابور والى أمين الدين أبي بكر نائب زوزن بالمسير الى جلدك وحصار هراة معه فساد لذلك في عشرة آلاف فارس وحاصروها فامتنعت وكان خلال ذلك ما قدّمناه من انهزام خوارزم شاه أمام الخطا وأسرهم اياه ثم تخلص ولحق بخوارزم ثم جاء الى نيسابور ولحق بالعساكر الذين يحاصرون هراة فأحسن الى أمرائهم لصبرهم وبعث الى الوزير خواجا في تسليم البلد لانه كان يعدّ عسكره بذلك حين وصوله فامتنع وأساء الردّ فشدة خوارزم في حصاره وضجر أهل المدينة وجهدهم الحصار وتحذّثوا في الثورة فبعث جماعة من الجند للقبض عليه فثاروا بالبلد وشعر جماعة العسكر من خارج بذلك فرجعوا الى السور واقتحموه وملك البلد عنوة وجيء بالوزير أسيراً الى خوارزم شاه فأمر بقتله فقتل وكان ذلك سنة خمس وستائة وولّى على هراة خاله أمير ملك وعاد وقد استقرّ له أمر خراسان .

(١) * (استيلاء خوارزم شاه علي بيروزكوه ^(١)) وسائر بلاد خراسان) *

لما ملك خوارزم شاه هراة وولى عليها خاله أمير ملك وعاد الى خوارزم بعث الى أمير ملك يأمره ^(٢) بيروزكوه وكان بها غياث الدين محمود بن غياث الدين وقد لحق به أخوه علي شاه وأقام عنده فصار أمير ملك وبعث اليه محمود بطاعته ونزل اليه فقبض عليه أمير ملك وعلي علي شاه أخي خوارزم شاه وقتلها جميعاً سنة خمس وستائة وصارت خراسان كلها لخوارزم شاه محمد بن تكش وانقرض أمر الغورية وكانت دولتهم من أعظم الدول وأحسنها والله تعالى ولى التوفيق .

* (هزيمة الخطا) *

ولما استقر أمر خراسان لخوارزم شاه واستنفر وعبر نهر جيحون وسار اليه الخطا وقد احتفلوا للقائه وملكهم يومئذ طانيكوه ابن مائة سنة ونحوها وكان مظفراً مجرباً بصيراً بالحرب واجتمع خوارزم شاه وصاحب سمرقند وبخارى وتراجعوا سنة ست وستائة ووقعت بينهم حروب لم يعهد مثلها ثم انهزم الخطا وأخذ فيهم القتل كل مأخذ وأسر ملكهم طانيكوه فأكرمه خوارزم شاه وأجلسه معه على سريريه وبعث به الى خوارزم وسار هو الى وراء النهر وملكها مدينة مدينة الى أوركند وأنزل نوابه فيها وعاد الى خوارزم ومعه صاحب سمرقند فأصهر اليه خوارزم شاه بأخته وردّه الى سمرقند وبعث معه شحنة يكون بسمرقند على ما كان أيام الخطا والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء .

* (انتفاض صاحب سمرقند) *

ولما عاد صاحب سمرقند الى بلده أقام شحنة خوارزم شاه وعسكره معه نحواً من سنة ثم استقبح سيرتهم وتنكر لهم وأمر أهل البلاد فثاروا بهم وقتلوهم في كل مذهب وهم بقتل

(١) بيروزكوه من المشترك بكسر الباء الوحدة وسكون المثناة التحتية وضم الراء المهملة وواو ثم زاء معجمة وضم الكاف ثم واو وهاء ، معناه الجبل الأزرق ، وهي قلعة حصينة دار مملكة جبال الغور (أه من أبي الفداء) .
(٢) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ١٢ ص ٢٦٥ : وبلغ أخاه علي شاه فخافه وسار على طريق قهستان ملتجأً الى غياث الدين محمود الغوري صاحب فيروزكوه وأكرمه وأنزله عنده .

زوجته أخت خوارزم شاه فغلقت الابواب دونه واسترحمته فتركها وبعث الى ملك الخطا بالطاعة وبلغ الخبر الى خوارزم شاه فامتعض وهمّ بقتل من في بلده من أهل سمرقند ثم انثنى عن ذلك وأمر عساكره بالتوجه الى ما وراء النهر فخرجوا أرسالا وهو في أثرهم وعبر بهم النهر ونزل على سمرقند وحاصرها ونصب عليها الآلات وملكها عنوة واستباحها ثلاثاً قتل فيها نحو من مائتي ألف واعتصم صاحبها بالقلعة ثم حاصرها وملكها عنوة وقتل صاحبها صبرا في جماعة من أقرانه ومحا آثار الخانية وأنزل في سائر البلاد وراء النهر نوابه وعاد الى خوارزم والله تعالى وليّ النصر بمنه وفضله .

* (استلحام الخطا) *

قد تقدّم لنا وصول طائفة من أمم الترك الى بلاد تركستان وكاشغر وانتشارهم فيما وراء النهر واستخدموا للملوك الخانية أصحاب تركستان وكان ارسلان خان محمد بن سليمان يتزلمهم مسالح على الريف فيما بينه وبين الصين ولهم على ذلك الاقطاعات والجرايات وكان يعاقبهم على ما يقع منهم من الفساد والعيث في البلاد ويوقع بهم ففروا من بلاده وابتغوا عنه فسيحا من الارض ونزلوا بلاد ساغون ثم خرج كوخان ملك الترك الاعظم من الصين سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة فسارت اليه أمم الخطا ولقيهم الخان محمود بن محمد بن سليمان بن داود بقرخان وهو ابن أخت السلطان سنجر فهزموه وبعث بالصريح الى خاله سنجر فاستنفر ملوك خراسان وعساكر المسلمين وعبر جيحون للقائهم في صفر سنة ست وثلاثين ولقيه أمم الترك والخطا فهزموه وأثخنوا في المسلمين وأسرت زوجة السلطان سنجر ثم أطلقها كوخان بعد ذلك وملك الترك بلاد ما وراء النهر ثم مات كوخان ملكهم سنة سبع وثلاثين ووليت بعده ابنته وماتت قريبا وملك من بعدها أمها زوجة كوخان وابنه محمد ثم انقرض ملكهم واستولى الخطا على ما وراء النهر الى آن غلبهم عليه خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش كما قدّمنا وكانت قد خرجت قبل ذلك خارجة عظيمة من الترك يعرفون بالتر ونزلوا في حدود الصين وراء تركستان وكان ملكهم كشلي خان ووقع بينه وبين الخطا من العداوة والحروب ما يقع بين الأمم المتجاورة فلما بلغهم ما فعله خوارزم شاه بالخطا أرادوا الانتقام منهم وزحف كشلي في أمم التتر الى الخطا لينتهر الفرصة فيهم فبعث الخطا الى خوارزم شاه يتلطفون له ويسألونه النصر من عدوهم قبل أن يستحكم أمرهم وتضيق عنه قدرته وقدرتهم وبعث اليه كشلي يغريه بهم وأن يتركه وأياهم ويخلف له على مسالمة بلاده فسار خوارزم شاه

يوهم كل واحد من الفريقين انه له وأقام متبذاً عنهما حتى توقعوا وانهزم الخطا فال مع التتر عليهم واستلحموهم في كل وجه ولم ينج منهم الا القليل فتحصنوا بين جبال في نواحي تركستان وقليل آخرون لحقوا بخوارزم شاه كانوا معه وبعث خوارزم شاه الى كشلي خان ملك التتر يعتد عليه بهزيمة الخطا وانما كانت بمظاهرتة فأظهر له الاعتراف وشكره ثم نازعه في بلادهم وأملاكهم وسار لحربهم ثم علم انه لا طاقة له بهم فكث يراوغهم على اللقاء كشلي خان يعد له في ذلك وهو يغلظه واستولى كشلي خان خلال ذلك على كاشغر وبلاد تركستان وساغون ثم عمد خوارزم شاه الى الشاش وفرغانة واسحان وكاشان وما حولها من المدن التي لم يكن في بلاد الله انزه منها ولا أحسن عمارة فجلا أهلها الى بلاد الإسلام وخرّب جميعها خوفاً أن يملكها التتر ثم اختلف التتر بعد ذلك وخرج على كشلي طائفة أخرى منهم يعرفون بالمغل وملكهم جنكزخان فشغل كشلي خان بحر بهم عن خوارزم شاه فعبّر النهر الى خراسان وترك خوارزم شاه الى أن كان من أمره ما نذكره والله تعالى أعلم .

* (استيلاء خوارزم شاه على كرمان ومكران والسند) *

قد تقدّم لنا أنه كان من جملة أمراء خوارزم شاه تكش تاج الدين أبو بكر وانه كان كرياً للدواب ثم ترقّت به الاحوال الى أن صار سروان لتكش والسروان مقدّم الجهاد ثم تقدّم عنده لجلده واماتته وصار أمير وولاه قلعة زوزن ثم تقدّم عند علاء الدين محمد بن تكش واختصه فأشار عليه بطلب بلاد كرمان لما كانت مجاورة لوطنه فبعث معه عسكرياً وسار الى كرمان سنة اثنتي عشرة وصاحبها يومئذ محمد بن حرب أبي الفضل الذي كان صاحب سجستان أيام السلطان سنجر فغلبه على بلاده وملكها ثم سار الى كرمان وملكها كلها الى السند من نواحي كابل وسار الى هرمز من مدن فارس بساحل البحر واسم صاحبها ميكك فأطاعه وخطب لخوارزم شاه وضمن مالا يحمله وخطب له بقلعات وبعض عمان من وراء النهر لانهم كانوا يتقربون الى صاحب هرمز بالطاعة وتسير سفنهم بالتجار الى هرمز لانه المرسى العظيم الذي تسافر اليه التجار من الهند والصين وكان بين صاحب هرمز وصاحب كيش مغاورات وفتن وكل واحد منهما ينهى مراكب بلاده أن ترسي ببلاد الآخر وكان خوارزم شاه يطيف بنواحي سمرقند خشية أن يقصد التتر أصحاب كشلي خان بلاده .

* (استيلاء خوارزم شاه على غزنة وأعمالها) *

ولما استولى خوارزم شاه محمد بن تكش على بلاد خراسان وملك باميان وغيرها وبعث تاج الدين المرز صاحب غزنة وقد تغلب عليها بعد ملوك الغورية وقد تقدّم في أخبار دولتهم فبعث اليه في الخطبة له وأشار عليه كبير دولته قطلع تكين مولى شهاب الدين الغوري وسائر أصحابه بالاجابة الى ذلك فخطب له ونقش السكة باسمه وسار قنصيرا وترك قطلع تكين بغزنة نائباً عنه فبعث قطلع تكين لخوارزم شاه يستدعيه فأغذ له السير وملك غزنة وقلعتها وقتل الغورية الذين وجدوا بها خصوصاً الاتراك وبلغ الخبر المرز فهرب الى أساون ثم أحضر خوارزم شاه قطلع ووبخه على قلة وفائه لصاحبه وصادره على ثلاثين حملاً من أصناف الاموال والامتعة وأربعمئة مملوك ثم قتله وعاد الى خوارزم وذلك سنة ثلاث عشرة وستائة وقيل سنة اثنتي عشرة بعد ان استخلف عليها ابنه جلال الدين منكبرس والله أعلم بغيه وأحكامه .

* (استيلاء خوارزم شاه على بلاد الجبل) *

كان خوارزم شاه محمد بن تكش قد ملك الرها وهمدان وبلاد الجبل كلها أعوام تسعين وخمسمائة من يد قطلع آبنايخ^(١) بقية أمراء السلجوقية ونازعه فيها ابن القصاب وزير الخليفة الناصر فغلبه خوارزم شاه وقتله كما مرّ في أخباره ثم شغل عنها تكش الى أن توفي وذلك سنة سبع وتسعين وصار ملكه لابنه علاء الدين محمد بن تكش وتغلب مولى البهلوان على بلاد الجبل واحداً بعد واحد ونصبوا أربك بن مولا هم البهلوان ثم انتقضوا عليه وخطبوا لخوارزم شاه وكان آخر من وليّ منهم أغماش وأقام بها مدّة يخطب لعلاء الدين محمد بن تكش خوارزم شاه ثم وثب عليه بعض الباطنية وطمع أربك بن محمد البهلوان بقية الدولة السلجوقية باذريجان وآران في الاستيلاء على أعمال أصبهان والريّ وهمدان وسائر بلاد الجبل وطمع سعد بن زنكي صاحب فارس ويقال سعد بن دكلا في الاستيلاء عليها أيضاً كذلك وسار في العساكر فلما أربك أصبهان بمالأة أهلها وملك سعد الريّ وقزوین وسمنان وطار الخبر الى خوارزم شاه بأصبهان بسمرقند فسار في العساكر سنة أربع عشرة وستائة في مائة ألف بعد ان جهز العساكر فيما وراء النهر ويغور الترك وانتهى الى قومس ففارق العساكر وسار متجرّداً في اثني عشر ألفاً فلما ظفرت مقدمته بأهل الريّ وسعد نجيم بظاهرها ركب

(١) وفي مكان آخر : آبنايخ

للقاتل بظنّ انه السلطان ثم تبين الآلة والمركب واستيقن انه السلطان فولت عساكره منهزمة وحصل في أسر السلطان وبلغ الخبر الى أربك بأصبهان فسار الى همدان ثم عدل عن الطريق في خواصه وركب الاوعار الى أذربيجان وبعث وزيره أبا القاسم بن علي بالاعتذار فبعث اليه في الطاعة فأجابه وحمله الضربة فاعتذر بقتال الكرج وأمّا سعد صاحب فارس فبلغ الخبر بأسره الى ابنه نصره الدين أبي بكر فهاج بخلعان أبيه وأطلق السلطان سعدا على أن يعطيه قلعة إصطخر ويحمل اليه ثلث الخراج وزوجه بعض قرابته وبعث معه من رجال الدولة من يقبض إصطخر فلما وصل الى شيراز وجد ابنه منتقضا فداخله بعض أمراء ابنه وفتح له باب شيراز ودخل على ابنه واستولى على ملكه وخطب لخورزم شاه واستولى خوارزم شاه على شاوره وقروين وجرجان واهر وهمدان وأصبهان وقم وقاشان وسائر بلاد الجبل واستولى عليها كلها من أصحابها واختص الامير طائين بهمدان وولى ابنه ركن الدولة ياور شاه عليهم جميعاً وجعل معه جمال الدين محمد بن سابق الشاوي وزيراً.

* (طلب الخطبة وامتناع الخليفة منها) *

ثم بعد ذلك بعث خوارزم شاه محمد بن تكش الى بغداد يطلب الخطبة بها من الخليفة كما كانت لبني سلجوق وذلك سنة أربع عشرة وذلك لما رأي من استفحال أمره واتساع ملكه فامتنع الخليفة من ذلك وبعث في الاعتذار عنه الشيخ شهاب الدين السهر وردي فأكبر السلطان مقدمه وقام لتلقيه وأول ما بدأ به الكلام على حديث الخطبة ببغداد وجلس على ركبتيه لاستماعه ثم تكلم وأطال وأجاد وعرض بالموعظة في معاملة النبي صلى الله عليه وسلم في بني العباس وغيرهم والتعرض لاذيتهم فقال السلطان حاش لله من ذلك وأنا ما آذيت أحدا منهم وأمير المؤمنين كان أولى مني بموعظة الشيخ فقد بلغني أن في محبسه جماعة من بني العباس مجلدين يتناسلون فقال الشيخ الخليفة اذا حبس أحدا للاصلاح لا يعترض عليه فيه فما بوسع الا للنظر في المصالح ثم ودّعه السلطان ورجع الى بغداد^(١) وكان ذلك قبل أن يسير الى العراق^(٢) فلما استولى على بلاد الجبل وفرغ من أمرها سار الى بغداد وانتهى الى عقبة سراباد وأصابه هنالك ثلج عظيم أهلك الحيوانات وعفن أيدي الرجال وأرجلهم حتى

(١) أي رجع الشيخ الى بغداد

(٢) أي يسير السلطان الى العراق

قطعوها ووصله هنالك شهاب الدين السهر وردي ووعظه فندم ورجع عن قصده فدخل الى خوارزم سنة خمس عشرة والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق .

* (قسمة السلطان خوارزم شاه الملك بين ولده) *

ولما استكمل السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش ملكه بالاستيلاء على الريّ وبلاد الجبل قسم أعمال ملكه بين ولده فجعل خوارزم وخراسان ومازندان لوليّ عهده قطب الدين أولاغ شاه وانما كان وليّ عهده دون ابنه الاكبر جلال الدين منكبرس لأن أمّ قطب الدين وأمّ السلطان وهي تركمان خاتون من قبيلة واحدة وهم فياروت من شعوب يملك إحدى بطون الخطا فكانت تركمان خاتون متحكمة في ابنها السلطان محمد بن تكش وجعل غزنة وباميان والغور وبست ومكساماد وما من الهند لابنه جلال الدين منكبرس وكرمان وكيس ومكرمان لابنه غياث الدين يترشاه وبلاد الجبل لابنه ركن الدين غور شاه كما قدّمناه وأذن لهم في ضرب النوب الخمس له وهي دباب صغار تفرع عقب الصلوات الخمس واختص هو بنوبة سماها نوبة ذي القرنين سبع وعشرين دبدبة كانت مصنوعة من الذهب والفضة مرصعة بالجواهر هكذا ذكر الوزير محمد بن أحمد السنوي المنشي كاتب جلال الدين منكبرس في أخباره أنه علاء الدين محمد بن تكش وعلى كتابه اعتمدت دون غيره لانه أعرف بأخبارهما وكانت كرمان ومكران وكيش لمؤيد الملك قوام الدين وهلك منصرف السلطان من العراق فأقطعها لابنه غياث الدين كما قلناه وكان الملك هذا سوقة فأصبح ملكا وأصل خبره أن أمّه كانت داية في دار نصرة الدين محمد بن أبرز صاحب زوزن ونشأ في بيته واستخدمه وسفر عنه للسلطان فسعى به أنه من الباطنية ثم رجع فخوّفه من السلطان بذلك فانقطع نصرة الدين الى الاسماعيلية وتحصن ببعض قلاع زوزن وكتب قوام الدين بذلك الى السلطان فجعل اليه وزارة زوزن وولاية جبايتها ولم يزل يخادع صاحبه نصرة الدين الى أن راجع فتمكن من السلطان وسمله ثم طمع قوام الدين في ملك كرمان وكان بها أمير من بقية الملك دينار وأمّده السلطان بعسكر من خراسان فملك كرمان وحسن موقع ذلك من السلطان فلقبه مؤيد الملك وجعلها في أقطاعه ولما رجع السلطان من العراق وقد نفقت جماله بعث اليه بأربعة آلاف بختي وتوفي أثر ذلك فردّ السلطان أعماله الى ابنه غياث الدين كما قلناه وحمل من تركته الى السلطان سبعون حملا من الذهب خلا الاصناف .

* (أخبار تركمان خاتون أمّ السلطان محمد بن تكش) *

كانت تركمان خاتون أمّ السلطان محمد بن تكش من قبيلة يياروت من شعوب الترك يملك من الخطا وهي بنت خان جبكش من ملوكهم تزوّجها السلطان خوارزم شاه تكش فولدت له السلطان محمدا فلما ملك لحق بها طوائف يملك ومن جاورهم من الترك واستظهرت بهم وتحكمت في الدولة فلم يملك السلطان معها أمره وكانت تولى في النواحي من جهتها كما يولي السلطان وتحكم بين الناس وتنحف من الظلامات وتقدم على الفتك والقتل وتقيم معاهد الخير والصدقة في البلاد وكان لها سبعة من الموقعين يكتبون عنها وإذا عارض توقيعها لتوقيع السلطان عمل بالمتأخر منها وكان لقبها خداوند جهان أي صاحبة العالم وتوقيعها في الكتاب عصمة الدنيا والدين اولاغ تركمان ملك نساء العالمين وعلامتها اعتصمت بالله وحده تكتبها بقلم غليظ وتجود كتابتها أن ترور عليها واستورت للسلطان وزيره نظام الملك وكان مستخدما لها فلما عزل السلطان وزيره أشارت عليه بوزارة نظام الملك هذا فوزر له على كره من السلطان وتحكم في الدولة بتحكمها ثم تنكر له السلطان لامور بلغته عنه وعزله فاستمر على وزارتها وكان شأنه في الدولة أكبر وشكاه اليه بعض الولاة بنواحي خوارزم أنه صادره فأمر بعض خواصه بقتله ففنته تركمان من ذلك وبقي على حاله وعجز السلطان عن انفاذ أمره فيه والله يؤيد بنصره من يشاء .

التر

* (خروج التتر وغلبهم على ما وراء النهر) *

* وفرار السلطان أمامهم من خراسان) *

ولما عاد السلطان من العراق سنة خمس عشرة كما قدّمناه واستقرّ بنيسابور وفدت عليه رسل جنكزخان بهدية من المعدنين ونوافج المسك وحجر البشم والثياب الطائية التي تسج من وبر الابل البيض ويخبر أنه ملك الصين وما يليها من بلاد الترك ويسأل الموادة والاذن للتجار من الجانبين في التردّد في متاجرهم وكان في خطابه اطراء السلطان بأنه مثل أعز أولاده فاستنكف السلطان من ذلك واستدعى محمودا الخوارزمي من الرسل واصطنعه ليكون عينا له على جنكزخان واستخبره على ما قاله في كتابه من ملكه الصين واستيلائه على مدينة

طوغاج فصدق ذلك ونكر عليه الخطاب بالولد وسأله عن مقدار العساكر فغشه وقللها وصرفهم السلطان بما طلبوه من المودة والاذن للتجار فوصل بعض التجار من بلادهم الى انزار وبها نيال خان ابن خال السلطان في عشرين ألفا من العساكر فشره الى أموالهم وخاطب السلطان بأنهم عيون وليسوا بتجار فأمره بالاحتياط عليهم فقتلهم خفية وأخذ أموالهم وفشا الخبر الى جنكزخان فبعث بالنكير الى السلطان في نقض العهد وان كان فعل نيال افتياتا فبعث اليه يتهدده على ذلك فقتل السلطان الرسل وبلغ الخبر الى جنكزخان فسار في العساكر واعترم السلطان أن يحصن سمرقند بالاسوار فجبي لذلك خراج ستين وجبي ثالثة استخدم بها الفرسان وسار الى احياء جنكزخان فكبسهم وهو غائب عنها في محاربة كشلي خان فغتم ورجع واتبعهم ابن جنكزخان فكانت بينهم واقعة عظيمة هلك فيها كثير من الفريقين ولحق خوارزم شاه الى جيحون فأقام عليه ينتظر شأن التتر ثم عاجله جنكزخان فأجفل وتركها وفرق عساكره في مدن ما وراء النهر انزار وبخارى وسمرقند وترمز وجند وأنزل آبنائخ من كبراء أمرائه وحجاب دولته في بخارى وجاء جنكزخان الى انزار فحاصرها وملكها غلابا وأسر أميرها نيال خان الذي قتل التجار وأذاب الفضة في أذنيه وعينيه ثم حاصر بخارى وملكها على الامان وقاتلوا معه القلعة حتى ملكوها ثم غدر بهم وقتلهم وسلبهم وخرّبها ورحل جنكزخان الى سمرقند ففعلوا فيها مثل ذلك سنة تسع عشرة وسمّائة ثم كتب كتباً على لسان الامراء قرابة أم السلطان يستدعون جنكزخان ويعدها بزيادة خراسان الى خوارزم وبعث من يستخلفه على ذلك وبعث الكتب مع من يتعرّض بها للسلطان فلما قرأها ارتاب بأمره وبقرابته .

* (اجفال السلطان خوارزم شاه الى خراسان ثم الى طبرستان

ومهلكه) *

ولما بلغ السلطان استيلاء جنكزخان على انزار وبخارى وسمرقند وجاءه نائب بخارى ناجيا في الفلّ أجفل حينئذ وعبر جيحون ورجع عنه طوائف الخطا الذين كانوا معه وعلاء الدين صاحب قيدير وتحاذل الناس وسرح جنكزخان العساكر في أثره نحو من عشرين ألفا يسميهم التتر المغرّبة لسيرهم نحو غرب خراسان فتوغلوا في البلاد وانتهوا الى بلاد يبجوروا كتسحوا كل ما مروا عليه ووصل السلطان الى نيسابور فلم يثبت بها ودخل الى ناحية العراق بعد أن أودع أمواله قال المنشي في كتابه حدثني الامير تاج الدين البسطامي قال لما انتهى خوارزم شاه في مسيره الى العراق استحضرنى وبين يديه عشرة صناديق مملوءة لآلى لا تعرف قيمتها وقال في

اثنين منها فيها من الجواهر ما يساوي خراج الارض بأسرها وأمرني بحملها الى قلعة اردهر من أحصن قلاع الارض وأخذت خط يد الموالي بوصولها ثم أخذها التتر بعد ذلك حين ملكوا العراق انتهى ولما ارتحل خوارزم شاه من نيسابور قصد مازندران والتتر في أثره ثم انتهى الى أعمال همدان فكبسوه هناك ونجا الى بلاد الجبل وقتل وزيره عماد الملك محمد بن نظام الملك وأقام هو بساحل البحر بقرية عند الفريضة يصلي ويقرأ ويعاهد الله على حسن السيرة ثم كبسه التتر أخرى فركب البحر وخاضوا في أثره فغلبهم الماء ورجعوا ووصلوا الى جزيرة في بحر طبرستان فأقام بها وطرقة المرض فكان جماعة من أهل مازندران يمرضونه ويحمل اليه كثيرا من حاجته فيوقع لحاملها بالولايات والاقطاع وأمضى ابنه جلال الدين بعد ذلك جميعها ثم هلك سنة سبع عشرة وسمائة ودفن بتلك الجزيرة لاحدى وعشرين سنة من ملكه بعد أن عهد لابنه جلال الدين منكبرس وخلع ابنه الاصغر قطب الدين أولاغ شاه ولما بلغ خبر اجفاله الى أمه تركيان خاتون بخوارزم خرجت هاربة بعد أن قتلت نحو من عشرين من الملوك والاكابر المحبوسين هنالك ولحقت بقلعة ايلان من قلاع مازندران فلما رجع التتر المغربية عن السلطان خوارزم شاه بعد ان خاض بحر طبرستان الى الجزيرة التي مات بها فقصدوا مازندران وملكوا قلاعها على ما فيها من الامتناع ولقد كان فتحها بأخر الى سنة تسعين أيام سليمان بن عبد الملك فلكوها واحدة واحدة وحاصروا تركيان خاتون في قلعة ايلان الى أن ملكوا القلعة صلحا وأسروها وقال ابن الاثير انهم لقوها في طريقها الى مازندران فأحاطوا بها وأسروها ومن كان معها من بنات السلطان وتزوجهن التتر وتزوج دوش خان بن جنكزخان باحداهن وبقيت تركيان خاتون أسيرة عندهن في خمول وذل وكانت تحضر سباط جنكزخان كاحداهن وتحمل قوتها منه وكان نظام الملك وزير السلطان مع أمه تركيان خاتون فحصل في قبضة جنكزخان وكان عندهم معظما لما بلغهم من تنكر السلطان له وكانوا يشاورونه في أمر الجباية فلما استولى دوش خان على خوارزم وجاء بحرم السلطان الذين كانوا بها وفيهم مغنيات فوهب احداهن لبعض خدمه فنعت نفسها منه ولحأت للوزير نظام الملك فشكاه ذلك الخادم لجنكزخان ورماه بالجارية فأحضره جنكزخان وعدد عليه خيانة استاذه وقتله .

مسير التتر بعد مهلك خوارزم شاه من العراق

الى أذربيجان وما وراءها من البلاد هنالك

ولما وصل التتر الى الري في طلب خوارزم شاه محمد بن تكش سنة سبع عشرة وسمائة ولم

يخدوه عادوا الى همدان واكتسحوا ما مروا عليه وأخرج اليهم أهل همدان ما حضرهم من الاموال والثياب والدواب فأمّنوهم ثم ساروا الى زنجان ففعلوا كذلك ثم الى قزوین فامتنعوا منهم فحاصروها وملكوها عنوة واستباحوها ويقال أنّ القتلى بقزوین زادوا على أربعين ألفا ثم هجم غلهم الشتاء فساروا الى أذربيجان على شأنهم من القتل والاكتساح وصاحبها يومئذ أزيك بن البهلوان مقيم بتبريز عاكف على لذاته فراسلهم وصانعهم وانصرفوا الى بوقان ليشتوا بالسواحل ومروا الى بلاد الكرج فجمعوا لقتالهم فهزمهم التتر وأنخنوا فيهم فبعثوا الى ازيك صاحب أذربيجان وإلى الإشراف بن العادل بن أيوب صاحب خلاط والجزيرة يطلبون اتصال أيديهم على مدافعة التتر وانضاف الى التتر اقرش من موالي أزيك واليه ^(١) جموع من التركمان والاكراد وسار مع التتر الى الكرج واكتسحوا بلادهم وانتهوا الى بلقين ^(٢) وسار اليهم الكرج فلقيهم اقرش أولا ثم لقيهم التتر فانهزم الكرج وقتل منهم ما لا يحصى وذلك في ذي القعدة من سنة سبع عشرة ثم عاد التتر الى مراغة ومروا بتبريز فصانعهم صاحبها كعادته وانتهوا الى مراغة فقاتلوها أياما وبها امرأة تملكها ثم ملكوها في صفر سنة ثمانى عشرة واستباحوها ثم رحلوا عنها الى مدينة اربل وبها مظفر الدين بن ^(٣) فاستمد بدر

الدين صاحب الموصل فأمدّه بالعساكر ثم هم بالخروج لحفظ الدروب على بلاده فجاءت كتب الخليفة الناصر اليهم جميعا بالمسير الى دقوقا ليقبضوا بها مع عساكره ويدافع عن العراق وبعث معهم بشتمركبير امرائه وجعل المقدّم على الجميع مظفر الدين صاحب اربل فحاموا عن لقاء التتر وخام التتر عن لقاءهم وساروا الى همدان وكان لهم بها شحنة منذ ملكوها أولا فطالبوه بقرض المال على أهلها وكان رئيس همدان شريفا علويا قديم الرئاسة بها فحضرهم على ذلك فضجروا وأسأوا الردّ عليه وأخرجوا الشحنة وقاتلوا التتر وغضب العلوي فتسلل عنهم الى قلعة بقريها فامتنع وزحف التتر الى البلد فملكوه عنوة واستباحوه واستلحموا أهلهم ثم عادوا الى أذربيجان فملكوا أذربيل واستباحوها وخرّبوها وساروا الى تبريز وقد فارقها ازيك بن البهلوان صاحب أذربيجان وآران وقصد لقجوان وبعث بأهله وحرمه الى حوى فرارا من التتر لعجزه وانهماكه فقام بأمر تبريز شمس الدين الطغراني وجمع أهل البلد واستعدّ للحصار فأرسل اليه التتر في المصانعة فصانعهم وساروا الى مدينة سوا

(١) اي وانضاف اليه .

(٢) وهي البليقان كما في معجم البلدان .

(٣) كذا بياض بالأصل ج ١٢ ص ٤٢٣ : مظفر الدين كوكبيري بن زين الدين علي صاحب إربل .

فاستباحوها وخربوها وساروا الى بيلقان فحاصروها وبعثوا الى أهل البلد رجلا من أكابرهم يقرر معهم في المصانعة والصلح فقتلوه فأسرى التتر في حصارهم وملكوا البلد عنوة في رمضان سنة ثمان عشرة واستلحموا أهلها وأفحشوا في القتل والمثلة حتى بقروا البطون على الأجنة واستباحوا جميع الضاحية قتلا ونهباً وتخريباً ثم ساروا الى قاعدة آران وهي كنجة ورأوا امتناعها فطلبوا المصانعة من أهلها فصانعوهم ولما فرغوا من أعمال أذربيجان وآران ساروا الى بلاد الكرج وكانوا قد جمعوا لهم واستعدّوا ووقعوا في حدود بلادهم فقالتهم التتر فهزموهم الى بلقين قاعدة ملكهم فجمعوا هنالك ثم خاموا عن لقائهم لما رأوا من اقتحامهم المضائق والجبال فعادوا الى بلقين واستولى التتر على نواحيها فخرّبوها كيف شاؤا ولم يقدروا على التوغل فيها لكثرة الاوغار والدوسرات فعادوا عنها ثم قصدوا درنبر^(١) شروان وحاصروا مدينة ساهي^(٢) وفتكوا في أهلها ووصلوا الى السور فعالوه باشلاء القتل حتى ساموه^(٣) واقتحموا البلد فأهلكوا كل من فيه ثم قصدوا الدرنبر فلم يطبقوا عبوره فأرسلوا الى شروان في الصلح فبعث اليهم رجلا من أصحابه فقتلوا بعضهم واتخذوا الباقين أذلاء فسلكوا بهم درنبر شروان وخرجوا الى الارض الفسيحة وبها أُمم القفجاق واللان واللكن وطوائف من الترك مسلمون وكفار فأوقعوا بتلك الطوائف واكتسحوا عامّة البسائط وقاتلهم قفجاق واللان ودافعوهم ولم يطق التتر مغالبتهم ورجعوا وبعثوا الى القفجاق وهم واثقون بمسالمتهم فأوقعوا بهم وجر من كان بعيدا منهم الى بلاد الروس واعتصم آخرون بالجبال والأغياض واستولى التتر على بلادهم وانتهوا الى مدينتهم الكبرى سراي على بحر نيطش المتصل بخليج القسطنطينية وهي مادّتهم وفيها تجارتهم فملكها التتر واقترب أهلها في الجبال وركب بعضهم الى بلاد الروم في ايالة بني قلعج ارسلان ثم سار التتر سنة عشر وستائة من بلاد قفجاق الى بلاد الروم المجاورة لها وهي بلاد فسيحة وأهلها يدينون بالنصرانية فساروا الى مدافعتهم في تخوم بلادهم ومعهم جموع من القفجاق سافروا اليهم فاستطرد لهم التتر مراحل ثم كروا عليه وهم غارون فطاردهم القفجاق والروم أياما ثم انهزموا وأثنى التتر فيهم

(١) وهي مدينة درنبد (معجم البلدان).

(٢) وهي مدينة شياخي (معجم البلدان).

(٣) كذا ، وفي الكامل ج ١٢ ص ٣٨٤ : ثم ان التتر صعدوا سورها بالسلايم ، وقيل بل جمعوا كثيرا من الجبال والبقر والغنم وغير ذلك ، ومن قتل الناس منهم ومن قتل من غيرهم ، والقوا بعضه فوق بعض وصار مثل التل وصعدوا عليه .

قتلا وسبوا ونهبوا وركبوا السفن هاربين الى بلاد المسلمين وتركوا بلادهم فاكسحها التتر ثم عادوا اليها وقصدوا بلغار أوأخر السنة واجتمع أهلها وساروا للقائهم بعد أن أكرموا لهم ثم استطردوا أمامهم وخرج عليهم الكناء من خلفهم فلم ينج منهم الا القليل وارتحلوا عائدين الى جنكرخان بأرض الطالقان ورجع القفجاق الى بلادهم واستقروا فيها والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء .

* (أخبار خراسان بعد مهلك خوارزم شاه) *

قد كنا قدّمنا مهلك خوارزم شاه ومسير هؤلاء التتر المغربة في طلبه ثم انتهائهم بعد مهلكه الى النواحي التي ذكرناها وكان جنكرخان بعد اجفال خوارزم شاه من جيحون وهو بسمرقند قد بعث عسكريا الى ترمذ فساروا منها الى كلات من أحصن القلاع الى جانب جيحون فاستولوا عليها وأوسعوها نهبا وسير عسكريا آخر الى فرغانة وكذلك عسكريا آخر الى خوارزم وعسكريا آخر الى خوزستان فعبر عسكري خراسان الى بلخ وملكوها على الأمان سنة سبع وسبعمائة ولم يعرضوا لها ببعث وانزلوا شحنتهم بها ثم ساروا الى زوزن وميمنة وايدخوي وفارياب فملكوها وولوا عليها ولم يعرضوا لاهلها بأذى وانما استنفروهم لقتال البلد معهم ثم ساروا الى الطالقان وهي ولاية متسعة فقصدوا قلعة صوركوه من أمتع بلادها فحاصروها ستة أشهر وامتنعت عليهم فسار اليهم جنكرخان بنفسه وحاصرها أربعة أشهر أخرى حتى اذا رأى امتناعها أمر بنقل الخشب والتراب حتى اجتمع منه تلّ مشرف على البلد واستيقن أهل البلد الهلكة واجتمعوا وفتحوا الباب وصدّقوا الحملة ففجأ الخيالة وتفرّقوا في الجبال والشعاب وقتل الرجال ودخل التتر البلد فاستباحوها ثم بعث جنكرخان صهره قفجاق قوين الى خراسان ومرواسا وقتلوا فامتنعت عليهم وقتل قفجاق قوين فأقاموا على حصارها وملكوها عنوة واستباحوها وخربوها ويقال قتل فيها أزيد من سبعين ألفا وجمع عدداً من الجثث فكان كالتلال العظيمة وكان رؤساؤها بني حمزة بخوارزم منذ ملكها خوارزم شاه تكش فعاد اليها اختيار الدين جنكي بن عمر بن حمزة وبوعمه وضبطوها ثم بعث جنكرخان ابنه في العساكر الى مدينة مرو واستنفر أهل البلاد التي ملكوها قبل مثل بلخ واخواتها وكان الناجون من هذه الوقائع كلها قد لحقوا بمرو واجتمع بها ما يزيد على مائتي ألف وعسكروا بظاهرها لا يشكون في الغلب فلما قاتلهم التتر صابروهم فوجدوا في مصابرتهم ما لم يحتسبوه فولوا منهزمين وأثنّ التتر فيهم ثم حاصروا البلد خمسة أيام وبعثوا الى اميرها يستميلونه للترول عنها

فاستأمن اليهم وخرج فأكرموه أولاً ثم أمروا باحضار جنده للعرض حتى استكملوا وقبضوا عليهم ثم استكتبوه رؤساء البلد وتجاره وصناعه على طبقاتهم وخرج أهل البلد جميعا وجلس لهم جنكزخان على كرسي من ذهب فقتل الجند في صعيد واحد^(١) وقسم العامة رجلا وأطفالا ونساء بين الجند فاقسموهم وأخذوا أموالهم وامتحنوهم في طلب المال ونشوا القبور في طلبه ثم أحرقوا البلد وتربة السلطان سنجر ثم استلحم في اليوم الرابع أهل البلد جميعا يقال كانوا سبعائة ثم ساروا الى نيسابور وحاصروها خمسا ثم اقتحموها عنوة وفعلوا فيها فعلهم في مرو وأشدد ثم بعثوا عسكرياً الى طوس وفعلوا فيها مثل ذلك وخربوها وخربوا مشهد علي بن موسى الرضا ثم ساروا الى هراة وهي من أمنع البلاد فحاصروها عشرا وملكوها وأمنوا من بقي من أهلها وأنزلوا عندهم شحنة وساروا لقتال جلال الدين بن خوارزم شاه كما يذكر بعد فوثب أهل هراة على الشحنة وقتلوه فلما رجع التتر منهزمين اقتحموا البلد واستباحوه وخربوه وأحرقوه ونهبوا نواحيه اجمع وعادوا الى جنكزخان بالطالقان وهو يرسل السرايا في نواحي خراسان حتى أتوا عليها تخريبا وكان ذلك كله سنة سبع عشرة وبقيت خراسان خرابا وتراجع أهلها بعض الشيء فكانوا فوضى واستبد آخرون في بعض مدنها كما نذكر ذلك في أماكنه والله أعلم .

أخبار السلطان جلال الدين منكبرس مع التتر بعد مهلك خوارزم شاه واستقراره بغزنة

ولما توفي السلطان خوارزم شاه محمد بن تكش بجزيرة بحر طبرستان ركب ولده البحر الى خوارزم يقدمهم كبيرهم جلال الدين منكبرس وقد كان وثب بها بعد منصرف تركان خاتون أمّ خوارزم شاه رجل من العيارين فضبطها وأساء السيرة وانطلقت اليها أيدي العيارين ووصل بعض نواب الديوان فأشاعوا موت السلطان فقرّ العيارون ثم جاء جلال الدين واخوته واجتمع الناس اليهم فكانوا معهم سبعة آلاف من العساكر أكثرهم الياورونية قرايه أمّ خوارزم شاه فقالوا الى أولاغ شاه وكان ابن أختهم كما مرّ وشاوروا في الوثوب بجلال الدين وخلعه ونفى الخبر اليه فسار الى خراسان في ثلثمائة فارس وسلك المفازة الى بلد نسا فلقى هنالك رسدا من التتر فهزمهم ولحقا فلهم الى نسا وكان بها الاسير اختيارزكي بن محمد بن

(١) وفي الكامل ج ١٢ ص ٣٩٢ : وأمر أن يحضر اولئك الاجناد الذين قبض عليهم فاحضروا وضربت رقابهم جراً ، والناس ينظرون اليهم ويبكون .

عمر بن حمزة قد رجع اليها من خوارزم كما قدّمناه وضبطها فاستلحم فل التتروبلغ وبعث الى جلال الدين بالمدد فسار الى نيسابور ثم وصلت عساكر التتروالى خوارزم بعد ثلاث من مسير جلال الدين فأجفل أولاغ وأخوته وساروا في اتباعه ومروا بنسا فسار معهم اختيار الدين صاحبها واتبعتهم عساكر التتروأدركوهم بنواحي خراسان وكبسوهم فقتل أولاغ شاه وأخوه انشاه واستولى التتروعلى ما كان معهم من الاموال والذخائر وافترقت في أيدي الجند والفلاحين فبيعت بأبخس الاثمان ورجع اختيار الدين زنكي الى نسا فاستبد بها ولم يسم الى مراسم الملك وكتب له جلال الدين بولايتها فراجع أحوال الملك ثم بلغ الخبر الى جلال الدين بزحف التتروالى نيسابور وأن جنكزخان بالطالقان فسار الى نيسابور ومن نيسابور الى بست واتبعه نائب هراة أمير ملك ابن خال السلطان خوارزم شاه في عشرة آلاف فارس هاربا أمام التترووقصد سجستان فامتنعت عليه فرجع واستدعاه جلال الدين فسار اليه واجتمعوا فكبسوا التترووهم محاصرون قلعة قندهار فاستلحموهم ولم يفلت منهم أحد فرجع جلال الدين الى غزنة وكانت قد استولى عليها اختيار الدين قربوشت صاحب الغور عندما ساروا اليها عن جلال الدين صريخا عن أمس ملك سجستان فخالفه قربوشت اليها وملكها فثار به صلاح الدين النسائي والى قلعتها وقتله وملك غزنة ، وكان بها رضا الملك شرف الدين بن أمور ففتك به رضا الملك واستبد بغزنة فلما ظفر جلال الدين بالتتروعلى قندهار رجع الى غزنة فقتله وأوطنها وذلك سنة ثمان عشرة .

* (استيلاء التتروعلى مدينة خوارزم وتخريبها) *

قد كنا قدّمنا أن جنكزخان بعدما أجفل خوارزم شاه من جيحون بعث عساكره الى النواحي وبعث الى مدينة خوارزم عسكرا عظيما لعظمها لانها كرسي الملك وموضع العساكر فسارت عساكر التترواليها مع ابنه جنطاي واركتاي فحاصروها خمسة أشهر ونصبوا عليها الآلات فامتنعت فاستمدّوا عليها جنكزخان فأمدّهم بالعساكر متلاحقة فزحفوا اليها وملكوا جانبها منها وما زالوا يملكونها ناحية ناحية الى أن استوعبوها ثم فتحوا السد الذي يمنع ماء جيحون عنها فسار اليها جيحون فغرقها وانقسم أهلها بين السيف والغرق هكذا قال ابن الأثير وقال النسائي الكاتب أن دوشن خان بن جنكزخان عرض عليهم الامان فخرجوا اليه فقتلهم أجمعين وذلك في محرم سنة سبع عشرة ولما فرغ التترومن خراسان وخوارزم رجعوا الى ملكهم جنكزخان بالطالقان .

* (خبر آبنايخ نائب بخارى وتغلبه على خراسان ثم فراره أمام التتر الى الري) *

كان آبنايخ^(١) امير الامراء والحجاب أيام خوارزم شاه وولاه ثانياً بخارى فلما ملكها التتر عليه كما قلناه أجفل الى المفازة وخرج منها الى نواحي نسا وراسله اختيار الدين صاحبها يعرضها عليه للدخول عنده فأبى فوصله وأمدده وكان رئيس بشخوان من قرى نسا أبو الفتح فدخل التتر فكتب الى شحنة خوارزم بمكان آبنايخ فجرد اليهم عسكرا فهزمه آبنايخ وأثنى فيهم وساروا الى بشخوان فحاصروها وملكوها عنوة وهلك أبو الفتح أيام الحصار ثم ارتحل آبنايخ الى ابيورد وقد تغلب تاج الدين عمر بن مسعود على ابيورد وما بينها وبين مرو فجئى خراجها واجتمع عليه جماعة من أكابر الامراء وعاد الى نسا وقد توفى نائبها اختيار الدين زنكي ومملك بعده ابن عمه عمدة الدين حمزة بن محمد بن حمزة فطلب منه آبنايخ خراج سنة ثمان عشرة وسار الى شروان وقد تغلب عليها ايكجي بهلوان فهزمه وانتزعها من يده ولحق بهلوان بجلال الدين في الهند واستولى آبنايخ خان على عامة خراسان وكان تكين بن بهلوان متغلبا بمرو فعبر جيحون وكبس شحنة التتر ببخارى فهزمه سنة سبع ورجع الى شروان وهم باتباعه ولحقوا بآبنايخ خان على جرجان فهزمه ونجا الى غياث الدين يتر شاه بن خوارزم شاه بالري فأقام عنده الى أن هلك كما نذكر ان شاء الله تعالى .

* (خبر ركن الدين غور شاه صاحب العراق من ولد خوارزم شاه) *

قد كان تقدم لنا أن السلطان لما قسم ممالكه بين أولاده جعل العراق في قسمة غورشاه منهم ولما أجفل السلطان الى ناحية الري لقيه ابنه غورشاه ثم سار الى الري الى كرمان فملكها تسعة أشهر ثم بلغه أن جلال الدين محمد بن آبه القزويني وكان بهمدان أراد أن يملك العراق واجتمع اليه بعض الامراء وأن مسعود بن صاعد قاضي اصبهان مائل اليه فعاجله ركن الدولة واستولى على اصبهان وهرب القاضي الى الاتابك سعد بن زنكي صاحب فارس فأجاره وبعث ركن الدين العساكر لقتال همدان فتخاذلوا ورجعوا دون قتال ثم مضى الى الري ووجد بها قوما من الاسماعيلية يحاولون اظهار دعوتهم ثم زحف التتر الى ركن الدولة فحاصروه بقلعة رواند واقتحموها فقاتلوه واستأمن اليهم ابن آبه صاحب همدان فأمنوه ودخلوا همدان فولوا عليها علاء الدين الشريف الحسيني عوضا من ابن آبه .

(١) وفي مكان آخر : آبنايخ .

* (خبر غياث الدين ثير شاه صاحب كرمان من ولد السلطان خوارزم شاه) *

قد كنا قدّمنا أنّ السلطان خوارزم شاه ولى ابنه غياث الدين ثير شاه كرمان وكيش ولم ينفذ اليها أيام أبيه ولما كانت الكبة على قزوین خلص الى قلعة ماروت من نواحي اصبهان وأقام عند صاحبها ثم رجع الى اصبهان ومّر به التتر ذاهبين الى أذربيجان فحاصروه وامتنع عليهم وأقام بها الى آخر سنة عشرين وسّمائة فلما جاء أخوه ركن الدين غور شاه من كرمان الى اصبهان لقيه هنالك وحرّضه غياث الدين على كرمان فنهض اليها وملكها فلما قتل ركن الدين كما قلناه سار غياث الدين الى العراق وكان ركن الدين لما ولاه أبوه العراق جعل معه الامير بقاطا بستي اتابكين^(١) فاستبدّ عليه فشكاه الى أبيه وأذن له في حبسه فحبسه ركن الدين بقلعة سرجهان فلما قتل ركن الدين كما قلناه أطلقه نائب القلعة أسد الدين حولي فاجتمع عليه الناس وكثير من الامراء واستماله غياث الدين وأصهر اليه بأخته وماطله في الزفاف يستبرئ ذهاب الوحشة بينها وكانت اصبهان بعد مقتل ركن الدين غلب عليها أربك خان واجتمعت عليه العساكر وزحف اليه الامير بقاطا بستي فاستنجد اربك غياث الدين فانجده بعسكر مع الامير دولة ملك وعاجله بقاطا بستي فهزمه بظاهر اصبهان وقتله وملكها ورجع دولة ملك الى غياث الدين فزحف غياث الدين الى اصبهان وأطاعه القاضي والرئيس صدر الدين وبادر بقاطا بستي الى طاعته ورضي عنه غياث الدين وزفّ اليه أخته واستولى غياث الدين على العراق ومازندان وخراسان وأقطع مازندان وأعمالها دولة ملك وبقاطا بستي همذان وأعمالها ثم زحف غياث الدين الى اذربيجان وشنّ الغارة على مراغة وتردّدت رسل صاحب اذربيجان اربك بن البهلوان في المهادنة فهادنه وتزوّج بأخته صاحب بقحوان وقويت شوكته وعظم فكان بقاطا بستي في دولته وتحكم فيها ثم حدثته نفسه بالاستبداد وانتقض وقصد اذربيجان وبها مملوكان متقضيان على اربك بن البهلوان فاجتمعا معه وزحف اليهم غياث الدين فهزمهم ورجعوا مغلوبين الى اذربيجان ويقال إنّ^(٢) الخليفة دسّ بذلك الى بقاطا بستي وأغراه بالخلاف على غياث الدين ثم لحق بغياث الدين آبنايخ خان نائب بخارى مفلتا من واقعة مع التتر يجران فأكرمه وقدمه ونافسه خال السلطان دولة ملك وأخوه وسعوا اليها فزجرهما عنه فذهبا مغاضبين ووقع

(١) وفي بعض النسخ بقاطا بستي اتابكاً وفي الكامل ج ١٢ ص ٤١٥ . ايغان طائسي
(٢) كذا بياض بالاصل وفي الكامل ج ١٢ ص ٤١٥ : وقيل ان الخليفة الناصر لدين الله اقطعته البلاد سراً .

دولة ملك في عساكر التتر بمرو وزنجان فقتل وهرب ابنه بركة خان الى ازبك باذريجان ثم أوقع عساكر التتر بقاطا سستي وهزموه ونجا الى الكرم وخلص القل الى غياث الدين وعاد التتر الى ما وراء جيحون ثم تذكر^(١) صاحب فارس سعد الدين بن زنكي وكاتبته أهل اصبهان حين كانوا منهزمين عنه فسار اليه وحاصره في قلعة اصطخر وملكها ثم سار الى شيراز وملكها عليه عنوة ثم سار الى قلعة حرة فحاصرها حتى استأمنوا وتوفي عليها آتبايخ خان ودفن هنالك بشعب سلمان وبعث عسكرياً الى كازرون فملكها عنوة واستباحها ثم سار الى ناحية بغداد وجمع الناس الجموع من اربل وبلاد الجزيرة ثم راسل غياث الدين في الصلح فصالحه ورجع الى العراق .

* (أخبار السلطان جلال الدين منكبرس وهزيمته أمام التتر ثم عوده الى الهند) *

قد كان تقدّم لنا أن أباه خوارزم شاه لما قسم البلاد بين ولديه جعل في قسمه غزنة وباميان والغور وبست وهكيا باد وما يليها من الهند واستتاب عليها أمير ملك وأنزله غزنة فلما انهزم السلطان خوارزم شاه أمام التتر زحف اليه حربوشة والي الغور فملكها من يده وكان من أمره ما قدّمناه الى أن استقرّ بها رضا الملك شرف الدين ولما أجفل جلال الدين من نيسابور الى غزنة واستولى التتر على بلاد خراسان وهرب أمراؤها فلاحقوا بجلال الدين فقتل نائب هراة أمين الملك خال السلطان وقد قدّمنا محاصرته بسجستان ثم مراجعته طاعة السلطان جلال الدين ولحق به أيضا سيف الدين بقراق البلخي وأعظم ملك من بلخ ومظهر ملك والحسن فرحف كل منهم في ثلاثين ألفا ومع جلال الدين من عسكره مثلها فاجتمعوا وكسوا التتر المملوكة محاصرين قلعة قندهار كما قلناه واستلحموهم ولحق قلمهم جنكزخان فبعث ابنه طولي خان في العساكر فساروا الى جلال الدين فلقبهم بشروان وهزمهم وقتل طولي خان بن جنكزخان في المعركة وذهب التتر منهزمين واختلف عسكر السلطان جلال الدين على الغنائم وتنازع سيف الدين بقراق مع أمين الملك نائب هراة وتحيز الى العراق وأعظم ملك ومظهر ملك وقتلوا أمين الملك فقتل أخ لبقرق وانصرف مغاضبا الى الهند وتبعه أصحابه ولاطفهم جلال الدين ووعظهم فلم يرجعوا وبلغ خبر الهزيمة الى جنكزخان فسار في أمم التتر وسار

(١) كذا بياض بالاصل وفي الكامل ج ١٢ ص ٤٢٠ : ففي آخر سنة عشرين وسبعمائة سار الى بلاد فارس ، فلم يشعر صاحبها وهو اتابك سعد بن دكلا الا وقد وصل غياث الدين الى بلاده .

جلال الدين فلقى مقدّمة عساكره فلم يفلت من التتر الا القليل ورجع فترل على نهر السند وبعث بالصريخ الى الامراء المنحرفين عنه وعاجله جنكرخان قبل رجوعه فهزمه بعد القتال والمصابرة ثلاثا وقتل أمين الملك قريب أبيه واعترض المنهزمين نهر السند ففرق أكثرهم وأسر ابن جلال الدين فقتل وهو ابن سبع سنين ولما وقف جلال الدين على النهر والتتر في اتباعه فقتل أهله وحرمه جميعا واقتحم النهر بفرسه فخلص الى عدوته وتخلص من عسكره ثلثمائة فارس وأربعة آلاف راجل وبعض أمرائه ولقوه بعد ثلاث وتخلص بعض خواصه بمركب مشحون بالاقوات والملابس فسد من حاجتهم وتحصن أعظم ملك ببعض القلاع وحاصره جنكرخان وملكها عنوة وقتله ومن معه ثم عاد التتر الى غزنة فلكوها واستباحوها وأحرقوها وخربوها واكتسحوا سائر نواحيها وكان ذلك كله سنة تسع عشرة ولما سمع صاحب جبل جردي من بلاد الهند بجلال الدين جمع للقاءه وخام جلال الدين وأصحابه عن اللقاء لما نهكهم الحرب فرجعوا ادراجهم وأدركهم صاحب جلال الدين صوري فقاتلهم وهزموه وملكوا أمرهم وبعث اليهم نائب ملك الهند فلاطفهم وهاداهم والله تعالى وليّ التوفيق .

* (أخبار جلال الدين بالهند) *

كان جماعة من أصحاب جلال الدين وأهل عسكره لما عبروا اليهم حصلوا عند قباجة ملك الهند منهم بنت أمين الملك خلصت الى مدينة ارجاء من عمله ومنهم شمس الملك وزير جلال الدين حياة أبيه ومنهم قزل خان بن أمين الملك خلص الى مدينة كلور فقتله عاملها وقتل قباجة شمس الملك الوزير لخبر جلال الدين بأموره وبعث أمين الملك ولحق بجلال الدين جماعة من أمراء أخيه غياث الدين فقوى بهم وحاصر مدينة كلور وافتتحها وافتتح مدينة ترنوخ كذلك فجمع قباجة للقاءه وسار اليه جلال الدين فخام عن اللقاء وهرب وترك معسكره فغنمه جلال الدين بما فيه وسار الى لهاوون^(١) وفيها ابن قباجة ممتنع عليه فصالحه على مال يحمله ورحل الى تستشان وبها فخر الدين السلوي نائب قباجة فتلقاه بالطاعة ثم سار الى اوجا وحاصرها فصالحوه على المال ثم سار الى جانس وهي لشمس الدين اليتشمي من ملوك الهند ومن موالي شهاب الدين الغوري فأطاعه أهلها وأقام بها وزحف اليه ايتش في ثلاثين الف فارس ومائة ألف راجل وثلثمائة فيل وزحف جلال الدين في عساكره وفي مقدّمته جرجان بهلوان ازبك واختلفت المقدّمتان فلم يمكن اللقاء وبعث ايتش في الصلح

(١) هي مدينة لاهور.

فجئح اليه جلال الدين ثم اجتمع قباجة وايتش وسائر ملوك الهند فخام عن لقائهم ورجع لطلب العراق واستخلف جهان بهلوان الملك على ما ملك من الهند وعبر النهر الى غزنة فولى عليها وعلى الغور الامير وقاملك واسمه الحسن فزلف وسار الى العراق وذلك سنة احدى وعشرين بعد مقدمه لها بستين .

* (أحوال العراق وخراسان في ايامه غياث الدين) *

كان غياث الدين بعد مسير جلال الدين الى الهند اجتمع اليه شراد^(٢) العساكر بكرمان وسار بهم الى العراق فللك خراسان ومازندان كما تقدم وأقام منهمكا في لذاته واستبد الامراء بالنواحي فاستولى قائم الدين على نيسابور وتغلب يقز بن ايلجي بهلوان على شروان وتملك ينال خطا بهاتر ونظام الملك اسفراين ونصرة الدين بن محمد مستبد بنسا كما مر واستولى تاج الدين عمر بن مسعود التركاني على أبيورد وغياث الدين مع ذلك منهمك في لذاته وسارت اليه عساكر التتر فخرج لهم عن العراق الى بلاد الجبل واكتسحوا سائر جهاته واشتط عليه الجند وزادهم في الاقطاع والاحسان فلم يشبعهم وأظهروا الفساد وعاثوا في الرعايا وتحكمت أم السلطان غياث الدين في الدولة لاغفاله أمرها واقتفت طريقة تركمان خاتون أم السلطان خوارزم شاه وتلقبت بلقبها خداوند جهان الى أن جاء السلطان جلال الدين فغلب عليه كما قلناه .

وصول جلال الدين من الهند الى كرمان وأخباره بفارس والعراق مع أخيه غياث الدين

ولما فارق جلال الدين الهند كما قلناه سنة احدى وعشرين وسار الى المفازة وخلص منها الى كرمان بعد أن لقي بها من المتاعب والمشاق مالا يعبر عنه وخرج معه أربعة آلاف راكب على الحمير والبقر ووجد بكرمان براق الحاجب نائب أخيه غياث الدين وكان من خبر براق هذا أنه كان حاجبا لكوخان ملك الخطا وسفر عنه الى خوارزم شاه فأقام عنده ثم ظفر خوارزم شاه بالخطا وولاه حجابته ثم صار الى خدمة ابنه غياث الدين ترشه بمكران فأكرمه ولما سار جلال الدين الى الهند ورجع عنه التتر سار غياث الدين لطلب العراق فاستتاب براق في

(٢) والصحيح : شرد جمع شرد ، او شرد جمع شارد . اي الخارج عن الطاعة .

كرمان فلما جاء جلال الدين من الهند اتهمه وهمّ بالقبض عليه فنهاه عن ذلك وزيره شرف الملك فخر الدين علي بن أبي القاسم الجندي خواجا جهان أن يستوحش الناس لذلك ثم سار جلال الدين الى شيراز وأطاعه صاحبها برد الاتابك وأهدى له وكان أتابك فارس سعد بن زنكي قد استوحش من غياث الدين فاصطلحه جلال الدين وأصهر اليه في ابنته ثم سار الى اصبهان فأطاعه القاضي ركن الدين مسعود يستعطفه وأهدى له سلب طولي خان بن جنكزخان الذي قتل في حرب بزوان كما مرّ وفرسه وسيفه ودس الى الامراء الذين معه بالاستمالة فالوا اليه ووعدوه بالمظاهرة ونمى الخبر الى غياث الدين فقبض على بعضهم ولحق الآخرون بجلال الدين فجاءوا به الى المخيم قال اليه أصحاب غياث الدين وعساكره واستولى على مخيمه وذخائره وأمه ولحق غياث الدين بقلعة سلوقان وعاتب جلال الدين أمه في فراره فاستدعته وأصلحت بينهما ووقف غياث الدين موقف الخدمة لأخيه السلطان جلال الدين وجاء المتغلبون بخراسان والعراق واذعنوا الى الطاعة وكانوا من قبل مستبدين على غياث الدين فاختر السلطان طاعتهم وعمل فيها على شاكلتها والله أعلم .

* (استيلاء ابن آبنايخ على نسا) *

كان نصرة الدين بن محمد قد استولى على نسا بعد ابن عمه اختيار الدين كما مرّ واستتاب في أموره محمد بن أحمد النسائي المنشي صاحب التاريخ المعتمد عليه في نقل أخبار خوارزم شاه وبنه فأقام فيها تسع عشرة سنة مستندا على غياث الدين ثم انتقض عليه وقطع الخطبة له فسرّح اليه غياث الدين العساكر مع طوطي بن آبنايخ وأنجده بارسلان وكتب المتغلبين بمساعدته فراجع نصرة الدين محمد بن حمزة نفسه وبعث نائبه محمد بن أحمد المنشي الى غياث الدين بمال صالحه عليه فبلغه الخبر في طريقه بوصول جلال الدين واستيلائه على غياث الدين فأقام باصبهان ينتظر صلاح السابلة وزوال الثلج ثم سار الى همذان فوجد السلطان غائبا في غزو الاتابك بقطا بستي وكان من خبره أنه صهر الى غياث الدين على أخته كما قدّمنا فهرب بعد خلعه الى اذربيجان واتفق هو والاتابك سعد وسار اليهما جلال الدين فخالفه الامير ايغان طائسي الى همذان وسار الى جلال الدين وكبسه هنالك فأخذه ثم أمنه وعاد الى مخيمه ولقيه وافد نصرة الدين على بلاد نسا وما يتاخمها وبعث الى ابن آبنايخ بالافراج عن نسا ثم بلغ الخبر بعد يومين بهلاك نصرة الدين واستيلاء ابن آبنايخ على نسا .

* (مسير السلطان جلال الدين الى خوزستان ونواحي بغداد) *

ولما استولى السلطان جلال الدين على أخيه غياث الدين واستقامت أموره سار الى خوزستان شاتيا وحاصر قاعدتها مظفر الدين وجه السبع مولى الخليفة الناصر وانتهت سراياه في الجهات الى بادرايا والى البصرة فأوقع بهم تلكين^(١) نائب البصرة وجاءت عساكر الناصر مع مولاه جلال الدين قشتمر وخاموا عن اللقاء وأوفد ضياء الملك علاء الدين محمد بن مودود السوي العارض على الخليفة ببغداد عاتبا وكان في مقدمته جهان بهلوان فلي في طريقه جمعا من العرب وعساكر الخليفة فرجع وأوقع بهم ورجعوا الى بغداد وحيء بأسرى منهم الى السلطان فأطلقهم واستعد أهل بغداد للحصار وسار السلطان الى يعقوبا على سبع فراسخ من بغداد ثم الى دقوقا فللكها عنوة وخربها وقالت بعوثة عسكر تكريت وترددت الرسل بينه وبين مظفر الدين صاحب اربل حتى اصطلحوا واضطربت البلد بسبب ذلك وأفسد العرب السابلة وأقام ضياء الملك ببغداد الى أن ملك السلطان مراغة والله تعالى أعلم .

* (أولية الوزير شرف الدين) *

هذا الوزير هو فخر الدين علي بن القاسم خواجه جهان ويلقب شرف الملك أصله من اصفهان وكان أول أمره ينوب عن صاحب الديوان بها وكان نجيب الدين الشهرستاني وزير السلطان وابنه بهاء الملك وزير الجند وفخر الدين هذا يخدمه بها ثم تمكن من منصب الافتاء وطمح الى مغالبة نجيب الدين على الوزارة وسعى عند السلطان بأنه تناول من جبايتها مائتي ألف دينار فسامحه بها السلطان ولم يعرض له ثم سعى بفخر الدين ثانية فولى وزارة الجند وأقام بها أربع سنين حتى عبر السلطان الى بخارى فكثرت به الشكايات فأمر بالقبض عليه فاختمى ولحق بالطالقان الى أن اتصل بجلال الدين حين كان بغزنة بعد مهلك ابنه فرتبه في الحجابة الى أن أجاز بحر السند وكان وزيره شهاب الدين الهروي فقتله قباجة ملك الهند كما مر واستوزر جلال الدين مكانة فخر الدين هذا ولقبه شرف الملك ورفع رتبته على الوزراء وموقفه وسائر آدابه وأحواله .

(١) وفي الكامل ج ١٢ ص ٤٢٦ : شحنة البصرة الامير ملتكين

* (عود التتر الى الريّ وهمذان وبلاد الجبل) *

وبعد رجوع التتر المغربة من أذربيجان وبلاد قفقاق وسروان كما قدّمناه وخراسان يومئذ فوضى ليس بها ولاية الا متغلبون من بعض أهلها بعد التخراب الأول والنهب فعمروها فبعث جنكزخان عسكرياً آخر من التتر اليها فنهبها ثانياً وخرّبوها وفعلوا في ساوة وقاشان وقم مثل ذلك ولم يكن التتر أولاً أصابوا منها ثم ساروا الى همذان فاجفل أهلها وأوسعوها فيها وتخربوا وساروا في اتباع أهلها الى أذربيجان وكبسوهم في حدودها فأجفلوا وبعضهم قصد تبريز فسار التتر في اتباعهم وراسلوا صاحبها ازبك بن البلهوان في اسلام من عنده فبعث بهم بعد ان قتل جماعة منهم وبعث برؤوسهم وصانعهم بما أرضاهم فرجعوا عن بلاده والله تعالى أعلم .

* (وقائع أذربيجان قبل مسير جلال الدين اليها) *

لما رجع التتر من بلاد قفقاق والروس وكانت طائفة من قفقاق لما افترقوا وفروا أمام التتر ساروا الى درنبر شروان واسم ملكه يومئذ رشيد وسألوه المقام في بلاده وأعطوه الرهن على الطاعة فلم يجهم رية بهم فسألوه الميرة فأذن لهم فيها فكانوا يأتون اليها زرافات وتنصح له بعضهم بأنهم يرومون الغدر به وطلب منه الانجاد بعسكره وسار في أثرهم فأوقع بهم وهم باخلون بالطاعة فرجع ذلك القفقاق بالعسكر ثم بلغه انهم رحلوا من مواضعهم فاتبعهم ثانياً بالعساكر حتى أوقع بهم ورجع الى رشيد ومعه جماعة منهم مستأمنين وقد اختفى فيهم كبير من مقدميهم وتلاحق به جماعة منهم فاعترموا على الوثوب فهرب خائفاً ولحق ببلاد شروان واستولت طائفة القفقاق على القلعة وعلى مخلف رشيد فيها من المال والسلاح واستدعوا أصحابهم فلحقوا بهم واعتزموا وقصدوا قلعة الكرج فحاصروها وخالفهم رشيد الى القلعة فللكها وقتل من وجد بها منهم فعادوا من حصار تلك المدينة الى درنبر وامتنعت عليهم القلعة فرجعوا الى تلك المدينة فاكسحوا نواحيها وساروا الى كنجة من بلاد آران وفيها مولى لازبك صاحب أذربيجان فراسلوه بطاعة ازبك فلم يجهم اليها وعدد عليهم ما بدر منهم في الغدر ونهب البلاد واعتذروا بأنهم انما غدروا شروان لانه منعهم الجواز الى صاحب أذربيجان وعرضوا عليه الرهن فجاءهم بنفسه ولقوه في عدد قليل فعدا عن محال التهمة فبعث بطاعتهم الى سلطانه وبعث بذلك الى ازبك وجاء بهم الى كنجة فأفاض فيهم الخلع والاموال وأصهر اليهم وأنزلهم يجبل كيكلون وجمع لهم الكرج فأواهم الى كنجة ثم

سار اليهم أمير من أمراء قفجاق ونال منهم فرجعوا الى جبل كيكلون وسار القفجاق الذين كبسوهم الى بلاد الكرج فاكثسحوها وعادوا فاتبعهم الكرج واستنقذوا الغنائم منهم وقتلوا ونهبوا فرحل القفجاق الى بردعة وبعثوا الى أمير كنجة في المدد على الكرج فلم يجهم فطلبوا رهنهم فلم يعطهم فذّوا أيديهم في المسلمين واسترهنوا أضعاف رهنهم وثار بهم المسلمون من كلّ جانب فلحقوا بشروان وتخطفهم المسلمون والكرج وغيرهم فافنوهم وبيع سبيهم وأسراهم بابخس ثمن وذلك كله سنة تسع عشرة وكانت مدينة فيلقان من بلاد ارّان فأخّر بها الترك كما قدّمناه وساروا عنها الى بلاد قفجاق فعاد اليها أهلها وعمروها وسار الكرج في رمضان من هذه السنة اليها فلكوها وقتلوا أهلها وخرّبوها واستفحل الكرج ثم كانت بينهم وبين صاحب خلاط غازي بن العادل بن أيوب واقعة هزمهم فيها وأثنّ فيهم كما يأتي في دولة بني أيوب ثم انتفض على شروان شاه ابنه وملك البلاد من يده فسار الى الكرج واستصرخ بهم وساروا معه فبرز ابنه اليهم فهزمهم وأثنّ فيهم فتشام الكرج بشروان شاه فطرده عن بلادهم واستقر ابنه في الملك واغتبط الناس بولايته وذلك سنة اثنتين وعشرين ثم سار الكرج من تغليس الى أذربيجان وأتوها من الاعمار والمضائق يظنون صعوبتها على المسلمين فسار المسلمون وولّحو المضائق اليهم فركب بعضهم بعضا منهزمين ونال المسلمون منهم أعظم النيل وبينما هم يتجهزون لآخذهم الثار من المسلمين وصلهم الخبر بوصول جلال الدين الى مراغة فرجعوا الى مراسلة ازبك صاحب أذربيجان في الاتفاق على مدافعتة وعاجلهم جلال الدين عن ذلك كما نذكره ان شاء الله تعالى .

* (استيلاء جلال الدين على أذربيجان وغزو الكرج) *

قد تقدّم لنا مسير جلال الدين في نواحي بغداد وما ملك منها وما وقع بينه وبين صاحب اربل من الموافقة والصلح ولما فرغ من ذلك سار الى أذربيجان سنة اثنتين وعشرين وقصد مراغة أولا فملكها وأقام بها وأخذ في عمارتها وكان بغان طابش^(١) حال أخيه غياث الدين مقيا بأذربيجان كما مرّ فجمع عساكره ونهب البلد وسار الى ساحل ارّان فشتى هنالك ولما عاث جلال الدين في نواحي بغداد كما قدّمناه بعث الخليفة الناصر الى بغان طابش وأغراه بجلال الدين وأمره بقصد همدان واقطعه اياماً وما يفتحه من البلاد فعاجله جلال الدين وصبحه بنواحي همدان على غرة وعابن الجند فسقط في يده وأرسل زوجته أخت

(١) ورد اسمه في الكامل : ايغان طابشي .

السلطان جلال الدين فاستأمنته له فأمنه وجرد العساكر عنه وعاد الى مراغة وكان ازبك بن بهلولان قد فارق تبريز كرسي ملكه الى كنجة فأرسل جلال الدين الى أهل تبريز يأمرهم بميرة عسكره فأجابوا الى ذلك وترددت عساكره اليها فتجمع الناس وشكا أهل تبريز الى جلال الدين ذلك فأرسل اليهم شحنة يقيم عندهم للنصفة بين الناس وكانت زوجة ازبك بنت السلطان طغرل بك بن ارسلان وقد تقدّم ذكرها في أخبار سلفها مقيمة بتبريز حاكمة في دولة زوجها ازبك ثم ضجر أهل تبريز من الشحنة فسار جلال الدين اليها وحاصرها خمسا واشتد القتال وعابهم بما كان من اسلام أصحابه الى التتر فاعتذروا بأن الأمر في ذلك لغيرهم والذنب لهم ثم استأمنوا فأمنهم وأمر ببنت السلطان طغرل وأبقى لها مدينة طغرل الى خوي كما كانت وجمع ما كان لها من المال والاقطاع وملك تبريز منتصف رجب سنة اثنتين وعشرين وبعث بنت السلطان طغرل الى خوي مع خادمية فليح وهلال وولى على تبريز ربيها نظام الدين ابن أخي شمس الدين الطغرائي وكان هو الذي داخله في فتحها وأفاض العدل في أهلها وأوصلهم اليها وبالغ في الاحسان اليهم ثم بلغه آثار الكرج في أذربيجان وإران وأرمينية ودرنبر شروان وما فعلوه بالمسلمين فاعترم على غزوهم وبلغه اجتماعهم برون فسار اليهم وعلى مقدمته جهان بهلولان الكعبي فلما تراءى الجمعان وكان الكرج على جبل لم يستلوه فتنسبت اليهم العساكر الاوعار فانهمزوا وقتل منهم أربعة آلاف أو يزيدون وأسر بعض ملوكهم واعتصم ملك آخر منهم ببعض قلاعهم فجهاز جلال الدين عليها عسكرا لحصارها وبعث عساكره في البلاد فعاثوا فيها واستباحوها .

* (فتح السلطان مدينة كنجة ونكاحه زوجة ازبك) *

لما فرغ السلطان من أمر الكرج واستولى على بلادهم وكان قد ترك وزيره شرف الدين بتبريز للنظر في المسالحي وولى عليها نظام الملك الطغرائي فقصده الوزير به وكتب الى السلطان بأنه وعمه شمس الدين داخلوا أهل البلد في الانتقاض واعادة ازبك لشغل السلطان بالكرج فلما بلغ ذلك الى السلطان أسره حتى فرغ من أمر الكرج وترك أخاه غياث الدين نائبا على ما ملك منها وأمره بتدوين بلادهم وتخريبها وعاد الى تبريز فقبض على نظام الملك الطغرائي وأصحابه فقتلهم وصادر شمس الدين على مائة ألف وحبسه بمراغة ففر منها الى ازبك ثم لحق ببغداد وحج سنة خمس وعشرين وبلغ السلطان تنصله في المطاف ودعاؤه على نفسه أن كان فعل شيئا من ذلك فأعاده الى تبريز ورد عليه أملاكه ثم بعثت اليه زوجة ازبك في

الخطبة وأن ازبك حثت فيها بالطلاق فحكم قاضي تبريز عز الدين القزويني بجلها للنكاح فتروجها السلطان جلال الدين وسار اليها فدخل في خوي ومات ازبك لما لحقه من الغم بذلك ثم عاد السلطان الى تبريز فأقام بها مدة ثم بعث العساكر مع ارخان الى كنجة من أعمال نغجوان وكان بها ازبك فقارقتها وترك بها جلال الدين القمي نائباً فلكها عليه ارخان واستولى على أعمالها مثل وشمكورو بردعة وشنة وانطلقت أيدي عساكره في النهب فشكا ازبك الى جلال الدين فكتب الى ارخان بالمنع من ذلك وكان مع ارخان نائب الوزير الى السلطان فعزل ارخان وذهب مغاضباً الى أن قتله الاسماعيليه وفي آخر رمضان من سنة اثنتين وعشرين توفي الخليفة الناصر لسبع وأربعين سنة من خلافته واستخلف بعده ابنه الظاهر أبو نصر محمد بعهدة اليه بذلك كما مر في أخبار الخلفاء .

* (استيلاء جلال الدين على تفليس من الكرج بعد هزيمته
اياهم) *

كان هؤلاء الكرج اخوة الارمن وقد تقدم نسبة الارمن الى ابراهيم عليه السلام وكان لهم استيلاء بعد الدولة السلجوقية وكانوا من أهل دين النصرانية فكان صاحب أرمن الروم يخشاهم ويدين لهم بعض الشيء حتى ان ملك الكرج كان يخلع عليه فيلبس خلعتة وكان شروان صاحب الدرنبر يخشاهم وكذلك ملكوا مدينة أرجيش من بلاد ارمنية ومدينة فارس وغيرها وحاصروا مدينة خلاط قاعدتها فأسر بها مقدمهم ايواي وفادوه بالرحيل عنهم بعد ان اشتراطوا عليه متابعتهم لهم في قلعة خلاط فبنوها وكذلك هزموا ركن الدولة فليحا ارسلان صاحب بلاد الروم لما زحف لاختيه طغرل شاه بارزن الروم استنجدهم طغرل فأنجدهم وحزموا ركن الدين أعظم ما كان ملكا واستفحالا وكانوا يحوسون خلال أذربيجان ويعيثون في نواحيها وكان ثغر تفليس من أعظم الثغور طرزا على من يحاوره منذ عهد الفرس وملكه الكرج سنة خمس عشرة وخمسمائة أيام محمود بن ملك شاه ودولة السلجوقية يومئذ أفحل ما كانت وأوسع ايالة وأعمالا فلم يطق ارتجاعه من أيديهم واستولى ايلدكر بعد ذلك وابنه الهلوان على بلاد الجبل والري وأذربيجان واران وارمنية وخلاط وجاورهم بكرسيه ومع ذلك لم يطلق ارتجاعه منهم فلما جاء السلطان جلال الدين الى أذربيجان وملكها زحف الى الكرج وهزمهم سنة اثنتين وعشرين وعاد الى تبريز في مهمه كما قدمناه فلما فرغ من مهمه ذلك وكان قد ترك العساكر ببلاد الكرج مع أخيه غياث الدين ووزيره شرف الدين فأغذ

السير اليه غازيا من تبريز وقد جمع الكرج واحتشدوا وأمدّهم الففجاق واللكر وساروا للقاء فلما التقى الفريقان انهزم الكرج وأخذتهم سيوف المسلمين من كلّ جانب ولم يبقوا على أحد حتى استلحموهم وافنؤهم ثم قصد جلال الدين تفليس في ربيع الأول سنة ثلاث وعشرين ونزل قريبا منها وركب يوما لاستكشاف أموالها وترتيب مقاعد القتال عليها وأكمن الكائن حولها وأطلع عليهم في خف من العسكر فطمعوا فيه وخرجوا فاستطرد لهم حتى تورطوا والتفت عليهم الكائن فهربوا الى البلد والقوم في اتباعهم ونادى المسلمون من داخلها بشعار الاسلام وهتفوا باسم جلال الدين فالقى الكرج بأيديهم وملك المسلمون البلد وقتلوا كل من فيها الامن اعتصم بالاسلام واستباحوا البلد وامتلات أيديهم بالغنائم والاسرى والسبايا وكان ذلك من أعظم الفتوحات هذه سياقة ابن الاثير في فتح تفليس وقال النسائي الكاتب أن السلطان جلال الدين سار نحو الكرج فلما وصل نهر ارس مرض واشتد الثلج ومر بتفليس فبرز أهلها للقتال فهزمهم العساكر وأعجلوهم عن دخولها فلكوها واستباحوها وقتلوا من كان فيها من الكرج والارمن واعتصم أهلها بالقلعة حتى صالحوا على أموال عظيمة فحملوها وتركوهم .

* (انتقاض صاحب كرمان ومسير السلطان اليه) *

ولما اشتغل السلطان جلال الدين بشأن الكرج وتفليس طمع براق الحاجب في الانتقاض بكرمان والاستيلاء على البلاد وقد كنا قدمنا خبره وان غياث الدين استخلفه على كرمان عند مسيره الى العراق وان جلال الدين لما رجع من الهند ارتاب به وهم بالقبض عليه ثم تركه وأقره على كرمان فلما انتقض الآن وبلغ خبره الى السلطان وهو معترزم على قصد خلاط فتركها وأغد السير اليه واستصحب أخاه غياث الدين ووعد بكرمان وترك مخلفه بكيكلون وترك وزيره شرف الدين بتفليس وأمره باكتساح بلاد الكرج وقدم الى صاحب كرمان بالخلع والمقاربة والوعد فارتاب بذلك ولم يطمئن وقصد بعض قلاعها فاعتصم بها ورجع الرسول الى جلال الدين فلما علم أن المكيدة لم تتم عليه أقام بأصهبان وبعث اليه وأقره على ولايته وعاد وكان الوزير شرف الدين بتفليس كما قلناه وضاق الحل به من الكرج وأرجف عند الامراء بكيكلون أن الكرج حاصروه بتفليس فسار ارخان منهم في العساكر الى تفليس ثم وصل البشير من نقجوان برجوع السلطان من العراق فأعطاه الوزير أربعة آلاف دينار ثم افترقت العساكر في بلاد الكرج وبها ابواني مقدّمهم مع بعض أعيانهم وبعث عسكرا آخر

الى مدينة فرس واشتد عليها الحصار ثم جمر العساكر عليها وعاد الى تفليس .

* (مسير جلال الدين الى حصار خلاط) *

كانت خلاط في ولاية الاشرف بن العادل بن أيوب وكان نائبه بها حسام الدين علي الموصلية وكان الوزير شرف الدين حين أقام بتفليس عند مسير جلال الدين الى كرمان ضاقت على عساكره الميرة فبعث عسكرا منهم الى أعمال أرزن الروم فاكثسحوا نواحيها ورجعوا ففروا بخلاط فخرج نائبها حسام الدين واعترضهم واستنقذ ما معهم من الغنائم وكتب الوزير شرف الدين بذلك الى جلال الدين وهو بكرمان فلما عاد جلال الدين من كرمان وحاصر مدينة اني استقر حسام الدين نائب خلاط للامتناع منه فارتحل هو الى بلاد انخاز ليأتيه على غرة ورحل جلال الدين من انخاز فسار الى خلاط وحاصر مدينة ملاذ كرد في ذي القعدة من السنة وانتقل منها الى مدينة خلاط وحاصرها وضيق محققها وقتلها مراراً واشتد أهل البلد في مدافعتهم لما يعملون من سيرة الخوارزمية اللوائية وكانوا متغلبين على الكثير من بسائط ارمينية وأذربيجان فبلغه أنهم أفسدوا البلاد وقطعوا السابلة وأخذوا الضريبة من أهل خوي وخربوا سائر النواحي وكتب اليه بذلك نوابه وبنت السلطان طغرل زوجته فلما رحل عن خلاط قصدهم على غرة قبل أن يصعدوا الى حصونهم يجلبهم الشاهقة فأحاطت بهم العساكر واستباحوهم واقتسموهم بين القتل والغنيمة وعاد الى تبريز .

* (دخول الكرج مدينة تفليس واحراقها) *

ولما عاد السلطان من خلاط وغزو التركمان فرق عساكره للمشقة وكان الامراء أساؤا السيرة الى تفليس وهرب العسكر الذين بها واستلحموا بقيتهم وخربوا البلاد وحرقوها لعجزهم عن حمايتها من جلال الدين وذلك في ربيع سنة أربع وعشرين وستائة وعند النسائي الكاتب أن استيلاء الفرنج على تفليس واحراقهم اياها كان والسلطان جلال الدين على خلاط وانه لما بلغه ذلك رجع وأغار على التركمان في طريقه لما بلغه من افسادهم فنهب أموالهم وساق مواشيهم الى موقان وكان خمسمها ثلاثين ألفاً ثم سار الى خوي لملاقاة بنت طغرل ثم سار الى كنجة فبلغه الخبر بانصراف الكرج على تفليس بعد احراقها قال ولما وصل كنجة قدم عليه هنالك خاموش بن الاتابك ازبك بن البهلوان مؤدياً منطقة بلخش قدر الكف مصنوعاً عليه منقوشاً اسم كيكافوس وجماعة من ملوك الفرس فغير السلطان ضناعتها ونقشها على اسمه

وكان يلبس تلك المنطقة في الاعياد وأخذها التتريوم كبسوه وحملت الى الخان الاعظم ابن جنكرخان بقراقدم وأقام خاموش في خدمة السلطان الى أن صرعه الفقر ولحق بعلاء الملك ملك الاسماعيليه فتوفي عنده انتهى كلام النسائي .

* (أخبار السلطان جلال الدين مع الاسماعيليه) *

كان السلطان جلال الدين بعد وصوله من الهند الى ارخان على نيسابور وأعمالها وكان وعده بذلك بالهند فاستخلف عليها وأقام مع السلطان وكان نائبه بها يتعرض لبلاد الاسماعيليه المتاخمة له بهستان وغيرها بالنهب والقتل فأوفدوا على السلطان وهو بخوي وقد أمنهم يشكون من نائب ارخان وأساء عليهم ارخان في المجاورة ولما عاد السلطان الى كنجة وكان قد أقطعها وأعمالها لارخان فلما خيم بظاهرها وثب ثلاثة من الباطنية ويسمون الفداوية لانهم يقتلون من أمرهم أميرهم بقتله ويأخذون فديتهم منه وقد فرغوا عن انفسهم فوثبوا به فقتلوه وقتلهم العامة وكانت الاسماعيليه قد استولوا على الدامغان أيام الفتنة ووصل رسوهم بعد هذه الواقعة الى السلطان وهو ببيلقان فطالبهم بالتزول على الدامغان فطلبوا ضمانها بثلاثين ألف دينار وقررت عليهم وكان الرسول الوافد في خدمة الوزير وهم راجعون الى أذربيجان فاستخفه الطرب ليلة وأحضر له خمسة من الفداوية معه بالعسكر وبلغ خبرهم السلطان فأمره باحراقهم انتهى كلام النسائي وقال ابن الاثير أن السلطان بعد مقتل ارخان سار في العساكر الى بلاد الاسماعيليه من الموت الى كردكوه فاكسحها وخرّبها وانتقم منهم وكانوا بعد واقعته قد طمعوا في بلاد الإسلام فكيف عاديتهم وقطع اطاعهم وعاد قبلغه أن طائفة من التتر بلغوا الدامغان قريبا من الريّ فسار اليهم وهزمهم وأثنى فيهم ثم جاء الخبر بأن جموع التتر متلاحقة لحربه فأقام في انتظارهم في الريّ انتهى .

* (استيلاء حسام الدين نائب خلاط على مدينة خوى) *

قد تقدّم لنا أن بنت السلطان طغرل زوجة ازبك بن الهلوان لما ملك السلطان جلال الدين تبريز من يدها أقطعها مدينة خوى ثم تزوّجها بعد ذلك كما قدّمناه وتركها لما هو فيه من أشغال ملكه فوجدت لذلك ما فقدته من الغزو والتحكم قال النسائي الكاتب وأضاف لها السلطان مدينتي سلماس وارمينيه وعين رجلا لقبض أقطاعها فتنكر لها وأغرى بها الوزير فكاتب السلطان بأنها تداخل الاتابك ازبك وتكاتبه ثم وصل الوزير الى خوى فترل بدارها

واستصفي وكانت مقيمة بقلعة طلع فحاصرها وسألت المضي الى السلطان فأبى الا نزولها على حكمه انتهى وكان أهل خوى مع ذلك قد ضجروا من ملكة جلال الدين وجوره وتسلط عساكره فاتفقت الملكة معهم وكتبوا حسام الدين الحاجب النائب عن الاشرف بخلاط فسار اليهم في مغيب السلطان جلال الدين بالعراق واستولى على مدينة خوى وأعمالها وما يحاورها من الحصون وكتبه أهل نقجوان وسلموها له وعاد الى خلاط واحتمل الملكة بنت طغرل زوجة جلال الدين الى خلاط الى أن كان ما نذكره .

* (واقعة السلطان مع التتر على أصبهان) *

ثم بلغ الخبر الى السلطان بأن التتر زحفوا من بلادهم فيما وراء النهر الى العراق فسار من تبريز للقائمهم ووجد أربعة آلاف فارس الى الريّ والدامغان طليعة فرجعوا وأخبروه بوصولهم الى أصبهان فنهض للقائمهم واستخلف العساكر على الاستماتة وأمر القاضي باصبهان باستنفار العامة وبعث التتر عسكرا الى الريّ فبعث السلطان عسكرا لاعتراضهم فأوقعوا بالتتر فنالوا منهم ثم التقي الفريقان في رمضان سنة خمس وعشرين لرابعة وصولهم الى أصبهان وانتقض عنه أخوه غياث الدين وجهان بهلوان الكجي في طائفة من العسكر وانهمزت مسيرة التتر والسلطان في اتباعهم وكانوا قد أكمّنوا له فخرجوا من ورائه وثبت واستشهد جماعة من الامراء وأسرا آخرون وفيهم علاء الدولة صاحب يزد ثم صدق السلطان عليهم الحملة فافرجوا له وسار على وجهه وانهمزت العساكر فبلغوا فارس وكرمان ورجعت ميمنة السلطان من قاشان فوجدوه قد انهزم فتفرقوا أشتاتا وفقد السلطان ثمانية من فرقه وكان يقاطى بستي مقيما باصبهان فاعترم أهل أصبهان على بيعته ثم وصل السلطان فاقصروا عن ذلك وتراجع بعض العسكر وسار السلطان فيهم الى الريّ وكان التتر قد حاصروا أصبهان بعد الهزيمة فلما وصل السلطان خرج معه أهل أصبهان فقاتلوا التتر وهزمهم وسار السلطان في اتباعهم الى الريّ وبعث العساكر وراءهم الى خراسان وعند ابن الاثير أن صاحب بلاد فارس وهو ابن الاتابك سعد الذي ملك بعد أبيه حضر مع السلطان في هذه الواقعة وأن التتر انهزموا أولا فاتبعهم صاحب فارس حتى اذا أبعدوا انفرد عن العسكر ورجع عنهم فوجد جلال الدين قد انهزم لانحراف أخيه غياث الدين وأمرائه عنه ومضى الى شهرم تلك الايام ثم عاد الى أصبهان كما ذكرناه .

* (الوحشة بين السلطان جلال الدين وأخيه غياث الدين) *

كان ابتداءها أن الحسن بن حرميل نائب الغوية بهراة لما قتلته عساكر خوارزم شاه محمد بن تكش وحاصروا وزيره الممتنع بها حتى اقتحموها عليه عنوة وقتلوه ، هرب محمد بن الحسن بن حرميل الى بلاد الهند فلما سار السلطان جلال الدين وحظى لديه وأقامه شحنة بأصبهان فلما سار السلطان الى أصبهان للقاء التتر انحرف جماعة من غلمان غياث الدين عنه فصاروا الى نصرة الدين بن حرميل واسترجعهم منه غياث الدين في بيته وطعنه فأشواه ومات لليل وأحفظ ذلك السلطان وأقام غياث الدين مستوحشا فلما كان يوم اللقاء انحرف عن أخيه ولحق بخوزستان وخاطب الخليفة فبعث اليه بثلاثين ألف دينار وسار من هنالك الى قلعة الموت عند صلاح الدين شيخ الاسماعيلية فلما رجع السلطان من وقعة التتر الى الري سار الى قلعة الموت وحاصرها فاستأمن علاء الدين الى السلطان لغياث الدين فأمنه وبعث من يأتيه به فامتنع غياث الدين وفارق القلعة واعترضه عساكر السلطان بنواحي همذان وأوقعوا به وأسروا جماعة من أصحابه ونجا الى براق الحاجب بكرمان فتزوج بأمة كرها ونفي اليه أنها تحاول سبه فقتلها وقتل معها جهان بهلوان الكجي وحبس غياث الدين ببعض القلاع ثم قتله بحبسها ويقال بل هرب من محبسه ولحق بأصبهان وقتل بأمر السلطان قال النسائي وقفت على كتاب براق الحاجب الى الوزير شرف الملك والسلطان بتبريز وهو يعدد سوابقه فعد منها قتله أعدى عدو السلطان والله تعالى وليّ التوفيق .

* (انتفاض البهلوانية) *

لما ارتحل السلطان والوزير شرف الملك معه وانتهى الى همذان بلغه أن الامراء البهلوانية اجتمعوا بظاهر تبريز يرومون الانتفاض واتبعه خاموش بن الاتابك ازبك من قلعة قوطور وكان مقبلا بها فرجع السلطان اليهم وقدم بين يديه الوزير شرف الملك فلقبهم قريبا من تبريز وهزمهم وقبض على الذين تولوا أكبر الفتنة منهم ودخل تبريز قصبتهم وقبض على القاضي المعزول فصادمه قوام الدين الحرادي ابن أخت الطغراني وصادره وسار السلطان للقاء التتر وأقام الوزير نائبا للبلاد .

* (ايقاع نائب خلاط بالوزير) *

ولما كان ما ذكرناه من مسير حسام الدين نائب خلاط الى أذربيجان واحتماله زوجة السلطان جلال الدين إلى خلاط امتنع الوزير لذلك فصار الى موقان من بلاد اران وجمع التركمان وفرق العمال للجباية وطلب الحمل من شروان شاه وهو خمسون ألف دينار فتوقف وأغار على بلاده فلم يظفر بشيء ورجع إلى أذربيجان وكانت بنت الأتابك بهلوان في بقجان فارقها مولانا ايدغمش وجاء الى الوزير فأطمعه فيها وصار الوزير مضمرًا الغدر بها وامتنعت عليه ونزل بالمرج فأكرمه وقربته ورحل الى حورس من أعمالها وكانت للاشرف صاحب خلاط أيام أزيك فانتشرت أيدي العسكر في تلك الضياع وقاتلها الوزير وجاء الحاجب صاحب خلاط في عساكره فانهزم الوزير ترك أثقاله وذلك سنة أربع وعشرين وكان مع الحاجب فخر الدين سام صاحب حلب وهشام الدين خضر صاحب تبريز برم وكان الوزير^(١) وتكاليفه فظهر الآن بمخلقه وخلص الوزير الى اران وسار الحاجب على في اتباعه ثم عاد الى تبريز ومرّ بخوى فنهبا ثم سار الى بقجان فملكها ثم الى تدمر كذلك وأقام الوزير بتبريز وكان بها الاتابك ازيك متنسكا منعه أهل تبريز من الدخول وحملوا اليه النفقة ثم جاء الخبر برجوع السلطان الى أصهبان بعد الهزيمة كما مرّ فصار الوزير الى أذربيجان ولقي ثلاثة من الامراء جاؤا مددا له من عند السلطان وأمره بحصار خوى فصار اليها وبها نائب الحاجب حسام الدين صاحب خلاط وهو بدر الدين بن صرهنك والحاجب حسام الدين على منوشهر فنهض اليه الوزير من خوى فتأخر الى تركري والتقى هنالك فانهمز الحاجب ودخل تركري فاعتصم بها وحاصره الوزير وطلب الصلح فلم يسعفه ورجع الامراء الذين كانوا معه بعساكرهم الى أذربيجان وأفرج الوزير عن حصار تركري ومرّ بخوى وقد فارقها ابن صرهنك الى قلعة قوطور واستأمن للسلطان من بعد ذلك ودخل الوزير مدينة خوى وصادر أهلها وسار الى ترمذ ونقجوان ففعل فيها مثل ذلك وانقطعت ايالة الحاجب صاحب خلاط والله أعلم .

(١) كذا بياض بالاصل ، ويظهر من الفصول التالية ان اسم هذا الوزير : ابو المكارم على بن أبي القاسم ، وانه كان منسبطاً في العطاء حتى استغرق اموال الديوان ، لذلك يكون مقتضى سياق العبارة هنا : وكان الوزير منسبطاً في عطائه وتكاليفه .

* (فتوحات الوزير باذريجان وأران) *

ولما تخلف الوزير عن السلطان صرف همه الى تمهيد البلاد ومدافعة صاحب خلاط وارتجاع البلاد التي ملك من اذريجان وأران وفتح القلاع العاصية فكان بينه وبين الحاجب حسام الدين صاحب خلاط ما ذكرناه وهو خلال ذلك يستميل أصحاب القلاع ويفيض فيهم الاموال والخلع حتى أجاب أكثرهم ثم قبض على ناصر الدين محمد من أمراء البهلوانية وكان معترلاً عند نصره الدين محمد بن سبكتكين فصادره على مال وتسلم من نائبه قلعة كانت بيده ثم مات نائب السلطان بكنجة اقسقر الاتابكي فنهض اليها وقبض على نائبه شمس الدين كرشاسف وصادره وتسلم منه قلعة هردوجاربرد من أعمال أَران ثم جر العساكر لحصار قلعة زونين وبها زوجة السلطان خاموش فأطال حصارها وعرضت عليه نكاحها فأبى ولما رجع السلطان من العراق تزوّجها وولىّ خادمه سعد الدين على القلعة فأساء اليها وانتزع أملاكها فأخرجوه وعادوا الى الانتفاض ولم يخلص الوزير من واقعه مع الحاجب نائب خلاط قصد أَران فجبي الاموال وجمع واحتشد وقصد قلعة مردانقين وكانت لصهر الوزير ركة الدين فصانعه بأربعة آلاف دينار حملها اليه ثم سار الى قلعة حاجين وبها جلال الدولة ابن أخت أبواني أمير الكرج فصالحه على عشرين ألف دينار وسبعائة أسير من المسلمين ثم كانت فتنة البهلوانية فسكنها وسرح الجند عنها وشرح الخبر عنها أن بعض مماليك اتابك اربك كان قد أفحش في قتل الخوارزمية بأذريجان عند زحفهم اليها أيام فرارهم من التتر فلما ملك السلطان جلال الدين أذريجان ومحاملك البهلوانية منها لحق الامير مقدي هذا بالاشرف بن العادل بن أيوب صاحب الشام وأقام عنده فلما بلغه انهزام الوزير شرف الملك أمام الحاجب حسام الدين نائب الاشرف بخلاط قر من الشام الى اذريجان ليقم مع الاتابكية ومّر بالحاجب في خوى فاتبعه وعبر النهر وخاطب من عدوته معتذرا فرجع عنه ودخل مقدي بلاد قبار وفيها قلاع استولى عليها المنتقضون والعصاة فراسلهم في اقامة الدعوة الاتابكية والبيعة لابن خاموش بن اربك يستدعونه من قلعة قوطور واتصل ذلك بالوزير فأقلقه ثم جاء خبر هزيمة السلطان بأصبهان فازداد قلقا وسار الامير مقدي الى نصره الدين محمد بن سبكتكين يدعوه لذلك فلاطفه في القول وكتب للوزير بالخبر فأجابه بأن يضمن لمقدي ما أحب في مراجعة الطاعة ففعل وجاء به الى الوزير فأكرمه وخلع عليه وعلى من جاء معه وعاهده على العفو عن دماء الخوارزمية وجاء الخبر

برجوع السلطان من أصبهان فارتحل الوزير للقائه ومعه الامير مقدي وابن سبكتكين واکرمها السلطان .

* (أخبار الوزير بخراسان) *

كان صني الدين محمد الطغرئي وزيراً بخراسان وأصل خبره انه كان قرية من كلاجرد وأبوه رئيسها وكان هو حسن الخط ورتبة الاطوار ثم لحق بالسلطان في الهند وخدم الوزير شرف الملك فلما عادوا الى العراق ولاه الطغرئي ولما ملك السلطان تقيس من يد الكرج وليّ عليها اقسنقر مملوك الاتابك ازبك وأقام صني الدين في وزارتها فلما حاصرها الكرج هرب اقسنقر وأقام صني الدين فحاصروه أياماً ثم أفرجوا ووقع ذلك من السلطان أحسن المواقع وولاه وزارة خراسان فأقام بها سنة وضجر منه أهلها فلما جاء السلطان الى الريّ وأقام بها كثرت به الشكايات ونكبه السلطان واستصفي أمواله وقبض على مواليه وحاشيته وقيدت خيله الى مرابط السلطان وكانت ثلثمائة وخلص من مواليه على الكرمانى الى قلعة كان حصنها فامتنع بها واستوزر السلطان مكانه تاج الدين البلخي المستوفي وسلم اليه الصني ليستصفيه ويقلع القلعة من مولاه وشدد في امتحانه وكان عدوه فلم يظفر منه بشيء وكان لما نكب طالبه خاتون السلطان باحضار الجواهر وما ساقه لخدمة الوزير وغيره فاحضر أربعة آلاف دينار وسبعين فصاً من ياقوت وبلخش واستأثر الخازن بها الظنه أنه مقتول ثم كاتب الصني أرباب الدولة ووعدهم بالاموال فشفعوا فيه وخلصوه وكتب السلطان بخطه بسراجه فجاء واستخلص ماله من الخازن الا الفصوص فإنه تعذر عليه ردها وولىّ السلطان على وزارة نسا محمد بن مودود النسوي العارض من بيت رئاسة بها ورمت به الحادثة الى غزنة فلما جاء السلطان من الهند ولاه الانشاء والحبس وعظم أمره وغص به الوزير شرف الملك فلما ورد أحمد بن محمد المنشي الكاتب رسواً عن نصرة الدين محمد بن حمزة صاحب نسا كما مرّ ولاه السلطان الانشاء فارتضى لذلك ضياء الدين وطلب وزارة نسا فولاه السلطان اياها وأقطع له عشرة آلاف دينار في السنة زيادة على أرزاق الوزارة وذهب اليها لاقامة وظيفته واستتاب في ديوان العرض مجد الملك النيسابوري ثم قطع الحمل فعزله السلطان وولىّ مكانه الكاتب أحمد بن محمد المنشي وتعرض للسعاية فيه فطرده السلطان وهلك في طرده .

* (خبر بلبان صاحب خلخال) *

كان من أتابكية ازبك ولما كانت فتنة التتر وخلاء خراسان واستيلاء السلطان جلال الدين

على اذربيجان لحق بمدينة خلخال فاستولى عليها وعلى قلاعها وشغل عنه السلطان بأمر العراق وصاحب خلاط فلما انصرف المسلمون من واقعة التتر بالعراق حاصروه بقلعة فيروزاباد حتى استأ من وملكها السلطان وولى عليها حسام الدين بكتاش مولى سعد اتابك فارس ثم خلف السلطان أنفاله بموقان وتجرد لخلاط وعاقه البردبار جيش فذهب بعض قلاع وكان عز الدين الخلخالي في كفرطاب قريبا من أرجيش فلقق بخلاط وجهزه الحاجب الى اذربيجان يشغلهم باثارة الفتنة فيها فلم يتم قصده من ذلك فلقق بجبال زنجان وأقام يخيف السابلة وكتب له السلطان بالامان ونزل الى أصهبان فبعث نائبها شرف الدولة برأسه الى السلطان ثم رجع السلطان من كفرطاب الى خرت برت فنهبا وخرّبها ووصله خلال ذلك الخبر بوفاة الخليفة الظاهر منتصف ثلاث وعشرين وولاية ابنه المنتصر وجاءه كتابه بأخذ البيعة وأن يبعث اليه بالخلع والله تعالى ولى التوفيق لارب غيره .

* (تنكر السلطان للوزير شرف الملك) *

لما رجعت العساكر الى موقان وأقام السلطان بخويّ شكا اليه أهلها بكثرة مصادرة الوزير لهم واطلع على اساءته للملكة بنت طغرل واستصفائه مالها مع براءتها مما نسب اليها ثم جاء الى تبريز فبلغه عنه أكثر من ذلك وهو بقرية كورتان من أعمالها فاقتقد رئيسها وكان يخدمه فقيل أن الوزير صادره على ألف دينار للملوكين له فلما وصل الى تبريز حبس من أخذها حتى ردّها على صاحبها وأسقط عن أهل تبريز خراج ثلاث سنين وكتب لهم بذلك وكثرت الشناعات على الوزير بما فعله في مغيب السلطان هذا مع ما كان منه في محاربة الاسماعيلية بأن السلطان كاتبه من بغداد بأن يفتش فلول الشام من أجل رسول من عند التتر بعثوه الى الشام وقصد بذلك معاتبة الخليفة إن عثر على الرسول فرّ به فلّ الاسماعيلية فقتلهم واستولى على أموالهم فلما عاد السلطان الى اذربيجان وصله رسول علاء الدين ملك الاسماعيلية يعاتبه على ذلك ويطلب المال فنكر السلطان على الوزير ما فعله ووكّل به أميرين حتى ردّ ما أخذ من أموالهم وكانت ثلاثين ألف دينار وعشرة أفراس فانطوى السلطان للوزير من ذلك كله على سخط وأعرض عن خطابه وكان يكاّتب فلا يحاب وعجزت تبريز عن علوفة السلطان فأمر بفتح اهراء الوزير والتصرف فيها ورجع السلطان الى موقان فلم يغير عليه شيئا ووقع له بتناول عشر الخاص فكان يأخذ من عشر العراق سبعين ألف دينار في كلّ سنة والله أعلم .

* (وصول القفجاق لخدمة السلطان) *

كان للقفجاق على قديم العهد هوى مع قوم هذا السلطان وأهل بيته وكانوا يصهرون اليهم غالباً بيناتهم ومن أجل ذلك استأصلهم جنكرخان واشتد في طلبهم فلما عاد السلطان من واقعة أصهبان وقد هاله أمر التتر رأى أن يستظهر عليهم بقبائل قفجاق وكان في جملته سبيرجنكش منهم فبعثه اليهم يدعوهم لذلك ويرغبهم فيه فاجابوا وجاءت قبائلهم ارسالا وركب البحر كوركاز من ملوكهم في ثلثائة من قرابته ووصل الى الوزير بموقان فشتى بها ثم جاء السلطان فخلع عليه وردّه بوعده جميل في فتح دريند وهو باب الابواب ثم أرسل السلطان لصاحب دريند وكان طفلاً وأتابكه يلقب بالاسد يدبر أمره فقدم على السلطان فخلع عليه وأقطع له وملكه العمل على أن يفتح له الدرند وجهاز عساكر وأمرأه فلما فصلوا من عنده قبضوا على الاسد وشنوا الغارة على نواحي الباب واعمل الاسد الحيلة وتخلص من أيديهم وتعذر عليهم ما أرادوه .

* (استيلاء السلطان على أعمال كستاسفي) *

كان علم الوزير يشكر أن السلطان أراد أن يتصح له ببعض مذهب الخدمة فسار في العساكر وعبر نهر زاس^(١) فاستولى على أعمال كستاسفي من يد شروان شاه فلما عاد السلطان الى موقان أقطعها لجلال الدين سلطان شاه بن شروان شاه وكان أسيراً عند الكرج أسلمه أبوه اليهم على أن يزوجه بنت الملك رسودان بنت تاماد فلما فتح السلطان بلاد الكرج استخلصه من الاسر ورباه وبقي عنده وأقطعه الآن كستاسفي وكان أيضاً عند الكرج ابن صاحب ارزن الروم وكان تنصر فزوجه رسودان بنت تاماد فأخرجه السلطان لما فتح بلاد الكرج ثم رجع الى ردة ولحق بالكرج فوجد رسودان قد تزوجت .

* (قدوم شروان شاه) *

كان السلطان ملك شاه بن البارسلان لما ملك أران أطلق الغارة على بلاد شروان فوفد عليه ملكها افريدون بن فر تبريز وضمن حمل مائة ألف دينار في السنة فلما ملك السلطان جلال الدين أران سنة اثنتين وعشرين وستمائة طلب شروان شاه افريدون بالحمل فاعتل بتغلب

(١) وفي نسخة ثانية : نهر أذس .

الكرج وضعف البلاد فأسقط عنه نصف الحمل فلما عاد الان قدم عليه شروان شاه وأهدى له خمسمائة فرس وللويزير خمسين فاستقلها وأشار على السلطان بحبسه فلم يقبل اشارته ورده بالخلع والتشريف وأسقط عنه من الحمل عشرين ألفا فبقي ثلاثون قال النسائي الكاتب وأعطاني في التوقيع ألف دينار والله تعالى أعلم .

* (مسير السلطان الى بلاد الكرج وحصاره قلاع بهرام) *

لما كان السلطان مقيماً بموقان منصرفه من اذربيجان بعث عساكره مع ايلك خان فأغار على بلاد الكرج واكتسحها ومر ببحيرة بتاج فكبسه الكرج وأوقعوا به وفقد اريطاني وامتعض السلطان لما وقع بعسكره وارتحل لوقته وقد جمع له الكرج فهزمت مقدمته مقدّمهم وجرىء بالاسرى منهم فقتلهم وسار في اتباعهم ونازل كوري وطالبهم باطلاق أسرى البحيرة فأطلقوهم وأخبر أن اريطاني خلص تلك الليلة الى اذربيجان ثم وجده السلطان في نقجوان ثم سار الى بهران الكرجي وقد كان أغار على نواحي كنجة فعاث في أعماله وحاصر قلعة سكان ففتحها عنوة وكذلك قلعة عليا ثم حاصر قلعة كاك وبعث الوزير لحصار كوزاني فحاصرها ثلاثة أشهر حتى طلبوا الصلح على مال حملوه فرحل عنهم الى خلاط والله أعلم .

* (مسير السلطان الى خلاط وحصارها) *

ولما فرغ السلطان من شأن الكرج قدم أنقاله الى خلاط على طريق قاقروان وسار هو الى نقجوان وصبح الكرج واستاق مواشيهم ثم أقام اياما وقضى أشغال أهل خراسان والعراق ليفرغ لحصار خلاط قال النسائي الكاتب وحصل لي منهم تلك الايام ألف دينار ثم ارتحل الى خلاط ولحق بعساكره ولقيه رسول من عز الدين أيلك نائب الاشرف بخلاط وقد كان الاشرف بعثه وأمره بالقبض على نائبها حسام الدين علي بن حماد فقبض عليه ثم قتله غيلة وبعث الى السلطان يستخدم اليه بذلك وان سلطانه الاشرف أمره بطاعة السلطان جلال الدين وبالع في الملاطفة فأبى السلطان الا امضاء ما عزم عليه وقال ان كان هذا حقاً فابعث اليّ بالحاجب فلما سمع هذا الجواب قتله وسار السلطان الى خلاط ونزل عليها بعد عيد الفطر من سنة ست وعشرين وجاءه ركن الدين جهان بن طغرل صاحب ارزن الروم فكان معه وحاصرها ونصب عليها المجانيق وأخذ بمخنفها حتى قرأ أهلها عنها من الجوع وتفرقوا في البلاد

ثم داخله بعض أهلها في أن يمكنهم من بقيتها على أن يؤمنوه ويقطعوه في اذربيجان فأقطعه
السلطان سلاسل وعدة ضياع هنالك وأصعد الرجال ليلا الى الاسوار فقاتلوا الجند بالمدينة
وهزمهم وملكوها وأسروا من كان بها وأسروا النصارى وأسدين عبد الله وتحصن النائب عز
الدين أيبك بالقلعة فامنه وحبسه بقلعة درقان فلما وقعت المراسلة في الصلح قفل لثلا يشترط
وقال ابن الاثيران مولى من موالي حسام الدين كان هرب الى السلطان فلما ملك خلاط
طلب أن يثار منه بمولاه فدفعه اليه وقتله ونهب البلد ثلاثا وسرح السلطان صاحب ارزن
وهرب القمهوري من محبسه فقتل أسدين عبد الله المهراني بجزيرته وأقطع السلطان خلاط
للامراء وعاد والله تعالى وليّ التوفيق .

* (واقعة السلطان جلال الدين مع الأشرف وكيقباد وانهمزاه أمامها) *

ولما استولى السلطان جلال الدين على خلاط تجهز الاشرف من دمشق وقد كان ملكها وسار
لقتال السلطان جلال الدين في عساكر الجزيرة والشام وذلك في سنة تسع وعشرين ولقيه
علاء الدين كيقباد صاحب بلاد الروم على سيراس وكان كيقباد قد خشي من اتصال جهان
شاه ابن عمه طغرل صاحب ارزن الروم بالسلطان جلال الدين لما بينهما من العداوة فسار
الاشرف وكيقباد من سيراس وفي مقدمة الاشرف عز الدين عمر بن علي من أمراء حلب من
الاكراد الهكارية وله صيت في الشجاعة وجاء السلطان علاء الدين للقائهم فلما تراءى
الجمعان حمل عز الدين صاحب المقدمة عليهم فهزمهم وعاد السلطان الى خلاط وكان
الوزير على ملاركرد يحاصرها فلحق به وارتحلوا جميعا الى اذربيجان وأسروا ركن الدين جهان
شاه بن طغرل وجيء به الى ابن عمه علاء الدين كيقباد فجاء به الى ارزن فسلمها وسائر
أعمالها ووصل الاشرف الى خلاط فوجدها خاوية ولما رجع السلطان الى اذربيجان ترك
العساكر مع الوزير سكران وأقام بخوي وخلص الترك في الهزيمة الى موقان وتردد شمس
الدين التكريتي رسول الاشرف بينه وبين السلطان جلال الدين في الصلح بينهم ودخل فيه
علاء الدين صاحب الروم وانعقد بينهم جميعا وسلم لهم السلطان سر من رأى مع خلاط
والله تعالى أعلم .

* (الحوادث أيام حصار خلاط) *

منها وفادة نصر الدين اصبيد صاحب الجبل مع ارخا من امراء السلطان يصهره على أخيه فقبض السلطان عليه الى أن عاد من بلاد الروم منهزماً فأقطعه وأعادته الى بلاده * ومنها رسالة أخت السلطان وكانت عند دوشي خان أخذها من العيال الذين جاؤا معه وتركان خاتون من خوارزم وأولدها وكانت تكتب أختها بالانخبار فبعثت اليه الآن في الصلح مع خاقان والمصاهرة وأن يسلم له فيما وراء جيحون فلم يجبها * ومنها وفادة ركن الدين شاه بن طغرل صاحب ارزن الروم وكان في طاعة الاشرف ومظاهرا للحاجب نائب خلاط على عداوة السلطان منافرة لابن عمه علاء الدين كيقباد بن كنخسرو صاحب الروم وكان قتل رسول السلطان من قبله من الروم ومنع الميرة عن العسكر فلما طال حصار السلطان بخلاط استأمن وقدم عليه السلطان فاحتفل لقدمه واركب الوزير للاقائه ثم خلع عليه وردّه الى بلاده واستدعى منه آلات الحصار فبعث بها ثم حضر بعد ذلك واقعة الاشرف مع السلطان كما مرّ * ومنها وصول سعد الدين الحاجب برسالة الخليفة الى السلطان بالخطبة في أعمالها وان لا يتعرض لمظفر الدين كوكبرون صاحب اربل ولا للمولد صاحب الموصل ولا لشهاب الدين سليمان شاه ملك^(١) ولا لعاد الدين بهلوان بن هراست ملك الجبال ويعدهم في أولياء الديوان فامثل مراسله وبعث نائب العراق شرف الدين على بأن ملك العراق لا يتمّ الا بطاعة ملك الجبال عماد الدين بهلوان وملك^(١) سليمان شاه فبعث اليهما السلطان من لاطفهما حتى كانت طاعتها اختيارا منها وبعث السلطان الحاجب بدر الدين طوطوبن ابنايخ خان فأحسن في تأدية رسالته وجاء بهدية حافلة من عند الخليفة خلعتان للسلطان احدهما جبة وعمامة وسيف هندي مرصع الحلية والاخرى قنع وكمة وفرجية وسيف محلي بالذهب وقلادة مرصعة ثمينة وفرسان رائعان بعدتين كاملتين ونعال لكل واحدة من أربعائة دينار وترس ذهب مرصع بالجواهر وفيه احد وأربعون فصا من الياقوت وبندخستاني في وسطه فيروزجة كبيرة وثلاثون فرسا عربية مجللة بالاطلس الرومي المبطن بالاطلس البغدادي بمقاود الحرير ونعال الذهب لكل واحدة منها ستون دينارا وعشرون مملوكا بالعدة والمركوب وعشرة فهود يجلال الاطلس وقلائد الذهب وعشرة صقور بالاكام

(١) كذا بياض بالاصل وفي الكامل ج ١١ ص ٢٦٧ يظهر بوضوح ان سليمان شاه كان ملك همدان وانه قتل بها سنة ست وخمسين وخمسمائة .

الملكة ومائة وخمسون بقعة في كلّ واحدة عشرة ثياب وخمسة أكر من العنبر مفضلة بالذهب وشجرة من العود الهندي طولها خمسة أذرع وأربع عشرة خلعة نسوانية للخانات من خوالص الذهب وكنائس للخييل تفليسية وللأمراء ثلثائة خلعة لكلّ أمير خلعة قباء وكمة وللوزير عمامة سوداء وقباء وفرجية وسيف هندي واكرتان من العنبر وخمسون ثوبا وبغلة ولأصحاب الديوان عشرون خلعة في كلّ خلعة جبة وعمامة وعشرون ثوبا أكثرها اطلس رومي وبغدادى وعشرون بغلة شهباء ورفعت للسلطان خباء قدخلها ولبس الخلعتين وشفع الرسول في أهل خلاط فاعتذر له السلطان * ومنها وصول هدية من صاحب الروم ثلاثون بغلا مجللة بثياب الاطلس الخطائي وفرو القندسي والسمور وثلاثون مملوكا بالخييل والعدة ومائة فرس وخمسون بغلا ولما مروا بأذربيجان اعترضهم ركن الدين جهان شاه بن طغرل صاحب ارزن وكان في طاعة الاشرف فأمسك الهدية عنده الى أن وفد على السلطان بطاعته فأحضرها * ومنها اسار وزير المورخا جاء الى الجبل المطل على قزوين لحصاد الحشيش على عادته وكان السلطان قد تغير على علاء الدين صاحبهم بسبب أخيه غياث الدين ولحاقه بهم في الموت فسار مقطوع ساوة الى ذلك الجبل وأكمن لهم وأسر الوزير وبعث به الى السلطان وهو يحاصر خلاط فحبسه بقلعة رزمان وهلك لاشهر قلائل ثم بعث السلطان كاتبه محمد بن أحمد النسائي الى علاء الدين صاحب قلعة الموت بطلب الخوارج وطلب الخطبة فامتنع منها أولا واحتج عليه بأن أباه جلال الدين الحسن خطب لخوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش والد السلطان فأنكر والتزم أن يبعث الى الديوان مائة ألف في كل سنة .

* (وصول جهان بهلوان ازبك من الهند) *

كان السلطان لما فصل من الهند بقصد العراق واستخلف على البلاد التي ملكها هنالك جهان بهلوان ازبك فأقام هنالك الى أن قصده عسكر شمس الدين ايتاش صاحب لها وون ففارق مكانه وسار الى بلاد قشмир فزاحموه وطردوه عن البلاد فقصد العراق وتحلف عنه أصحابه وعادوا الى ايتاش وفيهم الحسن برلق الملقب رجا ملك وكاتب جهان عليها ملك العراق بوصله في سبعمائة فارس فأجاب الحسن رأي السلطان فيه وبعث اليه بعشرة آلاف دينار للنفقة ووصل توقيع السلطان بأن تحمل اليه عشرون ألفا وأن يشتى بالعراق يستريح بها من التعب فصادف عود السلطان من بلاد الروم وزحف السلطان الى اذربيجان فحال قدر الله بينه وبين مراده وقتل هناك سنة ثمان وعشرين .

* (وصول التتر الى اذربيجان) *

كان التتر عندما ملكوا ما رواء النهر وزحفوا الى خراسان فضعضوا ملك بني خوارزم شاه وانتهوا الى قاصية البلاد وخربوا ما مروا عليه واكتسحوا ونهبوا وقتلوا ثم استقر ملكهم بما وراء النهر وعمرؤا تلك البلاد واختطوا قرب خوارزم مدينة عظيمة تعوض منها وبقيت خراسان خالية واستبد بالمدن فيها أمراء شبه الملوك يعطون الطاعة للسلطان جلال الدين لما جاء من الهند وانفرد جلال الدين بملك العراق وفارس وكرمان واذربيجان وآران وما وراء ذلك وبقيت خراسان بمجالات لغارات التتر وحروبهم ثم سارت طائفة منهم سنة خمس وعشرين فكان بينهم وبين جلال الدين لما جاء من الهند الواقعة على أصبهان كما مر ثم كان بين جلال الدين وبين الأشرف صاحب الشام وعلاء الدين كيقباد صاحب الروم الواقعة سنة سبع وعشرين كما مر وأوهنت من جلال الدين وحلت عرى ملكه وكان علاء الدين مقدم الاسماعيلية في قلعة الموت فعادى جلال الدين لما أثنى في بلاده وقرر عليه وظائف الاموال فبعث الى التتر يخبرهم بالهزيمة الكائنة عليه وانها أوهنته ويحثهم على قصده فساروا الى اذربيجان أول سنة ثمان وعشرين وبلغ الخبر الى السلطان بمسيرهم فبعث بوغر من أمرائه طليعة لاستكشاف خبرهم فلقى مقدمتهم فانهم لم ينج من أصحابه غيره وجاء بالخبر فرحل من تبريز الى موقان وخلف عياله بتبريز لنظر الوزير وأعجله الحال عن أن يبعثهم الى بعض الحصون ثم ورد كتاب من حدود زنجان بأن المقدمة التي لقيها بوغر باهر اقاموا بمرج الخان وانهم سبعائة فارس فظن السلطان أنهم لا يجاوزونها فسرى عنه ورحل الى موقان فأقام بها وبعث في احشاد العساكر الاميرين بغان شحنة خراسان وأوسيان بهلوان شحنة مازندان وشغل بالصيد وبينما هو كذلك كبسه التتر بمكانه ونهبوا معسكره وخلص الى نهر اوس ثم وري بقصد كنجة وعطف الى اذربيجان فتنكر لماهان وكان عز الدين صاحب قلعة شاهن غاضبا منذ سنين لاغارة الوزير على بلده فلما نزل السلطان ماهان كان يخدمه بالميرة وباخبار التتر ثم أنذره آخر الشتاء بمسير التتر اليه من ارجان وأشار عليه بالعود الى آران لكثرة ما فيها من العساكر وأجناد التركمان متحصنين بها فلما فارقتها وكان الوزير فوق بيوت السلطان وخزائنه في قلاع حسام الدين منهم ارسلان كبير أمراء التركمان بآران وكان قد عمر هنالك قلعة سنك سراخ من أحصن القلاع فأنزل عياله بها وكان مستوحشا من السلطان فجاهر بالعصيان وكانت وحشته من السلطان لامور منها تبذير أمواله في العطاء والنفقة ومنها أنه ظن

أنَّ السلطان بجفل الى الهند فكاتب الاشرف صاحب الشام وكيقباد صاحب الروم فوعدهم من نفسه الطاعة وهما عدواً السلطان ومنها أنه كاتب قلعج ارسلان التركماني فأمره بحفظ حرم السلطان وخزائنه ولا يسلمها اليه ويبعث في الكتاب له والكباس قبله ليغزو الروم فلما مرَّ السلطان بقلعته بعث اليه يستدعيه فوصل وحمل كفه في يده فلاطفه السلطان وكايد فظنها محالصة فاطمأنَّ والله تعالى وليّ التوفيق .

* (استيلاء التتر على تبريز وكنجة) *

ولما اجفل السلطان بعد الكبسة من موقان الى ارّان بلغ الخبر الى أهل تبريز فثاروا بالخوارزمية وأرادوا قتلهم ووافقهم بهاء الدين محمد بن بشير فاريك الوزير بعد الطغرياني وكان الطغرياني رئيس البلد كما مرَّ فنعهم من ذلك وعدوا على واحد من الخوارزمية وقتلوه فقتل به اثنين من العامة واجتهد في تحصين تبريز وحراستها وشحنها بالرجال ولم تنقطع كتبه عن السلطان ثم هلك فسلمها العوام الى التتر ثم ثار أهل كنجة وسلموا بلدهم للثتر وكذا أهل بيلغازه والله أعلم .

* (نكبة الوزير ومقتله) *

لما وصل السلطان الى قلعة جاربرد بلغه استيحاء الوزير وخشي أن يفرّ الى بعض الجهات فركب الى القلعة مورياً بالنظر في أحوالها والوزير معه وأسّر الى والي القلعة أن يمسك الوزير ويقيده هنالك ففعل ونزل السلطان فجمع ممالك الوزير وكبيرهم الناصر قشتمر وضمهم الى أوترخان ثم نفي الى والي القلعة أن السلطان مستبدل منه فاستوحش وبعث بخاتم الوزير الى قشتمر كبير الممالك يقول نحن وصاحبكم متوازيون فن أحب خدمته فليأت القلعة فسقط في يد السلطان وكان ابن الوالي في جملة وحاشيته فأمره السلطان أن يكتب أباه ويعاتبه ففعل وأجابه بالتصل من ذلك فقال له السلطان فليبعث اليّ برأس الوزير فبعث به وكان الوزير مكرماً للعلماء والادباء مواصلاً لهم كثير الخشية والبكاء متواضعاً منبسطاً في العطاء حتى استغرق أموال الديوان لولا أن السلطان جذب من عنانه وكان فصيحاً في لغة الترك وكانت عمالته على التواقيع السلطانية الحمد لله العظيم وعلى التواقيع الديوانية يعتمد ذلك وعلى تواقيعه الى بلاده أبو المكارم على بن أبي القاسم خالصة أمير المؤمنين .

* (ارتجاع السلطان كنجة) *

لما ثار أهل كنجة بالخوارزمية كان القائم بأمرهم رجل منهم اسمه بندار وبعث السلطان اليهم رسوله يدعوهم الى الطاعة فوصلوا قريبا منه وأقاموا وخرج اليهم الرئيس جمال الدين القمي بأولاده وامتنع الباقون ثم وصل السلطان وردد اليهم فلم تغن وبرزوا بعض الايام للقتال ورموا على خيمته فركب وحمل عليهم فانهمزوا وازدحموا في الباب ففتحهم الزحام من اغلاقه فافتحم السلطان المدينة وقبض على ثلاثين من أهل الفتنة فقتلهم وجيء ببندار وكان بالغاً في الفساد وكسر سرير الملك الذي نصبه بها محمد بن ملك شاه فقتل به وفصل أعضائه بين يديه وأقام السلطان بكنجة نحواً من شهر ثم سار الى خلاط مستمداً للاشرف فارتحل الاشرف الى مصر وعلل بالمواعيد ووصل السلطان في وجهته الى قلعة شمس وبها اراك بن ايوان الكرسي فخرج وقبل الارض على البعد ثم بعث الى السلطان ما أمري وبعث السلطان الى جيرانه من الملوك مثل صاحب حلب وآمد وماردين يستنجدهم بعد يأسه من الاشرف وجرد عسكرا الى خرت برت وملطية واذريجان فأغاروا في تلك النواحي واستاقوا نعمها لما بين ملكها كيقباد وبين الاشرف من الموالة فاستوحش جميعهم من ذلك وقعدوا عن نصرته والله تعالى وليّ التوفيق .

* (واقعة التتر على السلطان بآمد ومهلكه) *

كان السلطان بلغه وهو بخلاط أن التتر ساروا اليه فبعث السلطان الامير أوترخان في أربعة آلاف فارس طليعة فرجع وأخبر أن التتر رجعوا من حدود ملازكرد وكان الامراء أشاروا على السلطان^(١) الانتقال بديار بكر وينجرون الى اصبهان ثم جاءه رسول صاحب آمد وزين له له قصد بلاد الروم وأطعمه في الاستيلاء عليها ليتصل بالفقجاق ويستظهر بهم على التتر وأنه يمدّه بنفسه في أربعة آلاف فارس وكان صاحب آمد يروم الانتقام من صاحب الروم بما ملك من قلاعه فجنح السلطان الى كلامه وعدل عن اصبهان الى آمد

(١) كذا بياض بالاصل ويذكر ابن الأثير هذه الواقعة باختلاف كثير عما هي هنا في حوادث ٦٢٨ في ج ١٢ ص ٤٩٨ : وما بعدها وتصويب العبارة : وكان الامراء اشاروا على السلطان بترك خلاط والانتقال بديار بكر ، الى ان يوصل الى اصفهان .

فترل بها وبعث اليه التركان بالذير وانهم رأوا نيران التتر بالمتزل الذي كانوا به أمس فاتهم خبرهم وصبحه التتر على آمد وأحاطوا به خيمته قبل أن يركب فحمل عليهم اوترخان حتى كشفهم عن الحركات وركب السلطان وركض وأسلم زوجته بنت الاتابك سعد الى أميرين يحملانها الى حيث تنتهي الجفلة ثم ردّ اوترخان العساكر عنه ليتوارى بانفراده عن عين العدو وسار اوترخان في أربعة آلاف فارس فخلص الى اصبهان واستولى عليها الى أن ملكها التتر عليه سنة تسع وثلاثين وذهب السلطان مستخفيا الى باشورة آمد والناس يظنون أن عسكره غدروا به فوقفوا يردّونهم فذهب الى حدود الدربندات وقد ملئت المضائق بالفسدين فأشار عليه اوترخان بالرجوع فرجع وانتهى الى قرية من قرى ميافارقين فترل في بيدرها وفارقه اوترخان الى شهاب الدين غازي صاحب حلب لمكاتبات كانت بينهما فحبسه ثم طلبه الكامل فبعث به اليه محبوسا ثم سقط من سطح فات وهجم التتر على السلطان بالبيدر فهرب وقتل الذين كانوا معه وأخبر التتر أنه السلطان فاتبعوه وأدركه اثنان منهم فقتلها ويثس منه الباقيون فرجعوا عنه وصعد جبل الاكراد فوجدهم مترصدين في الطرق للنهب فسلبوه وهموا بقتله وأسرّ الى بعضهم أنه السلطان فضى به الى بيته ليخلصه الى بعض النواحي ودخل البيت في غيبه بعض سفلتهم ويده حربة وهو يطلب الثأر من الخوارزمية بأخ له قتل بخلاط فقتله ولم يغن عنه البيت وكانت الواقعة منتصف شوال سنة ثمان وعشرين هذه سياقة الخبر من كتاب النسائي كاتب السلطان جلال الدين وأما ابن الاثير فذكر الواقعة وأنه فقد فيها ويقوا أياما في انتظار خبره ولم يذكر مقتله وانتهى به التأليف ولم يزد على ذلك قال النسائي وكان السلطان جلال الدين أسمر قصيرا تركيا شجاعا حليما وقورا لا يضحك الا تبسما ولا يكثر الكلام مؤثرا للعدل الا أنه مغلوب من أجل الفتنة وكان يكتب للخليفة والوحشة قائمة بينهما كما كان أبوه يكتب خادمه المطواع فلما بعث اليه بالخلع عن خلاط كما مر كتب اليه عبده فلان والخطاب بعد ذلك سيدنا ومولانا أمير المؤمنين وأمام المسلمين وخليفة رب العالمين قدوة المشارق والمغرب المنيف على الذروة العليا ابن لؤي بن غالب ويكتب للملك الروم ومصر والشام السلطان فلان بن فلان ليس معها أخوه ولا محبة وعلامته على تواقيعه النصرة من الله وحده وعلامته لصاحب الموصل بأحسن خط وشق القلم شقين ليغلظ ولما وصل من الهند كاتبه الخليفة الجناح الرفيع الخاقاني فطلب الخطاب بالسلطان فأجيب بأنه لم تجر به عادة مع أكابر الملوك فألح في ذلك حين حملت له الخلع فخطب بالجناح العالي الشاهستاني ثم انتشر التتر بعد هذه الواقعة في سواد آمد وأرزن وميافارقين

وسائر ديار بكر فاكسحوها وخربوها وملكوا مدينة اسعد عنوة فاستباحوها بعد حصار خمسة أيام ومروا بماردين فامتنعت ثم وصلوا الى نصيبين فاكسحوا نواحيها ثم الى سنجار وجبالها والخابور ثم ساروا الى تدليس فأحرقوها ثم الى أعمال خلاط فاستباحوا أباكري وارتجيس وجاءت طائفة أخرى من أذربيجان الى أعمال اربل ومروا في طريقهم بالتركان الاموامية والاكراد الجوزقان فنهبوا وقتلوا وخرج مظفر الدين صاحب اربل بعد ان استمدّ صاحب الموصل فلم يدرهم وعادوا وبقيت البلاد قاعا صفصفا والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين وافترق عسكر جلال الدين منكبرس وساروا الى كيقباد ملك الروم

جلال الدين منكبرس بن علاء الدين محمد بن تكش بن ارسلان بن أحسن بن محمد بن أنوشكين خوارزم شاه

غياث الدين تيرشاه —

مفرق خان بن ملك شاه —

سلطان شاه محمود —

مجلس علماء اسلام

فأثبتهم في ديوانه واستخدمهم ثم هلك سنة أربع وثلاثين وولى ابنه غياث الدين كنعسرو فارتاب بهم وقبض على كبيرهم وفر الباقون واكتسحوا ما مروا به وأقاموا مستبدين بأطراف البلاد ثم استألفهم الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل وكان نائبا لأبيه بالبلاد الشرقية حران وكيفا وآمد واستأذن أباه في استخدامهم فأذن له كما يأتي في أخباره والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق بحمده وفضله .

الخبر عن دولة بني تتش بن البارسلان ببلاد الشام دمشق وحلب وأعمالها وكيف تناوبوا فيها القيام بالدعوة العباسية والدعوة العلوية الى حين انقراض أمرهم

قد تقدّم لنا استيلاء السلجوقية على الشام لأوّل دولتهم وكيف سار أتسز بن ارتق الخوارزمي من أمراء السلطان ملك شاه الى فلسطين ففتح الرملة وبيت المقدس وأقام فيها الدعوة العباسية ومحا الدعوة العلوية ثم حاصر دمشق وذلك سنة ثلاث وستين وأربعمائة ثم أقام يردّد الحصار على دمشق حتى ملكها سنة ثمان وستين وسار الى مصر سنة تسع وستين وحاصرها وعاد منها وولى السلطان ملك شاه بعد أبيه البارسلان سنة خمس وستين فأقطع أخاه تتش بلاد الشام وما يفتح من تلك النواحي سنة سبعين وأربعمائة فسار الى حلب وحاصرها وكان أمير الجيوش بدر الجمالي قد بعث العساكر لحصار دمشق وبها أّسز فبعث بالصرىخ الى تاج الدولة تتش فسار لنصرته وأجفلت عساكر مصر وخرج أّسز لتلقيه فتعلل عليه ببطئه عن تلقيه وقتله واستولى على دمشق وقد تقدّم ذلك كله ثم استولى سليمان بن قطلمش على انطاكية وقتل مسلم بن قريش وسار الى حلب فملكها وسمع بذلك تتش فسار اليها واقتلا سنة تسع وسبعين وقتل سليمان بن قطلمش في الحرب وسار السلطان ملك شاه الى حلب فملكها وولى عليها قسيم الدولة اقسنقر جدّ نور الدين العادل ثم جاء السلطان الى بغداد سنة أربع وثمانين وسار اليه أخوه تاج الدين تتش من دمشق وقسيم الدولة اقسنقر صاحب حلب وبوزان صاحب الرها وحضروا معه صنيع المولد النبوي ببغداد فلما وعدوه العود الى بلادهم أمر قسيم الدولة وبوزان بأن يسيرا بعسكرهما مع تاج الدولة تتش لفتح البلاد بساحل الشام وفتح مصر من يد المستنصر العلوي ومحو الدولة العلوية منها فساروا لذلك وملك تتش حمص من يد ابن ملاعب وغزة عنوة وأماسية من يد خادم العلوي بالامان وحاصر طرابلس وبها جلال الدين بن عمار فدخل قسيم الدولة اقسنقر وصانعه بالمال في أن يشفع له عند تتش فلم

يشفعه فرحل مغاضبا وأجفلوا الى جبلة وانتقض أمرهم وهلك السلطان ملك شاه سنة خمس وثمانين ببغداد وقد كان سار الى بغداد وسارت تش أخوه من دمشق للقائه وبلغه في طريقه خبر وفاته وتنازع ولده محمود وبركيارق الملك فاعتزم على طلب الامر لنفسه ورجع الى دمشق فجمع العساكر وقسم العطاء وسار الى حلب فأعطاه اقسنقر الطاعة لصغر أولاد ملك شاه والتنازع الذي بينهم وحمل صاحب انطاكية وبوزان صاحب الرها وحران على طاعته وساروا جميعا في محرم سنة ست وثمانين فحاصروا الرجة وملكوها وخطب فيها تش لنفسه ثم ملك نصيبين عنوة واستباحها وأقطعها لمحمد بن مسلم بن قريش ثم سار الى الموصل وبها ابراهيم بن قريش بن بدران وبعث اليه في الخطبة على منابرة فامتنع وبرز للقائه في ثلاثين ألفا وكان تش في عشرة آلاف والتقوا بالمضيق من نواحي الموصل فانهمز ابراهيم وقتل واستبيحت أحياء العرب وقتل أمراؤهم وأرسل الى بغداد في طلب الخطبة فلم يسعف الا بالوعد ثم سار الى ديار بكر فملكها في ربيع الآخر وسار منها الى أذربيجان وكان بركيارق بن ملك شاه قد استولى على الري وهمدان وكثير من بلاد الجبل فسار في العساكر لمدافعتهم فلما تقاربا نزع اقسنقر وبوزان الى بركيارق وعاد تش منهزما الى الشام وجمع العساكر واستوعب في الحشد وسارا الى اقسنقر في حلب فبرز اليه ومعه بوزان صاحب الرها وكربوقا الذي ملك الموصل فيما بعد ولقيهم تش على ستة فراسخ من حلب فانهمزوا وجيء باقسنقر أسيرا فقتله صبرا ولحق كربوقا وبوزان بحلب فحاصرها تش وملكها وأخذها أسيرين وبعث الى حران والرها في الطاعة فامتنعوا فقتل بوزان وملكها وحبس كربوقا بحمص ثم سار الى الجزيرة فملكها جميعا ثم الى ديار بكر وخلاط ثم اذربيجان ثم همدان وبعث الى بغداد في الخطبة وكان بركيارق يومئذ بنصيبين فغير دجلة الى اربل ثم منها الى بلد سرحاب بن بدر وسار الامير يعقوب بن ارتق من عسكر تش فكبسه وهزمه ونجا الى اصبهان فكان من خبره ما تقدم وبعث تش يوسف ابن ارتق التركماني شحنة الى بغداد ففنع منها فعات في نواحيها ثم بلغه مهلك تش فعاد الى حلب وهذه الاخبار كلها قد تقدمت في أول دولة السلجوقية وانما ذكرناها هنا توطئة لدولة بني تش بدمشق وحلب والله أعلم .

* (مقتل تش) *

ولما انهزم بركيارق أمام عمه تش لحق باصبهان وبها محمود وأهل دولته فأدخلوه وتشاوروا في قتله ثم أبقوه الى ابلال محمود من مرضه فقدر هلاك محمود وبايعوا لبركيارق فبادر الى

اصبهان وقدم أميراً آخر بين يديه لاعداد الزاد والعلوفة وسار هو الى اصبهان ورجع تتش الى الريّ وأرسل الى الأمراء باصبهان يدعوهم ويرغبهم فأجابوه باستبراء أمر بركيارق ثم ابل بركيارق من مرضه وسار في العساكر الى الريّ فانهزم تتش وانهزم عسكره وثبت هو فقتله بعض أصحاب اقسنقر بثأر صاحبه واستقام الامر لبركيارق والله تعالى أعلم .

* (استيلاء رضوان بن تتش على حلب) *

كان تتش لما انفصل من حلب استخلف عليها أبا القاسم الحسن بن علي الخوارزمي وأمكنه من القلعة ثم أوصى أصحابه قبل المصاف بطاعة ابنه رضوان وكتب اليه بالمسير الى بغداد ونزول دار السلطنة فسار لذلك وسار معه أبو الغازي بن ارتق وكان أبوه تتش تركه عنده وسار معه و^(١) معه محمد بن صالح بن مرداس وغيرهما وبلغه مقتل أبيه عند هيت فعاد الى حلب ومعه الاميران الصغيران أبو طالب وبهرام وأمه وزوجها جناح الدولة الحسن بن افتكين لحق بهم من المعركة فلما انتهوا الى حلب امتنع أبو القاسم بالقلعة ومعه جماعة من المغاربة وهم أكثر جندها فاستألم جناح الدولة فثاروا بالقلعة من الليل ونادوا بشعار الملك رضوان واحتاطوا على أبي القاسم فبعث اليه رضوان بالامان وخطب له على منابر حلب وأعمالها وأقام بتدبير دولته جناح الدولة وأحسن السيرة وخالف عليهم الامير باغيسيان بن محمد بن ابيه التركماني صاحب انطاكية ثم أطاع وأشار على رضوان بقصد ديار بكر وسار معه لذلك وجاءهم أمراء الاطراف الذين كان تتش رأسهم فيها وقصدوا سروح فسبقهم اليها سلمان بن ارتق وملكها فساروا الى الرها وبها الفارقليط من الروم كان يضمن البلاد من بوزان فتحصن بالقلعة ودافعهم ثم غلبوه عليها وملكها رضوان وطلبها منه باغيسيان وخشي جناح الدولة على نفسه فلحق بجلب ورجع رضوان والامراء على أثره فسار باغيسيان فأقطعها له ثم سار الى حران وأميرها قراجا فدس اليهم بعض أهلها بالطاعة واتهم قراجا بذلك ابن المعني من أعيانها كان تتش يعتمد عليه في حفظ البلد فقتله وقتل بني أخيه ثم فسد ما بين جناح الدولة وباغيسيان وخشي جناح الدولة على نفسه فلحق بجلب ورجع رضوان والامراء على أثره فسار باغيسيان الى بلده انطاكية وسار معه أبو القاسم الخوارزمي ودخل رضوان الى حلب دار ملكه وكان من أهل دولته

(١) كذا بياض بالاصل وفي الكامل ج ١٠ ص ١١٥ : الامير وثاب بن محمود بن صالح بن مرداس .

يوسف ابن ارتق الخوارزمي الذي بعثه تتش الى بغداد شحنة وكان^(١) من
الفتيان بحلب وكان قنوعا وكان يعادي يوسف بن اتق فجاء الى جناح الدولة القائم بأمر
رضوان ورمى يوسف بن ارتق عنده بأنه يكاتب باغيسيان ويدخله في الثورة واستأذنه في
قتله فأذن له وأمدّه بجاعة من الجند وكبس يوسف في داره فقتله ونهب فيها واستطال على
الدولة وطمع في الاستبداد على رضوان ودس لجناح الدولة أن رضوان أمره بقتله فهرب الى
حمص وكانت اقطاعا له واستبدّ على رضوان ثم تنكر له رضوان سنة تسع وثمانين وأمر
بالقبض عليه فاخفى ونهبت دوره وأمواله ودوابه ثم قبض عليه فامتحن وقتل هو وأولاده .

* (استيلاء دقاق بن تتش على دمشق) *

كان تتش قد بعث ابنه دقاقا الى أخيه السلطان ملك شاه ببغداد فأقام هنالك الى أن توفي
ملك شاه فسار معه ابنه محمود وأمه خاتون الجلالية الى اصبهان ثم ذهب عنهم سرا الى
بركيارق ثم لحق بأبيه وحضر معه الواقعة التي قتل فيها ولما قتل تتش أبوه سار به مولاه تكين
الى حلب فأقام عند أخيه رضوان وكان بقلعة من قلاعها ساوتكين الخادم من موالي تتش
ولاه عليها قبل موته فبعث الى دقاق يستدعيه للملك فسار اليه وبعث رضوان في طلبه فلم
يدركه ووصل دمشق وكتب اليه باغيسيان صاحب انطاكية يشير عليه بالاستبداد بدمشق
على أخيه رضوان ووصل معتمد الدولة طغتكين مع جماعة من خواص تتش وكان قد حضر
المعركة وأسر فخلص الآن من الاسار وجاء الى دمشق فلقبه دقاق ومال اليه وحكمه في أمره
ودخله في مثل ساوتكين الخادم فقتلوه ووفد عليهم باغيسيان من انطاكية ومعه أبو القاسم
الخوارزمي فأكرمها واستوزر الخوارزمي وحكمه في دولته .

* (الفتنة بين دقاق وأخيه رضوان) *

ثم سار رضوان الى دمشق سنة تسعين وأربعمائة قاصدا انتراعها من يد دقاق فامتنعت عليه
فعاد الى مالس وقصد الورس فامتنعت عليه فعاد الى حلب وفارقه باغيسيان صاحب
انطاكية الى أخيه دقاق وحض على المسير الى أخيه بحلب فسار لذلك واستنجد رضوان

(١) كذا بياض بالاصل : وفي الكامل ج ١٠ ص ٢٥٥ : وكان بحلب انسان يقال له : «الخن» وهو رئيس
الاحداث بها ، وله اتباع كثير .

سكمان من سروج في أمم من التركمان ثم كان اللقاء بقنسرين فانهمزمت عساكر دقاق ونهب سوادهم وعاد رضوان الى حلب ثم سعى بينهما في الصلح على أن يخطب لرضوان بدمشق وانطاكية قبل دقاق فانهقد ذلك بينهما ثم لحق جناح الدولة بجمص عندما عظمت فيه سعاية الجحش كما ذكرناه وكان باغيسيان منافرا له فلما فصل من حلب جاء باغيسيان الى رضوان وصالحه ثم بعث الى رضوان المستعلي خليفة العلويين بمصر يعده بالامداد على أخيه على أن يخطب له على منابر وزين له بعض أصحابه صحة مذهبهم فخطب له في جميع أعماله سوى انطاكية والمعرّة وقلة حلب ثم وفد عليه بعد شهرين من هذه الخطبة سكمان بن ارتق صاحب سروج وباغيسيان صاحب انطاكية فلم يقم بها غير ثلاث حتى وصل الفرنج فحاصروه وغلبوه على انطاكية وقتلوه كما مرّ في خبره .

* (استيلاء دقاق على الرحبة) *

كانت الرحبة بيد كربوقا صاحب الموصل فلما قتل كما مرّ في خبره استولى عليها قانمار من موالي السلطان البارسلان فسار دقاق بن تتش ملك دمشق وأتابكه طغركين اليها سنة خمس وتسعين وحاصروها فامتنعت عليهم فعادوا عنها وتوفى قانمار صاحبها في صفر سنة ست وتسعين وقام بأمرها حسن من موالي الاتراك فطمع في الاستبداد وقتل جماعة من أعيان البلد وحبس آخرين واستخدم جماعة من الجند وطرد آخرين وخطب لنفسه فسار دقاق اليه وحاصره في القلعة حتى استأمن وخرج اليه وأقطعه بالشام اقطاعات كثيرة وملك الرحبة وأحسن الى أهلها وولى عليهم ورجع الى دمشق والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق لا ربّ غيره .

* (وفاة دقاق وولاية أخيه تلتاش ثم خلعه) *

ثم توفي دقاق صاحب دمشق سنة سبع وتسعين واستقلّ أتابكه طغركين بالملك وخطب لنفسه سنة ثم قطع خطبته وخطب لتلتاش أخي دقاق صبييا مراهقا وخوّفته أمه من طغركين بزواجه أم دقاق وأنه يميل الى ابن دقاق من أجل جدّته فاستوحش وفارق دمشق الى بعلبك في صفر سنة ثمان وتسعين ولحقه ايتكين الحلبي صاحب بصرى وكان ممن حسن له لذلك فعاث في نواحي خوارزم ولحق به أهل الفساد وراسلا هديول ملك الفرنج فأجابهما بالوعد ولم يوفّ لهما فسار الى الرحبة واستولى عليها تلتاش وقيل انّ تلتاش لما استوحش منه طغركين

من دخول البلد مضى الى حصون له وأقام بها ونصب طغركين الطفل ابن دقاق وخطب له واستبدّ عليه وأحسن الى الناس واستقام أمره والله تعالى وليّ التوفيق وهو نعم الرفيق .

* (الحرب بين طغركين والفرنج أشهر) *

كان قص من قمامصة الفرنج على مرحلتين من دمشق فلج بالغارات على دمشق فجمع طغركين العساكر وسار اليه وجاء معرون ملك القدس وعكا من الفرنج بانجاد القمص فأظهر الغنية^(١) عليه وعاد الى عكا وقاتل طغركين^(٢) القمص فهزمه وأحجزه بحصنه ثم حاصره حتى ملك الحصن عنوة وقتل أهله وأسر جماعته وعاد الى دمشق ظافرا غانما ثم سار الى حصن رمسة من حصون الشام وقد ملكه الفرنج وبه ابن أخت سميل المقيم على طرابلس يحاصرها فحاصر طغركين حصن رمسة حتى ملكه وقتل أهله من الفرنج وخرّبّه والله أعلم .

* (مسير رضوان صاحب حلب لحصار نصيبين) *

ثم ان رضوان صاحب حلب اعترم غزو الفرنج واستدعى الامراء من النواحي لذلك فجاءه أبو الغازي بن ارتق الذي كان شحنة ببغداد وأصهبان وصباوو والبي بن ارسلان ماش صاحب سنجار وهو صهر جكرمش صاحب الموصل وأشار أبو الغازي بالمسير الى بلاد جكرمش للاستكثار بعسكرها وأموالها ووافقه الي وساروا الى نصيبين في رمضان سنة تسع وتسعين وأربعمائة فحاصروها وفيها أميران من قبل جكرمش واشتدّ الحصار وجرح الي بن ارسلان بسهم أصابه فعاد الى سنجار وأجفل أهل السواد الى الموصل وعسكر جكرمش بظاهرها معترما على الحرب ثم كاتب أعيان العسكر وحثم على رضوان وأمر أصحابه بنصيبين باظهار طاعته وطلب الصلح معه وبعث الى رضوان بذلك والامداد بما يشاؤه على أن يقبض على أبي الغازي فإل الى ذلك واستدعى أبا الغازي فخبّره أنّ المصلحة في صلح

(١) كذا بياض بالاصل ، وفي الكامل ج ١٠ ص ٣٩٩ : فسار بغدوين ملك القدس وعكا وغيرها الى هذا القمص ليعاضده ويساعده على المسلمين ، فعرّفه القمص غناه عنه وانه قادر على مقارعة المسلمين ان قاتلوه فعاد بغدوين الى عكا .

(٢) كذا وفي الكامل : طغتكين بدلا من طغركين . ج ١٠ ص ٣٩٩ .

جكرمش ليستعينوا به في غزو الفرنج وجمع شمل المسلمين فجأوه أبو الغازي بالمنع من ذلك ثم قبض عليه وقيدته فانتفض التركمان ولحقوا الى سور المدينة وقاتلوا رضوان وبعث رضوان بأبي الغازي الى نصيبين فخرجت منها العساكر لا مداده فافترق منها التركمان ونهبوا ما قدروا عليه ورحل رضوان من وقته الى حلب وانتهى الخبر الى جكرمش بتلّ أعفر وهو قاصد حرب القوم فرحل عند ذلك الى سنجار وبعث اليه رضوان في الوفاء بما وعده من النجدة فلم يف له ونازل صهره الي بن ارسلان بسنجار وهو جريح من السهم الذي أصابه على نصيبين فخرج اليه الي محمولا واعتذر اليه فأعته وأعادته الى بلده فمات وامتنع أصحابه بسنجار رمضان وشوالا ثم خرج اليه^(١) عمّ الي وصالح جكرمش وعاد الى الموصل والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق بمنه .

* (استيلاء الفرنج على اقامية) *

كان خلف بن ملاعب الكلابي في حمص وملكها منه تاج الدولة تتش فسار الى مصر وأقام بها ثم بعث صاحب اقامية من جهة رضوان بن تتش بطاعته الى صاحب مصر العلوي فبعث اليها ابن ملاعب وملكها وخلع طاعة العلوية وأقام يخيف السيل كما كان في حمص فلما ملك الافرنج سمرين لحق به قاضيها وكان على مذهب الرافضة فكتب الى ابن الطاهر الصانع من أكابر الغلاة ومن أصحاب رضوان وداخلهم في الفتك بابن ملاعب ونمى الخبر اليه من أولاده فحلف له القاضي بما اطمأن اليه وتحيل مع ابن الصانع في جند من قبلهم يستأمنون الى ابن ملاعب ويعطونه خيلهم وسلاحهم ويقيمون للجهاد معه ففعلوا وأنزلهم بربرض اقامية ثم بيته القاضي ليلا بمن معه من أهل سمرين ورفع أولئك الجند من الربرض بالحبال وقتلوا ابن ملاعب في بيته وقتلوا معه ابنه وفرّ الآخر الى أبي الحسن بن منقذ صاحب شيزر وجاء الصانع من حلب الى القاضي فطرده واستبدّ باقامية وكان بعض أولاد ابن ملاعب عند طغركين وولاه حماية بعض الحصون فعظم ضرره فطلب طغركين فهرب الى الافرنج وأغراههم باقامية ودلهم على عورتها وعدم الاقوات فيها فحاصروها شهرا وملكوها عنوة وقتلوا القاضي والصانع وذلك سنة تسع وتسعين وقد ذكرنا قبل أن الصانع قتله ابن بديع أيام تتش صاحب حلب إثر مهلك رضوان فإله أعلم أيهما الصحيح ثم ملك صاحب^(١) كذا بياض بالاصل ، وفي الكامل ج ١٠ ص ٤٠٧ : فجاء تيمرك اخو ارسلان تاش عم الي فاصلح حاله مع جكرمش .

انطاكية من الافرنج حصن الامارة بعد حصار طويل فملكه عنوة واستلحم أهله وفعل في ذريته مثل ذلك ورحل أهل منبج وبالس وتركوها خاويين وملكوا حيد بالامان وطلب الفرنج من أهل الحصون الإسلامية الجزية فأعطوهم ذلك على ضريبة فرضوها عليهم فكان على رضوان في حلب وأعمالها ثلاثون ألف دينار وعلى صور سبعة آلاف وعلى ابن منقذ في شيرز أربعة آلاف وعلى حماة ألفا دينار وذلك سنة خمس وخمسمائة .

* (استيلاء طغركين على بصرى) *

قد تقدم لنا سنة سبع وتسعين حال تلتاش بن تتش والخطبة له بعد أخيه دقاق وخروجه من دمشق واستنجاده الفرنج وإن الذي تولى كبر ذلك كله اسكين الحملي صاحب بصرى فسار طغركين سنة المائة الخامسة الى بصرى وحاصرها حتى أذعنوا وضربوا له أجلا للفرنج فعاد الى دمشق حتى انقضى الأجل فآتوه طاعتهم وملك البلد وأحسن اليهم والله تعالى وليّ التوفيق لا ربّ غيره .

* (غزو طغركين وهزمته) *

ثم سار طغركين سنة اثنتين وخمسمائة الى طبرية ووصل اليها ابن أخت بغدوين ملك القدس ^(١) من الفرنج فاقتلوا فانهزم المسلمون أولا فقتل طغركين ونادى بالمسلمين فكروا وانهزم الفرنج وأسر ابن أخت بغدوين وعرض طغركين عليه الاسلام فامتنع فقتله بيده وبعث بالاسرى الى بغداد ثم انعقد الصلح بين طغركين ^(٢) وبغدوين بعد أربع سنين وسار بعدها طغركين الى حصن غزة في شعبان من السنة وكان ليدمولى القاضي فخر الملك بن علي ابن عمار صاحب طرابلس فعصى عليه وحاصره الافرنج وانقطعت عنه الميرة فأرسل طغركين صاحب دمشق أن يمكنه من الحصن فأرسل اليه اسرائيل من أصحابه فملك الحصن وقتل صاحبه مولى بن عمار غيلة ليستأثر بمخلفه فانتظر طغركين دخول الشتاء وسار الى الحصن لينظر في أمره وكان السرداني من الافرنج يحاصر طرابلس فلما سمع بوصول طغركين حصن الاكمة أغد السير اليه فهزمه وغنم سواده ولحق طغركين بحمص ونازل السرداني غرة فاستأمنوا اليه وملكها وقبض على اسرائيل فادى به أسيرا كان لهم بدمشق منذ سبع سنين ووصل طغركين

(١) كذا بياض بالاصل ، وهو بغدوين الاول ، امبراطور اللاتين على القسطنطينية قائد الحملة الصليبية الرابعة .

(٢) وفي نسخة ثانية : نيدغ

الى دمشق ثم قصد ملك الافرنج رسة من أعماله دمشق فلكها وشحنها بالاقوات والحامية فقصدها طغركين بعد أن نعى اليه الخبر بضعف الحامية الذين بها فكبسها عنوة وأسر الافرنج الذين بها والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (انتفاض طغركين على السلطان محمد) *

كان السلطان محمد بن ملك شاه قد أمر مودود بن بوشكين صاحب الموصل بالمسير لغزو الافرنج لأن ملك القدس تابع الغارات على دمشق سنة ست وخمسمائة واستصرخ طغركين بمودود فجمع العساكر وسار سنة تسع ولقيه طغركين بسهولة وقصدوا القدس وانتهاوا الى الانحوانة على الاردن وجاء بغدوين فقتل قبالتها على النهر ومعه جوسكين صاحب جيشه واقتتلوا منتصف محرم سنة عشر على بحيرة طبرية فانهمز الافرنج وقتل منهم كثير وغرق كثير في بحيرة طبرية ونهر الاردن ولقيتهم عساكر طرابلس وانطاكية فاشتدوا وأقاموا يجبل قرب طبرية وحاصروهم المسلمون فيه ثم يشوا من الظفر به فساحوا في بلادهم واكتسحوها وخربوها ونزلوا مرج الصفر وأذن مودود للعساكر في العود والراحة ليتأبوا للغزو . وسلخ الشتاء ودخل دمشق آخر ربيع من سنة (١) ليقم عند طغركين تلك المدة وصلى معه أول جمعة ووثب عليه باطني بعد الصلاة فطعنه ومات آخر يومه واتهم طغركين بقتله وولى السلطان مكانه على الموصل اقسنقر البرسقي فقبض على اياز بن أبي الغازي وأبيه صاحب حصن كيفا فسار بنو أرتق الى البرسقي وهزموه وتخلص اياز من أسره فلحق أبو الغازي أبوه بطغركين صاحب دمشق وأقام عنده وكان مستوحشا من السلطان محمد لاتهامه بقتل مودود فبعث الى صاحب انطاكية من الفرنج وتحالفوا على المظاهرة وقصد أبو الغازي ديار بكر فظفر به قيرجان بن قراجا صاحب حمص وأسره وجاء طغركين لاستنقاذه فحلف قيرجان ليقتله ان لم يرجع طغركين الى بلاده وانتظر وصول العساكر من بغداد تحمله فأبطأت فأجاب طغركين الى اطلاقه ثم بعث السلطان محمد العساكر لجهاد الافرنج والبداءة بقتال طغركين وابي الغازي فساروا في رمضان سنة ثمان وخمسمائة ومقدمهم برسق بن برسق صاحب همدان وانتهاوا الى حلب وبعثوا الى متولها لؤلؤ الخادم ومقدم عسكرها شمس الخواص يأمرونها بالتزول عنها وعرضوا عليها كتب السلطان بذلك فدافعا بالوعد واستحثا طغركين

(١) كذا بياض بالاصل ، وذكر ابن الاثير هذه الحادثة في حوادث سنة سبع وخمسمائة ، وحدث الاقتال على بحيرة طبرية المذكور هنا في منتصف محرم سنة عشر ، ذكره ابن الاثير في حوادث سنة ست وخمسمائة .

وأبا الغازي في الوصول فوصلا في العساكر وامتنعت حلب على العساكر وأظهروا العصيان فسار برسق الى حماة وهي لطفركين فلكها عنوة ونهبها ثلاثا وسألمها الامير قيرجان صاحب حمص وكان جميع ما يفتح من البلاد له بأمر السلطان فانتقض الامراء من ذلك وكسلوا عن الغزو وسار أبو الغازي وطفركين وشمس الخواص الى انطاكية يستجدون صاحبها دجيل من الافرنج ثم توادعوا الى انصرام الشتاء ورجع أبو الغازي الى ماردين وطفركين الى دمشق ثم كان في اثر ذلك هزيمة المسلمين واستشهد برسق وأخوه زنكي وقد تقدم خبر هذه الهزيمة في أخبار البرسقي ثم قدم السلطان محمد بغداد فوفد عليه اتابك طفركين صاحب دمشق في ذي القعدة من سنة تسع مستعينا فأعانه وأعادته الى بلده والله سبحانه وتعالى أعلم .

وفاة رضوان بن تتش صاحب حلب وولاية ابنه البارسلان

ثم توفي رضوان بن تتش صاحب حلب سنة تسع وخمسمائة وقد كان قتل أخويه أبا طالب وبهرام وكان يستعين بالباطنية في أموره ويدخلهم ولما توفي بايع مولاه لؤلؤ الخادم لابنه البارسلان صبيا مغتلا وكانت في لسانه حبسة فكان يلعب الاخرس وكان لؤلؤ مستبداً عليه لا أول ملكه قتل أخويه وكل ملك شاه منها شقيقه وكانت الباطنية كثيراً في حلب في أيام رضوان حتى خافهم ابن بديع وأعيانها فلما توفي أذن لهم البارسلان في الايقاع بهم فقبضوا على مقدمهم ابن طاهر الصايغ وجماعة من أصحابهم فقتلوهم وافترق الباقون .

مهلك لؤلؤ الخادم واستيلاء أبي الغازي ثم مقتل البارسلان وولاية أخيه السلطان شاه

كان لؤلؤ الخادم قد استولى على قلعة حلب وولى أتابكية البارسلان ابن مولاه رضوان ثم تنكر له فقتله لؤلؤ ونصب في الملك أخاه سلطان شاه واستبد عليه فلما كان سنة احدى عشرة سار الى قلعة جعفر للاجتماع بصاحبها سالم بن مالك فغدر به بماليكه الاتراك وقتلوه عند خربترب وأخذوا خزائنه واعترضهم أهل حلب فاستعادوا منهم ما أخذوه وولى أتابكية سلطان شاه بن رضوان شمس الخواص بارقياس وعزل لشهر وولى بعده أبو المعالي بن

الملحي الدمشقي ثم عزل وصودر واضطربت الدولة وخاف أهل حلب من الافرنج فاستدعوا أبا الغازي بن ارتق وحكموه على أنفسهم ولم يجد فيها مالا فصادر جماعة الخدم وصانع بمالهم الافرنج حتى صار الى ماردين بنية العود الى حمايتها واستخلف عليها ابنه حسام الدين تمرتاش وانقرض ملك رضوان بن تتش من حلب والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (هزيمة طغركين أمام الافرنج) *

كان ملك الافرنج بغدوين صاحب القدس قد توفي سنة اثنتي عشرة وقام بملكهم بعده القمص صاحب الرها الذي كان أسره جكرمس وأطلقه جاولي كما تقدم في أخبارهم وبعث الى طغركين في المهادنة وكان قد سار من دمشق لغزوهم فأبى من اجابته وسار الى طبرية فنهبا واجتمع بقواد المصريين في عسقلان وقد أمرهم صاحبهم بالرجوع الى رأي طغركين ثم عاد الى دمشق وقصد الافرنج حصنا من أعماله فاستأمن اليهم أهله وملكوه ثم قصدوا أذرعات فبعث طغركين ابنه بوري لمدافعتهم فتنحوا عن أذرعات الى جبل هناك وحاصروهم بوري وجاء اليه أبو طغركين فراسلوه ليفرج عنهم فأبى طمعاً في أخذهم فاستماتوا وحملوا على المسلمين حملة صادقة فهزموهم ونالوا منهم ورجع القل الى دمشق وسار طغركين الى أبي الغازي بحلب يستنجده فوعده بالنجدة وسار الى ماردين للحشد ورجع طغركين الى دمشق كذلك وتواعدوا للجبال وسبق الافرنج الى حلب وكان بينه وبين أبي الغازي ما ذكره في موضعه من دولة بني ارتق والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق لاربّ غيره .

* (مناخلة الافرنج دمشق) *

ثم اجتمع الافرنج سنة عشرين وخمسمائة ملوكهم وقامصتهم وساروا الى دمشق ونزلوا مرج الصفر وبعث أتابك طغركين بالصريخ الى تركمان بديار بكر وغيرها وخيم قبالة الافرنج واستخلف ابنه بوري على دمشق ثم ناجزهم الحرب آخر السنة فاشتد القتال وصرع طغركين عن فرسه فانهزم المسلمون وركب طغركين واتبعهم ومضت خيالة الافرنج في اتباعهم وبقي رجاله التركمان في المعركة فلما خلاص اليهم رجاله الافرنج اجتمعوا واستماتوا وحملوا على رجاله الافرنج فقتلوههم ونهبوا معسكرهم وعادوا غانمين ظافرين الى دمشق ورجعت خيالة الافرنج من اتباعهم منهزمين فوجدوا معسكرهم منهوبا ورجالهم قتلى وكان ذلك من الصنع الغريب .

* (وفاة طغركين وولاية ابنه بوري) *

ثم توفي أتابك طغركين صاحب دمشق في صفر سنة اثنتين وعشرين وكان من موالي تاج الدولة تتش وكان حسن السيرة مؤثرا للعدل محبا في الجهاد ولقبه ظهير الدين ولما توفي ملك بعده ابنه تاج الدولة بوري أكبر أولاده بعهدده اليه بذلك وافر وزير أبيه أبي علي طاهر بن سعد المزديغاني على وزارته وكان المزديغاني يرى رأي الرافضية الاسماعيلية وكان بهرام ابن أخي ابراهيم الاستراباذي لما قتل عمه ابراهيم ببغداد على هذا المذهب لحق بالشام وملك قلعة بانياس ثم سار الى دمشق وأقام بها خليفة يدعو الى مذهبه ثم فارقهها وملك القدموس وغيره من حصون الجبال وقابل البصرية والدرزة بوادي اليتيم^(١) من أعمال بعلبك سنة اثنتين وعشرين وغلبيهم الضحاك وقتل بهرام وكان المزديغاني قد أقام له خليفة بدمشق يسمى أبا الوفاء فكثير اتباعه وتحكم في البلد وجاء الخبر الى بوري بأن وزيره المزديغاني والاسماعيلية قد راسلوا الافرنج بأن يملكوهم دمشق فجاء اليها وقتل المزديغاني ونادى بقتل الاسماعيلية وبلغ الخبر الى الافرنج فاجتمع صاحب القدس وصاحب انطاكية وصاحب طرابلس وسائر ملوك الافرنج وساروا لحصار دمشق واستصرخ تاج الملك بالعرب والتركمان وجاء الافرنج في ذي الحجة من السنة وبثوا سراياهم للنهب والاغارة ومضت منها سرية الى خوارزم فبعث تاج الدولة بوري سرية من المسلمين مع شمس الخواص من أمرائه لمداغتهم فلقوهم وظفروا بهم واستلحموهم وبلغ الخبر الى الافرنج فأجفلوا منهزمين وأحرقوا مخلفه واتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون والله تعالى وليّ التوفيق .

أسر تاج الملك لدييس بن صدقة وتمكين عماد الدين زنكي منه

كان بصرخد من أرض الشام^(٢) أميرا عليها فتوفي سنة خمس وعشرين وخلف سريته واستولت على القلعة وعملت أنه لا يتم لها استيلاؤها الا بترويج رجل من أهل العصابة فوصف لها دييس فكتبت اليه تستدعيه وهو على البصرة منابذا للسلطان عندما

(١) كذا بالاصل والصحيح : وقابل النصيرية والدروز بوادي التيم
(٢) كذا بياض بالاصل ، ولم نعثر في المراجع التي بين ايدينا على اسم هذا الامير

رجع من عند سنجر فاتخذ الادلاء وسار الى صرخد فضل به الدليل بنواحي دمشق ونزل على قوم من بني كلاب شرقي الغوطة فحملوه الى تاج الملك فحبسه وبعث به الى عماد الدين زنكي يستدعيه ويهدده على منعه وأطلق سريج بن تاج الملك الملوك والامراء الذين كانوا مأسورين معه فبعث تاج الملك بديس اليه وأشفق على نفسه فلما وصل الى زنكي خالف ظنه وأحسن اليه وسدّ خلته وبسط أمله وبعث فيه المسترشد أيضا يطلبه وجاء فيه الانباري وسمع في طريقه باحسان زنكي اليه فرجع ثم أرسل المسترشد يشفع فيه فأطلق .

* (وفاة تاج الملوك بوري صاحب دمشق

وولاية ابنه شمس الملوك اسمعيل) *

كان تاج الملوك بوري قد ثار به جماعة من الباطنية سنة خمس وعشرين وطعنوه فأصابته جراحة واندملت ثم انتقضت عليه في رجب من سنة ست وعشرين لاربع سنين ونصف من امارته وولي بعده ابنه شمس الملوك اسمعيل بعهدته اليه بذلك وكان عهد بمدينة بعلبك وأعمالها لابنه الآخر شمس الدولة وقام بتدبير أمره الحاجب يوسف بن فيروز شحنة دمشق وأحسن الى الرعية وبسط العدل فيهم والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (استيلاء شمس الملوك على الحصون) *

ولما تولى شمس الملوك اسمعيل وسار أخوه محمد الى بعلبك خرج اليها وحاصر أخاه محمدا بها وملك البلد واعتصم محمد بالحصن وسأل الابقاء فأبقى عليه ورجع الى دمشق ثم سار الى باشاش وقد كان الافرنج الذين بها نقضوا الصلح وأخذوا جماعة من تجار دمشق في بيروت فسار اليها طاويا وجه مذهبه حتى وصلها في صفر سنة سبع وعشرين وقتلها ونقب أسوارها وملكها عنوة ومثل بالافرنج الذين بها واعتصم فلهم بالقلعة حتى استأمنوا وملكها ورجع الى دمشق ثم بلغه أنّ المسترشد زحف الى الموصل فطمع هو في حماة وسار آخر رمضان وملكها يوم الفطر من غده فاستأمنوا اليه وملكها واستولى على ما فيها ثم سار الى قلعة شيرز وبها صاحبها من بني منقذ فحاصرها وصانعه صاحبها بمال حملة اليه فأفرج عنه وسار الى دمشق في ذي القعدة من السنة ثم سار في محرم سنة ثمان وعشرين الى حصن شقيق^(١) في

(١) هي قلعة الشقيف

الجلل المظل على بيروت وصيدا وبه الضحاك بن جندل رئيس وادي التيم قد تغلب عليه وامتنع به وتحاماه المسلمون والافرنج يحتمي من كل طائفة بالآخرى فسار اليه وملكه من وقته وعظم ذلك على الافرنج فساروا الى جوران وعاثوا في نواحيها فاحتشد هو واستنجد بالتركمان وسار حتى نزل قبالتهم وجهز العسكر هنالك وخرج في البرّ وأناخ على طبرية وعكافا كسح نواحيها وامتلأت أيدي عسكره بالغنائم والسبي وانتهى الخبر الى الافرنج بمكانهم من بلاد حوران فأجفلوا الى بلادهم وعاد هو الى دمشق وراسله الافرنج في تجديد الهدنة فهادنهم .

* (مقتل شمس الملوك وولاية أخيه شهاب الدين محمود) *

كان شمس الملوك سيء السيرة كثير الظلم والعدوان على رعيته مرهف الحدّ لاهله وأصحابه حتى انه وثب عليه بعض ممالك جده سنة سبع وعشرين وعلاه بالسيف ليقته فأخذ وضرب فأقرّ على جماعة داخلوه فقتلهم وقتل معهم أخاه سونج فتنكر الناس له وأشيع عنه بأنه كاتب عماد الدين زنكي ليملكه دمشق واستحثه في الوصول لئلا يسلم البلد الى الافرنج فسار زنكي فصدق الناس الاشاعة وانتقض أصحاب أبيه لذلك وشكوا الامّة فأشفقت ثم تقدّمت الى غلمانه بقتله فقتلوه في ربيع الآخر سنة تسع وعشرين وقيل انه اتهم أمّه بالحاجب يوسف بن فيروز فاعتزم على قتلها فهرب يوسف وقتلته أمّه ولما قتل ولّى أخوه شهاب الدين محمود من بعده ووصل أتابك زنكي بعد مقتله فحاصر دمشق من ميدان الحصار وجدّوا في مدافعتهم والامتناع عليه وقام في ذلك معين الدين أنز مملوك جده طغراكين مقاما محمودا وجلا في المدافعة والحصار ثم وصل رسول المسترشد أبوبكر بن بهثر الجزري الى أتابك زنكي يأمره بمسألة صاحب دمشق الملك البارسلان شهاب الدين محمود وصلحه معه فرحل عن دمشق منتصف السنة .

* (استيلاء شهاب الدين محمود على حمص) *

كانت حمص لقيرجان بن قراجا ولولده من بعده والموالي بها من قبلها وطالهم عماد الدين زنكي في تسليمها وضايقهم في نواحيها فراسلوا شهاب الدين صاحب دمشق في أن يملكها ويعوّضهم عنها بتدمر فأجاب واستولى على حمص وسار اليها سنة ثلاثين وأقطعها لمملوك جده معين الدين أنز وأنزل معه حامية من عسكره ورجع الى دمشق واستأذنه الحاجب يوسف بن

فيروز في العود من تدمر الى دمشق وقد كان هرب اليها كما قدّمناه وكان جماعة من الموالى منحرفين عنه بسبب ما تقدّم في مقتل سونج فنكروا ذلك فلاطفهم ابن فيروز واسترضاهم وحلف لهم انه لا يتولى شيئاً من الامور ولما دخل رجع الى حاله فوثبوا عليه وقتلوه وخيموا بظاهر دمشق واشتطوا في الطلب فلم يسعفوا بكلمة فلحقوا بشمس الدولة محمد بن تاج الملك في بعلبك وثبوا السرايا الى دمشق فعاشت في نواحيها حتى أسعفهم شهاب الدين بكل ما طلبوه فرجعوا الى ظاهر دمشق وخرج لهم شهاب الدين وتحالفوا ودخلوا الى البلد وولى مرواش كبيرهم على العساكر وجعل اليه الحلّ والعقد في دولته والله أعلم .

* (استيلاء عماد الدين زنكي على حمص وغيرها من أعمال دمشق) *

ثم سار أتابك زنكي إلى حمص في شعبان سنة إحدى وثلاثين وقدم إليه حاجبه صلاح الدين الباغيسياني وهو أكبر أمرائه مخاطباً والياً معين الدين أنز في تسليمها فلم يفعل وحاصرها فامتنعت عليه فرحل عنها آخر شوال من السنة ثم سار سنة اثنتين وثلاثين إلى نواحي بعلبك فملك حصن المحولي على الأمان وهو لصاحب دمشق ثم سار إلى حمص وحاصرها وعاد ملك الروم إلى حلب فاستدعى الفرنج وملك كثيراً من الحصون مثل عين زربة وتل حمدون وحصر إنطاكية ثم رجع وأفرج أتابك زنكي خلال ذلك عن حمص ثم عاود منازلها بعد مسير الروم وبعث إلى شهاب الدين صاحب دمشق يخطب إليه أمّه مرد خاتون ابنة جاولي طمعاً في الاستيلاء على دمشق فزوجها له ولم يظفر بما أمّله من دمشق وسلموا له حمص وقلعتها وحملت إليه خاتون في رمضان من السنة والله أعلم .

* (مقتل شهاب الدين محمود وولاية أخيه محمد) *

لما قتل شهاب الدين محمود في شوال سنة ثلاث وثلاثين اغتاله ثلاثة من مواليه في مضجعه بخلوته وهربوا فنجوا واحد منهم وأصيب الآخران كتب معين الدين أنز إلى أخيه شمس الدين محمد بن بوري صاحب بعلبك بالخبر فسارع ودخل دمشق وتبعه الجند والأعيان وقوّض أمر دولته إلى معين الدين أنز مملوك جدّه وأقطعه بعلبك واستقامت أموره .

* (استيلاء زنكي على بعلبك وحصاره دمشق) *

ولما قتل شهاب الدين محمود وبلغ خبره إلى أمه خاتون زوجة أتابك زنكي بجلب عظم جزعها عليه وأرسلت إلى زنكي بالخبر وكان بالجزيرة وسألت منه الطلب بثأر ابنها فسار إلى دمشق واستعدوا للحصار فعدل إلى بعلبك وكانت لمعين الدين أنز كما قلناه وكان أتابك زنكي دس إليه الأموال ليتمكن من دمشق فلم يفعل فسار إلى بلده بعلبك وجد في حربها ونصب عليها المخانيق حتى استأمنوا إليه وملكها في ذي الحجة آخر سنة ثلاث وثلاثين واعتصم جماعة من الجند بقلعتها ثم استأمنوا فقتلهم وأرهب الناس بهم ثم سار إلى دمشق وبعث إلى صاحبها في تسليمها والنزول عنها على أن يعوضه عنها فلم يجب إلى ذلك فرحف إليها ونزل داريا منتصف ربيع الأول سنة أربع وثلاثين وبرزت إليه عساكر دمشق فظفر بهم وهزمهم ونزل المصلي وقاتلهم فهزمهم ثانيا ثم أمسك عن قتالهم عشرة أيام وتابع الرسل إليه بأن يعوضه عن دمشق ببعلبك أو حمص أو ما يختاره فنفعه أصحابه فعاد زنكي إلى القتال واشتد في الحصار والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق .

* (وفاة جمال الدين محمد بن بوري وولاية ابنه

مجير الدين أنز) *

ثم توفي جمال الدين محمد بن بوري صاحب دمشق رابع شعبان سنة أربع وثلاثين وزنكي محاصر به وهو معه في مراوضة الصلح وجمع زنكي فيما عساه أن يقع بين الأمراء من الخلاف فاشتد في الزحف فها وهنوا لذلك وولوا من بعد جمال الدين محمداً ابنه مجير الدين أنز وقام بتربيته وتدبير دولته معين الدين أنز مدبر دولته وأرسل إلى الإفرنج يستنجدهم على مدافعة زنكي على أن يحاصر قاشاش فإذا فتحها أعطاهم إياها فأجابوا إلى ذلك حذراً من استطالة زنكي بملك دمشق فسار زنكي للقائهم قبل إتصالهم بعسكر دمشق ونزل حوران في رمضان من السنة فخام الإفرنج عن لقائه وأقاموا ببلادهم فعاد زنكي إلى حصار دمشق في شوال من السنة ثم أحرق قرى المرج والغوطة ورحل عائداً إلى بلده ثم وصل الإفرنج إلى دمشق بعد رحيله فسار معهم معين الدين أنز إلى قاشاش من ولاية زنكي ليفتحها ويعطيها للإفرنج كما عاهدهم عليه وقد كان واليا أغار على مدينة صور ولقيه في طريقه صاحب

إنطاكية وهو قاصد إلى دمشق لإنجاد صاحبها علي زنكي فقتل الوالي ومن معه من العسكر ولحاً الباقون إلى قاشاش وجاء معين الدين أنز أثر ذلك في العساكر فلكها وسلمها للفرنج وبلغ الخبر إلى أتاك زنكي فسار إلى دمشق بعد أن فرق سراياه وبعوثة على حوران وأعمال دمشق وسار هو متجراً إليها فصبحها وخرج العسكر لقتاله فقاتلهم عامة يومه ثم تأخر إلى مرج راهط وانتظر بعوثة حتى وصلوا إليه وقد امتلأت أيديهم بالغنائم ورحل عائداً إلى بلده .

* (مسير الإفرنج لحصار دمشق) *

كان الإفرنج منذ ملكوا سواحل الشام ومدنه تسير إليهم أم الإفرنج من كل ناحية من بلادهم مددا لهم على المسلمين لما يرونه من تفرد هؤلاء بالشام بين عدوهم وسار في سنة ثلاث وأربعين ملك الألمان من أمراء الإفرنج من بلاده في جموع عظيمة قاصدا بلاد الإسلام لا يشك في الغلب والإستيلاء لكثرة عساكره وتوفر عدده وأمواله فلما وصل الشام اجتمع عليه عساكر الإفرنج الذين له ممثلين أمره فأمرهم بالمسير معه إلى دمشق فساروا لذلك سنة ثلاث وأربعين وحاصروها فقام معين الدين أنز في مدافعتهم المقام المحمود ثم قاتلهم الإفرنج سادس ربيع الأول من السنة فنالوا من المسلمين بعد الشدة والمصابرة واستشهد ذلك اليوم الفقيه حجة الدين يوسف العندلاوي المغربي وكان عالماً زاهداً وسأله معين الدين يومئذ في الرجوع لضعفه وسنه فقال له قد بعت واشترى مني فلا أقبل ولا أستقبل يشير إلى آية الجهاد وتقدم حتى استشهد عند أسرت على نصف فرسخ من دمشق واستشهد معه خلق وقوي الإفرنج ونزل ملك الألمان الميدان الأخضر وكان عماد الدين زنكي صاحب الموصل قد توفي سنة إحدى وأربعين وولي ابنه سيف الدين غازي الموصل وابنه نور الدين محمود حلب فبعث معين الدين أنز إلى سيف الدين غازي صاحب الموصل يستنجده فجاء لإنجاده ومعه أخوه نور الدين وانتهاوا إلى مدينة حمص وبعث إلى الإفرنج يتهددهم فاضطروا إلى قتاله وانقسمت مؤنتهم بين الفريقين وأرسل معين الدين إلى الألمان يتهددهم بتسليم البلد إلى ملك المشرق يعني صاحب الموصل وأرسل إلى فرنج الشام يحذرهم من إستيلاء ملك الألمان على دمشق فإنه لا يبقى لكم معه مقام في الشام ووعدهم بحصن قاشاش فاجتمعوا إلى ملك الألمان وخوفوه من صاحب الموصل أن يملك دمشق فرحل عن البلد وأعطاهم معين الدين قلعة قاشاش وعاد ملك الألمان إلى بلاده على البحر المحيط في

أقصى الشمال والمغرب ثم توفي معين الدين أنز مدبر دولة أرتق والمتغلب عليه سنة أربع وأربعين لسنة من حصار ملك الألمان والله أعلم .

* (استيلاء نور الدين محمود العادل على دمشق وانقراض

دولة بني تتش من الشام) *

كان سيف الدين غازي بن زنكي صاحب الموصل قد توفي سنة أربع وأربعين وملك أخوه قطب الدين وانفرد أخوه الآخر نور الدين محمود بحلب وما يليها وتجرّد لطلب دمشق ولجهاذ الإفرنج واتفق أنّ الإفرنج سنة ثمان وأربعين ملكوا عسقلان من يد خلفاء العلوية لضعفهم كما مرّ في أخبار دولتهم ولم يجد نور الدين سبيلاً إلى إرتجاعها منهم لاعتراض دمشق بينه وبينهم ثم طمعوا في ملك دمشق بعد عسقلان وكان أهل دمشق يؤدّون إليهم الضريبة فيدخلون لقبضها ويتحكمون فيهم ويطلقون من أسرى الإفرنج الذين بها كل من أراد الرجوع إلى أهله فخشى نور الدين عليها من الإفرنج ورأى أنه أن قصدها استنصر صاحبها عليه بالإفرنج فراسل صاحبها مجير الدين واستماله بالهدايا حتى وثق به فكان يغريه بأمرائه الذين يجد بهم القوة على المدافعة واحداً واحداً ويقول له أنّ فلاناً كاتبني بتسليم دمشق فيقتله مجير الدين حتى كان آخرهم عطاء بن حافض السلمي الخادم وكان شديداً في مدافعة نور الدين فأرسل إلى مجير الدين بمثلها فيه فقبض عليه وقتله فسار حينئذ نور الدين إلى دمشق بعد أن كاتب الأحداث الذين بها واستمالهم فوعده وأرسل مجير الدين إلى الإفرنج يستنجد به من نور الدين على أن يعطيهم بعلبك فأجابوه وشرعوا في الحشد وسبقهم نور الدين إلى دمشق فثار الأحداث الذين كاتبهم وفتحوا له الباب الشرقي فدخل منه وملكها واعتصم مجير الدين بالقلعة فراسله في التزول عنها وعوّضه مدينة حمص فسار إليها ثم عوّضه عن حمص بالس فلم يرضها وسار إلى بغداد واختط بها داراً قرب النظامية وتوفي بها واستولى نور الدين على دمشق وأعمالها واستضافها إلى ملكه فجلب وانقرض ملك بني تتش من الشام والبلاد الفارسية أجمع والبقاء لله وحده والله مالك الملك لا رب غيره سبحانه وتعالى .

مجير الدين اتق بن شمس الدين محمد بن تاج الملوك بوري بن طغرلين أتابك دقاق بن تشش البارسلان

شمس الملوك اسمعيل

المستبد عليه معين الدين انز اتابك
سنة ١١٣٠ هـ

سلطان شاه
سنة ١١٣٠ هـ

تلشاش

الخبر عن دولة قطلمش وبنيه ملوك قونية وبلاد الروم من السلجوقية ومبادئ أمورهم وتصارييف أحوالهم

كان قطلمش هذا من عطاء أهل هذا البيت ونسبه فهم مختلف فقيل قطلمش بن ييقو وابن الأثير تارة يقول قطلمش ابن عم طغرلبك وتارة يقول قطلمش بن اسرائيل من سلجوق ولعله بيان ذلك الاجمال ولما انتشر السلجوقية في البلاد طالبن للملك دخل قطلمش هذا إلى بلاد الروم وملك قونية وأقصرا ونواحيها وبعثه السلطان طغرلبك بالعساكر مع قریش بن

بدران صاحب الموصل في طلب دبيس بن مزيد عندما أظهر الدولة العلوية في الحلة وأعمالها فهزمهم دبيس والبساسيري كما تقدّم في أخبارهم ثم عصى على السلطان البارسلان بعد طغرلبيك وقصد الريّ ليملكه وقاتله البارسلان سنة ست وخمسين فانهزم عسكر قطلمش ووجد بين القتلى فتجمع له البارسلان وقعد للغزاء فيه كما تقدّم في أخبارهم وقام بأمره ابنه سليمان وملك قونية وأقصرا وغيرهما من الولاية التي كانت بيد أبيه وافتتح إنطاكية من يد الروم سنة سبع وسبعين وأربعمائة وقد كانوا ملكوها منذ خمس وخمسين وأربعمائة فأخذها منهم وأضافها إلى ملكه وقد تقدّم خبر ملكه إياها في دولتهم وكان لمسلم بن قريش صاحب الموصل ضريبة على الروم بإنطاكية فطالب بها سليمان بن قطلمش فامتنع لذلك وأنف منه فجمع مسلم العرب والتركمان لحصار إنطاكية ومعه جق أمير التركمان والتقى سنة ثمان وسبعين وانحاز جق إلى سليمان فانهزم العرب وسار سليمان بن قطلمش لحصار حلب فامتنعت عليه وسأله الإمهال حتى يكتب السلطان ملك شاه ودسوا إلى تاج الدولة تتش صاحب دمشق يستدعونه فأغذ السير واعترضه سليمان بن قطلمش على تعبئة فانهزم وطعن نفسه بخنجر فمات وغنم تتش معسكره وملك بعده ابنه قلعج أرسلان وأقام في سلطانه ولما زحف الإفرنج إلى سواحل الشام سنة تسعين وأربعمائة جعلوا طريقهم على القسطنطينية فمنعهم من ذلك ملك الروم حتى شرط عليهم أن يعطوه إنطاكية إذا ملكوها فأجابوا لذلك وعبروا خليج القسطنطينية ومروا ببلاد قلعج أرسلان بن سليمان بن قطلمش فلقبهم في جموعه قريبا من قونية فهزمهم وانتهوا إلى بلاد ابن ليون الأرمني فروا منها إلى إنطاكية وبها باغيسيان من أمراء السلجوقية فاستعدّ للحصار وأمر بحفر الخندق فعمل فيه المسلمون يوما ثم عمل فيه النصاري الذين كانوا بالبلد من الغد فلما جاؤا للدخول منعهم وقال أنا لكم في مخلفكم حتى ينصرف هؤلاء الإفرنج وزحفوا إليه فحاصروه تسعة أشهر ثم عدا بعض الحامية من سور البلد عليهم فادخلوهم من بعض مسارب الوادي وأصبحوا في البلد فاستباحوه وركب باغيسيان للصالح فهرب ولقيه خطاب من الأرمن فجاء برأسه إلى الإفرنج وولي عليها بمشد من زعماء الإفرنج وكان صاحب حلب وصاحب دمشق قد عزموا على النفير إلى إنطاكية لمداغتهم فكاتبهم بالمسألة وأنهم لا يعرضون لغير إنطاكية فأوهن ذلك من عزائمهم وأقصروا عن انجاء باغيسيان وكان التركمان قد انتشروا في نواحي العراق وكان كمشتكين بن طبلق المعروف أبوه بالوانشمند ومعناه المعلم عندهم قد ملك سيواس من بلاد الروم مما يلي إنطاكية وكان بملطية مما يحاورها متغلب آخر من التركمان وبينه وبين الوانشمند حروب

فاستنجد صاحب ملطية عليه الإفرنج وجاء يبضل من إنطاكية سنة ثلاث وتسعين في خمسة آلاف فلقه ابن الوانשמند وهزمه وأخذه أسيراً وجاء الإفرنج لتخليصه فنازلوا قلعة أنكورية وهي أنقرة فأخذوها عنوة ثم ساروا إلى أخرى فيها اسمعيل بن الوانשמند وحاصروها فجمع ابن الوانשמند وقاتلهم وأكمن لهم وكانوا في عدد كثير فلما قاتلهم استطرد لهم حتى خرج عليهم الكمين وكّر عليهم فلم يفلت منهم أحد وسار إلى ملطية فلكها وأسر صاحبها وجاءه الإفرنج من إنطاكية فهزمهم .

* (استيلاء قليج أرسلان على الموصل) *

كانت الموصل وديار بكر والجزيرة بيد جكرمش من قواد السلجوقية فنع الحمل وهم بالانتقاض فأقطع السلطان الموصل وما معها لجاولي سقاوو والكل من قوادهم وأهرهم بالمسير لقتال الإفرنج فسار جاولي وبلغ الخبر لجكرمش فسار من الموصل إلى أربل وتعاقد مع أبي الهيجاء بن موشك الكردي الهدباي صاحب أربل وانتهى إلى البوازيج فغير إليه جكرمش دجلة وقاتله فانهزمت عساكر جكرمش وبقي جكرمش واقفاً لفالج كان به فأسره جاولي ولحق الفل بالموصل فنصبوا مكانه ابنه زنكي صبيّاً صغيراً وأقام بأمره غزلي مولى أبيه وكانت القلعة بيده وفرق الأموال والخيول واستعدّ لمداغة جاولي وكاتب صدقة بن مزيد والبرسقي شحنة بغداد وقلج أرسلان صاحب بلاد الروم يستنجدهم ويعد كلا منهم بملك الموصل إذا دافعوا عنه جاولي فأعرض صدقة عنه ولم يحتفل بذلك ثم سار جاولي إلى الموصل وحاصرها وعرض جكرمش للقتل أو يسلموا إليه البلد فامتنعوا وأصبح جكرمش في بعض أيام حصارها^(١) وسمع جاولي بأن قليج أرسلان سار في عساكره إلى نصيبين فأفرج عن الموصل وسار إلى سنجار وسبق البرسقي إليها بعد رحيل جاولي وأرسل إلى أهلها فلم يحبوه بشيء وعاد إلى بغداد واستدعى رضوان صاحب دمشق جاولي سقاوو لمداغة الإفرنج عنه فساروا إليه وخرج من الموصل عسكر جكرمش إلى قليج أرسلان بنصيبين فتحالفوا معه وجاؤا به إلى الموصل فلكها آخر رجب من سنة خمسمائة وخرج إليه ابن جكرمش وأصحابه وملك القلعة من غزلي وجلس على التخت وخطب لنفسه بعد الخليفة وأحسن إلى العسكر وسار في الناس بالعدل وكان في جملة إبراهيم بن نبال التركماني صاحب آمد

(١) كذا يبااض بالأصل ، وفي الكامل ج ١٠ ص ٤٥٨ : فلما اصطفوا للحرب حمل جاولي من القلب على قلب جكرمش فانهزم من فيه ، وبقي جكرمش وحده لا يقدر على الهزيمة لفالج كان فيه .

ومحمد بن جق التركماني صاحب حصن زياد وهو خرت برت وكان ابراهيم بن نبال قد ولي
تتش على آمدحين ولي ديار بكر وكانت بيده وأما خرت برت فكانت بيد القلادروس
ترجمان الروم والرها وإنطاكية من أعماله فللك سليمان بن قطلمش إنطاكية وملك فخر الدولة
بن جهير ديار بكر فضعف القلادروس وملك جق خرت برت من يده وأسلم القلادروس
على يد السلطان ملك شاه وأمره على الرها فأقام بها حتى مات وملكها جق هي وما جاورها
من الحصون وأورثها ابنه محمدا بعد موته والله تعالى وليّ التوفيق .

* (الحرب بين قليج أرسلان وبين الإفرنج) *

كان سمند صاحب إنطاكية من الإفرنج قد وقعت بينه وبين ملك الروم بالقسطنطينية وحشة
واستحكمت وسار سمند فنهب بلاد الروم وعزم على قصد إنطاكية فاستنجد ملك الروم بقليج
أرسلان فأمدّه بعساكره وسار مع ذلك الروم فهزموا الإفرنج وأسروهم ورجع الفلّ إلى
بلادهم بالشام فاعتزموا على قصد قليج أرسلان بالجزيرة فأتاهم خبر مقتله فاقصروا والله
تعالى وليّ التوفيق .

* (مقتل قليج أرسلان وولاية ابنه مسعود) *

قد تقدم لنا استيلاء قليج أرسلان على الموصل وديار بكر وأعمالها وجلسه على التخت وإن
جاولي سكاوو سار إلى سنجار ثم سار منها إلى الرحبة وكان قليج أرسلان خطب له بها
صاحبها محمد بن السباق من بني شيبان بعد مهلك دقاق وانتفاضه على أبيه فلما حاصرها
جاولي بعث إليه رضوان بن تتش صاحب حلب في النجدة على الإفرنج لما ساروا إلى بلاده
فوعده لإنقضاء الحصار وجاء رضوان فحضر عنده واشتدّ الحصار على أهل الرحبة وغدر
بعضهم فأدخل أصحاب جاولي ليلاً ونهبوها إلى الظهر وخرج إليه صاحبها محمد الشيباني
فأطاعه ورجع عنه وبلغ الخبر إلى قليج أرسلان فسار من الموصل لحرب جاولي واستخلف
عليها ابنه ملك شاه صبيّاً صغيراً مع أمير يدبره فلما انتهى إلى الخابور هرب عنه إبراهيم بن
نيال صاحب آمد ولحق ببلده واعتزم قليج أرسلان على المطاولة واستدعى عسكره الذين
أنجدهم ملك الروم على الإفرنج فجاءوا إليه واغتم جاولي قلة عسكره فلقه آخر ذي القعدة
من السنة واشتدّت الحرب وحمل قليج أرسلان على جاولي بنفسه وصرع صاحب الراية
وضرب جاولي بسيفه ثم حمل أصحاب جاولي عليه فهزموه وألقى نفسه في الخابور فغرق

وسار جاولي إلى الموصل فلحقها وأعاد خطبة السلطان محمد وبعث إليه ملك شاه بن قليج^(١) أرسلان وولي مكان قليج أرسلان في قونية وأقصرًا وسائر بلاد الروم ابنه مسعود واستقام له ملكها .

* (استيلاء مسعود بن قليج أرسلان على ملطية وأعمالها) *

كانت ملطية وأعمالها وسيواس لابن الوانשמند من التركمان كما مرّ وكانت بينه وبينهم حروب وهلك كمستكين بن الوانשמند وولي مكانه ابنه محمد واتصلت حروبه مع الإفرنج كما كان أبوه معهم ثم هلك سنة سبع وثلاثين فاستولى مسعود بن قليج أرسلان على الكثير منها وبقي الباقي بيد أخيه باغي أرسلان بن محمد .

* (وفاة مسعود بن قليج وولاية ابنه قليج أرسلان) *

ثم توفي مسعود بن قليج أرسلان سنة إحدى وخمسين وخمسمائة وملك مكانه ابنه قليج أرسلان فكانت بينه وبين باغي أرسلان ابن الوانשמند وصاحب ملطية وما جاورها من ملك الروم وحروب بسبب أن قليج تزوّج بنت الملك طليق بن علي بن أبي القاسم فزوّجها إليه بجهاز عظيم وأغار عليه باغي أرسلان صاحب ملطية فأخذها بما معها وزوّجها بابن أخيه ذي النون بن محمد بن الوانשמند بعد أن أشار عليها بالردة لينفسخ النكاح ثم عادت إلى الإسلام وزوّجها بابن أخيه فجمع قليج أرسلان عساكره وسار إلى باغي أرسلان بن الوانשמند فهزّمه باغي أرسلان واستنجد ملك الروم فأمدّه بعسكر وسار باغي أرسلان خلال ذلك وولي إبراهيم ابن أخيه محمد وملك قليج أرسلان بعض بلاده واستولى أخوه ذو النون بن محمد الوانשמند على قيسارية وانفرد شاه بن مسعود أخو قليج أرسلان بمدينة أنكوريه وهي انقره واستقرت الحال على ذلك ثم وقعت الفتنة بين قليج أرسلان وبين نور الدين محمود بن زنكي وتراجعوا للحرب وكتب الصالح بن زريك المتغلب على العلوي بمصر إلى قليج أرسلان ينهيه عن ذلك ثم هلك إبراهيم بن محمد بن الوانשמند وملك مكانه أخوه ذو النون وانتقض قليج أرسلان عليه وملك ملطية من يده والله تعالى أعلم .

* (مسير نور الدين العادل إلى بلاد قليج أرسلان) *

ثم سار نور الدين محمود بن زنكي سنة ثمان وستين إلى ولاية أرسلان بن قليج أرسلان بن مسعود

(١) هكذا في الاصل في هذه النسخة وهو قليج أرسلان كما في الكامل لابن الاثير .

ببلاد الروم وهي ملطية وسيواس وأقصرا فجاءه قليج أرسلان متنصلاً معتذراً فأكرمه وثني عزمه عن قصد بلاده ثم أرسل إليه شقيقاً في ذي النون بن الوانشمند^(١) يرد عليه بلاده فلم يشفعه فسار إليه وملك مرعش ونهسنا^(٢) وما بينهما في ذي القعدة من السنة وبعث عسكرياً إلى سيواس فلكوها فقال قليج أرسلان إلى الصلح وبعث إلى نور الدين يستعطفه وقد بلغه عن الفرنج ما أزعجه فأجابه على أن يمدّه بالعساكر للغزو وعلى أن يبقى سيواس بيد نواب نور الدين وهي لذي النون بن الوانشمند ثم جاءه كتاب الخليفة باقطاع البلاد ومن جملتها بلاد قليج أرسلان وخلاط وديار بكر ولما مات نور الدين عادت سيواس لقليج أرسلان وطرده عنها نواب ذي النون .

* (مسير صلاح الدين لحرب قليج أرسلان) *

كان قليج أرسلان بن مسعود صاحب بلاد الروم قد زوّج بنته من نور الدين محمود بن قليج أرسلان بن داود بن سقمان صاحب حصن كيفا وغيره من ديار بكر وأعطاه عدّة حصون فلم يحسن عشرتها وتزوّج عليها وهجر مضجعها وامتنع أبوها قليج أرسلان لذلك واعتزم على غزو نور الدين في ديار بكر وأخذ بلاده فاستجار نور الدين بصلاح الدين بن أيوب واستشفع به فلم يشفعه وتعلل بطلب البلاد التي أعطاه عند المصاهرة فامتنع صلاح الدين لذلك وكان يحارب الإفرنج بالشام فصالحهم وسار في عساكره إلى بلاد الروم وكان الصالح إسماعيل بن نور الدين محمود بالشام فعُدل عنه ومرّ على تل ناشر إلى زغبان ولقي بها نور الدين محمود صاحب كيفا وبعث إليه قليج أرسلان رسولا يقرر غدره بابتنه فاغتاظ على الرسول وتوعده بأخذ بلادهم فتلطّف له الرسول وخلص معه نجياً ففجّح له ما إرتكبه من أجل هذه المرأة من ترك الغزو ومصالحة العدو وجمع العساكر وخساره وأن بنت قليج أرسلان لو بعث إليه بعد وفاة أبيها تسأل منه النصف بينها وبين زوجها لكان أحق ما تقصده فامتنعت وعلم أن على نفسه الحق فأمر الرسول أن يصلح بينهم ويكون هو عوناً له على ذلك فدخلهم ذلك الرسول في الصلح على أن يطلق هذه المرأة بعد سنة ويعقد بينهم ذلك ورجع كل إلى بلده ووفى نور الدين بما عقد على نفسه والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) في الكامل ج ١١ ص ٣٩١ : ذي النون ابن وانشمند صاحب ملطية وسيواس .

(٢) في الكامل : فسار نور الدين إليه فابتدأ بكيسون ونهسي ومرعش ومرزيان فلكها وما بينها . ج ١١ ص ٣٩١ .

* (قسمة قليج أرسلان أعماله بين ولده وتغلبهم عليه) *

ثم قسم قليج أرسلان سنة سبع وثمانين أعماله بين ولده فأعطى قونية بأعمالها لغياث الدين كسنجر وأقصر وسيواس لقطب الدين ودوقاط لركن الدين سليمان وأنقرة وهي أنكورية لمحي الدين وملطية لعز الدين قيصر شاه و^(١) لغياث الدين وقيسارية لنور الدين محمود وأعطى تكسار وأماساً لابني أخيه وتغلب عليه ابنه قطب الدين وحمله على انتراع ملطية من يد قيصر شاه فانتزعها ولحق قيصر شاه بصلاح الدين بن أيوب مستشفعاً به فأكرمه وزوجه ابنة أخيه العادل وشفع له عند أبيه وأخيه فشفعوه وردوا عليه ملطية ثم زاد تغلب ركن الدين وحجر عليه وقتل دابة في مدينته^(٢) وهو اختيار الدين حسن فخرج سائر بنيه عن طاعته وأخذ قطب الدين أباه وسار به إلى قيسارية ليلكها من أخيه فهرب قليج أرسلان ودخل قيسارية وعاد قطب الدين إلى قونية وأقصر فللكها وبقي أرسلان ينتقل بين ولده من واحد إلى آخر وهم معرضون عنه حتى استنجد بغياث الدين كسنجر صاحب^(٣) منهم فأنجده وسار معه إلى قونية فللكها ثم سار إلى أقصر وحاصرها ثم مرض قليج أرسلان وعاد إلى قونية فتوفي فيها وقبل إنما إختلف ولده عليه لأنه ندم على قسمة أعماله بينهم وأراد إثارة ابنه قطب الدين جميعها وانتقضوا عليه لذلك وخرجوا عن طاعته وبقي يتردد بينهم وقصد كسنجر وصاحب قونية فأطاعه وخرج معه بالعساكر لحصار محمود أخيه في قيسارية وتوفي قليج أرسلان وهو محاصر لقيسارية ورجع غياث الدين إلى قونية .

* (وفاة قليج أرسلان وولاية ابنه غياث الدين) *

ثم توفي قليج أرسلان بمدينة قونية أو على قيسارية كما مر من الخلاف منتصف ثمان وثمانين لسبع وعشرين سنة من ملكه وكان مهيباً عادلاً حسن السياسة كثير الجهاد ولما توفي واستقل ابنه غياث الدين كسنجر بقونية وما إليها وكان قطب الدين أخوه صاحب أقصر وسيواس وكان كلما سار من إحداهما إلى الأخرى يجعل طريقه على قيسارية وبها أخوه نور الدين محمود

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ١٢ ص ٨٨ . وسلم أُلُتْسَتَيْنِ إلى ولده مغياث الدين .

(٢) كذا بالأصل وهي عبارة محرفة ، وفي الكامل : وحجر عليه قطب الدين وكان قليج أرسلان قد إستتاب في مدينة ملكه رجلاً يعرف باختيار الدين حسن ، فلما غلب قطب الدين على الأمر قتل حسناً .

(٣) كذا بياض بالأصل وفي الكامل : ولم يذل قليج أرسلان يتحول من ولد إلى ولد وكل منهم يتبرم به حتى مضى إلى ولده غياث الدين كسنجر وصاحب مدينة برغلوا فلما رآه خرج به وخدمه . ج ١٢ ص ٨٩ .

يتلقاه بظاها حتى استنام إليه مدّة فغدر به وقتله وامتنع أصحابه بقيسارية كبيرهم حسن فقتله مع أخيه ثم أطاعوه وأمكنوه من البلد ومات قطب الدين أثر ذلك .

* (استيلاء ركن الدين سليمان على قونية وأكثر بلاد الروم وفرار غياث الدين) *

ولما توفي قليج أرسلان وولي بعده في قونية ابنه غياث الدين كسنجر وبنوه يومئذ على حالتهم في ولايتهم التي قسمها بينهم أبوهم وملك قطب الدين منهم قيسارية بعد أن غدر بأخيه محمود صاحبها ومات قطب الدين أثر ذلك فسار ركن الدين سليمان صاحب دوقاط إلى التغلب على أعمال سلفه ببلاد الروم فسار إلى سيواس وأقصر وقيسارية أعمال قطب الدين فملكها ثم سار إلى قونية فحاصرها غياث الدين وملكها ولحق غياث الدين بالشام كما يأتي خبره ثم سار إلى نكسار وأماساً فملكها وسار إلى ملطية سنة سبع وتسعين فملكها من يد معز الدين قيصر شاه ولحق معز الدين بالعاذل أبي بكر بن أيوب ثم سار إلى أرزن الروم وكانت لولد الملك محمد بن حليق من بيت قديم وخرج إليه صاحبها ليقدر معه صلحاً فقبض عليه وملك البلد فاجتمع لركن الدين سائر أعمال إخوته ما عدا أنقرة لحصانها فجمعر عليها الكناث وحاصرها ثلاثاً ثم دس من قتل أخاه وملك البلد سنة إحدى وستائة وتوفي هو عقب ذلك والله تعالى أعلم .

* (وفاة ركن الدين وولاية ابنه قليج أرسلان) *

ثم توفي ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان أوائل ذي القعدة من تمام سنة إحدى وستائة وولي بعده ابنه قليج أرسلان فلم تطل مدته وكان ركن الدين ملكاً حازماً شديداً على الإعداء إلا أنه ينسب إلى الترين بالفلسفة والله تعالى أعلم .

* (استيلاء غياث الدين كسنجر على بلاد الروم من أخيه ركن الدين) *

كان غياث الدين كسنجر بن قليج أرسلان لما ملك أخوه ركن الدين قونية من يده لحق بحلب وفيها الظاهر غازي بن صلاح الدين فلم يجد عنده قبولا فسار إلى القسطنطينية وأكرمه

ملك الروم وأصهر إليه بعض البطارقة في إبنته وكانت له قرية حصينة في أعمال قسطنطينية فلما استولى الإفرنج على القسطنطينية سنة ستائة لحق غياث الدين بقلعة صهره البطريق وبلغ إليه خبر أخيه تلك السنة وبعث بعض الأمراء من قوينة يستدعيه فسار إليه واجتمعوا على صارقونية وخرجت إليهم العساكر منها فهزموه ولحق ببعض البلاد فتحصن بها ثم قام أهل اقصرأ بدعوته وطردها واليه وبلغ الخبر إلى أهل قونية فثاروا بقلج أرسلان بن ركن الدين وقبضوا عليه واستدعوا غياث الدين فلكوه وأمكنوه من ابن أخيه وكان أخوه قيصر شاه قد لحق بصهره العادل أبي بكر بن أيوب فاستنصر به على أخيه ركن الدين عندما ملك ملطية من يده فأمر له بالرهما واستفحل ملك غياث الدين وقصده علي بن يوسف صاحب شمشاط ونظام الدين بن أرسلان صاحب خرت برت وغيرهما وعظم شأنه إلى أن قتله أشكر صاحب قسطنطينية سنة سبع وستائة والله تعالى وليّ التوفيق .

* (مقتل غياث الدين كسنجر وولاية ابنه كيكافوس) *

ولما قتل غياث الدين كسنجر وولي بعده ابنه كيكافوس ولقبوه الغالب بالله وكان عمه طغرك شاه بن قليج أرسلان صاحب أرزن الروم طلب الأمر لنفسه وسار إلى قتال كيكافوس ابن أخيه وحاصره في سيواس وقصد أخوه كيغباد بن كسنجر بلد أنكورية من أعماله فاستولى عليها وبعث كيكافوس صريخه إلى الملك العادل صاحب دمشق فانفذ إليه العساكر وأفرج طغرك عن سيواس قبل وصولهم فسار كيكافوس إلى أنكورية وملكها من يد أخيه كيغباد وحجسه وقتل أمراءه وسار إلى عمه طغرك في أرزن الروم فظفر به سنة عشر وقتله وملك بلاده .

مسير كيكافوس إلى حلب واستيلائه على بعض أعمالها ثم هزيمته وإرتجاع البلد من يده

كان الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب قد توفي وملك بعده ابنه طفلاً صغيراً وكان بعض أهل حلب قد لحق بكيكافوس فراراً من الظاهر وأغراه بملك حلب وهون عليه أمرها وملك ما بعدها ولما مات الظاهر قوي عزمه وطمعه في ذلك واستدعى الأفضل بن صلاح الدين بن شمشاط للمسير معه على أن تكون الخطبة لكيكافوس والولاية للأفضل في جميع ما يفتحونه من حلب وأعمالها فإذا افتحوا بلاد الجزيرة مثل حران والرهما من يد الأشرف تكون ولايتها لكيكافوس وتعاقدوا على ذلك وساروا سنة خمس عشرة فلكوا قلعة

رغبان وتسلمها الأفضل على الشرط ثم ملكوا قلعة تل ناشر فاستأثر بها كيكائوس وارتاب الأفضل ثم بعث ابن الظاهر صاحب حلب إلى الأشرف بن العادل صاحب الجزيرة وخلاط يستنجد به على أن يخطب له بحلب وينقش اسمه على السكة فسار لإنجاده ومعه أخياء طيء من العرب فترل بظاهر حلب وسار كيكائوس والأفضل إلى منبج ولقيت طليعتهم طليعة الظاهر فاقتتلوا وعاد عسكر كيكائوس منهزمين إليه فأجفل وسار الأشرف إلى رغبان وتل ناشر وبهما أصحاب كيكائوس فغلبهم عليهما وأطلقهم إلى أصحابهم فأحرقهم بالنار وسلم الأشرف الحصنين إلى شهاب الدين بن الظاهر صاحب حلب وبلغه الخبر بوفاة أبيه الملك العادل بمصر فرجع عن قصد بلاد الروم .

* (وفاة كيكائوس وملك أخيه كيغباد) *

كان كيكائوس بعد الواقعة بينه وبين الأشرف قد اعترم على قصد بلاد الأشرف بالجزيرة واتفق مع صاحب آمد وصاحب أربل على ذلك وكانا يخطبان له ثم سار إلى ملطية يشغل الأشرف عن الموصل حتى ينال منها صاحب أربل ومرض في طريقه فعاد ومات سنة ست عشرة وخلف بنيه صغاراً وكان أخوه كيغباد محبوساً منذ أخذه من أنكورية فأخرجه الجند من محبسه وملكوه وقيل بل أخرجه هو من محبسه وعهد إليه ولما ملك خالف عليه عمه صاحب أربل الروم فوصل يده بالأشرف وعقد معه صلحاً .

* (الفتنة بين كيغباد وصاحب آمد من بني أرتق وفتح عدة من حصونه) *

كانت الفتنة قد حدثت بين الأشرف صاحب الجزيرة والمعظم صاحب دمشق وجاء جلال الدين خوارزم من الهند سنة ثلاث وعشرين بعد هروبه أمام التتر فملك أذربيجان واعتصد به المعظم صاحب دمشق على الأشرف وظاهرهما الملك مسعود صاحب آمد من بني أرتق فأرسل الأشرف إلى كيغباد ملك الروم يستنجد به على صاحب آمد والأشرف يومئذ محاصر للماردين فسار كيغباد وأقام على ملطية وجهاز العساكر من هناك إلى آمد ففتح حصوناً عدة وعاد صاحب آمد إلى موافقة الأشرف فكتب إلى كيغباد أن يرد عليه ما أخذه فامتنع فبعث عساكره إلى صاحب آمد مدداً على كيغباد وكان محاصراً للقلعة الكحنا فلقبهم وهزمهم وأنخن فيهم وعاد ففتح القلعة والله أعلم .

* (استيلاء كيغباد على مدينة أرزنكان) *

كان صاحب أرزنكان هذه بهرام شاه من بني الأحذب بيت قديم في الملك وملكها ستين سنة ولم يزل في طاعة قليج أرسلان وولده وتوفي بعده ابنه علاء الدين داود شاه وأرسل عنه كيغباد سنة خمس وعشرين ليعسكر معه إليه وقبض عليه وملك مدينة أرزنكان وكان من حصونه كباح فامتنع نائبه فيه وتهدد داود شاه فبعث إلى نائبه فسلم له الحصن ثم قصد أرزن الروم وبها ابن عمر طغرك شاه بن قليج أرسلان فبعث ابن طغرك شاه بطاعته إلى الأشرف واستنجد نائبه بخلاط حسام الدين علي فسار إليه فخام كيغباد عن لقاءه وعاد من أرزنكان إلى بلاده فوجد العدو من الإفرنج قد ملك قلعة منها تسمى صنوبا مظلة على بحر الخزر فحاصرها براً وبحراً وارتجعها المسلمون والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق .

* (فتنة كيغباد مع جلال الدين) *

كان صاحب أرزن الروم وهو ابن عمّ كيغباد صار إلى طاعة جلال الدين خوارزم شاه وحاصر معه خلاط وفيها أيبك مولى فلكها جلال الدين وقتل أيبك كما يأتي في أخباره فخافها كيغباد صاحب الروم فاستنجد الملك الكامل وهو بحران فأمدّه بأخيه الأشرف من دمشق فجمع عساكر الجزيرة والشام وسار إلى كيغباد فلقبه بسيواس واجتمعوا في خمسة وعشرين ألفاً وساروا من سيواس إلى خلاط فلقبهم جلال الدين في نواحي أرزنكان فهاله منظرهم ومضى منهزماً إلى خلاط ثم سار منها إلى أذبيجان فترلوا عند خوي وسار الأشرف إلى خلاط فوجد جلال الدين قد خربها فعادوا إلى بلادهم وترددت الرسل إلى الصلح فاصطلحوا .

* (مسير بني أيوب إلى كيغباد وهزيمتهم) *

كان علاء الدين كيغباد قد استفحل ملكه ببلاد الروم ومديده إلى ما يحاوره من البلاد فلك خلاط بعد أن دافع عنها مع الأشرف بن العادل جلال الدين خوارزم شاه فنازعه الأشرف في ذلك واستصرخ بأخيه الكامل فسار في العساكر من مصر سنة إحدى وثلاثين وسار معه الملوك من أهل بيته وإنتهى إلى النهر الأزرق من تخوم الروم وبعث في مقدمته المظفر صاحب حماة من أهل بيته فلقبه كيغباد وهزمه وحصره في خرت برت وكانت لبني أرتق ورجع

الكامل بالعساكر إلى مصر سنة إثنين وثلاثين وكيغباد في أتباعهم ثم سار إلى حران والرها فلجها من يد نواب الكامل وولى عليها من قبله وسار الكامل سنة ثلاث وثلاثين فارتجعها .

* (وفاة كيغباد وملك ابنه كنجسرو^(١)) *

ثم توفي علاء الدين كيغباد سنة أربع وثلاثين وستائة وملك بعده ابنه غياث الدين كنجسرو وقارن ذلك إنقراض الدولة السلجوقية من ممالك الإسلام واحتلال دولة بني خوارزم شاه وخروج التتر من مفازة الترك وراء النهر واستيلاء جنكركخان سلطانهم على الممالك وانتزاعها من يد بني خوارزم شاه وفر جلال الدين آخرهم إلى الهند ثم رجع واستولى على أذربيجان وعراق العجم وكان بنو أيوب يومئذ بمالك الشام وأرمينية كما نذكر ذلك كله في أماكنه إن شاء الله تعالى وانتشر التتر في سائر النواحي وعاثوا فيها وتغلبوا عليها واستفحل ملكهم فسارت منهم طوائف إلى بلاد الروم سنة إحدى وأربعين فبعث غياث الدين كنجسرو وبالصرخ إلى بني أيوب وغيرهم من الترك في جواره وجاء المدد من كل جانب فسار للقائهم ولقيتهم المقدمة على قشمر زنجان فانهزمت المقدمة ووصلوا إليه فانهزم ونجا بعياله وذخيرته إلى مدينة على مسيرة شهر من المعترك ونهبوا سواده ومخلفه وانتشروا في نواحي بلاد الروم وعاثوا فيها وتحصن غياث الدين بهذه المدينة واستولى التتر على خلاط وآمد ثم استأمن لهم غياث الدين ودخل في طاعتهم واستقامت أموره معهم إلى أن مات قريباً من رجوعه وملك التتر قيسارية والله أعلم .

* (وفاة غياث الدين وولاية ابنه كيغباد) *

ثم توفي غياث الدين كنجسرو سنة أربع وخمسين وترك ثلاثاً من الولد أكبرهم علاء الدين كيغباد وعز الدين كيكاس وركن الدين قليج أرسلان وولى علاء الدين كيغباد بعهد إليه وكان يخطب لهم جميعاً وأمرهم واحد وكان جنكركخان ملك التتر قد ملك وكان كرسي سلطانهم بقراقروم وولي مكانه ابنه طلوخان وجلس على كرسيه وهو الخان الأعظم عندهم وحكمه ماض في ملوك الشمال والعراق من أهل بيته وسائر عشيرته ثم هلك طلوخان وولي مكانه في كرسيه ابنه منكوكخان فبعث أخاه هلاكو لفتح العراق وبلاد الإسماعيلية سنة

(١) وفي بعض النسخ : كنخسرو وفي الكامل كنجسرو .

خمسين وستائة فصار لذلك وملك العراقين وبغداد ثم جرد الخان الأعظم منكوخان إلى بلاد الروم سنة أربع وخمسين أميراً من امرأء المغل اسمه بيكوفي العساكر فصار إلى أرزن الروم وبها سنان الدين ياقوت موسى السلطان علاء الدين فحاصرها شهرين ونصب عليها المجانيق ثم ملكها عنوة وأسر ياقوت واستلحم الجند بأسرهم واستبقى الباعة والصناع ثم سار إلى بلاد الروم فملك قيسارية ومسيرة شهر معها ورجع ثم عاد سنة خمس وخمسين وعاش في البلاد واستولى على أكثر من الأولى والله تعالى أعلم .

* (وفاة كيغباد وملك أخيه كيكافوس) *

ولما كثر عيث التتر الذين مع بيكوفي مملكة علاء الدين كيغباد واعترم على المسير إلى الخان الأعظم منكوخان يؤكد الدخول في طاعته ويقتضي مراسمه إلى بيكوفي ومن معه من المغل بالكف عن البلاد سار من قونية سنة خمس وخمسين ومعه سيف الدين طرنطاي من موالي أبيه واحتمل معه الأموال والهدايا وسار ووثن أخوه عز الدين كيكافوس على أخيه الآخر قليج أرسلان فاعتقله بقونية واستولى على الملك وكتب في أثر أخيه إلى سيف الدين طرنطاي مع بعض الأكابر من أصحابه أن يمكنوه من الهدايا التي معهم يتوجه بها إلى الخان ويردوا علاء الدين فلم يدركوه حتى دخل بلاد الخان ونزل على بعض امرائه فسعى ذلك الرسول في علاء الدين وطرنتاي بأن معهم سماً فكبسهم الأمير فوجد شيئاً من الحمودة فعرض عليهم أكلها فامتنعوا فتخيل تحقيق السعاية فسألوه احضار الأطباء فأزالوا عنه الشك وبعث بهم إلى الخان ومات علاء الدين أثناء طريقه ولما اجتمعوا عند الخان اتفقوا على ولاية عز الدين كيكافوس وأنه أكبر وعقدوا له الصلح مع الخان فكتب له وخلع عليهم ثم كتب بيكوفي إلى الخان بأن أهل بلاد الروم قاتلوه ومنعوه العبور فأحضر الرسل وعرفهم الخبر فقالوا إذا بلغناهم كتاب السلطان أذعنوا فكتب الخان بتشريك الأميرين عز الدين كيكافوس وأخيه ركن الدين قليج أرسلان على أن تكون البلاد قسمة بينهما فن سبواس إلى القسطنطينية غرباً لعز الدين ومن سبواس إلى أرزن الروم شرقاً المتصلة ببلاد التتر ركن الدين وعلى الطاعة وحمل الإثارة لمنكوخان ملكهم صاحب الكرسي بقرقروم ورجعوا إلى بلاد الروم وحملوا معه شاه وكيغباد إلى أن دفنوه .

* (استيلاء التتر على قونية) *

ثم سار في عساكر المغل إلى بلاد الروم الثالثة فبعث عز الدين كيكائوس العساكر للقائه مع أرسلان أيدغمش من أمرائه فهزمه بيكوجاء في إتباعه إلى قونية فهرب عز الدين كيكائوس إلى العاليا بساحل البحر فترل بيكوجاء على قونية وحاصرها حتى استأمنوا إليه على يد خطيهم ولما حضر إليه أكرمه ورفع منزلته وأسلمت امرأته على يده وأمن أهل البلد ثم سار هلاكوا إلى بغداد سنة خمس وستين وبعث عن بيكوجاء عساكره من بلاد الروم بالحضور معه فاعتذر بالأكراد الذين في طريقه من الفراسلية والياروقية فبعث إليهم هلاكوا العساكر فأجفلوا وانتهت العساكر إلى أذربيجان وقد أجفل أهلها أمام الأكراد فاستولوا عليها ورجعوا صعبة بيكوجاء هلاكوا فحضر معه فتح بغداد وقد مرّ خبرها في أخبار الخلفاء ويأتي في أخبار هلاكوا ونيال أن بيكوجاء بعث عنه هلاكوا لم يحضر معه فتح بغداد واستمرّ على غدره فلما انقضى أمر بغداد بعث إليه هلاكوا من سقاه السمّ فمات لأنه اتهمه بالاستبداد ثم سار هلاكوا بعد فتح بغداد إلى الشام سنة ثمان وخمسين وحاصر حلب وبعث عن عز الدين كيكائوس وركن الدين قليج أرسلان وعن معين الدين سليمان البرنواه صاحب دولتهم وكان من خبره أن أباه مهذب الدين علي كان من الديلم وطلب العلم ونبغ فيه ثم تعرّض للوزير سعد الدين المستوفي أيام علاء الدين كيغباد يسأله إجراء رزقه وكان وصافاً فاستحسنه وزوجه إبنته فولدت سليمان ونشأ في الدولة ومات سعد الدين المستوفي فرقي السلطان مهذب الدين إلى الوزارة وألقى إليه بالمقاليد وتوفي مهذب الدين وترقي ابنه سليمان مهذب الدولة وكان يلقب معين الدين وترقي في الرتب إلى أن ولي الحجابة وكان يدعي البرنواه ومعناه الحاجب بلغتهم وكان مختصاً بركن الدين فلما حضر معها عند هلاكوا كما قلناه حلا بعينه وقال لركن الدين لا يأتي في أموركم إلا هذا فرقت حاله إلى أن ملك بلاد الروم أجمع .

الفتنة بين عز الدين كيكائوس وأخيه قليج أرسلان واستيلاء قليج أرسلان على الملك

ثم وقعت الفتنة سنة تسع وخمسين بين عز الدين كيكائوس وأخيه ركن الدين قليج أرسلان وسار ركن الدين ومعه البرنواه إلى هلاكوا يستمدّه على أخيه فأمدّه بالعساكر وحارب أخاه فهزمه عز الدين أولاً ثم أمدّه هلاكوا فانهزم عز الدين ولحق بالقسطنطينية واستولى ركن الدين

على سائر الأعمال وهرب التركان إلى أطراف الجبال والثغور والسواحل وبعثوا إلى هلاكو يطلبون الولاية منه على أحيائهم فولاهم وأذن لهم في اتخاذ الآلة فصاروا ملوكاً من حيثئذ وكان محمد بك أميرهم وأخوه علي بك رديفه فاستدعى علي هلاكو محمداً بك فلم يأته فأمر قليج أرسلان وعساكر التتر الذين معه بقتاله فصاروا وقاتلوه فانهزم ثم استأمن إلى السلطان ركن الدين فأمنه وجاء به إلى قونية فقتله واستقرّ علي بك أميراً على التركان وأورثها بنيه واستولى التتر على البلاد إلى .

* (خبر عز الدين كيكائوس) *

ولما انهزم عز الدين كيكائوس ولحق بالقسطنطينية أحسن إليه مخايل الشكري صاحب قسطنطينية وأجرى عليه الرزق وكان معه جماعة من الروم أخواله فحدثتهم أنفسهم بالثورة وتملك القسطنطينية ونمى ذلك عنهم فقبض الشكري عليه وعلى من معه واعتقله ببعض القلاع ثم وقعت بين الشكري وبين منكوتر بن طغان ملك الشمال من بني دوشي خان بن جنكزخان فتنة وغرامنكوتر القسطنطينية وعاث في نواحيها فهرب إليه كيكائوس من محبسه فمضى معه إلى كرسيه بصراي فمات هنالك سنة سبع وسبعين وخلف ابنه مسعوداً وخطب منكوتر ملك صراي أمه ففنعها وهرب عنه ولحق بابق بن هلاكو ملك العراق فأحسن إليه وأقطعه سيواس وارزن الروم وارزنكان فاستقرّ بها .

* (مقتل ركن الدين قليج أرسلان وولاية ابنه كنجسرو) *

كان معين الدين سليمان البرنواه قد استبدّ على ركن الدين قليج أرسلان ثم تنكر له ركن الدين فخاف سليمان البرنواه على مكان أخيه عز الدين كيكائوس بالقسطنطينية أن يحدث فيه أمراً فلما بلغه خبر كيكائوس واعتقاله بالقسطنطينية أحكم تدبيره في ركن الدولة فقتله غيلة ونصب للملك ابنه غياث الدين في كفالته وتحت حجره واستقلّ بملك بلاد الروم واستقامت أموره والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (استيلاء الظاهر ملك مصر على قيسارية ومقتل البرنواه) *

كان هلاكو قد زحف إلى الشام سنة ثمان وخمسين مراراً وزحف ابنه إبقا كذلك وقاتلهم الملك الظاهر صاحب مصر والشام وكان كثيراً ما يخالفهم إلى بلادهم فدخل سنة خمس

وسبعين إلى بلاد الروم وأميرها يومئذ من التتر طغا وأمده إبقا بأميرين من التتر وهما كداون وترقو لحماية بلاد الروم من الظاهر فزحفوا إلى الشام وسار إليهم الظاهر من مصر في مقدمته سقر الأسقر فلقيت مقدمته مقدمتهم على كوكصو فانهزم التتر وتبعهم الظاهر والتقى الجمعان على إبليش فانهزموا ثانية وأثنخ فيهم الظاهر بالقتل والأسر إلى قيسارية فلكها وكان البرنواه قد دس إليه واستحثه للوصول إلى بلاده فأقام الظاهر على قيسارية ينتظره وبلغ ملك التتر إبقا خبر الواقعة فزحف في جموع المغل إلى قيسارية بعد منصرف الظاهر إلى بلاده فلما وقف على مصارع قومه وجد على البرنواه وصدقت عنه السعاية فيه وأنه الذي استحث الظاهر لأنه لم ير في المعركة مصرع أحد من بلاد الروم ورجع إلى معسكره ومعه سليمان البرنواه واستبد بملكه والله تعالى وليّ التوفيق وهو نعم الرفيق لا ربّ سواه ولا معبود إلا إياه سبحانه .

* (خلع كنجسروثم مقتله وولاية مسعود ابن عمه كيكائوس) *

كان قنطغرطاي بن هلاكو مقيماً ببلاد الروم مع غياث الدين كنجسروملك بلاد الروم وصار أمير المغل بها منذ عهد أبقا ولما ولي أحمد تكرار بن هلاكو بعد أخيه أبقا بعث عن أخيه قنطغرطاي فامتنع من الوصول إليه خشية على نفسه ثم حمله غياث الدين على إجابة أخيه وسار معه فقتل تكرار أخاه قنطغرطاي واتهم المغل غياث الدين بأنه علم برأي تكرار فيه واعتمد فلما ولي أرغون بن إبقا بعد تكرار عزل غياث الدين عن بلاد الروم وحبسه بارزنكاي وولي مكانه على المغل ببلاد الروم أولاكو وذلك سنة اثنتين وثمانين وأقام مسعود ملكاً ببلاد الروم سنة ثمان عشرة وسبعائة وأصابه الفقر وانحل أمره وبقي الملك بها للتتر ثم فشل أمرهم واضمحلت دولتهم لا بقايا بسواس من بني أرثا مملوك دمرداش بن جومان واستولى التركمان على تلك البلاد أجمع وأصبح ملكها لهم والله غالب على أمره يوثي الملك من يشاء وهو العزيز الحكيم .

* (ملوك قونية من بلاد الروم وملكها من أيديهم التتر) *

غياث الدين كنجسر بن قليج ارسلان بن غياث الدين كنجسر بن كيغاد بن غياث الدين كنجسر بن قليج ارسلان بن مسعود بن قليج ارسلان بن سليمان

مسعود بن كيكاوس

كيكاوس

١٠٠٠
١٠٠٠

قليج ارسلان بن ركن الدين سليمان
قطب الدين ملك شاه

١

١

١

بن قطلمش بن اسرائيل بن سلجوق

١٠٠٠

الخبر عن بني سكرمان موالي السلجوقية ملوك خلاط وبلاد أرمينية ومصير الملك الى مواليهم من بعدهم ومباذي أمرهم وتصاريه أحوالهم

كان صاحب مزيد من أذربيجان اسمعيل بن ياقوتي بن داود أخو البارسلان وداود أخو طغرل بك كما مرّ ولقب اسمعيل قطب الدولة وكان له مولى تركي اسمه سكرمان بالكاف والقاف وكان ينسب اليه فيقال سكرمان القطبي وكان شهياً عادلاً في أحكامه وكانت خلاط وأرمينية لبني مروان ملوك ديار بكر وكانوا في آخر دولتهم قد اشتدّ عسفهم وظلمهم وساء حال أهل البلد معهم فاجتمع أهل خلاط وكاتبوا سكرمان واستدعوه ليلكوه عليهم فصار اليهم سنة اثنتين وخمسمائة الى ميافارقين من ديار بكر فحاصرها حتى استأمنوا اليه وملكها ثم أمر السلطان محمد شاه بن ملك شاه الأمير مودود بن زيد بن صدقة صاحب الموصل بغزو الأفرنج وانتزع البلاد من أيديهم وأمر أمراء الثغور بالمسير معه فصار معه برسق صاحب همذان وأحمد بك صاحب مراغة وأبو الهيجاء صاحب أربل وأبو الغازي صاحب ماردین وسقمان القطبي صاحب ديار بكر فساروا لذلك وفتحوا عدّة حصون وحاصروا الرها فامتنعت عليهم ثم تلّ ناشر كذلك واستدعاهم رضوان بن تتش صاحب حلب^(١) فلما ساروا اليه امتنع من لقائهم ومرض سكرمان القطبي هنالك فرجع عنهم وتوفي في طريقه ببالس وافتقرت العساكر وملك خلاط وبلاد أرمينية بعد مهلكة ابنه ظهير الدين إبراهيم وسار فيهم بسيرة أبيه الى أن هلك سنة إحدى وعشرين وملك بعده أخوه أحمد بن سكرمان عشرة أشهر ثم توفي فنصب أصحابه للملك بأرمينية وخلاط شاه أرمن سكرمان ابن أخيه إبراهيم بن سكرمان صبيادارجا واستبدّت عليه جدّته أم إبراهيم ثم أزمعت قتله فقتلها أهل الدولة وعمد سنة ثمان وعشرين واستبدّ شاه أرمن وكانت بينه وبين الكرج وقائع وساروا سنة ست وخمسمائة الى مدينة إني من أعمال آران فاستباحوها وسار اليهم في العساكر فهزمهم ونالوا منه وكانت عنده أخت طليق بن علي صاحب أرزن الروم ووقعت بينه وبين الكرج حرب فانهزم طليق وأسر وبعث شاه أرمن الى ملك الكرج وفادى طليقا ورده الى ملكه

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ١٠ ص ٤٨٦ : «ووصلوا الى حلب فاغلق الملك رضوان أبواب البلد ولم يجتمع بهم من هنا يظهر انه لا شيء وكان البياض في الأصل ، ان العبارة هنا مستقيمة .

بارزن ثم استولى صلاح الدين بن أيوب على مصر والشام واستفحل ملكه وكاتبه مظفر الدين كوكبري وأغراه بملك الجزيرة ووعد به خمسين ألف دينار وسار صلاح الدين إلى سنجار فحاصرها وهو مجمع المسير إلى الموصل وبها يومئذ عز الدين مودود بن زنكي فاستنجد بشاه ارمن صاحب خلاط فبعث شاه ارمن مولاة مكتمر^(١) إلى صلاح الدين شفيعا في صاحب الموصل ووفد عليه وهو محاصر لسنجار ولم يشفعه صلاح الدين فرجع عنه مقاضبا وسار شاه ارمن لقتاله واستدعى قطب الدين نجم الدين إلى صاحب ماردین وهو ابن أخيه وابن خال عز الدين وحضر معه دولة شاه بن طغرك شاه بن قليج ارسلان صاحب^(٢)

وسار ستة ثمان وسبعين وقد ملك صلاح الدين سنجار وافترقت العساكر فلما بلغه مسيرهم بعث عن تقي الدين ابن أخيه شاه من حماة فوافاه سريعا ورحل إلى رأس عين وافترقت جموعهم وسار صلاح الدين إلى ماردین فعات في نواحيها ورجع ثم سار إلى الموصل آخر احدى وثلاثين وعبر إلى الجزيرة وانتهى إلى حران ولقيه مظفر الدين كوكبري بن زين الدين ولم يف له بالخمسين ألفا التي وعده بها وأخذ منه حران والرها ثم أطلقه بما نفذه من مكاتبته وأعاد عليه بلدته وسار من حران فحضر عنده عساكر الحصن ودارا ولقيه سنجر شاه صاحب الجزيرة ابن أخي عز الدين مودود مفارقا لطاعة عمه وسار معه إلى الموصل ولما انتهى إلى مدينة بله بعث إليه عز الدين ابن عمه نور الدين محمود وجماعة من أعيان الدولة راغبين في الصلح فأكرمهم واستشار أصحابه من أعيان الدولة فأشار علي بن أحمد المشطوب كبير الهكارية بالامتناع من ذلك فردّهم صلاح الدين واعتذر وسار فترل على فرسخين من الموصل واشتدوا في مدافعتهم فامتنعوا عليه فندم على عدم الصلح ورجع على علي المشطوب ومن وافقه باللائمة وخاطبه القاضي الفاضل البيساني من مصر وعزله في ذلك وجاء زين الدين يوسف بن زين الدين صاحب اربل وأخوه مظفر الدين كوكبري فتلقاها بالكرمة وأترلها مع الحشود الوافدة بالجانب الشرقي وبعث علي بن أحمد المشطوب الهكاري إلى قلعة الجزيرة من بلاد الهكارية فحاصرها واجتمع عليه الاكراد ولم يزل محاصرها حتى عاد صلاح الدين من الموصل وأقام صلاح الدين على حصارها مدة وبلغ عز الدين أن نائبه بالقلعة يكتبه فنعه من الصعود إليها وكان يقتدى برأي مجاهد الدين وبعثه في الصلح فسعى فيه إلى أن تحمله ووصل صلاح الدين إلى ميفارقين .

(١). وقد وردت في الكامل بكتمر .

(٢). كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ١١ ص ٤٨٩ : دولة شاه صاحب بدليس وأرزن .

* (وفاة شاه ارمن سكرمان وولاية مكتمر مولى أبيه) *

ثم توفي شاه ارمن سكرمان بن ابراهيم بن سكرمان صاحب خلاط سنة ست وسبعين وكان مكتمر مولى أبيه بميفارقين فأسرع الوصول بمن معه من الممالك واستولى على كرسي بني سكرمان وولى على ميفارقين أسد الدين يرتقش من موالى شاه ارمن وكان البهلوان بن ايلدكر صاحب أذربيجان وهمدان مرقائد ملوك السلجوقية وقد زوج ابنته من شاه ارمن طمعا في ملك خلاط فلما توفي شاه ارمن سار إليها في عساكره فكاتب أهل خلاط صلاح الدين بن أيوب ودافعوا كلا منهما بالآخر وسار صلاح الدين في مقدمته ابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ومظفر الدين بن زين الدين وغيرهما ونزلوا قريبا من خلاط فتردد الرسل من صلاح الدين ومن شمس الدين البهلوان إلى أهل خلاط وهم يدافعون الفريقين وكان قد بلغه صاحبها قطب الدين وان يرتقش نصب ابنه طفلا صغيرا واستبد عليه فسار صلاح الدين إليها وحاصرها حتى تسلمها على الامان وأقام مكتمر أميرا بخلاط وطالت مدته وجرت بينه وبين صلاح الدين فتن وحروب إلى أن توفي صلاح الدين سنة تسع وثمانين فأظهر الشامة به وتسمى عبد العزيز وتلقب سيف الدين وتوفي أثر ذلك والله تعالى أعلم .

* (وفاة مكتمر وولاية اقسنقر) *

كان مكتمر لأول ولايته قد اختص اقسنقر من موالى شاه ارمن وتلقب هزارد يناري وزوجه بنته وجعله اتابكه فأقام على ذلك مدة ثم استوحش من مكتمر وتربص به حتى اذا توفي صلاح الدين تجهز مكتمر من ميفارقين فأمكنته فيه الفرصة فقتله لعشر سنين من ولايته وذلك بعد وفاة صلاح الدين بشهرين واستبد بملك خلاط وارمنية واعتقل ابن مكتمر وأمه في بعض القلاع والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (وفاة اقسنقر وولاية محمد بن مكتمر) *

ثم هلك اقسنقر صاحب خلاط وارمنية سنة أربع وتسعين لخمس سنين من ملكه وقام بملك خلاط بعده حجراشتد قطلع الارمني ولم يرضه أهل خلاط فوثبوا به لسبعة أيام من ولايته وقتلوه واستدعوا محمد بن مكتمر من محبسه وملكوه ولقبوه الملك المنصور وقام بدولته

شجاع الدين قطلغ القفجاقى دودار شاه ارمن وأقام تحت استبداده الى سنة ثلاث وسمائة
ثم دبر الدودار وقبض عليه وكافه حسن السيرة فاستوحش لذلك الجند والعامّة وعكف بعد
نكبة الدودار على لذاته فاجتمع أهل خلاط والجند وكبيرهم بلبان مملوك شاه ارمن وكتبوا
الى ارتق بن أبي الغازي بن الي صاحب ماردين يستدعونه للملك بما كان ابن أخت شاه
ارمن وجاهر بلبان بالعصيان الى ملازكرد واجتمع الجند عليه .

* (نكبة ابن مكتمر واستيلاء بلبان على خلاط وأعمالها) *

ولما ملك بلبان مدينة ملازكرد وأعمالها واجتمع عليه الجند وسار يريد خلاط ووصل ارتق بن
أبي الغازي صاحب ماردين لموعدهم ونزل قريبا من خلاط فبعث اليه بلبان أن الجند
والرعية اهتموني فيك فارجع واذا ملكت البلد سلمته اليك فتنحى قليلا فبعث اليه يتوعده
على مقاتله وبطئه فعاد الى ماردين وكان الاشرف موسى بن العادل بن أيوب صاحب
الجزيرة وحران لما سمع بمسير ارتق الى خلاط طمع فيها لنفسه وخشي أن يزداد بملكها قوة
عليهم فخالفه الى ماردين وأقام بتدليس وجى ديار بكر حتى استوعبها وعاد الى حران ثم
جمع بلبان العساكر وسار الى خلاط فحاصرها وبرز ابن مكتمر فيمن عنده فانهزم بلبان
وعاد الى ولايته بملازكرد وارجيش وغيرها ثم جمع ورجع الى خلاط فحاصرها وضيق
عليها وابن مكتمر عاكف على لذاته فلما جهدهم الحصار ثاروا به وقبضوه ومكنوا بلبان منه
ودخل الى خلاط واستولى عليها وعلى سائر أعمالها وحبس ابن مكتمر في قلعة هناك واستبدّ
بملكها وكان الاوحد نجم الدين أيوب بن العادل بن أيوب قد ولى على ميفارقين من قبل
أبيه الى خلاط سنة أربع وسمائة وقصد مدينة سيواس وحاصرها وملك ما يحاورها وعجز
بلبان عنه ثم ملك سوس وقصد خلاط فبرز له بلبان وهزمه فعاد الى ميفارقين وجمع
واستمدّ أباه العادل فأمدّه بالعساكر ونهض الى خلاط فبرز له بلبان ثانية وهزمه الاوحد
وحاصره في خلاط فبعث بلبان الى طغرك يستنجد فانهزم الاوحد امامها وسار بلبان مع
طغرك الى مراش فحاصرها وغدربه طغرك هناك وقتله وسار الى خلاط ففنع أهلها فسار الى
ملازكرد ففنعوه كذلك فعاد الى ارزن وأرسل أهل خلاط بطاعتهم الى الاوحد نجم الدين
فجاء وملك خلاط واستولى على أعمالها وزحف الكرج فأغاروا على خلاط وعاثوا في نواحيها
والاوحد مقيم بخلاط لم يفارقها وانتفض عليه جماعة من العسكر بحصن رام وساروا الى
مدينة ارجيش فلكوها واجتمع اليهم المفسدون وبعث نجم الدين الى أبيه العادل يستنجد

فأمّده بابنه الآخر شرف الدين موسى فحاصر حصن رام حتى استأمن اليه من كان به من الجند ورجع الاشرف الى عمله بجران والرها واستقرّ نجم الدين بخلاط ثم سار الى ملازكرد ليطالع أمورهما ويمهدهما فثار أهل خلاط بعسكره فاخرجوهم وحصروا أصحاب نجم الدين بالقلعة ونادوا بشعار شاه ارمن وقومه فرجع الاوحد ولاقاه عسكر الجزيرة وحاصر خلاط ثم اختلف أهلها فدخلها عليهم عنوة واستباحها ونقل جماعة من أعيانها الى ميافارقين وقتل كثيرا منهم هنالك واستكان أهل خلاط بعدها وانمحي منها حكم الممالك بعد أن كانوا مستحكمين فيها يولون ملوكها ويخلعونهم وانقرضت دولة بني سكرمان من خلاط وصارت لبني أيوب والبقاء لله وحده والله وارث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين واليه المرجع .

* (آخر دولة السلجوقية بخلاط وأرمينية وملكها منهم بنو
أيوب) *

عز الدين بلبان مولى شاه أرمن بن ابراهيم بن سكان القطبي مولى قطب الدين اسمعيل بن ياقوتي بن داود بن ميكال

افسنقر مولى

محمد بن مكنمر مولى

قام بدولته سام مولى شاه أرمن

أخبار الإفرنج فيما ملكوه من سواحل الشام وثغوره وكيف تغلبوا عليه وبداية أمرهم في ذلك ومصايره

قد تقدم لنا أول الكتاب الكلام في أنساب هذه الأمة عند ذكر أنساب الأمم وأنهم من ولد يافث بن نوح ثم من ولد ريفات بن كומר بن يافث أخوة الصقالبة والخزر والترك وقال هروشوش أنهم من عصر ما بن غومر وأما مواطنهم من بلاد المعمور فإنهم في شمال البحر الرومي من خليج رومة إلى ما وراء النهر غرباً وشمالاً وكانوا أولاً يدينون لليونان والروم بالطاعة عند استفحال أمرهم فلما إنقضت دولة أولئك استقل هؤلاء الإفرنج بملكهم وافترقوا دولاً مثل دولة القوط بالأندلس والجلالقة بعدهم وملك اللمانين بالتفخيم من جزيرة إنكلطرة بالبحر المحيط الغربي الشمالي وما يحاذيه ويقابله من المعمور ومثل ملوك إفرنسة وهو عندهم إسم إفرنجة بعينه والجيم ينطقون بها سينا وهم ما وراء خليج رومة غرباً إلى الثنايا المفضية إلى جزيرة الاندلس في الجبل المحيط بها من شرقها وتسمى تلك الثنايا البردت وكانت دولة هؤلاء الإفرنس منهم من أعظم دولهم واستفحل أمرهم بعد الروم وصدرا من دولة الإسلام العربية فسموا إلى ملك بلاد المشرق من ناحيتها وتغلبوا على جزر البحر الرومي في آخر المائة الخامسة وكان ملكهم لذلك العهد بردويل فبعث رجالاً من ملوكهم إلى صقلية وملكها من يد المسلمين سنة ثمانين وأربعمائة ثم سموا إلى ملك ما وراء النهر من أفريقية وبلاد الشام والإستيلاء على بيت المقدس وطال ترددهم في ذلك ثم استحثهم وحرصهم عليه فيما يقال خلفاء العبيديين بمصر لما استفحل ملك السلجوقية وانتزعوا الشام من أيديهم وحاصروهم في مصر فيقال أن المستنصر منهم دس إلى الإفرنج بالخروج وتسهيل أمرهم عليه ليحولوا بين السلجوقية وبين مرامهم فتجهز الإفرنج لذلك وجعلوا طريقهم في البر على القسطنطينية ومنعهم ملك الروم من العبور عليه من الخليج حتى شرط عليهم أن يسلموا له إنطاكية لكون المسلمين كانوا أخذوها من ممالكهم فقبلوا شرطه وسهل العبور في خليجه فأجازوا سنة تسعين وأربعمائة في العدد والعدة وانتهاوا إلى بلاد قليج أرسلان وجمع للقائهم فهزموه وقر^(١) بلاد ابن اليون الأرمني ووصلوا إنطاكية وبها باغيسيان من أمراء السلجوقية فحاصروها ونخلوها صاحب حلب ودمشق على صريخه بأن لا يقصوا غير إنطاكية

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٢٧٤ : فلما وصلوا إليها لقيم قليج أرسلان في جموعه ومنعهم مقاتلوه فهزموه في رجب سنة تسعين واجتازوا في بلاده إلى بلاد ابن الأرمني مملوكها وخرجوا إلى إنطاكية فحاصروها .

فأسلموه حتى ضاق به الحصار وغدربه بعض الحامية فملك الإفرنج البلاد وهرب باغيسيان فقتل وحمل إليهم رأسه وكان ملوكهم الحاضرون لذلك خمسة بردويل وصنجيل وكبريري والقمص واسمند وهو مقدم العساكر فردوا إليه أمر إنطاكية وبلغ الخبر إلى المسلمين فسافروا إليهم شرقاً وغرباً وسار قوام الدولة كربوقا صاحب الموصل وجمع عساكر الشام وسار إلى دمشق فخرج إليهم دقاق بن تتش وطغتكين أتاك وجناح الدولة صاحب حمص وأرسلان^(١) صاحب سنجار وسكان أرتق وغيرهم من الأمراء وزحفوا إلى إنطاكية فحاصروها ثلاثة عشر يوماً ووهن الإفرنج واشتد عليهم الحصار لما جاءهم على غير استعداد وطلبوا الخروج على الأمان فلم يسعفوا ثم اضطرب أمر عساكر المسلمين وأساء كربوقا السيرة فيهم وأزمعوا من استكثاره عليهم^(٢) فخرج الإفرنج إليهم واستأثروا فتخاذل المسلمون وإنهزموا من غير قتال حتى ظنوا الإفرنج مكيدة فتقاعدوا عن إبتاعهم واستشهد من المسلمين ألوف والله تعالى أعلم .

* (استيلاء الإفرنج على معرة النعمان ثم على بيت المقدس) *

ولما حصلت للإفرنج هذه النكاية في المسلمين طمعوا في البلدا وساروا إلى معرة النعمان وحاصروها واشتد القتال في أسوارها حتى داخل أهلها الجزع فتحصنوا بالدور وتركوا السور فملكه الإفرنج ودخلوا عليهم فاستباحوها ثلاثاً وأقاموا بها أربعين يوماً ثم ساروا إلى غزة وحاصروها أربعة أشهر وامتنعت عليهم فصالحهم ابن منقذ عليها وساروا إلى حمص وحاصروها فصالحهم عليها جناح الدولة وساروا إلى عكا فامتنعت عليهم وكان بيت المقدس قد ملكه السلجوقية وصار لتاج الدولة تتش وأقطعه لسكان بن أرتق من التركمان فلما كانت واقعة الإفرنج بإنطاكية طمع أهل مصر فيهم وسار الأفضل بن بدر الجمال المستولى على العلويين بمصر إلى بيت المقدس وبها سكان وأبو الغازي ابن أرتق وابن عمها سوع وابن أخيها ياقوتي فحاصروه نيفا وأربعين يوماً ونصبوا عليه نيفا وأربعين منجنيقاً وملكوه بالأمان سنة إحدى وتسعين وأربعين وأحسن الأفضل إلى سكان وأبي الغازي وأصحابها وسرحهم إلى دمشق وعبروا الفرات وأقام سكان بالرها وسار أبو الغازي إلى العراق واستتاب الأفضل عليها افتخار الدولة الذي كان بدمشق فقصدته الإفرنج بعد أن حاصروا عكا وامتنعت عليهم

(١) كذا بياض بالأصل واسمه أرسلان تاش .

(٢) كذا بياض بالأصل : عبارة مضطربة وفي الكامل : فاغضبهم ذلك واضمروا له أنفسهم العذر إذا كان قتال .

فحاصروه أربعين ليلة وافترقوا على جوانب البلد فلكوها من الجانب الشمالي آخر شعبان من السنة واستباحوها وأقاموا فيها أسبوعاً واعتصم بعض المسلمين بمحراب داود وقتلوا فيه ثلاثاً حتى استأنموا ولحقوا بعسقلان وأحصى القتلى من الأئمة والعلماء والعباد والزهاد المجاورين بالمسجد فكانوا سبعين ألفاً ويزيدون وأخذ من المناور المعلقة عند الصخرة أربعون قنديلاً من الفضة كل واحد منها ثلاثة آلاف وستمائة وستون درهماً من الفضة زنته أربعون رطلاً بالشامي ومائة وخمسون قنديلاً من الصغار وما لا يحصى من غير ذلك وجاء الصريح إلى بغداد صحبة القاضي أبي سعيد الهروي ووصف في الديوان صورة الواقعة فكثر البكاء والأسف ووسم الخليفة بمسير جماعة من الأعيان والعلماء فيهم القاضي أبو محمد الدماغاني وأبو بكر الشاشي وأبو الوفا بن عقيل إلى السلطان بركيارق يستصرخونه للإسلام فساروا إلى حلوان وبلغهم اضطراب الدولة السلجوقية وقتل محمد الملك البارسلان المتحكم في الدولة واختلاف السلاطين فعادوا وتمكن الإفرنج من البلاد وولوا على بيت المقدس كندفري من ملوكهم .

(عساكر مصر وحرب الإفرنج)

* (مسير العساكر من مصر لحرب الإفرنج) *

لما بلغ خبر الواقعة إلى مصر جمع الأفضل الجيوش والعساكر واحتشد وسار إلى عسقلان وأرسل إلى الإفرنج بالنكير والتهديد فأعادوا الجواب ورحلوا مسرعين فكبسوه بعسقلان على غير أهبة فهزموه واستلحموا المسلمين ونهبوا سوادهم ودخل الأفضل عسقلان وافترق المنهزمون واستبدَّ وابخر الحمير^(١) ووصل الأفضل من عسقلان إلى مصر ونازلها الإفرنج حتى صانع أهلها الإفرنج بعشرين ألف دينار وعادوا إلى القدس .

* (إيقاع ابن الدانشمند بالإفرنج) *

كان كمستكين بن الدانشمند من التركمان ويعرف بطابوا ومعنى الدانشمند المعلم كان أبوه يعلم التركمان وتقلبت به الأحوال حتى ملك سيواس وغيرها وكان صاحب ملطية يعاديه فاستنجد عليه إسمند صاحب إنطاكية فجاءه في خمسة آلاف وسار إليه ابن الدانشمند وأسرته ثم جاء الإفرنج إلى قلعة أنكوريه فلكوها وقتلوا من بها من المسلمين ثم حاصروا اسمعيل بن

(١) كذا بالأصل ولا معنى لها ، وفي الكامل ج ١٠ ص ٢٨٦ : ومضى جماعة من المنهزمين فاستثروا بشجر الجميز ، وكان هناك كثيراً فأحرق الفرنج بعض الشجر حتى هلك من فيه وقتلوا من خرج منه .

الدانشمند فلقهم كمستكين وهزمهم واستلحمهم وكانوا ثلثائة ألف ثم ساروا إلى ملطية فلكوها وأسروا صاحبها وزحف إليه إسمند من إنطاكية في الإفرنج فهم بهم ابن الدانشمند فأتاح الله للمسلمين على يده هذا الظهور في مدد متقاربة حتى خلص إسمند من الأسر وجاء إلى إنطاكية والإفرنج بها وبعث إلى قيس العواصم وما جاورها يطلب الإمارة فامتعض المسلمون لذلك وقلدوه بعد العهد الذي إلتزمه .

* (حصار الإفرنج قلعة جبلة) *

كانت جبلة من أعمال طرابلس وكان الروم قد ملكوها وولوا على المسلمين بها ابن رئيسهم منصور بن صليحة يحكم بينهم فلما صارت للمسلمين رجع أمرها لجمال الملك أبي الحسن علي بن عمار المستبد بطرابلس وبقي منصور بن صليحة على عادته فيها ثم توفي منصور فقام إليه أبو محمد عبدالله مقامه وأظهر الشامة فارتاب به ابن عمار وأراد القبض عليه فعصى هو في جبلة وأقام بها الخطبة العباسية واستنجد عليه ابن عمار دقاق بن تش فجاءه أتابك طغركين فامتنع عليهم ورجعوا ثم جاء الإفرنج فحاصروها فامتنت عليهم أيضاً وشاع أن بركيارق جاء إلى الشام فرحلوا ثم عادوا وأظهروا أن المصريين جاؤا لإنجاده فرحلوا ثم عادوا فتقدم للنصارى الذين عنده أن يدخلوا الإفرنج في نقب البلد من بعض أسواره فجهزوا إليهم ثلثائة من أعيانهم فرفعهم بالحبال واحداً بعد واحد وهو قاعد على السور حتى قتلهم أجمعين فرحلوا عنه ثم عادوا إليه فهزمهم وأسر ملكهم كبرانيطل وفادى نفسه منه بمال عظيم ثم^(١) ابن صليحة وجهده الحصار فأرسل إلى طغركين صاحب دمشق وبعث ابن عمار في طلبه إلى الملك دقاق على أن يدفعه إليه بنفسه دون ماله ويعطيه ثلاثين ألف دينار فلم يفعل وسار ابن صليحة إلى بغداد فوعده إلى وصول رحلة من الأنبار فبعث الوزير من استولى عليها فوجد فيها ما لا يحصى من الملابس والعائث والمتاع وانتزع ذلك كله ولما ملك تاج الملوك جبلة أساء فيها السيرة فراسلوا فخر الملك أبا علي بن عمار صاحب طرابلس واستدعوه للملكها فبعث إليهم عسكرياً وقاتلوا تاج الملك ومن معه فهزموه وأخذوه أسيراً

(١) كذا بياض بالأصل وهي عبارة مضطربة والأساء محرفة . وفي الكامل ٨١٠ ص ٣١١ : وأتوا الفرنج من ظهورهم فولوا منزهين وأسر مقدمهم المعروف بكذا اصطبل فافتدى نفسه بمال جزيل ، ثم علم أنهم لا يفعلون عن طلبه وليس له ما يمنعهم عنه فأرسل إلى طغتمكين أتابك يلتمس منه إنقاذ من يثق به ليسلم إليه ثغر جبلة ، ويحميه ليصل هو إلى دمشق بما له وأهله .

وملكوا جبلة بدعوة ابن عمار وحملوا تاج الملك إلى ابن عمار فأحسن إليه وبعث إلى أبيه بدمشق واعتذر له بأنه خاف على جبلة من الإفرنج .

* (استيلاء الإفرنج على سروج وقيسارية وغيرها) *

ثم سار كبريى ملك الإفرنج من بيت المقدس سنة أربع وتسعين لحصارها فأصابه منهم سهم فقتله فسار أخوه بغدوين في خمسمائة فارس إلى القدس ونهض دقاق صاحب دمشق ومعه جناح الدولة صاحب حمص لاعتراضه فهزموا الإفرنج وأثنوا فيهم ثم كاتب أهل مدينة الإفرنج وكان أكبرهم ودخل في طاعتهم وكان سقمان بن أرتو صاحب سروج جمع جموعه من التركمان وسار إلى الرها فلقية الإفرنج وهزموه في ربيع سنة أربع وتسعين وساروا إلى سروج فحاصروهم حتى ملكوها عنوة واستباحوها ثم ملكوا حصن كيفا بقرب عكا عنوة وملكوا أرسوف بالأمان ثم ساروا في رحب إلى قيسارية فملكوها عنوة واستباحوها والله تعالى وليّ التوفيق بمنه وكرمه .

* (حصار الإفرنج طرابلس وغيرها) *

كان صنجيل من ملوك الإفرنج المذكورين قبل قد لازم حصار طرابلس وزحف إليه قليج أرسلان صاحب بلاد الروم فظفر به وعاد صنجيل مهزوماً فأرسل الدولة بن عمار صاحب طرابلس إلى أمير آخر نائب جناح الدولة بجمص إلى دقاق بن تتش يدعوه إلى معالجته فجاء تاج الدولة بنفسه وجاء العسكر مدداً من عند دقاق واجتمعوا على طرابلس وفرق صنجيل الفلّ الذين معه على قتالهم فانهزموا كلهم وفتك هو في أهل طرابلس وشدّ حصارها وأعانه أهل الجبل والنصارى من أهل سوادها ثم صالحوه على مال وخيل ورحل عنهم إلى طرسوس من أعمال طرابلس فحاصرها وملكها عنوة واستباحها إلى حصن الطومار ومقدمه ابن العريض فامتنع عليهم وقتلهم صنجيل فهزموا عسكره وأسروا زعيماً من زعماء الإفرنج بدل صنجيل فيه عشرة آلاف دينار وألف أسير ولم يعاوده وذلك كله سنة خمس وتسعين وأربعمائة ثم سار صنجيل إلى حصن الأكراد وحاصره^(١) جناح الدولة لغزوه فوثب عليه

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ١٠ ص ٣٤٥ : وفيها سار صنجيل إلى حصن الأكراد فحاصره ، فجمع جناح الدولة عسكره ليسير إليه ويكبسه فقتله باطني بالمسجد الجامع .

باطني بالمسجد وقتله ويقال أن رضوان بن تثن وضعه عليه فسار صنجيل إلى حمص وحاصرها وملك أعمالها ثم نزل القمص على عكا في جمادي الأخيرة من السنة ففزع المسلمون من جميع السواحل لقتاله وهزموه وأحرقوا أهلها والمنجنيقات التي نصبت للحرب ثم سار القمص صاحب الرها إلى السروج وحاصرها فامتنعت عليه وزحف عساكر مصر إلى عسقلان للمدافعة عن سواحلهم فرحف إليهم بردويل صاحب القدس فهزمه المسلمون ونجا إلى الرملة وهم في أتباعه فحاصروه وخلص إلى يافا وفشا القتل والأسر في الإفرنج والله تعالى وليّ التوفيق .

* (حصار الإفرنج عسقلان وحروبهم مع عساكر مصر) *

لما طمع الإفرنج في عسقلان واستفحل أمرهم بالشام جهز الأفضل أمير الجيوش عساكره من مصر لحربهم سنة ست وتسعين مع سعد الدولة القواسي مولى أبيه وزحف بغدوين^(١) ملك الإفرنج من القدس فلقبهم بين الرملة ويافا وهزمهم ومات سعد الدولة متردّيا عن فرسه واستولى الإفرنج على سواده وبعث الأفضل بعده ابنه شرف المعالي فلقبهم في العساكر على بازور قرب الرملة فهزمهم ونال منهم ونجا كثير من أعيانهم إلى بعض الحصون هنالك فحاصروهم شرف المعالي خمس عشرة ليلة وملك الحصن فقتل وأسر ونجا بقديون إلى يافا ثم إلى القدس فصادف وصول جمع كثير من الإفرنج لزيارة القدس فندبهم للغزو فساروا إلى عسقلان وبها شرف المعالي فامتنعت ورجعوا وبعث شرف المعالي إلى أبيه فبعث العساكر في البرّ مع تاج العجم مولى أبيه والأسطول في البحر لحصار يافا مع القاضي ابن دقاوس فلما وصل الأسطول إلى يافا بعث عن تاج العجم ليأتيه بالعساكر فامتنع فأرسل الأفضل من قبض عليه وولي العساكر وعلى عسقلان جمال الملك من مواليهم فانصرفت السنة وبید الإفرنج بيت المقدس غير عسقلان ولهم أيضاً من الشام يافا وأرسوف وقيسارية وصيفا وطبرية والأردن واللاذقية وانطاكية ولهم بالجزيرة الرها وسروج وصنجيل محاصر فخر الملك بن عمار بمدينة طرابلس وهو يرسل أسطوله للإغارة على بلاد الإفرنج في كل ناحية ثم دخلت سنة سبع وتسعين فخرج الإفرنج الذين بالرّها فأغاروا على الرقة وقلعة جعفر واكتسحوا نواحيها وكانت لسالم بن مالك بن بدران بن المقلد منذ ملكه السلطان ملك شاه إياها سنة تسع وسبعين كما مرّ والله أعلم .

(١) هكذا ورد في بعض الاماكن من هذه النسخة والصحيح بغدوين .

* (استيلاء الإفرنج على جبيل وعكا) *

وفي سنة سبع وتسعين وصلت مراكب من بلاد الإفرنج تحمل خلقاً كثيراً من التجار والحجاج فاستعان بهم صنجيل على حصار طرابلس فحاصرها حتى يشؤ منها فارتحلوا إلى جبيل وملكوها بالأمان ثم غدروا بأهلها وأفحشوا في استباحتها ثم استنجدهم بقدوين ملك القدس على حصار عكا فحاصروها براً وبحراً وفيها بهاء الدولة الجيوشي من قبل ملك الجيوش الأفضل صاحب مصر فدافعهم حتى عجزوا وهرب عنها إلى دمشق وملك الإفرنج عكا عنوة وأفحشوا في استباحتها والله تعالى أعلم .

* (غزو أمراء السلجوقية بالجزيرة الفرنج) *

كان المسلمون أيام تغلب الإفرنج على الشام في فتنه واختلاف تمكن بها الإفرنج واستطالوا وكانت حران وحمص لمولى من موالي ملك شاه اسمه قراجا والموصل لجكرمش وحصن كيفا لسقمان بن أرتق وعصى في حران على قراجا بامته فيها فاغتاله جاويي مولى من موالي الترك وقتله فطمع الإفرنج في حران وحاصروها وكان بين جكرمش وسقمان فتنه وحرب فوضعوا أوزارها لتلافي حران واجتمعوا على الخابور وتحالفا ومع سقمان سبعة آلاف من قومه التركمان ومع جكرمش ثلاثة آلاف من قومه الترك ومن العرب والأكراد وسار إليهم الإفرنج من حران فاقتتلوا واستطرد لهم^(١) المسلمون بعيداً ثم كروا عليهم فأثنخوا فيهم واستباحوا أموالهم وكان إسمند صاحب انطاكية وشكري^(٢) صاحب الساحل قد أكمنا للمسلمين وراء الجبل فلم يظهر لهم أنهم أصحابهم وأقاموا هنالك إلى الليل ثم هربوا وشعر بهم المسلمون فاتبعوهم وأثنخوا فيهم وأسر في تلك الواقعة القمص بردويل صاحب الرها أسره بعض التركمان من أصحاب سقمان فشق ذلك على أصحاب جكرمش لكثرة ما امتاز به التركمان من الغنائم وحسنوا له أخذ القمص من^(٣) سقمان فأخذه وأراد التركمان محاربة جكرمش وأصحابه عليه فنعهم سقمان حذراً من إختلاف المسلمين وسار مفارقاً لهم وكان يمر

(١) استطرد له : أظهر له الإنهزام مكيدة .

(٢) كذا بالأصل وفي الكامل : يسمند صاحب انطاكية وطنكري صاحب الساحل .

(٣) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ١٠ ص ٣٧٥ : وحسنوا له أخذ القمص ، فانفذ أخذ القمص من خيم سقمان فلما عاد سقمان شق عليه الأمر وركب أصحابه للقتال فردهم .

بحصون الإفرنج فيخرجون إليه ظناً بنصر أصحابهم فملكها عليهم وسار جكرمش إلى حران فملكها وولي عليها من قبله ثم سار إلى الرها وحاصرها أياماً وعاد إلى الموصل وفادى القمص بردويل بخمسة وثلاثين ألف دينار ومائة وستين أسيراً والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق بمنه وكرمه .

* (حرب الإفرنج مع رضوان بن تتش صاحب حلب) *

ثم سار شكري صاحب إنطاكية من الإفرنج سنة ثمان وتسعين إلى حصن أريام من حصون رضوان صاحب حلب فضاقت حالهم واستجدوا برضوان فسار إليهم وخرج الإفرنج للقائه ثم طلب الصلح من رضوان فنعاه أصهيد صباوو من أمراء السلجوقية كان نزع إليه بعد قتل صاحبه أياز ولقيهم الإفرنج فانهزموا أولاً ثم استماتوا وكروا على المسلمين فهزموهم وأفحشوا في قتلهم وقتل الرجالة الذين دخلوا عسكرهم في الحملة الأولى ونجا رضوان وأصحابه إلى حلب ولحق صباوو بطركين أتابك دمشق ورجع الإفرنج إلى حصار الحصن فهرب أهله إلى حلب وملكه الإفرنج والله تعالى وليّ التوفيق .

* (حرب الإفرنج مع عساكر مصر) *

كان الأفضل صاحب مصر قد بعث سنة ثمان وتسعين ابنه شرف المعالي في العساكر إلى الرملة فملكها وقهر الإفرنج ثم اختلف العسكر في إدعاء الظفر وكادوا يقتتلون وأغار عليهم الإفرنج فعاد شرف المعالي إلى مصر فبعث الأفضل ابنه الآخر سناء الملك حسيناً مكانه في العساكر وخرج معه جمال الدين صاحب عسقلان واستمدوا طركين أتابك دمشق فجهز إليهم أصهيد صباوو من أمراء السلجوقية وقصدهم بقدوين صاحب القدس وعكافأقتلوا وكثرت بينهم القتل واستشهد جمال الملك نائب عسقلان وتجاوزوا وعاد كل إلى بلده وكان مع الإفرنج جماعة من المسلمين منهم بكباش بن تتش ذهب مغاضباً عن دمشق لما عدل عنه طركين الأتابك بالملك إلى ابن أخيه دقاق وأقام عند الإفرنج والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق بمنه .

* (حرب الإفرنج مع طركين) *

كان قص من قامصة الإفرنج بالقرب من دمشق وكان كثيراً ما يغير عليها ويحارب عساكرها

فسار إليه طغركين في العساكر وجاء بقديون ملك القدس لإنجاده على المسلمين فردّه ذلك القمص ثقة بكفائه فرجع إلى عكا وسار طغركين إلى الإفرنج فقاتلهم وحجزهم في حصنهم ثم خرب الحصن وألقى حجارته في الوادي وأسر الحامية الذين به وقتل من سواهم من أهله وعاد إلى دمشق ظافراً ثم سار بعد أسبوع إلى (١) وبه ابن أخت صنجيل فلكه وقتل حاميته .

* (استيلاء الإفرنج على حصن أفامية) *

كان خلف بن ملاعب الكلابي متغلباً على حمص وملكها منه تتش كما مرّ وانتقلت الأحوال إلى مصر ثم أن رضوان صاحب حلب إنتقض عليه وإليه بحصن أفامية وكان من الراضية فبعث بطاعته إلى صاحب مصر واستدعى منهم والياً فبعثوا خلف بن ملاعب لايثاره الجهاد وأخذوا رهنه فغبي (٢) في أفامية واستبدّ بها واجتمع عليه المفسدون ثم ملك الإفرنج (٣) من أعمال حلب وأهله رافضة ولحق قاضيا بابن ملاعب في أفامية ثم اعمل التدبير عليه وبعث إلى أبي طاهر الصائغ من أصحاب رضوان وأعيان الراضية ودعاتهم وداخله في الفتك بابن ملاعب وتسليم الحصن إلى رضوان وشعر بذلك إبن ابن ملاعب وحذرا أباهما من تدبير القاضي عليه وجاء القاضي فحلف له على كذبه وصدقه وعاد القاضي إلى مداخلة أبي طاهر ورضوان في ذلك التدبير وبعثوا جماعة من أهل سرمين بخيول وسلاح يقصدون الخدمة عند ابن ملاعب فأنزلهم بربض أفامية حتى تمّ التدبير وأصعدهم القاضي وأصحابه ليلاً إلى القلعة فلكوها وقتلوا ابن ملاعب وهرب ابنه فلحق أحدهما بأبي الحسن بن منقذ صاحب شيرز وقتل الآخر وجاء أبو طاهر الصائغ إلى القاضي يعتقد ان الحصن له فلم يمكنه القاضي وأقام عنده وكان بعض بني خلف بن ملاعب عند طغركين بدمشق مغاضباً لأبيه فولاه حصناً من حصونه فأظهر الفساد والعيث فطلبه طغركين فهرب إلى الإفرنج واستحشهم للملك أفامية فحاصروه حتى جهد أهله الجوع وقتلوا القاضي المتغلب فيه والصائغ وذلك سنة تسع وتسعين وخمسمائة .

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ١٠ ص ٤٠٠ : وعاد طغتكين إلى دمشق منصوراً فزين البلد أربعة أيام وخرج منها إلى رمنية وهو من حصون الشام وقد تغلب عليه الفرنج ، وصاحبه ابن أخت صنجيل المقيم على حصار طرابلس فحصره طغتكين وملكه ، وقتل به خمسمائة رجل من الفرنج .

(٢) كذا بالأصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٤٠٨ : وأقام بأفاميه يخيف السيل ويقطع الطريق ، فاجتمع عنده كثير من المفسدين .

(٣) كذا بياض بالأصل وفي الكامل : ثم أن الفرنج ملك أسرمين ، وهي من أعمال حلب (ج ١٠ ص ٤٠٨) .

* (خبر الإفرنج في حصار طرابلس) *

كان صنعيل من ملوك الإفرنج ملازماً لحصار طرابلس وملك جبلة من يد ابن أبي صليحة وبنى على طرابلس حصناً وأقام عليها ثم هلك وحمل إلى القدس ودفن وأمر ملك الروم أهل اللاذقية أن يحملوا الميرة إلى الإفرنج المحاصرين طرابلس فحملوها في السفن وظفر أصحاب ابن عمار ببعضها فقتلوا وأسروا واستمر الحصن خمس سنين فعدمت الأقوات واستنفد أهل الثروة مكسوبهم في الانفاق وضائق أحوالهم وجاءتهم سنة خمسمائة ميرة في البحر من جزيرة قبرص وإنطاكية وجزائر البنادقة فحفظت أرماقهم ثم بلغ ابن عمار إنتظام الأمر للسلطان محمد بن ملك شاه بعد أخيه بركيارق فارتحل إليه صريخاً واستخلف على طرابلس ابن عمه ذا المناقب في طرابلس وخيم ابن عمار على دمشق وأكرمه طغركين ثم سار إلى بغداد فأكرمه السلطان محمد وأمر بتبليغه والإحتفال لقدمه ووعدته بالإنجاد ولما رحل عن بغداد أحضره عنده بالنهروان وأمر الأمير حسين بن أتابك قطلغتكين بالمسير معه وأن يستصحب العساكر التي بعثها مع الأمير مودود إلى الموصل لقتال جاوي سكاوو وأمره بإصلاح جاوي والمسير مع ابن عمار حسباً مرّ في أخبارهم ثم وقعت الحرب بين السلطان محمد وبين صدقة بن مزيد واصطلحوا ووَدَّعه ابن عمار بعد أن خلع عليه وسار معه الأمير حسين فلم يصل إلى قصده من عساكر الموصل^(١) مودود والإنتقاض فعاد فخر الدين بن عمار إلى دمشق في محرّم سنة إثنين وخمسمائة وسار منها إلى^(٢) فلكها وبعث أهل طرابلس إلى الأفضل أمير الجيوش بمصر يستمدونه ويسألون الوالي عليهم فبعث إليهم شرف الدولة بن أبي الطيب بالمدد والأقوات والسلاح وعدة الحصار واستولى على ذخائر ابن عمار وقبض على جماعة من أهله وحمل الجميع في البحر إلى مصر.

* (خبر القمص صاحب الرها مع جاوي ومع صاحب إنطاكية) *

كان جاوي قد ملك الموصل من يد أصحاب جكرمش ثم إنتقض فبعث السلطان إليه مودود في العساكر فسار جاوي عن الموصل وحمل معه القمص بردويل صاحب الرها الذي كان

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ١٠ ص ٤٦٤ : فقتل حسين ذلك ، وسار معه صاحب جاوي ، فلما وصل إلى العسكر الذي على الموصل وكانوا لم يفتحوها بعد ، أمرهم حسين بالرحيل فكلّهم أجاب إلا الأمير مودود فإنه قال : لا أرحل إلا بأمر السلطان وقبض على صاحب جاوي وأقام على الموصل حتى فتحها كما ذكرناه وعاد حسين بن قطلغتكين إلى السلطان فأحسب النيابة عن جاوي عنده . وسار جاوي إلى مدينة بالس .

أسره سقمان وأخذه منه جكرمش وأصحابه وترك الموصل ثم أطلق جاولي هذا القمص في سنة ثلاث وخمسمائة بعد خمس سنين من أسره على مال قرره عليه وأسرى من المسلمين عنده يطلقهم وعلى أن يمدّه بنفسه وعساكره وماله متى احتاج إلى ذلك ولما إنبرم العقد بينهما بعث يوالي سالم بن مالك بقلعة جعفر حتى جاءه هناك ابن خاله جوسكين تل ناشر^(١) فأقام رهينة مكانه ثم أطلقه جاولي ورهن مكانه أخا زوجته وزوجة القمص فلما وصل جوسكين إلى منبج أغار عليها ونهبها وسبى جماعة من أصحاب جاولي إلى الغدر فاعتذر بأن هذه البلاد ليست لكم ولما أطلق القمص سار إلى إنطاكية ليستردّ الرها من يد شكري لأنه أخذها بعد أسره فلم يردها وأعطاه ثلاثين ألف دينار ثم سار القمص إلى تل ناشر وقدم عليه أخوه جوسكين الذي وضعه رهينة عند جاولي وسار شكري صاحب إنطاكية لحرّبها قبل أن يستفحل أمرهما وينجدهما جاولي فقاتلوه ورجع إلى إنطاكية وأطلق القمص مائة وستين من أسرى المسلمين ثم سار القمص وأخوه جوسكين وأغاروا على حصون إنطاكية وأمدّهم صاحب زغبان وكيسوم^(٢) وغيرهما من القلاع شمال حلب وهو من الأرمن بألف فارس وألقى راجل وخرج إليهم شكري وتراجعوا للحرب ثم حملهم الترك على الصلح وحكم على شكري بردّ الرها على القمص صاحبها بعد أن شهد عنده جماعة من البطارقة والاساقفة بأن اسمندخال شكري لما انصرف إلى بلاده أوصاه بردّ الرها على صاحبها إذا خلص من الأسر فردّها شكري على القمص في صفر سنة ثلاث ووفى القمص لجاولي بما كان بينهما ثم قصد جاولي الشام ليلكه وتنقل في نواحيه كما مرّ في أخباره وكتب رضوان صاحب حلب إلى شكري صاحب إنطاكية يحذره من جاولي ويستنجد به عليه فأجابه وبرز من أنطاكية وبعث إليه رضوان بالعساكر واستنجد جاولي القمص صاحب الرها فأنجده بنفسه ولحق به على منبج وجاءه الخبر هنالك باستيلاء عسكر السلطان على بلده الموصل وعلى خزائنه بها وفارقه كثير من أصحابه منهم زنكي بن أقسنقر فترّل جاولي تل ناشر وتراحف مع شكري^(٣) هنالك

(١) وفي بعض النسخ جوسكين تل ناشر. وهنا عبارة مشوشة وفي الكامل ٨ ص ٢٥٣ فلما إتفقا على ذلك سير القمص إلى قلعة جعفر وسلمه إلى صاحبها سالم بن مالك حتى ورد عليه ابن خالته جوسلين ، وهو من فرسان الفرنج وشجعانها ، وهو صاحب تل ناشر وغيرها .

(٢) ورد في معجم البلدان : كيسوم : الكثير من الحشيش . وهي قرية مستطيلة من أعمال سميساط ، وفيها حصن كبير على تلعه كانت لنصر بن شيت تحصين فيه من المأمون حتى ظفر به عبد الله بن ظاهر فأخرجه ، ثم أحدث بعد فيها مياها وساتين .

(٣) وفي الكامل ج ١٢ / ١٩٢ لشكري وهو الصحيح .

واشتد القتال واستمر أصحاب إنطاكية فتخاذل أصحاب جاولي وإنهزموا وذهب الإفرنج بسوادهم فجاء القمص وجوسكين إلى تل ناشر والله تعالى أعلم .

* (حروب الإفرنج مع طغركين) *

كان طغركين قد سار إلى طبرية سنة ثنتين وخمسمائة فصار إليه ابن أخت بقديون ملك القدس واقتلوا فانكشف المسلمون ثم استماتوا وهزموا الإفرنج وأسروا ابن أخت الملك فقتله طغركين بيده بعد أن فادى نفسه بثلاثين ألف دينار وخمسمائة أسير فلم يقبل منه إلا الإسلام أو القتل ثم اصطالح طغركين وبقديون لمدة أربع سنين وكان حصن غزية من أعمال طرابلس بيد مولى ابن عمار فعصى عليه وانقطعت عنه الميرة بيعت الإفرنج في نواحيه فأرسل إلى طغركين بطاعته فبعث إسرائيل من أصحابه ليمتلك الحصن ونزل منه مولى ابن عمار فرماه إسرائيل في الزحام بسهم فقتله حذراً أن يطلع الأتابك على مخلفه وقصد طغركين الحصن لمشارقة أحواله فمنعه نزول الثلج حتى إذا انقشع وانجلي سار في أربعة آلاف فارس وفتح حصوناً للإفرنج منها حصن الأكمة وكان السرداني من الإفرنج يحاصر طرابلس فسار للقاءه فلما أشرف عليه إنهزم طغركين وأصحابه إلى حمص وملك السرداني حصن غزية بالأمان ووصل طغركين إلى دمشق فبعث إليه بقديون من القدس بالبقاء على الصلح وذلك في شعبان سنة اثنتين .

استيلاء الإفرنج على طرابلس وبيروت وصيدا

وجييل وبانياس

ولما عادت طرابلس إلى صاحب مصر من يد ابن عمار وولي عليها نائبه والإفرنج يحاصرونها وزعيمهم السرداني ابن أخت صنجيل فلما كانت سنة ثلاث وخمسمائة في شعبان ووصل القمص والد صنجيل وليس صنجيل الأول وإنما هو قصص آخر بمراكب عديدة مشحونة بالرجال والسلاح والميرة وجرت بينه وبين السرداني فتنه واقتلوا وجاء شكري صاحب إنطاكية مددا للسرداني ثم جاء بقديون ملك القدس وأصلح بينهم وحاصروا طرابلس ونصبوا عليها الأبراج فاشتد بهم الحصار وعدموا القوت لتأخر الأسطول المصري بالميرة ثم زحفوا إلى قتلها بالأبراج وملكوها عنوة ثاني الأضحى واستباحوها وأنخنوا فيها وكان النائب

بها قد استأمن إلى الإفرنج قبل ذلك بليال وملكها بالأمان ونزل على مدينة جبيل وبها فخر الملك بن عمار فاستأمنوا إلى شكري وملكها ولحق ابن عمار بشيرز فترل على صاحبها سلطان بن علي بن منقذ الكناني ولحق منها بدمشق فأكرمه طفركين وأقطعه الزبداني من أعمال دمشق في محرم سنة أربع ووصل أسطول مصر بالميرة بعد أخذ طرابلس بثمانية أيلم فأرسي بساحل صور وفرقت الغلال في جهاتها في صور وصيدا وبيروت ثم استولى الإفرنج على صيدا في ربيع الآخر سنة أربع وخمسمائة وذلك أنه وصل أسطول للإفرنج من ستين مركباً مشحونة بالرجال والذخائر وبها ملوكهم بقصد الحج والغزو فاجتمع مع بقديون صاحب القدس ونازلوا صيدا برّاً وبحراً وأسطول مصر يعجز عن انجادهم ثم زحفوا إلى صور في أبراج الخشب المصفحة فضغفت نفوسهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أهل بيروت فاستأمنوا فأمّنهم الإفرنج في جمادي الأولى ولحقوا بدمشق بعد سبعة وأربعين يوماً من الحصار وأقام بالبلد خلق كثير تحت الأمان وعاد بقديون إلى القدس .

* (استيلاء أهل مصر على عسقلان) *

كانت عسقلان لخلفاء العلوية بمصر وقد ذكرنا حروب الإفرنج مع عساكرهم عليها وآخر من استشهد منهم جمال الملك نائبها كما مرّ آنفاً وولي عليها شمس الخلافة فراسل بقديون ملك للقدس وهاداه ليتنّع به من الخليفة بمصر وبعث الأفضل ابن أمير الجيوش العساكر إليه سنة أربع وخمسمائة مع قائد من قوادهم مورياً بالغزو وأسرّ إليه بالقبض على شمس الخلافة والولاية مكانه بعسقلان وشعر شمس الخلافة بذلك فجاهر بالعصيان فخشي أن يملكها الإفرنج فراسله وأقرّه على عمله وعزل شمس الخلافة جند عسقلان واستنجد جماعة من الأرمن فاستوحش منه أهل البلد ووثبوا به فقتلوه وبعثوا إلى الأمير الأفضل صاحب مصر المستولي عليها بطاعتهم فجاءهم الوالي من قبله واستقامت أمورهم .

* (استيلاء الإفرنج على حصن الأثارب وغيره) *

ثم جمع شكري صاحب إنطاكية واحتشد وسار إلى حصن الأثارب^(١) على ثلاثة فراسخ من حلب فحاصره وملكه عنوة وأثنّ فيهم بالقتل والسبي ثم سار إلى حصن وزدناد^(٢)

(١) هو حصن (الأثارب) كما في الكامل ج ١٠ ص ٤٨١ .

(٢) هو حصن (زردنا) كما في الكامل ج ١٠ ص ٤٨١ .

فجعل فيه مثل ذلك وهرب أهله منه ومارس على بلديهما^(١) ثم سار عسكر من الإفرنج إلى مدينة صيدا فلكوها على الأمان وأشفق المسلمون من استيلاء الإفرنج على الشام وراسلوكهم في الهدنة فامتنعوا ألا على الضريرة فصالحهم رضوان صاحب حلب على إثنين وثلاثين ألف دينار وعدة من الخيول والثياب وصاحب صور على سبعة آلاف دينار وابن منقذ صاحب شيرز^(٢) على أربعة آلاف دينار وعلي الكردي صاحب حماة على ألفي دينار ومدة الهدنة إلى حصاد الشعير ثم اعترضت مراكب الإفرنج مراكب التجار من مصر فأخذوها وأسروهم وسار جماعة من أهل حلب إلى بغداد للنفير فدخلوها مستغنيين ومعهم خلق من الفقهاء والغوغاء وقصدوا جامع السلطان يوم الجمعة فنعوا الناس من الصلاة بضجيجهم وكسروا المنبر فوعدهم السلطان بإفاد العساكر للجهاد وبعث من دار الخلافة منبراً للجامع ثم قصدوا في الجمعة الثانية جامع القصر في مثل جمعهم ومنعهم صاحب الباب فدفعوا ودخلوا الجامع وكسروا شبابيك المقصورة والمنبر وبطلت الجمعة وأرسل الخليفة إلى السلطان في رفع هذا الحزن فأمر الأمراء بالتجهز للجهاد وأرسل ابنه الملك مسعوداً مع الأمير مودود صاحب الموصل ليلحق به الأمراء ويسيروا جميعاً إلى قتال الإفرنج .

* (مسير الأمراء السلجوقية إلى قتال الإفرنج) *

ولما سار مسعود ابن السلطان مع الأمير مودود إلى الموصل اجتمع معهم الأمراء سقمان القطبي صاحب ديار بكر وإبنا برسق إبلتكي وزنكي أصحاب همدان والأمير أحمد بك صاحب مراغة وأبو الهيجاء صاحب أربل وأياز بن أبي الغازي بعثه أخوه صاحب ماردين وساروا جميعاً إلى سنجار وفتحوا عدة حصون للإفرنج ونزلوا على مدينة الرها وحاصروا واجتمعوا مع الإفرنج على الفرات وخام الطائفتان عن اللقاء وتأخر المسلمون إلى حران يستطردون للإفرنج لعلهم يعبرون الفرات فخالفهم الإفرنج إلى الرها وشحنوها أقواتاً وعدة وأخرجوا الضعفاء منها ثم عبروا الفرات إلى نواحي حلب لأن الملك رضوان صاحبها لما عبروا إلى الجزيرة إرتجع بعض الحصون التي كان الإفرنج أخذوها بأعمال حلب فطرقوها الآن فاكسحوا نواحيها وجاءت عساكر السلطان إلى الرها وقاتلوها فامتنعت عليهم فعبروا الفرات وحاصروا قلعة تل

(١) هنا عبارة سقطت أثناء النسخ أو الطبع . وفي الكامل : فلما سمع أهل منبج بذلك فارقوها خوفاً من الفرنج وكذلك أهل بالس . وقصد الفرنج البلدين فأروها وليس بها أنيس فعادوا عنها .

(٢) شيرز . قلعة تشمل على كورة بالشام قرب المعرة ، بينها وبين حماة يوم . وهي قديمة ذكرها امرؤ القيس في قوله : تقطع أسباب البانة والهوى عشبة جاوزنا حماة وشيرزا .

ناشر شهراً ونصفا فامتنعت فرحلوا الى حلب ففقد الملك رضوان عن **مقالة العزيم** **هنا التكنولوجيا**
سقمان القطبي ورجعوا فتوفي في بالس وحمل شلوه إلى بلده ونزلت العساكر السلطانية على
معرّة النعمان فخرج طغركين صاحب دمشق إلى مودود ونزل عليه ثم ارتاب لما رأى من
الامراء في حقه فدرس للإفرنج بالمهادنة ثم افترقت العساكر كما ذكرنا في أخبارهم وبقى
مودود مع طغركين على نهر العاصي وطمع الإفرنج بافتراقهم فساروا إلى اقامية وخرج سلطان
بن منقذ صاحب شيرز إلى مودود طغركين فرحل بهم إلى شيرز وهون عليهم أمر الإفرنج
وضاقت الميرة على الإفرنج فرحلوا وأتبعهم المسلمون يتخطفون من أعقابهم أبعدوا والله تعالى
أعلم .

* (حصار الافرنج مدينة صور) *

ولما افترقت العساكر السلطانية خرج بقديوين ملك القدس وجمع الافرنج ونزلوا على مدينة
صور في جمادي الاولى من سنة خمس وهي للامير الافضل صاحب مصر ونائبه بها عز
الملك الاغرّ ونصبوا عليها الابراج والمجانيق وانتدب بعض الشجعان من أهل طرابلس كان
عندهم في ألف رجل وصدقوا الحملة حتى وصلوا البرج المتصل بالسور فأحرقوه ورموا
الآخرين بالنفط فأحرقوهم واشتد القتال بينهم وبعث أهل صور الى طغركين صاحب
دمشق يستنجدونه على أن يمكنه من البلد فجاء الى بانياس وبعث اليهم بمائتي فرس واشتد
القتال وبعث نائب البلد الى طغركين بالاستحثاث للوصول ليمكنه من البلد وكان طغركين
يغير على أعمال الافرنج في نواحيها وملك لهم حصنا من أعمال دمشق وقطع الميرة عنهم
فساروا يحملونها في البحر ثم سار الى صيدا وأغار عليها ونال منها ثم أزهر الثمرة وخشي
الافرنج من طغركين على بلادهم فأفرجوا عن صور الى عكا وجاء طغركين الى صور
فأعطى^(١) الاموال واشتغلوا باصلاح سورهم وخندقهم والله أعلم .

* (أخبار مودود مع الإفرنج ومقتله و وفاة صاحب انطاكية) *

ثم سار الامير مودود صاحب الموصل سنة سنة الى سروج وعاث في نواحيها فخرج
جكرمش صاحب تل ناشر وأغار على دوابهم فاستاقها من راعيها وقتل كثيرا من العسكر

(١) كذا بياض بالاصل ، وفي الكامل ج ١٠ ص ٤٩٠ : وقاتل اهل صور قتال من ايس من الحياة فدام القتال الى
اوان ادراك الفلات فخاف الفرنج ان طغتكين يستولي على غلات بلادهم فساروا عن البلد عاشر شوال الى
عكا ، وعاد عسكر طغتكين اليه ، واعطاهم اهلها الاموال وغيرها ، ثم اصلحوا ما تشعث من سورها
وخندقها ، وكان الفرنج قد طمّوه .

ورجع ثم توفي الامير الارمني صاحب الدروب ببلاد ابن كاور فسار شكري صاحب انطاكية من الافرنج الى بلاده ليملكها فرض وعاد الى انطاكية ومات منتصف سنة ست وملكها بعده ابن أخته سرجان واستقام أمره ثم جمع الامير مودود صاحب الموصل العساكر واحتشد وجاءه تميرك صاحب سنجار واياز بن أبي الغازي صاحب ماردين وطغركين صاحب دمشق ودخلوا في محرم سنة سبع الى بلاد الافرنج وخرج بقدوين ملك القدس وجوسكين صاحب القدس يغير على دمشق فعبروا الفرات وقصدوا القدس ونزلوا على الاردن والافرنج عدوتهم واقتتلوا منتصف المحرم فانهزم الافرنج وهلك منهم كثير في بحيرة طبرية والاردن وغنم المسلمون سوادهم وساروا منهزمين فلقبهم عسكر طرابلس وانطاكية فشردوا معهم وأقاموا على جبل طبرية وحاصروهم المسلمون نحو من شهر فلم يظفروا بهم فتركوهم وانساحوا^(١) في بلاد الافرنج ما بين عكا والقدس واكتسحوها ثم انقطعت المواد عنهم للبعد عن بلادهم فعادوا الى مرج الصفر على نية العود للغزاة في فصل الربيع وأذنوا للعساكر في الانطلاق ودخل مودود الى دمشق يقيم بها الى أوان اجتماعهم فطعنه باطني في الجامع منصرفه من صلاة الجمعة آخر ربيع الاول من السنة ومات من يومه وأتهم طغركين بقتله والله تعالى أعلم .

* (أخبار البرسقي مع الافرنج) *

ولما قتل مودود بعث السلطان محمد مكانه اقسنقر البرسقي ومعه ابنه السلطان مسعود في العساكر لقتال الافرنج وبعث الى الامراء بطاعته فجاءه عماد الدين زنكي بن اقسنقر وتميرك صاحب سنجار وسار الى جزيرة ابن عمر وملكها من يد نائب مودود ثم سار الى ماردين فحاصرها الى أن أذعن أبو الغازي صاحبها وبعث معه ابنه اياز في العساكر فساروا الى الرها وحاصروها في ذي الحجة سنة ثمان مدة سبعين يوما فامتنت وضاعت الميرة على المسلمين فرحلوا الى شمشاط وسروج وعاثوا في تلك النواحي وهلك في خلال ذلك بكواسيل صاحب مرعش وكيسوم وزغبان من الافرنج وملك زوجته بعده وامتنعت من الافرنج وأرسلت الى البرسقي على الرها بطاعته فبعث اليها صاحب الخابور فردته بالاموال والهدايا ويطاعتها فعاد من كان عندها من الافرنج الى انطاكية والله أعلم .

(١) انساحوا : اندفعوا .

* (الحرب بين العساكر السلطانية والفرنج) *

كان السلطان محمد قد تنكر لطريركين صاحب دمشق لاتهمه اياه بقتل مودود فعصى وأظهر الخلاف وتابعه أبو الغازي صاحب ماردين لما كان بينه وبين البرسقي فاهم السلطان شأنها وشأن الافرنج وقوتهم وجهاز العساكر مع الامير برسقي صاحب همدان وبعث معه الامير حيوس بك والامير كسقري وعساكر الموصل والجزيرة وأمرهم بغزو الافرنج بعد الفراغ من شأن أبي الغازي وطريركين فساروا في رمضان سنة ثمان موعبروا الفرات عند الرميطة وجاؤا الى حلب وبها لؤلؤ الخادم بعد رضوان ومقدم العساكر شمس الخواص وعرضوا عليها كتب السلطان بتسليم البلد فداغها بالجواب واستنجدوا بأبي الغازي وطريركين فوصلا اليها في ألني فارس وامتعاها على العسكر فسار الامير برسقي الى حماة من أعمال طريركين فلكها عنوة ونهبها ثلاثا وسلمها للامير قرجان صاحب حمص بأمر السلطان بذلك في كل بلد يفتحونه فنفس عليه الامراء ذلك وفسدت ضمايرهم وكان أبو الغازي وطريركين وشمس الخواص قد ساروا الى انطاكية مستنجدين بصاحبها روميل على مدافعتهم عن حماة فبلغهم فتحها ووصل اليهم بانطاكية بقديون ملك القدس وطرابلس وغيره من شياطين الافرنج واجتمعوا على اقامية واتفقوا على مطاولة المسلمين الى فصل الشتاء ليتفرقوا فلما أظلم الشتاء والمسلمون مقيمون عاد أبو الغازي الى ماردين وطريركين الى دمشق والافرنج الى بلادهم وقصد المسلمون كفرطاب وكانت هي واقامية للافرنج فلكوها عنوة وفتكوا بالافرنج فيها وأسروا صاحبها ثم ساروا الى قلعة اقامية فاستعصت عليهم فعادوا الى المعرة وهي للافرنج وفارقهم الامير حيوس بك الى وادي مراغة فلكه وسارت العساكر من المعرة الى حلب وأنقاهم ودوابهم وهم متلاصقون فوصلت مقدمتهم الى الشام وخربوا الابنية وكان روميل صاحب انطاكية قد سار في خمسمائة فارس وألني راجل للمدافعة عن كفرطاب وأظلم على خيام المسلمين قبل وصولهم فقتل من وجد بها من السوق والغلمان وأقام الافرنج بين الخيام يقتلون كل من لحق بها حتى وصل الامير برسقي وأخوه زنكي فصعدا ربوة هناك وأحاط الفل من المسلمين به وعزم برسقي على الاستماتة ثم غلبه اخوه زنكي على النجاة فنجوا فيمن معه واتبعهم الافرنج فرسحا ورجعوا عنه وافترقت العساكر الاسلامية منهزمة الى بلادها وأشفق أهل حلب وغيرها من بلاد الشام من الافرنج بعد هذه الواقعة وسار الافرنج الى رميلة من أعمال دمشق فلكوها وبالعوا في تحصينها واعتزم طريركين على تخريب بلاد الافرنج ثم بلغه الخبر عن خلور رميلة من

الحامية فبادر اليها سنة تسع وملكها عنوة وقاتل وأسر وغنم وعاد الى دمشق ولم تزل رميلة بين المسلمين الى أن حاصرها الافرنج سنة عشرين وخمسمائة وملكوها والله أعلم .

* (وفاة ملك الافرنج وأخبارهم بعده مع المسلمين) *

ثم توفي بقديون ملك الافرنج بالقدس آخر سنة احدى عشرة وخمسمائة وكان قد زحف الى ديار بكر طامعا في ملكها فانهى الى تنيس وشج في الليل فانتقض عليه جرحه وعاد الى القدس فمات وعاد القمص صاحب الرها الذي كان أسره جكرمش وأطلقه جاولي وكان حاضرا عنده لزيارة قامة وكان أنابك طغركين قد سار لقتال الافرنج ونزل اليرموك فبعث اليه قصص في المهادنة فاشترط طغركين ترك المناصفة من جبل عردة الى الغور فلم يقبل القمص فسار طغركين الى طبرية ونهب نواحيها وسار منها الى عسقلان ولقي سبعة آلاف من عساكر مصر قد جاؤا في أثر بقديون عندما ارتحل عن ديار بكر فاعلموا أن أصحابهم تقدم اليهم بالوقوف عند أمر طغركين فشكر لهم ذلك وعاد الى دمشق وأتاه الخبر بأن الافرنج قصدوا أذرعات ونهبوها بعد ان ملكوا حصنا من أعماله فأرسل اليهم تاج الملك بوري في أثرهم فحاصروهم في جبل هناك حتى يشوا من أنفسهم وصدقوا الحملة عليهم فهزموهم وأفحشوا في القتل وعاد القمل الى دمشق وسار طغركين الى حلب يستنجد أبا الغازي فوعده بالمسير معه ثم جاء الخبر بأن الافرنج قصدوا أعمال دمشق فنهبوا حوران واكتسحوها فرجع طغركين الى دمشق وأبو الغازي الى ماردين الى حشد العساكر وقصدوا الاجتماع على حرب الافرنج ثم سار الافرنج سنة ثلاثة عشر الى نواحي حلب فملكوا مراغة ونازلوا المدينة فصانعهم أهلها بمقاسمتهم أملاكهم وزحف أبو الغازي من ماردين في عشرين ألفا من العساكر والمتطوعة ومعه أسامة بن مالك بن شيرز الكافي والامير طغان ارسلان بن افتكين ابن جناح صاحب ارزن وسار الافرنج الى صنبيل عرمس^(١) قرب الآثار فتلوا به في موضع منقطع المسالك وعزموا على المطاولة فناجزهم أبو الغازي وسار اليهم ودخل عليهم في مجتمعهم وقاتلوه أشد القتال فلم يقاوموه وفتك فيهم فتكة شعاء وقتل فيهم سرحان صاحب انطاكية وأسر سبعون من زعمائهم وذلك منتصف ربيع من السنة ثم اجتمع فل^(٢) الافرنج

(١) كذا بالاصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٥٥٤ : فتلوا قريبا من الآثار بموضع يقال له تل يمغرين بين جبال

ليس .

(٢) فل : جمعها افلال وفلول : منهزم ومنهزمون .

وعاودوا الحرب فهزمهم أبو الغازي وملك عليهم حصن آلات ربّ وزدنا^(١) وجاء الى حلب فأصلح أحوالها وعاد الى ماردین ثم سار جوسکین صاحب تل ناشر في مائتين من الافرنج ليکبس حلة من احياء طيء يعرفون ببني خالد فأغار عليهم وغنم أموالهم ودلوه على بقية قومهم من بني ربيعة فيما بين دمشق وطبرية فبعث أصحابه اليهم وسار هو من طريق آخر فضل عن الطريق ووصل أصحابه اليهم وأميرهم مر من ربيعة فقاتلهم وغلبهم وقتل منهم سبعين وأسرا ثني عشر فقاداهم بمال جزيل وأصناف عدتهم من الاسرى وبلغ الى جوسکین في طريقه فعاد الى طرابلس وجمع جمعا وأغار على عسقلان فهزمه المسلمون وعاد مفلولا والله أعلم .

* (ارتجاع الرها من الافرنج) *

ثم سار بهرام أخو أبي الغازي الى مدينة الرها وحاصرها مدة فلم يظفر بها فرحل عنها ولقيه النذير بأن جوسکین صاحب الرها وسروج قد سار لاعتراضه وقد تفرق عن مالك أصحابه فاستجاب لما وصل اليه الافرنج ودفعهم لأرض سنجة فوصلت فيها خيولهم فلم يفلت منهم أحد وأسّر جوسکین وخاط عليه جلد جمل وفادى نفسه بأموال جليلة فأبى مالك من فديته الا أن يسلم حصن الرها فلم يفعل وحبسه في خرت برت ومعه كلام ابن خالته وكان من شياطينهم وجماعة من زعمائهم والله سبحانه وتعالى أعلم وبه التوفيق .

* (استيلاء الافرنج على خرت برت وارتجاعها منهم) *

كان مالك بن بهرام صاحب خرت برت وكان في جواره الافرنج في قلعة كركر فحاصروهم بها وسار بقدوين اليه في جموعه فلقيه في صفر سنة سبعة عشر فهزم الافرنج وأسّر ملكهم وجماعة من زعمائهم وحبسهم مالك في قلعة خرت برت مع جوسکین صاحب الرها وأصحابه وسار مالك الى حران في ربيع الأول وملكها ولما غاب من خرت برت تحيل الافرنج وخرجوا من محبسهم بمدخله بعض الجند وسار بقدوين الى بلده وملك الآخرون القلعة فعاد مالك اليهم وحاصرها وارتجعها من أيديهم ورتب فيها الحامية والله تعالى وليّ التوفيق .

(١) وفي نسخة ثانية : حصن الاثارب ورزدنا .

* (استيلاء الإفرنج على مدينة صور) *

كانت مدينة صور لخلفاء العلوية بمصر وكان بها عز الملك من قبل الأفضل ابن أمير الجيوش المستبد على الأمر بمصر وتجهز الإفرنج لحصارها سنة ست فاستمدوا طغركين صاحب دمشق فأمدهم بعسكر ومال مع وال من قبله اسمه مسعود فجاء إليها ولم يغير دعوة العلوية بها في خطبة ولا سكة وكتب إلى الأفضل بذلك وسأله تردد الأسطول إليه بالمدد فأجابه وشكره ثم قتل الأفضل وجاء الأسطول إليها من مصر على عادته وقد أمر مقدمه أن يعمل الحيلة في القبض على مسعود الوالي بصور من قبل طغركين لشكوى أهل مصر منه فقبض عليه مقدم الأسطول وحمله إلى مصر وبعثوا به إلى دمشق وأقام الوالي من قبل أهل مصر في مدينة صور وكتب إلى طغركين بالعدول عن القبض على مسعود واليه وكان ذلك سنة ستة عشر وبلغ الإفرنج إنصراف مسعود عن صور قوى طمعهم فيها وتجهزوا لحصارها وبعث الوالي الأمير بذلك وبعجزه عن مقاومة حصارهم لها وسار طغركين إلى بانياس ليكون قريباً من صرخها^(١) وبعث إلى أهل مصر يستنجدهم فراسل الإفرنج في تسليم البلد وخروج من فيها فدخلها الإفرنج آخر جمادي الأولى من السنة بعد أن حمل أهلها ما أطاقوا وتركوا ما عجزوا عنه والله سبحانه وتعالى أعلم.

* (فتح البرسقي كفرطاب وإنهزامه من الإفرنج) *

ثم جمع البرسقي عساكره وسار سنة تسعة عشر إلى كفرطاب^(٢) وحاصرها فلما كان من الإفرنج ثم سار إلى قلعة أعزاز شمالي حلب وبها جوسكين فحاصرها واجتمع الإفرنج وساروا لمداغته فلقمهم وقتلهم شديداً فحصر الله المسلمين وإنهزموا وفتك النصاري فيهم ولحق البرسقي بحلب بها ابنه مسعوداً وعبر الفرات إلى الموصل ليستمد العساكر ويعود لغزوهم فقبض الله بمقتله وولى ابنه عز الدين بعده قليلاً ثم مات سنة إحدى وعشرين وولى السلطان محمود عماد الدين زنكي بن اقسنقر مكانه على الموصل والجزيرة وديار بكر كما مر في أخبار دولة السلجوقية ثم استولى منها على الشام وأورث ملكها بنه فكانت لهم دولة عظيمة بهذه

(١) صرخ : استغاثة .

(٢) كفرطاب : بلدة بين مرة النعمان ومدينة حلب في بيرة معطشة .

الأعمال نذكرها أن شاء الله تعالى ونشأت عن دولتهم دولة بني أيوب وتفرعت منها كما نذكره ونحن الآن نترك من أخبار الإفرنج هنا جميع ما يتعلق بدولة بني زنكي وبني أيوب حتى نوردها في أخبار تينك الدولتين لئلا تتكرر الأخبار ونذكر في هذا الموضع من أخبار الإفرنج ما ليس له تعلق بالدولتين فإذا طالعه المتأمل علم كيف يرد كل خبر إلى مكانه بجودة قريحته وحسن تأنيه .

* (الحرب بين طغركين والإفرنج) *

ثم اجتمعت الإفرنج سنة عشرين وخمسمائة وساروا إلى دمشق ونزلوا مرج الصفر واستنجد طغركين صاحبها أمراء التركمان من ديار بكر وغيرها فجاءوا إليه وكان هو قد سار إلى جهة الإفرنج آخر سنة عشرين وقاتلهم وسقط في المعرك فظن أصحابه أنه قتل فانهمزوا وركب فرسه وسار معهم منهزماً والإفرنج في إتباعهم وقد أثنخوا في رجاله التركمان فلما أتبعوا المنهزمين خالف الرجال إلى معسكرهم فهبوا سوادهم وقتلوا من وجدوا فيه ولحقوا بدمشق ورجع الإفرنج عن المنهزمين فوجدوا خيامهم منهوبة فساروا منهزمين ثم كان سنة ثلاث وعشرين واقعة المزدغاني والإسماعيلية بدمشق بعد أن طمع الإفرنج في ملكها فأسف ملوك الإفرنج على قتله وسار صاحب القدس وصاحب إنطاكية وصاحب طرابلس وغيرهم من القمامصة ومن وصل في البحر للتجارة أو الزيارة وساروا إلى دمشق في ألبي فارس ومن الرجال ما لا يحصى وجمع طغركين من العرب والتركمان ثمانية آلاف فارس وجاء الإفرنج آخر السنة ونازلوا دمشق وبثوا سراياهم للإغارة بالنواحي وجمع الميرة وسمع تاج الملك بسرية في حوران فبعث شمس الخواص من أمرائه ولقوا سرية الإفرنج وظفروا بهم وغنموا ما معهم وجاءوا إلى دمشق وبلغ الخبر إلى الإفرنج فأجفلوا عن دمشق بعد أن أحرقوا ما تعذر عليهم حمله وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ثم أن إسمند صاحب إنطاكية سار إلى حصن القدموس وملكه والله تعالى يؤيد من يشاء .

* (هزيمة صاحب طرابلس) *

ثم اجتمع سنة سبع وعشرين جمع كبير من تركمان الجزيرة وأغاروا على بلاد طرابلس وقتلوا وغنموا فخرج إليهم القمص صاحبها فاستطردوا له ثم كروا عليه فهزموه ونالوا منه ونجا إلى

قلعة بقوين^(١) فتحصن بها وحاصره التركان فيها فخرج من القلعة ليلاً في عشرين من أعيان أصحابه ونجا إلى طرابلس واستصرخ الإفرنج من كل ناحية وسار بهم إلى بقوين لمداغة التركان فقاتلهم حتى أشرف الإفرنج على الهزيمة ثم تحيزوا إلى أرمينية وتعذر على التركان أتباعهم فرجعوا عنهم إنتهى .

* (فتح صاحب دمشق بانياس) *

كان بوري بن طغركين صاحب دمشق لما توفي سنة ست وعشرين وخمسمائة وولي مكانه ابنه شمس الملك إسماعيل فاستضعفه الإفرنج وتعرضوا لنقض الهدنة ودخل بعض تجار المسلمين إلى سروب فأخذوا أموالهم وراسلهم شمس الملك في ردّها عليهم فلم يفعلوا فتجهز وسار إلى بانياس في صفر سنة سبع وعشرين فنازها وشدّد حصارها ونقب المسلمون سورها وملكوها عنوة واستلحموا^(٢) الإفرنج بها واعتصم فلهم بالقلعة حتى استأنوا بعد يومين وكان الإفرنج قد جمعوا لمداغة شمس الملك فجاءهم خبر فتحها فأقصروا .

* (استيلاء شمس الملك على الشقيف) *

ثم سار شمس الملك إسماعيل صاحب دمشق إلى شقيف بيروت وهو في الجبل المطل على بيروت وصيدا وكان بيد الضحاك بن جندل رئيس وادي التيم وهو ممتنع به وقد تحاماه المسلمون والإفرنج وهو يجتمعي من كل منها بالآخر فسار إليه شمس الملك وملكه في المحرم سنة ثمان وعشرين وعظم ذلك على الإفرنج وخافوا شمس الملك فساروا إلى بلد حوران وعاثوا في جهاتها ونهض شمس الملك ببعض عساكره وجرم الباقي قبالة الإفرنج وقصد طبرية والناصرية وعكا فاكتمسح نواحيها وجاء الخبر إلى الإفرنج فاجفلوا إلى بلادهم وعظم عليهم خرابها وراسلوا شمس الملك في تجديد الهدنة فجدّدها لهم إنتهى والله أعلم .

* (استيلاء الإفرنج على جزيرة جربة من أفريقية) *

كانت جزيرة جربة من أعمال أفريقية ما بين طرابلس وقابس وكان أهلها من قبائل البربر قد

(١) كذا بالأصل وفي الكامل ج ١١ ص ٧ ومضى هو ومن سلم معه إلى قلعة بعين فتحصنوا فيها وامتنعوا عن التركان .

(٢) إستلحم الرجل : نشب في الحرب فلم يخذ مخلصاً .

استبدوا بحزيرتهم عندما دخل العرب الهلاليون أفريقية ومزقوا ملك صنهاجة بها وقارن ذلك استفحال ملك الإفرنج برومة وما إليها من البلاد الشمالية وتناولوا إلى ملك بلاد المسلمين فسار ملكهم بردويل فيمن معه من زعمائهم وأقاصيهم إلى الشام فملكوا مدنه وحصونه كما ذكرناه آنفاً وكان من ملوكهم القمص رجار بن نيعر بن خميرة وكان كرسيه مدينة ميلكوا مقابل جزيرة صقلية ولما ضعف أمر المسلمين بها وانقرضت دولة بني أبي الحسين الكلبي منها سما رجار هذا إلى ملكها وأغراه المتغلبون بها على بعض نواحيها فأجاز إليها عساكره في الأسطول في سبيل التضريب بينهم ثم ملكها من أيديهم معقلاً معقلاً إلى أن كان آخرها فتخاطر إبنه وما زرعة من يد عبدالله بن الجواس أحد الثوار بها فملكها من يده صلحاً سنة أربع وستين وأربعمائة وانقطعت كلمة الإسلام بها ثم مات رجار سنة أربع وتسعين فولي ابنه رجار مكانه وطالت أيامه واستفحل ملكه وذلك عندما هبت ريح الإفرنج بالشام وجاسوا خلالها وصاروا يتغلبون على ما يقدرون عليه من بلاد المسلمين وكان رجار يتعاهد سواحل أفريقية بالغزو فبعث سنة ثلاث وخمسين أسطول صقلية إلى جزيرة جربة وقد تقلص عنها ظل الدولة الصنهاجية فأحاطوا بها واشتد القتال ثم اقتحموا الجزيرة عليهم عنوة وغنموا وسبوا واستأمن الباقون وأقرهم الإفرنج في جزيرتهم على جزيرة وملكوا عليهم أمرهم والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده .

* (فتح صاحب دمشق بعض حصون الإفرنج) *

ثم بعث شمس الملوك إسماعيل صاحب دمشق عساكره مع الأمير خزواش سنة إحدى وثلاثين إلى طرابلس الشام ومعه جمع كثير من التركمان والمتطوعة وسار إليه القمص صاحب طرابلس فقاتلوه وهزموه وأثنخوا في عساكره وأحجزه بطرابلس وعاثوا في أعماله وفتحوا حصن وادي ابن الأحمر من حصونه عنوة واستباحوه واستلحموا من فيه من الإفرنج ثم سار الإفرنج سنة خمس وثلاثين إلى عسقلان^(١) وأغاروا في نواحيها وخرج إليهم عسكر مصر الذين بها فهزموا الإفرنج وظفروا بهم وعادوا منهزمين وكفى الله شرهم بمنه وكرمه .

(١) عسقلان : مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحرين غزة وبيت جبرين ويقال لها عروس الشام . وقد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين وحدث بها خلق كثير . ولم تزل عامرة إلى أن استولى عليها الإفرنج . (معجم البلدان) .

* (استيلاء الإفرنج على طرابلس الغرب) *

كان أهل طرابلس الغرب لما أنحلّ نظام الدولة الصنهاجية بأفريقية وتقلص ظلها عنهم قد استبدّوا بأنفسهم وكان بالمهدية آخر الملوك من بني باديس وهو الحسن بن علي بن يحيى بن تميم بن المعز فاستبدّ لعده في طرابلس أبو يحيى بن مطروح ورفضوا دعوة الحسن وقومه وذلك عندما تكالب الإفرنج على الجهات فطمع رجار في ملكها وبعث أسطوله في البحر فنازلها آخر سنة سبع وثلاثين وخمسائة فنقبوا سورها واستنجد أهلها بالعرب فأنجدوهم وخرجوا إلى الإفرنج فهزموهم وغنموا أسلحتهم ودوابهم ورجع الإفرنج إلى صقلية فتجهزوا إلى المغرب وطرقوا جيجيل من سواحل بجاية وهرب أهلها إلى الجبل ودخلوها فنهبوا وخربوا القصر الذي بناه يحيى بن العزيز بن حماد ويسمى التزهة ورجعوا إلى بلادهم ثم بعث رجار أسطوله إلى طرابلس سنة إحدى وأربعين فأرسل عليا ونزل المقاتلة وأحاطوا بها براً وبحراً وقاتلوا ثلاثاً وكان أهل البلد قد إختلفوا قبل وصول الإفرنج وأخرجوا بني مطروح وولوا عليهم رجلاً من أمراء لمتونة قام حاجاً في قومه فولوه أمرهم فلما شغل أهل البلد بقتال الإفرنج اجتمعت شيعه بني مطروح وأدخلوهم للبلد ووقع بينهم القتال فلما شعر الإفرنج بأمرهم بادروا إلى الأسوار فصبوا عليها السلام وتسملوها وفتحوا البلد عنوة وأفحشوا في القتل والسبي والنهب ونجا كثير من أهلها إلى البربر والعرب في نواحيها ثم رفعوا السيف ونادوا بالأمان فتراجع المسلمون إلى البلد وأقروهم على الجزية وأقاموا بها ستة أشهر حتى أصلحوا أسوارها وفنادقها وولوا عليها ابن مطروح وأخذوا رهنه على الطاعة ونادوا في صقلية بالمسير إلى طرابلس فسار إليها الناس وحسنت عمارتها .

* (استيلاء الإفرنج على المهدية) *

كانت قابس عندما إختلّ نظام الدولة الصنهاجية واستبدّ بها^(١) ابن كامل بن جامع من قبائل رياح إحدى بطون هلال الذين بعثهم الجرجاني وزير المستنصر بمصر على المعز بن باديس وقومه فأضرعوا الدولة وأفسدوا نظامها وملكوا بعض أعمالها واستبدّ آخرون من أهل البلاد بموضعهم فكانت قابس هذه في قسمة بني دهمان هؤلاء وكان لهذا العهد

(١) كذا بياض بالأصل ، ولم نثر على اسمه في المراجع التي بين أيدينا .

رشيد أميراً بها كما ذكرنا ذلك في أخبار الدولة الصنهاجية من أخبار البربر وتوفي رشيد سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ونصب مولاه يوسف ابنه الصغير محمد بن رشيد وأخرج ابنه الكبير معمرأ واستبد على محمد وتعرض لحرمه سرأ وكان فيهن امرأة رشيد وساروا إلى التمحض بصاحب المهدي يشكون فعله وكتبه الحسن في ذلك فلم يحبه وتهده بإدخال الإفرنج إلى قابس فجهاز إليه العساكر وبعث يوسف إلى رجار صاحب طرابلس بطاعته وأن يوليه على قابس كما ولي ابن مطروح على طرابلس وشعر أهل البلد بمدخلته للإفرنج فلما وصل عساكر الحسن ثاروا به معهم وتحصن يوسف بالقصر فلكوه عنوة وأخذ يوسف أسيراً وملك معمر قابس مكان أخيه محمد وامتنح يوسف بأنواع العذاب إلى أن هلك وأخذ بنوقرة أختهم ولحق عيسى أخو يوسف وولد يوسف برجار صاحب صقلية واستجاروا به وكان الغلاء قد اشتد بأفريقية سنة سبع وثلاثين ولحق أكثر أهلها بصقلية وأكل بعضهم بعضاً وكثر الموتان فاغتنم رجار الفرصة ونقض الصلح الذي كان بينه وبين الحسن بن علي صاحب المهدي^(١) لسنين وجهاز أسطوله مائتين وخمسين من الشواني وشحنها بالمقاتلة والسلاح ومقدم الأسطول جرجي بن ميخايل أصله من المنتصرة وقد ذكرنا خبره في أخبار صنهاجة والموحدين فقصد قوصرة وصادف بها مركباً من المهدي فغنمه ووجد عندهم حمام البطاقة فبعث الخبر إلى المهدي على أجنحتها بأن أسطول الإفرنج أقلع إلى القسطنطينية ثم أقلع فأصبح قريباً من المرسى في ثامن صفر سنة ثلاث وأربعين وقد بعث الله الريح فعاقتهم عن دخول المرسى ففاته غرضه وكتب إلى الحسن بأنه باق على الصلح وإنما جاء طالباً بثأر محمد بن رشيد ورده إلى بلده قابس فجمع الحسن الناس واستشارهم فأشاروا بالقتال فخام عنه واعتذر بقله الأوقات وارتحل من البلد وقد حمل ما خف حمله وخرج الناس بأهاليهم وما خف من أموالهم واختفى كثير من المسلمين في الكنائس ثم ساعد الريح أسطول الإفرنج ووصلوا إلى المرسى ونزلوا إلى البلد من غير مدافع ودخل جرجي القصر فوجده على حاله مملوءاً بالذخائر النفسية التي يعز وجود مثلها وبعث بالأمان إلى كل من شرد من أهلها فرجعوا وأقرهم على الجزية وسار الحسن بأهله وولده إلى المعلقة وبها محرز بن زياد من أمراء الهلالين ولقيه في طريقه حسن بن ثعلب من أمراء الهلالين بمال إنكسر له في ديوانه فأخذ ابنه يحيى رهينة به ولما وصل محرز بن زياد أكرم لقاءه وبرّ مقدمه جزاء بما كان يؤثره على العرب ويرفع محله وأقام عنده شهراً ثم عزم على المسير إلى مصر وبها يومئذ الحافظ فأرصد له جرجي الشواني في البحر

(١) المهدي : مدينة بأفريقية منسوبة إلى المهدي ، وبينها وبين القيروان مرحلتان والقيروان في جنوبها .

فرجع عن ذلك واعتزم على قصد عبد المؤمن من ملوك الموحدين بالمغرب وفي طريقه يحيى بن عبد العزيز ببجاية من بني عمه حماد فأرسل إليه أبناءه يحيى وتيمماً وعلياً يستأذنه في الوصول فأذن له وبعث إليه من أوصله إلى جزائر بني ماذنة ووكل به وبولده حتى ملك عبد المؤمن بجاية سنة أربع وأربعين وخبرهم مشروع هنالك ثم جهز جرجي أسطولاً آخر إلى صفاقس وجاء العرب لإنقاذهم فلما توافوا للقتال إستطرد لهم الإفرنج غير بعيد فهزمهم ومضى العرب عنهم وملك الإفرنج المدينة عنوة ثالث عشري صفر وفتكوا فيها ثم أمنوهم وفادوا وأسراهم وأقروهم على الجزية وكذا أهل سوسة^(١) وكتب رجار صاحب صقلية إلى أهل سواحل أفريقية بالأمان والمواعد ثم سار جرجي إلى إقليبية من سواحل تونس واجتمع إليها العرب فقاتلوا الإفرنج وهزمهم ورجعوا خائبين إلى المهدي وحدثت الفتنة بين رجار صاحب صقلية وبين ملك الروم بالقسطنطينية فشغل رجار بها عن أفريقية وكان متولي كبرها جرجي بن ميخائيل صاحب المهدي ثم مات سنة ست وأربعين فسكنت تلك الفتنة ولم يقم لرجار بعده أحد مقامه والله تعالى أعلم^(٢).

(١) سوسة بلد بالمغرب ، وهي مدينة عظيمة بها قوم لونها لون الحنطة يضرب إلى الصفرة .

(٢) تلاحظ ولا شك عدم الإنسجام في سرد الحوادث ، لذلك نقلنا ما كتبه ابن الأثير عن هذه الحادثة بالنص الكامل ليتمكن القارئ أن يتوصل إلى الحقائق التاريخية بعد المقارنة . عن كتاب الكامل ج ١١ ص ١٢٥ : ذكر ملك الإفرنج مدينة المهدي بأفريقية قد ذكرنا سنة إحدى وأربعين وخمسمائة مسير أهل يوسف صاحب قابس إلى رجار ملك صقلية واستغاثهم به فغضب لذلك ، وكان بينه وبين الحسن بن علي بن يحيى بن تميم ابن المعز بن باديس الصنهاجي صاحب أفريقية صلح وعهود إلى مدة سنتين ، وعلم أنه فاته فتح البلاد في هذه الشدة التي أصابهم ، وكانت الشدة ودوام الغلاء في جميع المغرب من سنة سبع وثلاثين إلى هذه السنة . وكان أشد ذلك منه سنة اثنتين وأربعين ، فإن الناس فارقوا البلاد والقرى ، ودخل أكثرهم إلى مدينة صقلية وأكل الناس بعضهم بعضاً وكثر الموت في الناس فاغتم رجار هذه السنة فعمر الأسطول وأكثر منه فبلغ نحو مائتين وخمسين شينياً مملوءة رجالاً وسلاحاً وقوتا . وسار الأسطول عن صقلية ووصل إلى جزيرة قوصرة وهي ما بين المهدي وصقلية فصدفوا بها مركباً ووصل من المهدي فأخذ أهله وأحضروا بين يدي جرجي مقدّم الأسطول فسألهم عن حال أفريقيا . ووجد في المركب قفص حمام فسألهم هل أرسلوا منها فحلفوا بالله أنهم لم يرسلوا شيئاً فأمر الرجل الذي كان الحمام صاحبه أن يكتب بخطه أننا لما وصلنا جزيرة قوصرة وجدنا بها مراكب من صقلية فسألناهم عن الأسطول المخدول فذكروا أنه أقبل إلى جزائر القسطنطينية . وأطلق الحمام فوصل إلى المهدي فسر الأمر الحسن والناس ، وأراد جرجي بذلك أن يصل بغتة . ثم سار وقدر وصولهم إلى المهدي وقت السحر ليحيط بها قبل أن يخرج أهلها ، فلم يمهله ذلك لم يسلم منهم أحد ، فقدر الله تعالى أن أرسل عليهم ريحا هائلا فلم يقدروا على السير إلا بالمقاذيف ، فطلع النهار ثاني صفر في هذه السنة قبل وصولهم فرأهم الناس . فلما رأى جرجي ذلك وأن الخديعة فاتته أرسل إلى الأمير الحسن يقول إنما جئت بهذا الأسطول طالباً بثأر محمد بن رشيد صاحب قابس ورده إليها . أما أنت فينبئك عهود وميثاق إلى مدة وزيد منك عسكرياً يكون معنا فجمع الحسن الناس من الفقهاء والأعيان وشاورهم فقالوا نقاتل عدونا فإن بلدنا حصين فقال : أخاف أن ينزل إلى البر ويحصرنا براً ونحراً ونحول بيننا وبين الميرة وليس عندنا ما يقوتنا شهراً فتوحد قهراً . وأنا أرى سلامة المسلمين من الأسر والقتل =

* (استيلاء الإفرنج على بونة ووفاة رجار صاحب صقلية

وملك ابنه غليالم) *

ثم سار أسطول رجار من صقلية سنة ثمان وأربعين إلى مدينة بونة وقائد الأسطول بها وقتات المهدي فحاصرها واستعان عليها بالعرب فملكها واستباحها وأغضى عن جماعة من أهل

= خيراً من الملك وقد طلب مني عسكرياً إلى قابس فإن فعلت فما يحل لي معونة الكفار على المسلمين ، وإن امتنعت يقول إنتقض ما بيننا من الصلح وليس إلا أن يشبطنا حتى يحول بيننا وبين البر ، وليس بقتاله لنا طاقة والرأي أن نخرج بالأهل والولد وننزل عن البلد ، فن أراد أن يفعل كفعلنا فليبادر معنا . وأمر في الحال بالرجل وأخذ معه من حضره وما خف حمله وخرج الناس على وجوههم بأهلهم وأولادهم وما خف من أموالهم وأثاثهم ، ومن الناس من إختفى عند النصارى وفي الكنائس وبقي الأسطول في البحر تمنعه الريح من الوصول إلى المهدي إلى ثلثي النهار فلم يبق في البلد ممن عزم على الخروج أحد فوصل الفرنج ودخلوا البلد بغير مانع ولا دافع ، ودخل جرجي القصر فوجده على حاله لم يأخذ الحسن منه إلا ما خف من ذخائر الملوك وفيه جماعة من حظايه ، ورأى الخزائن مملوءة من الذخائر النفيسة وكل شيء غريب يقل وجوده مثله فختم عليه وجمع سراري الحسن من قصره .

وكان عدة من ملك منهم من زيري بن مناد إلى الحسن تسعة ملوك ومدة ولايتهم مائة وثمانين سنة من إحدى وستين وثلاثمائة إلى سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، وكان بعض القواد قد أرسله الحسن إلى رجار برسالة فأخذ لنفسه وأهله منه أماناً فلم يخرج معهم . ولما ملك المدينة نهبت مقدار ساعتين ونودي بالأمان فخرج من كان مستخفياً وأصبح جرجي من الغد فأرسل إلى من قرب من العرب فدخلوا إليه فأحسن إليهم وأعطاهم أموالاً جزيلة وأرسل من جند المهدي الذين تحلفوا بها جماعة ومعهم أمان لأهل المهدي الذين خرجوا منها ودواب يحملون عليها الأطفال والنساء . وكانوا قد أشرفوا على الهلاك والجوع ، ولهم بالمهدي خبايا وودائع ، فلما وصل إليهم الأمان جمعوا فلم يمس غير جمعة حتى رجع أكثر أهل البلد . وأما الحسن فإنه سار بأهله وأولاده وكانوا اثني عشر ولداً ذكراً غير الإناث وخواص خدمه قاصراً إلى محرز بن زياد وهو بالمعلقة فلقية في طريقه أمير من العرب يسمى حسن بن ثعلب ، فطلب منه مالاً إنكسر له في ديوانه فلم يمكن الحسن إخراج مال لثلاث يؤخذ فسلم إليه ولده يحيى رهينة ، وسار فوصل في اليوم الثاني إلى محرز ، وكان الحسن قد فضله على جميع العرب وأحسن إليه ووصله بكثير من المال فلقية محرز لقاءً جميلاً وتوجع لما حل به فأقام عنده شهراً ، والحسن كاره للإقامة فأراد المسير إلى ديار مصر إلى الخليفة الحافظ العلوي واشترى مركبا للسفره فسمع جرجي الفرنجي فجهز شواني ليأخذه فعاد عن ذلك . وعزم على المسير إلى عبد المؤمن بالمغرب فأرسل كبار أولاد يحيى وقيماً وعلياً إلى يحيى بن عبد العزيز وهو من بني حاد وهما أولاد عم يستأذنه في الوصول إليه وتجديد العهد به والمسير من عنده إلى عبد المؤمن فأذن له يحيى فسار إليه ، فلما وصل لم يجتمع به يحيى وسيره إلى جزيرة بني مزغان هو وأولاده وكل به من يمنعه من التصرف فبقوا كذلك إلى أن ملك عبد المؤمن نجاية سنة سبع وأربعين فحضر عنده ، وقد ذكرنا حاله هناك . ولما استقر جرجي بالمهدي سار أسطولاً بعد أسبوع إلى مدينة سفاقس وسير أسطولاً آخر إلى مدينة سوسة ، فأما سوسة فإن أهلها لما سمعوا خبر المهدي وكان واليا علي بن الحسن الأمير فخرج إلى أبيه وخرج الناس لخروجه فدخلها الفرنج بلا قتال في ١٢ صفر . أما سفاقس فإن أهلها أتاهم كثير من العرب فامتنعوا بهم فقاتلهم الفرنج فخرج إليهم أهل البلد فأظهر الفرنج الهزيمة وتبعهم الناس حتى أبعدها عن البلد ، ثم عطفوا عليهم فانهمز قوم إلى =

العلم والدين فخرجوا بأموالهم وأهاليهم إلى القرى وأقام بها عشرا ورجع إلى المهديّة ثم إلى صقلية فنكر عليه رجار رفقته بالمسلمين في بونة وحبسه ثم إتهم في دينه فاجتمع الأساقفة والقسوس وأحرقوه ومات رجار آخر هذه السنة لعشرين سنة من ملكه وولى ابنه غليالم مكانه وكان حسن السيرة واستوزر مائق البرقياني فأساء التدبير واختلف عليه حصون من صقلية وبلاد قلورية^(١) وتعدّى الأمراء على إفريقية على ما سيأتي إن شاء الله تعالى والله أعلم^(٢).

= البلد وقوم إلى البرية وقتل منهم جماعة ودخل الفرنج البلد فلكوه بعد قتال شديد وقتل كثيرة ، وأسر من بقي من الرجال وسبى الحرير وذلك في الثالث والعشرين من صفر ، ثم نودي بالأمان فعاد أهلها إليها وأفتكوا حرهم وأولادهم ورفق بهم وبأهل سوسة والمهديّة وبعد ذلك وصلت كتب من رجار لجميع أهل إفريقية بالأمان والمواعيد الحسنة . ولما استقرت أحوال البلاد سار جرجي في أسطول إلى قلعة إقليبية وهي قلعة حصينة فلما وصل إليها سمعته العرب فاجتمعوا إليها ، ونزل إليهم الفرنج فاقتتلوا فانهمز الفرنج وقتل منهم خلق كثير فرجعوا خاسرين إلى المهديّة ، وصار للفرنج من طرابلس الغرب إلى قريب تونس ومن المغرب إلى دون القيروان والله أعلم .

- (١) قلورية : جزيرة في شرقي صقلية وأهلها إفرنج ، ولها مدن كثيرة وبلاد واسعة (معجم البلدان) .
(٢) ذكرت هذه الحادثة هنا مقتضبة ، وفي الكامل ج ١١ ص ٢٠٣ (ذكر عصيان الجزائر وإفريقية على ملك الفرنج بصقلية وما كان منهم) قد ذكرنا سنة ثمان وأربعين وخمسمائة موت رجار ملك صقلية وملك ولده غليالم وأنه كان فاسد التدبير فخرج عن حكمه عدة من حصون صقلية ، فلما كان هذه السنة قوي طمع الناس فيه فخرج عن طاعته جزيرة جربة وجزيرة قرقة وأظهروا الخلاف عليه ، وخالف عليه أهل إفريقية فأول من أظهر الخلاف عليه عمر بن أبي الحسين الفريابي بمدينة سفاكس . وكان رجار قد إستعمل عليها لما فتحها أباه أبا الحسين وكان من العلماء الصالحين فأظهر العجز والضعف وقال إستعمل ولدي فاستعمله واخذ أباه رهينة إلى صقلية . فلما أراد المسير إليها قال لولده عمر إنني كبير السن وقد قارب أجلي فتى أمكنتك الفرصة في الخلاف على العدو فأفعل ولا تراقبهم ولا تنظر في أنني أقتل وأحسب أنني قدمت ، فلما وجد هذه الفرصة دعا أهل المدينة إلى الخلاف وقال : يطلع جماعة منكم إلى السور وجماعة يقصدون مساكن الفرنج والنصارى جميعهم ويقتلونهم كلهم فقالوا له : إن سيدنا الشيخ والدك يخاف عليه ، قال هو أمرني بهذا ، وإذا قتل بالشيخ ألوف من الأعداء فما مات ، فلم تطلع الشمس حتى قتلوا الفرنج عن آخرهم وكان ذلك أول سنة إحدى وخمسين وخمسمائة . ثم أتبعه يحيى بن مطروح بطرابلس وبعدهما محمد بن رشيد بقابس وسار عسكر عبد المؤمن إلى بونة فملكها وخرج جميع إفريقية عن حكم الفرنج ما عدا المهديّة وسوسة . وأرسل عمر بن أبي الحسين إلى زويلة وهي مدينة بينها وبين المهديّة نحو ميدان يحرضهم على الوثوب على من معهم من النصارى ، ففعلوا ذلك وقدم عرب البلاد إلى زويلة فأعانوا أهلها على من بالمهديّة من الفرنج وقطعوا الميرة عن المهديّة ، فلما إتصل الخبر بغليالم ملك صقلية أحضر أبا الحسين وعرفه ما عمل ابنه فأمره أن يكتب إليه ينهه عن ذلك ويأمره بالعود إلى طاعته ويخوفه عاقبة فعله ، فقال : من قدم على هذا يرجع بكتاب . فأرسل إليه ملك صقلية رسولا يتهدده ويأمره بترك ما أرتكبه فلم يمكنه عمر من دخول البلد يومه ذلك ، فلما كان الغد خرج إلى الرسول يقول له هذا أبي قد دفتته وقد جلست للجزاء به فاصنعوا به ما أردتم ، فعاد الرسول إلى غليالم فأخبره بما صنع عمر بن أبي الحسين فأخذ أباه وصلبه فلم يزل يذكر الله تعالى حتى مات . وأما زويلة فأنهم كثر جمعهم بالعرب وأهل سفاكس وغيرهم فحصرها المهديّة وضيقوا عليها وكانت الأقوات بالمهديّة قليلة فسير إليهم صاحب صقلية عشرين شينياً فيها الرجال والطعام =

* (استيلاء الإفرنج على عسقلان) *

كانت عسقلان في طاعة الظافر العلوي ومن جملة ممالكه وكان الإفرنج يتعاهدونها بالحصار مرة بعد مرة وكان الوزراء يمدونها بالأموال والرجال والأسلحة وكان لهم التحكم في الدولة على الخلفاء العلوية فلما قتل ابن السلار سنة ثمان وأربعين اضطرب الحال بمصر حتى ولي عباس الوزارة فسار الإفرنج خلال ذلك من بلادهم بالشام وحاصروا عسقلان وامتنعت عليهم ثم اختلف أهل البلد وآل أمرهم إلى القتال فاغتنم الإفرنج الفرصة وملكوا البلد وعاثوا فيها والله يؤيد بنصره من يشاء من عباده^(١).

* (ثورة المسلمين بسواحل أفريقية على الإفرنج المتغلبين فيها) *

قد تقدم لنا وفاة رجار وملك ابنه غليالم وإنه ساء تدبير وزيره فاختلف عليه الناس وبلغ ذلك المسلمين الذين تغلبوا عليهم بأفريقية وكان رجار قد ولي على المسلمين بمدينة صفاقس

=والسلاح فدخلوا البلد وأرسلوا إلى العرب وبذلوا لهم مالا لينهزموا ، وخرجوا من الغد فاقتتلوا هم وأهل زويلة فانهمزت العرب وبقي أهل زويلة وأهل صفاقس وركبوا في البحر فخرجوا . وبقي أهل زويلة فحمل عليهم الفرنج فانهمزوا إلى زويلة فوجدوا أبوابها مغلقة فقاتلوا تحت السور وصبروا حتى قتل أكثرهم ولم ينج إلا القليل فنفرقوا . ومضى بعضهم إلى عبد المؤمن ، فلما قتلوا هرب من سلم من الحرم والصبيان والشيخ في البر ولم يعرجوا على شيء من أموالهم . ودخل الفرنج زويلة فقتلوا من وجدوا فيها من النساء والأطفال ونهبوا الأموال واستقر الفرنج بالمهدية إلى أن أخذها منهم عبد المؤمن .

(١) كذلك ذكرت هذه الحادثة هنا مقتضبة وفي الكامل ج ١١ ص ١٨٨ : (ذكر ملك الفرنج مدينة عسقلان) في هذه السنة ملك الفرنج بالشام مدينة عسقلان ، وكانت من جملة مملكة الظافر بالله العلوي المصري وكان الفرنج كل سنة يقصدونها ويحصرونها فلا يجدون إلى ملكها سبيلاً . وكان الوزراء بمصر لهم الحكم في البلاد ، والخلفاء معهم إسم لا معنى تحته . وكان الوزراء كل سنة يرسلون إليها من الذخائر والأسلحة والأموال والرجال من يقوم بحفظها . فلما كان في هذه السنة قتل ابن السلار على ما ذكرناه واختلفت الأهواء في مصر وولي عباس الوزارة وإلى أن استقرت قاعدة إغتنم الفرنج اشتغالهم عن عسقلان فاجتمعوا وحاصروها فحصر أهلها وقتلواهم قتلاً شديداً ، حتى أنهم بعض الأيام قاتلوا خارج السور وردوا الفرنج إلى خيامهم مقهورين . وتبعهم أهل البلد إليها فأيس حينئذ من ملكه فيبتاعهم على عزم الرحيل إذ قد أتاهم الخبر أن البلد قد وقع بين أهله خلاف ، وقتل منهم قتلى فحاصروا . وكان سبب هذا الاختلاف أنهم لما عادوا عن قتال الفرنج قاهرين منصورين إدعى كل طائفة منهم أن النصر من جهتهم كانت وأنهم الذين ردوا الفرنج خاسرين فعظم الخصام بينهم إلى أن قتل من إحدى الطائفتين قتيل ، واشتد الخطب وعظم حينئذ وتفاقم الشر ، ووقعت الحرب بينهم فقتل بينهم قتل قطع الفرنج وزحفوا إليه وقاتلوا عليه فلم يجدوا من يمنعهم فلكوه .

لما تغلب عليها أبو الحسين الفرياني منهم وكان من أهل العلم والدين ثم عجز عن ذلك وطلب ولاية ابنه عمر فولاه رجار وحمل أبا الحسين إلى صقلية رهينة وأوصى ابنه عمر وقال يا بني أنا كبير السن وقد قرب أجلي فتى أمكتك الفرصة في إنقاذ المسلمين من ملكة العدو فأفعل ولا تحش عليّ وأحسبني قدمت فلما اختلّ أمر غليالم دعا عمر أهل صفاقس إلى الثورة بالإفرنج فثاروا بهم وقتلوهم سنة إحدى وخمسين وأتبعه أبو يحيى بن مطروح بطرابلس ومحمد بن رشيد بقابس وسار عسكر عبد المؤمن إلى بونة فلكها وذهب حكم الإفرنج عن أفريقية ما عدا المهديّة وسوسة وأرسل عمر الفرياني إلى زويلة^(١) قريباً من المهديّة يغريهم بالوثوب على الإفرنج الذين معهم فوثبوا وأعانهم أهل ضاحيتهم وقتلوا الإفرنج بالمهديّة وقطعوا الميرة عنهم وبلغ الخبر إلى غليالم فبعث إلى عمر الفرياني بصفاقس وأعذر إليه في أبيه فأظهر للرسول جنازة ودفنها وقال هذا قد دفنته فلما رجع الرسول بذلك صلب أبا الحسين ومات شهيداً رحمه الله تعالى وسار أهل صفاقس والعرب إلى زويلة واجتمعوا مع أهلها على حصار المهديّة وأمدّهم غليالم بالأقوات والأسلحة وصانعوا العرب بالمال على أن يخذلوا أصحابهم ثم خرجوا للقتال فانهمز العرب وركب أهل صفاقس البحر إلى بلدهم أيضاً وأتبعهم الإفرنج فعاجلوهم عن زويلة وقتلوهم ثم إقتحموا البلد فقتلوا مخلفهم بها واستباحوهم .

* (إرتجاع عبد المؤمن المهديّة من يد الإفرنج) *

ولما وقع بأهل زويلة من الإفرنج ما وقع لحقواب عبد المؤمن ملك المغرب يستصرخونه فاجاب صريخهم ووعدهم وأقاموا في نزله وكرامته وتجهز للمسير وتقدّم إلى ولاته وعماله بتحصيل الغلات وحفر الآبار ثم سار في صفر سنة اربع وخمسين في مائة ألف مقاتل وفي مقدّمته الحسن بن عليّ صاحب المهديّة ونازل تونس منتصف السنة وبها صاحبها أحمد بن خراسان من بقية دولة صنهاجة وجاء أسطول عبد المؤمن فحاصرها من البحر ثم نزل إليه من سورها عشرة رجال من أعيانها في السلام مستأمنين لأهل البلد ولا أنفسهم فأمنهم على مقاسمتهم في أموالهم وعلى أن يخرج إليه ابن خراسان فتمّ ذلك كله وسار عنها إلى المهديّة وأسطوله محاذية في البحر فوصلها منتصف رجب من السنة وبها أولاد الملوك والزعماء من الإفرنج وقد أخذوا

(١) زويلة : ورد في معجم البلدان : بهذا الإسم بلدان أحدها زويلة السودان مقابل أجدابية في البر بين بلاد السودان وأفريقية ، والأخرى زويلة المهديّة وهي مدينة بأفريقية بناها المهدي عبيد الله ، وهي المذكورة هنا .

زويلة وهي على غلوة من المهديّة فعمرها عبد المؤمن لوقتها وامتلاً فضاء المهديّة بالعساكر وحاصرها أياماً وضاق موضع القتال من البرّ لاستدارة البحر عليها لأنها صورة يد في البحر وذراعها في البرّ وآحاط الأسطول بها في البحر وركب عبد المؤمن البحر في الشواني^(١) ومعه الحسن بن عليّ فرأى حصانتها في البحر وأخذ في المطاولة وجمع الأقوات حتى كانت في ساحة معسكره كالتلال وبعث إليه أهل صفاقس وطرابلس وجبال نفوسة بطاعتهم وبعث عسكري إلى قابس فملكها عنوة وبعث ابنه عبد الله ففتح كثيراً من البلاد ثم وفد عليه يحيى بن تميم بن المقر بن الرند صاحب قفصة^(٢) في جماعة من أعيانها فبذل طاعته ووصله عبد المؤمن بألف دينار ولما كان آخر شعبان وصل أسطول صقلية في مائة وخمسين من الشواني غير الطرائد كان في جزيرة يابسة فاستباحها وبعث إليه صاحب صقلية بقصد المهديّة فلما أشرفوا على المرسى قذفت إليهم أساطيل عبد المؤمن ووقف عسكريه على جانب البرّ وعبد المؤمن ساجد يعفر وجهه بالتراب ويحار بالدعاء فانهمز أسطول الإفرنج وأقلعوا إلى بلادهم وعاد أسطول المسلمين ظافراً وأيس أهل المهديّة من الأنجاد ثم صابروا إلى آخر السنة حتى جهدهم الحصار ثم استأمنوا إلى عبد المؤمن فعرض عليهم الإسلام فأبوا ولم يزالوا يخضعون له بالقول حتى أمنهم وأعطاهم السفن فركبوا فيها وكان فصل شتاء فمال عليهم البحر وغرقوا ولم يفلت منهم إلا الأقل ودخل عبد المؤمن المهديّة في محرم سنة خمس وخمسين لثنتي عشرة سنة من ملك الإفرنج وأقام بها عشرين يوماً فأصلح أمورها وشحنها بالحامية والأقوات واستعمل عليها بعض أصحابه وأنزل معه الحسن بن علي وأقطعه بأرضها له ولأولاده وأمر الوالي أن يقتدي برأيه ورجع إلى المغرب والله أعلم .

* (حصار الإفرنج أسد الدين شيركوه في بلبيس) *

كان أسد الدين شيركوه بن شادي عم صلاح الدين قد بعثه نور الدين العادل سنة تسع وخمسمائة منجداً لساور وزير العاضد صاحب مصر على قريعه الضرغام كما سيأتي في أخبارهم إن شاء الله تعالى وسار نور الدين من دمشق في عساكره إلى بلاد الإفرنج ليشغلهم عن أسد الدين شيركوه وخرج ناصر الدين أخو الضرغام في عساكر مصر فهزمه أسد الدين

(١) الشواني : جمع شونة وهو المركب المعد للقتال في البحر .

(٢) قفصة : اسم عجمي ، وهو اسم بلدة صغيرة في طرف أفريقيا من ناحية المغرب ، مختطة في أرض سبخة لا تنبت إلا الاشنان والشيخ (معجم البلدان) .

على تنيس^(١) وأتبعه إلى القاهرة ونزلها منتصف السنة وأعاد شاور إلى الوزارة ونقض ما بينه وبين أسد الدين وتأخر إلى تنيس وخشى منه ودس إلى الإفرنج يغريهم به وبذل لهم المال فطمعوا بذلك في ملك الديار المصرية وسار ملك القدس في عساكر الإفرنج واجتمعت معه عساكر المسلمين وساروا إلى أسد الدين فحاصروه في بليس^(٢) ثلاثة ولم ينظفروا منه بشيء ثم جاءهم الخبر بأن نور الدين العادل هزم أصحابهم على خارد وفتحها ثم سار إلى بانياس فسقط في أيديهم وطلبوا الصلح من أسد الدين ليعودوا إلى بلادهم لذلك وخرج من بليس سائراً إلى الشام ثم عاد إلى مصر سنة ثنتين وستين وعبر النيل من أطفج ونزل الجزيرة واستمد شاور الإفرنج فساروا إليه يجمعونهم وكان أسد الدين قد سار إلى الصعيد وإنهى إلى^(٣) فساد الإفرنج والعساكر المصرية في أثره فأدركوه منتصف السنة واستشار أصحابه فاتفقوا على القتال وأدركته عساكر الإفرنج ومصر وهو على تعبته وقد أقام مقامه في القلب راشد حذرا من حملة الإفرنج وانحاز فيمن يثق به من شجعان أصحابه إلى الميمنة فحمل الإفرنج على القلب فهزمهم وأتبعوهم وخالفهم أسد الدين إلى من تركوا وراءهم من العساكر فهزمهم وأثنى فيهم ورجع الإفرنج من أثناء القلب فانهزموا وإنهزم أصحابهم ولحقوا بمصر ولحق أسد الدين بالإسكندرية فملكها صلحاً وأنزل بها صلاح الدين ابن أخيه وحاصره عساكر الإفرنج ومصر وزحف إليهم عمه أسد الدين من الصعيد فبعثوا إليه في الصلح فأجابهم على خمسين ألف دينار يعطونها إياه ولا يقيم في البلد أحد من الإفرنج ولا يملكون منها شيئاً فقبلوا ذلك وعادوا إلى الشام وملك أهل مصر الإسكندرية واستقر بينهم وبين الإفرنج أن يتزلوا بالقاهرة شحنة وأن يكون أبوابها في غلقها وفتحها بأيديهم وأن لهم من خراج مصر مائة ألف دينار في كل سنة ولم^(٤) ذلك منه وعاد الإفرنج إلى بلادهم بالسواحل الشامية والله تعالى أعلم^(٥).

(١) تنيس : جزيرة في بحر مصر قريبة من البر ما بين الفرما ودمياط والفرما في شرقها (معجم البلدان).

(٢) بليس : مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام (معجم البلدان).

(٣) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ١١ ص ٣٢٥ : وكان أسد الدين وعساكره قد ساروا إلى الصعيد فبلغ مكانا يعرف بالبابين.

(٤) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل : هذا كله استقر مع شاور ، فإن العاضد لم يكن معه حكم ، لأنه قد حجر عليه وحجبه عن الأمور كلها .

(٥) عبارات غير مرتبطة مع بعضها البعض وقد وردت هذه الحادثة في الكامل ج ١١ ص ٢٩٨ بعنوان : (ذكر سير شريكوه وعساكر نور الدين إلى ديار مصر وعودهم عنها) في هذه السنة في جادي الأول سير نور الدين محمود بن زنكي عسكراً كثيراً إلى مصر وجعل عليهم الأمير أسد الدين شريكوه بن شاذي وهو مقدم عسكره وأكبر

* (حصار الإفرنج القاهرة) *

ثم كان مسير أسد الدين إلى مصر وقتله شاور سنة أربع وستين باستدعاء العاضد لما رأى من تغلب الإفرنج كما نذكر في أخبار أسد الدين وأرسل إلى الإفرنج أصحابهم الذين بالقاهرة

= أمراء دولته واشجعهم . وكان سبب إرسال هذا الجيش أن شاور وزير العاضد لدين الله العلوي صاحب مصر نازعه في الوزارة ضرغام . وغلب عليها فهرب شاور منه إلى الشام ملتجئاً إلى نور الدين ومستجيراً به فأكرم مثواه وأحسن إليه وأنعم عليه . وكان وصوله في ربيع الأول من السنة ، وطلب منه إرسال العساكر معه إلى مصر ليعود إلى منصبه ويكون نور الدين ثلث دخل البلاد بعد إقطاعات العساكر ، ويكون شريكه مقيماً بعساكره في مصر ويتصرف هو بأمر نور الدين ، يقدم إلى هذا الفرض رجلاً ويؤخر أخرى ، فتارة يحمله رعاية قصد شاور بابه وطلب الزيادة في الملك والتقوي على الفرنج ، وتارة يمنعه خطر الطريق وإن الفرنج فيه ، وتخوف إن شاور أن استقرت قاعدته ربما لا يفي ، ثم قوي عزمه على إرسال الجيوش فتقدم بتجهيزها وأزاحه عليها وكان هوى أسد الدين في ذلك وعنده من الشجاعة وقوة النفس ما لا يبالي بمخافة . فتجهز وساروا جميعاً وشاور في صحبتهم في جمادي الأول من سنة تسع وخمسين ، وتقدم نور الدين إلى شريكه أن يعيد شاور إلى منصبه ويستقم من نازعه فيه وسار نور الدين إلى طرف بلاد الفرنج مما يلي دمشق بعساكره ليمنع الفرنج من التعرض لأسد الدين ومن معه فكان قصارى الفرنج حفظ بلادهم من نور الدين .

ووصل أسد الدين والعساكر معه إلى مدينة بلبيس فخرج إليهم ناصر الدين أخو ضرغام بعسكر المصريين ولقيهم فانهزم ، وعاد إلى القاهرة ، ووصل أسد الدين فقتل على القاهرة أو آخر جمادي الآخرة فخرج ضرغام من القاهرة سلبخ الشهر فقتل عند مشهد السيدة نفيسة وبقي يومين . ثم حمل ودفن في القرافة وقتل أخوه فارس المسلمين وخلع على شاور مستهل رجب وأعيد إلى الوزارة وتمكن منها ، وأقام أسد الدين بظاهر القاهرة ، فغدر به شاور ، وعاد عما كان قرره لنور الدين من البلاد المصرية ولأسد الدين أيضاً ، وأرسل إليه بأمره بالعود إلى الشام فأعاد الجواب بالإمتناع وطلب ما كان قد استقر بينهم فلم يجبه شاور إليه . فلما رأى ذلك أرسل إلى نوابه فتسلموا مدينة بلبيس وحكم على البلاد الشرقية فأرسل شاور إلى الإفرنج يستمددهم ويخوفهم من نور الدين أن ملك مصر . وكان الفرنج قد أيقنوا بالهلاك إن تم ملكه لها ، فلما أرسل شاور يطلب منهم أن يساعده على إخراج أسد الدين من البلاد جاءهم فرج لم يحتسبوه وسارعوا إلى تلبية دعوته ونصرته ، وطمعوا في تلك الديار المصرية . وكان قد بذل لهم مالا على المسير إليه وتجهزوا وساروا . فلما بلغ نور الدين ذلك سار بعساكره إلى أطراف بلادهم ليمتنعوا عن السير فلم يمنعهم ذلك لعلمهم أن الخطر في مقامهم إذا ملك أسد الدين مصر أشد ، فتركوا في بلادهم من يحفظها ، وسار ملك القدس في الباقيين إلى مصر .

وكان قد وصل إلى الساحل جمع كثير من الفرنج في البحر لزيارة البيت المقدس فاستعان بهم الفرنج الساحلية فأعانوهم ، فسار بعضهم معهم وأقام بعضهم في البلاد لحفظها فلما قارب الفرنج مصر فارقها أسد الدين وقصد مدينة بلبيس فأقام بها هو وعسكره ، وجعلها له ظهراً يتحصن فاجتمعت العساكر المصرية والفرنج ونازلوا أسد الدين شريكه بمدينة بلبيس وحصلوه بها ثلاثة أشهر وهو متمتع بها مع أن سورها قصير جداً وليس لها خندق ولا فصل يحميها ، وهو يغادريهم القتال ويرأوهم فلم يلبغوا منه غرضاً ولا نالوا منه شيئاً فبينما هم كذلك إذ أتاهم الخبر بهزيمة الفرنج على حارم وملك نور الدين حارم . حيثئذ سقط في أيديهم وأرادوا العودة إلى بلادهم ليحفظوها فراسلوا أسد الدين في الصلح والعود إلى الشام ومفارقة مصر وتسليم ما بيده منها إلى المصريين ، فأجابهم إلى ذلك لأنه لم يعلم ما فعله نور الدين بالشام بالفرنج ولأن الأقوات والذخائر قلت عليه . وخرج من بلبيس في ذي الحجة فحدثني من رأى أسد الدين حين خرج من بلبيس قال : أخرج أصحابه بين يديه وبقي في =

يستدعونهم للملكها ويهونونها عليهم وملك الإفرنج يومئذ بالشام مرى ولم يكن ظهر فيهم مثله شجاعة ورأيا فأشار بأن جبايتها لنا خير من ملكها وقد يضطرون فيملكون نور الدين منها وأن ملكها قبلنا إحتاج إلى مصانعتنا^(١) فأبوا عليه وقالوا إنما نزداد بها قوة فرجع إلى رأيهم وساروا جميعاً إلى مصر وانتهوا إلى تينيس في صفر سنة أربع وستين فلكوها عنوة واستباحوها ثم ساروا إلى القاهرة وحاصروها وأمر شاور بإحراق مصر وانتقال أهلها إلى القاهرة فهبت المدينة ونهب أموال أهلها وبغتهم قبل نزول الإفرنج عليهم بيوم فلم تحمد النار مدة شهرين وبعث العاضد بالصريح إلى نور الدين واشتد عليه الحصار وبعث شاور إلى ملك الإفرنج يشير بالصلح على ألف دينار مصرية ويهدده بعساكر نور الدين فأجابوا إلى ذلك ودفع إليهم مائة ألف دينار وتأخروا قريباً حتى يصل إليهم بقية المال وعجز عن تحصيله والإفرنج يستحثونه فبعثوا خلال ذلك إلى نور الدين يستنجدونه على الإفرنج بأن يرسل إليهم أسد الدين شيركوه في عسكر يقيمون عندهم على أن لنور الدين ثلث بلاد مصر ولأسد الدين إقطاعه وعطاء العساكر فاستدعى أسد الدين من حمص وكانت إقطاعه وأمره بالتجهز إلى مصر وأعطاه مائتي ألف دينار سوى الدواب والأسلحة وحكمه في العساكر والخزائن وما يحتاج إليه وسار في ستة آلاف وأزاح علل جنده وأعانهم أسد الدين بعشرين ديناراً لكل فارس وبعث معه جماعة من الأمراء منهم خرديك مولاة وعز الدين قليج وشرف الدين بن بخش وعين الدولة الياروقي وقطب الدين نيال بن حسان وصلاح الدين يوسف ابن أخيه أيوب وسار إلى مصر فلما قاربها إرتحل الإفرنج راجعين إلى بلادهم ودخل هو إليها منتصف السنة وخلع عليه العاضد^(٢) وأجرى عليه وعلى عسكره الجرايات الوفرة ثم شرع شاور في مماطلة أسد الدين

آخرهم ويده لت من حديد يحمي ساقهم والمسلمون والفرنج ينظرون إليه . قال : فأناه فرنجي من الغبراء الذين خرجوا من البحر فقال له : أما تخاف أن يغدر بك هؤلاء المصريون والفرنج ، وقد أحاطوا بك وبأصحابك ولا يبقى لكم بقية ، فقال شيركوه يا ليتهم فعلوه حتى كنت ترى ما فعله ، كنت والله اضع السيف فلا يقتل منها رجل حتى يقتل منهم رجال ، وحينئذ يقصدهم الملك العادل نور الدين وقد ضعفوا وفني شجعانهم فنملك بلادهم ونهلك من بقي . والله لو أطاعني هؤلاء لخرجت إليكم من أول يوم ولكنهم إمتنعوا ، فصلب على وجهه وقال : كنا نعجب من فرنج هذه البلاد ومبالغتهم في صفتك وخوفهم منك والآن فقد عذروناهم ، ثم رجع عنه وسار شيركوه إلى الشام فوصل سالماً وكان الفرنج قد وضعوا له على مضيق في الطريق رسداً ليأخذوه أو ينالوا منه ظفراً فعلم بهم فعاد عن ذلك الطريق فقيه يقول عمارة :

أخذتم عن الإفرنج كل ثنية
ولئن نصبوا في البر جسر فإنيكم
عبرتم ببحر من حديد على الجسر .
وكلمة (مرى) إسم ملك الفرنج .

(١) صانعه : داهنه ، وأراه ، رشاه . ومنه المثل : من صانع بالمال لم يحتشم من طلب الحاجة .

(٢) خلع عليه ثوباً : ألبسه إياه منحة .

بما وقع إتفاقهم معه عليه وحُدث نفسه بالقبض عليه واستخدام جنده لمداغة الإفرنج ولم يتم له ذلك وشعر به أسد الدين فاعترضه صلاح الدين ابن أخيه وعز الدين خرديك مولاه عند قبر الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه وقتلاه وقوّض العاضد أمور دولته إلى أسد الدين وتقاصر الإفرنج عنها ومات أسد الدين واستولى صلاح الدين بعد ذلك على البلاد وارتجع البلاد الإسلامية من يد الإفرنج كما نذكر في أخبار دولته والله أعلم^(١).

(١) ذكرت هذه الحادثة في الكامل ج ١١ ص ٣٣٥ بعنوان .

(ذكر ملك أسد الدين مصر ومقتل شاور) في هذه السنة في ربيع الأول سار أسد الدين شريكوه بن شاذي إلى مصر فلحقها ومعه العساكر النورية وسبب ذلك ما ذكرناه من تمكن الفرنج من البلاد المصرية وأنهم جعلوا لهم في القاهرة شحنة وتسلموا أبوابها وجعلوا لهم فيها جماعة من شجعانهم وأعيان فرسانهم . وحكوا المسلمين حكماً جائراً وركبهم بالأذى العظيم . فلما رأوا ذلك وأن البلاد ليس فيها من يردمهم أرسلوا إلى ملك الفرنج بالشام وهو (مرى) ولم يكن للفرنج من ظهر بالشام مثله شجاعة ومكر أو دهاء يستدعون له ليلكها وأعلموه خلوها من موانع وهنوا أمرها عليه فلم يحجم فاجتمع إليه فرسان الفرنج وذو الرأي منهم فأشاروا عليه بقصدها وتملكها فقال لهم : الرأي عندي أننا لا نقصدها ولا طمعة لنا فيها وأموالها تساق إلينا تنقوى بها على نور الدين ، وإن نحن قصدناها لملكها فإن صاحبها وعساكره وعامه بلاداه وفلاحها لا يسلمونها إلينا ويقاتلوننا دونها ويحملهم الخوف منا على تسليمها إلى نور الدين ، ولئن صار له فيها مثل أسد الدين فهو هلاك الفرنج وإجلاؤهم من أرض الشام فلم يقبلوا قوله . وقالوا له : إنها لا مانع فيها ولا حامي وإلى أن يتجهز عسكر نور الدين ويسير إليها نكون نحن قد ملكناها وفرغنا من أمرها ، وحينئذ يمتنى نور الدين منا السلامة فسار معهم على كره وشرعوا يتجهزون ويظهرون أنهم يريدون قصد مدينة حمص . فلما سمع نور الدين شرع أيضاً يجمع عساكره وأمرهم بالقدوم عليه ، وجدّ الفرنج في السير إلى مصر فقدموها ونازلوا مدينة بلبس وملكوها قهراً مستهل صفر ونهبوها وقتلوا فيها وأسروا وكان جماعة من أعيان المصريين قد كاتبوا الفرنج ووعدهم النصر عداوة منهم لشاور بن الخياط وابن فرجلة ، فقوي جنان الفرنج وساروا من بلبس إلى مصر فزلوا على القاهرة عاشر صفر وحصروها فخاف الناس منهم أن يفعلوا بهم كما فعلوا بأهل بلبس ، فحملهم الخوف منهم على الإمتناع فحفظوا البلد وقاتلوه ودنوه وبذلوا جهدهم في حفظه . فلو أن الفرنج أحسنوا السيرة في بلبس ملكوا مصر والقاهرة ، ولكن الله تعالى حسن لهم ذلك أي ما فعلوا (ليقضي الله أمراً كان مفعولاً) وأمر شاور باحراق مدينة مصر تاسع صفر وأمر أهلها بالانتقال منها إلى القاهرة ، وأن ينهب البلد فانتقلوا وبقوا على الطرق ونهبت المدينة وافترق أهلها وذُهِبَ أموالهم ونعمتهم قبل نزول الفرنج عليهم يوم خوفاً أن يملكها الفرنج فبقيت النار تحرقها أربعة وخمسين يوماً وأرسل الخليفة العاضد إلى نور الدين يستغيث به ويعرفه ضعف المسلمين عن دفع الفرنج وأرسل في الكتب شعور النساء وقال : هذه شعور نسائي من قصري يستغيث بك لتقذهن من الفرنج فشرع في تسيير الجيوش . وأما الفرنج فإنهم إشتدوا في حصار القاهرة وضيقوا على أهلها وشاور هو المتولي للأمر والعساكر والقتال فضاقت به الأمور وضعف عن ردهم فأخذ إلى أعمال الحيلة فأرسل إلى ملك الفرنج يذكر له مودة ومحبة له قديماً ، وإن هواه معه لخوفه من نور الدين والعاضد ، وإنما المسلمون لا يوافقونه على التسليم إليه ويشير بالصلح وأخذ مالا لئلا يتسلم البلاد نور الدين فأجابه إلى ذلك على أن يعطوه ألف ألف دينار مصرية يعمل البعض ويحمل البعض فاستقرت القاعدة على ذلك ، ورأى الفرنج أن البلاد قد امتنعت عليه وربما سلمت إلى نور الدين فأجابوا كارهين وقالوا نأخذ المال فتتقوى به وتعاود البلاد بقوة لا نبالي معها بنور الدين (ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين) فعجل لهم شاور مائة ألف دينار وسألمهم الرحيل عنه ليجمع لهم المال فرحلوا قريباً ، وجعل شاور يجمع المال من أهل القاهرة ومصر فلم يتحصل له إلا قدر لا يبلغ خمسة آلاف دينار ، وسببه أن أهل مصر كانوا قد احترقت دورهم وما فيها وما سلم نهب وهم لا

* (حصار الافرنج دمياط) *

ولما ملك أسد الدين شيركوه مصر خشيته الافرنج على ما بأيديهم من مدن الشام وسواحلها وكتبوا أهل ملتهم ونسبهم بصقلية وافرسة يستجدونهم على مصر ليلكوها وبعثوا الاقسمة والرهبان من بيت المقدس يستنفرونهم لحمايتها وواعدوهم بدمياط طمعا في أن يملكوها ويتخذوها ركابا للاستيلاء على مصر فاجتمعوا عليها وحاصروها لأول أيام صلاح الدين وأمدتهم صلاح الدين بالعساكر والاموال وجاء بنفسه وبعث الى نور الدين يستنجده ويخوفه على مصر فتابع اليه الامداد وسار بنفسه الى بلاد الافرنج بالشام واكتسحها وخربها

= يقدر على الأقوات فضلاً عن الأقطاء ، أما أهل القاهرة فالأغلب على أهلها الجند وغلانهم فلهذا تعذرت عليهم الأموال وهم في خلال هذا يرأسون نور الدين بما الناس فيه ، ويدلوا له ثلث مصر وأن يكون أسد الدين مقيماً عندهم في عسكر وأقطاعهم من البلاد المصرية أيضاً خارجاً عن الثلث الذي لهم . وكان نور الدين لما وصله كعب العاضد بجلب أرسل إلى أسد الدين يستدعيه إليه فخرج العاضد في طلبه فلقبه على باب حلب وقد قدمها من حمص وكانت إقطاعه . وكان سبب وصوله أن كتب المصريين وصلته أيضاً في المعنى فسار أيضاً إلى نور الدين واجتمع به وعجب نور الدين من حضوره في الحال وسره ذلك وتفاعل به وأمر بالتجهيز إلى مصر وأعطاه مائتي ألف دينار سوى الشباب والدواب والأسلحة وغير ذلك ، وحكمه في العسكر والخزائن ، واختار من العسكر ألفي فارس وأخذ المال وجمع ستة آلاف فارس ، وسار هو ونور الدين إلى باب دمشق فوصلها سلخ صفر ورحل إلى رأس الماء وأعطى نور الدين كل فارس مئتين مع أسد الدين عشرين ديناراً معونة غير محسوبة من جامعيته ، وأضاف إلى أسد الدين جماعة أخرى من الأمراء منهم مملوكه عز الدين جريدك وغرس الدين قليج شرف الدين برغش وعين الدولة الباروقي وقطب الدين بنال بن حسان المنجي وصلاح الدين يوسف بن أيوب أخي شيركوه على كره منه (وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم .) أحب نور الدين مسير صلاح الدين وفيه ذهاب بيته وكره صلاح الدين المسير وفيه سعادته ومملكه . وسار أسد الدين شيركوه من رأس الماء مجداً منتصف ربيع الأول ، فلما قارب مصر رحل الفرنج إلى بلادهم بخفي حنين خائبين مما أملوا . وسمع نور الدين بعودهم فسره ذلك وأمر بضرب البشائر في البلاد وبث رسله في الافاق مبشرين بذلك فإنه كان فتحاً جديداً لمصر وحفظاً لبلاد الشام وغيرها . فأما أسد الدين فإنه وصل إلى القاهرة سابع جمادي الآخرة ودخل إليها واجتمع بالعاضد لدين الله وخلع عليه وعاد إلى خيامه بالخلعة العاضدية ، وفرح به أهل مصر . وأجريت عليه وعلى عسكره الجرايات الكثيرة والإنعامات الوافرة ولم يمكن شاور المنع عن ذلك لأنه رأى العساكر كثيرة مع شيركوه وهوى العاضد معهم فلم يتجاسر على إظهار ما في نفسه ، وشرع يماطل أسد الدين في تقرير ما كان بذل لنور الدين من المال وإقطاع الجند وإفراد ثلث البلاد لنور الدين وهو يركب كل يوم إلى أسد الدين ويسير معه ويمنيه (وما يعدمه الشيطان الاغورا) ثم أنه عزم على أن يعمل دعوة يدعو إليها أسد الدين والأمراء الذين معه ويقبض عليهم يستخدم من معهم من الجند فيمنع بهم البلاد من الفرنج فباه ابنه الكامل وقال له : والله لئن عزوت على هذا الأمر لا عرفن شيركوه ، فقال له أبوه : والله لئن لم تفعل هذا لقتلن جميعاً . فقال صدقت ولأن نقتل ونحن مسلحون والبلاد إسلامية خير من أن نقتل وقد ملكها الفرنج ، فإنه ليس بينك وبين الفرنج إلا أن يسمعو بالقبض على شيركوه ، وحينئذ لو مشى العاضد إلى نور الدين لم يرسل معه فارساً واحداً ويملكون البلاد فترك ما كان عزم عليه . ولما رأى العسكر النوري تظل شاور خافوا شره فاتفق =

فعاد الفرنج الى دمياط بعد حصار خمسين يوما نفس الله عليهم^(١) ومن هذه القصة بقية أخبار الافرنج متعلقة بالدولتين دولة بني زنكى بالشام ودولة بني أيوب بمصر فأخبرت بقية أخبارهم الى أن نسردها في الدولتين على مواقعها في مواضعها حسبما تراه ولم يبق الا استيلاؤهم على القسطنطينية من يد الروم فأوردناه ههنا .

* (استيلاء الافرنج على القسطنطينية) *

كان هؤلاء الافرنج بعدما ملكوه من بلاد الشام اختلفت أحوالهم في الفتنة والمهادنة مع الروم بالقسطنطينية لاستيلائهم على الثغور من بلاد المسلمين التي تجاور الروم التي كانت بأيديهم من قبل وظهرهم الروم على المسلمين في بعض المرات ثم غلبوا عليهم آخرا وملكوا القسطنطينية من أيديهم فأقامت في أيديهم مدة ثم ارتجعها الروم على يد شكري من بطارتهم وكيفية الخبر عن ذلك أن ملوك الروم أصهروا الى ملوك الافرنج وتزوجوا منهم بنتا لملك الروم فولدت ذكرا خاله الافرنسيس وثب عليه أخوه فانتزع الملك من يده وحبسه ولحق الولد بملك الافرنج خاله مستصرخاً به فوصل اليه وقد تجهز الافرنج لاستنقاذ القدس من يد المسلمين وكان صلاح الدين قد ارتجعها منهم كما يأتي في أخباره ان شاء الله تعالى وانتدب لذلك ثلاثة من ملوكهم دموس البنادقة وهو صاحب الاسطول الذي ركبوا فيه وكان

= صلاح الدين يوسف بن أيوب وعز الدين جرديك وغيرهم على قتل شاور فنهاهم أسد الدين فسكوا وهم على ذلك العزم من قتله ، فاتفق أن شاور قصد عسكر أسد الدين على عادته فلم يحده في الخيام وكان قد مضى يزور قبر الشافعي رضي الله تعالى عنه فلقبه صلاح الدين وجرديك في جمع من العسكر ، وخدموه وأعلموه بأن شريكه في زيارة قبر الإمام الشافعي فقال : نمضي إليه فساروا جميعاً ، فسار به صلاح الدين وجرديك والقوة إلى الأرض عن فرسه فهرب أصحابه عنه فأخذ أسيراً فلم يملكهم قتله بغير أمر أسد الدين ، فتوكلوا بحفظه ووسروا أعلموا أسد الدين فحضر ولم يمكنه إلا إتمام ما عملوه . وسمع الخليفة العاضد صاحب مصر الخبر فأرسل إلى أسد الدين يطلب منه رأس شاور وتابع الرسل بذلك فقتل وأرسل رأسه إلى العاضد في السابع عشر من ربيع الآخرة ، ودخل أسد الدين القاهرة فرأى من إجتماع الخلق ما خافهم على نفسه فقال لهم أمير المؤمنين يعني العاضد بأمركم بنهب دار شاور ، فتفرق الناس عنه إليها فنهوها وقصد هو قصر العاضد فخلع عليه خلع الوزارة ولقب الملك المنصور أمير الجيوش . وسار بالخلع الى دار الوزارة وهي التي كان فيها شاور فلم ير فيها ما يقعد عليه واستقر في الأمر وغلب عليه ولم يبق له مانع ولا منازع ، واستعمل على الأعمال من يثق إليه من أصحابه واقطع البلاد لساكره . أما الكامل بن شاور فإنه لما قتل أبوه دخل القصر هو وأخوته معصمين به فكان آخر العهد بهم فكان شريكه يتأسف عليه كيف عدم لأنه بلغه ما كان منه مع أبيه في منعه من قتل شريكه ، وكان يقول : وددت أنه بقي لأحسن إليه جزاء الصنيعة .

(١) يقال : نفس فلانا : أي امهله أو ازال كربه وغمه

شيخا أعمى لا يركب ولا يمشي الا بقائد ومقدم الفرنسيس ويسمى المركيش والثالث يسمى كبد اقليد^(١) وهو أكثرهم عددا فجعل الملك ابن أخته معهم وأوصاهم بمظاهرة على ملكه بالقسطنطينية ووصلوا اليه في ذي القعدة سنة تسع وتسعين وخمسمائة فخرج عمّ الصبي وقتلهم واضرم شيعة الصبي النار في نواحي البلاد فاضطرب العسكر ورجعوا وفتح شيعة الصبي باب المدينة وأدخلوا الافرنج وخرج عمه هارباً ونصب الافرنج الصبي في الملك وأطلقوا أباه من السجن واستبدوا بالحكم وصادروا الناس وأخذوا مال البيع وما على الصلبان من الذهب وما على تماثيل المسيح والحواريين وما على الانجيل فعظم ذلك على الروم ووثبوا بالصبي فقتلوه وأخرجوا الافرنج من البلد وذلك منتصف سنة ستائة وأقام الافرنج بظاهرها محاصرين لهم وبعث الروم صريخا الى صاحب قونية ركن الدين سليمان بن قليج ارسلان فلم ينهض لذلك وكان بالمدينة متخلفون من الافرنج يناهزون ثلاثين ألفا فتاروا بالبلد عند شغل الروم بقتال أصحابهم وأضرموا النار ثانياً فاقتحم الافرنج وأفحشوا في النهب والقتل ونجا كثير من الروم الى الكنائس وأعظمها كنيسة سوميا فلم تغن عنهم وخرج القسيسون والاساقفة في أيديهم الانجيل والصلبان فقتلوه ثم تنازع الملوك الثلاثة على الملك بها وتقارعوا فخرجت القرعة على كبد اقليد فلحقها على أن يكون لدموس البنادقة الجزائر البحرية اقريطش ورودس وغيرهما ويكون لمركيش الافرنسيس شرقي الخليج ولم يحصل أحد منهم شيئاً الا ملك القسطنطينية كبد اقليد وتغلب على شرقي الخليج بطريق من بطارقة الروم اسمه شكري فلم يزل بيده الى أن مات ثم غلب بعد ذلك على القسطنطينية وملكها من يد الافرنج والله غالب على أمره^(٢).

الخبر عن دولة بني ارتق وملكهم لماردين وديار بكر ومبادي أمورهم وتصاريف أحوالهم

كان ارتق بن اكسك ويقال اكست والاول أصح كلمة أولها همزة ثم كافان الاولى ساكنة بينهما سين من ممالك السلطان ملك شاه بن البارسلان ملك السلجوقية وله مقام محمود في

(١) كذا بالاصل ، وهنا اسماء افرنجية محرفة كما هي كذلك محرفة في كتب التاريخ القديمة . وفي الكامل ج ١٢ ص ١٩١ وكانوا ثلاثة ملوك : دوقس البنادقة وهو صاحب المراكب البحرية ، وفي مراكبه ركبو الى القسطنطينية وهو شيخ اعمى اذا ركب تقاد فرسه ، والآخر يقال له المركيش وهو مقدم الافرنسيس . والآخر يقال له كندافلر وهو أكثرهم عدداً .

(٢) وهنا ايضاً عدم انسجام في العبارات وتعريف في الاسماء ، راجع الكامل ج ١٢ ص ١٩٠ — ١٩٣ .

دولتهم وكان على حلوان وما اليها من أعمال العراق ولما بعث السلطان ملك شاه عساكره الى حصار الموصل مع فخر الدولة بن جهير سنة سبع وسبعين وأربعمائة أردفه بعسكر آخر مع أرتق فهزمه مسلم بن قریش فحاصره بآمد ثم داخلته في الخروج من هذا الحصار على مال اشترطه ونجا الى الرقة ثم خشي ارتق من فعلته تلك فلحق بتتش حتى سار الى حلب طامعاً في ملكها فلقية تتش وهزمه وكان لارتق في تلك الواقعة الثقام المحمود ثم سارت تتش الى حلب وملكها واستجار مقدمها ابن الحسين بارتق فأجاره من السلطان تتش ثم هلك ارتق سنة ثلاث وثمانين بالقدس وملكه من بعد ارتق ابنه أبو الغازي وسقمان وكان لهما معه الرها^(١) وسروج^(٢) ولما ملك الافرنج انطاكية سنة احدى وتسعين وأربعمائة اجتمعت الامراء بالشام والجزيرة وديار بكر^(٣) وحاصروها وكان لسقمان في ذلك المقام المحمود ثم تخاذلوا وافترقوا وطمع أهل مصر في ارتجاع القدس منهم وسار اليها الملك الافضل المستولى على دولتهم فحاصرها أربعين يوماً وملكها بالامان وخرج سقمان وأبو الغازي ابنا ارتق وابن أخيهما ياقوتي وابن عمهما سونج وأحسن اليهم الافضل وولّى على بيت المقدس ورجع الى مصر وجاء الافرنج فلكوها كما تقدّم في أخبار الدولة السلجوقية ولحق أبو الغازي بالعراق فولّى شحنة بغداد وسار سقمان الى الرها فأقام بها وكان بينه وبين كربوقا صاحب الموصل فتن وحروب أسر في بعضها ياقوتي ابن أخيه ثم توفي كربوقا سنة خمس وتسعين وولّى الموصل بعده موسى التركماني وكان نائباً بحصن كيفا فزحف اليه جكرمس صاحب جزيرة ابن عمر وحاصره بالموصل واستنجد موسى سقمان على أن يعطيه حصن كيفا^(٤) فأنجده وسار اليه وأفرج عنه جكرمس وخرج موسى للقاء سقمان فقتله مواليه غدرًا ورجع سقمان الى حصن كيفا فملكه ثم كانت الفتنة بين أبي الغازي وكمستكين القيصري لما بعثه بركيارق شحنة على بغداد وكان هو شحنة من قبل السلطان محمد فنع القيصري من الدخول واستنجد أخاه سقمان فجاء اليه

(١) الرها : مدينة بالجزيرة بين الموصل والشام بينهما اربع فراسخ ، سميت باسم الذي استحدثها وهو الرهاء البلندي بن مالك بن دعر .

(٢) سروج : بلدة قريبة من حران من ديار مصر ، غلب عياض بن غنم على ارضها ما فتحها صلحاً على مثل صلح الرها في سنة ١٧ في ايام عمر رضي الله عنه .

ديار بكر : هي بلاد كبيرة واسعة تنسب الى بكر بن وائل بن قاسط بن هنب بن افصى بن دغمي بن جديله بن اسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان وحدها ما غرب من دجله الى بلاد الجبل المطل على نصيبين الى دجله وفيه حصن كيفا وآمد وميفارقين .

(٤) حصن كيفا : ويقال كيبا ، واطنها ارمينية وهي بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجله بين آمد وجزيرة ابن عمر من ديار بكر .

من حصن كيفا في عساكره ونهب تكريت^(١) وخرج اليه أبو الغازي واجتمع معهم صدقة بن مزيد صاحب الحلة وعاثوا في نواحي بغداد وقتلوا بنفر من أهل البلد وبعث اليهم الخليفة في الصلح على أن يسير القيصري الى واسط^(٢) فسار اليها ودخل أبو الغازي بغداد ورجع سقمان الى بلده وقد مرّ ذلك في أخبارهم ثم استولى مالك بن بهرام أخى سقمان على عامة الخرمية سنة سبع وتسعين وكان له مدينة سروج فلحقها منه الافرنج وسار الى غانة فلحقها من بني يعيش بن عيسى بن خلاط واستصرخوا بصدقة بن مزيد وارتجعها لهم منه وعاد الى الحلة فعاد مالك فلحقها واستقرت في ملكه ثم اجتمع سقمان وجكرمس صاحب الموصل على جهاد الافرنج سنة سبع وتسعين وهم محاصرون حران^(٣) فتركوا المنافسة بينهم وقصدوهم وسقمان في سبعة آلاف من التركمان فهزموا الافرنج وأسروا القمص بردويل صاحب الرها أسره أصحاب سقمان فتغلب عليهم أصحاب جكرمس وأخذوه وافترقوا بسبب ذلك وعادوا الى ما كان بينهم من الفتن والله أعلم.

* (استيلاء سقمان بن ارتق على ماردین) *

كان هذا الحصن ماردین^(٤) من ديار بكر وأقطعه السلطان بركيارق بجميع أعماله لمغن كان عنده وكان في ولاية الموصل وكان ينجرّ اليه خلق كثير من الاكراد يفسدون السابلة واتفق ان كربوقا صاحب الموصل سار لحصار آمد^(٥) وهي لبعض التركمان فاستنجد صاحبها بسقمان فسار لانجاده وقاتل كربوقا قتالا شديداً ثم هزمه وأسر ابن أخيه ياقوتي بن ارتق وحجسه بقلعة

(١) تكريت : بلدة مشهورة بين بغداد والموصل ولها قلعة حصينة في طرفها الاعلى راكبة على دجله وهي غربي دجله .

(٢) واسط : واسط في عدة مواضع والمذكورة هنا هي واسط الحجاج وهو الذي بناها وسميت واسطاً لتوسطها بين البصرة والكوفة لان منها الى كل منها خمسين فرسخاً . والحجاج هو الذي بناها .

(٣) حرّان : مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة اقور ، وهي قصبة ديار مضر ، بينها وبين الرها يوم واحد وبين الرقة يومان وهي على طريق الموصل والشام والروم وقيل سميت بهارات اخي ابراهيم عليه السلام ، لانه اول من بناها فعرّبت مقبل حرّان ، وذكر انها اول مدينة بنيت على الارض بعد الطوفان .

(٤) ماردین : قلعة مشهورة على قنّة جبل الجزيرة مشرفة على دنيسر ودارا ونصيبين ، وذلك الفضاء الواسع ، وقد أمّاها ريش عظيم فيه اسواق كثيرة وخانات ومدارس وربط وخان قاهات ودورهم فيها كالدرج . وما لاشك فيه انه ليس في الارض كلها احسن من قلعتها ولا احصن ولا احكم (معجم البلدان) .

(٥) آمد اعظم مدن ديار بكر واجلها قدرا واشهرها ذكرا . بلد قديم حصين ركين مبني بالحجارة السود على نشر دجله محيطة باكثره مستديرة به كالهلال ، وفي وسطه عيون وآبار .

ماردين عند المغنى فني محبوساً مدة طويلة وكثر ضرر الاكراد فبعث ياقوتي الى المغنى صاحب الحصن في أن يطلقه ويقيم عنده بالربض لدفاع الاكراد ففعل وصار يغير عليهم في سائر النواحي الى خلاط وصار بعض أجناد القلعة يخرجون للاغارة معه فلا يهيجهم ثم حدثته نفسه بالتوثب على القلعة فقبض عليهم بعض الايام مرجعه من الاغارة ودنا من القلعة وعرضهم على القتل ان لم يفتحوا له ففتحها أهلوه وملكها وجمع الجموع وسار الى نصيبين^(١) وأغار على جزيرة ابن عمرو وهي لجكرمس فكبسه جكرمس وأصحابه في الحرب بينهم فقتله وبكاه جكرمس وكان تحت ياقوتي ابنة عمه سقمان فضت الى أبيها وجمعت التركمان وجاء سقمان بهم الى نصيبين فترك طلب الثار فبعث اليه جكرمس ما أرضاه من المال في دينه ورجع وقدم بماردين بعد ياقوتي أخوه على بطاعة جكرمس وخرج منها لبعض المذاهب وكتب نائبه بها الى عمه سقمان بأنه يملك ماردين لجكرمس فسار اليها سقمان وعوض عليا ابن أخته جبل جور وأقامت ماردين في ملكه مع حصن كيفا واستضاف اليها نصيبين والله أعلم .

وفاة سقمان بن ارتق وولاية أخيه أبي الغازي مكانه بماردين

ثم بعث فخر الدين بن عمار صاحب طرابلس يستنجد سقمان بن ارتق على الافرنج وكان استبد بها على الخلفاء العلويين أهل مصر ونازله الافرنج عندما ملكوا سواحل الشام فبعث بالصريح الى سقمان بن ارتق سنة ثمان وتسعين وأجابه وبينما هو يتجهز للمسير وافاه كتاب طغركين صاحب دمشق المستبد بها من موالى بني تتش يستدعيه لحضور وفاته خوفاً على دمشق من الافرنج فأسرع المسير اليه معتماً على قصد طرابلس وبعدها دمشق فانتهى الى القريتين^(٢) وندم طغركين على استدعائه وجعل يدبر الرأي مع أصحابه في صرفه ومات هو بالقدس فكفاهم الله أمره وقد كان أصحابه عندما أشقى على الموت أشاروا عليه بالرجوع الى كيفا فامتنع وقال هذا جهاد وان مت كان لي ثواب شهيد فلما مات حملة ابنه ابراهيم الى

(١) نصيبين : مدينة عامرة من بلاد الجزيرة على جادة القوافل من الموصل الى الشام وفيها وفي قراها على ما يذكر أهلها اربعون الف بستان (معجم البلدان) .

(٢) القريتين : قرية كبيرة من اعمال حمص في طريق البرية بينها وبين سحنة وأرك وقال ابو حذيفة في فتوح الشام : وسار خالد بن الوليد من تدمر الى القريتين وهي التي تدعى حوَّارين . (معجم البلدان)

حصن كيفا فدفنه بها وكان أبو الغازي بن ارتق شحنة بغداد كما قدمناه ولاه السلطان محمد أيام الفتنة بينه وبين أخيه بركيارق فلما اصطليح بركيارق وأخوه سنة تسع وتسعين على أن تكون بغداد له وممالك أخرى من الممالك الإسلامية ومن جملتها حلوان وهي أقطاع أبي الغازي فبادر وخطب لبركيارق ببغداد فنكر عليه ذلك صدقة بن مزيد وكان من شيعة السلطان محمد فجاء إلى بغداد ليزعج^(١) أبا الغازي عنها ففارقها إلى يعقوب وبعث إلى صدقة يعتذر بأنه صار في ولاية بركيارق ويحكم الصلح في اقطاعه وولايته فلم يمكنه غير ذلك ومات بركيارق على اثر ذلك فخطب أبو الغازي لابنه ملك شاه فنكر ذلك السلطان محمد منه فلما استولى على الامر عزله عن شحنة بغداد فلحق بالشام وحمل رضوان بن تتش صاحب حلب على حصار نصيبين من بلاد جكرمس فحاصروها وبعث جكرمس إلى رضوان وأغراه بأبي الغازي ففسد ما بينهما ورحلوا مفترقين على نصيبين وسار أبو الغازي إلى ماردين وقد مات أخوه سقمان كما قلناه فاستولى عليها والله تعالى أعلم .

* (اضطراب أبي الغازي في طاعته وأسره ثم خلاصه) *

لما ولي السلطان محمد على الموصل والجزيرة وديار بكر سنة اثنتين وخمسمائة مودود بن افتكين مكان جاوولي سكاوو الذي ملكها من يد جكرمس كما مرّ في أخبارهم فوصل مودود إلى الموصل وسار جاوولي إلى نصيبين وهي يومئذ لابي الغازي وراسله في المظاهرة والانجاد فوصل إليه بماردين على حين غفلة مستنجدا به فلم يسعه الا اسعافه وسار معه إلى سنجار والرحبة وحاصرها وشق عليها فلما نزل الخابور هرب أبو الغازي راجعا إلى نصيبين ثم إلى بلده وبقي مضطرباً ثم بعث السلطان محمد سنة خمس وخمسمائة إلى الامير مودود بالمسير إلى قتال الافرنج وأن يسير الامراء معه من كل جهة مثل سقمان القطبي صاحب ديار بكر وأحمد بك صاحب مراغة وأبي الهيجاء صاحب اربل وأبي الغازي صاحب ماردين فحضروا كلهم الا أبا الغازي فانه بعث ولده اياز في عسكر فسارت العساكر إلى الرها وحاصروها وامتنعت عليهم ثم ساروا سنة ست وخمسمائة إلى سروج كذلك ثم ساروا سنة سبع إلى بلاد الافرنج فهزموهم على طبرية ودّخوا بلادهم وعاد مودود إلى دمشق وافتقرت العساكر ودخل دمشق ليشتي بها عند طفركين صاحبها فقتل غيلة بها واتهم طفركين في أمره وبعث السلطان مكانه

(١) زعجه وازعجه : اقلعه وقلعه من مكانه ، طرده . ازعجه إلى المعصية .

على العساكر والموصل اقستقر البرسقي وأمره بقصد الافرنج وقتلهم وكتب الى الامراء بطاعته وبعث ابنه الملك مسعودا في عسكر كثيف ليكونوا معه فصار اقستقر سنة ثمان وخمسمائة وقر أبو الغازي وحاصره بماردين حتى استقام وبعث معه ابنه اياز في عسكر فحاصروا الرها وعاثوا في نواحيها ثم سروج وشمشاط وأطاعه صاحب مرعش وكيسوم ورجع فقبض على اياز بن أبي الغازي ونهب سواد ماردين فصار أبو الغازي من وقته الى ركن الدولة داود ابن أخيه سقمان وهو بحصن كيفا مستنجدا به فأنجده وساروا الى البرسقي آخر ثمان وخمسمائة فهزموهم وخلصوا ابنه اياز من الاسر وأرسل السلطان الى أبي الغازي يتهدده فلحق بطفرकिन صاحب دمشق صريخا وكان طفرकिन مستوحشا لاتهامه بأمر مودود فاتفقا على الاستنجاد وبعثا بذلك الى صاحب انطاكية فجاء اليهما قرب حمص وتحالفا وعاد الى انطاكية وسار أبو الغازي الى ديار بكر في خف من أصحابه فاعترضه قيرجان صاحب حمص فظفر به وأسره وبعث الى السلطان بخبره وأبطأ عليه وصول جوابه فيه وجاء طفرकिन الى حمص فدخل على قيرجان وألح عليه بقتل أبي الغازي ثم أطلقه قيرجان وأخذ عليه وسار أبو الغازي الى حلب وبعث السلطان العساكر مع يوسف بن برسق صاحب همدان وغيره من الامراء لقتال أبي الغازي وقتال الافرنج بعده فصاروا الى حلب وبها لؤلؤ الخادم مولى رضوان بن تتش كفل ابنه البارسلان بعد موته ومعه مقدم العساكر شمس الخواص فطالبوهما بتسليم حلب بكتاب السلطان اليهما في ذلك وبادر أبو الغازي وطفرकिन فدخلا اليهما فامتنعت عليهما فصاروا الى حماة من أعمال طفرकिन وبها ذخائره ففتحوها عنوة ونهبوها وسلموها الى الامير قيرجان صاحب حمص فأعطاهم اياز بن أبي الغازي وكان أبو الغازي وطفرकिन وشمس الخواص ساروا الى روجيل صاحب انطاكية يستنجدونه على حفظ حماة وجاءهم هنالك بقديون صاحب القدس والقمص صاحب طرابلس وغيرهما واتفقوا على مطاولة العساكر ليتفرقوا عند هجوم الشتاء واجتمعوا عند قلعة افامية فلم تبرح العساكر مكانها فافترقوا وعاد طفرकिन الى دمشق وأبو الغازي الى ماردين والافرنج الى بلادهم ثم كان اثر ذلك فتح كفرطاب على المسلمين واعتزموا على معاودة حلب فاعترضهم روجيل صاحب انطاكية وقد جاء في خمسمائة فارس مددا للافرنج في كفرطاب فانهمز المسلمون وكان تمحيصهم ورجع برسق أمير العساكر وأخوه منهزمين الى بلادهم وكان اياز بن أبي الغازي أسيراً عندهم فقتله الموكلون به يوم المعركة سنة تسع وخمسمائة والله تعالى أعلم .

* (استيلاء أبي الغازي على حلب) *

كان رضوان بن تتش صاحب حلب لما توفي سنة سبع وخمسمائة قام بأمر دولته لؤلؤ الخادم ونصب ابنه البارسلان في ملكه ثم استوحش منه ونصب مكانه أخاه سلطان شاه واستبد عليه ثم سار لؤلؤ الخادم الى قلعة جعفر سنة احدى عشرة^(١) بينه وبين مالك ابن سالم بن مالك بن بدران فغدر به بمالك الاتراك وقتلوه عند خرت برت واستولوا على خزائنه واعترضهم أهل حلب واستنقذوا منهم ما أخذوه وولى شمس الخواص أتابك مكان لؤلؤ ثم عزل لشهر وولى أبو المعالي بن الملحي الدمشقي ثم عزل وصودر واضطربت الدولة وخشي أهل حلب على بلدهم من الافرنج فاستدعوا أبا الغازي بن ارتق من ماردین وسلموا له البلد وانقرض ملك آل رضوان بن تتش منها فلم يملكها بعد واحد منهم ولما ملكها لم يجد فيها مالا فصادر جماعة من الخدم وصانع الافرنج بما لهم ثم سار الى ماردین بنية العود الى حايثها واستخلف عليها ابنه حسام الدين تمرتاش .

* (واقعة أبي الغازي مع الافرنج) *

ولما استولى أبو الغازي على حلب وسار عنها طمع فيها الافرنج وساروا اليها فملكوا مراغة وغيرها من أعمالها وحاصروها فلم يكن لاهلها بدّ من مدافعتهم بقتال أو بمال فقاسمهم أملاكهم التي بضاحتها في سبيل المصانة وبعثوا الى بغداد يستغيثون فلم يغاثوا وجمع أبو الغازي من العساكر والمتطوعة نحو من عشرين ألفا وسار بهم الى الشام سنة ثلاث عشرة ومعه أسامة بن مبارك بن منقذ الكناني وطغان ارسلان بن اسكين بن جناح صاحب ارزن الروم ونزل الافرنج قريبا من حصون الاماري في ثلاثة آلاف فارس وتسعة آلاف راجل ونزلوا في تل عفرين حيث كان مقتل مسلم بن قريش وتحصنوا بالجبال من كل جهة الا ثلاث مسارب فقصدتهم أبو الغازي ودخل عليهم من تلك المسارب وهم غارون فركبوا وصدّقوا الحملة فلقوا عساكر المسلمين متتابعة فولوا منهزمين وأخذهم السيف من كل جهة فلم يفلت الا القليل وأسر من زعمائهم سبعون فاداهم أهل حلب بثلاثمائة ألف دينار وقتل سرجان صاحب انطاكية ونجا فلهم من المعركة فاجتمع جماعة من الافرنج وعادوا للقاء

(١) كذا بياض بالاصل وفي الكامل ج ١١ ص ١٠٩ : سار منها الى قلعة جعفر ليجتمع بالأمير سالم بن مالك العقيلي صاحبها .

فهزمهم أبو الغازي وفتح حصن الاريات ورزدا وعاد الى حلب فأصلح أمورها وعبر الفرات الى ماردين وولى على حلب ابنه سليمان ثم وصل ديبس بن صدقة الى أبي الغازي مستنجراً به فكتب اليه المسترشد مع سرير الدولة عبد أبي الغازي^(١) بابعاد ديبس ثم وقع بينه وبين السلطان محمود الاتفاق ورهن ولده على الطاعة ورجع وسار أبو الغازي الى الافرنج عقب ذلك سنة أربع عشرة فقاتلهم بأعمال حلب وظهر بهم ثم سار هو وطغركين صاحب دمشق فحاصروا الافرنج بالثيرة وخشوا من استماتتهم فأفرج لهم أبو الغازي حتى خرجوا من الحصن وكان لا يطيل المقام بدار الحرب لأن أكثر الغزاة معه التركمان يأتون بحراب دقيق وقديد شاه فيستعجل العودان فنيت ازوادهم والله أعلم .

* (انتقاض سليمان بن أبي الغازي بحلب) *

كان أبو الغازي قد ولى على حلب ابنه سليمان فحمله بطانته على الخلاف على أبيه وسار اليه أبوه^(٢) تلقاه ابنه سليمان بالمعاذير فأمسك عنه وقبض على بطانته الذين داخلوه في ذلك وكان متولي كبرها أميركان لقيطاً لاييه ونشأ في بيته فسمله وقطع لسانه وكان منهم آخر من أهل حماه قدمه أبو الغازي على أهل حلب فقطعه وسمله فمات وأراد قتل ابنه ثم ثنته الشفقة عليه وهرب الى دمشق وشفع فيه طغركين فلم يشفعه ثم استخلف على حلب سليمان ابن أخيه عبد الجبار ولقبه بدر الدولة وعاد الى ماردين وذلك سنة خمس عشرة ثم ابنه حسام الدين تمرتاش مع القاضي بهاء الدولة أبي الحسن الشهرزوري شافعاً في ديبس وضامناً في طاعته فلم يتم ذلك فلما انصرف تمرتاش الى أبيه أقطع السلطان أباه أبا الغازي مدينة ميا فارقين وكانت لسقمان القطبي صاحب خلاط فتسلمها أبو الغازي ولم تزل في يده الى أن ملكها صلاح الدين بن أيوب سنة ثمانين وخمسمائة والله تعالى أعلم .

* (واقعة مالك بن بهرام مع جوسكين صاحب الرها) *

قد تقدم لنا أن جوسكين من الافرنج كان صاحب الرها وسروج وأن مالك بن بهرام كان قد

(١) كذا بياض بالاصل . وفي الكامل ج ١٠ ص ٥٦٨ : ارسل المسترشد بالله خلعاً مع سديد الدولة ابن الانباري نجم الدين ابيلغازي وشكره على ما يفعله من غزو الفرنج وبأمره بابعاد ديبس .
(٢) كذا بياض بالاصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٥٩١ فسمع والده الخبر فسار مجدداً لوقته فلم يشعر به سليمان حتى هجم عليه فخرج اليه معتذراً فأمسك عنه . وقبض على من اشار عليه بذلك .

ملك مدينة غانة فسار سنة خمس عشرة الى الرها وحاصرها أياما فامتنعت عليه وسار جوسكين في اتباعه بعد أن جمع الافرنج وقد تفرق عن مالك أصحابه ولم يبق معه الا اربعمائة فلحقوه في أرض رخوة قد نضب عنها الماء فوحت فيها خيولهم ولم يقدرُوا على التخلص فظفر بهم أصحاب مالك وأسروهم وجعل جوسكين في اهاب جمل وخيط عليه وطلبوا منه تسليم الرها فلم يفعل وحبسه في خرت برت بعد أن بذل في فديته أموالا فلم يفاذوه والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده .

* (وفاة أبي الغازي ^(١) وملك بنيه من بعده) *

ثم توفي أبو الغازي بن ارتق صاحب ماردين في رمضان سنة ست عشرة وخمسمائة فولى بعده بماردين ابنه حسام الدين تمرتاش وملك سليمان ميا فارقين وكان بجلب سليمان ابن أخيه عبد الجبار فاستولى عليها ثم سار مالك بن بهرام بن ارتق الى مدينة حران فحاصرها وملكها وبلغه أن سليمان ابن عمه عبد الجبار صاحب حلب قد عجز عن مدافعه الافرنج وأعطاهم حصن الاماري فطمع في ملك بلاده وسار اليها في ربيع سنة ست عشرة وملكها من يده على الامان ثم سار سنة ثمان عشرة الى منبج وحاصرها وملك المدينة وحبس صاحبها حسان التغلبي وامتنع أهلها بالقلعة فحاصرها وسمع الافرنج بذلك فساروا اليه فترك على القلعة من يحاصرها ونهض اليهم فهزمهم وأثنى فيهم وعاد الى منبج فحاصرها وأصابه بعض الايام سهم غرب فقتله فاضطرب العسكر وافترقوا وخلص حسان من محبسه وكان تمرتاش بن أبي الغازي صاحب ماردين معه على منبج فلما قتل حمل شلوه الى حلب ودفنه بها واستولى عليها ثم استخلف عليها وعاد الى ماردين وجاء الافرنج الى مدينة صور فلكوها وطمعوا في غيرها من بلاد المسلمين ولحق بهم دبيس بن صدقة ناجيا من واقعة مع المسترشد فأطمعهم في ملك حلب وساروا معه فحاصروها وبنوا عليها المساكن وطال الحصار وقتل الاقوات واضطرب أهل البلد وظهر لهم العجز من صاحبهم ولم يكن في الوقت أظهر من البرسقي صاحب الموصل ولا أكثر قوة وجمعاً منه فاستدعوه ليدافع عنهم ويملكوه وشرط عليهم أن يمكنوه من القلعة قبل وصوله ونزل فيها بوابه وسار فلما أشرف على الافرنج ارتحلوا عائدين الى بلادهم وخرج أهل حلب فتلقوا البرسقي فدخل واستولى على حلب وأعمالها ولم تزل بيده الى ان هلك وملكها ابنه عز الدين ثم هلك فولى السلطان محمود عليها أتابك زنكي حسبا يأتي

(١) وفي الكامل ابيلغازي ج ١٠ ص ٦٤

في أخبار دولته ورجع تمرناش الى ماردین واستمرّ ملكه بها وكان مستولياً على كثير من قلاع ديار بكر ثم استولى سنة اثنتين وثلاثين على قلعة الساج من ديار بكر وكانت بيد بعض بني مروان من بقايا ملوك الاولين وكان هذا آخرهم بهذه القلعة وكان ملك ميا فارقين قد سار لحسام الدين تمرناش وملكها من يد أخيه سليمان ولم يزل تمرناش ملكاً بماردین الى أن هلك سنة سبع وأربعين وخمسمائة لاحدى وثلاثين سنة من ملكه والله تعالى وليّ التوفيق .

* (وفاة تمرناش وولاية ابنه البي بعده) *

ثم توفي حسام الدين تمرناش سنة سبع وأربعين وخمسمائة كما قلناه فملك بعده ابنه بماردین البي بن تمرناش وبقي ملكاً عليها الى أن مات وولى بعده ابنه أبو الغازي بن البي الى أن مات ولم يذكر ابن الاثير تاريخ وفاتها وقال مؤرخ حماة لم يقع اليّ تاريخ وفاتها .

* (ولاية حسام الدين بولق ارسلان بن أبي الغازي بن البي) *

ولما توفي أبو الغازي بن البي قام بأمر ملكه نظام الملك النقش ونصب للملك مكانه ابنه بولق ارسلان طفلاً واستبدّ عليه وكان النقش غالباً على هواه حيث صار أمر الطفل في يده ولم تزل حالهم على ذلك الى أن هلك حسام الدين في سنة خمس وتسعين وخمسمائة على عهد بولق هذا وكناه ابن الاثير حسام الدين ناصر الملك قصد العادل أبو بكر ابن أيوب ماردین وخشيت ملوك الجزيرة ولم يقدرُوا على منعه ثم توفي العزيز بن صلاح الدين صاحب مصر وولى أخوه الافضل فاستنفر العادل أهل مصر ودمشق وأهل سنجار وبعثهم مع ابنه الكامل وحاصروا ماردین فبعث اليه النقش المستولي على بولق بالطاعة وتسليم القلعة لاجل معلوم على أن يدخل اليهم الاقوات ووضع العادل ابنه على بابها أن لا يدخلها زائد على القوت فصانعو الولد بالمال وشحنوها بالاقوات وبينما هم في ذلك جاء نور الدين صاحب الموصل لانجادهم وقاتلهم فانهمزمت عساكر العادل وخرج أهل القلعة فأوقعوا بعسكر الكامل ابنه فرحلوا جميعاً منهزمين ونزل حسام الدين بولق الى نور الدين ولقيه وشكر وعاد ونزل نور الدين على ديبس ثم رحل عنها قاصداً حوران كما نذكره في أخبار دولته ان شاء الله تعالى والله أعلم .

* (وفاة بولق^(١) وولاية أخيه ارتق) *

ولما هلك بولق ارسلان نصب لؤلؤ الخادم بعده للملك أخاه الاصغر ناصر الدين ارتق ارسلان بن قطب الدين أبي الغازي ولم يذكر ابن الاثير خبر وفاته أيضا وبقي مملكا في كفالة النقش الى سنة احدى وسمائة والله أعلم .

* (مقتل النقش^(٢) واستبداد ارتق المنصور واتصال الملك في

عقبه) *

ثم استنكف ارتق من الحر ومرض النقش سنة احدى وسمائة فجاء ارتق لعيادته وقتل لؤلؤا خادمه في بعض زوايا بيته ورجع الى النقش فقتله في فراشه واستقل بملك ماردين وتلقب المنصور وتوفي سنة ست وثلاثين وثلثمائة^(٣) وملك بعده ابنه السعيد نجم الدين غازي بن ارتق وتوفي سنة ثمان أو ثلاث وخمسين وملك بعده أخوه المظفر قرا ارسلان بن ارتق فأقام سنة أو بعضها ثم هلك سنة ثلاث وتسعين وسمائة وملك بعده أخوه المنصور نجم الدين غازي بن قرا ارسلان الى أن توفي سنة اثني عشرة وسبعمائة لاربع وخمسين سنة من ولايته وملك بعده ابنه المنصور أحمد الى أن توفي سنة تسع وستين لثلاث سنين من ولايته ثم ملك بعده ابنه الصالح محمود اربعة أشهر وخلعه عمه المظفر فخر الدين داود بن المنصور أحمد الى أن توفي سنة ثمان وسبعين وسبعمائة وملك بعده ابنه مجد الدين عيسى وهو السلطان بماردين لهذا العهد والملك لله يؤتيه من يشاء من عباده (ولما) ملك هلاكو بن طلوخان بن جنكزخان مدينة بغداد واعمالها أعطاه المظفر قرا ارسلان طاعته وخطب له في أعماله ولم يزالوا يدينون بطاعة بنيه الى أن هلك أبو سعيد بن خربرا آخر ملوك التتر ببغداد سنة سبع وثلاثين فقطعوا الخطبة لهم واستبد أحمد المنصور منهم وهو الثاني عشر من لدن أبي الغازي جدّهم الاول (وأما) داود بن سقمان فانه ملك حصن كيفا من بعد سقمان ابيه وابراهيم أخيه ولم أقف على خبر وفاته (وملك بعده) ابنه فخر الدين قرا ارسلان بن داود وملك أكثر ديار بكر مع حصن كيفا وتوفي سنة اثنتين وستين وخمسمائة (وملك بعده) ابنه نور الدين محمد بعهد

(١) وفي بعض النسخ بولق ارسلان .

(٢) وفي بعض النسخ النقش .

(٣) كذا بالاصل ويقتضي ان تكون وسمائة حسب سير الحواث .

اليه بذلك وكانت بينه وبين صلاح الدين مواصلة ومظاهرة ظاهر صلاح الدين على الموصل على أن يظاها على آمد فظاها صلاح الدين وحاصرها من صاحبها ابن سان سنة تسع وستين وصارت من أعمال نور الدين كما نذكر في دولة صلاح الدين ثم توفي نور الدين محمد سنة احدى وثمانين وخلف ولدين (فلك الاكبر) منها قطب الدين سقمان وقام بتدبير دولته العوام بن سحاق الاسعد وزير أبيه وكان عماد الدين أخو نور الدين هو المرشح للامارة الا أنه سار في العساكر مدداً لصلاح الدين على حصار الموصل فلما بلغه الخبر بوفاة أخيه سار الملك البلد لصغر أولاد أخيه نور الدين فلم يظفر واستولى على خرت برت فانترعها منهم وملكها وأورثها بنيه فلما أفرج صلاح الدين عن الموصل لقيه قطب الدين سقمان وأقره على ملك أبيه بكيفا وأبقى بيده آمد التي كان ملكها لاييه وشرط عليه مراجعته في أحواله والوقوف عند أوامره وأقام أميراً من أصحاب ابنه قرا ارسلان اسمه صلاح الدين فقام بأمر دولته واستقر ملكه بكيفا وآمد وما اليهما الى أن توفي سنة سبع وتسعين وخمسمائة تردى من جوسق له بحصن كيفا فمات وكان أخوه محمود مرشحاً لمكانه الا أن قطب الدين سقمان كان شديد البغضاء له واشخصه الى حصن منصور من آخر عملهم واصطفي مملوكه اياسا وزوجه باخته وجعله ولي عهده (ولما توفي) ملك بعده مملوكه وشخص أهل الدولة فسدوا الى محمود فسار الى آمد وسبقه اياس اليها ليدافعه فلم يطق وملك محمود آمد واستولى على البلد كلها وحبس اياسا الى أن أطلقه بشفاعه صاحب بلاد الروم ولحق به وانتظم في امرائه واستقل محمود بملك كيفا وآمد وأعمالها ولقب ناصر الدين وكان ظالماً قبيح السيرة وكان ينتحل العلوم الفلسفية وتوفي سنة تسعة عشر وستائة وولى مكانه المسعود وحدثت بينه وبين الافضل بن العادل فتنة واستنجد عليه أخاه الكامل فسار في العساكر من مصر ومعه داود صاحب الكرك والمظفر صاحب حماة فحاصروه بآمد الى أن نزل عنها وجاء الى الكامل فاعتقله فلم يزل عنده حبساً الى أن مات الكامل فذهب الى التتر فمات عندهم (وأما) عماد الدين بن قرا ارسلان الذي ملك خرت برت من يد قطب الدين سقمان ابن أخيه نور الدين فلم تزل في يده الى أن توفي سنة احدى وستائة لعشرين سنة من ملكه اياها (وملكها بعده) ابنه نظام الدين أبو بكر وكانت بينه وبين ناصر الدين محمود ابن عمه نور الدين صاحب آمد وكيفا عداوة ودخل محمود في طاعة العادل بن أيوب وحضر مع ابنه الاشرف في حصار الموصل على أن يسير معه بعدها الى خرت برت فيملكها له وكان نظام الدين مستنجداً به^(١)

(١) كذا بياض بالاصل ، والواضح من العبارة التالية انه غياث الدين .

الدين قليج ارسلان صاحب بلاد الروم فيات وسار الاشرف مع محمود بعساكره وحاضروا خرت برت في شعبان سنة احدى وستين وملكوا ارضها وبعثوا غياث الدين صاحب الروم الى نظام الدين المدد بالعساكر مع الافضل بن صلاح الدين صاحب سميساط فلما انتهوا الى ملطية أفرج الاشرف ومحمود عن خرت برت الى بعض حصون نظام الدين بالصحراء ببحيرة سهنين وفتحت في ذي الحجة سنة احدى وستين فلما وصل الافضل بعساكر غياث الدين ووصل الاشرف عن البحيرة راجعاً جاء نظام الدين بالعساكر الى الحصن فامتنع عليه وبقي لصاحب آمد ثم ملك كيقباد صاحب الروم حصن خرت برت من أيديهم سنة احدى وثلاثين وانقرض منها ملك بني سقمان والله وارث الارض ومن عليها واليه يرجعون .

الطاهر عيسى بن الظفر داود بن
يحيى

يد الصالح عمود بن النصور احمد

صالح بن منصور غازي
داود

ط
سعيد غازي
بي بن الظفر قرا ارسلان

ز
من المنصور

رقق ارسلان بن

قطب الدد

ابن محمد بن قاسم
ابن سفيان
ابن الغزي بن ا

را ارسلان بنی

ملل بن سفيان

حصن كيفا

۱۰
 ۹
 ۸
 ۷
 ۶
 ۵
 ۴
 ۳
 ۲
 ۱

مولی السلطان ملک شاہ السلجوقی
ملک مار دین و آمد

نظام الدین ابو بکر بن
ملک خورت برت بعد ایہ

دولة بني زنكي بن اقسنقر

الخبر عن دولة بني زنكي بن اقسنقر من موالي السلجوقية
بالجزيرة والشام ومباذي أمورهم وتصارييف أحوالهم

قد تقدّم لنا ذكر اقسنقر مولى السلطان ملك شاه وأنه كان يلقب قسيم الدولة وأن السلطان ملك شاه لما بعث الوزير فخر الدولة بن جهير سنة سبع وسبعين وأربعائة بفتح ديار بكر من يد ابن مروان واستنجد ابن مروان صاحب الموصل شرف الدولة مسلم بن عقيل وهزمته العساكر وانحصر بآمد فبعث السلطان عميد الدولة بن فخر الدولة بن جهير ليخالف شرف الدولة الى السلطان فلقه في الرحبة وأهدى له فرضي عنه وردّه الى بلده الموصل واستولى بنو جهير بعد ذلك على ديار بكر كما مرّ في موضعه من دولة بني مروان ثم كان بعد ذلك شان حلب واستبدّ بها أهلها بعد انقراض دولة بني صالح بن مرداس الكلّابي وطمع فيها شرف الدولة مسلم بن قريش وسليمان بن قطلمش صاحب بلاد الروم وتتش ابن السلطان البارسلان وقتل سليمان بن قطلمش مسلم بن قريش ثم قتل تتش سليمان بن قطلمش وجاء الى حلب فلحقها وامتنعت عليه القلعة فحاصرها وقد كانوا بعثوا الى السلطان ملك شاه واستدعوه للملكها فوصل اليهم سنة تسع وسبعين ورحل تتش عن القلعة ودخل البرية واستولى السلطان على حلب وولّى عليها قسيم الدولة اقسنقر وعاد الى العراق فعمرها اقسنقر وأحسن السيرة فيها وسار معه تتش حين عهد له أخوه السلطان ملك شاه بفتح بلاد العلوية بمصر والشام ففتح الكثير منها وهو معه كما مرّ وزحف قبل ذلك سنة ثمانين الى بني منقذ بشيرز فحاصره وضيق عليه ثم رجع عنه عن صلح وأقام بحلب ولم يزل واليا عليها الى أن هلك السلطان سنة خمس وثمانين واختلف ولده من بعده وكان أخوه تتش قد استولى على الشام منذ سنة احدى وسبعين فلما هلك أخوه طمع في ملك السلجوقية من بعده فجمع العساكر وسار لاقتضاء الطاعة من الامراء معه بالشام وقصد حلب فأطاعه قسيم الدولة اقسنقر وحمل باغيسيان صاحب انطاكية وتيران صاحب الرها وحران على طاعته حتى يظهر مآل الامر في ولد سيدهم ملك شاه وساروا مع تتش الى الرحبة فلحقها وخطب لنفسه فيها ثم الى نصيبين ففتحها عنوة ثم الى الموصل فهزم صاحبها ابراهيم بن قريش بن بدران وتولى كبر هزيمته اقسنقر وقتل قريش بن ابراهيم وملك الموصل من يده وولّى تتش عليها ابن عمته علي بن مسلم بن قريش وسار الى ديار بكر فلحقها ثم الى أذربيجان وكان بركيارق بن ملك شاه قد

استولى على الريّ وهذان وكثير من البلاد فسار لمدافعته وجنح قسم الدولة اقسنقر وبوزان صاحب الرها الى بركيارق ابن سيدهم فلحقوا به وتركوا تتش فانقلب عائداً الى الشام ساخطاً على اقسنقر وبوزان ما فعلوه فجمع العساكر وسار الى حلب سنة سبع وثمانين لقتال قسم الدولة وأمدّه بركيارق بالامير كربوقا في العساكر فبرزوا الى لقاءهم والتقوا على ست فراسخ من حلب ونزع بعض عساكر اقسنقر الى تتش فاختلف مصافه وتمت الهزيمة عليه وجيء به أسيراً الى تتش فقتله صبراً ولحق كربوقا وبوزان بحلب وتبعها فحاصرها وملكها وأخذها أسيرين كما مرّ في أخبار الدولة وكان قسم الدولة حسن السياسة كثير العدل وكانت بلاده آمنة ولما مات نشأ ولده في ظلّ الدولة السلجوقية وكان أكبرهم زنكي فنشأ مرموقاً بعين التحلة ولما ولي كربوقا الموصل من قبل بركيارق أيام الفتنة بين بركيارق وأخيه محمد كان زنكي في جملته لانه كان صاحب أبيه وسار كربوقا أيام ولايته لحصار آمد وصاحبها يومئذ بعض أمراء التركمان وأنجده سقمان بن ارتق وكان زنكي بن اقسنقر يومئذ صبياً وهو في جملة رجال كربوقا ومعه جماعة من أصحاب أبيه فجلا في تلك الحرب وانهمز سقمان وظهر كربوقا وفي هذه الحرب أسر ابن ياقوتي بن ارتق وسجنه كربوقا بقلعة ماردين فكان ذلك سبباً لملك بني ارتق فيها كما مرّ في أخبار دولتهم ثم تابعت الولاة على الموصل فوليا جكرمس بعد كربوقا وبعده جاولى سكاوو وبعده مودود بن ايتكين وبعده اقسنقر البرسقي كما تقدّم في أخبار السلجوقية وولاه السلطان محمد بن ملك شاه سنة ثمان وخمسين وبعث معه ابنه مسعودا وكتب الى سائر الأمراء هناك بطاعته ومنهم يومئذ عماد الدين زنكي بن اقسنقر فاخص به ولما ملك السلطان محمود بعد أبيه محمد سنة احدى عشرة كان أخوه مسعود بالموصل كما تقدّم أتابكه حيوس بك ونقل البرسقي من الموصل الى شحنة بغداد وانتقض ديبس بن صدقة صاحب الحلة على المسترشد والسلطان محمود وجمع البرسقي العساكر وقصد الحلة فكاتب ديبس السلطان مسعود وأتابكه حيوس بك بالموصل وأغراهما بالمسير الى بغداد فسار لذلك مع السلطان مسعود وزيره فخر الملك أبو علي بن عمار صاحب طرابلس وزنكي بن قسم الدولة اقسنقر وجماعة من أمراء الجزيرة ووصلوا الى بغداد وصالحهم البرسقي وسار معهم ودخل مسعود الى بغداد وجاء منكبرس الى بغداد ونزع اليه ديبس بن صدقة ووقعت الحرب بينهما على بغداد كما تقدّم في أخبار الدولة وأقام منكبرس ببغداد ثم كان له في خدمة السلطان محمود عند حربه مع أخيه مسعود مقامات جليلة وغلب السلطان أخاه مسعودا وأخذه عنده واسترل أتابكه حيوس بك من الموصل وأعاد اليها البرسقي سنة خمسة عشر

فعاد زنكي الى الاختصاص به كما مرّ ثم أضاف اليه السلطان محمود شحنة بغداد وولاية واسط مضافة الى ولاية الموصل سنة ستة عشر فولى عليها عماد الدين زنكي فحسن أثره في ولايتها ولما كانت الحرب بين ديبس بن صدقة وبين الخليفة المسترشد وبرز المسترشد لقتاله من بغداد وحضر البرسقي من الموصل وعماد الدين زنكي فانهمزم ديبس^(١) عماد الدين في ذلك المقام ثم ذهب ديبس الى البصرة وجمع المتفق من بني عقيل فدخلوا البصرة ونهبوها وقتلوا أميرها وبعث المسترشد الى البرسقي فعذله في إهماله أمر ديبس حتى فعل في البصرة ما فعل فبادر الى قصره وهرب ديبس واستولى^(٢) على البصرة وولى عليها عماد الدين زنكي بن اقسقر فأحسن حمايتها والدفاع عنها وكبس العرب في حلهم بضواحيها وأجفلوا ثم عزل البرسقي سنة ثمان عشرة عن شحنة بغداد وعاد الى الموصل فاستدعى عماد الدين زنكي من البصرة فضجر من ذلك وقال كل يوم للموصل جديد يستجدنا وسار الى السلطان ليكون في جملة فلما قدم عليه بأصبهان أقطعه البصرة وأعادها عليها من قبله ثم ملك البرسقي مدينة حلب سنة ثمان عشرة وقتل بها سنة تسع عشرة وكان ابنه عز الدين مسعود بجلب فبادر الى الموصل وأقام ملك أبيه بها ووقع الخلاف بين المسترشد والسلطان محمود وبعث الخليفة عفيفا الخادم الى واسط لينزع عنها نواب السلطان محمود فسار اليه عماد الدين زنكي من البصرة وقاتله فهزمه ونمي عفيف الى المسترشد^(٣) وأقام عماد الدين في واسط وأمره أن يحضر بالعساكر في السفن وفي البر فجمع السفن من البصرة وشحنها بالمقاتلة شاكي السلاح وأصعد في البرّ وقدم على السلطان وقد تسلحت العساكر فهاله منظرهم ووهن المسترشد لما رأى فأجابه الى الصلح .

(١) كذا بياض بالاصل : ويتضح من وقائع هذه المعركة كما ذكرها ابن الاثير في الكامل ج ١٠ ص ٦٠٩ ان تصويب العبارة ينبغي ان يكون : فانهمزم ديبس وابلى عماد الدين في ذلك المقام .

(٢) اي واستولى المسترشد على البصرة كما يتضح من العبارة التي بعدها .

(٣) كذا بالاصل ، ويظهر ان هنا عبارة سقطت اثناء النسخ أو الطبع ، وفي الكامل ج ١٠ ص ٦٣٦ : وأقام الخليفة بالجانب الغربي فلما حضر عيد الاضحى خطب الناس وصلى بهم ، فبكى الناس لخطبته وارسل عفيفا الخادم وهو من خواصه في عسكر الى واسط لينزع عنها نواب السلطان فارسل السلطان اليه عماد الدين زنكي بن اقسقر وكان له حينئذ البصرة وقد فارق البرسقي واتصل بالسلطان فاقطعه البصرة . فلما وصل عفيف الى واسط سار اليه عماد الدين فنزل بالجانب الشرقي ، وكان عفيف بالجانب الغربي فارسل اليه عماد الدين بجذره القتال ويأمره بالانتراح عنها فأبى ولم يفعل . فعبر اليه عماد الدين واقتلوا فانهمزم عسكر عفيف وقتل منهم مقتلة عظيمة ، وأسرفلهم وتغافل عن عفيف حتى نجا لمودة كانت بينها .

* (ولاية زنكي شحنة بغداد والعراق) *

ولما ظهر من عماد الدين زنكي من الكفاءة والغناء في ولاية البصرة وواسط ما ظهر ثم كان له المقام المحمود مع السلطان محمود على بغداد كما مرّ ولاه شحنة بغداد والعراق لما رأى انه يستقيم اليه في أمور الخليفة بعد أن شاور أصحابه فأشاروا به وذلك سنة احدى وعشرين وسار عن بغداد بعد أن ولاه على كرسي ملكه بأصهبان والله تعالى أعلم .

* (ولاية عماد الدين زنكي على الموصل واعمالها) *

قد قدّمنا أن عز الدين مسعود بن البرسقي لما قتل الباطنية أباه بالموصل وكان نائبه بحلب فبادر الى الموصل وضبط أمورها وخاطب السلطان محمودا فولاه مكان أبيه وكان شجاعاً قرماً فطمع في ملك الشام فسار وبدأ بالرحبة فحاصرها حتى استأمن اليه أهل القلعة وطرقه مرض فمات وتفرقت عساكره ونهب بعضهم بعضاً حتى شغلوا عن دفنه وكان جاولى مولى أبيه مقدّم العساكر عنده فنصب مكانه أخاه الاصغر وكاتب السلطان في تقرير ولايته وأرسل في ذلك الحاجب صلاح الدين محمد الباغي سياني والقاضي أبا الحسن علي بن القاسم الشهرزوري فأوصى صلاح الدين صهره جقري فيما جاء فيه وكان شيعه لعماد الدين زنكي فخوّف الحاجب وحذره مغبة حاله معه وأشار عليه وعلى القاضي بطلب عماد الدين زنكي وضمن لها عنده الولايات والاقطاع وركب القاضي مع الحاجب الى الوزير شرف الدين أنو شروان بن خالد وذكر له حال الجزيرة والشام واستيلاء الافرنج على أكثرها من ماردین الى العريش وأنها تحتاج الى من يكف طغيانهم وابن البرسقي المنصوب بالموصل صغير لا يقوى على مدافعتهم وحماية البلاد منهم ونحن قد خرجنا عن العهدة وأنهننا الامر اليكم فرجع الوزير قولها الى السلطان فشكرهما واستدعاهما واستشارهما فيمن يصلح للولاية فذكرا جماعة وأدرجا فيهم عماد الدين زنكي وبذلا عنه مالا جزيلا لخزانة السلطان فأجابها اليه لما يعلم من كفياته وولاه البلاد كلها وكتب منشوره بها وشافهه بالولاية وسار الى ولايته فبدأ بالفوارع وملكها ثم سار الى الموصل وخرج جاولى والعساكر للقائه ودخل الموصل في رمضان سنة احدى وعشرين وبعث جاولى واليا على الرحبة وولى على القلعة نصير الدين جقري وولى على حجابته صلاح الدين الباغي سياني وعلى القضاء ببلاده جميعا بهاء الدين الشهرزوري وزاد في اقطاعه وكان لا يصدر الا عن رأيه ثم خرج الى جزيرة ابن عمر وبه موالى البرسقي

فامتنعوا عليه وحاصرهم وكان بينه وبين البلد دجلة فعبرها وبين دجلة والبلد فسيح من الارض فعبر دجلة وقاتلهم في ذلك الفسيح وهزمهم فتحصنوا بالاسوار ثم استأمنوا فدخل البلد وملكه وسار لنصيبين وكانت لحسام الدين تمرتاش بن أبي الغازي صاحب ماردين فاستنجد عليه ابن عمه ركن الدولة داود بن سقمان صاحب كيفا فوعده بالنجدة وبعث حسام الدين بذلك الى أهل نصيبين يأمرهم بالمصابرة عشرين يوما الى حين وصوله فسقط في أيديهم لعجزهم عن ذلك واستأمنوا لعباد الدين فأمنهم وملكها وسار عنها لسنجار فامتنعوا عليه أولا ثم استأمنوا وملكها وبعث منها الى الخابور فملك جميعه ثم سار الى حران وكانت الرها وسروج البيرة في جوارها للافرنج وكانوا معهم في ضيقة فبادر أهل حران الى طاعته وأرسل الى جوسكين وهادنه حتى يتفرغ له فاستقرّ بينهما لصلح والله تعالى أعلم .

* (استيلاء الاتابك زنكي على مدينة حلب) *

كان البرسقي قد ملك حلب وقلعتها سنة ثمانية عشر واستخلف عليها ابنه مسعودا ثم قتل الباطنية البرسقي بالموصل فبادر ابنه مسعود الى الموصل واستخلف على حلب الامير قرمان ثم عزله وبعث بولايتها الى الامير قطلع آية ففنه قرمان وقال بيني وبينه علامة لم أرها في التوقيع فرجع الى مسعود فوجده قد^(١) الرحبة فعاد الى حلب مسرعا ومال اليه أهل البلد ورئيسها مضاليل بن ربيع وأدخلوه وملكوه واسترلوا قرمان من القلعة وأعطوه ألف دينار وبلغوه مأمنه وملك قطلع القلعة والبلد منتصف احدى وعشرين ثم ساءت سيرته وفحش ظلمه واشتمل عليه الاشرار فاستوحش الناس منه وثاروا به في عيد الفطر من السنة وقبضوا على أصحابه وولوا عليهم بدر الدولة سليمان بن عبد الجبار بن ارتق الذي كان ملكها من قبل وحاصروا قطلع بالقلعة ووصل حسان صاحب منبج وحسن صاحب مراغة لاصلاح الامر فلم يتمّ وزحف جوسكين صاحب الرها من الافرنج الى حلب فصانعوه بالمال ورجع فرحف صاحب انطاكية وحاصر البلد وهم يحاصرون القلعة الى منتصف ذي القعدة من آخر السنة وانتهى عماد الدين زنكي الى صاحب حران كما ذكرناه فبعث الى أهل حلب أميرين من أصحابه بتوقيع السلطان له بالموصل والجزيرة والشام فبادروا الى الطاعة وسار اليه بدر الدولة ابن عبد الجبار وقطلع آية وأقام أحد الاميرين بحلب ولما وصلا الى عماد الدين أصلح بينهما

(١) كذا بياض بالاصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٦٤٩ : فعاد قتلغ أبه الى مسعود وهو يحاصر الرحبة فوجده قد مات فعاد الى حلب مسرعا .

وأقاما عنده وبعث الحاجب صلاح الدين محمد الباغيسياني في عسكر اليها فلك القلعة ورتب الامور وولى ثم وصل عماد الدين بعده في محرم سنة اثنتين وعشرين وملك في طريقه من يد حسان ومراغة من يد حسن وتلقاه أهل حلب فاستولى وأقطع أعمالها للامراء والاجناد ثم قبض على قطلغ آية وأسلمه الى ابن بديع فكحله ومات واستوحش ابن بديع فلحق بقلعة جعفر مستنجدا بصاحبها وأقام عماد الدين مكانه في رئاسة حلب علي بن عبد الرزاق وعاد الى الموصل والله أعلم .

* (استيلاء الاتابك زنكي على مدينة حماة) *

ثم سار عماد الدين زنكي لجهاد الافرنج وعبر الفرات الى الشام واستنجد تاج الملوك بوري بن طغركين صاحب دمشق فأنجده بعد التوثق باستحلافه وبعث عسكره من دمشق الى ابنه سونج وأمره بالمسير الى زنكي فلما وصلوا اليه أكرمهم ثم غدر بهم بعد أيام وقبض على سونج والامراء الذين معه فاعتقلهم بحلب ونهب خيامهم وبادر الى حماة وهي خلو من الحامية فلكها وسار عنها الى حمص وصاحبها قيرجان بن قراجا معه في عساكره وهو الذي أشار بحبس سونج وأصحابه فقبض عليه يظن أهل حمص يسلمون بلادهم اليه فامتنعوا وبعث اليهم قيرجان بذلك فلحق اليها فحاصرها مدة وامتنعت عليه فعاد الى الموصل ومعه سونج بن بوري والله أعلم .

* (فتح عماد الدين حصن الاثارب وهزيمة الافرنج) * (١)

ولما عاد عماد الدين الى الموصل أراح عساكره أياما ثم تجهز سنة أربع وعشرين الى الغزو وعاد الى الشام فقصد حلب واعترم على قصد حصن الاثارب وهو على ثلاثة فراسخ من حلب وكان الافرنج الذين به قد ضيقوا على حلب فسار اليه وحاصره وجاء الافرنج من انطاكية لدفاعه فاستغرغوا فتبعهم وترك الحصن وسار اليهم واستمات المسلمون فانهزم الافرنج وأسر كثير من زعمائهم وقتل كثير حتى بقيت عظامهم ماثلة بذلك الموضع أكثر من ستين سنة ثم عاد الى حصن الاثارب فلكه عنوة وخرّبه وتقسّم جميع من فيه بين القتل والاسر وسار الى

(١) قال ابو الفدا ومن الاماكن المشهورة بالشام : الاثارب بالهمزة المفتوحة والثاء المثناة والف وراء مهملة وباء موحدة .

قلعة حارم^(١) قرب انطاكية وهي للافرنج فحاصرها حتى صالحوه على نصف خراجها فراجع عنها وملئ الافرنج رعبا منه ومن استبداد المسلمين به وذهب ما كان عندهم من الطمع .

* (واقعة عماد الدين مع بني ارتق) *

ولما فرغ عماد الدين من غزو الافرنج وفتح الاثارب وقلعة حارم عاد الى الجزيرة وحاصر مدينة سرخس وهي لصاحب ماردين بينها وبين نصيبين فاجتمع حسام الدين صاحب ماردين وركن الدولة صاحب آمد وهما لابي الغازي صاحب ماردين ابن حسام الدين تمرتاش بن أبي الغازي وصاحب كيفا ركن الدولة داود بن سقمان وتمرتاش بن ارتق وجمعوا من التركمان نحو من عشرين ألفا وساروا للدافعة زنكي فهزمهم وملك سرخس وسار ركن الدولة الى جزيرة ابن عمر لينهبها فاتبعه عماد الدين فرجع الى بلده فعاد عنه لضيق مسالكه وملك من قلاعه همرود ورجع الى الموصل الى آخره .

* (حصول ديبس بن صدقة في أسر الاتابك زنكي) *

قد تقدّم لنا أنّ ديبس بن صدقة لما فارق البصرة سار الى سرخد من قلاع الشام سنة خمس وعشرين باستدعاء الجارية التي خلفها الحسن هنالك ليتزوج بها وأنه مرّ في الغوطة يحيى من أحياء كلب فأسروه وحملوه الى تاج الملوك صاحب دمشق وبلغ الخبر الى الاتابك زنكي وكان عدوّا له فبعث فيه الى تاج الملوك بوري وفادى من ابنه سونج والامراء الذين معه عنده فأطلقهم وبعث بوري اليه بديس وهو مستيقن الهلاك فلما وصله أكرمه وأحسن اليه وأزاح عنه وبعث المسترشد فيه الى بوري بن بطركين صاحب دمشق فوجده قد فات بتسلمه الى زنكي فذمّ الرسل زنكي فيما فعله فأرصد لهم في طريقهم وسيقوا اليه وهم سديد الدولة بن الانباري وأبو بكر بن نشر الجزري فحبسهما حتى شفع فيهما المسترشد وبقي ديبس عنده حتى انحدر معه الى العراق .

(١) حارم : من اعمال حلب ، وهي بلدة صغيرة ذات قلعة وأشجار واعين ونهر صغير . قال ابن سعيد : هو حصن كثير الارزاق . وقد خص بالرمان الذي يظهر باطنة مع عدم العجم وكثرة المياه (ابي الفداء) .

* (مسير الاتابك زنكي الى العراق

لمظاهرة السلطان مسعود وانهمامه) *

ولما توفي السلطان محمود سنة خمس وعشرين واختلف ولده داود وأخوه مسعود وسار داود الى مسعود وحاصره بتريز في محرم سنة ست وعشرين ثم صالحه وخرج مسعود من تبريز واجتمعت عليه العساكر وسار الى همدان وبعث يطلب الخطبة من المسترشد فثبته وكتب الاتابك عماد الدين زنكي يستنجد به وسار الى بغداد فحاصرها وكان قد سبق اليها أخوه سلجوق شاه صاحب فارس وخوزستان مع أتابك قراجا الشامي في عسكر كثير وأنزله المسترشد بدار السلطان فلما جاء مسعود ونزل عباسية وبرز عسكر المسترشد وعسكر سلجوق شاه وقراجا الشامي لمحاربة مسعود فأتاهم الخبر بوصول عماد الدين زنكي من راءهم وأنه وصل الى المعشوب فرجع قراجا الشامي الى محاربته وسار سلجوق شاه بالعساكر الى محاربة أخيه مسعود وأغذ قراجا السير وصبح عماد الدين بعد يوم وليلة على المعشوب وقاتله وهزمه وأسر كثيرا من أصحابه وسار زنكي منهزماً الى (١) والنائب بها نجم الدين أيوب بن شادي والد السلطان صلاح فتأخر ثم اصطالح مع الخليفة على أن يكون العراق له والسلطنة لمسعود وولاية العهد لسلجوق شاه وذلك منتصف سنة ست وعشرين .

* (مسير الاتابك عماد الدين الى بغداد بابنه وانهمامه) *

قد قدّمنا ما كان بعد وفاة السلطان محمود من الخلاف بين ابنه داود وأخوه مسعود وسلجوق شاه ثم استقرّ مسعود في السلطنة وصلحه مع أخيه سلجوق على أن يكون وليّ عهده ثم أنّ السلطان سنجر سار من خراسان يطلب السلطنة لطغرل ابن أخيه السلطان محمود وكان عنده مقيماً فبلغ همدان وخرج السلطان مسعود وسلجوق شاه للقائه وساروا متباطئين ينتظرون لحاق المسترشد بهم وخرج المسترشد الى (٢) فجاءته الاخبار بوصول الاتابك زنكي ودييس بن صدقة الى بغداد فذكر ديس أنّ السلطان سنجر

(١) كذا بياض بالاصل وفي الكامل ج ١٠ ص ٦٧٥ : وسار زنكي منهزماً الى تكريت فغير فيها دجلة وكان الدوادار بها حينئذ نجم الدين أيوب .

(٢) كذا بياض بالاصل وفي الكامل : فلما علم الخليفة بذلك اسرع العود اليها وعبر الى الجانب الغربي ، وسار فترل بالعباسية ونزل عماد الدين بالمانارية من دجيل والتقى بحضن البرامكة سابع عشر رجب .

أقطعه الحلة وبعث يسترضي فلم يشفعه وذكر الاتابك زنكي ان السلطان سنجر ولاء شحنة بغداد واستمر السلطان مسعود وأخوه سلجوق على المسير للقاء سنجر وكانت الهزيمة على مسعود كما مر فعاد المسترشد الى بغداد ونزل العباسية من الجانب الغربي ولقي الاتابك زنكي ودبيس على حصن البرامكة فهزمها أخرج سنة ست وعشرين ولحق الاتابك بالموصل .

* (واقعة الافرنج على أهل حلب) *

وفي غيبة الاتابك زنكي سار ملك الافرنج من القدس الى حلب فخرج نائبا عن الاتابك زنكي وهو الامير اسوار وجمع التركمان مع عساكره وقاتل الافرنج عند قنسرين وصابرهم ومحص الله المسلمين وانهزموا الى حلب وسار ملك الافرنج في أعمال حلب ظافراً ثم سار بعض الافرنج من الرها للغارة في أعمال حلب فخرج اليهم الامير اسوار ومعه حسان التغلبي الذي كان صاحب منبج فأوقعوا بهم واستلحموهم وأسروا من بقي منهم وعادوا ظافرين .

* (حصار المسترشد الموصل) *

ولما وقع ما قدّمناه من وصول زنكي الى بغداد وانهزاه أمام المسترشد فقد عليه المسترشد ذلك وأقام يتربص ثم كثر الخلاف بين سلاطين السلجوقية واعترضهم جماعة من أمرائهم فرارا من الفتنة ولحقوا بالخليفة وأقاموا في ظله فأراد الخليفة المسترشد أن يتصف بهم من الاتابك زنكي فقدم اليه بهاء الدين أبا الفتوح الاسقر ابن الواعظ وحمله عتاباً أغلظ فيه وزاده الواعظ غلظة حفظاً على ناموس الخلافة في معتقده فامتعض الاتابك لما شافه به وأهانته وحبسه وأرسل المسترشد الى السلطان مسعود^(١) على قصد الموصل وحاصرها لما وقع من زنكي ثم سار في شعبان سنة سبع وعشرين الى الموصل في ثلاثين ألف مقاتل فلما قارب الموصل فارقه الاتابك زنكي الى سنجار وترك نائبه بها نصر الدين جقري وجاء المسترشد فحاصرها والاتابك زنكي قد قطع الميرة عن معسكره فتعذرت الاقوات وضائق عليهم الاحوال وأرادت جماعة من أهل البلد الوثوب بها وسعي بهم فأخذوا وصلبوا ودام الحصار ثلاثة أشهر وامتنعت عليه فأفرج عنها وعاد الى بغداد وقيل ان مطر الخادم جاءه من بغداد وأخبره أن السلطان مسعوداً عازم على قصد العراق فعاد مسرعاً .

(١) كذا بياض بالاصل وفي الكامل ج ١١ ص ٥ : فارسل المسترشد بالله الى السلطان مسعود يعرفه الحال الذي جرى من زنكي ويعرفه انه على قصد الموصل وحاصرها .

* (ارتجاع صاحب دمشق مدينة حماة) *

قد كنا قدّمنا أنّ الاتابك زنكي تغلب على حماة من يد تاج الملوك بوري بن طغركين صاحب دمشق سنة ثلاث وعشرين وأقامت في ملكه أربع سنين وتوفي تاج الملوك بوري في رجب سنة ست وعشرين وولى بعده ابنه شمس الملوك اسمعيل وملك بانياس من الفرنج في صفر سنة سبع وعشرين ثم بلغه أنّ المسترشد بالله حاصر الموصل فسار هو الى حماة وحاصرها وقتلها يوم الفطر ويومين بعده فملكها عنوة واستأمنوا فأمنهم ثم حصر الوالي ومن معه بالقلعة فاستأمنوا أيضا واستولى على ما فيها من الذخائر والسلاح وسار منها الى قلعة شيرز فحاصرها ابن منقذ فحمل اليه مالا صانعه به وعاد الى دمشق في ذي الحجة من السنة .

حصار الاتابك زنكي قلعة آمد واستيلاؤه على قلعة النصور ثم حصار قلاع الحميدية

وفي سنة ثمان وعشرين وخمسمائة اجتمع الاتابك زنكي صاحب الموصل وصاحب ماردين على حصار آمد واستنجد صاحبها بدادود بن سقمان صاحب كيفا فجمع العساكر وسار اليها ليدافعها عنه وقتلاه فهزماه وقتل كثير من عسكره وأطالا حصار آمد وقطعا شجرها وكرومها وامتنعت عليهما فرحلا عنها وسار زنكي الى قلعة النصور من ديار بكر فحاصرها وملكها منتصف رجب من السنة .وفد عليه ضياء الدين أبو سعيد بن الكفرتوئي فاستوزره الاتابك وكان حسن الطريقة عظيم الرياسة والكفاية محبا في الجند وتوفي سنة ست وثلاثين بعدها ثم استولى الاتابك على سائر قلاع الاكراد الحميدية مثل قلعة العقر وقلعة سوس وغيرها وكان لما ملك الموصل أمر صاحب هذه القلاع الامير عيسى الحميري على ولايتها فلما حاصر المسترشد الموصل قام في خدمته أحسن القيام وجمع له الاكراد فلما عاد المسترشد الى بغداد من قتال الاتابك زنكي فحاصر قلاعهم وحاصرتها العساكر وقتلوا قتالا شديدا حتى ملكوها في هذه السنة ورفع الله شرهم عن أهل السواد المحاربين لهم فقد كانوا منهم في ضيقة من كثرة عيهم في البلاد وتخريبهم والله تعالى أعلم .

* (استيلاء الاتابك على قلاع الهكارية وقلعة كواشي) *

حدث ابن الاثير عن الجنيبي أن الاتابك زنكي لما ملك قلاع الحميدية وأجلاهم عنها خاف أبو الهيجاء من عبدالله على قلعة أشب والجزيرة وكواشي فاستأ من الاتابك واستحلفه وحمل له مالا ثم وفد عليه بالموصل بعد أن أخرج ابنه أحمد من أشب خشية أن يغلب عليها وأعطاه قلعة كواشي وولى على أشب رجلا من الكرد واسمه باد الأرمني وابنه أحمد هذا هو أبو علي بن أحمد المشطوب من أمراء السلطان صلاح الدين ولما مات أبو الهيجاء واسمه موسى وسار أحمد الى أشب ليملكها فامتنع عليه باد وأراد حفظها لعلّ الصغير من بني أبي الهيجاء فسار الاتابك زنكي في عساكره ونزل على أشب وبرز أهلها لقتاله واستجرهم حتى أبعدها ثم كرّ عليهم فأفانهم قتلا وأسرا وملك القلعة في الحال وسبق اليه باد في جماعة من مقدمي الاكراد وقتلهم وعاد الى الموصل ثم سار غازياً في بعض مذاربه فبعث نائبه نصر الدين جقري عسكرا ونحى كنجاورسى وقلعة العمادية وحاصروا قلعة الشغبان وفرح وكواشي والزعفراني والغبيّ وأوسر وسفروه وهي حصون الهكارية فحصرها وملكها جميعا واستقام أمر الجبل والزوزن وأمنت الرعية من الاكراد وأما باقي قلاع الهكارية وهي حل وصورا وهزور والملايسي ويامرما ومانرحا وباكرا ونسرفان قراجا صاحب العمادية فتحها بعد قتل زنكي بمدة طويلة كان أميراً على تلك الحصون الهكارية من قبل زين الدين علي على ما قال ابن الاثير ولم أعلم تاريخ فتح هذه القلاع فلماذا ذكرته هنا قال وحدثني بخلاف هذا الحديث بعض فضلاء الاكراد أن أبا بكر زنكي لما فتح قلعة اسب وحرساني وقلعة العمادية ولم يبق في الهكارية الا صاحب جبل صورا وصاحب هزور لم يكن لهما شوكة يخشى منها ثم عاد الى الموصل وخافه أهل القلاع الجليلة ثم توفي عبدالله بن عيسى بن ابراهيم صاحب الرية والغبي وفرح وملكها بعده ابنه علي وكانت أمّه خديجة ابنة الحسن أخت ابراهيم وعيسى وهما من الامراء مع زنكي بالموصل فأرسلها ابنها علي الى أخويها المذكورين وهما خاله ليستأمنها له من الاتابك فاستحلفاه وقدم عليه فأقره على قلاعه واستقلّ بفتح قلاع الهكارية وكان الشغبان هذا الأمير من المهرانية اسمه الحسن بن عمر فأخذه منه وخرّبه لكبره وقلة أعماله وكان نصر الدين جقري يكره عليا صاحب الرية والغبي وفرح فسعى عند الاتابك في حبسه فأمره بحبسه ثم ندم وكتب اليه أن يطلقه فوجده قد مات فاتهم نصر الدين بقتله ثم بعث العساكر الى قلعة الرحية فنازلوها بغتة وملكوها عنوة وأسروا ولد علي وأخوته ونجت أمّه خديجة لمغيها

وجاء البشير الى الاتابك بفتح الرية فسر ذلك وبعث العساكر الى ما بقي من قلاع علي فأبي الا أن يزيدوه قلعة كواشي فضت خديجة أم علي الى صاحب كواشي من المهرانية واسمه جرك راهروا وسألته النزول عن كواشي لاطلاق اسراهم ففعل ذلك وتسلم زنكي القلاع وأطلق الاسرى واستقامت له جبال الاكراد والله تعالى أعلم .

* (حصار الاتابك زنكي مدينة دمشق) *

كان شمس الملوك اسمعيل بن بوري قد اغلّ أمره وضعفت دولته واستطال عليه الافرنج وخشي عاقبه أمرهم فاستدعى الاتابك زنكي سرّاً لملكه دمشق ويريح نفسه وشعر بذلك أهل دولته فشكوا الى أمّه فوعدهم الراحة منه ثم اغتالته فقتلته وجاء الاتابك زنكي فقدم رسله من الفرات فألفوا شمس الملوك قد مات وولي مكانه أخوه محمود واشتمل أهل الدولة عليه ورجعوا الخبر الى الاتابك فلم يحفل به وسار حتى نزل بظاهر دمشق واشتدّ أهل الدولة على مدافعتهم ومقدمهم معين الدين أربوه أتابك طغركين ثم بعث المسترشد أبا بكر بن بشر الجزري الى الاتابك زنكي فأمره بصلح صاحب دمشق فصالحه ورحل عنه منتصف السنة والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (فتنة الراشد مع السلطان مسعود ومسيره الى الموصل وخلعه) *

كان كثير من أمراء السلجوقية قد اجتمعوا على الانتقاص على السلطان مسعود والخروج عليه ولحق داود ابن السلطان محمود من أذربيجان ببغداد في صفر سنة اثنين وثلاثين فأنزّل بدار السلطنة وراسله أولئك الامراء وقدم عليه بعضهم مثل صاحب قزوین وصاحب أصهبان وصاحب الاهواز وصاحب الجبلّة وصاحب الموصل الاتابك زنكي وخرجت اليمم العساكر من بغداد وولى داود شحنة بغداد وخرج موكب الخليفة مع الوزير جلال الدين الرضي وكان الخليفة قد تغير عليه وعلى قاضي القضاة الزينبي فسمع بهم الاتابك ثم وقعت العزيمة من الراشد والسلطان داود والاتابك زنكي وحلف كل منهم لصاحبه وبعث الراشد الى الاتابك بمائتي ألف دينار ووصل سلجوق شاه الى واسط وقبض على الامير بك آبه ونهب ماله فانحدر الاتابك زنكي لمدافعتهم فاصطالحا وعاد زنكي الى بغداد ومر على جميع العساكر لقتال السلطان مسعود وخرج على طريق خراسان وبلغهم أن السلطان مسعود سار الى بغداد

فعاد اليها ثم عاد الملك داود وجاء السلطان مسعود فقتل على بغداد وحاصره نيفا وخمسين يوما وارتحل الى النهروان ثم قدم عليه طرطاي صاحب واسط بالسفن فرجع الى بغداد وعبر الى الجانب الغربي ثم اختلف العسكر ببغداد ورجع الملك داود الى ولايته بأذربيجان وافترق الامراء الذين معه ولحق الراشد بالاتبك زنكي في نفر من أصحابه وهو بالجانب الغربي وسار معه الى الموصل ودخل السلطان مسعود الى بغداد منتصف ذي القعدة سنة ثلاثين واستقر بها وسكن الناس وجمع القضاة والفقهاء وعرض عليهم يمين الراشد بخطه بأنه متى جمع أو خرج لحرب السلطان فقد خلع نفسه فأفتوا بخلعهم ثم وقعت الشهادات من أهل الدولة وغيرهم الى الراشد بموجبات العزل وكتب وأفتى الفقهاء عقبا باستحقاق العزل وحكم به القاضي المعين حينئذ لغية قاضي القضاة بالموصل مع الراشد ونصب للخلافة^(١) ابن المستظهر وجاء رسول الاتبك زنكي الى بغداد وهو القاضي كمال الدين محمد بن عبدالله الشهرزوري وبايع^(٢) بعد أن ثبت عنده الخلع وانصرف الى الاتبك باقطاع من خاص الخليفة ولم يكن ذلك لاحد قبله وعاد كمال الدين الى الاتبك وحمل كتب الخلع فحكم بها قاضي القضاة بالموصل وانصرف الراشد عن الموصل الى أذربيجان كما مرّ في أخبار الخلفاء والسلجوقية والله تعالى وليّ التوفيق .

* (غزاة العساكر حلب الى الافرنج) *

ثم اجتمعت عساكر حلب^(٣) مع الامير اسوار نائب الاتبك زنكي بحلب في شعبان سنة ثلاثين وساروا غازين الى بلاد الافرنج وقصدوا اللاذقية على غرة فنالوا منها وانساحوا في بسائطها واكتسحوها وامتلاّت أيديهم من الغنائم وخرّبوا بلاد اللاذقية وما جاورها وخرجوا على شيرز وملؤا الشام بالأتراك والظهور وهن الافرنج لذلك والله سبحانه وتعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده .

(١) كذا بياض بالاصل وهو الامير أبو عبدالله بن المستظهر (قبل الخلافة) ولقب بعد الخلافة المقتني لأمير الله (الكامل ج ١١ ص ٤٢ — ٤٥) .

(٢) كذا بياض بالاصل وفي الكامل ج ١١ ص ٤٣ : وبلغني ان السلطان مسعود ارسل الى الخليفة المقتني لأمر الله في تقرير اقطاع يكون لخاصته فكان صوابه : ان في الدار ثمانين بغلاً تنقل الماء من دجلة فليظن السلطان ما يحتاج اليه من يشرب هذا الماء ويقوم به فتقررت القاعدة على ان يجعل له ما كان للمستظهر بالله ، فأجابه الى ذلك . وقال السلطان لما بلغه قوله لقد جعلنا في الخلافة رجلاً عظيماً .

(٣) كذا بياض بالاصل ، وفي الكامل : في هذه السنة في شعبان اجتمعت عساكر اتابك زنكي صاحب حلب وحجة مع الامير اسوار نائبه بحلب وقصدوا بلاد الفرنج على حين غفلة .

حصار الاتابك زنكي مدينة حمص واستيلاؤه على بغدوين وهزيمة الافرنج واستيلاؤه على حمص

ثم سار الاتابك في العساكر في شعبان سنة احدى وثلاثين الى مدينة حمص وبها يومئذ معين الدين ابن القائم بدولة صاحب دمشق وحمص من أقطاعه فقدم اليه صاحبه صلاح الدين الباغيسياني في تسليمها فاعتذر بأن ذلك ليس من الاصابة فحاصرها والرسل تردّد بينهما وامتنعت عليه فرحل عنها الى بغدوين من حصون الافرنج في شوال من السنة فجمع الافرنج وأوعبوا وزحفوا اليه واشتدّ القتال بينهم ثم هزم الله العدو ونجا المسلمين منهم ودخل ملوكهم الى حصن بغدوين فامتنعوا به وشدّ الاتابك حصاره وذهب القسوس والرهبان الى بلاد النصرانية من الروم والافرنج يستنجدونهم على المسلمين ويخوفونهم استيلاء الاتابك على قلعة بغدوين وما يخشي بعد ذلك من ارتجاعهم بيت المقدس وجدّ الاتابك بعد ذلك في حصارها والتضييق عليها حتى جهدهم الحصار ومنع عنهم الاخبار ثم استأمنوا على أن يحملوا اليه خمسين ألف دينار فأجابهم وملك القلعة ثم سمعوا بمسير الروم والافرنج لانجادهم وكان الاتابك خلال الحصار قد فتح المعرة وكفرطاب^(١) في الولايات التي بين حلب وحماة ووهن الافرنج ثم سار الاتابك زنكي في محرم سنة اثنين وثلاثين الى بعلبك وملك حصن الممدل من أعمال صاحب دمشق وبعث اليه نائب باساس بالطاعة كذلك ثم كانت حادثة ملك الروم ومنازلته حلب كما نذكره فسار الى سلمية ولما انجلت حادثة الروم رجع إلى حصار حمص وبعث إلى محمود صاحب دمشق في خطبة أمه مردخان بنت جاولي التي قتلت ابنها فتزوجها وملك حمص وقلعتها وحملت الخاتون إليه في رمضان وظنّ أنه يملك دمشق بزواجها فلم يحصل على شيء من ذلك والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده .

* (مسير الروم الى الشام وملكهم مراغة) * (٢)

ولما استنجد الافرنج ببغدوين ملك أم النصرانية كما مرّ جمع ملك الروم بالقسطنطينية وركب البحر سنة احدى وثلاثين ولحقته أساطيله وسار الى مدينة قيقية فحاصرها وصالحوه

(١) كذا بياض بالاصل ، ولم نعر في المراجع التي بين ايدينا على التصوب .

(٢) وفي الكامل : بزاعة ج ١١ ص ٥٦ .

بالمال وسار عنها الى اذنة والمصيصة وهما لابن ليون الارمني صاحب قلاع الدروب فحاصرها وملكها وسار الى عين زربة فملكها عنوة وملك تل حمدون ونقل أهله الى جزيرة قبرص ثم ملك مدينة انطاكية في ذي القعدة من السنة وبها رعيد من ملوك الافرنج فصالحه ورجع الى بفراس ودخل منها بلاد ابن ليون فصالحه بالاموال ودخل في طاعته ثم خرج الى الشام أول سنة اثنتين وثلاثين وحاصر مراغة على ستة فراسخ من حلب وبعثوا بالصرىخ الى الاتابك زنكي فبعث بالعساكر الى حلب لحمايتها وقاتل ملك الروم مراغة فملكها بالامان منتصف السنة ثم غدر بهم واستباحهم ورحل الى حلب فترل بدابق ومعه الافرنج^(١) ورجعوا من الغد الى حلب وحاصروها ثلاثا فامتنعت عليهم وقتل عليها بطريق كبير منهم ورحل عنها الى قلعة الاتاود في شعبان من السنة فهرب عنها أهلها ووضع الروم بها الاسرى والسبي وأنزلوها حامية وبعث اليهم أسوار نائب حلب عسكرا فقتلوا الحامية وخلصوا الاسرى والسبي ورحل الاتابك من حصن الاثارب بعد فتحه الى سلمية وقطع الفرات الى الرقة واتبع الروم فقطع عنهم الميرة وقصد الروم قلعة شيزروها سلطان ابن علي بن مقلد بن نصر بن منقذ الكناني فحاصروها ونصبوا المجانيق عليها واستصرخ صاحبها بالاتابك زنكي فسار اليه ونزل نهر العاصي بين شيزروها وبعث السرايا تحتطف من حول معسكر الروم وبعث الى الروم يدعوهم الى المناجزة والتزول الى البسيط فخافوا عن ذلك فرجع الى التضريب بين الروم والافرنج يحذر أحد الفريقين من الآخر حتى استراب كل بصاحبه فرحل ملك الروم في رمضان من السنة بعد حصار شيزروها أربعين يوماً وأتبعه الاتابك فلحقهم واستلحمهم واستباحهم ثم أرسل القاضي كمال الدين محمد بن عبدالله الشهرزوري الى السلطان مسعود يستنجده على العدو ويحذره الروم واستيلاءهم على حلب وينحدرون من الفرات الى بغداد فوضع القاضي كمال الدين في جامع القصر من ينادي بصريخ المسلمين والخطيب على المنبر وكذا في جامع السلطان فعظم الصراخ والبكاء وتسايلت العوام من كل جانب وجاءوا الى دار السلطان في تلك الحالة وقد وقع العويل والصراخ فعظم الهول على السلطان مسعود وجهز عسكراً عظيماً وخاف القاضي كمال الدين غائلته ثم وصل الخبر برحيل ملك الروم فأخبر القاضي السلطان مسعود بذلك و^(٢) من مسير

(١) كذا بالاصل : عبارة مرتبة وفي الكامل ج ١١ ص ٥٦ : ثم رحلوا الى حلب من الغد في خيلهم ورجلهم فخرج اليهم احداث حلب فقاتلوه قاتلاً شديداً .

(٢) كذا بياض بالاصل ، وفي الكامل : واذا قد وصلني كتاب اتابك زنكي في الشام بخبر رحيل ملك الروم ويأمرني بأن لا استصحب من العسكر احداً . فعرفت السلطان ذلك فقال العسكر قد تجهز ولا بد من الغزاة الى الشام ، فبعد الجهد وبذل الخدمة العظيمة له ولأصحابه حتى أعاد العسكر . ج ١١ ص ٥٨ .

* (استيلاء الاتابك زنكي على بعلبك) *

ثم قتل محمود صاحب دمشق سنة ثلاث وثلاثين في شوال كما مرّ في أخبار دولتهم وكانت أمّه زمرّد خان متروّجة بالاتابك كما مرّ فبعثت اليه وهو بالجزيرة تعرفه بالخبر وتطلب منه أن يسير الى دمشق ويثأر بولدها من أهل دولته فسار لذلك واستعدّ أهل دمشق للحصار ثم قصد الاتابك مدينة بعلبك ونزلها وكان ابن القائم بالدولة قد نصب كمال الدين محمد بن بوري بدمشق وتزوّج أمّه وبعث بجاريته الى بعلبك فلما سار الاتابك الى دمشق قدم رسله الى انز في تسليم البلد على أن يبذل له ما يريد فأبى من ذلك وسار الاتابك الى بعلبك فنازلها آخر ذي الحجة من السنة ونصب عليها المجانيق وشد حصارها حتى استأمنوا فلكها واعتصم الحامية بالقلعة حتى يشؤا من أنز فاستأمنوا الى الاتابك فلما ملكها قبض عليهم وصلّهم وتزوّج جارية انز ونقلها الى حلب الى أن بعثها ابنه نور الدين محمود الى صاحبها بعد موت الاتابك والله تعالى أعلم

* (حصار الاتابك زنكي مدينة دمشق) *

ثم سار الاتابك زنكي الى حصار دمشق في ربيع الأوّل من سنة أربع وثلاثين بعد الفراغ من بعلبك فترّل بالبقاع وأرسل الى جمال الدين محمد صاحبها في أن يسلمها اليه ويعوضه عنها بما شاء فلم يجب الى ذلك فرحف اليه ونزل داريا والتقت الطلائع فكان الظفر لاصحاب الاتابك ثم تقدم الى المصلي فترّل بها وقاتله أهل دمشق بالغوطة فظفر بهم وأثنّ فيهم ثم أمسك عن القتال عشرا يراود فيها صاحب دمشق وبذل له بعلبك وحمص وما يختاره من البلاد فجنح الى ذلك ولم يوافق أصحابه فعادت الحرب ثم توفي صاحب دمشق جمال الدين محمد في شعبان من السنة ونصب معين الدين انز مكانه ابنه محي الدين أمو وقام بأمره وطمع زنكي في ملك البلد فامتنعت عليه وبعث معز الدين انز الى الافرنج يستدعيهم الى النصر على الاتابك ويبذل لهم ويخوفهم غائلته ويشترط لهم اعانتهم على بانياس حتى يملكوها فأجاب الافرنج لذلك وأجفل زنكي الى حوران خامس رمضان من السنة معتزما على لقاءهم فلم يصلوا فعاد الى حصار دمشق وأحرق قراها وارتحل الى بلاده ثم وصل الافرنج وارتحل معين الدين انز في عساكر دمشق الى بانياس وهي للاتابك زنكي ليوفي

للافرنج بشرطه لهم فيها وقد كان نائبا سار للاغارة على مدينة صور ولقيه في طريقه صاحب انطاكية ذاهبا الى دمشق منجداً فهزم عسكر بانياس وقتلوا ولحق فلهم بالبلد وقد وهنوا وحاصرهم معين الدين انز والاfrنج وملكها عنوة وسلمها للافرنج وأحفظه ذلك وفرق العسكر في حوران وأعمال دمشق وسار هو فصاحب دمشق ولم يعلموا بمكانه فبرزوا اليه وقتلوه وقتل منهم جماعة ثم احجم عنهم لقلعة من معه وارتحل الى مرج راهط في انتظار عساكره فلما توافوا عنده عاد الى بلاده .

* (استيلاء الاتابك على شهرزور وأعمالها) *

كان شهرزور بيد قفجاق بن ارسلان شاه أمير التركان وصالحهم وكانت الملوك تتجافى عن أعماله لامتناعها ومضايقتها فعظم شأنه واشتمل عليه التركان وسار اليه الاتابك زنكي سنة أربع وثلاثين فجمع ولقيه فظفر به الاتابك واستباح معسكره وسار في اتباعه فحاصر قلاعه وحصونه وملك جميعها واستأ من اليه قفجاق فأمنه وسار في خدمته وخدمة بنيه بعده الى آخر المائة ثم كان في سنة خمس وثلاثين بين الاتابك زنكي وبين داود بن سقمان صاحب كيفا فتنة وحروب وانهمز داود وملك الاتابك من بلاده قلعة همراد وادركه^(١)

فعاد الى الموصل ثم سار الاتابك الى مدينة الحرمية فملكها سنة ست وثلاثين ونقل آل مهارش الذين كانوا بها الى الموصل ورتب أصحابه مكانهم ثم خطب له صاحب آمد وصار في طاعته بعد أن كان مع داود عليه ثم بعث الاتابك لسنة سبع وثلاثين عسكرا الى قلعة أشهب وهي أعظم من حصون الاكراد الهكارية وأمنعها وفيها أهلهم وذخائرهم فحاصرها وملكها وأمره الاتابك بتخريبها وبنى قلعة العبادية عوضا عنها وكانت خربت قبل ذلك لاتساعها وعجزهم عن حمايتها فأعيدت الآن وكان نصير الدين نائب الموصل قد فتح أكثر القلاع الحربية والله تعالى أعلم .

* (صلح الاتابك مع السلطان مسعود) *

* (واستيلاؤه على أكثر ديار بكر) *

كان السلطان مسعود ملك السلجوقية قد حقد على الاتابك زنكي شأن الخارجين على طاعته من أهل الاطراف وينسب ذلك اليه وكان يفعل ذلك مشغلة للسلطان عنه فلما فرغ

(١) كذا بياض بالاصل ، ولم نعثر بالمصادر التي بين ايدينا على اسم المكان الذي أدركه به .

السلطان مسعود من شواغله سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة سار الى بغداد عازما على قصد الاتابك وحصار الموصل فأرسل الاتابك يستعطفه ويستميله على أن يدفع اليه مائة ألف دينار ويعود عنه فشرع في ذلك وحمل منها عشرين ألفا ثم حدثت الفتنة على السلطان فاحتاج الى مداراته وترك له الباقي وبالع هو في مخالصة السلطان بحيث ان ابنه غازي كان عند السلطان فهرب الى الموصل فبعث الى نائبها نصير الدين جقري يمنعه من دخولها ويبعث الى ابنه بالرجوع الى خدمة السلطان وكتب الى السلطان بأن ابني هرب للخوف من تغيير السلطان عليه وقد أعدته الى الخدمة ولم ألفه وأنا مملوكك والبلاد لك فوقع ذلك من السلطان أحسن المواقع ثم سار الاتابك الى ديار بكر ففتح طره واسعد وحران وحصن الرزق وحصن تطليت وحصن ياسنه وحصن ذي القرنين وغير هذه وملك أيضا من بلاد ماردين^(١) الافرنج حملين والمودن وتل موزر وغيرها من بلاد حصون سجستان وأنزل بها الحامية وقصد آمد فحصرها وسير عسكرا الى مدينة غانة من أعمال الفرات فملكها والله تعالى أعلم .

* (فتح الرها وغيرها من أعمال الافرنج) *

كان الافرنج بالرها وسروج والبيرة قد أضروا بالمسلمين جوارهم مثل آمد ونصيبين ورأس عين والركة وكان زعيمهم ومقدمهم بتلك البلاد جوسكين الزعيم ورأى الاتابك أنه يوري عن قصدهم بغيره لئلا يجمعوا له فوري بغزو ديار بكر كما قلناه و^(٢) جوسكين وعبر الفرات من الرها الى غزنة وجاء الخبر بذلك الى الاتابك فارتحل متصفا جمادي الاخرة سنة تسع وثلاثين وحرّض المسلمين وحثم على عدوّهم ووصل الى الرها وجوسكين غائب عنها فالتحجز الافرنج بالبلد وحاصروهم شهرا وشدّ في حصارهم وقتلهم ولج في ذلك قبل اجتماع الافرنج ومسيرهم اليه ثم ضعف سورها فسقطت ثلثة منه وملك البلد عنوة ثم خاصر القلعة وملكها كذلك ثم ردّ على أهل البلد ما أخذ منهم وأنزل فيه حامية وسار الى سروج وجميع البلاد التي بيد الافرنج شرقيا فملكها جميعا الا البيرة لامتناعها فأقام يحاصرها حتى امتنعت ورحل عنها والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) هنا بياض بالاصل ، ولم نعثر بالمصادر التي بين ايدينا على التصويب .

(٢) كذا بياض بالاصل ، في جميع النسخ ولم نعثر في المراجع التي بين ايدينا على تصويب العبارة ومقتضى السياق . فوري بغزو ديار بكر كما قلناه ، وخدع جوسكين وعبر الفرات .

مقتل نصير الدين جقري نائب الموصل وولاية زين الدين على كجك مكانه بالقلعة

كان استقرّ عند الاتابك زنكي بالموصل الملك البارسلان ابن السلطان محمد ويلقب الخمفاجي وكان شبيها به وتوهم^(١) السلطان ان البلاد له وأنه نائبه ويتنظر وفاة السلطان مسعود فيخطب له ويملك البلد باسمه وكان يتردد له ويسعى في خدمته فدخله بعض المفسدين في غيبة الاتابك وزين له قتل نصير الدين النائب والاستيلاء على الموصل فلما دخل اليه أغرى به أجناد الاتابك ومواليه فوثبوا به وقتلوه في ذي القعدة سنة تسع وثلاثين ثم ألقوا برأسه الى أصحابه يحسبون أنهم يفترون فاعصوبوا واقتحموا عليه الدار ودخل عليه القاضي تاج الدين يحيى ابن الشهرزوري فأوهمه بطاعته وأشار عليه بالصعود الى القلعة ليستولي على المال والسلاح فركب وصعد معه وتقدّم الى حافظ القلعة وأشار عليه بأن يمكنه من الدخول ثم يقبض عليه فدخل ودخل معه الذين قتلوا نصير الدين فحبسهم والى القلعة وعاد القاضي الى البلد وطار الخبر الى الاتابك زنكي بحصار البيرة فخشى اختلاف البلد وعاد الى الموصل وقدم زين الدين على ابن كجك وولاه القلعة مكان نصير الدين وأقام ينتظر الخبر وخاف الافرنج الذين بالبيرة من عودته اليهم فبعثوا الى نجم الدين صاحب ماردين وسلموها له فملكها المسلمون .

* (حصار زنكي حصن جعبر وفنك) *

ثم سار الاتابك زنكي سنة احدى وأربعين في المحرم الى حصن جعبر ويسمى دوس وهو مطل على الفرات وكان لسالم بن مالك العقيلي أقطعه السلطان ملك شاه لاييه حين أخذ منه حلب وبعث جيشا الى قلعة فنك على فرسخين من جزيرة ابن عمر فحاصروها وصاحبها يومئذ حسام الدين الكردي فحاصر قلعة جعبر حتى توسط الحال بينهما حسان المنبجي ورغبه ورهبه وقال في كلامه من يمنعك منه فقال الذي منعك أنت من مالك بن بهرام وقد حاصر حسان منبج فأصابه في بعض الايام سهم فقتله وأفرج عن حسان وقدر قتل الاتابك كذلك والله تعالى أعلم .

(١) بياض بالاصل ، ومقتضى السياق : وتوهم ان يخدع السلطان ان البلاد له .

* (مقتل الاتابك عماد الدين زنكي) *

كان الاتابك عماد الدين زنكي بن اقسقر صاحب الموصل والشام محاصراً لقلعة جعبر كما ذكرنا واجتمع جماعة من مواله اغتالوه ليلاً وقتلوه على فراشه ولحقوا بجعبر وأخبروا أهلها فنادوا من السور بقتله فدخل أصحابه اليه وألقوه يحود بنفسه وكان قتله لخمس من ربيع الآخر سنة احدى وأربعين عن ستين سنة من عمره ودفن بالرقعة وكان يوم قتل أبوه ابن سبع سنين ولما قتل دفن بالرقعة وكان حسن السياسة كثير العدل مهيباً عند جنده عمر البلاد وأمنها وأنصف المظلوم من الظالم وكان شجاعاً شديد الغيرة كثير الجهاد ولما قتل رحل العسكر عن قلعة فنك وصاحبها غفار قال ابن الاثير سمعته يزعمون أن لهم فيها نحو ثلثائة سنة وفيهم رفادة وعصية ويحIRON كل من يلجأ اليهم والله أعلم .

* (استيلاء ابنه غازي على الموصل) *

وابنه الآخر محمود على حلب) *

ولما قتل الاتابك زنكي نزع ابنه نور الدين محمود خاتمه من يده وسار به الى حلب فاستولى عليها وخرج الملك البارسلان ابن السلطان محمود واجتمعت عليه العساكر وطمع في الاستقلال بملك الموصل وحضر ابنه جمال الدين محمد بن علي ابن متولي الديوان وصلاح الدين محمد بن الباغيستاني الحاجب وقد اتفقا فيما بينهما على حفظ الدولة لاصحابها وحسناً لألبارسلان ما هوفيه من الاشتغال بلذاته وأدخلاه الرقة فانغمس بها وهما يأخذان العهود على الامراء لسيف الدين غازي وبيعثانهم الى الموصل وكان سيف الدين غازي في مدينة شهرزور وهي أقطاعه وبعث اليه زين الدين على كوجك نائب القلعة بالموصل يستدعيه ليحضر عنده وسار البارسلان الى سنجار والحاجب وصاحبه معه ودسوا الى نائبيها بأن يعتذر للملك البارسلان بتأخره حتى يملك الموصل فساروا الى الموصل ومروا بمدينة (١) وقد وقف العسكر فأشاروا على البارسلان بعبور دجلة الى الشرق وبعثوا الى سيف الدين غازي بخبره وقلعة عسكره فأرسل اليه عسكراً فقبضوه وجاؤا به فحبسه بقلعة الموصل واستولى سيف الدين غازي على الموصل والجزيرة وأخوه نور الدين محمود على حلب ولحق به صلاح الدين الباغيستاني فقام بدولته والله سبحانه وتعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده .

(١) بياض بالأصل في هذه النسخة وفي نسخة ثانية : مدينة سنجار .

* (عصيان الرها) *

ولما قتل الاتابك زنكي ملك الرها جوسكين كان جوسكين مقباً في ولايته بتل باشر وما جاورها فراسل أهل الرها وعامتهم من الأرمن وحملهم على العصيان على المسلمين وتسليم البلد له فأجابوه وواعدوه ليوم عينه فسار في عساكره وملك البلد وامتنعت القلعة وبلغ الخبر إلى نور الدين محمود وهو بجلب فأغذ السير إليها وأجفل جوسكين إلى بلده ونهب نور الدين المدينة وسبأ أهلها وارتحلوا عنها وبعث سيف الدين غازي العساكر إليها فبلغهم في طريقهم ما فعله نور الدين فعادوا وذلك سنة احدى وأربعين ثم قصد صاحب دمشق بعد قتل الاتابك حصن بعلبك وبه نجم الدين أيوب بن شادي نائب الاتابك فابطأ عليه انجاد بنيه فصالح صاحب دمشق وسلم له بعلبك على اقطاع ومال أعطاه اياه وعشر قرى من بلاد دمشق وانتقل معه إلى دمشق فسكنها وأقام بها ثم سار نور الدين محمود سنة اثنتين وأربعين من حلب إلى الافرنج ففتح مدينة ارتاج عنوة وحاصر حصوناً أخرى وكان الافرنج بعد قتل الاتابك يظنون أنهم يستردون ما أخذهم منهم فبدأ لهم ما لم يكونوا يحتسبون ولما قتل الاتابك زنكي طمع صاحب ماردين وصاحب كيفا أن يستردوا ما أخذ من بلادهم فلما تمكن سيف الدين غازي سار إلى أعمال ديار بكر فملك دارا وغيرها وتقدم إلى ماردين وحاصرها وعاث في نواحيها حتى ترحم صاحبها حسام الدين تمر تاش على الاتابك مع عداوته ثم أرسل إلى سيف الدين غازي وصالحه وزوجه بنته فعاد إلى الموصل وزفت إليه وهو مريض فهلك قبل زفافها وتزوجها أخوه قطب الدين من بعده والله أعلم .

* (مصاهرة سيف الدين غازي لصاحب دمشق) *

* وهزيمة نور الدين محمود للافرنج *

كان تقدم لنا في دولة بني طغركين موالى دقاق بن تشش أن ملك اللان من الافرنج سار سنة ثلاث وأربعين وحاصر دمشق بجموع الافرنج وبها محي الدين ارتق بن بوري بن محمد بن طغركين في كفالة معين الدين أنز مولى^(١) فبعث معين الدين إلى سيف الدين غازي بن أتابك زنكي بالموصل يدعوه إلى نصرته المسلمين فجمع عساكره وسار إلى الشام

(١) بياض بالأصل وفي الكامل ج ١١ ص ٣٨ : مملوك جده طغركين ، وهو الذي اقام بحير الدين .

واستدعى أخاه نور الدين من حلب ونزلوا على حمص فأخذوا بحجزة الافرنج عن الحصار وقوي المسلمون بدمشق عليهم وبعث معين الدين الى طائفتي الافرنج من سكان الشام واللمان الواردين فلم يزل يضرب بينهم وجعل لافرنج الشام حصن بانياس طعمة على أن يرحلوا بملك اللمانين فقتلوا له في الذروة والغارب حتى رحل عن دمشق ورجع الى بلاده وراء قسطنطينية بالشمال وحسن أمر سيف الدين غازي وأخيه في الدفاع عن المسلمين وكان مع ملك اللمان حين خرج الى الشام ابن ادفونش ملك الجلالقة بالاندلس وكان جدّه هو الذي ملك طرابلس الشام من المسلمين حين خروج الافرنج الى الشام فلما جاء الآن مع ملك اللمان ملك حصن العريمة وأخذ في منازلة طرابلس ليملكها من القمص فأرسل القمص الى نور الدين محمود ومعين الدين أنز وهما مجتمعان بيبعلبك بعد رحيل ملك اللمانين عن دمشق وأغراهما بابن ادفونش ملك الجلالقة واستخلاص حصن العريمة من يده فسارا لذلك ستة ثلاث وأربعين وخمسمائة وبعث الى سيف الدين وهو بحمص فأمدّهما بعسكر مع الامير عز الدين أبي بكر الديسي صاحب جزيرة ابن عمر وحاصروا حصن العريمة أياماً ثم نقضوا سوره وملكوه على الافرنج وأسروا من كان به من الافرنج ومعهم ابن ادفونش وعاد الى سيف الدين عسكره ثم بلغ نور الدين ان الافرنج تجمعوا في بيقو من أرض الشام للاغارة على أعمال حلب فسار اليهم وقتلهم وهزمهم وأنخن فيهم قتلاً وأسرا وبعث من غنائمهم وأسراهم الى أخيه سيف الدين غازي والى المقتي الخليفة انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (وفاة سيف الدين غازي

وملك أخيه قطب الدين مودود) *

ثم توفي سيف الدين غازي بن الاتابك زنكي صاحب الموصل منتصف أربع وأربعين وخمسمائة لثلاث سنين وشهرين من ولايته وخلف ولدا صغيرا ربي عند عمه نور الدين محمود وهلك صغيرا فانقرض عقبه وكان كريماً شجاعاً متسع المائدة يطعم بكرة وعشية مائة رأس من الغنم في كل نوبة وهو أول من حمل الصنّجق^(١) على رأسه وأمر بتعليق السيوف بالمناطق وترك التوشع بها وحمل الدبوس في حلقة السرج وبني المدارس للفقهاء والربط للفقراء ولما أنشده حيص يبص الشاعر يمدحه .

(١) كلمة تركية تعني العلم .

الام يراك المجد في زي شاعر * وقد نخلت شوقاً اليك المنابر
فوصله بألف مثقال سوى الخلع وغيرها ولما توفي سيف الدين غازي انتقض الوزير جمال الدين وأمير الجيوش زين الدين علي وجاؤا بقطب الدين مودود وبادروا الى تملكه واستخلفوه وحلفوا له وركب الى دار السلطنة وزين الدين في ركابه فبايعوا له وأطاعه جميع من في أعمال أخيه بالموصل والجزيرة وتزوج الخاتون بنت حسام الدين تمرتاش صاحب ماردين التي هلك أخوه قبل زفافها فكان ولده كلهم منها والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (استيلاء السلطان محمود على سنجار) *

ولما ملك قطب الدين مودود الموصل وكان أخوه نور الدين محمود بالشام وكان أكبر منه وله حلب وحماة كاتبه جماعة من الامراء بعد أخيه غازي وفيمن كاتبه نائب سنجار المقدم عبد الملك فبادر اليه في سبعين فارساً من أمرائه وسبق أصحابه في يوم مطير الى مساكن ودخل البلد ولم يعرفوا منه الا أنه أمير من جند التركمان ثم دخل على الشحنة بيته فقبل يده وأطاعه ولحق به أصحابه وساروا جميعاً الى سنجار وأغذ السير فقطع عنه أصحابه وتوصل الى سنجار في فارسين ونزل بظاهر البلد وبعث الى المقدم فوصله وكان قد سار الى الموصل وترك ابنه شمس الدين محمد بالقلعة فبعث في أثر أبيه وعاد من طريقه وسلم سنجار الى نور الدين محمود فملكها واستدعى فخر الدين قري ارسلان صاحب كيفا لمودة بينها فوصل في عساكره وبلغ الخبر الى قطب الدين صاحب الموصل ووزيره جمال الدين وأمير جيشه زين الدين فساروا الى سنجار للقاء نور الدين محمود وانتهاوا الى تل اعفر ثم خاموا عن لقائه وأشار الوزير جمال الدين بمصالحته وسار اليه بنفسه فعقد معه الصلح وأعاد سنجار على أخيه قطب الدين وسلم له أخوه مدينة حمص والرحبة والشام فانفرد بملك الشام وانفرد أخوه قطب الدين بالجزيرة واتفقا وعاد نور الدين الى حلب وحمل ما كان لابيهم الاتابك زنكي من الذخيرة واتفقا وعاد نور الدين الى حلب وحمل ما كان لابيهم الاتابك زنكي من الذخيرة لسنجار وكانت لا يعبر عنها والله تعالى أعلم .

* (غزو نور الدين الى انطاكية وقتل صاحبها وفتح افاميا) *

ثم غزا نور الدين سنة أربع وأربعين الى انطاكية فعاث فيها وخرّب كثيراً من حصونها وبينما

هو يحاصر بعض الحصون اجتمع الافرنج وزحفوا اليه فلقبهم وحاربهم وأبلى في ذلك الموقف فهزم الافرنج وقتل البرنس صاحب انطاكية وكان من عتاة الافرنج وملك بعده ابنه سمند طفلاً وتزوجت أمه برنس آخر يكفل ولدها ويدبر ملكها فغزاه نور الدين ولقوه فهزمهم وأسّر ذلك البرنس الثاني وتمكن الطفل سمند من ملكه بانطاكية ثم سار نور الدين سنة خمس وأربعين الى حصن اقاميا بين شيزر وحماة وهو من أحسن القلاع فحاصروه وملكه وشحنه حامية وسلاحاً واقواتاً ولم يفرغ من أمره الا والافرنج الذي بالشام جمعوا وزحفوا اليه وبلغهم الخبر فقاموا عن اللقاء وصالحوه في للهادنة فعقد لهم انتهى .

* (هزيمة نور الدين جوسكين وأسرجوسكين) *

ثم جمع نور الدين بعد ذلك وسار غازيا إلى بلاد زعيم الإفرنج وهي تل باشروعتاب وعذار وغيرها من حصون شمالي حلب فجمع جوسكين لمدافعتة عنها ولقيه فاقتتلوا ومحص الله المسلمين واستشهد كثير منهم وأسروا آخرون وفيهم صاحب صلاح نور الدين فبعثه جوسكين إلى الملك مسعود بن قليج أرسلان يعيره به لئلا كان صهره نور الدين على ابنته فعظم ذلك عليه وأعمل الحيلة في جوسكين وبذل المال لأحياء التركمان البادين بضواحيه أن يحتالوا في القبض عليه ففعلوا وظفر به بعضهم فشاركهم في إطلاقه على مال وبعث من يأتي به وشعر بذلك وإلى حلب أبو بكر بن الرامة فبعث عسكرياً ليسوا من ذلك الحي جاؤا بجوسكين أسيراً إلى حلب وثار نور الدين إلى القلاع فملكها وهي تل باشروعتاب وعذار وتل خالد وقورص وداوندار ومرج الرصاص وحصن النادة وكفرشود وكفرلات ودلوكا ومرعش ونهر الجود وشحنها بالأقوات وزحف إليه الإفرنج ليدافعوه فلقبهم على حصن جلدك وإنهزم الإفرنج وأثنى المسلمون فيهم بالقتل والاسرور ورجع نور الدين إلى دلوكا ففتحها وتأخر فتح تل باشر منها إلى أن ملك نور الدين دمشق واستأمنوا إليه وبعث إليهم حسان المنبجي فسلمها منهم وحصنها وذلك في سنة تسع وأربعين وخمسمائة والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (استيلاء نور الدين على دمشق) *

كان الإفرنج سنة ثمان وأربعين قد ملكوا عسقلان من يد العلوية خلفاء مصر واعترضت دمشق بين نور الدين وبينهما فلم يجد سبيلاً إلى المدافعة عنها واستطال الإفرنج على دمشق

بعد ملكهم عسقلان ووضعوا عليها الجزية واشترطوا عليهم تخيير الأسرى الذين بأيديهم في الرجوع إلى وطنهم وكان بها يومئذ مجير الدين أنز بن محمد بن بوري بن طغركين الأتابك واهن القوى مستضعف القوة فخشي نور الدين عليها من الإفرنج وربما ضايق مجير الدين بعض الملوك من جيرانه فيفزع إلى الإفرنج فيغلبون عليه وأمعن النظر في ذلك وبدأ أمره بمواصلة مجير الدين وملاطفته حتى استحكمت المودة بينهما حتى صار يداخله في أهل دولته ويرميهم عنده أنهم كاتبوه فيوقع الآخر بهم حتى هدم أركان دولته ولم يبق من أمرائه إلا الخادم عطاء بن حفاظ وكان هو القائم بدولته فغصى به نور الدين وحال بينه وبين دمشق فأغرى به صاحبه مجير الدين حتى نكبه وقتله وخلت دمشق من الحامية فصار حينئذ نور الدين مجاهراً بعداوة مجير الدولة ومتجنباً عليه واستنجد بالإفرنج على أن يعطيهم الأموال وسلم لهم بعلبك فجمعوا واحتشدوا وفي خلال ذلك عمد نور الدين إلى دمشق سنة سبع وأربعين وكتب جماعة من أحداثها ووعدهم من أنفسهم فلما وصل ثاروا بمجير الدين ولحاً إلى القلعة وملك نور الدين المدينة وحاصره بالقلعة وبذل له إقطاعاً منها مدينة حمص فصار إليها مجير الدين وملك نور الدين القلعة ثم عوضه عن حمص ببالس فلم يرضها ولحق ببغداد وابتنى بها داراً وأقام بها إلى أن توفي والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (استيلاء نور الدين على تل باشر وحصاره قلعة حارم) *

ولما فرغ نور الدين من أمر دمشق بعث إليه الإفرنج الذين في تل باشر في شمالي حلب واستأنموا إليه ومكنوه من حصنهم فتسلمه حسان المنبجي من كبراء أمراء نور الدين سنة تسع وأربعين ثم سار سنة إحدى وخمسين إلى قلعة بهرام بالقرب من إنطاكية وهي لسمند أمير إنطاكية من الإفرنج فحاصرها واجتمع الإفرنج لمدافعته ثم خاموا عن لقائه وصالحوه على نصف أعمال حارم فقبل صلحهم ورحل عنها والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق بمنه وكرمه .

* (استيلاء نور الدين على شيزر) *

شيزر هذه حصن قريب من حماة على نصف مرحلة منها على جبل منيع عال لا يسلك إليه إلا من طريق واحدة وكانت لبني منقذ الكنانيين يتوارثون ذلك من أيام صالح بن مرداس صاحب حلب من أعوام عشرين وأربعمائة إلى أن انتهى ملكه إلى المرهف نصر بن علي بن

نصير بن منقذ بعد أبيه أبي الحسن علي فلما حضره الموت سنة تسعين وأربعمائة عهد لأخيه أبي سلمة بن مرشد وكان عالماً بالقرآت والأدب وولي مرشد أخاه الأصغر سلطان بن علي وكان بينهما من الإتفاق والملاءمة ما لم يكن بين إثنين ونشأ لمرشد بنون كثيرون ^(١) في السود منهم عز الدولة أبو الحسن علي ومؤيد الدولة أسامة وولده علي وتعدّد ولده ونافسوا بني عمهم وفشت بينهم السعيايات فمأسكوا المكان مرشد والثثامه بأخيه فلما مات مرشد سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة تنكر أخوه سلطان لولده وأخرجهم من شيزر ففترقوا وقصد بعضهم نور الدين فامتعض لهم وكان مشتغلا عنهم بالإفرنج ثم توفي سلطان وقام بأمر شيزر أولاده وراسلوا الإفرنج فحقق نور الدين عليهم لذلك ثم وقعت الزلازل بالشام وخرب أكثر مدنه مثل حماة وحمص وكفرطاب والمعرّة وأفامية وحصن الأكراد وعرة ولاذقية وطرابلس وإنطاكية هذه سقطت جميعها وتهدّمت سنة اثنتين وخمسين وما سقط بعضه وتهدّمت أسواره فأكثر بلاد الشام وخشي نور الدين عليها من الإفرنج فوقف بعساكره في أطراف البلاد حتى رم ما تثلم من أسوارها وكان بنو منقذ أمراء شيزر قد اجتمعوا عند صاحبها منهم في دعوة فأصابتهم الزلزلة مجتمعين فسقطت عليهم القلعة ولم ينج منهم أحد وكان بالقرب منها بعض أمراء نور الدين فبادر وصعد إليها وملكها منه نور الدين ورم ما تثلم من أسوارها وجدّد بناءها فعادت كما كانت هكذا قال ابن الأثير وقال ابن خلكان وفي سنة أربع وسبعين وأربعمائة استولى بنو منقذ على شيزر من يد الروم والذي تولى فتحها منهم علي بن منقذ بن نصر بن سعد وكتب إلى بغداد بشرح الحال ما نصه كتابي من حصن شيزر حماه الله وقد رزقني الله من الإستيلاء على هذا المعقل العظيم ما لم يتأت لمخلوق في هذا الزمان وإذا عرف الأمر على حقيقته علم أني هزبر هذه الأمة وسليمان الجنّ والمردة وأنا أفرق بين المرء وزوجه واستترل القمر من محله أنا أبو النجم وشعري شعري نظرت إلى هذا الحصن فرأيت أمراً يذهل الأبواب يسع ثلاثة آلاف رجل بالأهل والمال وتمسكه خمس نسوة فعمدت إلى تل بينه وبين حصن الروم يعرف بالخواص ويسمى هذا التل بالحصن فعمرته حصناً وجمعت فيه أهلي وعشيرتي ونفرت نفرة على حصن الخواص فأخذته بالسيف من الروم ومع ذلك فلما أخذت من به من الروم أحسنت إليهم وأكرمتهم ومزجتهم بأهلي وعشيرتي وخلطت خنازيرهم بغنمي ونواقيسهم بصوت الأذان ورأى أهل شيزر فعلي ذلك فأنسوا بي ووصل إليّ منهم قريب من نصفهم فبالغت في إكرامهم ووصل إليهم مسلم بن قريش العقيلي فقتل

(١) بياض بالأصل وفي الكامل ج ١١ ص ٢١٩ : فأولد مرشد عدة أولاد ذكور وكهروا وسادوا .

من أهل شيزر نحو عشرين رجلاً فلما إنصرف مسلم عنهم سلموا إليّ الحصن إنتهى كتاب علي بن مقصد وبين هذا الذي ذكره ابن خلكان والذي ذكره ابن الأثير نحو خمسين سنة وما ذكره ابن الأثير أولى لأنّ الإفرنج لم يملكوا من الشام شيئاً في أوائل المائة الخامسة والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (استيلاء نور الدين على بعلبك) *

كانت بعلبك في يد الضحاك البقاعي نسبة إلى بقاعة^(١) والآن عليها صاحب دمشق فلما ملك نور الدين دمشق إمتنع ضحاك ببعلبك وشغل نور الدين عنه بالإفرنج فلما كانت سنة اثنتين وخمسين إستترله نور الدين عنها وملكها والله أعلم .

* (استيلاء أخيه نور الدين على حران ثم إرتجاعها) *

كان نور الدين سنة أربع وخمسين وخمسمائة بحلب ومعه أخوه الأصغر أمير أميران فرض نور الدين بالقلعة واشتدّ مرضه فجمع أخوه وحاصر قلعة حلب وكان شيركوه بن شادي أكبر أمرائه بمحصر فلما بلغه لأزحاف^(٢) سار إلى دمشق ليملكها وعليها أخوه نجم الدين أيوب ففكر عليه وأمره بالمسير إلى حلب حتى يتبين حياة نور الدين من موته فأغذ السير إلى حلب وصعد القلعة وأظهر نور الدين للناس من سطح مشرف فافترقوا عن أخيه أمير أميران فسار إلى حران فملكها فلما أفاق نور الدين سلمها إلى زين الدين علي كجك نائب أخيه قطب الدين بالموصل وسار إلى الرقة فحاصرها والله تعالى وليّ التوفيق .

خبر سليمان شاه وحبسه بالموصل ثم مسيره منها إلى السلطنة بهمدان

كان الملك سليمان شاه ابن السلطان محمد بن ملك شاه عند عمه السلطان سنجر بخراسان وقد عهد له بملكه وخطب باسمه على منابر خراسان فلما حصل سنجر في أسر العدو سنة ثمان وأربعين وخمسمائة كما مرّ في أخبار دولتهم واجتمعت العساكر على سليمان شاه هذا وقدموه

(١) وهي البقاع وفي الكامل بقاع بعلبك .

(٢) كذا بالأصل ولم نعثري المراجع التي بين أيدينا على التصويب والأصح : الزحف .

فلم يطق مقاومة العدو فضى إلى خوارزم شاه وزوجه ابنة أخيه ثم بلغه عنه ما ارتاب له فأخرجه من خوارزم وقصد أصبهان فمنعه الشحنة من الدخول فقصد قاشان فبعث إليه محمد شاه ابن أخيه محمود عسكرياً دافعوه عنها فسار إلى خراسان فمنعه ملك شاه منها فقصد النجف ونزل^(١) وأرسل للخليفة المستنصر وبعث أهله وولده رهناً بالطاعة

واستأذن في دخول بغداد فأكرمهم الخليفة^(٢) وأذن له وخرج ابن الوزير ابن هبيرة لتلقيه في الموكب وفيه قاضي القضاة والتقياً ودخل بغداد وخلع عليه آخر سنة خمسين وبعد أيام أحضر بالقصر واستخلف بحضرة قاضي القضاة والأعيان وخطب له ببغداد ولقب ألقاب أبيه وأمر بثلاثة آلاف فارس وسار نحو بلاد الجبل في ربيع سنة إحدى وخمسين ونزل الخليفة حلوان واستنفر له ابن أخيه ملك شاه صاحب همذان فقدم إليه في ألبي فارس وجعله سليمان شاه ولياً عهده وأمدّهما الخليفة بالمال والسلاح ولحق بهما أيلدكر صاحب الري فكثرت جموعهم وبعث السلطان محمد إلى قطب الدين مودود صاحب الموصل وزين الدين كجك علي نائبه في المظاهرة والأنجاد وسار إلى لقاء سليمان شاه فانهمز وتمزق عسكرياً وفارقه أيلدكر فذهب إلى بغداد على طريق شهرزور وبلغ خبر الهزيمة إلى زين الدين علي كجك فخرج في جماعة من عسكري الموصل وقعد له بشهرزور ومعه الأمير إيراقي حتى مرّ بهم سليمان شاه فقبض عليه زين الدين وحمله إلى الموصل فحبسه بها مكرماً وطير إلى السلطان محمود بالخبر فلما هلك السلطان محمود بن محمد سنة خمس وخمسين أرسل أكابر الأمراء من همذان إلى قطب الدين أتاكب وزيره ووزيراً له وتعاهدوا على ذلك وجهزه قطب الدين جهاز الملك وسار معه زين الدين علي كجك في عسكري الموصل إلى همذان فلما قاربوا بلاد الجبل تابعت العساكر والإمداد للقائهم إرسالاً واجتمعوا على سليمان شاه وجروا معه على مذاهب الدولة فخشيم زين الدين على نفسه وفارقهم إلى الموصل وسار سليمان شاه إلى همذان فكان من أمرهم ما تقدّم في أخبار الدولة السلجوقية .

(١) كذا بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ١١ ص ٢٠٦ : ونزل البندنجين ، وأرسل رسولاً إلى الخليفة المقتني يعلمه بوضوئه .

(٢) كذا بياض بالأصل عبارة مرتبكة . وفي الكامل فأكرم الخليفة زوجته ومن معها ، وأذن له في القدوم فقدم معه عسكري خفيف يبلغون ثلاثمائة رجل : ج ١١ ص ٢٠٦ .

حصار قلعة حارم وانهزام نور الدين إمام الإفرنج ثم هزيمتهم وفتحها

ثم جمع نور الدين محمود عساكر حلب وحاصر الإفرنج بقلعة حارم وجمعوا لمدافعتهم ثم خاموا عن لقاءه ولم يناجزوه وطال عليه أمرها فعاد عنها ثم جمع عساكره وسار سنة ثمان وخمسين معتمراً على غزو طرابلس وانتهى إلى البقيعة تحت حصن الأكراد فكبسهم الإفرنج هنالك وأنحنوا فيهم ونجا نور الدين في الفلّ إلى بحيرة مرس قريباً من حمص ولحق به المنهزمون وبعث إلى دمشق وحلب في الأموال والخيام والظهر وأزاح علل العسكر وعلم الإفرنج بمكان نور الدين من حمص فنكبوا عن قصدها وسألوه الصلح فامتنع فأنزّلوا حاميتهم بحصن الأكراد ورجعوا وفي هذه الغزاة عزل نور الدين رجلاً يعرف بابن نصري تنصح له بكثرة خروجه بصلاته وصدقاته على الفقراء والفقهاء والصوفية والقراء إلى مصارف الجهاد فغضب وقال والله لا أرجو النصر إلا بأولئك فإنهم يقاتلون عني بسهام الدعاء في الليل وكيف أصرفها عنهم وهي من حقوقهم في بيت المال ذلك شيء لا يحل لي ثم أخذ في الاستعداد للأخذ بثاره من الإفرنج وسار بعضهم إلى ملك مصر فأراد أن يخالفهم إلى بلادهم فبعث إلى أخيه قطب الدين مودود صاحب الموصل وإلى فخر الدين قرا أرسلان صاحب كيفا وإلى نجم الدين وإلى صاحب ماردين بالنجدة فسار من بينهم أخوه قطب الدين وفي مقدمته زين الدين علي كجك صاحب جيشه ثم تبعه صاحب كيفا وبعث نجم الدين عسكره فلما توافت الإمداد سار نور الدين نحو حارم سنة تسع وخمسين فحاصرها ونصب عليها المجانيق واجتمع من بقي بالساحل من ملوك الإفرنج ومقدمهم البرنس سمند صاحب إنطاكية والقمص صاحب طرابلس وابن جوسكين واستنفر لهم أُمم النصرانية وقصدوه فأفرج عن حارم إلى إرتاج ثم خاموا عن لقاءه وعادوا إلى حصن حارم وسار في اتباعهم وناوشهم الحرب فحملوا على عساكر حلب وصاحب كيفا في ميمنة المسلمين فهزموها ومروا في اتباعهم وحمل زين الدين في عساكر الموصل على الصف فلقى الرجل فأنحن فيهم واستلحمهم وعاد الإفرنج من اتباع الميمنة فسقط في أيديهم ودارت رحا الحرب على الإفرنج فانهزموا ورجع المسلمون من القتل إلى الأسر فأسروا منهم أُمماً فيهم سمند صاحب إنطاكية والقمص صاحب طرابلس وبعث السرايا في تلك الأعمال بقصد إنطاكية لخلوها من الحامية فأبى وقال أخشى أن يسلمها أصحابها لملك الروم فإن سمند ابن أخته

ومجاورته أحق إليّ من مجاورة ملك الروم ثم عاج على قلعة حارم فحاصرها وافتتحها ورجع مظفراً والله يؤيد بنصره من يشاء عباده .

* (فتح نور الدين قلعة بانياس) *

ولما إفتتح نور الدين قلعة حارم أذن لعسكر الموصل وحصن كيفا بالإنتلاق إلى بلادهم وعزم على منازلة بانياس وكانت بيد الإفرنج من سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ثم ورى عنها بقصد طبرية فصرف الإفرنج همهم إلى حمايتها وخالف هو إلى بانياس لقلعة حاميتها فحاصرها وضيق عليها في ذي الحجة من سنة تسع وخمسين وكان معه أخوه نصير الدين أمير أميران فاصيب بسهم في إحدى عينيه وأخذ الإفرنج في الجمع لمدافعته فلم يستكملوا أمرهم حتى فتحها وشحن قلعها بالمقاتلة والسلاح وخافه الإفرنج فشاطروه في أعمال طبرية وضرب عليهم الجزية في الباقي ووصل الخبر بفتح حارم وبانياس إلى ملوكهم الذين ساروا إلى مصر فسبقهم بالفتح وعاد إلى دمشق ثم سار سنة إحدى وستين متجراً إلى حصن المنيطرة فنازلهم على غرة وملكه عنوة ولم يجتمع الإفرنج إلا وقد ملكه فافترقوا ويشوا من إرتجاعه والله تعالى أعلم .

* (وفادة شاور وزير العاضد بمصر على نور الدين العادل صريخاً وإنجاده بالعسكر مع أسد الدين شيركوه) *

كانت دولة العلويين بمصر قد أخذت في التلاشي وصارت إلى استبداد وزرائها على خلفائها وكان من آخر المسلمين بها شاور السعدي إستعمله الصالح بن زربك على قوص وندم فلما هلك الصالح بن زربك ^(١) وكان مستبداً على الدولة قام ابنه زربك مقامه فعزل شاور عن قوص فلم يرض بعزله وجمع وزحف إلى القاهرة فملكها وقتل زربك واستبد على العاضد ولقيه أمير الجيوش وكانت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ثم نازعه الضرغام وكان صاحب الباب ومقدم البرقية فثار عليه لسبعة أشهر من وزارته وأخرجه من القاهرة فلحق بالشام وقصد نور الدين محمود بن زنكي مستنجداً به على أن يكون له ثلث الجباية بمصر وقيم عسكر نور الدين بها مدداً له فاختر من أمرائه لذلك أسد الدين شيركوه بن شادي الكردي

(١) وفي الكامل ج ١١ ص ٢٩٠ الصالح بن زربك .

وكان بجمص وجهزه بالعساكر فسار لذلك في جمادي سنة تسع وخمسين وأتبعه نور الدين إلى أطراف بلاد الإفرنج فشغلها عن التعرض للعساكر وسار أسد الدين مع شاور وسار معه صلاح الدين ابن أخيه نجم الدين أيوب وانتها إلى بليس فلقبهم ناصر الدين أخو الضرغام في عساكر مصر فانهزم ورجع إلى القاهرة وأتبعه أسد الدين فقتله عند مشهد السيدة نفيسة رضي الله تعالى عنها وقتل أخوه وعاد شاور إلى وزارته وأقام أسد الدين بظاهر القاهرة ينتظر الوفاء بالعهد من شاور بما عاهد عليه نور الدين فنكث شاور العهد وبعث إليه بالرجوع إلى بلده فلجّ في طلب ضريته ورحل إلى بليس والبلاد الشرقية فاستولى عليها واستمدّ شاور عليه بالإفرنج فبادروا إلى ذلك لما كان في نفوسهم من تخوف غائلته وطمعوا في ملك مصر وسار نور الدين من دمشق ليأخذ بحجرتهم على المسير فلم يثبتم ذلك وتركوا ببلادهم حامية فلما قاربوا مصر فارقتها أسد الدين واجتمع الإفرنج وعساكر مصر فحاصروه ثلاثة أشهر يغادهم القتال ويرواحهم وجاءهم الخبر بهزيمة الإفرنج على حارم وما هيا الله لنور الدين في ذلك فراسلوا أسد الدين شريكه في الصلح وطووا عنه الخبر فصالحهم وخرج ولحق بالشام ووضع له الإفرنج المراصد بالطريق فعدل عنها ثم أعاده نور الدين إلى مصر سنة اثنتين وستين فسار بالعساكر في ربيع ونزل اطفح وعبر النيل وجاء إلى القاهرة من جانبها الغربي ونزل الجزيرة في عدوة النيل وحاصرها خمسين يوماً واستمدّ شاور بالإفرنج وعبر إلى أسد الدين فتأخر إلى الصعيد ولقيهم منتصف السنة فهزمهم وسار إلى ثغر الإسكندرية فملكها وولي عليها صلاح الدين ابن أخيه ورجع فدوّخ بلاد الصعيد وسارت عساكره مصر والإفرنج إلى الإسكندرية وحاصروا بها صلاح الدين فسار إليه أسد الدين فتلقوه بطلب الصلح فتمّ ذلك بينهم وعاد إلى الشام وترك لهم الإسكندرية وكتب شجاع بن شاور نور الدين بالطاعة عنه وعن طائفة من الامراء ثم استطال الإفرنج على أهل مصر وفرضوا عليهم الجزية وأنزلوا بالقاهرة الشحنة وتسلموا أبوابها واستدعوا ملكهم بالشام إلى الاستيلاء عليها فبادر نور الدين وأعاد أسد الدين في العساكر إليها في ربيع سنة أربع وستين فملكها وقتل شاور وطرده الإفرنج عنها وقدمه العاضد لوزارته والاستبداد عليه كما كان من قبله ثم هلك أسد الدين وقام صلاح الدين ابن أخيه مكانه وهو مع ذلك في طاعة نور الدين محمود وهلك العاضد فكتب نور الدين إلى صلاح الدين يأمره بإقامة الدعوة العباسية بمصر والخطبة للمستضيء ويقال أنه كتب له بذلك في حياة العاضد وبين يدي وفاته وهلك لخمسین يوماً أو نحوها فخطب للمستضيء العباسي وإنقرضت الدولة العلوية بمصر وذلك سنة سبع وستين كما تأتي على شرحه وتفصيله

في دولة بني أيوب إن شاء الله تعالى وقعت خلال ذلك فتنة بين نور الدين محمود وبين صاحب الروم قليج أرسلان بن مسعود بن قليج أرسلان سنة ستين وخمسمائة وكتب الصالح ابن زربك إلى قليج أرسلان ينهائه عن الفتنة والله تعالى وليّ التوفيق .

* (فتح نور الدين صافيتا وعريمة ومنبج وجعبر) *

ثم جمع نور الدين عساكره سنة إثنين وستين واستدعى أخاه قطب الدين من الموصل فقدم عليه بجمص ودخلوا جميعاً بلاد الإفرنج ومروا بمحصن الأكراد واكتسحوا نواحيه ثم حاصروا عرقه وخرجوا جكة^(١) وفتحوا العريمة وصافيتا وبعثوا سراياهم فعاثت في البلاد ورجعوا إلى حمص فأقاموا بها إلى رمضان وانتقلوا إلى بانياس وقصدوا حصن حموص^(٢) فهرب عنه الإفرنج فهدم نور الدين سوره وأحرقه واعتزم على بيروت فرجع عنه أخوه قطب الدين إلى الموصل وأعطاه نور الدين من عمله الرقة على الفرات ثم إنتقض بمدينة منبج غازي بن حسان وبعث إليها العساكر فلحقها عنوة وأقطعها أخاه قطب الدين نبال بن حسان وبقيت بيده إلى أن أخذها منه صلاح الدين بن أيوب ثم قبض بنو كلاب على شهاب الدين ملك بن علي بن مالك العقيلي صاحب قلعة جعبر وكانت تسمى دوس ثم سميت باسم جعبر بانيها وكان السلطان ملك شاه أعطاهما لجدّه عندما ملك حلب كما مرّ في أخباره ولم تزل بيده ويد عقبه إلى أن هلك هذا فخرج يتصيد سنة ثلاث وستين وقد أرصد له بنو كلاب فأسروه وحملوه إلى نور الدين محمود صاحب دمشق فاعتقله مكرماً وحاوله في التزول عن جعبر بالترغيب تارة وبالترهيب أخرى فأبى^(٣) وبعث بالعساكر مع الأمير فخر الدين محمود بن أبي علي الزعفراني وحاصرها مدة فامتنعت فبعث عسكرياً آخر وقدّم على الجميع الأمير فخر الدين أبا بكر ابن الداية رضيعه وأكبر أمرائه فحاصرها فامتنعت ورجع إلى ملاطفة صاحبها فأجاب وعوّضه نور الدين عنها سروج وأعمالها وساحة حلب ومراغة وعشرين ألف دينار وملك قلعة جعبر سنة أربع وستين وإنقرض أمر بني مالك منها والبقاء لله وحده .

(١) وفي الكامل : ج ١١ ص ٣٢٧ وحصلوا حلبة وأخذوها وخرّبوها .

(٢) وفي الكامل : (ج ١١ ص ٣٢٨) وقصدوا حصن هونين ، وهوللفرنج أيضاً من أمنع حصونهم ومعاقلهم .

(٣) كذا بالأصل والعبارة مرتكبة والأسماء محرفة ، وفي الكامل : فاعتقله وأحسن لمواليه ورغبة في الإقطاع والمال ليسلم إليه القلعة فلم يفعل فعُدل إلى الشدة والعنف ، وتهده فلم يفعل فسير إليها نور الدين عسكرياً مقدمه الأمير فخر الدين مسعود بن علي الزعفراني ، فحصرها مدة فلم يظفر منها بشيء .

رحلة زين الدين نائب الموصل إلى أربل واستبداد قطب الدين بملكه

قد كان تقدّم لنا أنّ نصير الدين جقري كان نائب الأتابك زنكي بالموصل وقتل البارسلان ابن السلطان محمود آخر سنة تسع وثلاثين وخمسمائة طمعاً في الملك لغيبة الأتابك فرجع من غيبته في حصار البيرة وقدم مكانه زين الدين عليّ بن كمستكين بقلعة الموصل فلم يزل بها بقية أيام الأتابك وأيام ابنه غازي وابنه الآخر قطب الدين سنة ثمان وخمسين على وزيرهم جمال الدين محمد بن علي بن منصور الأصبهاني فاعتقله وهلك لسنة من الإعتقال وحمل إلى المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتمّ التسليم فدفن بها في رباط هناك أعدّه لذلك وكانت وفاته أيام سيف الدين غازي بن قطب الدين فولي مكانه جلال الدين أبا الحسن ابنه وكان زين الدين علي بن كمستكين ويعرف بكجك قد استبدّ في دولة قطب الدين واستغل بحكم الدولة وصارت بيده أكثر البلاد اقطاعاً مثل أربل وشهرزور والقلاع التي في تلك البلاد الهكارية منها العمادية وغيرها والحميدية وتكريت وسنجار وقد كان نقل أهله وولده وذخائره إلى أربل وأقام بمحلها نيابته من قلعة الموصل فأصابه الكبر وطرقه العمى والصمم فعزم على مفارقة الموصل إلى كسريته بأربل فلم يجمع جميع البلاد التي بيده إلى قطب الدين ما عدا أربل وسار إليها سنة أربع وستين وأقام قطب الدين مكانه فخر الدين عبد المسيح خصياً من موالى جدّه الأتابك زنكي وحكمه في دولته فترل بالقلعة وعمرها وكان الخراب قد لحقها بإهمال زين الدين أمر البناء والله تعالى أعلم .

* (حصار نور الدين قلعة الكرك) *

ثم بعث صلاح الدين سنة خمس وستين إلى نور الدين محمود يطلب إنفاذ أبيه نجم الدين أيوب إليه فبعثه في عسكر واجتمع إليه خلق من التجار ومن أصحاب صلاح الدين وخشي عليهم نور الدين في طريقهم من الإفرنج فسارت العساكر إلى الكرك وهو حصن إخطه من الإفرنج البرنس إرقاط وإخط له قلعة فحاصره نور الدين وجمع له الإفرنج فرحل إلى مقدمتهم قبل أن يتلاحقوا فخاموا عن لقائه ونكصوا على أعقابهم وسار في بلادهم فاكسحها وخرب ما مرّ به من القلاع وإنتهى إلى بلاد المسلمين حتى نزل حوشب وبعث

نجم الدين من هنالك إلى مصر فوصلها منتصف خمس وستين وركب العاصد للقائه ولما كان نور الدين بعشيرا سار للقاء شهاب الدين محمد بن الياس بن أبي الغازي بن أرتق صاحب قلعة أكبره فلما انتهى إلى نواحي بعلبك لقي سرية من الإفرنج فقاتلهم وهزمهم واستلحمهم وجاء بالأسرى ورؤس القتل إلى نور الدين وعرف الرؤس مقدم الإستان^(١) صاحب حصن الأكراد وكان شجى في قلوب المسلمين وبلغه وهو بهذا المتزل خبر الزلازل التي عمت البلاد بالشام والموصل والجزيرة والعراق وخرجت أكثر البلاد بعمله فصار إليها وشغل في إصلاحها من واحدة إلى أخرى حتى أكملها بمبلغ جهده واشتغل الإفرنج بعارة بلادهم أيضاً خوفاً من غائلته والله تعالى أعلم .

وفاة قطب الدين صاحب الموصل وملك إبنه سيف الدين غازي

ثم توفي قطب الدين مودود بن الأتابك زنكي صاحب الموصل في ذي الحجة سنة خمس وستين لاحدى وعشرين سنة ونصف من ملكه وعهد لإبنه الأكبر عماد الدين بالملك وكان القائم بدولته فخر الدين عبد المسيح وكان شديد الطوعية لنور الدين محمود ويعلم ميله عن عماد الدين زنكي بن مودود فعدل عنه إلى أخيه سيف الدين غازي بن مودود بموافقة أمه خاتون بنت حسام الدين تمرناش بن أبي الغازي ولحق عماد الدين بعمه نور الدين منتصراً به وقام فخر الدين عبد المسيح بتدبير الدولة بالموصل واستبد بها والله تعالى أعلم .

استيلاء نور الدين على الموصل وإقراره ابن أخيه سيف الدين عليها

ولما ولي سيف الدين غازي بالموصل بعد أبيه قطب الدين واستبد عليه فخر الدين عبد المسيح كما تقدم وبلغ الخبر إلى نور الدين باستبداده أنف من ذلك وسار في خف من العسكر وعبر الفرات عند جعبر أول سنة ست وستين وقصد الرقة فملكها ثم الخابور فملك جميعه ثم

(١) كذا بالأصل وفي الكامل ج ١١ ص ٣٥٢ : فرأى نور الدين في الرؤوس رأس مقدم الإستان صاحب حصن الأكراد .

نصيين وكلها من أعمال الموصل وجاءه هناك نور الدين محمد بن قرا أرسلان بن داود بن سقمان صاحب كيفا مددا ثم سار إلى سنجار فحاصرها وملكها وسلمها لعماد الدين ابن أخيه قطب الدين ثم جاءت كتب الأمراء بالموصل فاستحثوه فأغذ السير إلى مدينة كلك ثم عبر الدجلة ونزل شرقي الموصل على حصن نينوى ودجلة بينه وبين الموصل وسقطت ذلك اليوم ثلثة كبيرة من سور الموصل وكان سيف الدين غازي قد بعث أخاه عز الدين مسعود إلى الأتابك شمس الدين صاحب همذان وبلاد الجبل وأذربيجان وأصبهان والري يستنجد به على عمه نور الدين فأرسل أيلدكز إلى نور الدين ينهيه عن الموصل فاساء جوابه وتوعده وأقام يحاصر الموصل ثم اجتمع أمراؤها على طاعة نور الدين ولما استحث فخر الدين عبد المسيح استأمن إلى نور الدين على أن يبقى سيف الدين ابن أخيه على ملكها فأجابه على أن يخرج هو عنه ويكون معه بالشام وتم ذلك بينهما وملك نور الدين منتصف جادي الأولى من سنة ست وستين ودخل المدينة واستتاب بالقلعة خصيا اسمه كمستكين ولقبه سعد الدين فأقر سيف الدين ابن أخيه على ملكه وخلع عليه خلعة وردت عليه من الخليفة المستضيء وهو يحاصرها وأمر ببناء جامع بالموصل فبنى وشهر باسمه وأمر سيف الدين أن يشاور كمستكين في جميع أموره وأقطع مدينة سنجار لعماد الدين ابن أخيه قطب الدين وعاد إلى الشام والله تعالى أعلم.

* (الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين) *

ثم سار صلاح الدين في صفر سنة تسع وستين من مصر إلى بلاد الإفرنج غازياً ونازل حصن الشوبك من أعمال^(١) واستأمن إليه أهله على أن يمهلهم عشرة أيام فأجابهم وسمع نور الدين بذلك فسار من دمشق غازياً أيضاً بلاد الإفرنج من جانب آخر وتنصح لصلاح الدين أصحابه بأنك ان ظاهرتهم على الإفرنج إضمحل أمرهم فاستطال عليك نور الدين ولا تقدر على الإمتناع منه فترك الشوبك وكرّ راجعاً إلى مصر وكتب لنور الدين يعتذر له بأنه بلغه عن بعض سفلة العلويين بمصر أنهم معتمرون على الثوب فلم يقبل نور الدين عذره في ذلك واعتزم على عزله عن مصر فاستشار صلاح الدين أباه وخاله شهاب الدين

(١) كذا بياض بالأصل وفي الكامل ج ١١ ص ٣٧١ : ونازل حصن الشوبك وبين الكرك يوم ، وحصره وضيق على من به من الفرنج .

الحارمي وقرايتهم فأشار عليه تقي الدين عمر بن أخيه بالإمتناع والعصيان ففكر عليه نجم الدين أبوه وقال له ليس منا من يقوم بعصيان نور الدين لو حضر أو بعث وأشار عليه بأن يكاتبه بالطاعة وأنه إن عزم على أخذ البلاد منك فسلمها ويصل بنفسه وافترق المجلس فخلابه أبوه وقال مالك توجد بهذا الكلام السبيل للأمرأ في استطالتهم عليك ولو فعلتم ما فعلتم كنت أول الممتنعين عليه ولكن ملاطفته أولى وكتب صلاح الدين إلى نور الدين بما أشار به أبوه من الملائقة فتركهم نور الدين وأعرض عن قصدهم ثم توفي واشتغل صلاح الدين بملك البلاد ثم جمع نور الدين العساكر وسار لغزو الإفرنج بسبب ما أخذوه لأهل البلاد من مراكب التجار ونكثوا فيها العهد مغالطين بأنها تكسرت فلم يقبل مغالطتهم وسار إليهم وبث السرايا في بلادهم نحو إنطاكية وطرابلس وحاصر هو حصن عرقة وخرب ريبضه وأرسل عسكريا إلى حصن صافيتا وعريمة ففتحها عنوة وخربها ثم سار من عرقة إلى طرابلس واكتسح كل ما مرّ عليه حتى رجع الإفرنج إلى الإنصاف من أنفسهم وردّوا ما أخذوا من المكرمين الأعزّين وسألوا تجديد الهدنة فأجابهم بعد أن خربت بلادهم وقتلت رجالهم وغنمت أموالهم ثم اتخذ نور الدين في هذه السنة الحمام^(١) بالشام تطير إلى أوعارها من^(١) لإتساع بلاده ووصول

الأخبار بسرعة فبادر إلى القيام بواجبه وأجرى الجرايات على المرتبين لحفظها لتصل الكتب في أجنحتها ثم أغار الإفرنج على حوران من أعمال دمشق وكان نور الدين بمثل الكسوة فرحل إليهم ورحلوا أمامه إلى السواد وتبعهم المسلمون ونالوا منهم ونزل نور الدين على عشيرا وبعث منها سرية إلى أعمال طبرية فاكتسحها وسار الإفرنج لمداغتهم فرجعوا عنها وأتبعهم الإفرنج فعبروا النهر وطمعوا في استنقاذ غنائمهم فقاتلهم المسلمون دونها أشدّ قتال إلى أن استنفذت وتحاجزوا ورجع الإفرنج خائبين والله تعالى ينصر المسلمين على الكافرين بمه وكرمه .

* (واقعة ابن ليون ملك الأرمن بالروم) *

كان مليح بن ليون صاحب دروب حلب أطاع نور الدين محمود بن زنكي وأمره على الجمالة

(١) هنا بياضان بالأصل في جميع النسخ ولم نعث في المراجع التي بين أيدينا على تصويب هذه العبارة وبدل سياق العبارة بحسب رأينا أن المقصود : ثم اتخذ نور الدين في هذه السنة الحمام الزاجل بالشام لإرسال الأخبار بسرعة ضمن بلاده الواسعة .

وأقطعه ببلاد الشام وكان يسير في خدمته ويشهد حروبه مع الإفرنج أهل ملته وكان الأرمني أيضاً يستظهر به على أعدائه وكانت أذنة والمصيصة وطرسوس مجاورة لابن ليون وهي بيد ملك الروم صاحب القسطنطينية فتغلب عليها ابن ليون وملكها وبعث صاحب القسطنطينية منتصف سنة ثمان وستين وخمسمائة جيشاً كثيفاً مع عظيم من بطارقه فلقه ابن ليون بعد أن استنجد نور الدين فأجده بالعساكر وقاتلهم فهزمهم وبعث بغنائمهم وأسراهم إلى نور الدين وقويت شوكة ابن ليون ويثس الروم من تلك البلاد والله تعالى أعلم .

* (مسير نور الدين إلى بلاد الروم) *

كان ذو النون بن محمد بن الدانשמند صاحب ملطية وسيواس وأخصرى وقيسارية ملكها بعد عمه باغي أرسلان وأخيه إبراهيم بن محمد فلم يزل قليج أرسلان بن محمد بن قليج أرسلان يتخيف بلاده إلى أن استولى عليها ولحق ذو النون بنور الدين صريحاً وأرسل إلى قليج أرسلان بالشفاعة في ردّ بلاده فلم يشفعه فسار إليه وملك من بلاده بكسور ومهنسا ومرعش ومرزبان وما بينهما في ذي القعدة سنة ثمان وستين ثم بعث عسكرياً إلى سيواس فلكوها ثم أرسل قليج أرسلان إلى نور الدين يستعطفه وقد كان يحيز أمامه إلى قاصية بلاده فأجابه نور الدين إلى الصلح على أن ينجده بعسكر الإفرنج ويبقى سيواس بيد ذي النون وعسكر نور الدين الذي معه فيها ورجع نور الدين إلى بلاده وبقيت سيواس بيد ذي النون حتى مات نور الدين وعاد قليج أرسلان ثم وصل رسول نور الدين من بغداد كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبدالله الشهرزوري ومعه مشور من الخليفة المستضيء لنور الدين بالموصل والجزيرة وأربل وخلاط والشام وبلاد الروم وديار مصر والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (مسير صلاح الدين إلى الكرك ورجوعه) *

ولما كانت الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين كما قدّمناه واعتزم نور الدين على عزله عن مصر واستعطفه صلاح الدين كان فيما تقرّر بينهما أنها يجتمعان على الكرك وأيهما سبق إنتظر صاحبه فسار صلاح الدين من مصر في شوال سنة ثمان وستين وسبق إلى الكرك وحاصره وخرج نور الدين بعد أن بلغه مسير صلاح الدين من مصر وأزاح علل العساكر وانتهى إلى الرقيم على مرحلتين من الكرك فخافه صلاح الدين على نفسه وخشى أن يعزله عند لقائه

وكان استخلف أباه نجم الدين أيوب على مصر فبلغه أنه طرقة مرض شديد فوجد فيه عذر لنور الدين وكرّر راجعاً إلى مصر وبعث الفقيه عيسى بذلك العذر وان حفظه مصر أهم عليه فلما وصل مصر وجد أباه قد توفي من سقطة سقطها عن مركوبه هزه المرح فرماه وحمل إلى بيته وقبضا ومات لأيام قرية آخر ذي الحجة من السنة ورجع نور الدين إلى دمشق وكان قد بعث رسوله كمال الدين الشهرزوري القاضي ببلاده وصاحب الوقوف والديوان لطلب التقليد للبلاد التي بيده مثل مصر والشام والجزيرة والموصل والتي دخلت في طاعته كديار بكر وخلاط وبلاد الروم وأن يعادله ما كان لأبيه زنكي من الإقطاع بالعراق وهي صريفين ودرب هرون وأن يسوغ قطعة أرض على شاطئ دجلة بظاهر الموصل بيني فيها مدرسة للشافعية فاسعف بذلك كله .

* (وفاة نور الدين محمود وولاية ابنه إسماعيل الصالح) *

ثم توفي نور الدين محمود بن الأتابك زنكي حادي عشر شوال سنة تسع وستين وخمسمائة لسيعة عشرة سنة من ولايته وكان قد شرع في التجهز لأخذ مصر من صلاح الدين بن أيوب واستنفر سيف الدين ابن أخيه في العساكر مورياً بغزوا الإفرنج وكان قد إتسع ملكه وخطب له بالحرمين الشريفين وبالبمن لما ملكها سيف الدولة بن أيوب وكان معتنياً بمصالح المسلمين مواظباً على الصلاة والجهاد وكان عارفاً بمذهب أبي حنيفة ومتحرّياً للعدل ومتجافياً عن أخذ المكوس في جميع أعماله وهو الذي حصن قلاع الشام وبني الأسوار على مدنها مثل دمشق وحمص وحماة وشيرز وبلبلك وحلب وبني مدارس كثيرة للحنفية والشافعية وبني الجامع النوري بالموصل والمارستانات والخانات في الطريق والخانات للصوفية في البلاد واستكثر من الأوقاف عليها يقال بلغ ربع أوقافه في كل شهر تسعة آلاف دينار صوري وكان يكرم العلماء وأهل الدين ويعظمهم ويتمثل لهم قائماً ويؤنسهم في المجالسة ولا يردّ لهم قولاً وكان متواضعاً مهيباً وقوراً ولما توفي إجتمع الأمراء والمقدمون وأهل الدولة بدمشق وبايعوا ابنه الملك الصالح إسماعيل وهو ابن إحدى عشرة سنة وحلفوا له وأطاعه الناس بالشام وصلاح الدين بمصر وخطب له هنالك وضرب السكة بإسمه وقام بكفالاته وتدبير دولته الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن المقدم وأشار عليه القاضي كمال الدين الشهرزوري بأن يرجعوا في جميع أمورهم إلى صلاح الدين لئلا ينبذ طاعتهم فأعرضوا عن ذلك والله تعالى وليّ التوفيق .

* (استيلاء سيف الدين غازي على بلاد الجزيرة) *

قد كنا قدّمنا أنّ نور الدين إستولى على بلاد الجزيرة وأقرّ سيف الدين ابن أخيه قطب الدين على الموصل وأحتمل معه فخر الدين عبد المسيح الذي ولّى سيف الدين واستبدّ عليه بأمره وولّى على قلعة الموصل سعد الدين كمستكين ولما استنفرهم نور الدين بين يدي موته سار إليه سيف الدين غازي وكمستكين الخادم في العساكر وبلغهم في طريقهم خبر وفاته وكان كمستكين في المقدّمة فهرب إلى حلب واستولى سيف الدين على مخلفه وسواده وعاد إلى نصيبين فملكها وبعث العساكر إلى الخابور فاستولى عليها وعلى أقطاعها ثم سار إلى حران وبها قايماز الحراني مولى نور الدين فحاصرها أياماً ثم استتره على أن يقطعه حران فلما نزل قبض عليه وملكها ثم سار إلى الرها وبها خادم لنور الدين افتسلمها وعوّضه عنها قلعة الزعفراني من جزيرة ابن عمر وانتزعها منه بعد ذلك سار إلى الرقة وسروج فملكها واستوعب بلاد الجزيرة سوى قلعة جعبر لا متناعها وسوى رأس عين كانت لقطب الدين صاحب ماردين وهو ابن خاله وكان شمس الدين عليّ ابن الداية بحلب وهو من أكبر أمراء نور الدين ومعه العساكر ولم يقدر على مدافعة سيف الدين فخر الدين عبد المسيح وكان نور الدين تركه قبل موته بسيواس مع ذي النون بن الدانشمند فلما مات نور الدين رجع إلى صاحبه سيف الدين غازي وهو الذي كان ملكه فوجده بالجزيرة وقد ملكها فأشار عليه بالعبور إلى الشام وعارضه آخر من أكبر الأمراء في ذلك فرجع سيف الدين إلى قوله وعاد إلى الموصل وأرشد صلاح الدين إلى الملك الصالح وأهل دولته يعاتبهم حيث لم يستدعوه لمدافعة سيف الدين عن الجزيرة ويتهدّد ابن المقدّم وأهل الدولة على إنفرادهم بأمر الملك الصالح دونه وعلى قعودهم عن مدافعة سيف الدين غازي ثم أرسل شمس الدين ابن الداية إلى الملك الصالح يستدعيه من دمشق إلى حلب ليدافع شمس الدين ابن عمه قطب الدين عن الجزيرة فنعه أمراؤه عن ذلك مخافة أن يستولي عليه ابن الداية والله سبحانه وتعالى أعلم بغيه .

* (حصار الإفرنج بانياس) *

ولما مات نور الدين إجتمع الإفرنج وحاصروا قلعة بانياس من أعمال دمشق وجمع شمس الدين بن المقدّم العساكر وسار عن دمشق وراسل الإفرنج وتهدّد بهم بسيف الدين صاحب الموصل وصلاح الدين صاحب مصر فصالحوه على مال يبعثه إليهم واشترى من الإفرنج

وأطلعهم وتقررت الهدنة وبلغ ذلك صلاح الدين فنكره واستعظمه وكتب إلى الصالح وأهل دولته يقبح مرتكبهم ويعددهم بغزوة الإفرنج وقصده إنما هو طريقه إلى الشام ليمتلك البلاد وإنما صالح ابن المقدّم الإفرنج خوفاً منه ومن سيف الدين والله تعالى أعلم .

* (استيلاء صلاح الدين على دمشق) *

ولما كان ما ذكرناه من استيلاء سيف الدين غازي على بلاد الجزيرة خاف شمس الدين ابن الداية منه على حلب وكان سعد الدين كمستكين قد هرب من سيف الدين غازي إليه فأرسله إلى دمشق ليستدعي الملك الصالح للمدافعة فلما قارب دمشق أنفذ ابن المقدّم إليه عسكرياً فهبوه وعاد إلى حلب ثم رأى ابن المقدّم وأهل الدولة بدمشق أنّ مسير الصالح إلى حلب أصلح فبعثوا إلى كمستكين وبعثوا معه الملك الصالح فلما وصل إلى حلب قبض كمستكين على ابن الداية وإخوته وعلى رئيس حلب ابن الخشاب وعلى مقدم الأحداث بها واستبدّ بأمر الصالح وخشى ابن المقدّم وأمرأوه بدمشق غائلته فكاتبوا سيف الدين غازي صاحب الموصل أن يملكوه فأحجم عن المسير إليهم وظنها مكيدة وبعث بخبرهم إلى كمستكين وصالحه على مال أخذه من البلاد فكثّر إرتياب القوم في دمشق فكاتبوا صلاح الدين بن أيوب فطار إليهم ونكب عن الإفرنج في طريقه وقصد بصرى وأطاعه صاحبها ثم سار صلاح الدين إلى دمشق فخرج إليه أهل الدولة بمقدمهم شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم وهو الذي كان أبوه سلم سنجار لنور الدين سنة أربع وأربعين كما مرّ ودخل صلاح الدين دمشق آخر ربيع سنة سبعين ونزل دار أبيه المعروفة بدار العفني وكان في القلعة ريجان خديم نور الدين فبعث إليه صلاح الدين القاضي كمال الدين الشهرزوري بأنه على طاعة الصالح والخطة له في بلاده وأنه إنما جاء ليرتجع البلاد التي أخذت له فسلم إليه ريجان القلعة واستولى على ما فيها من الأموال وهو في ذلك كله يظهر طاعة الملك الصالح ويخطب له وينقش السكة باسمه إنتهى والله أعلم .

* (استيلاء صلاح الدين على حمص وحماة ثم حصاره حلب ثم ملكه بعلبك) *

ولما ملك صلاح الدين دمشق من أيالة الملك الصالح استخلف عليها أخاه سيف الإسلام طغركين بن أيوب وكانت حمص وحماة وقلعة مرعش وسليمية وتل خالد والرها من بلاد الجزيرة

في إقطاع فخر الدين مسعود الزعفراني من أمراء نور الدين ما عدا القلاع منها ولما مات نور الدين أجفل الزعفراني عنها لسوء سيرته ولما ملك صلاح الدين دمشق سار إلى حمص فملك البلد وامتنعت القلعة بالوالي الذي بها فجهز عسكريا لحصارها وسار إلى حماة فنازلها منتصف شعبان وبقلعتها الأمير خرديك فبعث إليه صلاح الدين بأنه في طاعة الملك صالح وإنما جاء للدفاع الإفرنج عنه وإرتجاع بلاده بالجزيرة من ابن عمه سيف الدين غازي صاحب الموصل واستخلفه على ذلك عز الدين ثم بعث صلاح الدين إلى الملك الصالح بطلب في الاتفاق وإطلاق شمس الدين علي حسن وعثمان تقي الدين من الإعتقال فسار عز الدين لذلك واستخلف بالقلعة أخاه ولما وصل إلى حلب قبض عليه كمستكين وحجسه فسلم أخوه قلعة حماة لصلاح الدين وملكها ثم سار صلاح الدين من وقته إلى حلب وحاصرها وركب الملك الصالح وهو صبي مناهز فسار في البلد واستعان بالناس وذكر حقوق أبيه فبكى الناس رحمة له واستأثروا دونه وخرجوا فدافعوا عسكريا صلاح الدين ودس كمستكين إلى مقدم الإسماعيلية في الفتك بصلاح الدين فبعث لذلك فداوية منهم وشعر بذلك بعض أصحاب صلاح الدين وجماعة منهم معه وقتلوا عن آخرهم وأقام صلاح الدين محاصراً لحلب وبعث كمستكين إلى الإفرنج يستنجدهم على منازلة بلاد صلاح الدين ليرحل عنهم وكان القمص سمند السنجلي صاحب طرابلس أسره نور الدين في حارم سنة تسع وخمسين وبقي معتقلاً بحلب فأطلقه الآن كمستكين بمائة وخمسين ألف دينار صورية وألف أسير وكان متغلباً على ابن مري ملك الإفرنج لكونه محذوفاً لا يصدر إلا عن رأيه فسار بجموع الإفرنج إلى حصن الرستن سابع رجب وصالحهم صلاح الدين من الغد فأجفلوا وحاصروا القلعة وملكها آخر شعبان واستولى على أكثر الشام ثم سار إلى بعلبك وبها يمين الخادم من موالي نور الدين فحاصرها حتى استأمنوا إليه فملكها منتصف رمضان من السنة وأقطعها شمس الدين محمد ابن عبد الملك المقدم بما تولى له من إظهار طاعته بدمشق وتسليمها له والله تعالى أعلم .

حروب صلاح الدين مع سيف الدين غازي صاحب الموصل وغلبه إياه واستيلاؤه على بغدوين وغيرها من أعمال الملك الصالح ثم مصالحته على حلب

لما ملك صلاح الدين حمص وحماة وحاصر حلب كاتب الملك الصالح إسماعيل من حلب

إلى ابن عمه سيف الدين غازي صاحب الموصل يستنجد فجمع عساكره واستنجد أخاه عماد الدين زنكي صاحب سنجار فلم يحبه لما كان بينه وبين صلاح الدين وأنه ولاه سنجار ويطمعه في الملك فبعث سيف الدين غازي بالعساكر لمداغعة صلاح الدين عن الشام في رمضان سنة سبعين وخمسمائة مع أخيه عز الدين مسعود وأمير جيوش عز الدين القندار وجعل التدبير إليه وسار هو إلى سنجار فحاصر بها أخاه عماد الدين وامتنع عليه وبينما هو يحاصره جاءه الخبر بأن صلاح الدين هزم أخاه عز الدين وعساكره فصالح عماد الدين على سنجار وعاد إلى الموصل ثم جهز أخاه عز الدين في العساكر ثانية ومعه القندار وساروا إلى حلب فانضمت إليهم عساكره وساروا جميعاً إلى صلاح الدين فأرسل إلى عماد الدين بالموصل في الصلح بينه وبين الملك الصالح على أن يرد عليه حمص وحماة ويسوغه الصالح دمشق فأبى إلا إرتجاع جميع بلاد الشام واقتصره على مصر سار صلاح الدين إلى عساكرهم ولقيها قريباً من حماة فانهزمت وثبت عز الدين ليلاً ثم صدق عليه صلاح الدين الحملة فانهزم وغنم سوادهم ومخلفهم وأتبع عساكر حلب حتى أخرجهم منها وحاصرها وقطع خطبة الملك الصالح وبعث بالخطبة للسلطان في جميع بلاده ولما طال عليهم الحصار صالحوه على إقراره على جميع ما ملك من الشام رحل عن حلب عاشر شوال من السنة وعاد إلى حماة ثم سار منها إلى بغدوين وكانت لفخر الدين مسعود بن الزعفراني من أمراء نور الدين وكان قد إتصل بالسلطان صلاح الدين واستخدم له ثم فارقه حيث لم يحصل على غرضه عنده فلحق ببغدوين وبها نائب الزعفراني فحاصرها حتى استأمنوا إليه وأقطعها خاله شهاب الدين محمود بن تكش الحارمي وأقطع حمص ناصر الدين ابن عمه شيركوه وعاد إلى دمشق آخر سنة سبعين وكان سيف الدين غازي صاحب الموصل بعد هزيمة أخيه وعساكره عاد من حصار أخيه بسنجار كما قلناه إلى الموصل فجمع العساكر وفرق الأموال واستنجد صاحب كيفا وصاحب ماردين وسار في ستة آلاف فارس وإنتهى إلى نصيبين في ربيع سنة إحدى وسبعين فأقام إلى إنسلاخ فصل الشتاء وسار إلى حلب فبرز إليه سعد الدين كمستكين الخادم مدير الصالح في عساكر حلب وبعث صلاح الدين عن عساكره من مصر وقد كان أذن لهم في الإنطلاق فجاءوا إليه وسار من دمشق إلى سيف الدين وكمستكين فلقهم بتل الفحول وانهزموا راجعين إلى حلب وترك سيف الدين أخاه عز الدين بها في جمع من العساكر وعبر الفرات إلى الموصل يظن أن صلاح الدين في إتباعه وشاور الصالح وزيره جلال الدين ومحاهد الدين قايماز في مفارقة الموصل إلى قلعة الحميدية

فعارضاه في ذلك ثم عزل القنذار عن إمارة الجيوش لأنه كان جرّ الهزيمة برأيه ومفارقته وولى مكانه مجاهد الدين قايماز ولما إنهزمت العساكر أمام صلاح الدين وغنم مخلفها سار إلى مراغة وملكها وولى عليها ثم سار إلى منبج وبها صاحبها قطب الدين نبال بن حسان المنبجي وكان شديد العداوة لصلاح الدين فلك المدينة وحاصره بالقلعة وضيق مخنقه ثم نقب أسوارها وملكها عليه عنوة وأسرهم ثم أطلقه سليماً فلاحق بالموصل وأقطعهم سيف الدين الرقة ولما فرغ صلاح الدين من منبج سار إلى قلعة عزاز^(١) وهي في غاية المنعة فحاصرها أربعين يوماً حتى استأمنوا إليه ففسلمها في الأضحى ثم رحل إلى حلب فحاصرها وبها الملك الصالح واشتد أهلها في قتاله فعدل إلى المطاولة ثم سعى بينهما في الصلح وعلى أن يدخل فيه سيف الدين صاحب الموصل وصاحب كيفا وصاحب ماردين فاستقرّ الأمر على ذلك وخرجت أخت الملك الصالح إلى صلاح الدين فأكرمها وأفاض عليها العطاء وطلبت منه قلعة عزاز فأعطاه إياها ورحل إلى بلاد الإسماعيلية والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (عصيان صاحب شهرزور على سيف الدين

صاحب الموصل ورجوعه) *

كان مجاهد الدين قايماز متولى مدينة اربل وكان بينه وبين شهاب الدين محمد بن بدران صاحب شهرزور عداوة فلما ولي سيف الدين مجاهد الدين قايماز نيابة الموصل خاف شهاب الدين غائلته عن تعاهد الخدمة بالموصل وأظهر الامتناع وذلك سنة اثنتين وسبعين فخاطبه جلال الدين الوزير في ذلك مخاطبة بليغة وحذره ورغبه فعاود الطاعة وبادر الى الحضور بالموصل والله تعالى ينصر من يشاء من عباده .

* (نكبة كمستكين الخادم ومقتله) *

كان سعد الدين كمستكين الخادم قائماً بدولة الملك الصالح في حلب وكان يناهضه فيها أبو صالح العجمي فقدم عند نور الدين وعند ابن الملك الصالح وتجاوز مراتب الوزير فعدا عليه بعض الباطنية فقتله وخلا الجوّ لكمستكين وانفرد بالاستبداد على الصالح وكثرت السعاية فيه بحجر السلطان والاستبداد عليه وأنه قتل وزيره فقبض عليه وامتحنه وكان قد أقطع قلعة حارم فامتنع بها أصحابه وأرادهم الصالح على تسليمها فامتنعوا وهلك

(١) كذا في الكامل ج ١٠ / ١١٥ وفي نسخة أخرى : عزاز .

كمستكين في المحنة وطمع فيها وساروا اليها وحاصروها وصانعهم الصالح بالمال فرجعوا عنها
وبعث هو عساكره اليها وقد جهدهم الحصار فسلموها له وولى عليها والله تعالى أعلم .

* (وفاة الصالح اسمعيل واستيلاء ابن عمه

عز الدين مسعود على حلب) *

ثم توفي الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين محمود صاحب حلب في منتصف سنة سبع
وسبعين ثمان سنين من ولايته وعهد بملكه لابن عمه عز الدين صاحب الموصل
واستحلف أهل دولته على ذلك بعضهم بعاد الدين صاحب سنجار أخى عز
الدين الاكبر لمكان صهره على أخت الصالح وأن أباه نور الدين كان يميل اليه فأبى وقال
عز الدين أنا أقدر على مدافعة صلاح الدين عن حلب فلما قضى نجه أرسل الامراء بحلب
الى عز الدين مسعود يستدعون^(١) هو ومحاهد الدين قايمآز الى الفرات ولقي
هنالك أمراء حلب وجاؤا معه فدخلها آخر شعبان من السنة وصلاح الدين يومئذ بمصر بعيدا
عنهم وتقي الدين عمر ابن أخيه في منبج فلما أحس بهم فارقها الى حماة وثار به أهل حماة ونادوا
بشعار عز الدين وأشار أهل حلب عليه بقصد دمشق وبلاد الشام وأطمعوه فيها فأبى من
أجل العهد الذي بينه وبين صلاح الدين ثم أقام بحلب شهورا وسار عنها الى الرقة والله تعالى
أعلم .

* (استيلاء عماد الدين على حلب ونزوله عن سنجار لآخيه عز الدين) *

ولما انتهى عز الدين الى الرقة منقلبا من حلب وافقه هنالك رسل أخيه عماد الدين صاحب
سنجار يطلب منه أن يملكه مدينة سنجار ويتزل هو له عن حلب فلم يجبه الى ذلك فبعث
عماد الدين اليه بأنه يسلم سنجار الى صلاح الدين فحمل الامراء حينئذ على معارضته على
سنجار وتحمسهم له ولم يكن لعز الدين مخالفا لتمكنه في الدولة وكثرة بلاده وعساكره فأخذ
سنجار من أخيه عماد الدين وأعطاها حلب وسار اليها عماد الدين وملكها وسهل أمره على
صلاح الدين بعد ان كان متخوفا من عز الدين على دمشق والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) كذا بياض بالاصل ، وفي الكامل ج ١١ ص ٤٧٣ : الى اتابك عز الدين يستدعونه الى حلب فسار هو ومحاهد
الدين قايمآز الى الفرات .

مسير صلاح الدين الى بلاد الجزيرة وحصاره الموصل واستيلاؤه على كثير من بلادها ثم على سنجار

كان عز الدين صاحب الموصل قد أقطع مظفر الدين كوكبري بن زين الدين كجك مدينة حرّان وقلعتها ولما سار صلاح الدين لحصار البيرة جنح اليه مظفر الدين ووعده النصر واستحثه للقدوم على الجزيرة فسار الى الفرات موريا بقصد^(١) وعبر اليه مظفر الدين فلقية وجاء معه الى البيرة وهي قلعة منيعة على الفرات من عدوة الجزيرة وكان صاحبها من بني ارتق أهل ماردين قد أطاع صلاح الدين فعبر من جسرهما وعز الدين صاحب الموصل يومئذ قد سار ومعه مجاهد الدين الى نصيبين لمداغة صلاح الدين عن حلب فلما بلغها عبوره الفرات عادا الى الموصل وبعثا حامية الى الرها وكاتب صلاح الدين ملوك النواحي بالنجدة والوعد على ذلك وكان تقدّم العهد بينه وبين نور الدين محمد بن قرا ارسلان صاحب كيفا على أن صلاح الدين يفتح آمد ويسلمها اليه فلما كاتهم الآن كان صاحب كيفا أول مجيب وسار صلاح الدين الى الرها فحاصرها في جمادي سنة ثمان وسبعين وبها يومئذ فخر الدين مسعود الزعفراني فلما اشتدّ به الحصار استأمن الى صلاح الدين وحاصر معه القلعة حتى سلمها نائبا على مال أخذه وأقطعها صلاح الدين مظفر الدين كوكبري صاحب حرّان وسار عنها الى الرقة وبها نائبا قطب الدين نبال بن حسان المنجي فاجفل عنها الى الموصل وملكها صلاح الدين وسار الى الخابور وهو قرقيسيا وماكسين وعرمان فاستولى على جميعها وسار الى نصيبين فملكها لوقتها وحاصر القلعة اياما وملكها وأقطعها أبا الهيجاء السمين من أكبر أمرائه وسار عنها وملكها ومعه صاحب كيفا وجاءه الخبر بأن الافرنج أغاروا على أعمال دمشق ووصلوا داريا فلم يحفل بخبرهم واستمرّ على شأنه وأغراه مظفر الدين كوكبري وناصر الدين محمد بن شيركوه بالموصل ورجحا قصدها على سنجار وجزيرة ابن عمر كما أشار عليهما فسار صلاح الدين وصاحبها عز الدين ونائبه مجاهد الدين وقد جمعوا العساكر وأفاضوا العطاء وشحنوا البلاد التي بأيديهم كالجزيرة وسنجار والموصل واربل وسار صلاح الدين حتى قاربها وسار هو ومظفر الدين وابن شيركوه في أعين دولته الى السور فرآه مخايل الامتناع وقال لمظفر الدين ولناصر الدين ابن عمه قد

(١) بياض بالاصل ، وفي الكامل ج ١١ ص ٤٨٣ : فجد صلاح الدين في السير مظهرًا انه يريد حصر حلب سراً للحال..

أغررتماني ثم صبح البلد وناشبه وركب أصحابه في المقاعد للقتال ونصب منجنيقا فلم يغن ونصب اليه من البلد تسعة ثم خرج اليه جماعة من البلد وأخذوه وكانوا يخرجون ليلا من البلد بالمشاعل يوهمون الحركة فخشي صلاح الدين من البيات وتأخر عن القصد وكان صدر الدين شيخ الشيوخ قد وصل من قبل الخليفة الناصر مع بشير الخادم من خواصه في الصلح بين الفريقين على إعادة صلاح الدين بلاد الجزيرة فأجاب على إعادة الآخرين حلب فامتنعوا ثم رجع عن شرط حلب الى ترك مظاهرة صاحبها فاعتذروا عن ذلك ووصلت رسل صاحب أذربيجان قرا ارسلان وأرسل صاحب خلاط شاهرين فلم يتنظم بينهما أمر ورحل صلاح الدين عن الموصل الى سنجار فحاصرها وبها أمير أميران^(١) وأخوه عز

الدين صاحب الموصل في عسكر ولقيه شرف الدين وجاءها المدد من الموصل فخال بينهم وبينها وداخله بعض أمراء الاكراد من الدواذية من داخلها فكبسها صلاح الدين من ناحيته واستأمن شرف الدين لوقته فأمنه صلاح الدين ولحق بالموصل وملك صلاح الدين سنجار وصارت سياجا على جميع ما ملكه بالجزيرة وولى عليها سعد الدين بن معين الدين أنز الذي كان متغلبا بدمشق على آخر^(٢) طغركين وعاد فر بنصيين وشكا اليه

أهلها من أبي الهيجاء السمين فعزله وسار الى حران بلد مظفر الدين كوكبري فوصلها في القلعة من سنة سبع وثمانين فأراح بها وأذن لعساكره في الانطلاق وكان عز الدين قد بعث الى شاهرين صاحب خلاط يستنجده وأرسل شاهرين الى صلاح الدين بالشفاعة في ذلك رسلا عديدة آخرهم مولاة سكر جاه وهو على سنجار فلم يشفعه^(٣) أخاه من

ذلك وفارقه مغاضبا وسار شاهرين^(٤) الى قطب الدين صاحب ماردين وهو ابن أخته وابن حال عز الدين وصهره على بته فاستنجده وسار معه وجاءهم عز الدين من الموصل في عساكره واعتزموا على قصد صلاح الدين وبلغه الخبر وهو مريح بجران فبعث عن تقي الدين ابن أخيه صاحب حمص وحماة وارتحل للقائهم ونزل رأس عين فخاموا عن لقائه ولحق كل

(١) بياض بالاصل وفي الكامل ج ١١ ص ٤٨٧ : وبها أمير أميران هندو أخو عز الدين صاحب الموصل .

(٢) بياض بالاصل وفي الكامل : واستتاب بها سعد الدين بن معين الدين أنز ، وكان من اكابر الامراء واحسنهم صورة ومعنى .

(٣) بياض بالاصل ، وفي الكامل : فارسل اليه أخيرا مملوكه سيف الدين بكتمر الذي ملك خلاط بعد شاه ارمن فأتاه وهو يحاصر سنجار يطلب اليه ان يتركها ويرحل عنها . وقال له . ان رحل عنها والا فتدده بقصده ومحاربه فابلغه بكتمر الشفاعة فسوفه في الجواب رجاء ان يفتحها فلما رأى بكتمر ذلك ابلغه الرسالة بالتهديد وفارق غضبان .

(٤) واسمه في الكامل شاه ارمن .

بيلده وسار صلاح الدين الى ماردين فأقام عليها اياما ورجع والله تعالى أعلم .

* (استيلاء صلاح الدين على حلب وأعمالها) *

ولما ارتحل صلاح الدين عن ماردين قصد آمد فحاصرها سنة تسع وسبعين وملكها وسلمها لنور الدين محمد بن قرا ارسلان كما كان العهد بينها وقد أشرنا اليه ثم سار الى الشام فحاصر تل خالد من أعمال حلب حتى استأمنوا اليه وملكها في محرم سنة تسع وسبعين وسار منها الى عيتاب وبها ناصر الدين محمد أخو الشيخ اسمعيل خازن نور الدين محمود وصاحبه ولاه عليها نور الدين فلم يزل بها فاستأمن من الى صلاح الدين على أن يقره على الحصن ويكون في خدمته فأقره وأطاعه ورحل صلاح الدين الى حلب وبها عماد الدين زنكي بن مودود ونزل عليها بالميلان الاخضر اياما ثم انتقل الى جبل جوشن اياما أخرى وأظهر أنه أبني عليها وعجز عماد الدين عن عطاء الجند فراسل صلاح الدين أن يعوضه عنها سنجار ونصيبين والخابور والرقه وسروج فأجاب الى ذلك وأعطاه عنها تلك البلاد وملكها وكان في شرط صلاح الدين عليه انه يبادر الى الخدمة متى دعاه اليها وسار عماد الدين الى بلاده تلك ودخل صلاح الدين حلب في آخر سنة تسع وسبعين ومات عليها أخوه الاصغر تاج الملوك بوري بضربة في ركبته تصدعت لها ومات بعد فتح حلب ثم ارتحل صلاح الدين الى قلعة حارم وبها سرجك من موالي نور الدين ولاه عليها عماد الدين فلما سلم حلب لصلاح الدين امتنع سرجك في قلعة حارم فحاصره صلاح الدين وترددت الرسل بينها وقد دس الى الافرنج ودعاهم وخشي الجند الذين معه أن يسلمها اليهم فحبسوه واستأمنوا الى صلاح الدين فملكها وولى عليها بعض خواصه وعلى تل خالد الامير داروم الياروقي صاحب تل باشر وأقطع قلعة إعزاز الامير سليمان بن جندر فعمرها بعد ان كان عماد الدين خربها وأقطع صلاح الدين أعمال حلب لامرائه وعساكره والله تعالى أعلم .

* (نكبة مجاهد الدين قايمان ^(١)) *

كان مجاهد الدين قايمان قائما بدولة الموصل ومتحكما فيها كما قلناه وكان عز الدين محمود الملقب القندار صاحب الجيش وشرف الدين أحمد بن أبي الخيزر الذي كان صاحب

(١) وفي بعض النسخ قايماز.

العراق كان من أكابر الامراء عند السلطان عز الدين مسعود صاحب الموصل وكانا يغريانه بمجاهد الدين ويكثران السعاية عنده فيه حتى اعترم على نكبته ولم يقدر على ذلك في مجلسه لاستبداد مجاهد الدين وقوة شوكته فانقطع في بيته لعارض مرض وكان مجاهد الدين خصياً لا يحتاج منه النساء فدخل عليه يعود فقبض عليه وركب الى القلعة فاحتوى على أمواله وذخائره وولى بهارلقندار^(١) نائباً وجعل ابن صاحب العراق أمير حاجباً وحكمها في دولته وكان في يد مجاهد الدين اربل وأعمالها فيها زين الدين يوسف بن زين الدين علي كجك صبيّاً صغيراً تحت استبداده ويده أيضاً جزيرة ابن عمر لمعز الدين سنجر شاه بن سيف الدين غازي وهو صبيّ تحت استبداده ويده أيضاً شهرزور وأعمالها ودقوقا وقلعة عقر الحميدية ونوابه في جميعها ولم يكن لعز الدين مسعود بعد استيلاء صلاح الدين على الجزيرة سوى الموصل وقلعتها لمجاهد الدين وهو الملك في الحقيقة فلما قبض عز الدين عليه امتنع صاحب اربل واستبد بنفسه وكان صاحب جزيرة ابن عمر وبعث بطاعته الى صلاح الدين وبعث الخليفة الناصر شيخ الشيوخ وبشير الخادم بالصلح بين عز الدين وصلاح الدين على أن تكون الجزيرة واربل من أعماله وامتنع عز الدين وقال هما من أعالي وطمع صلاح الدين في الموصل فتنكر عز الدين لزلقندار ولابن صاحب العراق لما حملاه عليه من الفساد لنكبة مجاهد الدين فبدأ أولاً بعزل صاحب أذربيجان فقال له أنا أكفيكه وجهز له عسكرياً نحو ثلاثة آلاف فارس وساروا نحو اربل فاكسحوا البلد وخرّبوها وسار اليهم زين الدين يوسف باربل فوجدهم مفترقين في النهب فهزمهم وما كان معهم وعاد مظفراً ولحق العجم ببلادهم وعاد مجاهد الدين الى الموصل والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق .

* (حصار صلاح الدين الموصل وصلحه مع عز الدين صاحبها) *

ثم سار صلاح الدين من دمشق في ذي القعدة سنة احدى وثمانين فلما انتهى الى حران قبض على صاحبها مظفر الدين كوكبري لانه كان لذلك وعده بخمسين ألف دينار حتى اذا وصل لم يف له بها فقبض عليه لانحراف أهل الجزيرة عنه فأطلقه ورد عليه عمله بجران والرها وسار عن حران وجاء معه عساكر كيفا وداري وعساكر جزيرة ابن عمر مع صاحبها معز الدين سنجر شاه ابن أخي عز الدين صاحب الموصل وقد كان استبدّ بأمره وفارق طاعة عمه بعد نكبة مجاهد الدين كما قلناه فساروا مع صلاح الدين الى الموصل ولما انتهوا الى مدينة

(١) وفي نسخة ثانية القندار وكذا في هذه النسخة في مكان آخر .

بله وفدت عليه أم عز الدين وابن عمه نور الدين محمود وجاعة من أعيان الدولة ظنا بأنه لا يردهم وأشار عليه الفقيه عيسى وعلي بن أحمد المشطوب بردهم ورحل الى الموصل فقاتلها وامتنعت عليه وندم على ردّ الوفد وجاءه كتاب القاضي الفاضل بالأئمة ثم قدم عليه زين الدين يوسف صاحب اربل فأنزله مع أخيه مظفر الدين كوكبري وغيره من الامراء ثم بعث الامير علي بن أحمد المشطوب الى قلعة الجزيرة من بلاد الهكارية فاجتمع عليه الاكراد الهكارية وأقام يحاصرها وكاتب نائب القلعة زلقندار ونمي خبر مكاتبته الى عز الدين فنعاه واطرحه من المشورة وعدل الى مجاهد الدين قايمان وكان يقتدي برأيه فضبط الامور وأصلحها ثم بلغه في آخر ربيع من سنة اثنتين وثمانين وقد ضجر من حصار الموصل ان شاهرين صاحب خلاط توفي تاسع ربيع واستولى عليها مولاه بكتمر فرحل عن الموصل ومملك ميا فارقين كما يأتي في أخبار دولته ولما فرغ منها عاد الى الموصل وممر بنصيبين ونزل الموصل في رمضان سنة اثنتين وثمانين وتردّت الرسل بينهما في الصلح على أن يسلم اليه عز الدين شهرزور وأعمالها وولاية الفرائي وما وراء الزاب ويخطب له على منابرها وينقش اسمه على سكوته ومرض صلاح الدين اثناء ذلك ووصل الى حران ولحقته الرسل بالاجابة الى الصلح وتحالفا عليه وبعث من يسلم البلاد وأقام ممرضا بحران وعنده العادل وناصر الدولة ابن عمه شيركوه وامنت بلاد الموصل ثم حدثت بعد ذلك فتنة بين التركمان والاكراد بالجزيرة والموصل وديار بكر وخلاط والشام وشهرزور وأذربيجان وقتل فيها ما لا يحصى من الامم واتصلت أعواما وسبها أن عروسا من التركمان أهديت الى زوجها ومروا بقلعة الزوزان والاكراد وطلبوا منهم الوليمة على الفتيان فأغلظوا في الرد فقتل صاحب القلعة الزوج وثار التركمان بجاعة من الاكراد فقتلوه ثم أصلح مجاهد الدين بينهم وأفاض فيهم العطاء فعادوا الى الوفاق وذهبت بينهم الفتنة والله تعالى أعلم .

* (وفاة زين الدين يوسف صاحب اربل

وولاية أخيه مظفر الدين اقهى) *

كان زين الدين يوسف بن علي كجك قد صار في طاعة صلاح الدين كما ذكرناه قبل واربل من أعماله ووقع الصلح على ذلك بينه وبين عز الدين صاحب الموصل سنة ست وثمانين^(١)

(١) بياض بالأصل وفي الكامل ج ١١ ص ٢١٠ كان زين الدين يوسف صاحب اربل قد حضر عند صلاح الدين بعساكره فرض ومات .

للعسكر معه فمات عنده أخريات رمضان من السنة واستولى أخوه على موجوده وقبض على جماعة من أمرائه مثل بلداحي صاحب قلعة حقير كان وغيره وطلب من صلاح الدين أن يقطعه اربل مكان أخيه ويتزل عن حران والرها فأقطعه اربل وأضاف اليها شهرزور وأعمالها ودوقر قرايلي وبني قفجاق وراسل أهل اربل مجاهد الدين قايمان واستدعوه ليملكوه وهو بالموصل فلم يتناول لذلك خوفا من صلاح الدين ولان عز الدين لما كان ولاه نيابته بعد ان أطلقه من الاعتقال لم يمكنه كما كان أول مرة وجعل معه رديفا في الحكم كان من بعض غلمانه فكان أسفا لذلك فلما راسله أهل اربل قال والله لا أفعل لئلا يحكم معي فيها فلان وسار مظفر الدين اليها وملكها .

* (حصار عز الدين صاحب الموصل جزيرة ابن عمر) *

كان سنجر شاه بن سيف الدين غازي بن مودود قد ملك جزيرة ابن عمر بوضعية أبيه وخرج عن طاعة عمه عز الدين عند نكبة مجاهد الدين كما قلناه وصار عينا على عمه يكتب صلاح الدين بأخباره ويغريه به ويسعى في القطيعة بينهما ثم حاصر صلاح الدين قلعة عكا ستة ست وثمانين واستنفر لها أصحاب الاطراف المتشبهين بدعوته مثل عز الدين صاحب الموصل وأخيه عماد الدين صاحب سنجار ونصيبين وسنجر شاه هذا ابن عمه وصاحب كيفا وغيرهم واجتمعوا عنده على عكا وجاء جماعة من جزيرة ابن عمر يتظلمون من سنجر شاه فخاف واستأذن في الانطلاق فاعتذر صلاح الدين بأن في ذلك افتراق هذه العساكر فالح عليه في ذلك وغدا عليه يوم الفطر مسلما فوعده وانصرف وكان تقي الدين عمر بن شاه أخي صلاح الدين مقبلا من حماة في عسكر فأرسل اليه صلاح الدين باعتراضه وردّه طوعا أو كرها فلقية بقلعة فنك وردّه كرها وكتب صلاح الدين الى عز الدين صاحب الموصل بحصار جزيرة ابن عمر يظنها مكيدة فتلقاها بالمراجعة وطلب اقطاع الجزيرة فأسعفه وسار اليها وحاصرها أربعة أشهر فامتنعت عليه ثم صالحه على نصف أعماله ورجع الموصل والله تعالى أعلم .

* (مسير عز الدين صاحب الموصل الى بلاد العادل بالجزيرة ورجوعه عنها) *

كان صلاح الدين قد ملك من بلاد الجزيرة حران والرها وسميساط وميفارقين وكانت بيد

ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاه ثم توفي تقي الدين فاقطعها أخاه العادل أبا بكر بن أيوب ثم توفي صلاح الدين سنة تسع وثمانين فقطع عز الدين صاحب الموصل في ارتجاعها واستشار أصحابه فأشار عليه بعضهم بمعالجتها وأن تستنفر أصحاب الاطراف لها مثل صاحب اربل وصاحب جزيرة ابن عمر وصاحب سنجار ونصيبين ومن امتنع يعاجله حرباً ويعاجل البلد قبل أن يستعد أهلُه للمدافعة وأشار مجاهد الدين قايمان بمشاورة هؤلاء الملوك والعمل بأشارتهم فقبل من مجاهد الدين وكاتبهم فأشاروا بانتظار أولاد صلاح الدين وأن البلد في طاعته وأنه القائم بدولته وأنه بلغه أن صاحب ماردين تعرض لبعض بلاده فجهاز جيشاً كثيفاً لقصد ماردين فوجموا الكتابة وتركوا الحركة ثم بلغهم أنه بظاهر حران في خف من العسكر فتجهز للحركة عليه ولما وقع الاتفاق مع صاحب سنجار جاءت عساكر الشام الى العادل من الافضل فامتنع وسار عز الدين في عساكره من الموصل الى نصيبين واجتمع بأخيه عماد الدين وساروا الى الرها وقد عسكر العادل قريباً منهم بمرج الریحان وخافهم فأقاموا أياماً كذلك ثم طرق عز الدين المرض فترك العساكر مع أخيه عماد الدين وسار الى الموصل والله تعالى أعلم .

* (وفاة عز الدين صاحب الموصل وولاية ابنه نور الدين) *

ولما رجع عز الدين الى الموصل أقام بها مدة شهرين واشتد مرضه فتوفي آخر شعبان سنة تسع وثمانين وولى ابنه نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن الاتابك زنكي وقام بتدبير دولته مجاهد الدين قايمان مدبر دولة أبيه والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (وفاة عماد الدين صاحب سنجار

وولاية ابنه قطب الدين) *

ثم توفي عماد الدين زنكي بن مودود بن الاتابك زنكي صاحب سنجار والخابور ونصيبين والرقه وسروج وهي التي عوضه صلاح الدين عن حلب لما أخذها منه توفي في محرم سنة أربع وتسعين وملك بعده ابنه قطب الدين وتولى تدبير دولته مجاهد الدين برتقش مولى أبيه وكان ديناً خيراً عادلاً متواضعاً محباً لاهل العلم والدين معظماً لهم وكان متعصباً على الشافعية حتى انه بني مدرسة للحنفية بسنجار وكان حسن السيرة والله تعالى أعلم .

* (استيلاء نور الدين صاحب الموصل على نصيبين) *

كان عماد الدين صاحب سنجار ونصيبين قد امتدت أيدي نوابه بنصيبين الى قرى من أعمال الموصل تجاورهم وبعث اليه في ذلك مجاهد الدين قايمان صاحب دولة الموصل يشكو اليه نوابه سرًا من سلطانه نور الدين فليج عماد الدين في ادعاء انها من أعماله واساء الرد فأعاد نور الدين الرسالة اليه مع بعض مشايخ دولته وقد طرقة المرض فأجاب مثل الاول فنصح الرسول وكان من بقية الاتابك زنكي وعاد الى (١)

نور الدين على المسير الى نصيبين ووصل الخبر اثر ذلك بوفاة عماد الدين وولاية ابنه قطب الدين فقوي طمع نور الدين في نصيبين وتجهز لها في جمادي سنة أربع وتسعين وسار قطب الدين بن سنجر في عسكره فسبقه نور الدين الى نصيبين فلما وصل لقيه فهزمه نور الدين ودخل الى قلعة نصيبين مهزوما ثم أسرى منها الى حران ومعه نائبه مجاهد الدين برتقش وكاتبوا العادل أبا بكر بن أيوب يستحثونه من دمشق وأقام نور الدين بنصيبين حتى وصل العادل الى الجزيرة ففارقها الى الموصل في رمضان من السنة وعاد قطب الدين اليها وكان الموتان قد وقع عسكر نور الدين فمات كثير من أمراء الموصل ومات مجاهد الدين قايمان القائم بالدولة ولما عاد نور الدين الى الموصل وعاد قطب الدين الى نصيبين سار العادل الى ماردين فحاصرها اياما وضيق عليها ثم انصرف والله تعالى أعلم .

هزيمة الكامل بن العادل على ماردين أمام نور الدين صاحب الموصل وبني عمه ملوك الجزيرة

لما رحل العادل عن ماردين كما قدّمناه جر العساكر عليها للحصار مع ابنه الكامل وعظم ذلك على ملوك الجزيرة وديار بكر وخافوا أن ملكها يغلبهم على أمرهم ولم يكن سار من سار معه منهم عند اشتغاله بحرب نور الدين إلا تقيّة لكثرة عساكره فلما رجع إلى دمشق وبقي الكامل على ماردين استهانوا بأمره وطمعوا في مدافعه وأغراهم بذلك الظاهر والافضل ابنا

(١) بياض بالاصل وفي الكامل ج ١٢ ص ١٣٣ : فلما سمع الرسالة لم يلتفت وقال : لا اعيد ملكي ، فاشار الرسول من عنده حيث هو من مشايخ دولتهم بترك اللجاج وتسليم ما اخذه ، وحذّره عاقبة ذلك فأغلظ عليه عماد الدين القول وعرض بدم نور الدين واحتقاره فعاد الرسول وحكى لنور الدين جلية الحال ، فغضب نور الدين وعزم على المسير الى نصيبين .

صلاح الدين لفتنتهم مع عمهم العادل فتجهز نور الدين ارسلان شاه صاحب الموصل وسار أول شعبان سنة خمس وتسعين وانتهى إلى ديبس فأقام بها ولحق به ابن عمه قطب الدين محمد بن زنكي صاحب سنجار وابن عمه الآخر سنجر شاه بن غازي صاحب جزيرة ابن عمر حتى اذا انقضى عيد الفطر ارتحلوا وتقدموا الى مزاحمة الكامل على ماردين وكان أهل ماردين خلال ذلك قد ضاق مخنقهم وجهدهم الحصار وبعث النظام المستولى على دولة صاحبها الى الكامل يرأوده في الصلح وتسليم القلعة له الى أجل سماه على أن يبيع لهم ما يقوتهم من الميرة. فأسعفهم بذلك وبينما هم في ذلك جاءهم خبر العساكر فامتنعوا وزحف الكامل مهزوما الى معسكره بالريض فخرج أهل القلعة اليهم وقاتلوه الى المساء ثم أجفل الكامل من ليلته منتصف شوال وعاد الى بلاده ونهبت أهل القلعة محلفه وخرج صاحب ماردين وهو بولو ارسلان ابن أبي الغازي فلقى نور الدين وشكره وعاد الى حصنه ورجع نور الدين وأصحابه الى تستر ثم سار منها الى رأس عين فقدم عليها هنالك رسول الظاهر بن صلاح الدين من حلب يطلب له منه السكة والخطبة فوجم لذلك وثني عزمه عن مظاهرتهم ثم طرقة المرض فبعث اليهم بالعدر وعاد الى الموصل في ذي الحجة آخر السنة والله تعالى أعلم .

* (مسير نور الدين صاحب الموصل الى بلاد العادل بالجزيرة) *

ثم ان الملك العادل ملك مصر سنة ست وتسعين من يد الافضل ابن أخيه فخشيه الظاهر صاحب حلب وصاحب ماردين وراسلوا نور الدين صاحب الموصل في الاتفاق وأن يسير الى بلاد العادل بالجزيرة حران والرها والرقعة وسنجان فزار نور الدين لملكها في شعبان سنة سبع وتسعين وسار معه ابن عمه قطب الدين صاحب سنجار وحسام الدين صاحب ماردين وانتهوا الى رأس عين وكان بحران الفائر بن العادل في عسكر فأرسل الى نور الدين في الصلح فبادر الى الاجابة لما وقع في عسكره من الموتان واستحلفهم وحلف لهم وبعثوا الى العادل فحلف وعاد نور الدين الى الموصل في ذي القعدة من السنة والله تعالى أعلم .

* (هزيمة نور الدين صاحب الموصل أمام عسكر العادل) *

لم يزل الملك العادل يرسل قطب الدين صاحب سنجار ويستميله الى أن خطب له في أعماله سنة ستائة فزار نور الدين صاحب الموصل الى نصيبين من أعمال قطب الدين فحاصرها

وملك المدينة وأقام يحاصر القلعة فبينما هو قد قارب فتحها بلغه الخبر من نائبه بالموصل بأن مظفر الدين كوكبري صاحب اربل^(١) من أعمال الموصل فرحل عن نصيبين معتزما على قصد اربل فلم يجد كل الخبر صحيحا فسار الى تل اعفر من أعمال سنجار فحاصرها وملكها وكان الاشرف موسى بن العادل قد سار من حران الى رأس عين نجدة لصاحب سنجار وقد اتفق معه على ذلك مظفر الدين صاحب اربل وصاحب كيفا وآمد وصاحب جزيرة ابن عمر وتراسلوا وتواعدوا للاجتماع فلما ارتحل نور الدين عن نصيبين اجتمعوا عليها وجاءهم أخو الاشرف نجم الدين صاحب ميا فارقين وساروا الى البقعا من تل اعفر الى كفررقان وقصده المطاولة حتى^(٢) جاءه بعض عيونه فقللهم في عينه وأطمعه فيهم وكان من مواليه فوثق بقوله ورحل الى نوشري قريبا منهم وتراعى الجمعان فالتقوا وانهمز نور الدين ونجا في فل قليل ونزلت العساكر كفررقان ونهبوا مدينة فيد وما اليها وأقاموا هنالك وترددت الرسل في الصلح على أن يعيد نور الدين تل اعفر لقطب الدين صاحب سنجار فأعادها واصطلحوا سنة احدى وستائة ورجع كل الى بلده والله تعالى وليّ التوفيق .

* (مقتل سنجر شاه صاحب جزيرة

ابن عمر وولاية ابنه محمود بعده) *

كان سنجر شاه بن غازي بن مودود ابن الاتابك زنكي صاحب جزيرة ابن عمر وأعمالها أوصى له بها أبوه عند وفاته كما مرّ وكان سيء السيرة غشوما ظلوما مرهف الحدّ على رعيته وجنده وحرمه وولده كثير القهر لهم والانتقام منهم فاقد الشفقة على بنيه حتى غرب ابنه محمودا ومودودا الى قلعة فرح من بلاد الزوزان لتوهم توهمه فيها وأخرج ابنه غازي الى دار بالمدينة ووكل به فساءت حاله وكانت الدار كثيرة الخشاش فضجر من حاله وتناول حية وبعثها الى أبيه فلم يعطف عليه فتسلل من الدار واستخفى في المدينة وبعث الى نور الدين صاحب الموصل من أوهمه بوصوله اليه فبعث اليه بنفقة وردّه خوفا من أبيه وترك أبوه طلبه لما

(١) بياض بالاصل وفي الكامل ج ١٢ ص ١٩٣ : « ان مظفر الدين كوكبري بن زين الدين علي صاحب اربل قد قصد اعمال الموصل فهب تينوي واحرق غلاها . » وتري ان اسم صاحب اربل هنا كوكبري وعند ابن الاثير بوكري وكثيرا ما تختلف هذه الاسماء الاعجمية بين كتاب وآخر .

(٢) بياض بالاصل مع اختلاف في الاسماء وفي الكامل : وسار نور الدين من تل اعفر الى كفرزمار وعزم على المطاولة ليغرقوا فأناه كتاب من بعض مماليكه يسمى جرديك وقد ارسله يتجسس اخبارهم فيقللهم في عينه ويطمعه فيهم ويقول : ان اذنت لي لقيتهم بمفردي ج ١٢ ص ١٩٣ .

شاع انه بالشام فلم يزل غازي يعمل الحيلة حتى دخل دار أبيه واختفى عند بعض حظاياہ وطرق عليه الخلاء في بعض الليالي وهو سكران فطعنه أربع عشرة طعنة ثم ذبحه وأقام مع الحرم وعلم أستاذ الدولة من خارج بالخبر فأحضر أعيان الدولة وأغلق أبواب القصر وباع الناس لمحمود بن سنجر شاه واستدعاه وأخاه مودودا من قلعة فرح ثم دخلوا الى غازي وقتلوه ووصل محمود فلكوه ولقبوه معز الدين لقب أبيه وعمد الى الجواري التي واطأت على قتل أبيه فغرقهن في الدجلة. والله تعالى أعلم .

* (استيلاء العادل على الخابور ونصيبين

من أعمال صاحب سنجر وحصاره اياه) *

كان بين قطب الدين محمود بن زنكي بن مودود وبين ابن عمه نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عداوة مستحكمة قد مرّ كثير من أخبارها ولما كانت سنة خمس وستمائة أصهر العادل بن أيوب صاحب مصر والشام الى نور الدين في ابنته فزوجها نور الدين من ابنه واستكثر به وطمح الى الاستيلاء على جزيرة ابن عمر فأغرى العادل بأن يظاھرہ على ولاية ابن عمه قطب الدين سنجر وتكون ولاية قطب الدين وهي سنجر ونصيبين والخابور للعادل وتكون ولاية غازي بن سنجر شاه لنور الدين صاحب الموصل فأجاب الى ذلك العادل وأطعم نور الدين في أنه يقطع ولاية قطب الدين اذا ملكها لابنه الذي هو صهره على ابنته وتحالفا على ذلك وسار العادل سنة ست وستمائة من دمشق لملك الخابور وراجع نور الدين رأيه فاذا هو قد تورط وانه يملك البلاد كما يحب دونه ان وفي له وسار نور الدين الى الجزيرة فرجما حال بنو العادل بينه وبين الموصل وان انتقض نور الدين عليه سار اليه فاضطرب في أمره وملك العادل الخابور ونصيبين واعترم قطب الدين على أن يعتاض منه عن سنجر ببعض البلاد فمنعه من ذلك أحمد بن برتقش مولى أبيه وجهاز نور الدين عسكريا مع ابنه القاهر مددا للعادل كما اتفقا عليه وفي خلال ذلك بعث قطب الدين سنجر ابنه الى مظفر الدين صاحب اربل يستنجده فأرسل الى العادل شافعا في أمره فلم يشفعه لمظاهرة نور الدين اياه فغضب مظفر الدين وأرسل الى نور الدين في المساعدة على دفاع العدو فأجاب نور الدين الى ذلك ورجع عن مظاهرة العادل وأرسل هو ومظفر الدين الى الظاهر بن صلاح الدين صاحب حلب والى كسنجر بن قليج ارسلان صاحب الروم يستنجدانها فأجاباهما وتداعوا الى قصد بلاد العادل ان لم يرحل عن سنجر وبعث الخليفة

الناصر أستاذًا لدار أبا نصر هبة الله بن المبارك بن الضحاك والامير اقناش من خواص مواليه في الافراج عن سنجار وتخاذل أصحابه عن مضايقة سنجار معه وسيا أسد الدين شيركوه صاحب حمص والرحبة فانه جاهر بخلافه في ذلك فأجاب العادل في الصلح على أن تكون نصيبين والخابور اللذان ملكهما له وتبقى سنجار لقطب الدين وتحالفوا على ذلك ورجع العادل الى حرّان ومظفر الدين الى اربل والله تعالى أعلم .

* (وفاة نور الدين صاحب الموصل وولاية ابنه القاهر) *

ثم توفي نور الدين ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن الاتابك زنكي منتصف سنة سبع وستائة لثمان عشرة سنة من ولايته وكان شهيا شجاعا مهيبا عند أصحابه حسن السياسة لرعيته وجدّد ملك آبائه بعد أن أشقى على الذهاب ولما احتضر عهد بالملك لابنه عز الدين مسعود وهو ابن عشرين سنة وأوصاه أن يتولى تدبير ملكه مولاه بدر الدين لؤلؤ لما فيه من حسن السياسة وكان قائما بأمره منذ توفي مجاهد الدين قايمان وأوصى الولده الاصغر عماد الدين بقلعة عقر الحميدية وقلعة شوش وولايتها ولفته الى العقر فلما توفي نور الدين بايع الناس ابنه عز الدين مسعودا ولقبوه القاهر واستقرّ ملك الموصل أعمالها له وقام بدر الدين لؤلؤ بتدبير دولته والبقاء لله وحده .

* (وفاة القاهر وولاية ابنه نور الدين ارسلان شاه

في كفالة بدر الدين لؤلؤ) *

لما توفي الملك القاهر عز الدين مسعود بن ارسلان شاه بن مسعود بن مودود بن الاتابك زنكي صاحب الموصل آخر ربيع الأول سنة خمس عشرة وخمسمائة لثمان سنين من ولايته بعد أن عهد بالملك لابنه الاكبر نور الدين ارسلان شاه وعمره عشرون سنة وجعل الوصي عليه والمدير لدولته لؤلؤا كما كان في دولة القاهر وابنه نور الدين فبايع له وقام بملكه وأرسل الى الخليفة في التقليد والخلع على العادة فوصلت وبعث الى الملوك في الأطراف في تجديد العهد كما كان بينهم وبين سلفه وضبط أموره وكان عمه نور الدين زنكي ارسلان شاه بقلعة عقر الحميدية لايشك في مصير السلطان له فدفعه عن ذلك واستقامت أموره وأحسن السيرة

(١) تاريخ وفاته في (الكامل ج ١٢ ص ٣٣٣) هو سنة خمس عشرة وستائة .

وسمع شكوى المتظلمين وأنصفهم ووصل في تقليد الخليفة لنور الدين اسناد التتر في أموره
لبدر الدين لؤلؤ^(١) والله أعلم .

* (استيلاء عماد الدين صاحب عقر على قلاع الهكارية والزوزان) *

كان عماد الدين زنكي قد ولاه أبوه قلعتي العقر والشوش قريبا من الموصل وأوصى له بهما
وعهد بالملك لابنه الاكبر القاهر فلما توفي القاهر كما ذكرنا طمع زنكي الى الملك وكان
يحدث به نفسه فلم يحصل له وكان بالعمادية نائب من موالي جدّه مسعود فدخله في الطاعة
له وشعر بذلك بدر الدين لؤلؤ فعزل ذلك النائب وبعث اليها أميرا أنزله بها وجعل فيها نائبا
من قبله واستبدّ بالنوّاب في غيرها وكان نور الدين بن القاهر لا يزال عليلا لضعف مزاجه
وتوالي الامراض عليه فبقي محتجبا طول المدة فأرسل زنكي الى نور الدين بالعمادية يشيع موته
ويقول أنا أحق بملك سني فتوهموا صدقة وقبضوا على نائب لؤلؤ ومن معه وسلموا البلد لعماد
الدين زنكي منتصف رمضان سنة خمس عشرة وجهز لؤلؤ العساكر وحاصروه بالعمادية في
فصل الشتاء وكتب البرد وتراكم الثلج ولم يتمكنوا من قتاله وظهره مظفر الدين صاحب
اربيل على شأنه وذكر لؤلؤا بالعهد الذي بينهما أن لا يتعرّض لآعمال الموصل والنص فيها على
قلاع الهكارية والزوزان وانه مظاهر لهم على من يتعرّض لها فلج في مظاهرتة واعتمد نقض
العهد وأقام العسكر محاصراً لزنكي بالعمادية وتقدموا بعض الليالي وركبو الاوعار اليه فبرز
اليهم أهل العمادية وهزمهم في المضائق والشعاب فعادوا الى الموصل وراسل عماد الدين قلاع
الهكارية والزوزان في الطاعة له فأجابوه وملكها وولى عليها والله أعلم .

* (مظاهرة الاشرف بن العادل للؤلؤ صاحب الموصل) *

ولما استولى عماد الدين زنكي على قلاع الهكارية والزوزان وظهره مظفر الدين صاحب اربيل
خاف لؤلؤ غائلته فبعث بطاعته الى الاشرف موسى بن العادل وقد ملك أكثر بلاد الجزيرة
وخلاط وأعمالها ويسأله المعاضدة فأجابه وكان يومئذ بجلب في مدافعة كيكاكوس صاحب

(١) هنا عبارة ساقطة وفي الكامل : وبعد ايام وصل التقليد من الخليفة لنور الدين بالولاية ولبدر الدين بالنظر في امر
دولته والتشريفات لها ايضا . واتهم رسل الملوك بالتعزية وبذل ما طلب منهم من العهود واستقرت القواعد لها .

بلاد الروم عن أعمالها فأرسل الى مظفر الدين بالنكير عليه فيما فعل من نقضه العهد الذي كان بينهم جميعا كما مرّ ويعزم عليه في اعادة ما أخذ من بلاد الموصل ويتوعده ان أصّر على مظاهره زنكي بقصد بلاده فلم يجب مظفر الدين الى ذلك واستألف على أمره صاحب ماردين وناصر الدين محمودا صاحب كيفا وآمد فوافقوه وفارقوا طاعة الاشرف في ذلك فبعث الاشرف عساكره الى نصيبين لانجاد لؤلؤ متى احتاج اليه والله تعالى أعلم .

* (واقعة عساكر لؤلؤ بعاد الدين) *

ولما عاد عسكر الموصل عن حصار العمادية خرج زنكي الى قلعة العقير ليتمكن من أعمال الموصل الصحراوية اذ كان قد فرغ من أعمالها الجبلية وأمدّه مظفر الدين صاحب اربل بالعساكر وعسكر جند الموصل على أربع فراسخ من البلد من ناحية العقير ثم اتفقوا على المسير الى زنكي وصبحوه آخر المحرم سنة ست عشرة وسبعمائة وهزموه فلهق باربل وعاد العسكر الى مكانهم ووصل رسل الخليفة الناصر والاشرف ابن العادل في الصلح بينهما فاصطلحوا وتحالفوا والله تعالى أعلم .

* (وفاة نور الدين صاحب الموصل وولاية أخيه ناصر الدين) *

لما توفي نور الدين ارسلان شاه ابن الملك القاهرة كما قدّمناه من سوء مزاجه واختلاف الاسقام عليه فتوفي قبل كمال الحول ونصب لؤلؤ مكانه أخاه ناصر الدين محمد بن القاهرة في سنّ الثلاث واستحلف له الجند وأركبه في الموكب فرضي به الناس لما بلوا من عجز أخيه عن الركوب لمرضه والله تعالى وليّ التوفيق .

* (هزيمة لؤلؤ صاحب الموصل من مظفر الدين صاحب اربل) *

ولما توفي نور الدين ونصب لؤلؤ أخاه ناصر الدين محمدا على صغر سنه تجدد الطمع لعماد الدين عمه ولظفر الدين صاحب اربل في الاستيلاء على الموصل وتجهزوا لذلك وعاثت سراياه في نواحي الموصل وكذا لؤلؤ قد بعث ابنه الاكبر في العساكر نجده للملك الاشرف وهو يقصد بلاد الافرنج بالسواحل ليأخذ بحجزتهم عن امداد اخوانهم بدمياط عن أبيه

الكامل بمصر فبادر لؤلؤ الى عسكر الاشرف الذين بنصيبين واستدعاهم فجاءوا الى الموصل
متصف سنة عشر وستائة وعليهم ايبك مولي الاشرف فاستقلهم لؤلؤ وراهم مثل عسكره
الذين بالشام أودونهم وألح ايبك على عبور دجلة الى اربل ففنه أياما فلما أصرّ عبر لؤلؤ معه
ونزلوا على فرسخين من الموصل شرقي دجلة وجمع مظفر الدين زنكي وعبروا^(١)
الزاب وتقدّم اليهم ايبك في عسكره وأصحاب لؤلؤ وسار متصف الليل
من رجب وأشار عليه لؤلؤ بانتظار الصباح فلم يفعل ولقيهم بالليل وحمل ايبك على زنكي
في الميسرة فهزمه وانهزمت ميسرة لؤلؤ فبقى في نفر قليل فتقدّم اليه مظفر الدين فهزمه وعبر
دجلة الى الموصل وظهر مظفر الدين على تبريز ثلاثا ثم بلغه أنّ لؤلؤا يريد تبسيته فأجفل راجعا
وتردّت الرسل بينهما فاصطلحا على كل ما بيده والله أعلم .

* (وفاة صاحب سنجار وولاية ابنه ثم مقتله وولاية أخيه) *

ثم توفي قطب الدين محمد بن زنكي بن مودود بن الاتابك زنكي صاحب سنجار في ثامن
صفر سنة ست عشرة وستائة وكان حسن السيرة مسلما الى توابه وملك بعده ابنه عماد الدين
شاهين شاه واشتمل الناس عليه فملك شهورا ثم سار الى تل اعفر فاغتاله أخوه عمر ودخل
اليه في جمعة فقتلوه وملك بعده وبقي مدّة الى أن تسلم منها الاشرف بن العادل مدينة سنجار
في جمادى سنة سبع عشرة وستائة والله أعلم .

* (استيلاء عماد الدين على قلعة كواشي ولؤلؤ على تل اعفر والأشرف على سنجار) *

كانت كواشي من أحسن قلاع الموصل وأمنعه وأعلاه ولما رأى الجند الذين بها بعد أهل
العمادية واستبدادهم بأنفسهم طمعوا في مثل ذلك وأخرجوا نواب لؤلؤ عنهم وتمسكوا بإظهار
الطاعة على البعد خوفاً على رهائنهم بالموصل ثم استدعوا عماد الدين زنكي وسلموا له القلعة
وأقام عندهم وبعث لؤلؤ إلى مظفر الدين يذكره العهد التي لم يحز ثلمها بعد فأعرض وأرسل

(١) بياض بالاصل وفي الكامل ج ١٢ ص ٣٤٥ : فلما سمع مظفر الدين ذلك جمع عسكره وسار اليهم ومعه
زنكي فعبر الزاب ، وسبق خبره فسمع بدر الدين فعصى اصحابه .

إلى الأشرف بجلب يستنجد به فصار وعبر الفرات إلى حران وكان مظفر الدين صاحب أربل يرسل الملوك بالأطراف ويغريهم بالأشرف ويخوفهم غائلته ولما كان بين كيكائوس بن كنجسر وصاحب الروم من الفتنة ما ذكره في أخباره وسار كيكائوس إلى حلب دعا مظفر الدين الملوك بناحيته إلى وفاق كيكائوس مثل صاحب كيفا وآمد وصاحب ماردین فأتاعوه وخطبوا له في أعمالهم ومات كيكائوس وفي نفس الأشرف منه وثمن مظفر الدين ما في نفسه ولما سار الأشرف إلى حران لمظاهرة لؤلؤ راسل مظفر الدين جماعة من أمرائه مثل أحمد بن علي المشطوب وعز الدين محمد بن بدر الحميدي وغيرهما واستألمهم ففارقوا الأشرف ونازلوا ديبس تحت ماردین ليجتمعوا مع ملوك الأطراف لمداغة الأشرف واستألم الأشرف صاحب آمد وأعطاه مدينة حالي وجبل حودي ووعد به بدارا إذا ملكها فأجاب وفارقهم إليه واضطر آخرون منهم إلى طاعة الأشرف فانحل أمرهم وانفرد ابن المشطوب بمشاقة الأشرف فقصد أربل وممر بنصيبين فقاتله شيخ بها فانهزم إلى سنجار فأسره صاحبها وكان هواه مع الأشرف ولؤلؤ فصدده ابن المشطوب عن رأيه فيهم حتى أجمع خلافه وأطلقه فجمع المفسدين وقصد البقعا من أعمال الموصل فاكتسح نواحيها وعاد ثم سار من سنجار ثانية إلى الموصل وأرصد له لؤلؤ عسكرياً فاعترضوه فهزموه واجتاز بتل أعفر من أعمال صاحب سنجار فأقاموا عليها وبعثوا إلى لؤلؤ فصار وحاصرها وملكها في ربيع سنة سبع عشرة وستائة وأسر ابن المشطوب وجاء به إلى الموصل ثم بعث به إلى الأشرف فحبسه بجران سنين وهلك في محبسه ولما أطاع صاحب آمد الأشرف رحل من حران إلى ماردین ونزل ديبس وحاصر ماردین ومعه صاحب آمد وترددت الرسل بينه وبين صاحب ماردین على أن يرد عليه رأس عين وكان الأشرف قد أقطعها له على أن يحمل إليه ثلاثين ألف دينار وأن يعطي لصاحب آمد الورزني بلد^(١) وانعقد الصلح بينهما وإرتحل الأشرف من ديبس إلى نصيبين يريد الموصل فلقبه رسل صاحب سنجار يطلب من يتسلمها منه على أن يعوضه الأشرف منها بالركة بما أدركه من الخوف عند استيلاء لؤلؤ على تل أعفر ونفرة أهل دولته عنه لقتله أخاه كما ذكرناه فأجابه الأشرف وأعطاه الرقة وملك سنجار في جمادي سنة سبع عشرة وستائة ورحل عنها بأهله وعشيرته وانقرض أمر بني زنكي منها بعد أربع وتسعين سنة والبقاء لله وحده .

(١) بياض بالأجل وأخطاء بالاسماء ، وفي الكامل ج ١٢ ص ٣٤٣ : وتأخذ منه صاحب آمد الموزر من بلد شبختان ، فلم تم الصلح سار الأشرف من دنس إلى نصيبين يريد الموصل .

* (صلح الأشرف مع مظفر الدين) *

ولما ملك الأشرف سنجان سار إلى الموصل ووافاه بها رسل الخليفة الناصر ومظفر الدين صاحب أربل في الصلح وردّ القلاع المأخوذة من إيالة الموصل على صاحبها لؤلؤ ما عدى المهادية فتبقى بيد زنكي وتردد الحديث في ذلك شهرين ولم يتمّ فرحل الأشرف بقصد إربل حتى قارب نهر الزاب وكان العسكر قد ضجروا سوء صاحب آمد مع مظفر الدين فأشار باجابهته إلى ما سأل ووافق على ذلك أصحاب الأشرف فانهقد الصلح وساق زنكي إلى الأشرف رهينة على ذلك وسلمت قلعة العقروشوش لنواب الأشرف وهما لزنكي رهناً أيضاً وعاد الأشرف إلى سنجان في رمضان سنة سبع عشرة وبعثوا إلى القلاع فلم يسلمها جندها وامتنعوا بها واستجار عماد الدين زنكي بشهاب بن العادل فاستعطف له أخاه الأشرف فأطلقه وردّ عليه قلعتي العقروشوش وصرف نوابه عنها وسمع لؤلؤ الأشرف يميل إلى قلعة تل أعفر وأنها لم تزل لسنجان قديماً فبعث إليه بتسليمها والله تعالى أعلم .

* (رجوع قلاع الهكارية والزوزان إلى طاعة صاحب الموصل) *

لما رأى زنكي أنه ملك قلاع الهكارية والزوزان وسأوه فلم يروا عنده ما ظنوه من حسن السيرة كما يفعله لؤلؤ مع جنده ورعاياه اعترموا على مراجعة طاعة لؤلؤ وطلبوه في الإقطاع فأجابهم واستأذن الأشرف فلم يأذن له وجاء زنكي من عند الأشرف فحاصر العبادية ولم يبلغ منها غرضاً فأعادوا مراسلة لؤلؤ فاستأذن الأشرف وأعطاه قلعة جديدة ونصيبين وولاية بين النهرين وأذن له في تملك القلاع وأرسل نوابه إليها ووفى لهم بما عاهدهم عليه وتبعهم بقية القلاع من أعمال الموصل فدخلوا كلهم في طاعة لؤلؤ وانتظم له ملكها والله تعالى أعلم .

* (استيلاء صاحب الموصل على قلعة سوس) *

كانت قلعة شوش وقلعة العقر متجاورتين على إثني عشر فرسخاً من الموصل وكانتا لعماد الدين زنكي بن نور الدين أرسلان شاه بوضعية أبيه كما مرّ وملك معها قلاع الهكارية والزوزان ورجعت إلى الموصل وسار هو سنة تسعة عشر إلى أربك بن البهلوان صاحب أذربيجان من بقية السلجوقية فسار معه وأقطع له الإقطاعات وأقام عنده فسار لؤلؤ من الموصل إلى قلعة

شوش فحاصرها وضيق عليها وإمتنعت عليه فجمر العساكر لحصارها وعاد إلى الموصل ثم اشتدّ الحصار بأهلها وإنقطعت عنهم الأسباب فاستأمنوا إلى لؤلؤ ونزلوا له عنها على شروط اشتروطها وقبلها وبعث نوابه عليها والله تعالى أعلم .

* (حصار مظفر الدين الموصل) *

كان الأشرف بن العادل بن أيوب قد استولى على الموصل ودخل لؤلؤ في طاعته واستولى على خلاط وسائر أرمينية وأقطعها أخاه شهاب الدين غازي ثم جعله وليّ عهده في سائر أعماله ثم نشأت الفتنة بينهما فاستظهر غازي بأخيه المعظم صاحب دمشق وبمظفر الدين كوكبري وتداعوا لحصار الموصل فجمع أخوهما الكامل عساكره وسار إلى خلاط فحاصرها بعد أن بعث إلى المعظم صاحب دمشق وتهدّده فأقصر عن مظاهرة أخيه واستنجد غازي بمظفر الدين كوكبري صاحب أربل فسار إلى الموصل وحاصرها ليأخذ بحجزة الأشرف عن خلاط ونهض المعظم صاحب دمشق لإنجاد أخيه غازي وكان لؤلؤ صاحب الموصل قد استعدّ للحصار فأقام عليها مظفر الدين عشرا ثم رحل منتصف إحدى وعشرين لإمتناعها عليه ولقيه الخبر بأن الأشرف قد ملك خلاط من يد أخيه فندم على ما كان منه .

* (إنتقاض أهل العمادية على لؤلؤ ثم استيلاؤه عليها) *

قد تقدّم لنا أنتقاض أهل قلعة العمادية من أعمال الموصل سنة خمس عشرة ورجوعه إلى عماد الدين زنكي ثم عودهم إلى طاعة لؤلؤ فأقاموا على ذلك مدّة ثم عادوا إلى ديدنهم من التمرّض في الطاعة وتجنّوا على لؤلؤ بغزل نوابه فعزّهم مرّة بعد أخرى ثم استبدّ بها أولاد خواجا إبراهيم وأخوه فيمن تبعهم وأخرجوا من خالفهم وأظهروا العصيان على لؤلؤ فسار إليهم سنة اثنتين وعشرين وحاصره وقطع الميرة عنهم وبعث عسكر إلى قلعة هزوران وقد كانوا تبعوا أهل العمادية في العصيان فحاصره حتى استأمنوا وملكها ثم جهز العساكر إلى العمادية مع نائبه أمين الدين وعاد إلى الموصل واستمرّ الحصار إلى ذي القعدة من السنة ثم راسلوا أمين الدين في الصلح على مال وأقطاع وعوض عن القلعة وأجاب لؤلؤ إلى ذلك وكان أمين الدين قد وليا قبل ذلك فكان له فيها بطانة مستمدّون على عهده ومكاتبته وسخط كثير من أهل البلد فعل أولاد خواجا إبراهيم واستشارهم بالصلح دونهم فوجد

أولئك البطانة سبيلاً إلى التسلط عليهم ودسوا لأمين الدين أن يبيت البلد ويصالحهم فوثبوا بأولاد خواجا ونادوا بشعار لؤلؤ فصعد العسكر القلعة وملكها أمين الدين وبعث بالخبر إلى لؤلؤ قبل أن ينعقد اليمين مع وفد أولاد خواجا والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق .

مسير مظفر الدين صاحب أربل إلى أعمال الموصل وعوده عنها

كان جلال الدين شكري بن خوارزم شاه قد غلبه التتر أول خروجهم سنة سبع عشرة وستائة على خوارزم وخراسان وغزنة وفرّ أمامهم إلى الهند ثم رجع عنها لسنة اثنتين وعشرين واستولى على العراق ثم على أذربيجان وجاور الأشرف بن العادل في ولايته بخلاط والجزيرة وحدثت بينهما الفتنة وراسله أعيان الأشرف في الأغراء به مثل مظفر الدين صاحب أربل ومسعود صاحب آمد وأخيه المعظم صاحب دمشق واتفقوا على ذلك وسار جلال الدين إلى خلاط وسار مظفر الدين إلى الموصل وانتهى إلى الزاب ينتظر الخبر عن جلال الدين وسار المعظم صاحب دمشق إلى حمص وحماة وبعث لؤلؤ من الموصل يستنجد الأشرف فسار إلى حران ثم إلى ديبس فاكتسح أعمال ماردين وكان جلال الدين قد بلغه إنتقاض نائبه بكرمان فاغذ السير إليه وترك خلاط بعد أن عاث في أعمالها وقت ذلك في أعضاء الآخرين وعظمت سطوة الأشرف بهم وبعث إليه أخوه المعظم وقد نازل حمص وحماة يتوعده بمحاصرتها ومحاصرة مظفر الدين الموصل فرجع عن ماردين ورجع الآخرون عن حمص وحماة والموصل ولحق كل ببلده والله تعالى أعلم .

* (مسير التتر في بلاد الموصل وأربل) *

ولما أوقع التتر بجلال الدين خوارزم شاه على آمد سنة ثمان وعشرين وقتلوه ولم يبق لهم مدافع من الملوك ولا ممانع إنساحوا في البلاد طولا وعرضاً ودخلوا ديار بكر واكتسحوا سواد آمد وارزن وميفارقين وحاصروا^(١)

(١) يياض بالأصل ، ولم نعتز بالمصادر التي بين أيدينا على إسم المكان الذي حاصروه وملكوه .

ماردين فعاثوا في نواحيها ثم دخلوا الجزيرة واكتسحوا أعمال نصيين ثم مروا إلى سنجار فنهبوا ودخلوا الخابور واستباحوه وسارت طائفة منهم إلى الموصل فاستباحوا أعمالها ثم أعمال أربل وأفحشوا فيها وبرز مظفر الدين في عساكره واستمدّ عساكر الموصل فبعث بها لؤلؤ إليه ثم عاد التتر عنهم إلى أذربيجان فعاد كل إلى بلاده والله أعلم .

* (وفاة مظفر الدين صاحب أربل وعودها إلى الخليفة) *

ثم توفي مظفر الدين كوكبري بن زين الدين كجك صاحب أربل سنة تسع وعشرين لأربع وأربعين سنة من ولايته عليها أيام صلاح الدين بعد أخيه يوسف ولم يكن له ولد فأوصى بأربل للخليفة المستنصر فبعث إليها نوابه واستولى عليها وصارت من أعماله والله تعالى أعلم .

* (بقية أخبار لؤلؤ صاحب الموصل) *

كان عسكر خوارزم شاه بعد مهلكه سنة ثمان وعشرين على آمد لحقوا بصاحب الروم كيقيباد فاستنجدهم وهلك سنة أربع وثلاثين وستائة وولي ابنه كنخسرو قبض على أميرهم ومرو الباقون وانتبدوا بأطراف البلاد وكان الصالح نجم الدين أيوب في حران وكيفا وآمد نائباً عن أبيه الملك العادل فرأى المصلحة في استضافتهم إليه فاستألمهم واستخدمهم بعد أن أذن أبوه له في ذلك فلما مات أبوه سنة خمس انتقضوا ولحقوا بالموصل واشتمل عليهم لؤلؤ وسار معهم فحاصر الصالح بسنجار ثم بعث الصالح إلى الخوارزمية واستألمهم فرجعوا إلى طاعته على أن يعطيهم حران والرها يتزلون بها فأعطاها إياهم وملكوها ثم ملكوا نصيين من أعمال لؤلؤ وبنو أيوب يومئذ متفرقون على كراسي الشام وبينهم من الأنفة والفرقة ما نتلو عليك قصصه في دولتهم ثم استقر ملك سنجار للجواد يونس منهم وهو ابن مودود بن العادل أخذها من الصالح نجم الدين أيوب عوضاً عن دمشق واستولى لؤلؤ على سنجار من يده سنة سبع وثلاثين ثم حدث بين صاحب حلب وبين الخوارزمية فتنة ولحقوا يومئذ لصفيتهم خاتون بنت العادل فبعثت العساكر إليهم مع المعظم بوران شاه بن صلاح الدين فهزموا عساكره وأسروا ابن أخيه الأفضل ودخلوا حلب واستباحوها فتحو منبج وعاثوا فيها وقطعوا الفرات من الرقة وهم يذهبون وتبعهم عسكر دمشق وحمص فهزمهم وأثنوا فيهم ولحقوا ببلدهم حران فسارت إليهم عساكر حلب واستولوا على حران ولحق الخوارزمية بغانة وبادر لؤلؤ

صاحب الموصل إلى نصيبين فملكها من أيديهم ثم توفيت صفية بنت العادل سنة أربعين في حلب وكانت ولايتها بعد وفاة أبيها العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين فولّي بعدها ابنه الناصر يوسف ابن العزيز في كفالة مولاه إحيال الخاتوني فلما كانت سنة ثمان وأربعين وستائة وقع بين عسكره وبين بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل حرب، إنهمز فيها لؤلؤ وملك الناصر نصيبين ودارا وقرقيسيا ولحق لؤلؤ بحلب ثم زحف هلاكو ملك التتر إلى بغداد سنة (١) وملكها وقتل الخليفة المستعصم واستلحم العلية من بغداد كما مرّ في أخبار الخلفاء ويأتي في أخبار التتر وتخطى منها إلى أذربيجان فبادر لؤلؤ ووصل إليه بأذربيجان وآتاه طاعته وعاد إلى الموصل والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده .

* (وفاة صاحب الموصل وولاية ابنه الصالح) *

ثم توفي بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل سنة سبع وخمسين وستائة وكان يلقب الملك الرحيم وملك بعده على الموصل ابنه الصالح إسماعيل وعلى سنجار ابنه المظفر علاء الدين علي وعلى جزيرة ابن عمر ابنه المجاهد إسحق وأبقاهم هلاكو عليها مدة ثم أخذها منهم ولحقوا بمصر فترلوا على الملك الظاهر بيبرس كما نذكر في أخباره وسار هلاكو إلى الشام فملكها وانقرضت دولة الأتابك زنكي وبينه ومواليه من الشام والجزيرة أجمع كان لم تكن والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين والبقاء لله تعالى وحده والله تعالى أعلم .

(١) بياض بالأصل وقد ذكر أبو الفداء في أخبار البشر هذا الحدث في العشرين من محرم سنة ست وخمسين وستائة .

نور الدين ارسلان شاه بن القاقر عز الدين مسعود بن نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن اقسقر مولى السلطان ملك شاه. ٤٥

عماد الدين

شاهنشاه بن قطب الدين بن عماد الدين زنكي محمود

يوسف بن زين الدين كوجك علي بن سبكككين

المظفر كوكري صاحب اربل

صاحب خريز بن عمر

المجاهد اسحق

١٢٧٥

١٢٧٥

سنين

صاحب الموصل

١٢٧٥

عز الدين مسعود بن نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن اقسقر مولى السلطان ملك شاه. ٤٥

عز الدين مسعود بن نور الدين ارسلان شاه بن عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي بن اقسقر مولى السلطان ملك شاه. ٤٥

الانابك عماد الدين

قسم الدولة

(دولة بني أيوب)

الخبر عن دولة بني أيوب القائمين بالدولة العباسية وما كان لهم من الملك بمصر والشام واليمن والمغرب وأولية ذلك ومصابيره

هذه الدولة من فروع دولة بني زنكي كما تراه وجدهم هو أيوب بن شادي بن مروان بن علي ابن الحسن بن علي بن أحمد بن علي بن عبد العزيز بن هذبة بن الحصين بن الحرث بن سنان بن عمر بن مرة بن عوف الحميري الدوسي هكذا نسب بعض المؤرخين لدولتهم قال ابن الأثير أنهم من الأكراد الروادية وقال ابن خلكان شادي أبوهم من أعيان درين وكان صاحبه بها بهروز فأصابه خصي من بعض أمرائه وفرحياء من المثلة فلحق بدولة السلطان مسعود بن محمد بن ملك شاه وتعلق بخدمة داية بنيه حتى إذا هلك الداية أقامه السلطان لبنيه مقامه فظهرت كفايته وعلا في الدولة محله فبعث عن شادي بن مروان صاحبه لما بينها من الألفة وأكد الصلابة فقدم عليه ثم ولي السلطان بهروز شحنة بغداد فصار إليها واستصحب شادي معه ثم أقطعه السلطان قلعة تكريت فولى عليها شادي فهلك وهو وال عليها وولى بهروز مكانه ابنه نجم الدين أيوب وهو أكبر من أسد الدين شيركوه فلم يزل والياً عليها ولما زحف عماد الدين زنكي صاحب الموصل لمظاهرة مسعود على الخليفة المسترشد سنة عشرين وخمسائة وإنهزم الأتابك وانكفأ راجعاً إلى الموصل ومّر بتكريت قام نجم الدين بعلوفته وازواده وعقد له الجسور على دجلة وسهل له عبورها ثم أن شيركوه أصاب دماً في تكريت ولم يفده منه أخوه أيوب فعزله بهروز وأخرجها من تكريت فلحقا بعماد الدين بالموصل فأحسن إليهما وأقطعهما ثم ملك بعلبك سنة إثنين وثلاثين جعله نائباً ولم يزل بها أيوب ولما مات عماد الدين زنكي سنة إحدى وأربعين صاحب دمشق فخر الدين طغركين إلى بعلبك وحاصرها واسترل أيوب منها على ما شرط لنفسه من الإقطاع وأقام معه بدمشق وبقي شيركوه مع نور الدين محمود بن زنكي وأقطعه حمص والرحبة لإستطلاع وكفايته وجعله مقدّم عساكره ولما صرف نظره إلى الإستيلاء على دمشق واعترم على مداخلة أهلها كان ذلك على يد شيركوه وبمكاتبته لأخيه أيوب وهو بدمشق فتم ذلك على أيديهما وبمحاولتهما وملكها سنة تسع وأربعين وخمسائة وكانت دولة العلويين بمصر قد أخلقت جدتها وذهب استفحاليها واستبدت وزراؤها على خلفائها فلم يكن الخلفاء يملكون معهم وطمع الإفرنج في سواحلهم وأمصارهم لما نالهم من الهرم والوهن فقالوا عليهم وانتزعوا البلاد من

أيديهم وكانوا يردون عليهم كرسي خلافتهم بالقاهرة ووضعوا عليهم الجزية وهم يتجرعون المصاب من ذلك ويتحملونه مع بقاء أمرهم كاد الأتابك زنكي وقومه السلجوقية من قبله أن يمحوا دعوتهم ويذهبوا بدولتهم وأقاموا من ذلك على مضض وقلق وجاء الله بدعوة العاضد آخرهم وتغلب عليه بعد الصالح بن رزيك شاور السعدي وقتل رزيك بن صالح سنة ثمان وخمسين واستبدَّ على العاضد ثم نازعه الضرغام لتسعة أشهر من ولايته وغلبه وأخرجه من القاهرة فلحق بالشام ولحق بنور الدين صريحاً سنة تسع وخمسين وشرط له على نفسه ثلث الجباية بأعمال مصر على أن يبعث معه عسكرياً يقيمون بها فأجاباه إلى ذلك وبعث أسد الدين شيركوه في العساكر فقتل الضرغام ورد شاور إلى رتبته وآل أمرهم إلى محو الدولة العلوية وانتظام مصر وأعمالها في ملكة ابن أيوب بدعوة نور الدين محمود بن زنكي ويخطب للخلفاء العباسيين لما هلك نور الدين محمود واستبدَّ صلاح الدين بأمره في مصر ثم غلب على بني نور الدين محمود وملك الشام من أيديهم وكثر عيث ابن عمهم مودود واستفحل ملكه وعظمت دولة بنيهِ من بعده إلى أن انقرضوا والبقاء لله وحده .

* (مسير أسد الدين شيركوه إلى مصر وإعادة شاور إلى وزارته) *

لما إعتزم نور الدين محمود صاحب الشام على صريح شاور وإرسال العساكر معه واختار لذلك أسد الدين شيركوه بن شادي وكان من أكبر أمرائه فاستدعاه من حمص وكان أميراً عليها وهي أقطاعه وجمع له العساكر وأزاح عنهم وفصل بهم شيركوه من دمشق في جمادي سنة تسع وخمسين وسار نور الدين بالعساكر إلى بلاد الإفرنج ليأخذ بحجزتهم عن إعتراضه أو صده لما كان بينهم وبين صاحب مصر من الألفة والتظاهر ولما وصل أسد الدين بلبس لقيه هنالك ناصر الدين أخو الضرغام وقاتله فانهزم وعاد إلى القاهرة مهزوماً وخرج الضرغام منسلخ جمادى الأخيرة فقتل عند مشهد السيدة نفيسة رضي الله عنها وقتل أخوه وأعاد شاور إلى وزارته وتمكن فيها وصرف أسد الدين إلى بلده وأعرض عما كان بينها فطالبه أسد الدين بالوفاء فلم يجب إليه فتغلب أسد الدين على بلبس والبلاد الشرقية وبعث شاور إلى الإفرنج يستنجدهم ويعددهم فبادروا إلى إجابته وسار بهم ملكهم مري لخوفهم أن يملك أسد الدين مصر واستعانوا بجمع من الإفرنج جاؤا الزيارة القدس وسار نور الدين إليهم ليشغلهم فلم يشتم ذلك وطعموا لغزهم ورزأ أسد الدين إلى بلبس واجتمعت العساكر المصرية والإفرنج عليه وحاصروه ثلاثة أشهر وهو يغادهم القتال ويرأوهم وامتنع عليهم وقصاراهم

منع الأخبار عنه واستنفر نور الدين ملوك الجزيرة وديار بكر وقصر حارم وسار الإفرنج لمدافعتهم فهزمهم وأثنى فيهم وأسر صاحب إنطاكية وطرابلس وفتح حارم قريباً من حلب ثم سار إلى بانياس قريباً من دمشق ففتحها كما مرّ في أخبار نور الدين وبلغ الخبر بذلك إلى الإفرنج وهم محاصرون أسد الدين في بليس ففت في عزائمهم وطووا الخبر عنه وراسلوه في الصلح على أن يعود إلى الشام فصالحهم وعاد إلى الشام في ذي الحجة من السنة والله تعالى أعلم .

* (مسير أسد الدين ثانياً إلى مصر وملكه لإسكندرية ثم صلحه عليها وعوده) *

ولما رجع أسد الدين إلى الشام لم يزل في نفسه مما كان من غدر شاور وبقى يشحن لغزوهم إلى سنة اثنتين وستين فجمع العساكر وبعث معه نور الدين جماعة من الأمراء واكتف له العسكر خوفاً على حامية الإسلام وسار أسد الدين إلى مصر وانتهى إلى أطفح وعبر منها إلى العدو الغرية ونزل الجيزة وأقام نحواً من خمسين يوماً وبعث شاور إلى الإفرنج يستمدّهم على العادة وعلى ما لهم من التخوف من استفحال ملك نور الدين وشيركوه فسارعوا إلى مصر وعبروا مع عساكرها إلى الجيزة وقد إرتحل عنها أسد الدين إلى الصعيد وانتهى منها إلى (١) وأتبعوه وأدركوه بها منتصف إثنين وستين ولما رأى كثرة عددهم واستعدادهم مع تحاذل أصحابه فاستشارهم فأشار بعضهم بعبور النيل إلى العدو الشرقية والعود إلى الشام وأبى زعمائهم إلا الاستماتة سيما مع خشية العتب من نور الدين وتقدّم صلاح الدين بذلك وأدركهم القوم على تعبئة وجعل صلاح الدين في القلب وأوصاه أن يندفع أمامهم ووقف هو في الميمنة مع من وثق باستماتته وحمل القوم على صلاح الدين فسار بين أيديهم على تعبئته وخالفهم أسد الدين إلى مخلفهم فوضع السيف فيهم وأثنى قتلاً وأسرا ورجعوا عن صلاح الدين يظنون أنهم ساروا منهزمين فوجدوا أسد الدين قد استولى على مخلفهم واستباحه فانهزموا إلى مصر وسار أسد الدين إلى الإسكندرية فتلقاه أهلها بالطاعة واستخلف بها صلاح الدين ابن أخيه وعاد إلى الصعيد فاستولى عليه وفرّق العمال على جباية أمواله ووصلت عساكر مصر والإفرنج إلى القاهرة وأزاحوا عنهم وساروا إلى الإسكندرية فحاصروا

(١) يياض بالأصل : وفي الكامل ج ١١ ص ٣٤٥ : وكان أسد الدين وعساكره قد ساروا إلى الصعيد فبلغ مكانا يعرف بالباين .

بها صلاح الدين وجهده الحصار وسار أسد الدين من الصعيد لإمداده وقد إنتقض عليه طائفة من التركمان من عسكره وبينما هو في ذلك جاءت رسل القوم في الصلح على أن يرد عليهم الاسكندرية ويعطوه خمسين ألف دينار سوى ما جباه من أموال الصعيد فأجابهم إلى ذلك على أن يرجع الإفرنج إلى بلادهم ولا يملكوا من البلاد قرية فانهقد ذلك بينهم منتصف شوال وعاد أسد الدين وأصحابه إلى الشام منتصف ذي القعدة ثم شرط الإفرنج على شاور أن ينزلوا بالقاهرة شحنة وتكون أبوابها بأيديهم ليتمكنوا من مدافعة نور الدين فضربوا عليه مائة ألف دينار في كل سنة جزية فقبل ذلك وعاد الإفرنج إلى بلادهم بسواحل الشام وتركوا بمصر جماعة من زعمائهم وبعث الكامل أبا شجاع شاور إلى نور الدين بطاعته وان ييث بمصر دعوته وقرر على نفسه ما لا يحمل كل سنة إلى نور الدين فأجاب به إلى ذلك وبقي شيعة له بمصر والله تعالى أعلم .

* (استيلاء أسد الدين على مصر ومقتل شاور) *

ولما ضرب الإفرنج الجزية على القاهرة ومصر وأنزلوا بها الشحنة وملكوا أبوابها تمكنوا من البلاد وأقاموا فيها جماعة من زعمائهم فتحكموا وأطلعوا على عورات الدولة فطمعوا فيما وراء ذلك من الاستيلاء وراسلوا بذلك ملكهم بالشام واسمه مري ولم يكن ظهر بالشام من الإفرنج مثله فاستدعوه لذلك وأغروه فلم يحجم واستحثه أصحابه لملكها وما زالوا يفتلون له في الذروة والغارب ويوهونه القوة بتملكها على نور الدين ويريهم هو أن ذلك يؤل إلى خروج أصحابها عنها النور الدين فبقي بها إلى أن غلبوا عليه فرجع إلى رأيهم وتجهز وبلغ الخبر نور الدين فجمع عساكره واستنفر من في ثغوره وسار الإفرنج إلى مصر مفتتح أربع وستين فملكوا بليس عنوة في صفر واستباحوها وكاتبهم جماعة من أعداء شاور فأنسوا مكاتبهم وساروا إلى مصر ونازلوا القاهرة وأمر شاور بإحراق مدينة مصر ليستقل أهلها إلى القاهرة فيضبط الحصار فانتقلوا وأخذهم الحريق وامتدت الأيدي وأنتهت أموالهم واتصل الحريق فيها شهرين وبعث العاضد إلى نور الدين يستغيث به فأجاب وأخذ في تجهيز العساكر فاشتد الحصار على القاهرة وضاق الأمر بشاور فبعث إلى ملك الإفرنج يذكره بقدميه وأن هواه معه دون العاضد ونور الدين ويسأل في الصلح على المال لنفور المسلمين مما سوى ذلك فأجابه ملك الإفرنج على ألف ألف دينار لما رأى من إمتناع القاهرة وبعث إليهم شاور بمائة ألف منها وسألهم في الافراج فارتحلوا وشرع في جمع المال فعجز الناس عنه ورسل

العاضد خلال ذلك تردّد إلى نور الدين في أن يكون أسد الدين وعساكره حامية عنده وعطاؤهم عليه وثلاث الجباية خالصة لنور الدين فاستدعى نور الدين أسد الدين من حمص وأعطاه مائتي ألف دينار وجهزه بما يحتاجه من الثياب والدواب والأسلحة وحكمه في العساكر والخزائن ونقد العسكر عشرين ديناراً لكل فارس وبعث معه من أمرائه مولاه عز الدين خردك وعز الدين قليج وشرف الدين ترعش^(١) وعز الدولة الباروقي وقطب الدين نبال بن حسان المنبجي وأمدّ صلاح الدين يوسف بن أيوب مع عمه أسد الدين فتعلل عليه واعتزم عليه فأجاب وسار أسد الدين منتصف ربيع فلما قارب مصر رجع الإفرنج إلى بلادهم فسرّ بذلك نور الدين وأقام عليه البشائر في الشام ووصل أسد الدين القاهرة ودخلها منتصف جمادى الأخيرة ونزل بظاهرها ولقي العاضد وخلع عليه وأجرى عليه وعلى عساكره الجرايات والاتاوات وأقام أسد الدين ينتظر شرطهم وشاور يماطله ويعلله بالمواعيد ثم فاوض أصحابه في القبض على أسد الدين واستخدام جنده فمنعه إبنه الكامل من ذلك فأقصر ثم أشرف أصحاب أسد الدين على اليأس من شاور وتفاوض أمراؤه في ذلك فاتفق صلاح الدين مع ابن أخيه عز الدين خردك على قتل شاور وأسد الدين بينهما وغدا شاور يوماً على أسد الدين في خيامه فألقاه قد ركب لزيارة تربة الإمام الشافعي رضي الله تعالى عنه فتلقاه صلاح الدين وخردك وركبوا معه لقصد أسد الدين فقبضوا عليه في طريقهم وطبروا بالخبر إلى أسد الدين وبعث العاضد لوقته يجرّضهم على قتله فبعثوا إليه برأسه وأمر العاضد بنهب دوره فنهبا العامة وجاء أسد الدين لقصر العاضد فخلع عليه الوزارة ولقبه الملك المنصور أمير الجيوش وخرج له من القصر منشور من إنشاء القاضي الفاضل البيساني وعليه مكتوب بخط الخليفة ما نصه: «هذا عهد لا عهد لوزير بمثله فتقلد ما رآك الله وأمير المؤمنين أهلاً لحمله وعليك الحجة من الله فيما أوضح لك من مرشد سبيله فخذ كتاب أمير المؤمنين بقوة وأسحب ذيل الفخار بأن اعترت خدمتك إلى بنوة النبوة واتخذ أمير المؤمنين للفوز سبيلاً ولا تتقصوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً». ثم ركب أسد الدين إلى دار الوزارة التي كان فيها شاور وجلس مجلس الأمر والنهي وولى على الأعمال وأقطع البلاد للعساكر وأمن أهل مصر بالرجوع إلى بلادهم ورمّها وعمارتها وكاتب نور الدين بالواقع مفصلاً وانتصب للأمر ثم دخل للعاضد وخطب الأستاذ جوهر الخصي عنه وهو يومئذ أكبر الأساتيد فقال يقول لك مولانا تؤثر مقامك عندنا من أول قدومك وأنت تعلم الواقع من ذلك وقد تيقنا أن الله عز وجل أدّخرك لنا نصرة على أعدائنا فحلف له أسد الدين على النصيحة وإظهار الدولة فقال

(١) وفي نسخة ثانية : مرعش .

الأستاذ عن العاضد الأمر بيدك هذا وأكثر ثم جدّدت الخلع واستخلص أسد الدين الجليس عبد القوي وكان قاضي القضاة وداعي الدعاة واستحسنه واختصه وأمّا الكامل بن شاور فدخل القصر مع أخوته معتصمين به وكان آخر العهد به وأسف أسد الدين عليه لما كان منه في ردّ أبيه وذهب كل بما كسب والله تعالى أعلم .

* (وفاة أسد الدين وولاية ابن أخيه صلاح الدين) *

ثم توفي أسد الدين شريكوه آخر جمادي الأخيرة من سنة أربع وستين لشهرين من وزارته ولما احتضر أوصى حواشيه بهاء الدين قراقوش فقال له الحمد لله الذي بلغنا من هذه الديار ما أردنا وصار أهلها راضين عنا فلا تفارقوا سور القاهرة ولا تفرطوا في الأسطول ولما توفي تشوّف الأمراء الذين معه إلى رتبة الوزارة مكانه مثل عز الدولة الباروقي وشرف الدين المشطوب الهكاري وقطب الدين نبال بن حسان المنبجي وشهاب الدين الحارمي وهو خال صلاح الدين وجمع كل لمغالبة صاحبه وكان أهل القصر وخواص الدولة قد تشاوروا فأشار جوهر بإخلاء رتبة الوزارة وإصطفاء ثلاثة آلاف من عسكر الغزيقودهم قراقوش ويعطي لهم الشرقية إقطاعاً يتزلون بها حشداً دون الإفرنج^(١) من يستبدّ على الخليفة بل يقيم واسطة بينه وبين الناس على العادة وأشار آخرون بإقامة صلاح الدين مقام عمه والناس تبع له ومال القاضي لذلك حياء من صلاح الدين وجنوحاً إلى صغرسنه وأنه لا يتوهم فيه من الإستبداد ما يتوهم في غيره من أصحابه وأنهم في سعة من رأيهم مع ولايته فاستدعاه وخلع عليه ولقبه الملك الناصر واختلف عليه أصحابه فلم يطيعوه وكان عيسى الهكاري شيعة له واستألمهم إليه إلا الباروقي فإنه إمتنع وعاد إلى نور الدين بالشام وثبتت قدم صلاح الدين في مصر وكان نائباً عن نور الدين ونور الدين يكاتبه بالأمير الأسفهمسار ويجمعه في الخطاب مع كافة الامراء بالديار المصرية وما زال صلاح الدين يحسن المباشرة ويستميل الناس ويفيض العطاء حتى غلب على أفئدة الناس وضعف أمر العاضد ثم أرسل يطلب أخوته وأهله من نور الدين فبعث بهم إليه من الشام واستقامت أموره وأطردت سعادته والله تعالى وليّ التوفيق .

(١) بياض بالأصل ، ولم نعثر بالمراجع التي بين أيدينا على تصويب هذه العبارة .

* (واقعة السودان بمصر) *

كان بقصر العاضد خصي حاكم على أهل القصر يدعي مؤتمن الخلافة فلما غص أهل الدولة بوزارة صلاح الدين داخل جماعة منهم وكاتب الإفرنج يستدعيهم ليرز صلاح الدين المدافعهم فيثوروا بمخلفه ثم يتبعونه وقد ناشب الإفرنج فيأتون عليه وبعثوا الكتاب مع ذي طمرين حملة في (١) نعاله فاعترضه بعض التركمان واستلبه ورأوا النعال جديدة فاسترابوا بها فجاءوا به إلى صلاح الدين فقرأ الكتاب ودخل على كاتبه فأخبره بحقيقة الأمر فطوي ذلك وانتظر مؤتمن الخلافة حتى خرج إلى بعض قراه متترهاً وبعث من جاء برأسه ومنع الخصيين بالقصر عن ولاية أموره وقدم عليهم بهاء الدين قراقوش خصياً أبيض من خدمه وجعل إليه جميع الأمور بالقصر وامتعض السودان بمصر لمؤتمن الخلافة واجتمعوا لحرب صلاح الدين وبلغوا خمسة آلاف وناجزوا عسكره من القصر في ذي القعدة من السنة وبعث إلى محلهم بالمنصورة من أحرقها على أهلهم وأولادهم فلما سمعوا بذلك إنهمزوا وأخذهم السيف في السكك فاستأمنوا وعبروا إلى الجيزة فسار إليهم شمس الدولة أخو صلاح الدين في طائفة من العسكر فاستلحمهم وأبادهم والله أعلم .

* (منازل الإفرنج دمياط وفتح ايلة) *

ولما استولى صلاح الدين على دولة مصر وقد كان الإفرنج أسفوا على ما فاتهم من صدّه وصدّعه عن مصر وتوقعوا الهلاك من استطالة نور الدين عليهم بملك مصر فبعثوا الرهبان والأقسة إلى بلاد القرائية يدعونهم إلى المدافعة عن بيت المقدس وكاتبوا الإفرنج بصقلية والأندلس يستنجدونهم فنفروا واستعدّوا لإمدادهم واجتمع الذين بسواحل الشام في فاتح خمس وستين وثلاثمائة وركبوا في ألف من الأساطيل وأرسلوا لدمياط ليملكوها ويقربوا من مصر وكان صلاح الدين قد ولاها شمس الخواص منكبرس فبعث إليه بالخبر فجهز إليها بهاء الدين قراقوش وأمراء الغز في البرّ متتابعين وواصل المراكب بالأسلحة والإتاوات وخاطب نور الدين يستمدّه لدمياط لأنه لا يقدر على المسير إليها خشية من أهل الدولة بمصر فبعث نور الدين إليها العساكر أرسالاً ثم سار

(١) بياض بالأصل : في الكامل ج ١١ ص ٣٤٥ وسروا الكتب مع إنسان يثقون إليه وأقاموا ينتظرون جوابه ، وسار ذلك القاضد إلى البرّ البيضاء فلقية إنسان تركاني فرأى معه نعلين جديدين فأخذهما منه ، وارتاب به وبها فأتى به صلاح الدين ففتقها فرأى الكتاب فيها فقرأه وسكت عليه .

بنفسه وخالف الإفرنج إلى بلادهم بسواحل الشام فاستباحها وخربها وبلغهم الخبر بذلك على دمياط وقد إمتنعت عليهم ووقع فيهم الموتان فأقلعوا عنها لخمسين يوماً من حصارها ورجع أهل سواحل الشام لبلادهم فوجدوها خراباً وكان جملة ما بعثه نور الدين في المدد لصالح الدين في شأن دمياط هذه ألف ألف دينار سوى الثياب والأسلحة وغيرها ثم أرسل صلاح الدين إلى نور الدين في منتصف السنة يستدعي منه أباه نجم الدين أيوب فجهزه إليه مع عسكر واجتمع معهم من التجار جماعة وخشي عليهم نور الدين في طريقهم من الإفرنج الذين بالكرك فسار إلى الكرك وحاضرهم بها وجمع الإفرنج الآخرون فصمد للقائم فحاموا عنه وسار في وسط بلادهم وسار إلى عشيرا ووصل نجم الدين أيوب إلى مصر وركب العاضد لتلقيه ثم سار صلاح الدين سنة ست وستين لغزو بلاد الإفرنج وأغار على أعمال عسقلان والرملة ونهب ربط غزة ولقي ملك الإفرنج فهزمه وعاد إلى مصر ثم أنشأ مراكب وحملها مفصلة على الجمل إلى أيلة فألفها وألقاها في البحر وحاصر أيلة براً وبحراً وفتحها عنوة في شهر ربيع من السنة واستباحها وعاد إلى مصر فعزل قضاة الشيعة وأقام قاضياً شافعيّاً فيها وولّى في جميع البلاد كذلك ثم بعث أخاه شمس الدولة توران شاه إلى الصعيد فأغار على العرب وكانوا قد عاثوا وأفسدوا فكفهم عن ذلك والله تعالى أعلم .

* (إقامة الخطبة العباسية بمصر) *

ثم كتب نور الدين بإقامة الخطبة للمستضيء العباسي وترك الخطبة للعاضد بمصر فاعتذر عن ذلك بميل أهل مصر للعلويين وفي باطن الأمر خشي من نور الدين فلم يقبل نور الدين عذره في ذلك ولم تسعه مخالفته وأحجم عن القيام بذلك وورد على صلاح الدين شخص من علماء الأعاجم يعرف بالخبشاني ويلقب بالأمر العالم فلما رآهم محجمين عن ذلك صعد المنبر يوم الجمعة قبل الخطيب ودعى للمستضيء فلما كانت الجمعة القابلة أمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة بقطع خطبة العاضد والخطبة للمستضيء فتراسلوا بذلك ثاني جمعة من المحرم سنة سبع وستين وخمسائة وكان المستضيء قد ولي الخلافة بعد أبيه المستنجد في ربيع من السنة قبلها ولما خطب له بمصر كان العاضد مريضاً فلم يشعروه بذلك وتوفي يوم عاشوراء من السنة ولما خطب له على منابر مصر جلس صلاح الدين للجزاء واستولى على قصره ووكل به بهاء الدين قراقوش وكان فيه من الذخائر ما يعز وجوده مثل جبل الياقوت الذي وزن كل حصاة منه سبعة عشر مثقالاً ومضاف الزمرد الذي طوله أربعة أصابع طولاً

في عرض ومثل طبل القولنج الذي يضربه ضاربه فيعافى بذلك من داء القولنج وكسروه لما وجدوا ذلك منه فلما ذكرت لهم منفعتة ندموا عليه ووجدوا من الكتب النفيسة ما لا يعدّ ونقل أهل العاضد إلى بعض حجر القصر ووكّل بهم وإخراج الأماء والعبيد وقسمهم بين البيع والهبة والعقّ وكان العاضد لما اشتدّ مرضه استدعاه فلم يجب داعيه وظنها خديعة فلما توفي ندم وكان يصفه بالكرم ولين الجانب وغلبة الخير على طبعه والإنقياد ولما وصل الخبر إلى بغداد بالخطبة للمستضيء ضربت البشائر وزينت بغداد أياماً وبعثت الخلع لنور الدين وصلاح الدين مع صندل الخادم من خواص المقتني فوصل إلى نور الدين وبعث بخلة صلاح الدين وخلع الخطباء بمصر والاعلام السود والله تعالى أعلم .

* (الوحشة بين صلاح الدين ونور الدين) *

قد كان تقدّم لنا ذكر هذه الوحشة في أخبار نور الدين مستوفاة وأنّ صلاح الدين غزا بلاد الإفرنج سنة سبع وستين وحاصر حصن الشوبك على مرحلة من الكرك حتى استأمنوا إليه فبلغ ذلك نور الدين فاعترّم على قصد بلاد الإفرنج من ناحية أخرى فارتاب صلاح الدين في أمره وفي لقاء نور الدين وإظهار طاعته وما ينشأ عن ذلك من تحكّم فيه فأسرع العود إلى مصر واعتذر لنور الدين بشيء بلغه عن شيعة العلويين ليعتزله نور الدين وأخذ في الإستعداد لعزله وبلغ ذلك صلاح الدين وأصحابه فتفاوضوا في مدافعتة ونهاهم أبوه نجم الدين أيوب وأشار بمكاتبتة والتلطف له مخافة أن يبلغه غير ذلك فيقوى عزمه على العمل به ففعل ذلك صلاح الدين فسالمه نور الدين وعادت المخالطة بينهما كما كانت واتفقا على إجتماعهما لحصار الكرك فسار صلاح الدين لذلك سنة ثمان وستين وخرج نور الدين من دمشق بعد أن تجهز فلما إنتهى إلى الرقيم على مرحلتين من الكرك وبلغ صلاح الدين خبره إرتابه ثانياً وجاءه الخبر بمرض نجم الدين أبيه بمصر فكّر راجعاً وأرسل إلى نور الدين الفقيه عيسى الهكاري بما وقع من حديث المرض بأبيه وأنه رجع من أجله فأظهر نور الدين القبول وعاد إلى دمشق والله تعالى أعلم .

* (وفاة نجم الدين أيوب) *

كان نجم الدين أيوب بعد إنصراف إبنه صلاح الدين إلى مصر أقام بدمشق عند نور الدين

ثم بعث عنه ابنه صلاح الدين عندما استوثق له ملك مصر فجهزه نور الدين سنة خمس وستين في عسكره وسار لحصار الكرك ليشغل الإفرنج عن اعتراضه كما مر ذكره ووصل إلى مصر وخرج العاضد لتلقيه وأقام مكرماً ثم سار صلاح الدين إلى الكرك سنة ثمان وستين المرة الثانية في مواعدة نور الدين وأقام نجم الدين بمصر وركب يوماً في مركب وسار ظاهر البلد والفرس في غلواء مراحه وملاعبة ظله فسقط عنه وحمل وقيدا إلى بيته فهلك لأيام منها آخر ذي الحجة من السنة وكان خيرا جواد محسناً للعلماء والفقراء وقد تقدّم ذكر أوليته والله وليّ التوفيق .

* (استيلاء قراقوش على طرابلس الغرب) *

كان قراقوش من موالي تقيّ الدين عمر بن شاه نجم الدين أيوب وهو ابن أخي صلاح الدين فغضب مولاه في بعض التزعات وذهب مغاضباً إلى المغرب ولحق يجلب نفوسه من ضواحي طرابلس الغرب وأقام هنالك دعوة مواليه وكان في بسائط تلك الجبال مسعود بن زمام المعروف بالبلط في أحيائه من رياح من عرب هلال بن عامر كان منحرفاً عن طاعة عبد المؤمن شيخ الموحدين وخليفة المهدي فيهم فانتبذ مسعود بقومه عن المغرب وأفريقية إلى تلك القاصية فدعاه قراقوش إلى إظهار دعوة مواليه بني أيوب فأجابه ونزل معه بأحيائه على طرابلس فحاصرها قراقوش وافتتحها ونزل بأهله وعياله في قصرها ثم استولى على قابس من ورائها وعلى توزر ونقطة وبلاد نفراوة من أفريقية وجمع أموالاً جمّة وجعل ذخيرته بمدينة قابس وخربت تلك البلاد أثناء ذلك باستيلاء العرب عليها ولم يكن لهم قدرة على منعهم ثم طمع في الاستيلاء على جميع أفريقية ووصل يده بيحي بن غانية اللمتوني الثائر بتلك الناحية بدعوة لمتونة من بقية الأمراء في دولتهم فكانت لها بتلك الناحية آثار مذكورة في أخبار دولة الموحدين إلى أن غلبه ابن غانية على ما ملك من تلك البلاد وقتله كما هو مذكور في أخبارهم والله أعلم .

* (استيلاء نور الدين توران شاه بن أيوب على بلاد النوبة ثم على بلاد اليمن) *

كان صلاح الدين وقومه على كثرة إرتياهم من نور الدين وظنهم به الظنون يحاولون ملك

القاصية عن مصر ليمتنعوا بها أن طرقهم منه حادث أو عزم على المسير إليهم في مصر فصرفوا عزمهم في ذلك إلى بلاد النوبة أو بلاد اليمن وتجهز شمس الدولة توران شاه بن أيوب وهو أخو صلاح الدين الأكبر إلى ملك النوبة وسار إليها في العساكر سنة ثمان وستين وحاصر قلعة من ثغورهم ففتحها واختبرها فلم يجد فيها خراجاً ولا في البلاد بأسرها جباية وأقواتهم الذرة وهم في شظف من العيش ومعاناة للفتن فاقتصر على ما فتحه من ثغورهم وعاد في غنيته بالعبدى والحواري فلما وصل إلى مصر أقام بها قليلاً وبعثه صلاح الدين إلى اليمن وقد كان غلب عليه علي بن مهدي الخارجي سنة أربع وخمسين وصار أمره إلى ابنه عبد النبي وكربي ملكه زيد منها وفي عدد ياسر بن بلاك بقية ملوك بني الربيع وكان عمارة اليمني شاعر العبيدي وصاحب بني رزيك من أمرائهم وكان أصله من اليمن وكان في خدمة شمس الدولة ويغريه به فسار إليه شمس الدولة بعد أن تجهز وأزاح العلل واستعدّ للمال والعيال وسار من مصر منتصف سنة تسع وستين ومرّ بمكة وانتهى إلى زيد وبها ملك اليمن عبد النبي بن علي بن مهدي فبرز إليه وقاتله فانهمز وانحجر بالبلد وزحفت عساكر شمس الدولة فتسمنوا أسوارها وملكوها عنوة واستباحوها وأسروا عبد النبي وزوجته وولّى شمس الدولة على زيد مبارك بن كامل بن منقذ من أمراء شيزركان في جملته ودفع إليه عبد النبي ليستخلص منه الأموال فاستخرج من قرابته دفتان كانت فيها أموال جلييلة ودلّهم زوجته الحرّة على ودائع استولوا منها على أموال جمّة وأقيمت الخطبة العباسية في زيد وسار شمس الدولة توران شاه إلى عدن وبها ياسر بن بلال كان أبوه بلال بن جرير مستبدّاً بها على مواليه بني الزريع وورثها عنه ابنه ياسر فسار ياسر للقائه فهزمه شمس الدولة وسارت عساكره إلى البلد فملكوها وجاؤا بياسر أسيراً إلى شمس الدولة فدخل عدن وعبد النبي معه في الإعتقال واستولى على نواحيها وعاد إلى زيد ثم سار إلى حصون الجبال فلما تغزوه من أحصن القلاع وحصن التعكر والجند وغيرها من المعاقل والحصون وولّى على عدن عز الدولة عثمان بن الزنجيلي واتخذ زيد سبباً للملكه ثم استوخمها وسار في الجبال ومعه الأطباء يتخير مكاناً صحيح الهواء للسكنى فوق إختيارهم على تغز فاختط هنالك مدينة واتخذها كرسياً للملكه وبقيت لبنيه وموالهم بني رسول كما نذكره في أخبارهم والله تعالى وليّ التوفيق .

* (واقعة عمارة ومقتله) *

كان جماعة من شيعة العلويين بمصر منهم عمارة بن أبي الحسن اليمني الشاعر وعبد الصمد

الكاتب والقاضي العويدس وابن كامل وداعي الدعاة وجماعة من الجند وحاشية القصر اتفقوا على استدعاء الإفرنج من صقلية وسواحل الشام وبذلوا لهم الأموال على أن يقصدوا مصرفان خرج صلاح الدين للقائهم بالعساكر ثار هؤلاء بالقاهرة وأعادوا الدولة العبيدية وإلا فلا بدّ له إن أقام من بعث عساكره لمداغة الإفرنج فينفردون به ويقبضون عليه وواطأهم على ذلك جماعة من أمراء صلاح الدين وتحنوا لذلك غيبة أخيه توران شاه باليمن وثقوا بأنفسهم وصدقوا توهّماتهم ورتبوا وظائف الدولة وخططها وتنازع في الوزارة بنورزيك وبنو شاوور وكان على بن نجّي الواعظ ممن داخلهم في ذلك فأطلع صلاح الدين هو في الباطن إليهم ونمى الخبر إلى صلاح الدين من عيونه ببلاد الإفرنج فوضع على الرسول عنده عيوناً جاؤه بجلية خبره فقبض حينئذ عليهم وقيل إنّ علي بن نجّي أنمى خبرهم إلى القاضي فأوصله إلى صلاح الدين ولما قبض عليهم صلاح الدين أمر بصلبهم وممرّ عمارة بيت القاضي وطلب لقاءه فلم يسعفه وأنشد البيت المشهور

عبد الرحيم قد احتجب * أن الخلاص هو العجب

ثم صلبوا جميعاً ونودي في شعبة العلويين بالخروج من ديار مصر إلى الصعيد واحتيط على سلالة العاضد بالقصر وجاء الإفرنج على ذلك من صقلية إلى الإسكندرية كما يأتي خبره إن شاء الله تعالى والله أعلم .

* (وصول الإفرنج من صقلية إلى الإسكندرية) *

لما وصلت رسل هؤلاء الشيعة إلى الإفرنج بصقلية تجهزوا وبعثوا مراكبهم مائتي أسطول للمقاتلة فيها خمسون ألف رجل وألفان وخمسمائة فارس وثلاثون مركباً للخيول وستة مراكب لآلة الحرب وأربعون للآزواد وتقدّم عليهم ابن عمّ الملك صاحب صقلية ووصلوا إلى ساحل الإسكندرية سنة سبعين وركب أهل البلد الأسوار وقاتلهم الإفرنج ونصبوا الآلات عليها وطار الخبر إلى صلاح الدين بمصر ووصلت الأمراء إلى الإسكندرية من كل جانب من نواحيها وخرجوا في اليوم الثالث فقاتلوا الإفرنج فظفروا عليهم ثم جاءهم البشير آخر النهار بمجيء صلاح الدين فاهتاجوا للحرب وخرجوا عند اختلاط الظلام فكبسوا الإفرنج في خيامهم بالسواحل وتبادروا إلى ركوب البحر فتنقسموا بين القتل والغرق ولم ينج إلا القليل واعتصم منهم نحو من ثلثمائة برأس رابية هنالك إلى أن أصبحوا فقتل بعضهم وأسر الباقون وأقلعوا بأساطيلهم راجعين والله تعالى أعلم .

* (واقعة كنز الدولة بالصعيد) *

كان أمير العرب بنواحي اسوان يلقب كنز الدولة وكان شيعه للعلوية بمصر وطالت أيامه واشتهر ولما ملك صلاح الدين قسم الصعيد اقطاعا بين أمرائه وكان أخو أبي الهيجاء السمين من أمرائه واقطاعه في نواحيهم فعصي كنز الدولة سنة سبعين واجتمع اليه العرب والسودان وهجم على أخي أبي الهيجاء السمين في اقطاعه فقتله وكان أبو الهيجاء من أكبر الامراء فبعثه صلاح الدين لقتال الكنز وبعث معه جماعة من الامراء والتف له الجند فساروا الى اسوان ومروا بصدد فحاصروا بها جماعة وظفروا بهم فاستلحموهم ثم ساروا الى الكنز فقاتلوه وهزموه وقتل واستلحم جميع أصحابه وأمنت بلاد اسوان والصعيد والله تعالى وليّ التوفيق .

* (استيلاء صلاح الدين على قواعد الشام) *

بعد وفاة العادل نور الدين) *

كان صلاح الدين كما قدّمناه قائما في مصر بطاعة العادل نور الدين محمود بن زنكي ولما توفي سنة تسع وستين ونصب ابنه الصالح اسمعيل في كفالة شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم وبعث اليه صلاح الدين بطاعته ونقم عليهم انهم لم يردوا الامر اليه وسار غازي صاحب الموصل بن قطب الدين مودود بن زنكي الى بلاد نور الدين التي بالجزيرة وهي نصيبين والخابور وحران والرها والركة فلحقها ونقم عليه صلاح الدين انهم لم يخبروه حتى يدافعه عن بلادهم وكان الخادم سعد الدين كمستكين الذي ولاه نور الدين قلعة الموصل وأمر سيف الدين غازي بمطالعة بأموره قد لحق عند وفاة نور الدين بحلب وأقام بها عند شمس الدين علي ابن الداية المستبد بها بعد نور الدين فبعثه ابن الداية الى دمشق في عسكر ليحيي بالملك الصالح الى حلب لمداغة سيف الدين غازي فنكروه أولا وطرده ثم رجعوا الى هذا الرأي وبعثوا عنه فسار مع الملك الصالح الى حلب ولحين دخوله قبض على ابن الداية وعلى مقدمي حلب واستبد بكفالة الصالح وخاف الامراء بدمشق وبعثوا الى سيف الدين غازي ليملكوه فظنهم مكيدة من ابن عمه وامتنع عليهم وصالح ابن عمه على ما أخذ من البلاد فبعث أمراء دمشق الى صلاح الدين وتولى كبر ذلك ابن المقدم فبادر الى الشام وملك بصرى ثم سار الى دمشق فدخلها في منسلخ ربيع سنة سبعين وخمسمائة ونزل دار أبيه المعروفة بالعففي وبعث القاضي كمال الدين ابن الشهرزوري الى ربحان الخادم بالقلعة انه

على طاعة الملك الصالح وفي خدمته وما جاء الا لنصرته فسلم اليه القلعة وملكها واستخلف على دمشق أخاه سيف الإسلام طغركين وسار الى حمص وبها والي من قبل الامير مسعود الزعفراني وكانت من أعماله فقاتلها وملكها وجمر عسكراً لقتال قلعتها وسار الى حماة مظهراً لطاعة الملك لصالح وارتجاع ما أخذ من بلاده بالجزيرة وبعث بذلك الى صاحب قلعتها خرديك واستخلفه وسار الى الملك الصالح ليجمع الكلمة ويطلق أولاد الداية واستخلف على قلعة حماة أخاه ولما وصل الى حلب حبسه كمستكين الخادم ووصل الخبر الى أخيه بقلعة حماة فسلمها لصالح الدين وسار الى حلب فحاصرها ثالث جمادي الاخرة واستأمن أهلها في المدافعة عن الصالح وكان بحلب سمند صاحب طرابلس من الافرنج محبوساً منذ أسره نور الدين على حارم سنة تسع وخمسين فأطلقه كمستكين على مال وأسرى ببلده وتوفي نور الدين أول السنة وخلف ابنا مجذوما فكفله سمند واستولى على ملكهم فلما حاصر صلاح الدين حلب بعث كمستكين الى سمند يستنجد به فصار الى حمص ونزلها فصار اليه صلاح الدين وترك حلب وسمع الافرنج بمسيره فرحلوا عن حمص ووصل هو اليها عاشر رجب فحاصر قلعتها وملكها آخر شعبان من السنة ثم سار الى بعلبك وبها يمن الخادم من أيام نور الدين فحاصره حتى استأمن اليه وملكها رابع رمضان من السنة وصار بيده من الشام دمشق وحماة وبعلبك ولما استولى صلاح الدين على هذه البلاد من أعمال الملك الصالح كتب الصالح الى ابن عمه سيف الدين غازي صاحب الموصل يستنجد به على صلاح الدين فأنجده بعساكره مع أخيه عز الدين مسعود وصاحب جيشه عز الدين زلقندار وسارت معهم عساكر حلب وساروا جميعاً لمحاربة صلاح الدين وبعث صلاح الدين الى سيف الدين غازي أن يسلم لهم حمص وحماة ويبقي بدمشق نائباً عن الصالح فأبى الا رد جميعها فصار صلاح الدين الى العساكر ولقيهم آخر رمضان بنواحي حماة فهزمهم واتبعهم الى حلب وحاصرها وقطع خطبة الصالح ثم صالحوه على ما بيده من الشام فأجابهم ورحل عن حلب لعشرين من شوال وعاد الى حماة وكان فخر الدين مسعود بن الزعفراني من الامراء النورية وكانت ماردين من أعماله مع حمص وحماة وسلمية وتل خالد والرها فلما ملك أقطاعه هذه اتصل به فلم ير نفسه عنده كما ظن ففارقه فلما عاد صلاح الدين من حصار حلب الى حماة سار الى بعلبك واستأمن اليه واليها فملكها وعاد الى حماة فأقطعها خاله شهاب الدين محمود وأقطع حمص ناصر الدولة بن شيركوه وأقطع بعلبك شمس الدين ابن المقدّم ودمشق الى عماد والله تعالى وليّ التوفيق بمنه وكرمه .

واقعة صلاح الدين مع الملك الصالح وصاحب الموصل وما ملك من الشام بعد انهزامها

ثم سار سيف الدين غازي صاحب الموصل في سنة احدى وسبعين بعد انهزام أخيه وعساكره واستقدم صاحب كيفا وصاحب ماردين وسار في ستة آلاف فارس وانتهى الى نصيبين في ربيع من السنة فشتى بها حتى ضجرت العساكر من طول المقام وسار الى حلب فخرجت اليه عساكر الملك الصالح مع كمستكين الخادم وسار صلاح الدين من دمشق للقائهم فلقيهم قبل السلطان فهزمهم واتبعهم الى حلب وعبر سيف الدين الفرات منهزما الى الموصل وترك أخاه عز الدين بحلب واستولى صلاح الدين على مخلفهم وسار الى مراغة فلحقها وولى عليها ثم الى منبج وبها قطب الدين نبال بن حسان المنجي وكان حنقا عليه لقيح آثاره في عداوته فلحق بالموصل وولاه غازي مدينة الرقة ثم سار صلاح الدين الى قلعة إعزاز فحاصرها أوائل ذي القعدة من السنة أربعين يوما وشد حصارها فاستأمنوا اليه فلحقها ثاني الاضحى من السنة وثب عليه في بعض أيام حصارها باطني من الفداوية فضربه وكان مسلحا فأمسك يد الفداوي حتى قتل وقتل جماعة كانوا معه لذلك ورحل صلاح الدين بعد الاستيلاء على قلعة إعزاز الى حلب فحاصرها وبها الملك الصالح واعصوب عليه أهل البلد واستماتوا في المدافعة عنه ثم ترددت الرسل في الصلح بينهما وبين صاحب الموصل وكيفا وصاحب ماردين فانعقد بينهم في محرم سنة اثنتين وتسعين وعاد صلاح الدين الى دمشق بعد أن رد قلعة إعزاز الى الملك الصالح بوسيلة أخته الصغيرة خرجت الى صلاح الدين نائرة فاستوهبته قلعة إعزاز فوهبها لها والله تعالى أعلم .

* (مسير صلاح الدين الى بلاد الاسماعيلية) *

ولما رحل صلاح الدين عن حلب وقد وقع من الاسماعيلية على حصن إعزاز ما وقع قصد بلادهم في محرم سنة اثنتين وتسعين ونهبها وخربها وحاصر قلعة باميان ونصب عليها المجانيق وبعث سنان مقدم الاسماعيلية بالشام الى شهاب الدين الحارمي خال صلاح الدين بحجة يسأله الشفاعة فيهم ويتوعده بالقتل فشفع فيهم وأرحل العساكر عنهم وقدم عليه أخوه توران شاه من اليمن بعد فتحه واطهار دعوتهم فيه وولى على مدنه وامصاره فاستخلفه صلاح الدين على دمشق وسار الى مصر لطول عهده بها أبو الحسن بن سنان بن سقمان بن محمد ولما وصل

لها أمر بادارة سور على مصر القاهرة والقلعة التي بالجبل دوره تسعة وعشرون ألف ذراع
ثلثمائة ذراع بالهاشمي واتصل العمل فيه الى أن مات صلاح الدين وكان متولي النظر فيه
مولاه قراقوش والله تعالى وليّ التوفيق بمنه .

* (غزوات بين المسلمين والافرنج) *

كان شمس الدين محمد ابن المقدم صاحب بعلبك وأغار جمع من الافرنج على البقاع من
أعمال حلب فسار اليهم وأكمن لهم في الغياض حتى نال منهم وقتك فيهم وبعث الى صلاح
الدين بمائتي أسير منهم وقارن ذلك وصول شمس الدولة توران شاه بن أيوب من اليمن فبلغه
أن جمعا من الافرنج أغاروا على أعمال دمشق فسار اليهم ولقيهم بالمروج فلم يثبت وهزموه
وأسر سيف الدين أبو بكر بن السلار من أعيان الجند بدمشق وتجاوز الافرنج على تلك
الولاية ثم اعترم صلاح الدين على غزو بلاد الافرنج فبعثوا في الهدنة وأجابهم اليها وعقد لهم
والله تعالى وليّ التوفيق .

* (هزيمة صلاح الدين بالرملة أمام الافرنج) *

ثم سار صلاح الدين من مصر في جمادى الاولى سنة ثلاث وسبعين الى ساحل الشام لغزو
بلاد الافرنج وانتهى الى عسقلان فاكسح أعمالها ولم يروا للافرنج خبرا فانساحوا في البلاد
وانقلبوا الى الرملة فما راعهم الا الافرنج مقبلين في جموعهم وابطالهم وقد افترق أصحاب
صلاح الدين في السرايا فثبت في موقفه واشتد القتال وأبلى يومئذ محمد ابن أخيه في المدافعة
عنه وقتل من أصحابه جماعة وكان لتي الدين بن شاه ابن اسمه أحمد متكامل الخلال لم
يطرّ شاربه فابلى يومئذ واستشهد وتمت الهزيمة على المسلمين وكان بعض الافرنج تخلصوا الى
صلاح الدين فقتل بين يديه وعاد منهزما واسر الفقيه عيسى الهكاري بعد أن أبلى يومئذ بلاء
شديدا وسار صلاح الدين حتى غشيه الليل ثم دخل البرية في قلّ قليل الى مصر ولحقهم
الجهد والعطش ودخل الى القاهرة منتصف جمادى الاخيرة قال ابن الاثير ورأيت كتابه الى
أخيه توران شاه بدمشق يذكر الواقعة

ذكرتك والخطي يخطر بيننا * وقد فتكت فينا المثقفة السمر

ومن فصوله لقد أشرفنا على الهلاك غير مرة وما نجانا الله سبحانه منه الا لأمر يريده وما ثبتت
الا وفي نفسها أمر انتهى وأما السرايا التي دخلت بلاد الافرنج فتقسمهم القتل والاسر وأما

الفقيه عيسى الهكاري فلما وليّ منهزما ومعه أخوه الظهير ضل عن الطريق ومعها جماعة من أصحابها فأسروا وفداه صلاح الدين بعد ذلك بستين ألف دينار والله تعالى أعلم .

* (حصار الافرنج مدينة حماة) *

ثم وصل في جمادي الاولى الى ساحل الشام زعيم من طواغيت الافرنج وقارن وصوله هزيمة صلاح الدين وعاد الى دمشق يومئذ توران شاه بن أيوب في قلة من العسكر وهو مع ذلك منهمك في لذاته فسار ذلك الزعيم بعد أن جمع فرنج الشام وبذل لهم العطاء فحاصر مدينة حماة وبها شهاب الدين محمود الحارمي خال صلاح الدين مريضا وشدّ حصارها وقتالها حتى أشرف على أخذها وهجموا يوما على البلد وملكوا ناحية منه فدافعهم المسلمون وأخرجوهم ومنعوا حماة منهم فأفرجوا عنها بعد أربعة أيام وساروا الى حارم فحاصروها ولما رحلوا عن حماة مات شهاب الدين الحارمي ولم يزل الافرنج على حارم يحاصرونها وأطمعهم فيها ما كان من نكبة الصالح صاحب حلب لكمستكين الخادم كافل دولته ثم صانعهم بالمال فرحلوا عنها ثم عاد الافرنج الى مدينة حماة في ربيع سنة أربع وسبعين فعاثوا في نواحيها واكتسحوا أعماها وخرج العسكر حامية البلد اليهم فهزموهم واستردوا ما أخذوا من السواد وبعثوا بالرؤس والاسرى الى صلاح الدين وهو بظاهر حمص منقلبا من الشام فأمر بقتل الاسرى والله تعالى ولي التوفيق .

* (انتقاض ابن المقدم بيبعلبك وفتحها) *

كان صلاح الدين لما ملك بعلبك استخلف فيها شمس الدين محمد بن عبد الملك المقدم جزاء بما فعله في تسليم دمشق وكان شمس الدولة محمد أخو صلاح الدين ناشئا في ظل أخيه وكفاله فكان يميل اليه وطلب منه أقطاع بعلبك فأمر ابن المقدم بتمكينه منها فأبى وذكره عهده في أمر دمشق فسار ابن المقدم الى بعلبك وامتنع فيها ونازلته العساكر فامتنع وطاولوه حتى بعث الى صلاح الدين يطلب العوض فعوّضه عنها وسار أخوه شمس الدين اليها فملكها والله تعالى وليّ التوفيق .

وفي سنة أربع وسبعين سار ملك الافرنج في عسكر عظيم فاغار على أعمال دمشق واكتسحها وأثنى فيها قتلا وسبيا وأرسل صلاح الدين فرخشاه ابن أخيه في العسكر لمدافعته فسار يطلبهم ولقيهم على غير استعداد فقاتل أشد القتال ونصر الله المسلمين وقتل جماعة من زعماء الافرنج منهم هنغري وكان يضرب به المثل ثم أغار البرنس صاحب انطاكية واللاذقية على صرح المسلمين بشيرز وكان صلاح الدين على بانياس لتخريب حصن الافرنج بمخاضة الاضرار فبعث تقي الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه وناصر الدين محمد الى حمص لحماية البلد من العدو كما نذكره ان شاء الله تعالى .

* (تخريب حصن الافرنج) *

كان الافرنج قد اتخذوا حصناً منيعاً بقرب بانياس عند بيت يعقوب عليه السلام ويسمي مكانه مخاضة الاضرار فسار صلاح الدين من دمشق الى بانياس سنة خمس وسبعين وأقام بها وبعث فيها الغارات على بلادهم ثم سار الى الحصن فحاصره ليختره وعاد عنه الى اجتماع العساكر وبث السرايا في بلاد الافرنج للغارة وجاء ملك الافرنج للغارة على سريته ومعه جماعة من عساكره فبعثوا الى صلاح الدين بالخبر فوافاهم وهم يقتتلون فهزم الافرنج وأثنى فيهم ونجا ملكهم في قل وأسر صاحب الرملة وناבלس منهم وكان رديف ملكهم وأسر أخوه صاحب جليل وطبرية ومقدم الفداوية ومقدم الاساتارية وغيرهم من طواغيتهم وفادى صاحب الرملة نفسه وهو اتريرزان بمائة وخمسين ألف دينار صورية وألف أسير من المسلمين وأبلى في هذا اليوم عز الدين فرخشاه ابن أخي صلاح الدين بلاء حسناً ثم عاد صلاح الدين الى بانياس وبث السرايا في بلاد الافرنج وسار لحصار الحصن فقاتله قتالاً شديداً وتسّم المسلمون سوره حتى ملكوا برجا منه. وكان مدد الافرنج بطبرية والمسلمون يرتقبون وصولهم فأصبحوا من الغد ونقبوا السور وأضرّموا فيه النار فسقط وملك المسلمون الحصن عنوة آخر ربيع سنة خمس وسبعين وأسروا كل من فيه وأمر صلاح الدين بهدم الحصن فالحق بالأرض وبلغ الخبر الى الإفرنج وهم مجتمعون بطبرية لإمداده فافترقوا وانهزم الإفرنج والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (الفتنة بين صلاح الدين و قليج ارسلان صاحب الروم) *

كان حصن رعبان من شمالي حلب قد ملكه نور الدين العادل بن قليج ارسلان صاحب بلاد الروم وهو يد شمس الدين ابن المقدم فلما انقطع حصن رعبان عن ابالة صلاح الدين وراء حلب طمع قليج ارسلان في استرجاعه فبعث اليه عسكريا يحاصرونه وبعث صلاح الدين تقي الدين ابن أخيه في عسكر لمدافعتهم فلقمهم وهزمهم وعاد الى عمه صلاح الدين ولم يحضر معه تخريب حصن الاضرار وكان نور الدين محمود بن قليج ارسلان بن داود صاحب حصن كيفا وآمد وغيرهما من ديار بكر قد فسد ما بينه وبين قليج ارسلان صاحب بلاد الروم بسبب اضراره بينته وزواجه عليها واعتزم قليج ارسلان على حربه وأخذ بلاده فاستنجد نور الدين بصلاح الدين وبعث الى قليج ارسلان يشفع في شأنه فطلب استرجاع حصونه التي أعطاها لنور الدين عند المصاهرة ولج في ذلك صلاح الدين على قليج وسار الى رعبان ومّر بحلب فتركها ذات الشمال وسلك على تل باشر ولما انتهى الى رعبان جاءه نور الدين محمود وأقام عنده وارسل اليه قليج ارسلان يصف فعل نور الدين واضراره بينته فلما أدّى الرسول رسالته امتنع صلاح الدين وتوعدهم بالمسير الى بلده فتركه الرسول حتى سكن وغدا عليه فطلب الخلوة وتلطف له في فسخ ما هو فيه من ترك الغزو ونفقة الاموال في هذا الغرض الحقيق وان بنت قليج ارسلان يجب على مثلك من الملوك الامتعاض لها ولا تترك المضارة من دونها فعلم صلاح الدين الحق فيما قاله وقال للرسول إن نور الدين استند الى فعلك فاصلح الامر بينهما وأنا معين على ما تحبونه جميعا ففعل الرسول ذلك وأصلح بينهما وعاد صلاح الدين الى الشام ونور الدين محمود الى ديار بكر وطلق ضرة بنت قليج ارسلان للأجل الذي أجله للرسول والله تعالى أعلم .

* (مسير صلاح الدين الى بلاد ابن اليون) *

كان قليج بن اليون من ملوك الارض صاحب الدروب المجاورة لحلب وكان نور الدين محمود قد استخدمه وأقطع له في الشام وكان يعسكر معه وكان جريئاً على صاحب القسطنطينية وملك وادقة والمصيصة وطرسوس من يد الروم وكانت بينهما من أجل ذلك حروب ولما توفي نور الدين وانتقضت دولة أقام ابن اليون في بلاده وكان التركان يحتاجون الى رعي مواشهم بارضه على حصانها وصعوبة مضايقتها وكان يأذن لهم فيدخلونها وغدر بهم في بعض السنين

واستباحهم واستاق مواشيهم وبلغ الخبر الى صلاح الدين منصرفه من رعيان فقصده بلده ونزل النهر الاسود وبث الغارات في بلادهم واكتسحها وكان لابن اليون حصن وفيه ذخيرته فخشي عليه فقصده تخريبه وسابقه اليه صلاح الدين فغتم ما فيه وبعث اليه ابن اليون برّد ما أخذ من التركمان واطلاق أسراهم على الصلح والرجوع عنه فأجابه الى ذلك وعاد عنه في منتصف سنة خمس وسبعين والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده .

* (غزوة صلاح الدين الى الكرك) *

كان البرنس ارناط صاحب الكرك من مردة الافرنج وشياطينهم وهو الذي اختط مدينة الكرك وقلعتها ولم تكن هنالك واعترم على غزو المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام وسمع عز الدين فرخشاه بذلك وهو بدمشق فجمع وسار الى الكرك سنة سبع وسبعين واكتسح نواحيه وأقام ليشغله عن ذلك الغرض حتى انقطع أمله وعاد الى الكرك فعاد فرخشاه الى دمشق والله تعالى أعلم بغيبه .

* (مسير سيف الإسلام طغركين

بن أيوب الى اليمن والياً عليها) *

قد كان تقدم لنا فتح شمس الدولة توران شاه لليمن واستيلائه عليه سنة ثمان وستين وأنه وليّ على زبيد مبارك بن كامل بن منقذ من أمراء شيزرو وعلى عدن عز الدولة عثمان الزنجيلي واختط مدينة تعز في بلاد اليمن واتخذها كرسياً للملكة ثم عاد الى أخيه سنة اثنتين وسبعين وأدركه منصرفاً من حصار حلب فولاه على دمشق وسار الى مصر ثم ولاه أخوه صلاح الدين بعد ذلك مدينة الاسكندرية وأقطعه اياها مضافة الى أعمال اليمن وكانت الاموال تحمل اليه من زبيد وعدن وسائر ولايات اليمن ومع ذلك فكان عليه دين قريب من مائتي ألف دينار مصرية وتوفي سنة ست وسبعين فقضاها عنه صلاح الدين ولما بلغه خبر وفاته سار الى مصر واستخلف على دمشق عز الدين فرخشاه ابن شاهنشاه وكان سيف الدين مبارك بن كامل بن منقذ الكناني نائبه بزبيد قد تغلب في ولايته وتحكم في الاموال فتزع الى وطنه واستأذن شمس الدولة قبل موته فأذن له في المجيء واستأذن أخاه عطف بن زبيد وأقام مع شمس الدولة حتى اذا مات بقي في خدمة صلاح الدين وكان محشداً فسعى فيه عنده أنه احتجج

أموال اليمن ولم يعرض له فتحيل اعداؤه عليه وكان يتزل بالعدوية قرب مصر فصنع في بعض الايام صنيعا دعى اليه أعيان الدولة واختلف مواله وخدامه الى مصر في شراء حاجتهم فتحيلوا لصالح الدين انه هارب الى اليمن فتمت حيلتهم فقبض عليه ثم ضاق عليه الحال وصابره على ثمانين ألف دينار مصرية سوى ما أعطى لاهل الدولة فأطلقه وأعادته الى منزلته فلما بلغ شمس الدين الى اليمن اختلف نوابه بها حطان بن منقذ وعثمان بن الزنجبيلي وخشي صلاح الدين أن تخرج اليمن عن طاعته فجهاز جماعة من امرائه الى اليمن مع صارم الدين قطلغ أبيه والي مصر من أمرائه فساروا لذلك سنة سبع وسبعين واستولى قطلغ أبيه على زبيد من حطان بن منقذ ثم مات قريبا فعاد حطان الى زبيد وأطاعه الناس وقوي على عثمان الزنجبيلي فكتب عثمان الى صلاح الدين أن يبعث بعض قرابته فجهاز صلاح الدين أخاه سيف الإسلام طغركين فسار الى اليمن وخرج حطان بن منقذ من زبيد وتحصن في بعض القلاع ونزل سيف الإسلام زبيد وبعث الى حطان بالامان فترل اليه وأولاه الاحسان ثم طلب اللحاق بالشام ففنه ثم الحج عليه فأذن له حتى اذا خرج واحتمل رواحله وجاء ليودّعه قبض عليه واستولى على ما معه ثم حبسه في بعض القلاع فكان آخر العهد به ويقال كان فيما أخذه سبعون حملا من الذهب ولما سمع عثمان الزنجبيلي خبر حطان خشي على نفسه وحمل أمواله في البحر ولحق بالشام وبقيت مراكبه مراكب لسيف الإسلام فاستولى عليها ولم يخلص الا بما كان معه في طريقه وصفا اليمن لسيف الإسلام والله تعالى أعلم .

دخول قلعة البيرة في اiale صلاح الدين وغزوه الافرنج وفتح بعض حصونهم مثل الشقيف والغرر وببيروت

كانت قلعة البيرة من قلاع العراق لشهاب الدين بن ارتق وهو ابن عمّ قطب الدين أبي الغازي بن ارتق صاحب ماردين وكان في طاعة نور الدين محمود بن زنكي صاحب الشام ثم مات وملك البيرة بعده ابنه ومات نور الدين فصار الى طاعة عز الدين مسعود صاحب الموصل ثم وقع بين صاحب ماردين وصاحب الموصل من المخالصة والاتفاق ما وقع وطلب من عز الدين أن يأذن له في أخذ البيرة فأذن له فسار قطب الدين في عسكره الى قلعة شمشياط وأقام بها وبعث العسكر الى البيرة وحاصروها وبعث صاحبها يستنجد صلاح الدين ويكون له كما كان أبوه لنور الدين فشفع صلاح الدين الى قطب الدين صاحب ماردين ولم يشفعه

وشغل عنه بأمر الافرنج ورحلت عساكر قطب الدين عنها فرجع صاحبها الى صلاح الدين وأعطاه طاعته وعاد في ايلته ثم خرج صلاح الدين من مصر في محرم سنة ثمان وسبعين قاصدا الشام ومربيلة وجمع الافرنج لاعتراضه فبعث أثقاله مع أخيه تاج الملوك الى دمشق ومال على بلادهم فاكسح نواحي الكرك والشوبك وعاد الى دمشق منتصف صفر وكان الافرنج لما اجتمعوا على الكرك دخلوا بلادهم من نواحي الشام فخالقهم عز الدين فرخشاه نائب دمشق اليها واكسح نواحيها وخرب قراها وأثنى فيهم قتلا وسبيا وفتح الشقيف من حصونهم عنوة وكان له نكاية في المسلمين فبعث الى صلاح الدين بفتحه فسر بذلك ثم أراح صلاح الدين بدمشق أياما وسار في ربيع الاول من السنة وقصد طبرية وخيم بالاردن واجتمعت الافرنج على طبرية فسير صلاح الدين فرخشاه ابن أخيه الى بيسان فملكها عنوة واستباحها وأغار على الغور فأثنى فيها قتلا وسبيا وسار الافرنج من طبرية الى جبل كوكب وتقدم صلاح الدين اليهم بعساكره فتحصنوا بالجبل فأمر ابني أخيه تقي الدين عمر وعز الدين فرخشاه ابني شاهنشاه فقاتلوا الافرنج قتالا شديدا ثم تجاوزوا وعاد صلاح الدين الى دمشق ثم سار الى بيروت فاكسح نواحيها وكان قد استدعى الاسطول من مصر لحصارها فوافاه بها وحاصرها أيام ثم بلغه أن البحر قد قذف بدمياط مركبا للافرنج فيه جماعة منهم جاؤا لزيارة القدس فالتهم الريح بدمياط وأسر منهم ألف وستمئة أسير ثم ارتحل عن بيروت الى الجزيرة كما نذكره أن شاء الله تعالى .

مسير صلاح الدين الى الجزيرة واستيلاؤه على حران والرها والرقه والخابور ونصيبين وسنجار وحصار الموصل

كان مظفر الدين كوكبري بن زين الدين كجك الذي كان أبوه نائب القلعة بالموصل مستوليا في دولة مودود وبنه وانتقل آخرها الى اربل ومات بها وأقطعه عز الدين صاحب الموصل ابنه مظفر الدين وكان هواه مع صلاح الدين ويؤمله ملكه بلاد الجزيرة فراسله وهو محاصر لبيروت وأطمعه في البلاد واستحثه للوصول فسار صلاح الدين عن بيروت موريا بحلب وقصد الفرات ولقيه مظفر الدين وساروا الى البيرة وقد دخل طاعة عز الدين وكان عز الدين صاحب الموصل ومحاهد الدين لما بلغها مسار صلاح الدين الى الشام ظنوا أنه يريد حلب فساروا لمدافعته فلما عبر الفرات عادوا الى الموصل وبعثوا حامية الى الرها وكاتب صلاح الدين

ملوك الأطراف بديار بكر وغيرها بالوعد والمغاربة ووعد نور الدين محمودا صاحب كيفا أنه يملكه آمد ووصل اليه فساروا الى مدينة الرها فحاصروها وبها يومئذ الامير فخر الدين بن مسعود الزعفراني واشتد عليه القتال فاستأمن الى صلاح الدين وملكه المدينة وحاصر معه القلعة حتى سلمها النائب الذي بها على مال شرطه فأضافها صلاح الدين الى مظفر الدين مع حران وساروا الى الرقة وبها نائبها قطب الدين نبال بن حسان المنبجي ففارقها الى الموصل وملكها صلاح الدين ثم سار الى قرقيسيا وماسكين وعربان وهي بلاد الخابور فاستولى على جميعها وسار الى نصيبين فملك المدينة لوقتها وحاصر القلعة أياما ثم ملكها وأقطعها للامير أبي الهيجاء السمين ثم رحل عنها ونور الدين صاحب كيفا معه معترما على قصد الموصل وجاءه الخبر بأن الافرنج أغاروا على نواحي دمشق واكتسحوا قراها وأرادوا تخريب جامع داريا فتوعدهم نائب دمشق بتخريب بيعهم وكنائسهم فتركوه فلم يث ذلك من عزمه وقصد الموصل وقد جمع صاحبها العساكر واستعد للحصار وخلى نائبه في الاستعداد وبعث الى سنجار واربل وجزيرة ابن عمر فشحنها بالامداد من الرجال والسلاح والاموال وأنزل صاحب الدار عساكره بقرىها وتقدم هو ومظفر الدين وابن شريكوه فهاهم استعداد صاحب البلد وأيقنوا بامتناعه وعذل صاحبيه هذين فانها كانا أشارا بالبداة بالموصل ثم أصبح صلاح الدين من الغد في عسكره ونزل عليه أول رجب على باب كندة وأنزل صاحب الحصن باب الجسر وأخاه تاج الملوك بالباب العمادي وقتلهم فلم يظفر وخرج بعض الرجال فنالوا منه ونصب منجنيقا فنصبوا عليه من البلد تسعة ثم خرجوا اليه من البلد فأخذوه بعد قتال كثير وخشي صلاح الدين من البيات فتأخر لانه رآهم في بعض الليالي يخرجون من باب الجسر بالمشاعل ويرجعون وكان صدر الدين شيخ الشيوخ ومشير الخادم قد وصلا من عند الخليفة الناصر في الصلح وترددت الرسل بينهم فطلب عز الدين من صلاح الدين رد ما أخذه من بلادهم فأجاب على أن يمكنوه من حلب فامتنع فرجع الى ترك مظاهرة صاحبها فامتنع أيضا ثم وصلت أيضا رسل صاحب أذربيجان ورسل شاهرين صاحب خلاط في الصلح فلم يتم وسار أهل سنجار يعترضون من يقصده من عساكره واصحابه فأفرج عن الموصل وسار اليها وبها شرف الدين أمير أميران هند وأخو عز الدين صاحب الموصل في عسكر وبعث اليه مجاهد الدين النائب بعسكر آخر مددا وحاصرها صلاح الدين وضيق عليها واستمال بعض أمراء الاكراد الذين بها من الزاوية فواعده من ناحيته وطرقه صلاح الدين فملكه البرج الذي في ناحيته فاستأمن أمير أميران وخرج

وعسكره معه الى الموصل وملك صلاح الدين سنجار وولى عليها سعد الدين بن معين الدين الذي كان أبوه كامل بن طغركين بدمشق وصارت سنجار من سائر البلاد التي ملكها من الجزيرة وسار صلاح الدين الى نصيبين فشكا اليه أهلها من أبي الهيجاء السمين فعزله عنهم واستصحبه معه وسار الى حران في ذي القعدة من سنة ثمان وسبعين وفرق عساكره ليستربحوا وأقام في خواصه وكبار أصحابه والله أعلم .

* (مسير شاهرين صاحب خلاط لنجدة صاحب الموصل) *

كان عز الدين قد أرسل الى شاهرين يستنجده على صلاح الدين فبعث اليه عدّة رسل شافعا في أمره فلم يشفعه وغالطه فبعث اليه مولاة آخرى سيف الدين بكتمر وهو على سنجار يسأله في الافراج عنها فلم يجبه الى ذلك وسوّفه رجاء أن يفتحها فأبلغه بكتمر الوعيد عن مولاة وفارقه مغاضبا ولم يقبل صلته وأغراه بصلاح الدين فسار شاهرين من مخيمه بظاهر خلاط الى ماردين وصاحبها يومئذ ابن أخته وابن خال عز الدين وصهره على بنته وهو قطب الدين ابن نجم الدين وسار اليهم أتائب عز الدين صاحب الموصل وكان صلاح الدين في حران منصرفه من سنجار وفرق عساكره فلما سمع باجتماعهم استدعى تقيّ الدين ابن أخيه شاهنشاه من حماة ورحل الى رأس عين فافترق القوم رعاد كل الى بلده وقصد صلاح الدين ماردين فأقام عليها عدة أيام ورجع والله تعالى وليّ التوفيق بمنه وكرمه .

* (واقعة الافرنج في بحر السويس) *

كان البرنس ارناط صاحب الكرك قد أنشأ اسطولا مفصلا وحمل أجزاءه الى صاحب ايلة وركبه على ما تقتضيه صناعة النشابة وقذفه في السويس وشحنه بالمقاتلة وأقلعوا في البحر ففرقة أقاموا على حصن ايلة يحاصرونه وفرقة ساروا نحو عيذاب وأغاروا على سواحل الحجاز وأخذوا ما وجدوا بها من مراكب التجار وطرق الناس منهم بلية لم يعرفوها لانه لم يعهد ببحر السويس افرنجي محارب ولا تاجر وكان بمصر الملك العادل أبو بكر بن أيوب نائبا عن أخيه صلاح الدين فعمر اسطولا وشحنه بالمقاتلة وسار به حسام الدين لؤلؤ الحاجب قائد الاساطيل بديار مصر فبدأ باسطول الافرنج الذي يحاصر ايلة فزقهم كل ممزق وبعد الظفر بهم اقلع في طلب الآخرين وانتهى الى عيذاب فلم يجدهم فرجع الى رايغ وأدركهم بساحل

الحوراء وكانوا عازمين على طروق الحرمين واليمن والاغارة على الحاج فلما أطلّ عليهم لؤلؤ بالاسطول أيقنوا بالتغلب وتراموا على الحوراء وأسمنوا اليها واعتصموا بشعابها ونزل لؤلؤ من مراكبه وجمع خيل الأعراب هنالك وقاتلهم فظفر بهم وقتل أكثرهم وأسر الباقين فأرسل بعضهم الى منى فقتلوا بها أيام النحر وعاد بالباقيين الى مصر والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء .

* (وفاة فرخشاه) *

ثم توفي عز الدين فرخشاه بن شاهنشاه أخو صلاح الدين النائب عنه بدمشق وكان خليفته في أهله ووثوقه به أكثر من جميع أصحابه وخرج من دمشق غازيا الافرنج وطرقه المرض وعاد فتوفي في جمادي سنة ثمان وسبعين وبلغ خبره صلاح الدين وقد عبر الفرات الى الجزيرة والموصل فأعاد شمس الدين محمد ابن المقدم الى دمشق وجعله نائبا فيها واستمر لشأنه والله تعالى يورث الملك لمن يشاء من عباده .

* (استيلاء صلاح الدين على آمد وتسليمها لصاحب كيفا) *

قد تقدّم لنا مسير صلاح الدين الى ماردین واقامته عليها أياما^(١) من نواحيها ثم ارتحل عنها الى آمد كما كان العهد بينه وبين نور الدين صاحب كيفا فنازلها متتصفا ذي الحجة وبها بهاء الدين بن بيسان فحاصرها وكانت غاية في المنعة وأساء ابن بيسان التدبير وقبض يده عن العطاء وكان أهلها قد ضجروا منه لسوء سيرته وتضييقه عليهم في مكابسههم وكتب اليهم صلاح الدين بالترغيب والترهيب فتخاذلوا عن ابن بيسان وتركوا القتال معه ونقب السور من خارج بيت ابن بيسان وأخرج نساءه مع القاضي الفاضل يستميل اليه صلاح الدين ويؤجله ثلاثة أيام للرحلة فأجابه صلاح الدين وملك البلد في عاشوراء سنة تسع وسبعين وبني خيمة بظاهر البلد ينقل اليها ذخيره فلم يلتفت الناس اليه وتعذر عليه أمره فبعث الى صلاح الدين يسأله الاعانة فأمر له بالدواب والرجال فنقل في الايام الثلاثة كثيرا من موجوده ومنع بعد انقضاء الاجل عن نقل ما بقي ولما ملكها صلاح الدين سلمها لنور الدين صاحب كيفا وأخبر صلاح الدين بما فيها من الدخائر لينقلها نفسه فأبى وقال ما

(١) بياض بالاصل ، وفي الكامل ج ١١ ص ٤٩٣ : قد ذكرنا نزول صلاح الدين بجوزم تحت ماردین ، فلم ير لطمعه وجهها ، وسار عنها الى آمد عن طريق البارية .

كنت لاعطي الاصل وأبخل بالفرع ودخل نور الدين البلد ودعا صلاح الدين وأمره الى صنع صنعه لهم وقدم لهم من التحف والهدايا ما يليق بهم وعاد صلاح الدين والله تعالى أعلم .

* (استيلاء صلاح الدين على تل خالد وعنتاب) *

ولما فرغ صلاح الدين من آمد سار الى أعمال حلب فحاصر تل خالد ونصب عليه المجانيق حتى تسلمه بالامان في محرّم سنة تسع وسبعين ثم سار الى عنتاب فحاصرها وبها ناصر الدين محمد أخو الشيخ اسمعيل الذي كان خازن نور الدين العادل وصاحبه وهو الذي ولاه عليها فطلب من صلاح الدين أن يقرّها بيده ويكون في طاعته فأجابته الى ذلك وحلف له وسار في خدمته وغنم المسلمون خلال ذلك، مغانم فنها في البحر سار اسطول مصر فلقى في البحر مركبا فيها نحو ستمائة من الافرنج بالسلاح والاموال قاصدون الافرنج بالشام فظفروا بهم وغنموا ما معهم وعادوا الى مصر سالمين ومنها في البر أغار الدارون جماعة من الافرنج ولحقهم المسلمون بايلة واتبعوهم الى العسيلة وعطش المسلمون فانزل الله تعالى عليهم المطر حتى رويوا وقتلوا الافرنج فظفروا بهم هنالك واستلحموهم واستقاموا معهم وعادوا سالمين الى مصر والله أعلم .

* (استيلاء صلاح الدين على حلب وقلعة حارم) *

كان الملك الصالح اسمعيل بن نور الدين العادل صاحب حلب لم يبق له من الشام غيرها وهو يدافع صلاح الدين عنها فتوفي منتصف سنة سبع وسبعين وعهد لابن عمه عز الدين صاحب الموصل وسار عز الدين صاحب الموصل مع نائبه مجاهد الدين قايمان اليها فملكها ثم طلبها منه أخوه عماد الدين صاحب سنجان على أن يأخذ عنها سنجان فأجابته الى ذلك وأخذ عز الدين سنجان وعاد الى الموصل وسار عماد الدين الى حلب فملكها وعظم ذلك على صلاح الدين وخشي أن يسير منها الى دمشق وكان بمصر فسار الى الشام وسار منها الى الجزيرة وملك ما ملك منها وحاصر الموصل ثم حاصر آمد وملكها ثم سار الى أعمال حلب كما ذكرناه فملك تل خالد وعنتاب ثم سار الى حلب وحاصرها في محرّم سنة تسع وسبعين ونزل الميدان الاخضر أيا ما ثم انتقل الى جبل جوشق وأظهر البقاء عليها وهو يغادها القتال

ويراوحها وطلب عماد الدين جنده في العطاء وضايقوه في تسليم حلب لصالح الدين وأرسل اليه في ذلك الامر طومان الباروقي وكان يميل الى صلاح الدين فشارطه على سنجار ونصيبين والرقه والخابور ويتزل له عن حلب وتحالفوا على ذلك وخرج عنها عماد الدين ثامن عشر صفر من السنة الى هذه البلاد ودخل صلاح الدين حلب بعد ان شرط على عماد الدين أن يعسكر معه متى عاد ولما خرج عماد الدين الى صلاح الدين صنع له دعوة احتفل فيها وانصرف وكان فيمن هلك في حصار حلب تاج الملوك نور الدين أخو صلاح الدين الاصغر أصابته جراحة فمات منها بعد الصلح وقبل أن يدخل صلاح الدين البلد ولما ملك صلاح الدين حلب سار الى قلعة حارم وبها الامير طرخك من موالي نور الدين العادل وكان عليها ابنه الملك الصالح فحاصره صلاح الدين ووعده وترددت الرسل بينهم وهو يمتنع وقد أرسل الى الافرنج يدعوهم للانجاد وسمع بذلك الجند الذين معه فوثبوا به وحبسوه واستأمنوا الى صلاح الدين فلما ملك الحصن وولى عليه بعض خواصه وقطع تل خالد^(١) الباروقي صاحب تل باشر وأما قلعة اعزاز فأن عماد الدين اسمعيل كان خربها فأقطعها صلاح الدين سليمان بن جसार^(٢) وأقام بحلب الى أن قضى جميع أشغالها وأقطع أعمالها وسار الى دمشق والله تعالى أعلم.

* (غزوة بيسان) *

ولما فرغ صلاح الدين من أمر حلب ولى عليها ابنه الظاهر غازي ومعه الامير سيف الدين تاوكج كافلا له لصغره وهو أكبر الامراء الاسدية وسار الى دمشق فتجهز للغزو وجمع عساكر الشام والجزيرة وديار بكر وقصد بلاد الافرنج فعبّر الاردن منتصف سبع وسبعين وأجفل أهل تلك الاعمال أمامه فقصد بيسان وخربها وحرقها وأغار على نواحيها واجتمع الافرنج له فلما رأوه خاموا عن لقائه واستندوا الى جبل وخندقوا عليهم وأقام يحاصره خمسة أيام ويستدرجهم للتزول فلم يفعلوا فرجع المسلمون عنهم وأغاروا على تلك النواحي وامتألت أيديهم بالغنائم وعادوا الى بلادهم والله تعالى ينصر من يشاء من عباده .

(١) بياض بالاصل وفي الكامل ج ١١ ص ٤٩٥ : واقطع تل خالد لاميير يقال له داروم الباروقي وهو صاحب تل باشر.

(٢) واسمه في الكامل : سليمان بن جندر.

* (غزو الكرك وولاية العادل على حلب) *

ولما عاد صلاح الدين من غزوة بيسان تجهز لغزو الكرك وسار في العساكر واستدعى أخاه العادل أبا بكر بن أيوب من مصر وهو نائبها ليلحق به على الكرك وكان قد سأل في ولاية حلب وقلعتها فأجابه الى ذلك وأمره أن يجيء بأهله وماله فوافاه على الكرك وحاصروه أياما وملكوا أرياضه ونصبوا عليها المجانيق ولم يكن بالغ في الاستعداد لحصاره لظنه أن الأفرنج يدافعون عنه فأفرج عنه منتصف شعبان وبعث تقي الدين ابن أخيه شاه على نيابة مصر مكان أخيه العادل واستصحب العادل معه الى دمشق فولاه مدينة حلب ومدينة منبج وما إليها وبعثه بذلك في شهر رمضان من السنة واستدعى ولده الظاهر غازي من حلب الى دمشق ثم سار في ربيع الآخر من سنة ثمانين لحصار الكرك بعد أن جمع العساكر واستدعى نور الدين صاحب كيفا وعساكر مصر واستعد لحصاره ونصب المجانيق على ريفه فلكه المسلمون وبقي الحصن وراء خندق بينه وبين الرض عمقه ستون ذراعا وراموا طمه فنضحوهم بالسهام ورموهم بالحجارة فأمر برفع السقف ليثني المقاتلة تحتها الى الخندق وأرسل أهل الحصن الى ملكهم يستمدونه ويخبرونه بما نزل بهم فاجتمع الأفرنج وأوعبوا وساروا اليهم فرحل صلاح الدين للقائهم حتى انتهى الى حزونة الارض فأقام ينتظر خروجهم الى البسيط فحاموا عن ذلك فتأخر عنهم فراسخ ومروا الى الكرك وعلم صلاح الدين أن الكرك قد امتنع بهؤلاء فتركه وسار الى نابلس فخرّبها وحرّقها وسار الى سبطية^(١) وبها مشهد زكرياء عليه السلام فاستنقذ من وجد بها من أسارى المسلمين ورحل الى جنين^(٢) فنهبا وخرّبها وسار الى دمشق بعد أن بث السرايا في كل ناحية ونهب كل ما مرّ به وامتأّت الايدي من الغنائم وعاد الى دمشق مظفرا والله تعالى أعلم .

* (حصار صلاح الدين الموصل) *

ثم سار صلاح الدين من دمشق الى الجزيرة في ذي القعدة من سنة ثمان وعبر الفرات وكان مظفر الدين كوكبري على كجك يستحثه للمسير الى الموصل في كل وقت وربما وعده

(١) وهي سبطية

(٢) وهي جنين

بخمسين ألف دينار اذا وصل فلما وصل الى حران لم يف له فقبض عليه ثم خشي معيرة^(١) أهل الجزيرة فأطلقه وأعاد عليهم حران والرها وسار في ربيع الاول ولقيه نور الدين صاحب كيفا ومعز الدين سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر وقد انحرف عن عمه عز الدين صاحب الموصل بعد نكبة مجاهد الدين نائبه وساروا كلهم مع صلاح الدين الى الموصل وانتهوا الى مدينة بلد فلقية هنالك أم عز الدين وابنة عمه نور الدين وجماعة من أهل بيته يسألونه الصلح ظنا بأنه لا يردّهنّ وسيابنت نور الدين واستشار صلاح الدين أصحابه فأشار الفقيه عيسى وعلي بن أحمد المشطوب برّدّهنّ وساروا الى الموصل وقتلوا واستمات أهلها وامتعضوا لردّ النساء فامتنعت عليهم وعاد على أصحابه باللوم في اشارتهم وجاء زين الدين يوسف صاحب اربل وأخوه مظفر الدين كوكبري فانزلها بالجانب الشرقي وبعث علي بن أحمد المشطوب الهكاري الى قلعة الجزيرة ليحاصرها فاجتمع عليه الاكراد الهكارية الى أن عاد صلاح الدين عن الموصل وبلغ عز الدين أن نائبه بالقلعة زلقندار يكتاب صلاح الدين فتنعه منها وانحرف عنه الى الاقتداء برأي مجاهد الدين وتصدر عنه ثم بلغه خبر وفاة شاهرين صاحب خلاط فقطع صلاح الدين في ملكها وانه يستعين بها على أموره ثم جاءته كتب أهلها يستدعونه فسار عن الموصل اليها وكان أهل خلاط انما كاتبوه مكرًا لانّ شمس الدين البهلوان ابن ايلدكر صاحب أذربيجان وهمذان قصده تملكهم بعد ان كان زوج ابنته من شاهرين على كبره وجعل ذلك ذريعة الى ملك خلاط فلما سار اليهم كاتبوا صلاح الدين ودافعوا كلا منها بالآخر فسار صلاح الدين وفي مقدمته ناصر الدين محمد بن شيركوه ومظفر الدين صاحب اربل وغيرهما وتقدّموا الى خلاط وتقدّم صاحب أذربيجان فترل قريبا من خلاط وتردّدت رسل أهل خلاط بينه وبين البهلوان ثم خطبوا للبهلوان والله تعالى ينصر من يشاء من عباده .

* (استيلاء صلاح الدين على ميفارقين) *

ولما خطب أهل خلاط للبهلوان وصلاح الدين على ميفارقين وكانت لقطب الدين صاحب ماردین فتوفي وملك ابنه طفلا صغيرا بعده وردّ أمرها الى شاهرين صاحب خلاط وأنزل بها عسكره فقطع فيها صلاح الدين بعد وفاة شاهرين وحاصرها من أول جمادي سنة احدى

(١) وهي تصحيف عن معرة : بمعنى الاذى ، الغرم ، الجنابة . ومعرة الجيش : ان يتزلوا يقوم فيأكلوا من زعمهم شيئا بغير علم « قاموس »

وثمانين وعلى أجنادها الامير أسد الدين برنيقش فأحسن الدفاع وكان بالبلد زوجة قطب الدين المتوفي ومعها بناتها منه وهي أخت نور الدين صاحب كيفا فراسلها صلاح الدين بأن برنيقش قد مال اليها في تسليم البلد ونحن ندعي حق أخيك نور الدين فأزّوج بناتك من أبنائي وتكون البلد لنا ووضع على برنيقش من أخبره بأن الخاتون مالت الى صلاح الدين وأن أهل خلاط كاتبوه وكان خبر أهل خلاط صحيحا فسقط في يده وبعث في التسليم على شروط اشترطها من اقطاع ومال وسلم البلد فلكها صلاح الدين وعقد النكاح لبعض ولده على بعض بنات خاتون وأنزلها وبناتها بقلعة هقناج وعاد الى الموصل ومرّ بنصيبين وانتهى الى كفر أرمّان واعتزم على أن يشتوا به ويقطع جميع ضياع الموصل ويحجّ أعمالها ويكتسح غلاتها وجنح مجاهد الدين الى مصالحته وتردّت الرسل في ذلك على أن يسلم اليه عز الدين شهرزور وأعمالها وولاية الغرابلي وما وراء الزاب من الاعمال ثم طرده المرض فعاد الى حران وأدركه الرسل بالاجابة الى ما طلب فانهقد هنالك وتحالفوا وتسلم البلاد وطال مرضه بجران وكان عنده أخوه العادل ويده حلب وبها الملك العزيز عثمان بن صلاح الدين واشتدّ به المرض فقسم البلاد بين أولاده وأوصى أخاه العادل على الجميع وعاد الى دمشق في محرم سنة اثنتين وثمانين وكان عنده بجران ناصر الدين محمد ابن عمه شريكه ومن اقطاعه حمص والرحبة فعاد قبله الى حمص ومرّ بحلب وصانع جماعة من أمرائها على أن يقوموا بدعوته أن حدث بصلاح الدين أمر وبلغ الى حمص فبعث الى أهل دمشق بمثل ذلك وأفاق صلاح الدين من مرضه ومات ناصر الدين ليلة الاضحى ويقال دسّ عليه من سمه وورث أعماله ابنه شريكه وهو ابن اثني عشرة سنة والله تعالى أعلم .

* (قسمة صلاح الدين الاعمال بين ولده وأخيه) *

كان ابنه العزيز عثمان بحلب في كفالة أخيه العادل وابنه الاكبر الافضل علي بمصر في كفالة تقي الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه بعثه اليها عندما استدعى العادل منها كما مرّ فلما مرض بجران أسف على كونه لم يول أحدا من ولده استقلالا وسعى اليه بذلك بعض بطانته فبعث ابنه عثمان العزيز الى مصر في كفالة أخيه العادل كما كان بحلب ثم اقطع العادل حران والرها وميفارقين من بلاد الجزيرة وترك عثمان ابنه بمصر ثم بعث عن ابنه الافضل وتقي الدين ابن أخيه فامتنع تقي الدين من الحضور واعتزم على المسير الى المغرب واللاحاق بمولاه قراقوش في ولايته التي حصلت له بطرابلس والجريد من افريقيه فراسله صلاح الدين ولاطفه ولما وصل

أقطعته حماة ومنبج والمعرّة وكفرطاب وجبل جوز وسائر أعمالها وقيل ان تقيّ الدين لما أُرْجِفَ بمرض صلاح الدين وموته تحرّك في طلب الامر لنفسه وبلغ ذلك صلاح الدين فأرسل الفقيه عيسى الهكاري وكان مطاعا فيهم وأمره باخراج تقيّ الدين من مصر والمقام بها فصار ودخلها على حين غفلة وأمر تقيّ الدين بالخروج فأقام خارج البلد وتجهز للمغرب فراسله صلاح الدين الى آخر الخبر والله تعالى أعلم .

اتفاق القمص صاحب طرابلس مع صلاح الدين ومناذرة البرنس صاحب الكرك له وحصاره اياه والاغارة على عكا

كان القمص صاحب طرابلس وهوريمندين ريمندبن صنجيل تزوّج بالقومصة صاحبة طبرية وانتقل اليها فأقام عندها ومات ملك الافرنج بالشام وكان مجذوما كما مرّ وأوصى بالملك لابن أخيه صغيرا فكفله هذا القمص وقام بتدبيره للملكة لعظمه فيهم وطمع أن تكون كفالته ذريعة الى الملك ثم مات الصغير فانتقل الملك الى أبيه ويش القمص عندها مما كان يحدث به نفسه ثم أنّ الملكة تزوّجت ابن غتم من الافرنج القادمين من المغرب وتوجته وأحضرت البطرك والقسوس والرهبان والاستبارية والدواوية واليارونة وأشهدتهم خروجها له عن الملك ثم طولب القمص بالحماية أيام كفالته الصبيّ فأنف وغضب وجاهر بالشقاق لهم وراسل صلاح الدين وسار الى ولايته وخلف له على مصره من أهل ملته وأطلق له صلاح الدين جماعة من زعماء النصاري كانوا أسارى عنده فازداد غبطة بمظاهرةه وكان ذلك ذريعة لفتح بلادهم وارتجاع القدس منهم وبث صلاح الدين السرايا من ناحية طبرية في سائر بلاد الافرنج فاكسحوها وعادوا غامين وذلك كله سنة اثنتين وثمانين وكان البرنس ارناط صاحب الكرك من أعظم الافرنج مكرا وأشدّهم ضررا وكان صلاح الدين قد سلط الغارة والحصار على بلده حتى سأل في الصلح فصالحه فصلحت السابلة بين الآمين ثم مرّت في هذه السنة قافلة كثيرة التجار والخذ فغدر بهم وأسرواخذ ما معهم وبعث إليه صلاح الدين فأصرّ على غدرته فنذر أنه يقتله ان ظفر به واستنفر الناس للجهاد من سائر الاعمال من الموصل والجزيرة واربل ومصر والشام وخرج من دمشق في محرّم سنة ثلاث وثمانين وانتهى الى رأس الماء وبلغه أنّ البرنس ارناط صاحب الكرك يريد أن يتعرض للحاج من الشام وكان معهم ابن أخيه محمد بن لاجين وغيره فترك من العساكر مع ابنه الافضل عليّ وسار الى بصرى

وسمع البرنس بمسيره فأحجم عن الخروج ووصل الحاج سالمين وسار صلاح الدين الى الكرك وبث السرايا في أعمالها وأعمال الشويك فاكسحوهما والبرنس محصور بالكرك وقد عجز الافرنج عن امداده لمكان العساكر مع الافضل بن صلاح الدين ثم بعث صلاح الدين الى ابنه الافضل فامر به بارسال بعث الى عكا ليكسحوا نواحيها فبعث مظفر الدين كوكبري صاحب حران والرها وقايماز النجمي وداروم الباروقي وساروا في آخر صفر فصبحو صفورية وبها جمع من الفداوية والاستبارية فبرزوا اليهم وكانت بينهم حروب شديدة تولى الله النصر فيها للمسلمين وانهزم الافرنج وقتل مقدمهم وامتلأت أيدي المسلمين من الغنائم وانقلبوا ظافرين ومروا بطبرية وبها القمص فلم يهجم لما تقدّم بينه وبين صلاح الدين من الولاية وعظم هذا الفتح وسار البشير به في البلاد والله تعالى أعلم .

* (هزيمة الإفرنج وفتح طبرية ثم عكا) *

ولما انهزم الفداوية والإستبارية بصفورية ومّر المسلمون بالغنائم على القمص ريمند بطبرية ووصلت البشائر بذلك إلى صلاح الدين عاد إلى معسكره الذي مع ابنه ومّر بالكرك واعتزم على غزو بلاد الافرنج فاعترض عساكره وبلغه ان القمص ريمند قد راجع أهل ملته ونقض عهده معه وأن البطرك والقسس والرهبان أنكروا عليه مظاهرتهم للمسلمين ومرور عساكرهم به بأسرى النصارى وغنائمهم ولم يعترضهم مع إيقاعهم بالفداوية والإستبارية أعيان الملة وتهددوه بإلحاق كلمة الكفر به فتصل وراجع رأيهم واعتذر إليهم فقبلوا عذره وتخلص لكفره وطواغيته فجدّدوا الحلف والإجتماع وساروا من عكا إلى صفورية وبلغ الخبر إلى صلاح الدين وشاور أصحابه فمنهم من أشار بترك اللقاء وشن الغارات عليهم حتى يضعفوا ومنهم من أشار باللقاء لتزول عكا واستيفاء ما فعلوه في المسلمين بالجزيرة فاستصوبه صلاح الدين واستعجل لقاءهم ثم رحل من الأقحوانة أواخر رمضان فسار حتى خلف طبرية وتقدّم إلى معسكر الإفرنج فلم يفارقوا خيامهم فلما كان الليل أقام طائفة من العسكر فسار إلى طبرية فلكها من ليلته عنوة ونهبها وأحرقها وامتنع أهلها بالقلعة ومعهم الملكة وأولادها فبلغ الخبر إلى الإفرنج فضج القمص وعمد إلى الصلح وأطال القول في تعظيم الخطب وكثرة المسلمين فنكر عليه البرنس صاحب الكرك وإتهمه ببقائه على ولاية صلاح الدين واعتزموا على اللقاء ووصلوا من مكانهم لقصد المعسكر وعاد صلاح الدين إلى معسكره وبعثت المياه من حوالي الإفرنج وعطشوا ولم يتمكنوا من الرجوع فركبهم صلاح الدين دون قصدهم واشتدت الحرب وصلاح الدين يحول بين الصفوف يتفقد أحوال المسلمين ثم حمل القمص على

ناحية تقي الدين عمر بن شاه حملة استمات فيها هو وأصحابه فأفرج له الصف وخلص من تلك الناحية إلى منجاته واختلّ مصاف الإفرنج وتابعوا الحملات وكان بالأرض هشيم أصابه شرر فاضطرم ناراً فجهدهم لفحها ومات جلهم من العطش فوهنوا وأحاط بهم المسلمون من كل ناحية فارتفعوا إلى تل بناحية حطين لينصبوا خيامهم به فلم يتمكنوا إلا من خيمة الملك فقط والسيف يحول فيهم بحاله حتى فني أكثرهم ولم يبق إلا نحو المائة والخمسين من خلاصة زعمائهم مع ملكهم والمسلمون يكرّون عليهم مرّة بعد أخرى حتى ألقوا ما بأيديهم وأسروا الملك وأخاه البرنس أرناط صاحب الكرك وصاحب جبيل وابن هنفري ومقدم الفداوية وجماعة من الفداوية والاستبارية ولم يصابوا منذ ملكوا هذه البلاد أعوام التسعين والأربعمائة بمثل هذه الواقعة ثم جلس صلاح الدين في خيمته وأحضر هؤلاء الأسرى فقرّع الملك ووبخه بعد أن أجلسه إلى جانبه وفاء بمنصب الملك وقام إلى البرنس فتولى قتله بيده حرصاً على الوفاء بنذره بعد أن عرفه بغدرته وبجسارته على ما كان يرومه في الحرمين وحبس الباقين وأمّا القمص صاحب طرابلس فنجا كما ذكرناه إلى بلده ثم مات لأيام قلائل أسفاً ولما فرغ صلاح الدين من هزيمتهم نهض إلى طبرية فنازلها واستأمنت إليه الملكة بها فأمنها في ولدها وأصحابها ومالها وخرجت إليه فوفى لها وبعث الملك وأعيان الأسرى إلى دمشق فحبسوا بها وجمع أسرى الفداوية والاستبارية بعد أن بذل لمن يحده منهم من المقاتلة خمسين ديناراً مصرية لكل واحد وقتلهم أجمعين قال ابن الأثير ولقد اجتزت بمكان الواقعة بعد ستة فرأيت عظامهم ماثلة على البعد أحجفتها السيول ومزقتها السباع ولما فرغ صلاح الدين من طبرية سار عنها إلى عكا فنازلها واعتصم الإفرنج الذين بها بالأسوار وشادوا بالاستئمان فأمنهم وخيرهم فاختاروا الرحيل فحملوا ما أقلته رحالهم ودخلها صلاح الدين غرة جمادى ستة ثلاث وثمانين وصلوا في جامعها القديم الجمعة يوم دخولهم فكانت أول جمعة أقيمت بساحل الشام بعد استيلاء الإفرنج عليه وأقطع صلاح الدين بلد عكا لأبنة الأفضل وجميع ما كان فيه للفداوية من أقطاع وضياع ووهب للفقير عيسى الهكاري كثيراً مما عجز الإفرنج عن حمله وقسم الباقي على أصحابه ثم قسم الأفضل ما بقي في أصحابه بعد مسير صلاح الدين ثم أقام صلاح الدين أياماً حتى أصلح أحوالها ورحل عنها والله تعالى أعلم .

* (فتح يافا وصيدا وجبيل وبيروت وحصون عكا) *

لما هزم صلاح الدين الإفرنج كتب إلى أخيه العادل بمصر يسيره ويأمره بالمسير إلى جهات

الإفرنج من جهات مصر فنازل حصن مجدل وفتحته وغنم ما فيه ثم سار إلى مدينة يافا ففتحها عنوة واستباحها وكان صلاح الدين أيام مقامه بعكا بعث بعوثه إلى قيسارية وحيفا وصور وبعث حسام الدين عمر بن الأصبغ في عشكر إلى نابلس فملك سبطية مدينة الأسباط وبها قبر زكريا عليه السلام ثم سار إلى مدينة نابلس فملكها واعتصم الإفرنج الذين بها بالقلعة فأقرهم على أموالهم وبعث تقي الدين عمر بن شاهنشاه إلى تبين ليقطع الميرة عنها وعن صور فوصل إليها وحاصرها وضيق عليها حتى استأمنوا فأمهم وملكها ومروا إلى صيدا ومروا في طريقه بصرخد فملكها بعد قتال وجاء الخبر بفرار صاحب صيدا فسار وملكها آخر جمادي الأولى من السنة ثم سار من يومه إلى بيروت وقاتلها من أحد جوانبها فتوهموا أذى المسلمين دخلوا عليهم من الجانب الآخر فاهتاجوا لذلك فلم يستقروا ولا قدروا على تسكين الهبة لكثرة ما معهم من أخلاط السواد فاستأمنوا إليه وملكها آخر يوم من جمادى لثمانية أيام من حصارها وكان صاحب جبيل أسير بدمشق فضمن لئانها تسليم جبيل لصلاح الدين على أن يطلقه فاستدعاه وهو محاصر لبيروت وسلم الحصن وأطلقه وكان من أعيان الإفرنج وأولي الرأي منهم والله تعالى أعلم .

* (وصول المركب إلى صور وامتناعه بها) *

كان القمص صاحب طرابلس لما نجا من هزيمة^(٢) لحق بمدينة صور وأقام بها يريد حمايتها ومنعها من المسلمين فلما ملك صلاح الدين نسيس وصيدا وبيروت ضعف عزمه عن ذلك ولحق ببلده طرابلس وبقيت صيدا وصور بدون حامية وجاء المراكيش من تجار الإفرنج من المغرب في كثرة وقوة فأرسي بعكا ولم يشعر بفتحها وخرج إليه الرائد فأخبره بمكان الأفضل بن صلاح الدين فيها وأن صور وعسقلان باقية للإفرنج فلم يطق الإقلاع اليهما لركود الريح فشغلهم بطلب الأمان ليدخل المرسى ثم طابت ريحه وجرت به إلى صور

(١) وفي الكامل ١١ ص ٥٤٠ : في مدة مقام صلاح الدين بعكا تفرق عسكره إلى الناصرة وقيصرية وحيفا وصفورية ومعليا والشقيف والقولة وغيرها من البلاد المحاورة لعكا .

(٢) كذا بياض بالأصل . وفي الكامل ج ١١ ص ٥٤٣ ولما إنهمز القمص صاحب طرابلس من حطين إلى مدينة صور فأقام بها ، وهي أعظم بلاد الشام حصانة ، وأشد امتناعاً على من رامها .

وأمر الأفضل بخروج الشواني في طلبه فلم يدركوه حتى دخل مرسى صور فوجد بها أعلاطاً كثيرة من فلّ الحصون المفتحة فجاءوا إليه وضمن لهم حفظ المدينة وبذل أمواله في الانفاق عليها على أن تكون هي وأعماها له دون غيره واستحلفهم على ذلك ثم قام بتدبير أحوالها وشرع في تحصينها فحفر الخنادق ورّم الأسوار واستبدّ بها والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (فتح عسقلان وما جاورها) *

ولما ملك صلاح الدين بيروت وجبيل وتلك الحصون صرف همه إلى عسقلان والقدس لعظم شأن القدس ولأنّ عسقلان مقطع بين الشام ومصر فسار عن بيروت إلى عسقلان ولحق به أخوه العادل في عساكر مصر ونازلها أوائل جمادى الأخيرة واستدعى ملك الإفرنج ومقدم الراية وكانا أسيرين بدمشق فأحضرهما وأمرهما بالاذن للإفرنج بعسقلان في تسليمها فلم يجيبوا إلى ذلك وأسأوا الردّ عليهما فاشتدّ في قتالهم ونصب المجانيق عليهم يردّد الرسائل إليهم في التسليم عساه ينطلق ويأخذ بالثار من المسلمين فلم يجيبوه ثم جهدهم الحصار وبعد عليهم الصريخ فاستأمنوا إلى صلاح الدين على شروط اشترطوها كان أهمها عندهم أن يمنعهم من الهراسة لما قتلوا أميرهم في الحصار فأجابهم إلى جميع ما اشترطوه وملك المدينة منتصف السنة لأربعة عشر يوماً من حصارها وخرجوا بأهلهم وأموالهم وأولادهم إلى القدس ثم بعث السرايا في تلك الأعمال ففتحوا الرملة والداروم وغزة ومدن الخليل وبيت لحم البطرون وكل ما كان للفداوية وكان أيام حصار عسقلان قد بعث عن أسطول مصر فجاء به حسام الدين لؤلؤ الحاجب وأقام يغير على مرسى عسقلان والقدس ويغنم جميع ما يقصده من النواحي والله سبحانه وتعالى يؤيد من يشاء بنصره .

* (فتح القدس) *

لما فرغ صلاح الدين من أمر عسقلان وما يحاورها سار إلى بيت المقدس وبها البطرک الأعظم وبلبان بن نيزران^(١) صاحب الرملة وريسة قرية الملك ومن نجا من زعمائهم من حطين وأهل البلد المفتحة عليهم وقد اجتمعوا كلهم بالقدس واستأثروا للدين وبعد لصريخ وأكثروا الإستعداد ونصبوا المجانيق من داخله وتقدّم إليه أمير من المسلمين فخرج إليه الإفرنج فأوقعوا

(١) وفي الكامل ورد اسمه بالبيان بن بيزران . (ج ١١ ص ٥٤٦) .

به وقتلوه في جماعة ممن معه وفجع المسلمون بقتله وساروا فزلوا على القدس منتصف رجب وهالهم كثرة حاميته وطاف بهم صلاح الدين خمسة أيام فتحيز متبواً عليه للقتال حتى إختار جهة الشمال نحو باب العمود وكنيسة صهيون يتحول إليه ونصب المجانيق عليها واشتد القتال وكان كل يوم يقتل بين الفريقين خلق وكان ممن استشهد عز الدين عيسى بن مالك من أكابر أمراء بني بدران وأبوه صاحب لمعة جعبر فأسف المسلمون لقتله وحملوا عليهم حتى أزالوهم عن مواقفهم وأحجروهم البلد وملكوا عليهم الخندق ونقبوا السور فوهن الإفرنج واستأمنوا لصلاح الدين أبي إلا العنوة كما ملكه الإفرنج أول الأمر سنة إحدى وسبعين وأربعمائة واستأمن له بالباب ابن نيزان صاحب الرملة وخرج إليه وشافهه بالإستئمان واستعطفه فأصرّ على الإمتناع فتهدده بالإستماتة وقتل النساء والأبناء وحرق الأمتعة وتخرب المشاعر المعظمة واستلحام أسرى المسلمين وكانوا خمسة آلاف أسير واستهلاك جميع الحيوانات الداجنة بالقدس من الظهر وغيره فحينئذ استشار صلاح الدين صحبه فجنحوا الى تأمينهم فشارطهم على عشرة دنانير للرجل وخمسة للمرأة ودينارين للولد صبي أو صبية وعلى أجل أربعين يوماً فمن تأخر أداؤه عنها فهو أسير وبذل بليان ابن نيزان عن فقراء أهل ملته ثلاثين ألف دينار وملك صلاح الدين المدينة يوم الجمعة لتسع وعشرين من رجب سنة ثلاث وثمانين ورفعت الأعلام الإسلامية على أسواره وكان يوماً مشهوداً ورتب على أبواب القدس الأمناء لقبض هذا المال ولم يبن الأمر فيه على المشاحة فذهب أكثرهم دون شيء وعجز آخر الأمر ستة عشر ألف نسمة فأخذوا أسارى وكان فيه على التحقيق ستون ألف مقاتل غير النساء والولدان فإن الإفرنج أزرؤا إليه من كل جانب لما افتتحت عليهم حصونهم وقلاعهم ومن الدليل على مقاربة هذا العدد أن بليان صاحب الرملة أعطى ثلاثين ألف دينار على ثمانية عشر ألفاً وعجز منهم ستة عشر ألفاً وأخرج جميع الأمراء خلقاً لا تحصى في زي المسلمين بعد أن يشارطوهم على بعض القطيعة واستوهب آخرون جموعاً منهم يأخذون قطيعتهم فوهبهم إياهم وأطلق بعض نساء الملوك من الروم كانوا مترهبات فأطلقهم بعيدهم وحشمهم وأموالهم وكذا ملكة القدس التي أسر صلاح الدين زوجها ملك الإفرنج بسببها وكان محبوساً بقلعة نابلس فأطلقها بجميع ما معها ولم يحصل من القطيعة على خراج وخرج البطرك الأعظم بما معه من ماله وأموال البيع ولم يتعرض له وجاءته امرأة البرنس صاحب الكرك الذي قتله يوم حطين تشفع في ولدها وكان أسيراً فبعثها إلى الكرك لتأذن الإفرنج في النزول عنه للمسلمين وكان على رأسه قبة خضراء لها صليب عظيم مذهب وتسلق جماعة من

المسلمين إليه واقتلعوه وإرتجت الأرض بالتكبير والعويل ولما خلا القدس من العدو أمر صلاح الدين برد مشاعره إلى أوضاعها القديمة وكانوا قد غيروها فأعيدت إلى حالها الأول وأمر بتطهير المسجد والصخرة من الأقدار فطهرها ثم صلى المسلمون الجمعة الأخرى في قبة الصخرة وخطب محي الدين بن زنكي قاضي دمشق بأمر صلاح الدين وأتى في خطبته بعجائب من البلاغة في وصف الحال وعظمة الإسلام أقشعرت لها الجلود وتناقلها الرواة وتحديث بها السمار أحوالا ثم أقام صلاح الدين بالمسجد للصلوات الخمس إماماً وخطيباً وأمر بعمل المنبر له فتحدثوا عنده بأن نور الدين محموداً اتخذ له منبراً منذ عشرين سنة وجمع الصناع بحلب فأحسنوا صنعته في عدد سنين فأمر بحمله ونصبه بالمسجد الأقصى ثم أمر بعمارة المسجد وإقتلاع الرخام الذي فوق الصخرة لأن القسيسين كانوا يبيعون الحجر من الصخرة ينحتونها نحتاً ويبيعونها بالذهب وزناً بوزن فتنافس الإفرنج فيها التماس البركة منها ويدعونها في الكنائس فخشي ملوكهم أن تفنى الصخرة فعالموا عليها بفرش الرخام فأمر صلاح الدين بقلعه^(١) ثم استكثر في المسجد من المصاحف ورتب فيه القراء ووفر لهم الجرايات وتقدم ببناء الربط والمدارس فكانت من مكازمه رحمه الله تعالى وإرتحل الإفرنج بعد أن باعوا جميع ما يملكونه من العقار بأرخص ثمن واشترأه أهل العسكر ونصارى القدس الأقدمون بعد أن ضربت عليهم الجزية كما كانوا والله تعالى أعلم .

* (حصار صور ثم صفد وكوكب والكرك) *

لما فتح صلاح الدين القدس أقام بظاهره إلى آخر شعبان من السنة حتى فرغ من جميع أشغاله ثم رحل إلى مدينة صور وقد اجتمع فيها من الإفرنج عوالم وقد نزل بها المراكيش وضبطها ولما إنتهى صلاح الدين إلى عكا أقام بها أياماً فبالغ المراكيش في الإستعداد وتعميق الخنادق وإصلاح الأسوار وكان البحر يحيط بها من ثلاث جهاتها فوصل جانب اليمن بالشمال وصارت كالجزيرة وسار إليها فتزل عليها لتسع بقين من رمضان على تل يشرف منه على مكان القتال وجعل القتال على أقبال عسكره نوباً بين ابنه الأفضل وابن الظاهر وأخيه

(١) كذا بالأصل والعبارة مرتبكة ، وفي الكامل ج ١١ ص ٥٥٢ : وكان الفرنج فرشوا الرخام فوق الصخرة فغيبوها فأمر بكشفها وكان سبب تغطيتها بالفرش أن القسيسين باعوا كثيراً منها للفرنج الواردين إليهم من داخل البحر للزيارة يشترونه بوزنه ذهباً رجاء بركتها ، وكان أحدهم إذا دخل إلى بلاده باليسير منها بنى له الكنيسة . ويجعل في مذهبها . فخاف بعض ملوكهم أن تغنى فأمر بها ففرش فوقها حفظاً لها .

العادل وابن أخيه تقي الدين ونصب عليها المجانيق والعرادات وكان الإفرنج يركبون في الشواني والحراقات ويأتون المسلمين من ورائهم فيرمون عليهم من البحر ويقاثلونهم ويمنعونهم من الدنو إلى السور فبعث صلاح الدين عن أسطول مصر من مرسى عكا فجاء ودافع الإفرنج وتمكن المسلمون من قتال الأسوار وحاصروها براً وبحراً ثم كبس أسطول الإفرنج خمسة من أساطيل المسلمين ففتكوا بهم ورد صلاح الدين الباقي إلى بيروت لقلتها فاتبعها أساطيل الإفرنج فلما أرهقوهم في الطلب ألقوا بأنفسهم إلى الساحل وتركوها فحكمها صلاح الدين ونقضها وجد في حصار صور فلم يفد وامتنعت عليه لما كان فيها من كثرة الإفرنج الذين أمنهم بعكا وعسقلان والقدس فترلوا إليها بأموالهم وأمدوا صاحبها واستدعوا الإفرنج وراء البحر فوعدهم بالنصر وأقاموا في انتظارهم ولما رأى صلاح الدين إمتناعها شاور أصحابه في الرحيل فترددوا وتحاذلوا في القتال فرحل آخر شوال إلى عكا وأذن للعساكر في المشي إلى أوطانهم إلى فصل الربيع وعادت عساكر الشرق والشام ومصر وأقام بقلعة عكا في خواصه ورد أحكام البلد إلى خرديك من أمراء نور الدين وكان صلاح الدين عندما اشتغل بحصار عسقلان بعث عسكرياً لحصار صور فشددوا حصارها وقطعوا عنها الميرة وبعثوا إلى صلاح الدين وهو يحاصر صور فاستأمنوا له ونزلوا عنها فملكها وكان أيضاً صلاح الدين لما سار إلى عسقلان جهز عسكرياً لحصار قلعة كوكب يحرسون السابلة في طريقها من الإفرنج الذين فيها وهي مطلة على الأردن وهي للإستبارية وجهاز عسكرياً لحصار صفد وهي للفداوية مطلة على طبرية ولحا إلى هذين الحصنين من سلم من وقعة حطين وامتنعوا بهما فلما جهز العساكر إليهما صلحت الطريق وارتفع منها الفساد فلما كان آخر ليلة من شوال غفل الموكلون بالحصار على قلعة كوكب وكانت ليلة شاتية باردة فكبسهم الإفرنج ونهبوا ما عندهم من طعام وسلاح وعادوا إلى قلعتهم وبلغ ذلك صلاح الدين وهو يعترم على الرحيل عن صور فشحن من عزيمته ثم جهز عسكرياً على صور مع الأمير قايماز النجمي وإرتحل إلى عكا فلما إنصرف فصل الشتاء سار من عكا في محرم سنة أربع وثمانين إلى قلعة كوكب فحاصرها وامتنعت عليه ولم يكن بقي في البلاد الساحلية من عكا إلى الجنوب غيرها وغير صفد والكرك فلما إمتنعت عليه جهز العسكر لحصارها مع قايماز النجمي ورحل عنها في ربيع الأول إلى دمشق ووافته رسل أرسلان^(١) وفرح الناس بقدومه والله تعالى وليّ التوفيق .

(١) كذا بياض بالأصل . وفي الكامل ج ١٢ ص ٦ : وأتاه رسل الملك قليج أرسلان ونزل أرسلان وغيرها يهونه بالفتح والظفر ، وسار من كوكب إلى دمشق ففرح الناس بقدومه وكتب إلى البلاد جميعاً باجتماع العساكر بها . وأقام بها إلى أن سار إلى الساحل بالبلاد الشامية .

غزو صلاح الدين إلى سواحل الشام وما فتحه من حصونها وصلحه آخرها مع صاحب انطاكية

لما رجع صلاح الدين من فتح القدس وحاصر صور وصفد وكوكب عاد إلى دمشق ثم تجهز للغزو إلى سواحل الشام وأعمال انطاكية وسار عن دمشق في ربيع سنة أربع وثمانين فترّل على حمص واستدعى عساكر الجزيرة وملوك الأطراف فاجتمعوا إليه وسار إلى حصن الأكراد فضرب عسكره هنالك ودخل متجرباً إلى القلاع بنواحي انطاكية فنقص طرفها وأغار على ولايتها إلى طرابلس حتى شفي نفسه من إرتيادها وعاد إلى معسكره فجرت الأرض بالغنائم فأقام عند حصن الأكراد ووفد عليه هنالك منصور بن نبيل صاحب جبلة وكان من يوم استيلاء الإفرنج على جبلة عند صاحب انطاكية حاكماً على جميع المسلمين فيها ومتولياً أمورهم فلما هبت ريح الإسلام بصلاح الدين وظهوره نزل إليه ليكشف الغمّاء ودله على عورة جبلة واللاذقية واستحثه لها فسار أول جمادى ونزل بطرسوس وقد اعتصم الإفرنج منها ببرجين حصينين وأخلوا المدينة فخرّبوها واستباحوها وكان أحد الحصنين للفداوية وفيه مقدّمهم الذي أسره صلاح الدين يوم المصاف وأطلقه عند فتح القدس واستأنم إليه أهل البرج الآخر ونزلوا له عنه فخرّبه صلاح الدين وألقى حجّارته في البحر وامتنع عليه برج الفداوية فسار إلى المرقب وهو للإستبارية ولا يرّام لعلوه وإرتفاعه وامتناعه والطريق في الجبل إلى جبلة عليه فهو عن يمين الطريق والبحر عن يساره في مسلك ضيق إنما يمرّ به الواحد فالواحد .

* (فتح جبلة) *

وكان وصل أسطول من صاحب صقلية مدداً للإفرنج في تلك السواحل في ستين قطعة فأرسوا بطرابلس فلما سمعوا بصلاح الدين أقبلوا إلى المغرب ووقفوا قبالتها ينضحون بسهامهم المارة بتلك الطريق فضرب صلاح الدين على ذلك الطريق سوراً من جهة البحر من المتارس ووقف وراءه الرماة حتى سلك العسكر المضيق إلى جبلة ووصلها آخر جمادى وسبق إليها القاضي وملكها صلاح الدين لحينه ورفع أعلام الإسلام على سورها ونفى حاميتها إلى القلعة فاستترهم القاضي على الأمان واستمرّ منهم جماعة في رهن القاضي والمسلمين عند صاحب انطاكية حتى أطلقهم وجاء رؤساء أهل البلد إلى طاعة صلاح الدين وهو يجبل ما

بين جبلة وحماة وكان الطريق عليه بينهما صعباً ففتحته صلاح الدين من ذلك الوقت واستتاب بجبلة سابق الدين عثمان ابن الداية صاحب شيرز وسار عنها للاذقية والله تعالى أعلم بغيبه وأحكم .

* (فتح اللاذقية) *

ولما فرغ صلاح الدين من أمر جبلة سار إلى اللاذقية فوصلها آخر جمادي الاولى وامتنع حاميتها بحصنين لها في أعلى الجبل وملك المسلمون المدينة وحصروا الإفرنج في القلعتين وحفروا تحت الأسوار وأيقن الإفرنج بالهلكة ودخل إليهم قاضي جبلة ثالث نزولها فاستأمنوا معه وأمنهم صلاح الدين ورفعوا أعلام الإسلام في الحصنين وخرب المسلمون المدينة وكانت مبانيها في غاية الوثاقة والضخامة وأقطعها لثقي الدين ابن أخيه فأعادها إلى أحسن ما كانت من العمارة والتحصين وكان عظيم الهمة في ذلك وكان أسطول صقلية في مرسى اللاذقية وسخطوا ما فعله أهلها ومنعواهم من الخروج منها وجاء مقدمهم إلى صلاح الدين فرغب منه إقامتهم على الجزية وعرض في كلامه بالتهديد بامداد الإفرنج من وراء البحر فأجابه صلاح الدين باستهانة أمر الإفرنج وهذده فانصرف إلى أصحابه ورحل صلاح الدين إلى صهيون والله تعالى أعلم .

* (فتح صهيون) *

ولما فرغ صلاح الدين من فتح اللاذقية سار إلى قلعة صهيون وهي على جبل صعبة المرتقى بعيدة المهوى يحيط بجبلها واد عميق ضيق ويتصل بالجبل من جهة الشمال وعليها خمسة أسوار وخندق عميق فترل صلاح الدين على الجبل لضيقها وقدم ولده الظاهر صاحب حلب فترل مضيق الوادي ونصب المنجنيقات هنالك فرمى بها على الحصن ونضحهم بالسهم من سائر أصناف القسي وصابروا قليلاً ثم زحف المسلمون ثاني جمادى الأخرى وسلكوا بين الصخور حتى ملكوا أحد أسوارها وقتلواهم منه فلكوا عليهم سورين آخرين وغنموا جميع ما كان في البلد من الدواب والبقر والدخائر ولحأ الحامية إلى القلعة وقتلهم المسلمون عليها فنادوا بالأمان فشرط عليهم مثل قطيعة القدس وملك المسلمون الحصن وولي عليه ناصر الدين بن كورس صاحب قلعة بوفلس فحصنه وافترق المسلمون في تلك النواحي

فوجدوا الإفرنج قد فروا من حصونها فلكوها جميعاً وهيئوا إليها طريقاً على عقبة صعبة لعفاء طريقها السهلة بالإفرنج والإسماعيلية والله تعالى أعلم .

* (فتح بكاس والشجر) *

ثم سار صلاح الدين عن صهيون ثالث جمادى إلى قلعة بكاس وقد فارقها الإفرنج وتحصنوا بقلعة شجر فلك بكاس وحاصر قلعة الشجر والطريق منها مسلك إلى اللاذقية وجبله وصهيون فقاتلهم ونصب المنجنيقات عليها فقصرت حجارتهما عن الوصول وكانوا تمنعوا وبعثوا خلال ذلك إلى صاحب انطاكية وكان الحصن من إيالته فاستمدّوه وإلا أعطوا الحصن بما قذف الله في قلوبهم من الرعب فلما قعد عن نصرهم فاستأمنوا إلى صلاح الدين وسألوه إنظار ثلاث للفتح فأنظرهم وأخذ رهنهم ثم سلموه بعد الثلاث في منتصف جمادى من السنة والله تعالى أعلم .

* (فتح سرمينية) *

كان صلاح الدين عند إشتغاله بفتح هذه الحصون بعث ابنه الظاهر غازياً صاحب حلب إلى سرمينية وحاصرها واستترل الإفرنج الذين بها على قطيعة أعطوها وهدم الحصن وكان فتحه آخر جمادى الأخيرة فانطلق جماعة من الأسارى كانوا بهذا الحصن وكانت هذه الفتوحات كلها في مقدار شهر وجميعها من أعمال انطاكية والله تعالى أعلم .

* (فتح برزية) *

ولما فرغ صلاح الدين من قلعة الشجر سار إلى قلعة برزية قبالة افامية وتقاسمها في أعمالها وبينها بحيرة من ماء العاصي والعيون التي تجري وكانوا أشدّ شيء في الأذى للمسلمين فنازلها في الرابع والعشرين من جمادى الأخيرة وهي متعذرة المصعد من الشمال والجنوب وصعبته من الشرق وبجهة الغرب مسلك إليها فترل هنالك صلاح الدين ونصب المجانيق فلم تصل حجارتهما لبعد القلعة وعلّوها فرجع إلى المراحفة وقسم عساكره على أمرائها وجعل القتال بينهم نوباً فقاتلهم أولاً عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار وأصعدهم إلى قلعتهم حتى صعب المرتقى على المسلمين وبلغوا مواقع سهامهم وحجارتهم من الحصن وكانوا

يدخرجون الحجارة على المقاتلة فلا يقوم لها شيء فلما تعب أهل هذه النوبة عادوا وصعد خاصة صلاح الدين فقاتلوا قتالاً شديداً وصلاح الدين وتقي الدين ابن أخيه يحرضانهم حتى أعيوا وهو بالرجوع فصاح فيهم صلاح الدين وفي أهل النوبة الثانية فتلاحقوا بهم وجاء أهل نوبة عماد الدين على أثرهم وحمي الوطيس وردّوا الإفرنج على أعقابهم إلى حصنهم فدخلوا ودخل المسلمون معهم وكان بقية المسلمين في الخيام شرقي الحصن وقد أهمله الإفرنج فعمد أهل الخيام من ملك الناحية واجتمعوا مع المسلمين في أعقاب الإفرنج عند الحصن فلكوه عنوة وجاء الإفرنج إلى قبة الحصن ومعهم جماعة من أسارى المسلمين في القيود فلما سمعوا تكبير إخوانهم خارج القبة كبروا فدهش الإفرنج وظنوا أن المسلمين خالطوهم فألقوا باليد وأسروهم المسلمون واستباحوهم وأحرقوا البلد وأسروا صاحبها وأهله وولده وافترقوا في أسراهم فجمعهم صلاح الدين حتى إذا قارب انطاكية بعثهم إليها لأن زوجة صاحب انطاكية كانت ترسل صلاح الدين بالأخبار وتهاديه فرعي لها ذلك والله تعالى ولي التوفيق .

* (فتح دربساك) *

ولما فرغ صلاح الدين من حصن برزية دخل من الغد إلى الجسر الحديد على نهر العاصي قرب انطاكية فأقام عليه فلحق به فخلف العسكر ثم سار إلى قلعة دربساك ونزل عليها في رجب من السنة وهي معاقل الفداوية التي يلجئون إلى الإعتصام بها ونصب عليها المجانيق حتى هدم من سورها ثم هجمها بالمزاحفة وكشف المقاتلة عن سورها ونقبوا منها برجاً من أسفله فسقط ثم باكروا الزحف من الغد وصابروهم الإفرنج ينتظرون المدد من صاحبهم سمند صاحب انطاكية فلما تبينوا عجزه استأمنوا صلاح الدين فأمنهم في أنفسهم فقط وخرجوا إلى انطاكية وملك الحصن في عشرين من رجب من السنة والله تعالى أعلم .

* (فتح بغراس) *

ثم سار عماد الدين عن دربساك إلى قلعة بغراس على تعددها وقربها من انطاكية فيحتاج مع قتالها إلى ردة من العسكر بينه وبين انطاكية فحاصرها ونصب عليها المجانيق فقصرت عنها لعلوها وشق عليهم حمل الماء إلى أعلى الجبل وبينهم في ذلك إذ جاء رسوهم يستأمن لهم فأمنهم في أنفسهم فقط كما أمن أهل دربساك وتسلم القلعة بما فيها وخرّبها فجددها ابن اليون صاحب الأرمن وحصنها وصارت في أيالته والله أعلم .

* (صلح انطاكية) *

ولما فتح حصن بغراس خاف سمند صاحب انطاكية وأرسل إلى صلاح الدين في الصلح على أن يطلق أسرى المسلمين الذين عنده وتحامل عليه أصحابه في ذلك ليريح الناس ويستعدوا فأجابه صلاح الدين إلى ذلك ثمانية أشهر من يوم عقد الهدنة وبعث إليه من استخلفه وأطلق الأسرى وكان سمند في هذا الوقت عظيم الإفرنج متسع المملكة وطرابلس وأعمالها قد صارت إليه بعد القمص واستخلف فيها ابنه الأكبر وعاد صلاح الدين إلى حلب فدخلها ثالث شعبان من السنة وانطلق ملوك الأطراف بالجزيرة وغيرها إلى بلادهم ثم رحل إلى دمشق وكان معه أبو فليته قاسم بن مهنا أمير المدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم قد عسكر معه وشهد فتوجه وكان يتيمن بصحبته ويتبرك برؤيته ويحتد في تأنيسه وتكرمه ويرجع إلى مشورته ودخل دمشق أول رمضان من السنة وأشير عليه بتفريق العساكر فأبى وقال هذه الحصون كوكب وصفد والكرك في وسط بلاد الإسلام فلا بد من البدار إلى فتحها والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (فتح الكرك) *

كان صلاح الدين قد جهز العساكر على الكرك مع أخيه العادل حتى سار إلى درساك وبغراس وأبعد في تلك الناحية فشدّ العادل حصارها حتى جهدوا وفنيت أقواتهم فراسلوه في الأمان فأجابهم وسلموا المعلقة فللكها وملك الحصون التي حوالها وأعظمها الشوك وأمنت تلك الناحية واتصلت إيالة المسلمين من مصر إلى القدس والله تعالى أعلم .

* (فتح صفد) *

لما عاد صلاح الدين إلى دمشق أقام بها نصف رمضان ثم تجهز لحصار صفد فترل عليها ونصب المجانيق وكانت أقواتهم قد تسلط عليها الحصار الأول فخافوا من نفادها فاستأمنوا فأمهم وملكها ولحقوا بمدينة صور والله تعالى أعلم .

* (فتح كوكب) *

لما كان صلاح الدين على صفد خافه الإفرنج على حصن كوكب فبعثوا إليه نجدة وكان قايماز النجمي يحاصره فشعر بتلك النجدة وركب إليهم وهم محتفون ببعض الشعاب فكبسهم ولم يفلت منهم أحد وكان فيهم مقدّمان من الإستبارية فحملهما إلى صلاح الدين على صفد فاحضرهما للقتل على عادته في الفداوية والإستبارية فاستعطفه واحد منها فعفا عنها وحبسها ولما فتح صفد سار إلى كوكب وحاصره وأرسل إليهم بالأمان فاصروا على الإمتناع عليه فنصب عليهم المجانيق وتابع المزاخفة ثم عاقه المطر عن القتال وطال مقامه فلما إنقضى المطر عاود المزاخفة وضايقهم بالسور ونقب منه برجاً فسقط فارتاعوا واستأنموا وملك الحصن متصفاً ذي القعدة من السنة ولحق الإفرنج بصور واجتمع الزعماء وتابعوا الرسل إلى إخوانهم وراء البحر في حوزة يستصرخونهم فتابعوا إليهم المدد واتصل المسلمون في الساحل من أيلة إلى بيروت لا يفصل بينهم إلا مدينة صور ولما فرغ صلاح الدين من صفد وكوكب سار إلى القدس ففرض فيه نسك الأضحى ثم سار إلى عكا فأقام بها إلى إنسلاخ الشتاء والله تعالى أعلم .

* (فتح الشقيف) *

ثم سار صلاح الدين في ربيع سنة خمس وثمانين إلى محاصرة الشقيف وكان لأرناط صاحب صيدا وهو من أعظم الناس مكرراً ودهاء فلما نزل صلاح الدين بمرج العيون جاء إليه وأظهر له المحبة والميل وطلب المهلة إلى جمادى الأخيرة ليتخلص أهله وولده من المركيش بصور ويسلم له حصن الشقيف فأقام صلاح الدين هنالك لوعده وإنقضت مدّة الهدنة بينه وبين سمند صاحب إنطاكية فبعث تقي الدين ابن أخيه مسلحة في العساكر إلى البلاد التي قرب إنطاكية ثم بلغه إجتماع الإفرنج بصور عند المركيش وإن الإمداد وافتهم من أهل ملتهم وراء البحر وإن ملك الإفرنج بالشام الذي أطلقه صلاح الدين بعد فتح القدس قد إتفق مع المركيش ووصل يده به واجتمعوا في أم لا تحصي وخشى أن يتقدّم إليهم ويترك الشقيف وراءه فتقطع عنه الميرة فأقام بمكانه فلما إنقضى الأجل تقدّم إلى الشقيف واستدعى أرناط فجاء واعتذر بأن المركيش لم يمكنه من أهله وولده وطلب الإمهال مرّة أخرى فتبين صلاح الدين مكره فحبسه وأمره أن يبعث إلى أهل الشقيف بالتسليم فلم يجب فبعث به إلى دمشق فحبس

بها وتقدم إلى الشقيف فحاصره بعد أن أقام مسلحة قبالة الإفرنج الذين بظاهر صور فجاءه الخبر بأنهم فارقوا صور لحصار صيدا فلقيتهم المسلحة وقتلوهم فغلبوهم وأسروا سبعة من فرسانهم وقتلوا آخرين وقتل مولى لصلاح الدين من أشجع الناس وردّوهم على أعقابهم إلى معسكرهم بظاهر صور وجاء صلاح الدين بعد إنقضاء الوقعة فأقام في المسلحة رجاء أن يصادف أحداً من الإفرنج فينتقم منهم وركب في بعض الأيام ليشarf معسكر الإفرنج فظن عسكره أنه يريد القتال فنجعوا وأوغلوا إلى العدو وبعث صلاح الدين الأمراء في أثرهم يردونهم فلم يرجعوا ورآهم الإفرنج فظنوا أنّ وراءهم كميناً فأرسلوا من يكشف خبرهم فوجدوهم منقطعين فحملوا عليهم وأناموهم جميعاً وذلك تاسع جمادي الأولى من السنة ثم انحدر إليهم صلاح الدين في عساكره من الجبل فهزمهم إلى الجسر وغرق منهم في البحر نحو من مائة دارع سوى من قتل وعزم السلطان على حصارهم واجتمع إليه الناس ثم عاد الإفرنج إلى صور وعاد السلطان إلى بليس ليشarf عكا ويرجع إلى مخيمه ولما وصل إلى المعسكر جاء الخبر بأن الإفرنج يتعدّون عن صدور مذهبهم لحاجاتهم فكتب إلى المعسكر بعكا ووعدهم ثامن جمادى الأخيرة يوافونه من ناحيتهم للإغارة عليهم وأكمن لهم في الأودية والشعاب من سائر النواحي واختار جماعة من فرسان عسكره وتقدم إليهم بأن يتعرّضوا للإفرنج ثم يستطردوا لهم إلى مواضع الكميناء ففعلوا وناشبو الإفرنج وانفوا من الاستطراد وطال على الكميناء الانتظار فخرجوا خشية على أصحابهم فوافوهم في شدة الحرب فانهزم المسلمون ووقع التمهيص وكان أربعة في الكمين من أمراء طيء فعدلوا عن طريق أصحابهم وسلكوا الوادي وتبعهم بعض العسكر من موالى صلاح الدين ورآهم الإفرنج في الوادي فعلموا أنهم أضلوا الطريق فاتبعوهم وقتلوهم والله تعالى أعلم .

* (محاصرة الإفرنج أهل صور لعكا والحروب عليها) *

كانت صور كما قدّمنا ضبطها المركيش من الإفرنج الواصل من وراء البحر وقام بها وكان كلما فتح صلاح الدين مدينة أو حصناً على الأمان لحق أهلها بصور فاجتمع بها عدد عظيم من الإفرنج وأموال جمّة ولما فتح القدس لبس كثير من رهبانهم وقسيسهم وزعمائهم السواد حزناً على البيت المقدس وارتحل بطرك من القدس وهم معه يستصرخون أهل الملة النصرانية من وراء البحر للأخذ بثأر القدس فخرجوا للجهاد من كل بلد حتى النساء اللواتي يجدن القوة على الحرب ومن لم يستطع الخروج استأجر مكانه وبذلوا الأموال لهم وجاء الإفرنج من كل

مكان ونزلوا بصور ومدد الرجال والأقوات والأسلحة متدركة لهم في كل وقت واتفقوا على الرحيل إلى عكا ومحاصرتها فخرجوا ثامن رجب من ستة خمس وثمانين وسلكوا على طريق الساحل وأساطيلهم تحاذيهم في البحر ومسلحة المسلمين تتخطفهم من جوانبهم حتى وصلوا إلى عكا منتصف رجب وكان رأي صلاح الدين أن يحاذيهم في مسيرهم لينال منهم فخالفه أصحابه واعتذروا بضيق الطريق ووعده فسلك طريقاً آخر ووافاهم على عكا وقد نزلوا عليها وأحاطوا بها من البحر إلى البحر فليس للمسلمين إليها طريق ونزل صلاح الدين قبائلهم وبعث إلى الأطراف يستنفر الناس فجاءت عساکر الموصل وديار بكر وسنجار وسائر بلاد الجزيرة وجاء تقي الدين ابن أخيه من حماة ومظفر الدين كوكبري من حران والرها وكان أمداد المسلمين تصل في البر وإمداد الإفرنج في البحر وهم محصورون في صور محاصرين وكانت بينهم أيام مذكورة ووقائع مشهورة وأقام السلطان بقية رجب لم يقاتلهم فلما استهل شعبان قاتلهم يوماً بكامله وبات الناس على تعبية ثم صبحهم بالقتال ونزل الصبر وحمل عليهم تقي الدين ابن أخيه منتصف النهار من الميمنة حملة أزالته عن مواقفهم وملك مكانهم واتصل بالبلد فدخلها المسلمون وشحنها صلاح الدين بالمدد من كل شيء وبعث إليهم الأمير حسام الدين أبا الهيضاء السمين من أكابر امرائه من الأكراد الخطية من أربل ثم نهض المسلمون من الغد فوجدوا الإفرنج قد أداروا عليهم خندقاً يمتنعون به ومنعواهم القتال يومهم وأقاموا كذلك ومع السلطان أحياء من العرب فكمنوا في معاطف النهر من ناحية الإفرنج على الساحل للخطف منهم وكبسوهم منتصف شعبان وقتلوهم وجأوا برؤسهم إلى صلاح الدين فأحسن إليهم والله تعالى أعلم .

* (الواقعة على عكا) *

كان صلاح الدين قد بعث عن عسكر مصر وبلغ الخبر الإفرنج فأرادوا معاجلته قبل وصولهم وكانت عساكره متفرقة في المسالح على الجهات فسلحة تقابل انطاكية وسمند من أعمال حلب ومسلحة بجمص تحفظها من أهل طرابلس ومسلحة تقابل صور ومسلحة بدمياط والإسكندرية واعتزم الإفرنج على مهاجمتهم بالقتال ولم يشعروا بهم وصحبوهم لعشرين من شعبان وركب صلاح الدين وعبي عساكره وقصدوا الميمنة وعليها تقي الدين ابن أخيه فترجح بعض الشيء وأمدده صلاح الدين بالرجال من عنده فحطوا على صلاح الدين في القلب فتضعضع واستشهد جماعة منهم الأمير علي بن مردان والظاهر أخو الفقيه عيسى والي

القدس والحاجب خليل الهكاري وغيرهم وقصدوا خيمة صلاح الدين فقتلوا من وزرائه ونهبوا واستشهد جمال الدين بن راحة من العلماء ووضعوا السيف في المسلمين وانهمز الذين كانوا حوالي الخيمة ولم تسقط وانقطع الذين ولوها من الإفرنج عن أصحابهم وراءهم وحملت ميسرة المسلمين عليهم فاحجمتهم وراء الخنادق وعادوا إلى خيمة صلاح الدين فقتلوا كل من وجدوا عندها من الإفرنج وصلاح الدين قد عاد من إتباع أصحابه يردهم للقتال وقد اجتمعوا عليهم فلم يفلت منهم أحد وأسروا مقدّم الفداوية فأمر بقتله وكان أطلقه مرة أخرى وبلغت عدّة القتلى عشرة آلاف فألقوا في النهر واما المهزومون من المسلمين فهم من رجع من طبرية ومنهم من جاوز الأردنّ ورجع ومنهم من بلغ دمشق واتصل قتال المسلمين للإفرنج وكادوا يلجون عليهم معسكرهم ثم جاءهم الصريح بنهب أموالهم وكان المهزومون قد حملوا أنقاهم فامتدت إليها أيدي الأوباش ونهبوها فكان ذلك مما شغل المسلمين عن استئصال الإفرنج وأقاموا في ذلك يوماً وليلة يستردون النهب من أيدي المسلمين ونفس بذلك عن الإفرنج بعض الشيء والله تعالى أعلم .

* (رحيل صلاح الدين عن الإفرنج بعكا) *

ولما إنقضت هذه الواقعة وامتألت الأرض من جيف الإفرنج تغير الهواء وأنتن وحدث بصلاح الدين قولنج كان يعاوده فأشار عليه أصحابه بالانتقال عسى الإفرنج يتقلون وان أقاموا عدنا إليهم وحمله الأطباء على ذلك فرحل رابع رمضان من السنة وتقدّم إلى أهل عكا بجيادتها وأعلمهم سبب رحيله فلما إرتحل اشتدّ الإفرنج في حصار عكا وأحاطوا بها دائرة مع اسطوطهم في البحر وحفروا خندقاً على معسكرهم وأداروا عليهم سوراً من ترابه حصناً من صلاح الدين أن يعود إليهم ومسلحة المسلمين قبالتهم يناوشوهم القتال فلا يقاتلونهم وبلغ ذلك صلاح الدين وأشار أصحابه بإرسال العساكر لينع من التحصين فامتنع من ذلك لمرضه فتمّ للإفرنج ما أرادوه وأهل عكا يخرجون إليهم في كل يوم ويقاتلونهم والله تعالى أعلم .

* (معاودة صلاح الدين حصار الإفرنج على عكا) *

ثم وصل العادل أبو بكر بن أيوب منتصف شوال في عساكر مصر ومعه الجمل الغفير من

المقاتلة والأصناف الكثيرة من آلات الحصار ووصل على أثره أسطول مصر مع الأمير لؤلؤ وكبس مركباً فغمر ما فيه ودخل به إلى عكا وبرىء صلاح الدين من مرضه وأقام بمكانه بالجزيرة إلى إنسلاخ الشتاء وسمع الإفرنج أن صلاح الدين سار إليهم واستقلوا مسلحة المسلمين عندهم فزحفوا إليهم في صفر سنة ست وثمانين واستمات المسلمون وقتل بين الفريقين خلق وبلغ الخبر بذلك صلاح الدين وجاءته العساكر من دمشق وحمص وحماة فتقدم من الجزيرة إلى تل كيسان وتابع القتال على الإفرنج يشغلهم عن المسلمين فكانوا يقاتلون الفريقين وكان الإفرنج مدة مقامهم على عكا قد صنعوا ثلاثة أبراج من الخشب إرتفاع كل برج ستون ذراعاً وفيه خمس طبقات وغشوها بالجلود وطلوها بالأدوية التي لا تعلق النار بها وشحنوها بالمقاتلة ودنوها إلى البلد من ثلاث جهات في العشرين من ربيع الأول سنة ست وثمانين وأشرفوا بها على السور فكشف من عليه المقاتلة وشرع الإفرنج في طم الخندق وبعث أهل عكا ساجحاً في البحر يصف لهم حالهم فركب في عساكره واشتد في قتال الإفرنج فخف على أهل البلد ما كانوا فيه وأقاموا كذلك ثلاثة أيام يقاتلون الجهتين وعجزوا عن دفع الأبراج ورموها بالنفط فلم يؤثر فيها وكان عندهم رجل من أهل دمشق يعاني أحوال النفط فأخذ عقاقير وصنعها وحضر عند قراقوش حاكم البلد وأعطاه دواء وقال أرم بهذا في المنجنيق المقابل لإحدى الأبراج فيحترق فحرد عليه ثم وافق ورمى به في قدر ثم رمى بعده بقدر أخرى مملوءة ناراً فاضطربت النار واحترق البرج بمن فيه ثم فعل بالثاني والثالث كذلك وفرح أهل البلد وتخلصوا من تلك الورطة فأمر صلاح الدين بالاحسان إلى ذلك الرجل فلم يقبل وقال إنما فعلته لله ولا أريد الجزاء الا منه ثم بعث صلاح الدين الى ملوك الأطراف ليستنفرهم فجاء عماد الدين زنكي بن مودود صاحب سنجار ثم علاء الدين بن طالب صاحب الموصل ثم عز الدين مسعود بن مودود وبعثه أبوه بالعساكر ثم زين الدين صاحب أربل وكان كل واحد منهم إذا وصل يتقدم بعسكر فيقاتلون الإفرنج ثم يضربون أبنيتهم وجاء الخبر بوصول الأسطول من مصر فجهز الإفرنج أسطولاً لقتاله وشغلهم صلاح الدين بالقتال ليتمكن الأسطول من دخول عكا فلم يشغلوا عنه وقاتلوا الفريقين براً وبحراً ودخل الأسطول إلى مرسى عكا سالماً والله تعالى أعلم بغيه .

* (وصول ملك الألمان إلى الشام ومهلكه) *

هؤلاء الألمان شعب من شعوب الإفرنج كثير العدد موصوف بالبأس والشدة وهم موطنون

بحجزيرة إنكلطيرة^(١) في الجهة الشمالية الغربية من البحر المحيط وهم حديثو عهد بالنصرانية ولما سار القسس والرهبان بخبر بيت المقدس واستنفر النصرانية لها قام ملكهم لها وقعد وجمع عساكره وسار للجهاد بزعمه وفسح النصرارى له الطريق وقصد القسطنطينية فعجز ملك الروم عن منعه بعد أن كان يعد بذلك نفسه وكتب بها إلى صلاح الدين لكنه منع عنهم الميرة فضاقت عليهم الأقوات وعبروا خليج القسطنطينية ومروا بمملكة قليج أرسلان وتبعهم التركمان يحفون بهم ويتخطفون منهم وكان الفصل شتاء والبلاد باردة فهلك أكثرهم من البرد والجوع ومروا بقونية وبها قطب الدين ملك شاه بن قليج أرسلان قد غلب عليه أولاده وافترقوا في النواحي فخرج ليصدهم فلم يطق ذلك ورجع فساروا في أثره إلى قونية وبعثوا إليه بهدية على أن يأذن لهم في الميرة فأذن لهم واسترهنوا عشرين من أمرائه وتكاثر عليهم اللصوص فقيدوا أولئك الامراء وحبسوهم وساروا إلى بلاد الأرمن وصاحبها كاقولي بن حطفاي بن اليون^(٢) فأمدهم بالأزواد والعلوفات وأظهر طاعتهم وسار إلى إنطاكية ودخل ملكهم ليغتسل في نهر هنالك ففرق وملك بعده ابنه ولما بلغوا إنطاكية اختلفوا فبعضهم مال إلى تمليك أخيه وبعضهم مال إلى العود فعادوا كلهم وسار ابن الملك فيمن ثبت معه يزدون على أربعين ألفاً وأصابهم الموتان وحسن إليهم صاحب إنطاكية المسير إلى الإفرنج على عكا فساروا على جيلة واللاذقية ومروا بجلب وتخطف أهلها منهم خلقاً وبلغوا طرابلس وقد أفناهم الموتان ولم يبق منهم إلا نحو ألف رجل فركبوا البحر إلى عكا ثم رأوا ما هم فيه من الوهن والخلاف فركبوا البحر إلى بلدهم وغرقت بهم المراكب ولم ينج منهم أحد وكان الملك قليج أرسلان يكتب صلاح الدين بأخبارهم ويعدده بمنعهم من العبور عليه فلما عبروا إعتذر بالعجز عنهم وافترق أولاده واستبدادهم عليه وأما صلاح الدين فإنه استشار أصحابه عند وصول خبرهم فأشار بعضهم إلى لقاءهم في طريقهم ومحاربتهم وأشار آخرون بالمقام لثلاث يأخذ الإفرنج عكا ومال صلاح الدين إلى هذا الرأي وبعث العساكر من جيلة واللاذقية وشيزر إلى حلب ليحفظوها من عاديتهم والله تعالى وليّ التوفيق .

* (واقعة المسلمين مع الإفرنج على عكا) *

ثم زحف الإفرنج على عكا في عشر من جمادى الأخيرة من سنة ست وثمانين وخرجوا من

(١) هي انكلترا .

(٢) وفي الكامل ج ١٢ ص ٤٩٠ : وصاحبها لافون بن إصطفانة بن ليون .

خنادقهم إلى عساكر صلاح الدين وقصد العادل أبو بكر بن أيوب في عساكر مصر فاقتلوا قتلاً شديداً حتى كشفهم الإفرنج عن الخيام وملكوها ثم كرّ عليهم المصريون فكشفوهم عن خيامهم وخالفهم بعض عساكر مصر إلى الخنادق فقطعوا عنهم بعض مدد أصحابهم فأخذتهم السيوف وقتل منهم ما يزيد على عشرين ألفاً وكانت عساكر الموصل قريباً من عسكر مصر ومقدمهم علاء الدين خوارزم شاه بن عز الدين مسعود صاحب الموصل فعدمت ميرتهم وأمر صلاح الدين بمناجرتهم على هذا الحال وبلغه الخبر بموت الألمان وما أصاب قومه من الشتات فسر المسلمون بذلك وظنوا وهن الإفرنج به ثم بعد يومين لحقت بالإفرنج إمداد في البحر مع كند من الكنود يقال له الكندھري ابن أخي الأقرسيس^(١) لأبيه وابن أخي ملك انكلطرية لأمه ففرّق في الإفرنج أموالاً وجند لهم أجناداً ووعدهم بوصول الإمداد على أثره فاعتزموا على الخروج لقتال المسلمين فانتقل صلاح الدين من مكانه إلى الحزونة لثلاث بقين من جمادى الأخيرة لضيق المجال وبتن المكان من جيف القتلى ثم نصب الكندھري على عكا مجانيق وذبابات فأخذها أهل عكا وقتلوا عندها جموعاً من الإفرنج فلم يتمكن من ذلك ولا من الستائر عليها لأن أهل البلاد كانوا يصييونها فعمل تلا عالياً من التراب ونصب المجانيق من ورائه وضاعت الأحوال وقلت الميرة وأرسل صلاح الدين إلى الإسكندرية يبعث الأقوات في المراكب إلى عكا وبعث إلى بيروت بمثل ذلك فبعثوا مركباً ونصبوا فيها الصلبان يوهمون أنه للإفرنج حتى دخلوا إلى المرسى وجاءت بعد الميرة من الإسكندرية ثم جاءت ملكة من الإفرنج من وراء البحر في نحو ألف مقاتل للجهاد بزعمها فأخذت ببحر الإسكندرية هي وجميع ما معها ثم كتب البابا كبير الملّة النصرانية من كنيسة برومة يأمرهم بالصبر والجهاد ويخبرهم بوصول الإمداد وأنه راسل ملوك الإفرنج يحثهم على إمدادهم فأزدادوا بذلك قوة واعتزموا على مناجزة المسلمين وجمروا عسكراً لحصار عكا وإرتحلوا حادي عشر شوال من السنة فنقل صلاح الدين أثقال العسكر إلى^(٢) على ثلاثة فراسخ من عكا ولقي الإفرنج على التعبية وكان أولاده الأفضل علي والظاهر غازي والظاهر خضر في القلب وأخوه العادل أبو بكر في الميمنة بعساكر مصر ومن انضم إليهم وعماد الدين صاحب سنجار وقي الدين صاحب حماة ومعر الدين سنجر شاه

(١) وفي الكامل ج ١٢ ص ٥٢ : أتت الفرنج إمداد في البحر مع كند من الكود البحرية يقال له الكندھري ابن أخي ملك افرنسيس لأبيه وابن أخي ملك انكلتار لأمه .

(٢) بياض بالأصل وفي الكامل ج ١٢ ص ٥٢ : فلما رأى صلاح الدين ذلك نقل أثقال المسلمين إلى قيمون ، وهو على ثلاثة فراسخ من عكا .

صاحب جزيرة ابن عمر في الميسرة وصلاح الدين في خيمة صغيرة على تل مشرف نصب له من أجل موضعه فلما وصل الإفرنج وعانوا كثرة المسلمين ندموا على مفارقة خنادقهم وباتوا ليلتهم وعادوا من الغد إلى معسكرهم فاتبعوهم أهل المقدمة وتخطفوهم من كل ناحية وأحجروهم وراء خنادقهم ثم ناولوهم القتال في الثالث والعشرين من شوال بعد أن أكمناهم لهم عسكرياً فخرج لهم الإفرنج في نحو أربعمئة فارس واستطرد لهم المسلمون إلى أن وصلوا كمينهم فخرجوا عليهم فلم يفلت منهم أحد واشتد الغلاء على الإفرنج وبلغت الغرارة مائة دينار صوري مع ما كان يحمل إليهم من البلدان من بيروت على يد صاحبها أسامة ومن صيدا على يد نائبها سيف الدين علي ابن أحمد المشطوب ومن عسقلان وغيرها ثم اشتد الحال عليهم عند هيجان البحر وانقطاع المراكب في فصل الشتاء ثم هجم الشتاء وأرسي الإفرنج مراكبهم بصور خوفاً عليها على عادتهم في صور في فصل الشتاء ووجد الطريق إلى عكا في البحر فأرسل أهلها إلى صلاح الدين يشكون ما نزل بهم وكان بها الأمير حسام الدين أبو الهيجاء السمين فشكى من ضجره بطول المقام والحرب فأمر صلاح الدين بانفاذ نائب وعسكر إليهما بدلاً منهم وأمر أخاه العادل بمباشرة ذلك فانتقل إلى جانب البحر عند جبل حيفا وجمع المراكب والشواني وبعث العساكر إليهما شيئاً فشيئاً كلما دخلت طائفة خرج بدلاً فدخل عشرون أميراً بدلاً من ستين كانوا وأهلوا أهل الرجل وتعينت دواوين صاحب صلاح الدين وكانوا نصارى على الجند في إثباتهم وإطلاق نفقاتهم فبلغ الحامية بعكا وضعفت وعادت مراكب الإفرنج بعد انحسار الشتاء فانقطعت الأخبار عن عكا عنها وكان من الأمراء الذين دخلوا عكا سيف الدين علي بن أحمد المشطوب وعز الدين أرسلان مقدم الأسدية وابن جاوي وغيرهم وكان دخولهم عكا أول سنة سبع وثمانين والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (وفاة زين الدين صاحب إربل وولاية أخيه كوكبري) *

كان زين الدين يوسف بن زين الدين قد دخل في طاعة صلاح الدين وكانت له إربل كما مرّ لأبيه وحران والرها لأخيه مظفر الدين كوكبري وكان بعسكر مع صلاح الدين في غزواته وحضر عنده على عكا فأصابه المرض وتوفي في ثامن عشر رمضان سنة أربع وثمانين فقبض أخوه مظفر الدين كوكبري على بلد أمير من أمرائه وبعث إلى صلاح الدين يطلب إربل ويتزل عن حران والرها فأجاباه وأقطعاه إياهما وأضاف إليهما شهرزور وأعمالها وداربند العراقي

وهي قفجاق وكتب أهل إربل مجاهد الدين صاحب الموصل خوفاً من صلاح الدين مع أن مجاهد الدين كان عز الدين قد حبسه كما مرّ ثم أطلقه وولاه نائبه وجعل بعض غلمانه عيئاً عليه فكان يناقضه في كثير من الأحوال فقصد مجاهد الدين أن يفعل معه مثل ذلك في إربل فامتنع منها وولاهها مظفر الدين واستفحل أمره فيها ولما نزل مظفر الدين عن حران والرها ولاها صلاح الدين لابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه مضافة إلى ميفارقين بديار بكر وحماة وأعمالها بالشام وتقدّم له أن يقطع أعمالها للجند فيتقوى بهم على الإفرنج فسارت تقي الدين إليها وقرر أمورها ثم انتهى إلى ميفارقين وتجدّد له طمع فيما يحاورها من البلاد فقصد مدينة حال من ديار بكر وسار إليه سيف الدين بكتمر صاحب خلاط في عساكره وقاتله فهزمه تقي الدين ووطىء بلاده وكان بكتمر قد قبض على مجد الدين بن رستق وزير سلطان شاكرين وحبسه في قلعة هنالك فلما إنهمز كتب إلى والي القلعة بقتله فوافاه الكتاب وتقي الدين محاصر له فلما ملك القلعة أطلق ابن رستق وسار إلى خلاط وحاصرها فامتنعت عليه فعاد عنها إلى ملاذ كرد فضيق عليها حتى استأمنوا له وضرب لهم أجلا في تسليم البلد ثم مرض ومات قبل ذلك الأجل بيومين وحمله إبنه إلى ميفارقين فدفنه بها واستفحلت دولة بكتمر في خلاط والله تعالى أعلم .

* (وصول إمداد الإفرنج من الغرب إلى عكا) *

ثم تتابعت إمداد الإفرنج من وراء البحر لإخوانهم المحاصرين لعكا وأول من وصل منهم الملك ملك إفرنسة وهوذ ونصب فيهم وملكه ليس بالقوى هكذا قال ابن الأثير وعنى أنه كان مستفحلاً في ذلك العصر لأنه في الحقيقة ملك الإفرنج وهو في ذلك العصر أشدّ من كانوا قوّة واستفحالاً فوصل ثاني عشر ربيع الأول سنة أربع وثمانين في ستة مراكب عظيمة مشحونة بالمقاتلة والسلاح فقوي الإفرنج على عكا بمكانه وولي حرب المسلمين فيها وكان صلاح الدين على معمر عمر قريباً من معسكر الإفرنج فكان يصابجهم كل يوم عن مزاحفة البلد وتقدّم إلى أسامة في بيروت بتجهيز ما عنده من المراكب والشواني إلى مرسى عكا ليشغل الإفرنج أيضاً فبعثها ولقيت خمسة مراكب في البحر وكان ملك الإنكلطرية أقدمها وأقام على جزيرة قبرص طامعاً في ملكها فغنم أسطول المسلمين الخمسة مراكب بما فيها ونفذت كلمة صلاح الدين إلى سائر النواب بأعماله بمثل ذلك فجهزوا الشواني وملؤا بها مرسى عكا وواصل الإفرنج قتال البلد ونصبوا عليها المنجنيقات رابع جادي وتحول صلاح

الدين لمعسكره قريباً منهم ليشغلهم عن البلد فخفف قتالهم عن أهل البلد ثم فرغ ملك إنكلطيرة من جزيرة قبرص وملكها وعزل صاحبها وبلغ إلى عكا في خمس وعشرين مركباً مشحونة بالرجال والأموال ووصل منتصف رجب ولقي في طريقه مركباً مجهز من بيروت إلى عكا وفيه سبعمائة مقاتل فقاتله فلما يئس المسلمون الذين به من الخلاص نزل مقدمهم وهو يعقوب الحلبي غلام ابن شفتين^(١) فحرق المركب خوفاً من أن يظفر الإفرنج برجاله وذخائره ففرق ثم عمل الإفرنج ذبابات وكباشاً وزحفوا بها فأحرق المسلمون بعضها وأخذوا بعضها فرجع الإفرنج إلى نصب التلال من التراب يقاتلون من ورائها فامتنعت من نفوذ الحيلة فيها وضاق حال أهل عكا .

* (استيلاء الإفرنج على عكا) *

ولما جهد المسلمون بعكا الحصار خرج الأمير سيف الدين علي بن أحمد الهكاري المشطوب من أكبر أمرائها إلى ملك إفرنسة يستأمنه لأهل عكا فلم يجبه وضعفت نفوس أهل البلد لذلك ووهنوا ثم هرب من الأمراء عز الدين أرسل الأسدي وابن عز الدين جاوي وسنقر الأرجاني في جماعة منهم ولحقوا بالعساكر فازداد أهل عكا وهناً وبعث الإفرنج إلى صلاح الدين في تسليمها فأجاب على أن يؤمنوا أهل البلد ويطلق لهم من أسراهم بعدد أهل البلد ويعطيهم الصليب الذي أخذه من القدس فلم يرضوا بما فعل إلى المسلمين بعكا أن يخرجوا يجمعهم ويتركوا البلد ويسيروا مع البحر ويحملوا على العدو حملة مستميتين ويحيى المسلمون من وراء العدو فغساهم يخلصون بذلك فلما أصبحوا زحف الإفرنج إلى البلد ورفع المسلمون أعلامهم وأرسل المشطوب من البلد إلى الإفرنج فصالحهم على الأمان على أن يعطيهم مائتي ألف دينار ويطلق لهم خمسمائة أسير ويعيد لهم الصليب ويعطي للمركيش صاحب صور أربعة عشر ألف دينار فأجابوا إلى ذلك وضرَبوا المدة للمال والأسرى شهرين وسلموا لهم البلد فلما ملكوها غدروا بهم وحبسوهم رهناً بزعمهم في المال والأسرى والصليب ولم يكن لصلاح الدين ذخيرة من المال لكثرة إنفاقه في المصالح فشرع في جمع المال حتى اجتمع مائة ألف دينار وبعث نائباً يستحلفهم على أن يضمن الفداوية من الخلف والضمان خوفاً من غدر أصحابه وقال ملوكهم إذا سلمتم المال والأسرى والصليب تعطونا رهناً في بقية المال ونطلق أصحابكم وطلب صلاح الدين أن يضمن الفداوية الرهن ويحلفوا فامتنعوا أيضاً وقالوا

(١) هو يعقوب الحلبي مقدم الجندارية ، يعرف بغلام ابن شفتين .

ترسلون المائة ألف دينار والأسرى والصليب فنتطلق من نراه ونبقى الباقي إلى مجيء بقية المال فتبين المسلمون غدرهم وأنهم يطلقون من لا يعاباً به ويمسكون الأمراء والأعيان حتى يفادوهم فلم يحجبهم صلاح الدين إلى شيء ولما كان آخر رجب ركب الإفرنج إلى ظاهر البلد في احتفال وركب المسلمون فشدوا عليهم وكشفوهم عن مواقفهم فإذا المسلمون الذين كانوا عندهم قتلى بين الصنفين قد استلحموا ضعفاءهم وتمسكوا بالأعيان للمفازة فسقط في يد صلاح الدين وتمسك بالمال الذي جمعه لغيرها من المصالح والله تعالى أعلم .

* (تحريب صلاح الدين عسقلان) *

ولما استولى الإفرنج على عكا استوحش المركيش صاحب صور من ملك إنكلطرية وأحس منه بالغدر فلحق ببلده صور ثم سار الإفرنج مستهل شعبان لقصد عسقلان وساروا مع ساحل البحر لا يفارقونه ونادى صلاح الدين باتباعهم مع ابنه الأفضل وسيف الدين أبي زكوش وعز الدين خرديك فاتبعوهم يقاتلونهم ويتخطفونهم من كل ناحية ففتكوا فيهم بالقتل والأسروبعث الأفضل إلى أبيه يستمدّه فلم يجد العساكر مستعدة وسار ملك إنكلطرية في ساقية الإفرنج فحملهم وانتهاوا إلى يافا فأقاموا بها والمسلمون قبالتهم مقيمون ولحق بهم من عكا من احتاجوا إليه ثم ساروا إلى قيسارية والمسلمون يتبعونهم ويقتلون من ظفروا به منهم وزاحموهم عند قيسارية فنالوا منهم وباتوا بها ماثورين واختطف المسلمون منهم بالليل فقتلوا وأسروا وساروا من الغد إلى أرسوف وسبقهم المسلمون إليها لضيق الطريق فحملوا عليهم عندها حتى اضطروهم إلى البحر فحينئذ استمات الإفرنج وحملوا على المسلمين فهزموهم وأثنخوا في تابعهم وألحقوهم بالقلب وفيه صلاح الدين وتستر المسلمون المنهزمون بخمر الشعراء فرجع الإفرنج عنهم وإنفرج ما كانوا فيه من الضيق المذكور وساروا إلى يافا فوجدوها خالية وملكوها وكان صلاح الدين قد سار من مكان الهزيمة إلى الرملة وجمع محلفه وأثقاله واعتزم على مسابقة الإفرنج إلى عسقلان فتمعه أصحابه وقالوا نخشى أن تراحمنا الإفرنج عليها ويغلبونا على حصارها كما غلبونا على حصار عكا وملكوها آخراً ويقووا بما فيها من الذخائر والأسلحة فندبهم إلى المسير إليها وحمايتها من الإفرنج فلجوا في الإمتناع من ذلك فسار وترك العساكر مع أخيه العادل قبالة الإفرنج ووصل إلى عسقلان وخربها تاسع عشر شعبان وألقيت حجارتها في البحر وبقي أثرها وهلك فيها من الأموال والذخائر ما لا يحصى فلما بلغ الإفرنج ذلك أقاموا بيافاً وبعث المركيش إلى ملك إنكلطرية يعذله حيث لم يناجز

صلاح الدين على عسقلان ويمنعه من تخريبها فما خربها حتى عجز عن حمايتها ثم رحل صلاح الدين من عسقلان ثاني شهر رمضان إلى الرملة فحرب حصنها ثم سار إلى القدس من شدة البرد والمطر لينظر في مصالح القدس وترتيبهم في الاستعداد للحصار وأذن للعساكر في العود إلى بلادهم للإراحة وعاد إلى مخيمه ثامن رمضان وأقام الإفرنج ييافا وشرعوا في عمارتها فرحل صلاح الدين إلى نظرون وخيم به منتصف رمضان وتردد الرسل بين ملك إنكلطرية وبين العادل على أن يزوجه ملك إنكلطرية أخته ويكون القدس وبلاد المسلمين بالساحل للعادل وعكا وبلاد الإفرنج بالساحل لها إلى مملكها وراء البحر بشرط رضا الفداوية وأجاب صلاح الدين إلى ذلك ومنع الأقسى والرهبان أخت ملك إنكلطرية من ذلك ونكروا عليها فلم يتم وإنما كان ملك إنكلطرية يخادع بذلك ثم إعتزم الإفرنج على القدس ورحلوا من يافا إلى الرملة ثالث ذي القعدة وسار صلاح الدين إلى القدس وقدم عليه عسكر مصر مع أبي الهيجاء السمين فقويت به نفوس المسلمين وسار الإفرنج من الرملة إلى النظرون ثالث ذي الحجة والمسلمون يحاذونهم وكانت بينهم وقعات أسروا في واحد منها نيفاً وخمسين من مقاتلة الإفرنج واهتم صلاح الدين بعمارة أسوار القدس ورم ما ثلم منها وضبط المكان الذي ملك القدس منه وسد فروجه وأمر بحفر الخندق خارج الفصيل وقسم ولاية هذه الأعمال بين ولده وأصحابه وقلت الحجارة للبنيان وكان صلاح الدين يركب إلى الأماكن البعيدة وينقلها على مركوبه فيقتدي به العسكر ثم إن الإفرنج ضاقت أحوالهم بالنظرون وقطع المسلمون عنهم الميرة من ساحلهم فلم يكن كما عهده بالرملة وسأل ملك إنكلطرية عن صورة القدس ليعلم كيفية ترتيب حصارها فصورته له ورأى الوادي محيطاً بها إلا قليلاً من جهة الشمال مع عمقه ووعرة مسالكه فقال هذه لا يمكن حصارها لانا إذا اجتمعنا عليها من جانب بقيت الجوانب الأخرى وأن افترقنا على جانب الوادي والجانب الآخر كبس المسلمون إحدى الطائفتين ولم تصل الأخرى لإنجادهم خوفاً من المسلمين على معسكرهم وإن تركوا من أصحابه حامية المعسكر فلمدى بعيد لا يصلون للإنجاد إلا بعد الوفاة هذا إلى ما يلحقنا من تعذر القوت بانقطاع الميرة فعلموا صدقه وارتحلوا عائدين إلى الرملة ثم ارتحلوا في محرم سنة ثمان وثمانين إلى عسقلان وشرعوا في عمارتها وسار ملك إنكلطرية إلى مسلح المسلمين فواقعهم وجرت بينهم حروب شديدة وصلاح الدين يبعث سراياه من القدس إلى الإفرنج للإغارة وقطع الميرة فيغنمون ويعودون والله تعالى أعلم .

* (مقتل المريكش وملك الكندھري مكانه) *

ثم إرتحل صلاح الدين إلى سنان مقدّم الإسماعيلية بالشام في قتل ملك إنكلطرية والمريكش وجعل له على ذلك عشرة آلاف دينار فلم يمكنهم قتل ملك إنكلطرية لما رأوه من المصلحة لئلا يتفرغ لهم صلاح الدين وبعث رجلين لقتل المريكش في زي الرهبان فاتصلا بصاحب صيدا وابن بارزان صاحب^(١) وأقاما عندهما بصور ستة أشهر مقبلين على رهبانيتها حتى أنس بهما المريكش ثم دعاه الأسقف بصور دعوى فوثبا عليه فجرحاه ولحا أحدهما إلى كنيسة واختفى فيها وحمل إليها المريكش لشدة جراحه فأجهز عليه ذلك الباطني وقتله ونسب ذلك إلى ملك إنكلطرية رجاء أن ينفرد بملك الإفرنج بالشام ولما قتل المريكش ملك المدينة زعيم من الإفرنج الواردين من وراء البحر يعرف بالكندھري ابن أخت ملك إفرنسة وابن أخي ملك إنكلطرية من أبيه وتزوج بالملكة في ليلته وبني بها وملك عكا وسائر البلاد بعد عود ملك إنكلطرية وعاش إلى سنة أربع وتسعين وسقط من سطح ولما رحل ملك إنكلطرية إلى بلاده أرسل هذا الكندھري إلى صلاح الدين واستأله للصالح والتمس منه الخلعة فبعث إليه بها ولبسها بعكا والله تعالى أعلم .

* (مسير الإفرنج إلى القدس) *

ولما قدم صلاح الدين القدس وكان قد بلغه مهلك تقي الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه وأن ابنه ناصر الدين استولى على أعماله بالجزيرة وهي حران والرها وسميساط وميفارقين وجان وبعث إلى صلاح الدين يسأل إبقاءها في يده مضافة إلى ما كان لأبيه من الأعمال بالشام فاستقصه صلاح الدين لصغره وطلب منه ابنه الأفضل أن يعطيا له ويتزل عن دمشق فأجابه إلى ذلك وأمره أن يسير إليها وكاتب ملوك البلاد الشرقية بالموصل وسنجار والجزيرة واربل وسار لإيجاده بالعساكر وعلم ناصر الدين أنه لا قبل له بذلك فبعث للملك العادل يستشفع له عند صلاح الدين على أن يبقى بيده ما كان لأبيه بالشام فقط ويتزل عن بلاد الجزيرة فأقطعها صلاح الدين أخاه الملك العادل وبعثه يتسلمها ويرد ابنه الأفضل فلحق

(١) بياض بالأصل وفي الكامل ج ١٢ ص ٧٩ : وأتصل بصاحب صيدا وابن بارزان صاحب رملة وكانا مع المريكش بصور .

بالأفضل بحلب وأعادته وعبر الفرات وتسلم البلاد من ناصر الدين بن تقي الدين وأنزل بها
عالمه واستصحبه وسائر العساكر الجزرية إلى صلاح الدين بالقدس ولما بلغ الإفرنج أن
صلاح الدين بعث ابنه الأفضل وأخاه العادل وفرق العساكر عليهما ولم يبق معه بالقدس
إلا بعض الخاصة فطمعوا فيه وأغاروا على عسكر مصر وهو قاصد إليه ومقدمهم سليمان أخو
العادل لأنه فآخذوه بنواحي الخليل وقتلوا وغنموا ونجا فلهم إلى جبل الخليل وساروا إلى
الداروم فخربوه ثم ساروا إلى القدس وانهوا إلى بيت قوجة على فرسخين من القدس تاسع
جمادي الأولى من سنة ثمان وثمانين واستعد صلاح الدين للحصار وفرق أبراج السور على
أمراته وسلط السرايا والبعوث عليهم فرأوا ما لا قبل لهم به فتأخروا عن منازلهم بيافا
وأصبحت بقولهم وميرتهم غنائم للمسلمين وبلغهم أن العساكر الشرقية التي مع العادل
والأفضل عادت إلى دمشق فعادوا إلى عكا وعزموا على محاصرة بيروت فأمر صلاح الدين
ابنه الأفضل أن يسير في العساكر الشرقية إليها فسار وانتهى إلى مرج العيون فلم يبرح الإفرنج
من عكا واجتمع عند صلاح الدين خلال ذلك العساكر من حلب وغيرها فسار إلى يافا
فحاصرها وملكها عنوة في عشرين رجب من السنة ثم حاصر القلعة بقية يومه وأشرفوا على
فتحها وكانوا ينتظرون المدد من عكا فشغلوا المسلمين بطلب الأمان إلى الغد فأجابوهم إليه
وجاءهم ملك انكلطرية ليلا وتبعه مدد عكا وبرز من الغد فلم يتقدم إليه أحد من المسلمين
ثم نزل بين السماطين وجلس للأكل وأمر صلاح الدين بالحملة عليهم فتقدم أخ المشطوب
وكان يلقب بالجناح وقال لصلاح الدين نحن نتقدم للقتال ومما ليكك للغنيمة فغضب صلاح
الدين وعاد عن الإفرنج إلى خيامه حتى جاء ابنه الأفضل وأخوه العادل فرحل إلى الرملة
ينتظر مال أمره مع الإفرنج وأقاموا بيافا والله تعالى أعلم .

الصلح بين صلاح الدين والإفرنج ومسير ملك إنكلطرية إلى بلاده

كان ملك انكلطرية إلى هذه المدة قد طال مغيبه عن بلاده ويش من بلاد الساحل لأن
المسلمين استولوا عليه فأرسل إلى صلاح الدين يسأله في الصلح وظن صلاح الدين أن ذلك
مكر فلم يحبه وطلب الحرب فألح ملك إنكلطرية في السؤال وظهر صدق ذلك منه فترك ما
كان فيه من عمارة عسقلان وغزة والداروم والرملة وبعث إلى الملك العادل بأن يتوسط في

ذلك فأشار على صلاح الدين بالإجابة هو وسائر الأمراء لما حدث عند العسكر من الضجر ونفاد النفقات وهلاك الدواب والأسلحة وما بلغهم أن ملك إنكلطرية عائد إلى بلاده وإن لم تقع الإجابة آخر فصل الشتاء إمتنع ركوب البحر فيقيم إلى قابل فلما وعي ذلك صلاح الدين وعلم صحته أجاب إلى الصلح وعقد الهدنة مع رسل الإفرنج في عشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين لمدة أربعة وأربعين شهراً فتحالفوا على ذلك ويؤمن صلاح الدين للإفرنج في زيارة القدس وإرتحل ملك إنكلطرية في البحر عائداً إلى بلده وأقام الكندھري صاحب صور بعد المركيش ملكاً على الإفرنج بسواحل الشام وتزوج الملكة التي كانت تملكهم قبله وقبل صلاح الدين كما مرّ وسار صلاح الدين إلى القدس فأصلح أسواره وأدخل كنيسة صهيون في البلد وكانت خارج السور واختط المدارس والربط والمارستان ووقف عليها الأوقاف واعتزم على الإحرام منه للحج فاعترضته القواطع دون ذلك فسار إلى دمشق خامس شوال واستخلف عليه الأمير جرديك من موالي نور الدين ومّر بكفور المسلمين نابلس وطبرية وصفد وبيروت ولما إنتهى إلى بيروت أتاه بها سمند صاحب انطاكية وطرابلس وأعمالها فالترم طاعة صلاح الدين وعاد ودخل صلاح الدين دمشق في الخامس والعشرين من شوال وسرّ الناس بقدمه ووهن العدو والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (وفاة صلاح الدين وحال ولده وأخيه من بعده) *

ولما وصل صلاح الدين إلى دمشق وقد خف من شواغل الإفرنج بوهنهم وما عقد من الهدنة فأراح قليلاً ثم اعترم على أحداث الغزو فاستشار ابنه الأفضل وأخاه العادل في مذهبه فأشار العادل بخلاط لأنه كان وعده أن يقطعه إياها إذا ملكها وأشار الأفضل ببلاد الروم إياالة بني قليج أرسلان لسهولة أمرها واعتراض الإفرنج فيها إذا قصدوا الشام لأنها طريقهم فقال لأخيه تذهب أنت لخلاط في بعض ولدي وبعض العسكر وأذهب أنا إلى بلاد الروم فإذا فرغت منها لحقت بكم فسرنا إلى أذربيجان ثم إلى بلاد العجم وأمره بالمسير إلى الكرك وهي من أقطاعه ليتجهز منها ويعود لشأنه فسار إلى الكرك ومرض صلاح الدين بعده ومات في صفر سنة تسع وثمانين وخمسمائة لخمس وعشرين سنة من ملكه مصر رحمه الله تعالى وكان معه بدمشق ابنه الأفضل نور الدين والعساكر عنده فملك دمشق والساحل وبعلبك وصرخد وبصرى وبانياس وشوش وجميع الأعمال إلى الداروم وكان بمصر ابنه العزيز عثمان فاستولى عليها وكان بحلب ابنه الظاهر غازي فاستولى عليها وعلى أعمالها مثل حارم وتل باشرواعزاز

وبرزية ودرساك وغيرها وأطاعه صاحب حماة ناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شيركوه وله مع حماة سلمية والمعة ومنيج وابن محمد بن شيركوه وله مع الرحبة حمص وتدمر وبيعلبك بهرام شاه بن فرخشاه بن شاهنشاه ولقبه الأجدد وبيصرى الظافر بن صلاح الدين ولقبه الأجدد مع أخيه الأفضل وشيرز سابق الدين عثمان ابن الداية وبالكرك والشوبك الملك العادل وبلغ الخبر إلى العادل فأقام بالكرك واستدعاه الأفضل من دمشق فلم يحبه فخوفه ابن أخيه العزيز صاحب مصر من عز الدين صاحب الموصل وقد كان سار من الموصل إلى بلاد العادل بالجزيرة فوعده بالنصر منه وأوهمه الرسول إن لم يسر إلى الأفضل بدمشق أنه متوجه إلى العزيز بمصر ليحالفه عليه فحينئذ إرتاب العادل وسار إلى الأفضل بدمشق فتلقيه بالميرة وجهز له العساكر للدفاع عن عز الدين صاحب الموصل عن بلاد الجزيرة وأرسل إلى صاحب حمص وصاحب حماة يحضهم على إنفاذ العساكر معه وعبرها الفرات وأقام بنواحي الرها وكان عز الدين مسعود بن مودود صاحب الموصل لما بلغه وفاة صلاح الدين اعتزم على المسير إلى بلاد العادل بالجزيرة حران والرها وسائرهما ليرتجعها من يده ومحاهد الدين قايمآز أتاك دولته يثنيه عن ذلك ويعذله فيه فتبين حال العادل مع ابن أخيه وبينما هو في ذلك إذ جاءت الأخبار بأن العادل بخران ثم وافاهم كتابه بأن الأفضل ملك بعد أبيه صلاح الدين وأطاعه الناس فكاتب عز الدين جيرانه من الملوك مثل صاحب سنجار وصاحب ماردين يستنجدهم وجاء إليه أخوه على نصيبين وسار معه إلى الرها فأصابه المرض في طريقه ورجع إلى الموصل فمات أول رجب من السنة واستقرت إيالة العادل في ملكه من الجزيرة فلم يهجه منها أحد والله تعالى ينصر من يشاء من عباده .

* (مسير العزيز من مصر إلى حصار الأفضل بدمشق وما استقرّ

بينهم في الولايات) *

كان العزيز عثمان بن صلاح الدين قد استقرّ بمصر كما ذكرناه وكان موالي أبيه منحرفين عن الأفضل ورؤساؤهم يومئذ جهاركس وقراجا وقد استقرّ بهم عدوّ الأفضل والأكراد وموالي شيركوه شيعة له فكان العدو يعدون العزيز بهؤلاء الشيع ويخوفونه من أخيه الأفضل ويغرونه بانتزاع دمشق من يده فسار لذلك سنة تسعين وخمسمائة ونزل على دمشق واسترل الأفضل وهو بأعماله بالجزيرة وسار لعمه العادل بنفسه وسار معه الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب وناصر الدين محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه صاحب حماة وشيركوه

ابن محمد بن شيركوه صاحب حمص وعساكر الموصل من قبل عز الدين مسعود بن مودود وساروا كلهم إلى الأفضل بدمشق لإنجاده فامتنع على العزيز مرامه وتراسلوا في الصلح على أن يكون القدس وأعمال فلسطين للعزيز وجبله واللاذقية للظاهر صاحب حلب وتبقى دمشق وطبرية والغور للأفضل وأن يستقر العادل بمصر مدبراً دولة العزيز على إقطاعه الأول وإنعقد الصلح على ذلك ورجع العزيز إلى مصر وعاد كل إلى بلده والله تعالى أعلم .

* (حصار العزيز ثانياً دمشق وهزيمة) *

ولما عاد العزيز إلى مصر عاد موالي صلاح الدين إلى أغرائه بأخيه الأفضل فتجهز لحصاره بدمشق سنة إحدى وتسعين وسار الأفضل من دمشق إلى عمه العادل بقلعة جعبر ثم إلى أخيه الظاهر غازي بحلب مستنجداً لها وعاد إلى دمشق فوجد العادل قد سبقه إليها وإتفقا على أن تكون مصر للأفضل ودمشق للعادل ووصل العزيز إلى قرب دمشق وكان الأكراد وموالي شيركوه منحرفين عنه كما قدمناه وشيعة للأفضل ومقدمها سيف الدين أبو ركوش من الموالي وأبو الهيجاء السمين من الأكراد فدلسا للأفضل بالخروج إلى العزيز وواعدها الهزيمة عنه فخرجا في العساكر وانحاز إليهما الموالي والأكراد وإنهزم العزيز إلى مصر وبعث الأفضل العادل إلى القدس فتسلمه من نائب العزيز وساروا في إتباعه إلى مصر والعساكر ملتفة على الأفضل فارتاب العادل وخشي أن لا يفي له الأفضل بما إتفقا عليه ولا يمكنه من دمشق فراسل العزيز بالثبات وأن يتزل حامية ووعد من نفسه المظاهرة على أخيه وتكفل له منعه من مقاتلته بلبس فترك العزيز بها فخر الدين جهاركس في عسكر من موالي أبيه وأراد الأفضل مناجزتهم فمنعه العادل فأراد الرحيل إلى مصر فمنعه أيضاً وقال له إن أخذت مصر عنوة إنخرقت الهيبة وطمع فيها الأعداء والمطاولة أولى ودس إلى العزيز بإرسال القاضي الفاضل وكان مطاعاً فيهم لمرتلة عند صلاح الدين فجاء إليهما وعقد الصلح بينهم على أن يكون للأفضل القدس وفلسطين وطبرية والأردن مضافة إلى دمشق ويكون للعادل كما كان القديم ويقم بمصر عند العزيز يدبر أمره وتحالفوا على ذلك وعاد الأفضل إلى دمشق وأقام العادل عند العزيز بمصر إنتهى والله أعلم .

* (استيلاء العادل على دمشق) *

ثم أن العزيز استمال العادل وأطمعه في دمشق أن يأخذها من أخيه وسلمها إليه وكان الظاهر

صاحب حلب يعذل الأفضل في موالة عمه العادل ويحرضه على أبعاده فيلج في ذلك ثم أن العادل والعزیز ساروا من مصر وحاصروا دمشق واستألو من أمراء الأفضل أبا غالب الحمصي على وثوق الأفضل به وإحسانه إليه ففتح لهم الباب الشرقي عشي السابع والعشرين من رجب سنة إثنين وتسعين فدخل العادل منه إلى دمشق ووقف العزیز بالميدان الأخضر وخرج إليه أخوه الأفضل ثم دخل الأفضل دار شريكوه وأظهروا مصالحة الأفضل خشية من جموعه وأعادوه إلى القلعة وأقاموا بظاهر البلد والأفضل يغادهم كل يوم ويرأوهم حتى استفحل أمرهم فأمره بالخروج من دمشق وتسليم أعمالها وأعطوه قلعة صرخد وملك العزیز القلعة ونقل للعادل أن العزیز يريد أن يتردد إلى دمشق فجاء إليه وحمله على تسليم القلعة فسلمها وخرج الأفضل إلى رستاق له خارج البلد فأقام به وسار منه إلى صرخد وعاد العزیز إلى مصر وأقام العادل بدمشق والله سبحانه وتعالى أعلم بغيبه وأحكم .

* (فتح العادل يافا عن الإفرنج واستيلاء الإفرنج على بيروت وحصارهم تبين) *

ولما توفي صلاح الدين وملك أولاده بعده جدّد العزیز الهدنة مع الكندھري ملك الإفرنج كما عقد أبوه معه وكان الأمير أسامة يقطع بيروت فكان يبعث الشواني للإغارة على الإفرنج وشكوا ذلك إلى العادل بدمشق والعزیز بمصر فلم يشكياهم فأرسلوا إلى ملوكهم وراء البحر يستنجدونهم فأمدّوهم بالعساكر وأكثرهم من الألمان ونزلوا بعكا واستنجد العادل بالعزیز فبعث إليه بالعساكر وجاءته عساكر الجزيرة والموصل واجتمعوا بعين جالوت وأقاموا رمضان وبعض شوال من سنة إثنين وتسعين ثم ساروا إلى يافا فملكوا المدينة أولاً وخربوها وامتنع الحامية بالقلعة فحاصروها وفتحوها عنوة واستباحوها وجاء الإفرنج من عكا لصربخ إخوانهم وإنهوا إلى قيسارية فبلغهم خبر وفادتهم وخبر وفادة الكندھري ملكهم بعكا فرجعوا ثم اعترموا على قصد بيروت فسار العادل لتخريبها حذراً عليها من الإفرنج فتكفل له أسامة عاملها بحمايتها وعاد ووصل إليها الإفرنج يوم عرفة من السنة وهرب منها أسامة وملكوها وفرق العادل العساكر فخرّبوا ما كان بقي من صيدا بعد تخريب صلاح الدين وعاثوا في نواحي صور فعاد الإفرنج إلى صور ونزل المسلمون على قلعة هونين ثم نازل الإفرنج حصن تبين في صفر سنة أربع وتسعين وبعث العادل عسكرياً لحمايته فلم يغنوا عنه ونقب الإفرنج أسواره

فبعث العادل بالصرىخ إلى العزيز صاحب مصر فأغذ السير بعساكره وانتهى إلى عسقلان في ربيع من السنة وكان المسلمون في تبين قد بعثوا إلى الإفرنج من يستأمن لهم ويسلمون لهم فأنذرهم بعض الإفرنج بأنهم يغدرون بهم فعادوا إلى حصنهم وأصروا على الإمتناع حتى وصل العزيز إلى عسقلان فاضطرب الإفرنج لوصوله ولم يكن لهم ملك وإنما كان معهم الجنصكير القسيس^(١) من أصحاب ملك الألمان والمرأة زوجة الكندهري فاستدعوا ملك قبرص واسمه هبري وهو أخ الملك الذي أسر بحطين فجاءهم وزوجوه بملكتهم فلما جاء العزيز وسار من عسقلان إلى جبل الخليل وأطلّ على الإفرنج وناوشهم القتال رجع الإفرنج إلى صور ثم إلى عكا ونزلت عساكر المسلمين بالبحور فاضطرب أمراء العزيز واجتمع جماعة منهم وهم ميمون القصري وقراسنقر والحجاب وابن المشطوب على الغدر بالعزيز ومدبر دولته فخر الدين جهار كس فأغذا السير إلى مصر وتراسل العادل والإفرنج في الصلح وإنعقد بينهم في شعبان من السنة ورجع العادل إلى دمشق وسار منها إلى ماردين كما يأتي خبره والله تعالى أعلم.

* (وفاة طغتكين بن أيوب باليمن وملك ابنه إسماعيل ثم سليمان بن تقي الدين شاهنشاه) *

قد كان تقدّم لنا أنّ سيف الإسلام طغتكين بن أيوب سار إلى المدينة سنة ثمان وسبعين بعد وفاة أخيه شمس الدولة توران شاه واختلاف نوابه باليمن واستولى عليها ونزل زبيد وأقام بها إلى أن توفي في شوال سنة ثلاث وتسعين وكان سيء السيرة كثير الظلم للرمية جماعاً للأموال ولما استفحل بها أراد الإستيلاء على مكة فبعث الخليفة الناصر إلى أخيه صلاح الدين يمنعه من ذلك ففعله ولما توفي ملك مكانه ابنه إسماعيل وبلغ المعز وكان أهوج فانتسب في بني أمية وادّعى الخلافة وتلقب بالهادي ولبس الخضرة وبعث إليه عمه العادل بالملامة والتوبيخ فلم يقبل وأساء السيرة في رعيته وأهل دولته فوثبوا وقتلوه وتولى ذلك سيف الدين سنقر مولى أبيه ونصب أخاه الناصر سنة ثمان وتسعين فأقام بأمره ثم هلك سنقر لأربع سنين من دولته وقام مكانه غازي بن جبريل من أمرائهم وتزوج أم الناصر ثم قتل الناصر مسموماً وثار العرب منه بغازي المذكور وبقي أهل اليمن فوضى واستولى على طغان وبلاد حضرموت محمد بن محمد الحميري واستبدّت أم الناصر وملكّت زبيد وبعثت في طلب أحد من بني أيوب تملكه على

(١) وفي الكامل : وكان المرجع إلى القسيس الجنصكير من أصحاب ملك الألمان .

اليمن وكان للمظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه وقيل لابنه سعد الدين شاهنشاه ابن اسمه سليمان ترهب ولبس المسوح ولقيه بالموسم بعض غلمانها وجاءته فتزوجته وملكته اليمن والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (مسير العادل إلى الجزيرة وحصاره ماردين) *

كان نور الدين أرسلان شاه مسعود صاحب الموصل قد وقع بينه وبين قطب الدين محمد ابن عمه عماد الدين زنكي صاحب نصيبين والخابور والركة وبين ابنيه عماد الدين قبله فتنة بسبب الحدود في تخوم أعمالهم فصار نور الدين إليه في عساكره وملك منه نصيبين ولحق قطب الدين بحران والرها إيالة العادل بن أيوب وبعث إليه بالصرخ وهو بدمشق وبذل له الأموال في إنجاده فصار العادل إلى حران وإرتحل نور الدين من نصيبين إلى الموصل وسار قطب الدين إليها فلكها وسار العادل إلى ماردين في رمضان من السنة فحاصرها وكان صاحبها حسام الدين بولو أرسلان بن أبي الغازي بن ألبان تمرناش أبي الغازي بن أرتق وهو وصي وكافله مولى النظام برتقش مولى أبيه والحكم له ودام حصاره عليها وملك الرض وقطع الميرة عنها ثم رحل عنها في العام القابل كما تقدم في أخبار دولة زنكي والله تعالى ينصر من يشاء من عباده .

* (وفاة العزيز صاحب مصر وولاية أخيه الأفضل) *

ثم توفي العزيز عثمان بن صلاح الدين آخر محرّم سنة خمس وتسعين وكان فخر الدين أياص جهاركس مولى أبيه مستبداً عليه فأرسل العادل بمكانه من حصار ماردين يستدعيه للملك وكان جهاركس هذا مقدّم موالى صلاح الدين وكانوا منحرفين عن الأفضل وكان موالى صلاح الدين شريكوه والأكراد شيعة وجمعهم جهاركس لينظر في الولاية وأشار بتولية ابن العزيز فقال له سيف الدين أياز كوش مقدّم موالى شريكوه لا يصلح لذلك لصغره إلا أن يكفله أحد من ولد صلاح الدين لأن رئاسة العساكر صنعه واتفقوا على الأفضل ثم مضوا إلى القاضي الفاضل فأشار بذلك أيضاً وأرسل أياز كوش يستدعيه من صرخد فصار آخر صفر من السنة ولقيه الخبر في طريقه بطاعة القدس له وخرج أمراء مصر فلقوه ببليس وأضافه أخوه المؤيد مسعود وفخر الدين جهاركس ودولة العزيز فقدّم أخاه وإرتاب جهاركس واستأذنه في المسير ليصلح بين طائفتين من العرب اقتتلا فأذنه فصار فخر الدين إلى

القدس وتملكه ولحقه جماعة من موالي صلاح الدين منهم قراجاً الدكرمس وقراسنقر وجاءهم ميمون القصري فقيوت شوكتهم به واتفقوا على عصيان الأفضل وأرسلوا إلى الملك العادل يستدعونه فلم يعجل لإجابتهم لطمعه في أخذ ماردین وإرتاب الأفضل بموالي صلاح الدين وهم شقيرة وأنبك مطيش والبكي ولحق جماعة منهم بأصحابهم بالقدس وأرسل الأفضل إليهم في العود على ما يختارونه فامتنعوا وأقام هو بالقاهرة وقرر دولته وقدم فيها سيف الدين أياز كوش والملك لابن أخيه العزيز عثمان وهو كافل له لصغره وانتظمت أمورهم على ذلك إنتهى والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (حصار الأفضل دمشق وعوده عنها) *

ولما انتظمت الأمور للأفضل بعث إليه الظاهر غازي صاحب حلب وابن عمه شيركوه بن محمد بن شيركوه صاحب حمص يغريانه بملك دمشق لغية العادل عنها في حصار ماردین ويعدانه المظاهرة فسار من منتصف السنة ووصل إلى دمشق منتصف شعبان وسبقه العادل إليها وترك العساكر مع إبنه الكامل على ماردین ولما نزل الأفضل على دمشق وكان معه الأمير مجد الدين أخو عيسى الهكاري فدخل قوماً من الأجناد في دمشق في أن يفتحوا له باب السلامة ودخل منه هو والأفضل سراً وانتهوا إلى باب البريد ففطن عسكر العادل لقتلهم وإنقطاع مددهم فترجعوا وأخرجوهم ونزل الأفضل بميدان الحصار وضعف أمره واعصوب الأكراد من عساكره فارتاب بهم الآخرون وإنحازوا عنهم في المعسكر ووصل شيركوه صاحب حمص ثم الظاهر صاحب حلب آخر شعبان وأول رمضان لمظاهرة الأفضل وأرسل العادل إلى موالي صلاح الدين بالقدس فساروا إليه وقوي بهم ويشس الأفضل وأصحابه وخرج عساكر دمشق لبييتوهم فوجدوهم حذرين فرجعوا وجاء الخبر إلى العادل بوصول إبنه محمد الكامل إلى حران فاستدعاه ووصل منتصف صفر سنة ست وتسعين فعند ذلك رحلت العساكر عن دمشق وعاد كل منهم إلى بلاده إنتهى والله أعلم .

* (إفراج الكامل عن ماردین) *

قد كان تقدّم لنا مسير العادل إلى ماردین وسار معه صاحب الموصل وغيره من ملوك الجزيرة وديار بكر وفي نفوسهم غصص من تغلب العادل على ماردین وغلبيهم فلما عاد العادل إلى

دمشق لمداغة الأفضل وترك ابنه الكامل على حصار ماردين واجتمع ملوك الجزيرة وديار بكر على مداغته عنها وسار نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل وابن عمه قطب الدين محمد بن زنكي صاحب سنجار وابن عمه قطب الدين سنجر شاه بن غازي صاحب جزيرة ابن عمر واجتمعوا كلهم ببديس حتى قضوا عيد الفطر وارتحلوا سادس شوال وقاربوا جبل ماردين وكان أهل ماردين قد اشتد عليهم الحصار وبعث النظام برتقش صاحبها إلى الكامل بتسليم القلعة على شروط إشتراطها إلى أجل ضربه وأذن لهم الكامل في إدخال الأقوات في تلك المدة ثم جاءه الخبر بوصول صاحب الموصل ومن معه فترل القائم للقائم وترك عسكرياً بالربض وبعث قطب الدين صاحب سنجار إلى الكامل ووعده بالإنهزام فلم يغن ولما التقى الفريقان حمل صاحب الموصل عليهم مستميتاً فانهزم الكامل وصعد إلى الربض فوجد أهل ماردين قد غلبوا عسكريه الذي هنالك ونهبوا مخلفهم فارتحل الكامل متصفاً شوال مجفلاً ولحق بميفارقين وإنهت أهل ماردين مخلفه ونزل صاحبها فلقى صاحب الموصل وعاد إلى قلعته وارتحل صاحب الموصل إلى رأس عين لقصد حلوان والرها وبلاد الجزيرة من بلاد العادل فلقية هنالك رسول الظاهر صاحب حلب يطلبه في السكة والخطبة قارتاب لذلك وكان عازماً على نصرتهم فقعده عنهم وعاد إلى الموصل وأرسل إلى الأفضل والظاهر يعتذر بمرور طرقة وهم يومئذ على دمشق ووصل الكامل من ميفارقين إلى حران فاستدعاه أبوه من دمشق وسار إليه في العساكر فأفرج عنه الأفضل والظاهر والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (استيلاء العادل على مصر) *

ولما رحل الأفضل والظاهر إلى بلادهم تجهز العادل إلى مصر وأغراه موالى صلاح الدين بذلك واستحلفوه على أن يكون ابن العزيز ملكاً وهو كافله وبلغت الأخبار بذلك إلى الأفضل وهو في بليس فسار منها ولقيهم فانهزم لسبع خلون من ربيع الآخر سنة ست وتسعين ودخل القاهرة ليلاً وحضر الصلاة على القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني توفي تلك الليلة وسار العادل لحصار القاهرة وتحاذل أصحاب الأفضل عنه فأرسل إلى عمه في الصلح وتسليم الديار المصرية على أن يعوّضه دمشق أو بلاد الجزيرة وهي حران والرها وسروج فلم يجبه وعوّضه ميفارقين وجبال نور وتحالفوا على ذلك وخرج الأفضل من القاهرة ثامن عشر ربيع واجتمع بالعادل وسار إلى بلده صرخد ودخل العادل القاهرة من يومه ولما

وصل الأفضل صرخد بعث من يتسلم البلاد التي عوّضه العادل وكان بها ابنه نجم الدين أيوب فامتنع من تسليم ميفارقين وسلم ما عداها وردّد الأفضل رسله في ذلك إلى العادل فرغم أن ابنه عصاه فعلم الأفضل أنه أمره واستفحل العادل في مصر وقطع خطبة المنصور بن العزيز وخطب لنفسه واعترض الجند ومحضهم بالحو والإثبات فاستوحشوا لذلك وبعث العادل فخر الدين جهاركس مقدّم موالي صلاح الدين في عسكر إلى بانياس ليحاصرها ويملكها لنفسه ففصل من مصر للشام في جماعة الموالي الصلاحية وكان بها الأمير بشاره من أمراء الترك إرتاب العادل بطاعته فبعث العساكر إليه مع جهاركس والله تعالى أعلم .

* (مسير الظاهر والأفضل إلى حصار دمشق) *

ولما قطع العادل خطبة المنصور بن العزيز بمصر استوحش الأمراء لذلك ولما كان منه في اعتراض الجند فراسلوا الظاهر بحلب والأفضل بصرخد أن يحاصرا دمشق فيسير إليهما الملك العادل فيتأخرون عنه بمصر ويقومون بدعوتها ونفي الخبر إلى العادل وكتب به إليه الأمير عز الدين أسامة جاء من الحج ومّر بصرخد فلقية الأفضل ودعاه إلى أمرهم وأطلعه على ما عنده فكتب به إلى العادل وأرسل العادل إلى ابنه المعظم عيسى بدمشق يأمره بحصار الأفضل بصرخد وكتب إلى جهاركس بمكانه من حصار بانياس وإلى ميمون القصري صاحب نابلس بالمسير معه إلى صرخد ففرّ منها الأفضل إلى أخيه الظاهر بحلب فوجده يتجهز لأنه بعث أميراً من أمرائه إلى العادل فردّه من طريقه فسار إلى منبج فملكها ثم قلعة نجم كذلك وذلك سلخ رجب من سنة سبع وتسعين وسار المعظم بقصد صرخد وانتهى إلى بصرى وبعث عن جهاركس والذين معه على بانياس فغالطوه ولم يحيوه فعاد إلى دمشق وبعث إليهم الأمير أسامة يستحثهم فأغلظوا له في القول وتناوله البكاء منهم وثاروا به جميعاً فتدّهم لميمون القصري منهم فأمنه وعاد إلى دمشق ثم ساروا إلى الظاهر حضر به صلاح الدين وأنزله من صرخد واستحثوا الظاهر والأفضل للوصول فتباطأ الظاهر عنهم وسار من منبج إلى حماة فحاصرها حتى صالحه صاحبها ناصر الدين محمد على ثلاثين ألف دينار صورية فارتحل عنها تاسع رمضان إلى حمص ومعه أخوه الأفضل ومنها إلى بعلبك إلى دمشق ووافاه هنالك الموالي الصلاحية مع الظاهر خضر بن مولاهم وكان الوفاق بينهم إذا فتحوا دمشق أن تكون بيد الأفضل فإذا ملكوا مصر سار إليها وبقيت للظاهر وأقطع الأفضل صرخد لمولى أبيه زين الدين قراجا وأخرج أهله منها إلى حمص عند شيركوه بن محمد بن شيركوه وكان العادل قد

سار من مصر إلى الشام فانتهى إلى نابلس وبعث عسكرا إلى دمشق ووصلوا قبل وصول هذه العساكر فلما وصلوها قاتلوها يوماً وثانيه منتصف ذي القعدة وأشرفوا على أخذها فبعث الظاهر إلى الأفضل بأن دمشق تكون له فاعتذر بأن أهله في غير مستقر ولعلمهم بأوون إلى دمشق في خلال ما يملك مصر فلجّ الظاهر في ذلك وكان الموالي الصلاحية مشتملين على الأفضل وشيعة له فخبرهم بين المقام والإنصراف ولحق فخر الدين جهار كس وقراجا بدمشق فامتنعت عليهم وعادوا إلى تجديد الصلح مع العادل على أن يكون للظاهر منبج وأقامية وكفرطاب وبعض قرى المصرة والأفضل له سيمساط وسروج ورأس عين وحملين فتم ذلك بينهم ورحلوا عن دمشق في محرم سنة ثمان وتسعين وسار الظاهر إلى حلب والأفضل إلى حمص فأقام بها عند أهله ووصل العادل إلى دمشق في تاسوعاء وجاء الأفضل فلقبه بظاهر دمشق وعاد إلى بلاده فتسلمها وكان الظاهر والأفضل لما فعلا من منبج إلى دمشق بعثا إلى نور الدين صاحب الموصل أن يقصد بلاد العادل بالجزيرة وكانت بينه وبينهما وبين صاحب ماردين يمين وإتفاق على العادل منذ ملك مصر مخافة أن يطرق أعمالهم فسار نور الدين عن الموصل في شعبان ومعه ابن عمه قطب الدين صاحب سنجار وعسكر ماردين ونزلوا رأس عين وكان بجران الفائز بن العادل في عسكر يحفظ أعمالهم بالجزيرة فبعث إلى نور الدين في انصلح ووصل الخبر بصلح العادل مع الظاهر والأفضل فأجابهم نور الدين إلى الصلح واستحلفوا وبعث أرسلان من عنده إلى العادل فاستحلفوه أيضاً وصحت الحال والله تعالى وليّ التوفيق .

* (حصار ماردين ثم الصلح بين العادل والأشرف) *

ثم بعث الملك العادل إبنه الأشرف موسى في العساكر لحصار ماردين فسار إليها ومعه عساكر الموصل وسنجار ونزلوا بالحريم تحت ماردين وسار عسكر من قلعة البازغية من أعمال ماردين لقطع الميرة عن عسكر الأشرف فلقمهم جماعة من عسكر الأشرف وهزموهم وأفسد التركان السابلة في تلك النواحي وامتنع على الأشرف قصده ف توسط الظاهر غازي في الإصلاح بينهم على أن يحمل صاحب ماردين للعادل مائة وخمسين ألف دينار والدينار أحد عشر قيراطاً من الأميري ويخطب له بيلاده ويضرب السكة باسمه وتعسكر طائفة من جنده معه متى دعاهم لذلك فأجاب العادل وتمّ الصلح بينهما ورحل الأشرف عن ماردين والله أعلم .

* (أخذ البلاد من يد الأفضل) *

قد كان تقدّم أن الظاهر والأفضل لما صالحا العادل سنة سبع وتسعين أخذ الأفضل سميّاسط وسروج ورأس عين وحملين وكانت بيده معها قلعة نجم التي ملكها الظاهر بين يدي الحصار قبل الصلح ثم استردّ العادل البلاد من يد الأفضل سنة تسع وتسعين وأبقى له سميّاسط وقلعة نجم فطلب الظاهر قلعة نجم على أن يشفع له عند العادل في ردّ ما أخذ منه فلم يجب فتهدّده ولم تزل الرسل تتردّد بينهما حتى سلمها إليه في شعبان من السنة وبعث الأفضل أمّه إلى العادل في ردّ سروج ورأس عين عليهم فلم يشفعها فبعث الأفضل إلى ركن الدين سليمان بن قليج أرسلان صاحب بلاد الروم بطاعته وأن يخطب له فبعث إليه بالخلة وخطب له الأفضل في سميّاسط سنة ستائة وسار من جملة نوابه في أعماله وفي سنة تسع وتسعين هذه خاف على مصر محمود بن العزيز صاحب مصر بعث العساكر إلى الرها لأنه لما قطع خطبته من مصر سنة ست وتسعين خاف على مصر من شيعة أبيه فأخرجه سنة ثمان وتسعين إلى دمشق ثم نقله في هذه السنة إلى الرها ومعه إخوانه وأمه وأهله فأقاموا بها والله أعلم .

* (واقعة الأشرف مع صاحب الموصل) *

كانت الفتنة متصلة بين نور الدين أرسلان شاه صاحب الموصل وبين ابن عمه قطب الدين صاحب سنجار واستمال العادل بن أيوب قطب الدين فخطب له بأعماله وسار إليه نور الدين غيره من ذلك فحاصر نصيبين في شعبان من سنة ستائة وبعث قطب الدين يستمدّ الأشرف موسى بن العادل وهو بجران فسار إلى رأس عين لإمداده ومدافة نور الدين عنه بعد أن إتفق على ذلك مع مظفر الدين صاحب أربل وصاحب جزيرة ابن عمر وصاحب كيفا وآمد ففارق نور الدين نصيبين وسار إليها الأشرف وجاءه أخوه نجم الدين صاحب ميفارقين وصاحب كيفا وصاحب الجزيرة وساروا جميعاً إلى بلد البقعا ونور الدين صاحب الموصل قد إنصرف من تل أعفر وقد ملكها إلى كفرزمان معترماً على مطاولتهم إلى أن يفتروا ثم أغراه بعض مواله كان بعثه عيناً عليهم فقللهم في عينه وحرّضه على معاجلتهم باللقاء فسار إلى نوشرنا ونزل قريباً منهم ثم ركب لقتالهم واقتتلوا فانهزم نور الدين ولحق بالموصل ونزل الأشرف وأصحابه كفرزمان وعاثوا في البلاد واكتسحوها وتردّدت الرسل بينهم في الصلح على أن

يعيد نور الدين على قطب الدين قلعة تل أعفر التي أخذها له فتمّ ذلك سنة إحدى وستائة وعاد إلى بلده والله تعالى أعلم .

* (وصول الإفرنج إلى الشام والصلح معهم) *

ولما ملك الإفرنج القسطنطينية من يد الروم سنة إحدى وستائة تكالبوا على البلاد ووصل جمع منهم إلى الشام وأرسوا بعكا عازمين على إرتجاع القدس من المسلمين ثم ساروا في نواحي الأردن فاكسحوها وكان العادل بدمشق استنفر العساكر من الشام ومصر وسار فتنزل بالطور قريباً من عكا لمداغتهم وهم قبالة بمرج عكا وساروا إلى كفرنا فاستباحوه ثم إنقضت سنة إحدى وستائة وتراسلوا في المهادنة على أن ينزل لهم العادل عن كثير من مناصف الرملة وغيرها ويعطيهم^(١) وغيرها وتمّ ذلك بينهم وسار العادل إلى مصر فقصده الإفرنج حاة ومقاتلهم صاحبها ناصر الدين محمد فهزموه وأقاموا أياماً عليها ثم رجعوا والله تعالى أعلم .

* (غارة ابن ليون على أعمال حلب) *

قد تقدّم لنا ذكر ابن ليون ملك الأرمن وصاحب الدروب فأغار سنة اثنتين وستائة على أعمال حلب واكتسحها واتصل ذلك منه فجمع الظاهر غازي صاحب حلب ونزل على خمسة فراسخ من حلب وفي مقدمته ميمون القصري من موالي أبيه منسوباً إلى قصر الخلفاء بمصر ومنه كان أبوه وكان الطريق إلى بلاد الأرمن متعذراً من حلب لتوعر الجبال وصعوبة المضايق وكان ابن ليون قد نزل في طرف بلاده لما يلي حلب ومن ثغورها قلعة دريساك فخشي الظاهر عليها منه وبعث إليها مدداً وأمر ميمون القصري أن يشيعه بطائفة من عسكره ففعل وبقى في خف الجند ووصل خبره إلى ابن ليون فكبس القصري ونال منه ومن المسلمين وانهزموا أمامه فظفر بمخلفهم ورجع فلقى في طريقه المدد الذي بعث إلى دريساك فهزمهم وظفر بما كان معهم وعاد الأرمن إلى بلادهم فاعتصموا بحصونهم والله تعالى أعلم .

(١) بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ١٢ ص ٣٢١ : وكان الملك العادل أبو بكر بن أيوب بمصر فسار منها إلى الشام فوصل إلى الرملة ومنها إلى لد ، وبرز الفرنج من عكا ليقصدوه . (ويذكر ابن الأثير هذه الحادثة سنة ٦١٤) .

* (استيلاء نجم الدين بن العادل على خلاط) *

كان العادل قد استولى على ميفارقين وأنزل بها ابنه الأوحى نجم الدين ثم استولى نجم الدين على حصون من أعمال خلاط وزحف إليها سنة ثلاث وستائة وقد استولى عليها بليان مولى شاهرين فقاتله وهزمه وعاد إلى ميفارقين فهزمهم ثم دخلت سنة أربع وستائة وملك مدينة سوس وغيرها وأمدّه أبوه العادل بالعساكر فقصده خلاط وسار إليه بليان فهزمه نجم الدين وحاصره بخلاط وبعث بليان إلى مغيث الدين طغرل شاه بن قليج أرسلان صاحب أرزن الروم يستنجد فجاء في عساكره واجتمع مع بليان وإنهزم نجم الدين ونزلا على مدينة تلبوس فحاصرها ثم غدر طغرل شاه ببليان وقتله وسار إلى خلاط ليملكها فطرده أهلها فسار إلى ملازكرد فامتنعت عليه فعاد إلى بلاده وأرسل أهل خلاط إلى نجم الدين فلكوه خلاط وأعمالها وخافه الملوك المجاورون له وملك الكرك وتابعوا الغارات على بلاده فلم يخرج إليهم خشية على خلاط واعتزل جماعة من عسكر خلاط فاستولوا على حصن وان من أعظم الحصون وأمنعها فعصوا على نجم الدين واجتمع إليهم جمع كثير وملكوا مدينة أرجيش واستمدّ نجم الدين على خلاط وأعمالها وعاد أخوه الأشرف إلى أعماله بحران والرها ثم سار الأوحى نجم الدين إلى ملازكرد ليرتب أحوالها فوثب أهل خلاط على عسكره فأخرجوهم وحصروا أصحابه بالقلعة ونادوا بشعار بني شاهرين وعاد نجم الدين إليهم وقد وافاه عسكر من الجزيرة فقوي بهم وحاصر خلاط واختلف أهلها فملكها واستلحم أهلها وحبس كثيراً من أعيانها كانوا فارين وذلل أهل خلاط لبني أيوب بعد هذه الواقعة إلى آخر الدولة والله تعالى أعلم .

* (غارات الإفرنج بالشام) *

كان الإفرنج بالشام قد أكثروا الغارات سنة أربع وستائة بحشد^(١) ثان ما ملكوا القسطنطينية واستفحل ملكهم فيها فأغار أهل طرابلس وحصن الأكراد منهم على حمص وأعمالها وعجز صاحبها شيركوه بن محمد بن شيركوه عن دفاعهم واستنجد عليهم فأنجده الظاهر صاحب حلب بعسكر أقاموا عنده للمدافعة عنه وأغار أهل قبرص في البحر على أسطول مصر فظفروا

(١) وفي الكامل ج ١٢ ص ٢٧٣ : في هذه السنة (٦٠٤٤) كثرت الفرنج الذين بطرابلس وحصن الأكراد وأكثروا الإغارة على بلد حمص وللاياتها ونازلوا مدينة حمص . وكان جمعهم كثيراً .

منه بعدة قطع وأسروا من وجدوا فيها وبعث العادل إلى صاحب عكا يحتج عليه بالصلح فاعتذر بأن أهل قبرص في طاعة الإفرنج الذين بالقسطنطينية وأنه لاحكم له عليهم فخرج العادل في العساكر إلى عكا حتى صالحه صاحبها على إطلاق أسرى من المسلمين ثم سار إلى حمص ونازل القلعتين عند بحيرة قدس ففتحه^(١) وأطلق صاحبه وغنم ما فيه وخربه وتقدّم إلى طرابلس فاكسح نواحيها اثني عشر يوماً وعاد إلى بحيرة قدس وراسله الإفرنج في الصلح فلم يجبه وأظله الشتاء فأذن لعساكر الجزيرة في العود إلى بلادهم وترك عند صاحب حمص عسكرياً أنجده بهم وعاد إلى دمشق فشتى بها والله أعلم .

* (غارات الكرج على خلاط وأعمالها وملكهم أرجيش) *

ولما ملك الأوحّد نجم الدين خلاط كما مرّ ردّد الكرج الغارات على أعمالها وعاثوا فيها ثم ساروا سنة خمس وستائة إلى مدينة أرجيش فحاصروها وملكوها عنوة واستباحوها وخربوها وخام نجم الدين عن لقائهم ومدافعهم إلى أن انتقض عليه أهل خلاط لما فارقها ووقع بينه وبينهم ما مرّ ثم سار الكرج سنة تسع إلى خلاط وحاصروها وحاربهم الأوحّد وهزمهم وأسر ملكهم ثم فاداه بمائة ألف دينار وخمسة آلاف أسير وعلى الهدنة مع المسلمين وأن يزوّج بته من الأوحّد فانهقد ذلك والله تعالى أعلم بغية .

* (استيلاء العادل على الخابور ونصيبين من عمل سنجار وحصارها) *

قد تقدّم لنا أنّ قطب الدين زنكي بن محمود بن مودود صاحب سنجار والخابور ونصيبين وما إليها كانت بينه وبين ابن عمه نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود صاحب الموصل عداوة مستحكمة وفتنة متصلة وزوّج نور الدين صاحب الموصل بته من ابن العادل بن أيوب سنة خمس وستائة واتصل بها لذلك فزين له وزراؤه وأهل دولته أن يستنجد بالعادل على جزيرة ابن عمر وأعمالها التي لابن عمه سنجر شاه بن غازي بن مودود فتكون الجزيرة بكمالها مضافة إلى الموصل وملك العادل سنجار وما إليها وهي ولاية قطب الدين فتكون له فأجاب العادل إلى ذلك ورآه ذريعة إلى ملك الموصل وأطمع نور الدين في أباله

(١) القلعتين : إسم حصن ولذلك تصحح العبارة : ونازل حصن القلعتين ففتحه .

قطب الدين إذا ملكها تكون لابنه الذي هو صهره على إبنته وتكون عنده بالموصل وسار العادل بعساكره سنة ست وستائة وقصد الخابور فملكه فتبين لنور الدين صاحب الموصل حينئذ أنه لا مانع منه وندم على ما فرط في رأيه من وفادته ورجع إلى الإستعداد للحصار وخوفه الوزراء والحاشية أن يتقض على العادل فيبدأ به وسار العادل من الخابور إلى نصيبين فملكها وقام بمدافعتها عن قطب الدين وحماية البلد من الأمير أحمد بن برتقش مولى أبيه وشرع نور الدين في تجهيز العساكر مع إبنه القاهر مددا للعادل وبعث قطب الدين صاحب سنجار إبنه مظفر الدين يستشفع به إلى العادل لمكانه منه وأثره في موالاته فشفع ولم يشفعه العادل فراسل نور الدين صاحب الموصل في الإتفاق على العادل فأجابته وسار بعساكره من الموصل واجتمع مع نور الدين بظاهرها واستنجد بصاحب حلب الظاهر وصاحب بلاد الروم كنجسرو^(١) وتداعوا على الحركة إلى بلاد العادل إن امتنع من الصلح والإبقاء على صاحب سنجار وبعثوا إلى الخليفة الناصر أن يأمر العادل فبعث إليه أستاذ داره أبا نصر هبة الله بن المبارك بن الضحاك والأمير أقباش من خواص مواليه فأجاب إلى ذلك ثم غالطهم وذهب إلى المطالبة ثم صالحهم على سنجار فقط وله ما أخذ وتحالفوا على ذلك وعاد كل إلى بلده ثم قبض المعظم عيسى سنة عشر وستائة على الأمير أسامة بأمر أبيه العادل وأخذ منه حصن كوكب وعجلون وكانا من أعماله فخر بهما وحصن أردن بالكوكب وبني مكانه حصناً قرب عكا على جبل الطور وشحنه بالرجال والأقوات والله تعالى أعلم .

* (وفاة الظاهر صاحب حلب وولاية إبنه العزيز) *

لما توفي الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين بن أيوب صاحب حلب ومنبج وغيرها من بلاد الشام في جمادى الأخيرة سنة ثلاث عشرة وكان مرهف الحدد ضابطاً جماعة للأموال شديد الإنتقام محسناً للقضاة وعهد بالملك لإبنه الصغير محمد بن الظاهر وهو ابن ثلاث سنين وعدل عن الكبير لأن أمه بنت عمه العادل ولقبه العزيز غياث الدين وجعل أتابكه وكافله وخادمه طغرل بك ولقبه شهاب الدين وكان خيراً صاحب إحسان ومعروف فأحسن كفالة الولد وعدل في سيرته وضبط الإيالة يحميل نظره والله أعلم .

* (ولاية مسعود بن الكامل على اليمن) *

ولما ملك سليمان بن المظفر على اليمن سنة تسع وتسعين وخمسمائة أساء إلى زوجته أم الناصر (١) وفي نسخة أخرى : كنخسرو .

التي ملكته وضارّها وأعرض عنها واستبدّ بملكه وملأ الدنيا ظلماً وأقام على ذلك ثلاث عشرة سنة ثم انتقض على العادل وأساء معاملته وكتب إليه بعض الأحيان أنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم فكتب العادل إلى ابنه الكامل أن يبعث العساكر إلى اليمن مع وال من قبله فبعث ابنه المسعود يوسف واسمه بالتركي أقيسنس في العساكر سنة اثنتي عشرة وستائة فملك اليمن وقبض على سليمان شاه وبعث به معتقلاً إلى مصر فلم يزل بها إلى أن استشهد في حروب دمياط مع الإفرنج أعوام تسع وأربعين وطالت أيام مسعود باليمن وحج سنة تسع عشرة وقدم أعلام أبيه على أعلام الخليفة الناصر فكتب الناصر يشكوه إلى أبيه فكتب إليه أبوه الكامل برث من العادل يا أخس إن لم أقطع يمينك فقد نبذت وراء ظهرك دنياك ودينك ولا حول ولا قوة إلا بالله فاستعتب إلى أبيه وأعتبه ثم غلب سنة ست وعشرين على مكة من يد الحسن بن قتادة سيد بني أدريس بن مطاعن من بني حسن وولّى عليها وعاد إلى اليمن فهلك بقية السنة وغلب على أمر اليمن بعده علي بن رسول أستاذ داره ونصب للملك ابنه الأشرف موسى وكفله ثم هلك موسى واستبدّ ابن رسول باليمن وأورثه بنيه فكانت لهم دولة إتصلت لهذا العهد كما نذكره في أخبارها أن شاء الله تعالى .

* (وصول الإفرنج من وراء البحر إلى سواحل الشام ومسيرهم إلى دمياط وحصارها واستيلاؤهم عليها) *

كان صاحب رومة أعظم ملوك الإفرنج بالعدوة الشمالية من البحر الرومي وكانوا كلهم يدينون بطاعته وبلغه إختلاف أموال الإفرنج بساحل الشام وظهور المسلمين عليهم فانتدب إلى إمدادهم وجهز إليهم العساكر فامثلوا أمره من إيالته وتقدّم إلى ملوك الإفرنج أن يسيروا بأنفسهم أو يرسلوا العساكر فامثلوا أمره وتوافت الإمداد إلى عكا من سواحل الشام سنة أربع عشرة وسار العادل من مصر إلى الرملة وبرز الإفرنج من عكا ليصدّوه فسار إلى نابلس يسابقهم إلى أطراف البلاد ويدافعهم عنها فسبقوه ونزل هو على بيسان من الأردن وزحف الإفرنج لحربه في شعبان من السنة وكان في خف من العساكر فخام عن لقاءهم ورجع إلى دمشق ونزل مرج الصفر واستدعى العساكر ليجمعها وإنتهب الفرنج مخلفه في بيسان واكتسحوا ما بينها وبين بانياس ونزلوا بانياس ثلاثاً ثم عادوا إلى مرج عكا بعد أن خربوا تلك الاعمال وامتلأت أيديهم من نهبا وسباياها ثم ساروا إلى صور ونهبوا صيدا والشقيف على فرسخين من بانياس وعادوا إلى عكا بعد عيد الفطر ثم حاصروا حصن الطور على جبل

قريب من عكا كان العادل أختطها فحاصروها سبعة عشر يوماً وقتل عليها بعض ملوكهم فرجعوا عنها وبعث العادل ابنه المعظم عيسى إلى حصن الطور فخر بها لثلاثاً يملكها الإفرنج ثم سار الإفرنج من عكا في البحر إلى دمياط وأرسوا بسواحلها في صفر والنيل بينهم وبينها وكان على النيل برج حصين تمر منه إلى سور دمياط سلاسل من حديد محكمة تمنع السفن من البحر الملح أن تصعد في النيل إلى مصر فلما نزل الإفرنج بذلك الساحل خندقوا عليهم وبنوا سوراً بينهم وبين الخندق وشرعوا في حصار دمياط واستكثروا من آلات الحصار وبعث العادل إلى ابنه الكامل بمصر أن يخرج في العساكر ويقف قبالتهم ففعل وخرج من مصر في عساكر المسلمين فتزل قريباً من دمياط بالعادية وألح الإفرنج على قتال ذلك البرج أربعة أشهر حتى ملكوه ووجدوا السبيل إلى دخول النيل ليتمكنوا من النزول على دمياط فبنى الكامل عوض السلاسل جسراً عظيماً يمانع الداخلين إلى النيل فقاتلوا عليه قتالاً شديداً حتى قطعه فأمر الكامل بمراكب مملوءة بالحجارة وخرقوها وغرقوها وراء الجسر تمنع المراكب من الدخول إلى النيل فعدل الإفرنج إلى خليج الأزرق وكان النيل يجري فيه قديماً فحفروه فوق الجسر وأجروا فيه الماء إلى البحر وأصعدوا مراكبهم إلى (١) قبالة معسكر المسلمين ليتمكنوا من قتالهم لأن دمياط كانت حاضرة بينهم فاقتتلوا معهم وهم في مراكبهم فلم يظفروا والميرة والإمداد متصلة إلى دمياط والنيل حاجز بينهم وبين الإفرنج فلا يحصل لهم من الحصار ضيق ثم بلغ الخبر بموت العادل فاختلف العسكر وسعى مقدم الأمراء عماد الدين أحمد بن سيف الدين علي بن المشطوب الهكاري في خلع الكامل وولاية أخيه الأصغر الفائز ونفى الخبر إلى الكامل فأسرى من ليلته إلى أشمون طناح وتفقدته المسلمون من الغد فأجفلوا ولحقوا بالكامل وخلفوا سوادهم بما فيه فاستولى عليه الإفرنج وعبروا النيل إلى البر المتصل بدمياط وجالوا بينها وبين أرض مصر وفسدت السابلة بالأعراب وانقطعت الميرة عن دمياط واشتد الإفرنج في قتالها وهي في قلة من الحامية لإجفال المسلمين عنها بغتة ولما جهدهم الحصار وتعذر عليهم القوات استأنفوا إلى الإفرنج فلكوها آخر شعبان سنة ست عشرة وبنوا سراياهم فيما جاورها فأقفروه ورجعوا إلى عمارة دمياط وتحصينها وأقام الكامل قريباً منهم لحماية البلاد وبنى المنصورة بقرب مصر عند مفترق البحر من جهة دمياط والله تعالى أعلم .

(١) بياض بالأصل وفي الكامل ج ١٢ ص ٣٢٤ : وأصعدوا مراكبهم فيه إلى موضع يقال له بورة على أرض الجزيرة أيضاً مقابل المنزلة التي فيها الملك الكامل ليقاتلوه من هناك .

* (وفاة العادل واقتسام الملك بين بنيه) *

قد ذكرنا خبر العادل مع الإفرنج الذين جاؤا من وراء البحر إلى سواحل الشام سنة أربع عشرة وما وقع بينه وبينهم بعكا ويسان وأنه عاد إلى مرج الصفر قريباً من دمشق فأقام به فلما سار الإفرنج إلى دمياط إنتقل هو إلى خاتنين فأقام بها ثم مرض وتوفي سابع جمادي الأخيرة سنة خمس عشرة وستمئة لثلاث وعشرين سنة من ملكه دمشق وخمس وسبعين من عمره وكان إبنه المعظم عيسى بنابلس فجاء ودفنه بدمشق وقام بملكها واستأثر بمخلفه من المال والسلاح وكان لا يعبر عنه يقال كان المال العين في سترته سبعمائة ألف دينار وكان ملكاً حليماً صبوراً مسدداً صاحب إفادة وخديعة منجمة في أحواله وكان قد قسم البلاد في حياته بين بنيه فصر للكمال ودمشق والقدس وطبرية والكرك وما إليها للمعظم عيسى وخلاط وما إليها وبلاد الجزيرة غير الرها ونصيبين وميافارقين للأشرف موسى والرها وميافارقين لشهاب الدين غازي وقلعة جعبر للخضر أرسلان شاه فلما توفي إستقل كل منهم بعمله وبلغ الخبر بذلك إلى الملك الكامل بمكانه قبالة الإفرنج بدمياط فاضطرب عسكره وسعى المشطوب كما تقدّم في ولاية أخيه الفائز ووصل الخبر بذلك إلى أخيه المعظم عيسى فأغذ السير من دمشق إليه بمصر وأخرج المشطوب إلى الشام فلحق بأخيهما الأشرف وصار في جملته واستقام للكمال ملكه بمصر ورجع المعظم من مصر فقصد القدس في ذي القعدة من السنة وخرب أسواره حذراً عليه من الإفرنج وملك الإفرنج دمياط كما ذكرناه وأقام الكامل قبالتهم والله تعالى ينصر من يشا من عباده .

* (وفاة المنصوب صاحب حماة وولاية إبنه الناصر) *

قد تقدّم لنا أنّ صلاح الدين كان قد أقطع تقيّ الدين عمر ابن أخيه شاهنشاه مدينة حماة وأعمالها ثم بعثه إلى الجزيرة سنة سبع وثمانين فلك حران والرها وسروج وميافارقين وما إليها من بلاد الجزيرة فأقطعه إياها صلاح الدين ثم سار إلى بلاد أرمينية وقصد بكتمر صاحب خلاط وحاصرها ثم إنتقل إلى حصار ملازكرد وهلك عليها تلك السنة وتولى إبنه ناصر الدين محمد ويلقب المنصور على أعماله ثم انتزع صلاح الدين منه بلاد الجزيرة وأقطعهما أخاه العادل وأبقى حماة وأعمالها بيد ناصر الدين محمد المذكور فلم تزل بيده إلى أن توفي سنة سبع عشرة وستمئة لثمان وعشرين سنة من ولايته عليها بعد مهلك عمّ أبيه صلاح الدين والعادل

وكان ابنه وليّ عهده المظفر عند العادل بمصر وابنه الآخر قليج أرسلان عند خاله المعظم عيسى بمكانه من حصاره للآزكرد فاستدعاه أهل دولته بحجة واشترط المعظم عليه ما لا يحمله وأطلقه إليهم فلك حماة وتلقب الناصر وجاءه أخوه وليّ العهد من مصر فدافعه أهل حماة فرجع إلى دمشق عند المعظم وكاتبهم واستألمهم فلم يجيبوه ورجع إلى مصر والله تعالى أعلم.

* (مسير صاحب بلاد الروم إلى حلب وإنهزامه ودخولها في طاعة الأشرف) *

قد كنا قدّمنا وفاة الظاهر غازي بن صلاح الدين صاحب حلب ومنبج سنة ثلاث عشرة وولاية ابنه الأصغر محمد العزيز غياث الدين في كفالة طغرل الخادم مولى أبيه الظاهر وأنّ شهاب الدين هذا الكامل أحسن السيرة وأفاض العدل وعف عن أموال الرعية وردّ السعاية فيهم بعضهم على بعض وكان يجلب رجلاً من الأشرار يكثران السعاية عند الظاهر ويغريانه بالناس ولقي الناس منها شدة فأبعدهما شهاب الدين فيمن أبعده من أهل الشرّ وردّ عليهما السعاية فكسدت سوقهما وتناولها الناس بالأسنة والوعيد فلحقا ببلاد الروم وأطمعا صاحبها كيكائوس في ملك حلب وما بعدها ثم رأى أنّ ذلك لا يتمّ إلا أن يكون معه بعض بني أيوب لينقاد أهل البلاد إليه وكان الأفضل بن صلاح الدين بسميساط وقد دخل في طاعة كيكائوس غضباً من أخيه الظاهر وعمه العادل بما إنترعا من أعماله فاستدعاه كيكائوس وطلبه في المسير على أن يكون ما يفتحه من حلب وأعمالها للأفضل والخطبة والسكة لكيكائوس ثم يقصدون بلاد الأشرف بالجزيرة حران والرها وما إليهما على هذا الحكم وتحالفوا على ذلك وجمعوا العساكر وساروا سنة خمس عشرة فلكوا قلعة رعبان فتسلمها الأفضل ثم قلعة تل باشر من صاحبها ابن بدر الدين أرزم الباروقي بعد أن كانوا حاصروها وضيقوا عليها وملكها كيكائوس لنفسه فاستوحش الأفضل وأهل البلدان بفعل مثل ذلك في حلب وكان شهاب الدين كافل العزيز بن الظاهر مقيماً بقلعة حلب لا يفارقها خشية عليها فطير الخبر إلى الملك الأشرف صاحب الجزيرة وخلاط لتكون طاعتهم وخطبتهم له والسكة باسمه ويأخذ من أعمال حلب ما اختار فجمع العساكر وسار إليهم سنة خمس عشرة ومعه (١)

(١) بياض بالأصل ، وفي الكامل ج ١٢ ص ٣٤٩ : وسار إليهم في عساكره التي عنده وأرسل إلى الباقيين يطلبهم إليه ، وسره ذلك للمصلحة العامة لجميعهم ، وأحضر إليه العرب من طيء وغيرهم ونزل بظاهر حلب .

وتوجه كيكائوس والأفضل من تل باشر إلى منبج وسار الأشرف نحوهم وفي مقدمة العرب
فلقوا مقدمة كيكائوس فهزموها فلما عادوا إلى كيكائوس منهزمين أجفل إلى بلاده وسار
الأشرف فملك رعبان وتل باشر وأخذ من كان بها من عساكر كيكائوس وأطلقهم فلهقوا
بكيكائوس فجمعهم في دار وأحرقهم عليهم فهلكوا وسلم الأشرف ما ملكه من قلاع حلب
لشهاب الدين الخادم كافل العزيز بحلب واعتزم على إتباع كيكائوس إلى بلاده فأدركه الخبر
ب وفاة أبيه العادل فرجع إنتهى والله تعالى أعلم .

* (دخول الموصل في طاعة الأشرف وملكه سنجانر) *

قد ذكرنا في دولة بني زنكي أنَّ القاهر عز الدين مسعود صاحب الموصل توفي في ربيع سنة
خمس عشرة وستائة وولي ابنه نور الدين أرسلان شاه في كفالة مولى أبيه نور الدين لؤلؤ
مولاه ومدبر دولته وكان أخوه عماد الدين زنكي في قلعة الصغد والسوس من أعمال الموصل
بوصية أبيهما إليه بذلك وأنه بعد وفاة أخيه عز الدين طلب الأمر لنفسه وملك العمادية
وظاهره مظفر الدين كوكبري صاحب إربل على شأنه فبعث نور الدين لؤلؤ إلى الأشرف
موسى بن العادل والجزيرة كلها وخلاط وأعمالها في طاعته فأرسل إليه بالطاعة وكان على
حلب مدافعاً لكيكائوس صاحب بلاد الروم كما نذكره بعد فأجابه الأشرف بالقبول ووعدّه
النصر على أعدائه وكتب إلى مظفر الدين يقبح عليه ما وقع من نكث العهد في اليمن التي
كانت بينهم جميعاً ويأمره باعادة عماد الدين زنكي ما أخذه من بلاد الموصل والافيسير
بنفسه ويسترجعها ممن أخذها ويدعوه إلى ترك الفتنة والأشتغال معه بما هو فيه من جهاد
الإفرنج فصمم مظفر الدين عن نديته ووافقه صاحب ماردين وصاحب كيفا وآمد يجهز إلى
الأشرف عسكرياً إلى نصيبين للؤلؤ صاحب الموصل ثم جهز لؤلؤ العساكر إلى عماد الدين
فهزموه ولحق بإربل عند المظفر وجاءت الرسل من الخليفة الناصر والملك الأشرف فأصلحوا
بينهما وتحالفا ثم وثب عماد الدين زنكي إلى قلعة كواشي فملكها وبعث لؤلؤ إلى الأشرف وهو
على حلب يستنجده فعبّر الفرات إلى حران واستمال مظفر الدين ملوك الأطراف وحملهم
على طاعة كيكائوس والخطبة له وكان عدو الأشرف ومناعاً له في منبج كما نذكره وبعث
أيضاً إلى الأمراء الذين مع الأشرف واستمالهم فأجابه منهم أحمد بن علي المشطوب صاحب
القعلة مع الكامل على دمياط وعز الدين محمد بن نور الدين الحميدي وفارقوا الأشرف إلى
ديس تحت ماردين ليجتمعوا على منع الأشرف من العبور إلى الموصل ثم استمال الأشرف

صاحب كيفا وآمد وأعطاه مدينة جانين^(١) وجبل الجودي ووعد به إذا ملكها ولحق به صاحب كيفا وفارق أصحابه الملوك واقتدى به بعضهم في طاعة الأشرف والتزوع إليه فافترق ذلك الجمع وسار كل ملك إلى عمله وسار ابن المشطوب إلى إربل ومّر بنصيبين فقاتله عساكرها وهزموه وافترق جمعه ومضى منهزماً واجتاز بسنجار وبها فروخ شاه عمر بن زنكي بن مودود فبعث إليه عسكرياً فجاءوا به أسيراً وكان في طاعة الأشرف فحبس له ابن المشطوب ثم رجاه فأطلقه وسار في جماعة من المفسدين إلى البقعاء من أعمال الموصل فاكسحها وعاد إلى سنجانر ثم سار ثانياً للإغارة على أعمال الموصل فأرصد له لؤلؤ عسكرياً بتل أعفر من أعمال سنجانر فلما مرّ بهم قاتلوه وصعد إلى تل أعفر منهزماً وجاء لؤلؤ من الموصل فحاصره بها شهراً أو بعضه وملكها منتصف ربيع الآخر من سنة سبع عشرة وحبس ابن المشطوب بالموصل ثم بعث به إلى الأشرف فحبسه ببحران إلى أن توفي في ربيع الآخر من سنة سبعة عشر ولما افترق جمع الملوك سار الأشرف من حران محاصراً لماردين ثم صالحه على أن يرّد عليه رأس عين وكان الأشرف أقطعه له وعلى أن يأخذ منه ثلاثين ألف دينار وعلى أن يعطي صاحب كيفا وآمد قلعة المور من بلده ورجع الأشرف من ديبس إلى نصيبين يريد الموصل وكان عمر صاحب سنجانر لما أخذ منه لؤلؤ تل أعفر تحاذل عنه أصحابه وساءت ظنونه بنفسه لما ساء فعله في أخيه وفي غيره فاعترّم على الإلقاء باليد للأشرف وتسليم سنجانر له والإعتياض عنها بالركة وبعث رسله إليه بذلك فلحقوه في طريقه من ديبس إلى نصيبين فأجاب إلى ذلك وسلم إليه الرقة وسلم سنجانر في مستهلّ جمادى الأولى سنة سبعة عشر وفارقها عمر فروخ شاه وإخوته بأهلهم وأموالهم وسار الأشرف من سنجانر إلى الموصل فوصلها تاسع عشر جمادى الأولى من السنة وجاءته رسل الخليفة ومظفر الدين في الصلح وردّ ما أخذه عماد الدين من قلاع الموصل إلى لؤلؤ ما عدا العمادية وطال الحديث في ذلك ورحل الأشرف يريد إربل ثم شفع عنده صاحب كيفا وغيره من بطانته وأنهوا إليه العساكر فأجاب إلى هذا الصلح وفسح لهم في تسليم القلاع إلى مدّة ضربوها وسار عماد الدين مع الأشرف حتى يتمّ تسليم الباقي ورحل الأشرف عن الموصل ثاني رمضان وبعث لؤلؤ نوابه إلى القلاع فامتنع جندها من تسليمها إليهم وإنقضى الأجل واستمال عماد الدين زنكي شهاب الدين غازي أخوا الأشرف فاستعطف له أخاه فأطلقه وردّ عليه قلعة العقروسوس وسلم لؤلؤ قلعة تل أعفر كما كانت من أعمال سنجانر والله تعالى أعلم .

(١) هي جنين .

* (ارتجاع دمياط من يد الإفرنج) *

ولما ملك الإفرنج دمياط أقبلوا على تحصينها ورجع الكامل إلى مصر وعسكر بأطراف الديار المصرية مسلحة عليها منهم وبنى المنصورة بعد المتزلة وأقام كذلك سنين وبلغ الإفرنج وراء البحر فتحها واستيلاء اخوانهم عليها فلهجوا بذلك وتوالت امدادهم في كل وقت إليها والكامل مقيم بمكانه وتواترت الأخبار بظهور التتر ووصولهم إلى أذربيجان وأران وأصبح المسلمون بمصر والشام على تحوف من سائر جهاتهم واستنجد الكامل بأخيه المعظم صاحب دمشق وأخيه الأشرف صاحب الجزيرة وأرمينية وسار المعظم إلى الأشرف يستحثه للوصول فوجده في شغل بالفتنة التي ذكرناها فعاد عنه إلى أن انقضت تلك الفتنة ثم تقدم الإفرنج من دمياط بعساكرهم إلى جهة مصر وأعاد الكامل خطابه إليهما سنة ثمان عشرة يستنجدهما وسار المعظم إلى الأشرف يستحثه فجاء معه إلى دمشق وسار منها إلى مصر ومعه عساكر حلب والناصر صاحب حماة وشيركوه صاحب حمص والأبجد صاحب بعلبك فوجدوا الكامل على بحر أشمون وقد سار الإفرنج من دمياط يجمعهم ونزلوا قبالة بعدوة النيل وهم يرمون على معسكره بالمجانيق والناس قد أشفقوا من الإفرنج على الديار المصرية فسار الكامل وبقي أخوه الأشرف بمصر وجاء المعظم بعد الأشرف وقصد دمياط يسابق الإفرنج ونزل الكامل والأشرف وظفرت شواني المسلمين بثلاث قطع من شواني الإفرنج فغنموها بما فيها ثم ترددت الرسل بينهم في تسليم دمياط على أن يأخذوا القدس وعسقلان وطبرية وصيدا وجبله واللاذقية وجميع ما فتحه صلاح الدين غير الكرك فاشتطوا واشتروطوا إعادة الكرك والشويك وزيادة ثلثمائة ألف دينار لرّم أسوار القدس التي خربها المعظم والكامل فرجع المسلمون إلى قتالهم وافتقد الإفرنج الأقوات لأنهم لم يحملوها من دمياط ظنا بأنهم غالبون على السواد وميرته بأيديهم فبدا لهم ما لم يحتسبوا ثم فجر المسلمون النيل إلى العدو التي كانوا عليها فركبها الماء ولم يبق لهم الا مسلك ضيق ونصب الكامل الجسور عند اشمون فعبرت العساكر عليها وملكوا ذلك المسلك وحالوا بين الإفرنج وبين دمياط ووصل إليهم مركب مشحون بالمدد من الميرة والسلاح ومعه حراقات فخرجت عليها شواني المسلمين وهي في تلك الحال فغنموها بما فيها واشتدّ الحال عليهم في معسكرهم وأحاطت بهم عساكر المسلمين وهم في تلك الحال يقاتلونهم ويتخطفونهم من كل جانب فأحرقوا خيامهم ومجانيقهم وأرادوا الاستماتة في العود فرأوا ما حال بينهم وبينها من الرجل فاستأنموا إلى الكامل والأشرف

على تسليم دمياط من غير عوض وبيناهم في ذلك وصل المعظم صاحب دمشق من جهة دمياط كما مرّ فازدادوا وهناً وخذلاناً وسلموا دمياط منتصف سنة ثمان عشرة وأعطوا عشرين ملكاً منهم رهناً عليها وأرسلوا الأقبسة والرهبان منهم إلى دمياط فسلموها للمسلمين وكان يوماً مشهوداً ووصلهم بعد تسليمها مدد من وراء البحر فلم يغن عنهم ودخلها المسلمون وقد حصنها الإفرنج فأصبحت من أمنع حصون الإسلام والله تعالى أعلم .

* (وفاة الأوحّد نجم الدين بن العادل صاحب خلاط وولاية أخيه الظاهر غازي عليها) *

قد تقدّم لنا أنّ الأوحّد نجم الدين بن العادل ملك ميافارقين وبعدها خلاط وأرمينية سنة ثلاث وستائة ثم توفي سنة سبع فأقطع العادل ما كان بيده من الأعمال لأخيه الأشرف ثم أقطع العادل ابنه الظاهر غازي سنة عشرة سروج والرها وما إليها ولما توفي العادل واستقلّ ولده الأشرف بالبلاد الشرقية عقد لأخيه غازي على خلاط وميافارقين مضافاً إلى ولايته من أبيه العادل وهو سروج والرها وجعله وليّ عهده لأنّه كان عاقراً لا يولد له وأقام على ذلك إلى أن انتقض على الأشرف عندما حدثت الفتنة بين بني العادل فانترع أكثر الأعمال منه كما نذكره إن شاء الله تعالى .

* (فتنة المعظم مع أخويه الكامل والأشرف وما دعت إليه من الأحوال) *

كان بنو العادل الكامل والأشرف والمعظم لما توفي أبوهم قد اشتغل كل واحد منهم بأعماله التي عهد له أبوه وكان الأشرف والمعظم يرجعان إلى الكامل وفي طاعته ثم تغلب المعظم عيسى على صاحب حماة الناصر بن المنصور بن المظفر وزحف سنة تسع عشرة إلى حماة فحاصرها وامتنعت عليه فسار إلى سلمية والمعرة من أعمالها فملكها وبعث إليه الكامل صاحب مصر بالنكير والإفراج عن البلد فامتلأ وأضغن ذلك عليه وأقطع الكامل سلمية لتزيله المظفر بن المنصور أخي صاحب حماة وكشف المعظم قناعه في فتنة أخويه الكامل والأشرف وأرسل إلى ملوك الشرق يدعوهم إلى المظاهرة عليهما وكان جلال الدين منكبري بن علاء الدين خوارزم شاه قد رجع من الهند بعد ما غلبه التتر على خوارزم وخراسان وغزنة

وعراق العجم وجاز إلى الهند ثم رجع سنة إحدى وعشرين وستائة فاستولى على فارس وغزنة وعراق العجم وأذربيجان ونزل توريز وجاور بني أيوب في أعماهم فراسله المعظم صاحب دمشق وصالحه واستنجده على أخويه فأجابه ودعا المعظم الظاهر أخا الأشرف وعامله على خلاط والمظفر كوكبري صاحب إربل إلى ذلك فأجابوه كلهم وانتفض الظاهر غازي على أخيه الأشرف في خلاط وأرمينية وأظهر عصيانه في ولايته التي بيده فسار إليه الأشرف سنة إحدى وعشرين وغلبه على خلاط فملكها وولّى عليها حسام الدين أبا علي الموصلي كان أصله من الموصل واستخدم للأشرف وترقى في خدمته إلى أن ولاه خلاط وعفا الأشرف عن أخيه الظاهر غازي وأقره على ميافارقين وسار المظفر صاحب إربل ولؤلؤ صاحبها في طاعة الأشرف فحاصرها وامتنعت عليه ورجع عنها وسار المعظم بنفسه من دمشق إلى حمص وصاحبها شيركوه بن محمد بن شيركوه في طاعة الكامل فحاصرها وامتنعت عليه ورجع إلى دمشق ثم سار الأشرف إلى المعظم طالباً للصلح فأمسكه عنده على أن ينحرف عن طاعة الكامل وإنطلق إلى بلده فاستمر على شأنه ثم زحف جلال الدين صاحب أذربيجان سنة أربع وعشرين إلى خلاط فحاصرها مرة بعد مرة وأفرج عنها فسار حسام الدين نائبها إلى بلاد جلال الدين وملك حصونها واضطرب الحال بينهم وخشى الكامل مغبة الأمر مع المعظم بمآلاته لجلال الدين والخوارزمية فاستنجد هو بالإفرنج وكتب الإمبراطور ملكهم من وراء البحر يستحثه للقدوم على عكا في صريخه على أن ينزل له عن القدس وبلغ ذلك إلى المعظم فخشي العواقب وأقصر عن فتنه وكتب إليه يستعطفه والله تعالى أعلم .

* (وفاة المعظم صاحب دمشق وولاية ابنه الناصر ثم استيلاء الأشرف عليها واعتياض الناصر بالكرك) *

ثم توفي المعظم بن العادل صاحب دمشق سنة أربع وعشرين وولي مكانه ابنه داود ولقب بالناصر وقام بتدبير ملكه عز الدين أتابك خادماً أبيه وجرى على سنن المعظم أولاً في طاعة الكامل والخطبة له ثم انتفض سنة خمس وعشرين عندما طالبه الكامل بالتزول له عن حصن الشوليك فامتنع وانتفض وسار الكامل إليه في العساكر فأنتهى إلى غزة وانتزع القدس ونابلس من أيديهم وولّى عليها من قبله واستنجد الناصر عمه الأشرف فجاءه إلى دمشق وخرج منها إلى نابلس ثم تقدّم منها إلى الكامل ليصلح أمر الناصر معه فدعاه الكامل إلى إنتراع دمشق من الناصر له وأقطعها إياها فلم يحب الناصر إلى ذلك وعاد إلى دمشق فحاصره

الأشرف ثم صالح الكامل ملك الإفرنج ليفرغ لأمر دمشق عن الشواغل وأمكنهم من القدس على أن يخرب سورها فاستولوا عليها كذلك وزحف الكامل الى دمشق سنة ست وعشرين فحاصرها مع الأشرف وخاف الحصار بالناصر فترل لها عنها على أن يستقل بالكرك والشويك والبلقاء^(١) فسلموا له في ذلك وسار إليها واستولى الأشرف على دمشق ونزل للكامل عن أعماله وهي حران والرها وما إليها وبمكانها من حصار دمشق ووصل الخبر إلى الكامل بوفاة ابنه المسعود صاحب اليمن وقد مرّ خبره والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده .

* (استيلاء المظفر بن المنصور على حماة من يد أخيه الناصر) *

ولما ملك الكامل دمشق شرع في إيجاد نزيهه المظفر محمود بن المنصور صاحب حماة وبها أخوه الناصر وقد كاتبه بعض أهل البلد يستدعونه لملكها فجهزه بالعاكر وسار إليها فحاصرها ودس لمن كاتبه من أهلها فأجابوه وواعدوه ليلا فطرقها وتسورها وملكها وكتب إليه الكامل أن يقطع الناصر قلعة ماردين فأقطعه إياها وانتزع الكامل منه سلمية وأقطعها لصاحب حمص شيركوه بن محمد بن شيركوه واستقل المظفر محمود بملك حماة وفوض أمور دولته إلى حسام الدين علي بن أبي علي الهدباني فقام بها ثم استوحش منه فلحق بأبيه نجم الدين أيوب ولم ترل ماردين بيد الناصر أخي المظفر إلى سنة ثلاثين فهمّ الناصر بأن يملكها للإفرنج وشكا المظفر بذلك للكامل فأمره بانتزاعها منه ثم اعتقله الكامل إلى أن هلك سنة خمس وثلاثين إنتهى والله أعلم .

* (استيلاء الأشرف على بعلبك من يد الأجداد وإقطاعها لأخيه إسماعيل بن العادل) *

كان السلطان صلاح الدين قد أقطع الأجداد بهرام شاه بن فرخنشاہ أخي تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب قلعة بعلبك وكانت بصرى لخضر ثم صارت بعد وفاة العادل لابنه الأشرف وعليها أخوه إسماعيل بن العادل فجهزه سنة ست وعشرين إلى بعلبك وحاصرها بها

(١) بياض بالأصل : وفي الكامل ١٢ ص ٤٨٣ : وبذل له تسليم دمشق على أن يبقى عليه الكرك وقلعة الشويك والغور ونابلس وملك الأعمال .

الأبجد حتى تسلمها منه على إقطاع أقطعه إياه إسماعيل إلى دمشق فترها إلى أن قتلته مواله
والله سبحانه وتعالى أعلم .

فتنة جلال الدين خوارزم شاه مع الأشرف واستيلائه على خلاط

قد كنا قدّمنا أن جلال الدين خوارزم شاه ملك أذربيجان وجاور أعمال بني أيوب وكان
الأشرف قد ولى على خلاط لما انتزعها من يد أخيه غازي سنة اثنتين وعشرين حسام
الدين أبا علي الموصلي ثم صالح المعظم جلال الدين خوارزم شاه ودعاه إلى الفتنة مع أخويه
كما قدّمناه فزحف جلال الدين خوارزم شاه إلى خلاط وحاصرها مرتين ورجع عنها فسار
حسام الدين إلى بلده وملك بعض حصونه وداخل زوجته التي كانت زوجة أربك بن
الهلوان وكانت مقيمة بخوي وهجرها جلال الدين وقطع عنها ما كانت تعتاده من التحكم
في الدولة مع زوجها قبله فندست إلى حسام الدين نائب خلاط واستدعته هي وأهل خوي
ليملكوه البلاد فسار وملك خوي وما فيها من الحصون ومدينة قزندك وكتبه أهل بقجوان وملكوه
بلدهم وعاد إلى خلاط ونقل معه زوجة جلال الدين وهي بنت السلطان طغرل فامتعض
جلال الدين لذلك ثم إرتاب الأشرف بحسام الدين نائب خلاط وأرسل أكبر أمراءه عز
الدين أبيك فقبض على حسام الدين وكان عدواً له وقتله غيلة وهرب موله فلحق بجلال
الدين ثم زحف جلال الدين في شوال سنة ست وعشرين إلى خلاط فحاصرها ونصب
عليها المحانيق وقطع عنها الميرة مدّة ثمانية أشهر ثم ألحّ عليها بالقتال وملكها عنوة آخر جمادى
الاولى من سنة سبع وعشرين وامتنع أبيك وحاميته بالقلعة واستاتوا واستباح جلال الدين
مدينة خلاط وعاث فيها بما لم يسمع بمثله ثم تغلب على القلعة وأسر أبيك نائب خلاط
فدفعه إلى مولى حسام الدين نائبها قبله فقتله بيده والله تعالى أعلم .

مسير الكامل في إنجاد الأشرف وهزيمة جلال الدين أمام الأشرف

ولما استولى جلال الدين على خلاط سار الأشرف من دمشق إلى أخيه الكامل بمصر
يستنجد به فسار معه وولى على مصر ابنه العادل ولقيه في طريقه صاحب الكرك الناصر بن

المعظم وصاحب حماة المظفر بن المنصور وسائر بني أيوب وانتهى إلى سلمية وكلهم في طاعته ثم سار إلى آمد فملكها من يد مسعود بن محمد بن الصالح بن محمد بن قرا أرسلان بن سقمان بن أرتق وكان صلاح الدين أقطعه إياها عندما ملكها من ابن نعثان فلما نزل إليه إعتقله وملك آمد ثم إنطلق بعد وفاة الكامل من الإعتقال ولحق بالترثم استولى الكامل على البلاد الشرقية التي نزل له عنها الأشرف عوضاً عن دمشق وهي حران والرها وما إليها ولما تسلمها ولي عليها ابنه الصالح نجم الدين أيوب وكان جلال الدين لما ملك خلاط حضر معه صاحب أرزن الروم فاعتمت لذلك علاء الدين كيقيباد ملك بلاد الروم لما بينه وبين صاحب أرزن من العداوة والقراية وخشيها على ملكه فبعث إلى الكامل والأشرف بحران يستنجدهما ويستحث الأشرف للوصول فجمع عساكر الجزيرة والشام وسار إلى علاء الدين فاجتمع معه بسيواس وسار نحو خلاط وسار جلال الدين للقائهما والتقوا بأعمال أرزنكان وتقدم عسكر حلب للقتال ومقدمهم عز الدين عمر بن علي الهكاري من أعظم الشجعان فلم يثبت لهم مصاف جلال الدين وإنهزم إلى خلاط فأخرج حاميته منها ولحق بأذرييجان ووقف الأشرف على خلاط وهي خاوية وكان صاحب أرزن الروم مع جلال الدين فجيء به أسيراً إلى ابن عمه علاء الدين صاحب بلاد الروم فسار به إلى أرزن وسلمها له وما يتبعها من القلاع ثم ترددت الرسل بينهم وبين جلال الدين في الصلح فاصطلحوا كل على ما بيده وتحالفوا وعاد الأشرف إلى سنجار وسار أخوه غازي صاحب ميافارقين فحاصر مدينة أرزن من ديار بكر وكان حاضراً مع الأشرف في هذه الحروب وأسره جلال الدين ثم أطلقه بعد أن أخذ عليه العهد في طاعته فسار إليه شهاب الدين غازي وحاصره بملك منه أرزن صلحاً وأعطاه عنها مدينة جاني من ديار بكر وكان اسمه حسام الدين وكان من بيت عريق في الملك يعرفون ببني الأحذب أقطعها لهم السلطان ملك شاه والله تعالى أعلم .

* (استيلاء العزيز صاحب حلب على شيزر ثم وفاته وولاية ابنه

الناصر بعده) *

كان سابق الدين عثمان ابن الداية من أمراء الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي واعتقله ابنه الصالح إسماعيل ففكر عليه صلاح الدين ذلك وسار ببنيه إلى دمشق فملكها وأقطع سابق الدين شيزر فلم تزل له ولبنيه إلى أن استقرت لشهاب الدين يوسف بن مسعود بن سابق الدين فسار إليه صاحب حلب محمد بن العزيز بن الغازي الظاهر بأمر الكامل سنة ثلاثين

وستائة وملكها من يده ثم هلك سنة أربع وثلاثين وملك في حلب مكانه ابنه الناصر يوسف في كفالة جدته لأبيه صفية خاتون بنت العادل واستولى على الدولة شمس الدين لؤلؤ الأرمني وعز الدين المجلي وإقبال الخاتوني وكلهم في تصرفها والله تعالى ينصر من يشاء من عباده .

* (فتنة كيقباد صاحب بلاد الروم واستيلائه على خلاط) *

كان كيقباد بن كيكافس صاحب بلاد الروم قد استفحل ملكه بها ومدّيه إلى ما يحاورها من البلاد فلما خلاط بعد أن دفع عنها مع الأشرف جلال الدين شاه كما قدّمناه ونازعه الأشرف في ذلك واستنجد بأخيه الكامل فسار بالعساكر من مصر سنة إحدى وثلاثين وسار معه الملوك من أهل بيته وإنتهى إلى النهر الأزرق من تخوم الروم وبعث في مقدمته المظفر صاحب حماة من أهل بيته فلقية كيقباد وهزمه وحصره في خرت برت وتخاذل عن الحرب ثم استأمن المظفر صاحب حماة إلى كيقباد فأمنه وملك خرت برت وكان لبني أرتق ورجع الكامل بالعساكر إلى مصر سنة اثنتين وثلاثين وكيقباد في أتباعهم ثم سار إلى حران والرها فلحقها من يد نواب الكامل وولّى عليها من قبله وسار الكامل سنة ثلاث وثلاثين والله أعلم .

* (وفاة الأشرف بن العادل واستيلاء الكامل على مملكة) *

كان الأشرف سنة أربع وثلاثين قد استوحش من أخيه الكامل ونقض طاعته وماله على ذلك أهل حلب وكنجسر وصاحب بلاد الروم وجميع ملوك الشام من قرابتهما غير الناصر بن المعظم صاحب الكرك فإنه أقام على طاعة الكامل وسار إليه بمصر فتلقيه بالبرّة والتكرمة ثم هلك الأشرف خلال ذلك سنة خمس وثلاثين وعهد بملك دمشق لأخيه الصالح إسماعيل صاحب بصرى فسار إليها وملكها وبقي الملوك في وفاقه على الكامل كما كانوا على عهد الأشرف إلا المظفر صاحب حماة فإنه عدل عنهم إلى الكامل وسار الكامل إلى دمشق فحاصرها وضيق عليها حتى تسلمها صلحاً من الصالح وعوّضه عنها بعلبك واستولى على سائر أعمال الأشرف ودخل سائر بني أيوب في طاعته والله أعلم .

* (وفاة الكامل وولاية ابنه العادل بمصر واستيلاء ابنه الآخر نجم الدين أيوب على دمشق) *

ثم توفي الكامل بن العادل صاحب دمشق ومصر والجزيرة سنة خمس وثلاثين بدمشق لسته أشهر من وفاة أخيه الأشرف فانفض الملك راجعين كل إلى بلاده المظفر إلى حماة والناصر إلى الكرك وبويع بمصر ابنه العادل أبو بكر فنصب العساكر بدمشق الجواد يونس ابن عمه مودود بن العادل نائباً عنه وسار الناصر داود إلى دمشق ليملكها فبرز إليه الجواد يونس وهزمه وتمكن في ملك دمشق وخلع طاعة العادل بن الكامل وراسل الصالح أيوب في أن يملكه دمشق وينزل له الصالح عن البلاد الشرقية التي ولاه أبوه عليها فسار الصالح لذلك سنة ست وثلاثين وملك دمشق وسار يونس إلى البلاد الشرقية فاستولى عليها ولم تزل بيده إلى أن رحف إليه لؤلؤ صاحب الموصل وغلبه عليها واستقرت دمشق في يد الصالح ولما أخذ لؤلؤ البلاد من يونس الجواد سار عن القفر إلى غزة فنعه الصالح من الدخول إليها فدخل إلى الإفرنج بعكا وباعوه من الصالح إسماعيل صاحب دمشق فاعتقله وقتله إنتهى والله أعلم .

* (أخبار الخوارزمية) *

ثم زحف التتر إلى أذربيجان واستولوا على جلال الدين وقتلوه سنة ثمان وعشرين وانفض أصحابه وذهبوا في كل ناحية وسار جمهورهم إلى بلاد الروم فترلوا على علاء الدين كيقباد ملكها حتى إذا مات وملك ابنه كنجسرو ارتاب بهم وقبض على أمرائهم وانفض الباقيون عنه وعاثوا في الجهات فاستأذن الصالح أيوب صاحب سنجان وما إليها أباه الكامل صاحب مصر في استخدامهم ليحسم عن البلاد ضررهم فاجتمعوا عنده وأفاض فيهم الأرزاق ولما توفي الكامل سنة خمس وثلاثين انتقضوا عن الصلح وخرجوا فاكسحوا النواحي وسار لؤلؤ إلى سنجان فحاصر الصالح فبعث الصالح الخوارزمية فاستألمهم وأقطعهم حران والرها ولقي بهم لؤلؤاً فهزمه وغنم معسكره والله تعالى أعلم .

* (مسير الصالح إلى مصر واعتقال الناصر له بالكرك) *

لما ملك العادل بمصر بعد أبيه اضطرب عليه أهل الدولة وبلغهم استيلاء أخيه الصالح على

دمشق فاستدعوه ليملكوه فبعث عن عمه الصالح إسماعيل من بعلبك ليسير معه فاعتذر عن الوصول وسار الصالح أيوب وولى على دمشق ابنه المغيث فتح الدين عمر واما فصل عن دمشق خالفه إليها عمه الصالح إسماعيل فللكها ومعه شريكوه صاحب حمص وقبض على المغيث فتح الدين بن الصالح أيوب وبلغ الخبر إليه وهو بنابلس فانقضت عنه العساكر ودخل نابلس وجاءه الناصر داود من الكرك فقبض عليه واعتقله وبعث فيه أخوه العادل فامتنع من تسليمه إليه ثم قصد داود القدس فللكها من يد الإفرنج وخرّب القلعة والله تعالى وليّ التوفيق .

* (وفاة شريكوه صاحب مصر وولاية ابنه إبراهيم المنصور) *

ثم توفي المجاهد شريكوه بن محمد بن شريكوه صاحب حمص سنة ست وثلاثين وكانت ولايته أول المائة السابعة وولى من بعده ابنه إبراهيم ويلقب بالمنصور والله أعلم .

خلع العادل واعتقاله واستيلاء أخيه الصالح أيوب على مصر

ولما رجع الناصر داود من فتح القدس أطلق الصالح نجم الدين أيوب من الإعتقال فاجتمعت إليه موالیه واتصل اضطراب أهل الدولة بمصر على أخيه العادل فكاتبوا الصالح واستدعوه ليملكوه فسار معه الناصر داود وانتهى إلى غزة وبرز العادل إلى بليس وكتب إلى عمه الصالح بدمشق يستنجده على أخيه أيوب فسار من دمشق وانتهى إلى الغور ثم وثب بالعادل في معسكره موالیه ومقدمهم أيبك الأسمر وقبضوا عليه وبعثوا إلى الملك الصالح فجاء ومعه الناصر داود صاحب الكرك فدخل القلعة سنة سبع وثلاثين واستقر في ملكه وارتاب منه الناصر داود فلحق بالكرك واستوحش من الأمراء الذين وثبوا بأخيه فاعتقلهم وفهم أيبك الأسمر وذلك سنة ثمان وثلاثين وحبس أخاه العادل إلى أن هلك في حبسه سنة خمس وأربعين ثم اختط قلعة بين سعي النيل أزاء المقياس واتخذها مسكناً وأنزل بها حامية من موالیه فكانوا يعرفون بالبحرية آخر أيامهم إنتهى والله أعلم .

* (فتنة الخوارزمية) *

ثم كثر عيث الخوارزمية بالبلاد المشرقية وعبروا الفرات وقصدوا حلب فبرزت إليهم

عساكرها مع المعظم تورا نشاه بن صلاح الدين فهزموه وأسروه وقتلوا الصالح بن الأفضل صاحب سميساط وكان في جملته وملكوا منبج عنوة ورجعوا ثم ساروا من حران وعبروا من ناحية الرقة وعاثوا في البلاد وجمع أهل حلب العساكر وأمدّهم الصالح إسماعيل من دمشق بعسكر مع المنصور إبراهيم صاحب حمص وقصدوا الخوارزمية فانقلبوا إلى حران ثم تواقعوا مع العساكر فانهزموا واستولى عسكر حلب على حران والرها وسروج والرقة ورأس عين وما إليها وخلص المعظم تورانشاه فبعث به لؤلؤ صاحب الموصل إلى عسكر حلب ثم سار عسكر حلب إلى آمد وحاصروا المعظم تورانشاه وغلبوه على آمد وأقام بحصن كيفا إلى أن هلك أبوه بمصر واستدعى هو لملكها فسار لذلك وولي ابنه الموحد عبد الله بكيفا إلى أن غلب التتر على بلاد الشام ثم سار الخوارزمية سنة أربعين مع المظفر غازي صاحب ميافارقين من أقتال صاحب حلب ومعهم المنصور إبراهيم صاحب حمص فانهزموا وغنمت العساكر سوادهم والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (أخبار حلب) *

قد كان تقدّم لنا ولاية الظاهر غازي على حلب بعد وفاة أبيه ثم توفي سنة أربع وثلاثين ونصب أهل الدولة ابنه الناصر يوسف في كفالة جدّته أم العزيز صفية خاتون بنت العادل ولؤلؤ الأرميني وإقبال الخاتوني وعز الدين بن مجلي قائمون بالدولة في تصريفها وما زالت تجهز العساكر لدفاع الخوارزمية وتفتح البلاد إلى أن توفيت سنة أربعين واستقل الناصر بتدبير ملكه وصرف النظر في أموره لجمال الدين إقبال الخاتوني والله أعلم .

* (فتنة الصالح أيوب مع عمه الصالح إسماعيل على دمشق واستيلاء أيوب آخرها عليها) *

قد كان تقدّم لنا أنّ الصالح إسماعيل بن العادل خالف الصالح أيوب على دمشق عند مسيره إلى مصر فلما كان دمشق سنة ست وثلاثين وكان بعد ذلك إعتقال الصالح بالكرك ثم استيلائه على مصر سنة سبع وثلاثين وبقيت الفتنة متصلة بينهما وطلب الصالح إسماعيل صاحب دمشق من الإفرنج المظاهرة على أيوب صاحب مصر على أن يعطيهم حصن الشقيف وصفد فأمضى ذلك ونكره مشيخة العلماء بعصره وخرج من دمشق عز الدين بن عبد السلام

الشافعي ولحق بمصر فولاه الصالح خطة القضاء بها ثم خرج بعده جمال الدين ابن الحاجب المالكي إلى الكرك ولحق بالإسكندرية فمات بها ثم تداعى ملوك الشام لفتنة الصالح أيوب واتفق عليها إسماعيل الصالح صاحب دمشق والناصر يوسف صاحب حلب وجدته صفية خاتون وإبراهيم المنصور بن شيركوه صاحب حمص وخالفهم المظفر صاحب حماة وجنح إلى ولاية نجم الدين أيوب وأقام حالهم في الفتنة على ذلك ثم جنحوا إلى الصلح على أن يطلق صاحب دمشق فتح الدين عمر بن نجم الدين أيوب الذي إعتقله بدمشق فلم يجب إلى ذلك واستجدت الفتنة وسار الناصر داود صاحب الكرك مع إسماعيل الصالح صاحب دمشق واستظهروا بالإفرنج وأعطاهم إسماعيل القدس على ذلك واستنجد بالخوارزمية أيضاً فأجابوه واجتمعوا بغزة وبعث نجم الدين العساكر مع مولاة بيبرس وكانت له ذمة باعتقاله معه فتلاقوا مع الخوارزمية وجاءت عساكر مصر مع المنصور إبراهيم بن شيركوه ولاقوا الإفرنج من عكا فكان المظفر لعساكر مصر والخوارزمية واتبعوهم إلى دمشق وحاصروا بها الصالح إسماعيل إلى أن جهده الحصار وسأل في الصلح على أن يعوض عن دمشق ببلبك وبصري والسواد فأجابه أيوب إلى ذلك وخرج إسماعيل من دمشق إلى بلبك سنة ثمان وأربعين وبعث نجم الدين إلى حسام الدين علي بن أبي علي الهدباني وكان معتقلاً عند إسماعيل بدمشق فشرط نجم الدين إطلاقه في الصلح الأول فأطلقه وبعث إليه بالنيابة عنه بدمشق فقام بها وإنصرف إبراهيم المنصور إلى حمص وانتزع صاحب حماة منه سلمية فلحقها واشتط الخوارزمية على الهدباني في دمشق في الولايات والإقطاعات وامتعضوا لذلك فسار بهم الصالح إسماعيل إلى دمشق موصلًا الكرة ومعه الناصر صاحب الكرك فقام الهدباني في دفاعهم أحسن قيام وبعث نجم الدين من مصر إلى يوسف الناصر يستنجد به على دفع الخوارزمية عن دمشق فسار في عساكره ومعه إبراهيم بن شيركوه صاحب حمص فهزموا الخوارزمية على دمشق سنة أربع وأربعين وقتل مقدمهم حسام الدين بركت خان وذهب بقيتهم مع مقدمهم الآخر كشلوخان فلحقوا بالتر واندرجوا في جملتهم وذهب أثرهم من الشام واستجار إسماعيل الصالح وكان معهم بالناصر صاحب حلب فأجاره من نجم الدين أيوب وسار حسام الدين الهدباني بعساكر دمشق إلى بلبك وتسلمها بالأمان وبعث بأولاد إسماعيل ووزيره ناصر الدين يغمور إلى نجم الدين أيوب فاعتقلهم بمصر وسارت عساكر الناصر يوسف صاحب حلب إلى الجزيرة فتواقعوا مع لؤلؤ صاحب الموصل فانهزم لؤلؤ وملك الناصر نصيبين ودارا وقرقيسياً وعاد عسكره إلى حلب والله تعالى أعلم .

* (مسير الصالح أيوب إلى دمشق أولاً وثانياً وحصار حمص وما كان مع ذلك من الأحداث) *

ثم بعث الصالح عن حسام الدين الهدباني من دمشق وولى مكانه عليها جمال الدين بن مطروح ثم سار إلى دمشق سنة خمس وأربعين واستخلف الهدباني على مصر ولما وصل إلى دمشق جهز فخر الدين بن الشيخ بالعساكر إلى عسقلان وطبرية فحاصرها مدة وفتحها من يد الإفرنج ووفد على الصالح بدمشق المنصور صاحب حماة وكان أبوه المظفر توفي سنة ثلاث وأربعين وولى المنصور ابنه هذا واسمه محمد ووفد أيضاً الأشرف موسى صاحب حمص وقد كان أبوه إبراهيم المنصور توفي سنة أربع وأربعين قبلها بدمشق وهو ذاهب إلى مصر وافداً على الصالح أيوب وأقام بجمص ابنه مظفر الدين موسى ولقب الأشرف وجاءت عساكر حلب سنة ست وأربعين مع لؤلؤ الأرمني وحصروا مصر شهرين وملكوها من يد موسى الأشرف وأغاضوه عنها تل باشر من قلاع حلب مضافة إلى الرحبة وتدمر وكانت بيده مع حمص وغضب لذلك الصالح فسار من مصر إلى دمشق وجهز العساكر إلى حصار حمص مع حسام الدين الهدباني وفخر الدين بن الشيخ فحاصروا مصر مدة وجاء رسول الخليفة المستعصم إلى الصالح أيوب شافعاً فأفرج العساكر عنها وولى على دمشق جمال الدين يغمور وعزل ابن مطروح والله تعالى أعلم .

* (استيلاء الإفرنج على دمياط) *

كانت إفرنسة أمة عظيمة من الإفرنج والظاهر أنهم أصل الإفرنج وأن إفرنسة هي إفرنجة إنقلب السيز بها جيماً عندما عربتها العرب وكان ملكها من أعظم ملوكهم لذلك العصر ويسمونه ريّ الإفرنس^(١) ومعنى ريّ لغتهم ملك إفرنس فاعتزم هذا الملك على سواحل الشام وسار لذلك كما سار من قبله من ملوكهم وكان ملكه قد استفحل فركب البحر إلى قبرس في خمسين ألف مقاتل وشتى بها ثم عبر ستة سبع وأربعين إلى دمياط وبها بنو كنانة أنزلهم الصالح بها حامية فلما رأوا ما لا قبل لهم به أجفلوا عنها فملكها ريّ إفرنس وبلغ الخبر إلى الصالح وهو بدمشق وعساكره نازلة بجمص فكرر راجعاً إلى مصر وقدم فخر الدين بن

(١) كذا بالأصل : وأظنه يقصد بذلك ملك الفرنسيس واسمه بالفرنسية روادى فرانس .

الشيخ أتابك عساكره ووصل بعده فترل المنصورة وقد أصابه بالطريق وعك واشتدّ عليه والله تعالى أعلم .

* (استيلاء الصالح على الكرك) *

كان بين الصالح أيوب وبين الناصر داود ابن عمه المعظم من العداوة ما تقدّم وقد ذكرنا إعتقال الناصر له بالكرك فلما ملك الصالح دمشق بعث العساكر مع أتابكه فخر الدين يوسف ابن الشيخ لحصار الكرك وكان أخوه العادل إعتقله وأطلقه الصالح وألزمه بيته ثم جهزه لحصار الكرك فصار إليها سنة أربع وأربعين وحاصرها وملك سائر أعمالها وخرب نواحيها وسار الناصر من الكرك إلى الناصر يوسف صاحب حلب مستجيراً به بعد أن بعث بذخيره إلى المستعصم وكتب له خطه بوصفها وكان قد استخلف على الكرك عندما سار إلى حلب ابنه الأصغر عيسى ولقبه المعظم فغضب أخواه الأكبران الأجد حسن والظاهر شادي فقبضا على أخيها عيسى ووفدا على الصالح سنة ست وأربعين وهو بالمنصورة قبالة الإفرنج فلك الكرك والشويك منها وولى عليهما بدر الصواري وأقطعها بالديار المصرية والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (وفاة الصالح أيوب صاحب مصر والشام وسيد ملوك الترك بمصر وولاية ابنه تورانشاه وهزيمة الإفرنج وأسر ملكهم) *

ثم توفي الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل سنة سبع وأربعين بمكانه من المنصورة قبالة الإفرنج وخشي أهل الدولة من الإفرنج فكتبوا موته وقامت أمّ ولده شجرة الدرّ بالأمر وجمعت الأمراء وسيروا بالخبر إلى حسام الدين الهدباني بمصر فجمع الأمراء وقوى جاشهم واستحلفهم وأرسل الأتابك فخر الدين بن الشيخ بالخبر إلى المعظم تورانشاه بن الصالح واستدعاه من مكان إمارته بحصن كيفا ثم إنتشر خبر الوفاة وبلغ الإفرنج فشرها إلى قتال المسلمين ودلفوا إلى المعسكر فانكشف المسلمون وقتلوا الأتابك فخر الدين ثم أتاح الله الكرة للمسلمين وإنهزم الإفرنج ووصل المعظم تورانشاه من مكانه بحصن كيفا لثلاثة أشهر أو تزيد فبايعه المسلمون واجتمعوا عليه واشتدوا في قتال الإفرنج وغلبت أساطيلهم أساطيل العدو وسأل الإفرنج في الإفراج عن دمياط على أن يعاضوا بالقدس فلم يجهم المسلمون إلى ذلك

وسارت سرايا المسلمين من حولهم وفيما بين معسكرهم وبين دمياط فرحلوا راجعين إليها وأتبعهم المسلمون فأدركهم الدهش وانهمزوا وأسر ملكهم ريّ إفرنس وهو المعروف بالفرنسيس وقتل منهم أكثر من ثلاثين ألفاً واعتقل الفرنسيين بالدار المعروفة بفخر الدين بن لقمان ووكل بها الخادم صبيح المعظمي ثم رحل المعظم بعساكر المسلمين راجعاً إلى مصر والله تعالى أعلم.

* (مقتل المعظم تورانشاه وولاية شجرة الدرّ وفداء الفرنسيين بدمياط) *

ولما بوع المعظم تورانشاه وكانت له بطانة من المماليك جاء بهم من كيفا فتسلطوا على موالي أبيه وتقسموهم بين النكبة والإهمال وكان للصالح جماعة من الموالي وهم البحرية الذين كان يترظم بالدار التي بناها إزاء المقياس وكانوا بطانته وخالصته وكان كبيرهم بيبرس وهو الذي كان الصالح بعثه بالعساكر لقتال الخوارزمية عندما زحفوا مع عمه الصالح إسماعيل صاحب دمشق وقد مرّ ذكر ذلك فصارت طاغيته معهم استألمهم الصالح فصاروا معه وزحفوا مع عساكره إلى عساكر دمشق والإفرنج فهزموهم وحاصروا دمشق وملكوها بدعوة الصالح كما مرّ واستوحش بيبرس حتى بعث إليه الصالح بالأمان سنة أربع وأربعين ولحقه بمصر فحبسه على ما كان منه ثم أطلقه وكان من خواص الصالح أيضاً قلاون الصالح كان من موالي علاء الدين قراسنقر مملوك العادل وتوفي سنة خمس وأربعين وورثه الصالح بحكم الولاة ومنهم أقطاي الجامدار وأبيك التركماني وغيرهم فأنقوا من استعلاء بطانة المعظم تورانشاه عليهم وتحكمهم فيهم فاعصو صبوا واعتزموا على الفتك بالمعظم ورحل من المنصورة بعد هزيمة الإفرنج راجعاً إلى مصر فلما قربت له الحراقة عند البرج ليركب البحر كبسوه بمجلسه وتناوله بيبرس بالسيف فهرب إلى البرج فاضرموه ناراً فهرب إلى البحر فرموه بالسهم فألقى نفسه في الماء وهلك بين السيف والماء لشهرين من وصوله وملكه ثم اجتمع هؤلاء الأمراء المتولون قتل تورنشاه ونصبوا للملك أم خليل شجرة الدر زوجة الصالح وأم ولده خليل المتوفي في حياته وبه كانت تلقب وخطب لها على المنابر وضربت السكة باسمها ووضعت علامتها على المراسم وكان نص علامتها أم خليل وقدم أتاك على العساكر عز الدين الجاشنكير أليك التركماني فلما استقرت الدولة طلبهم الفرنسيين في الفداء على تسليم دمياط للمسلمين فاستولوا عليها سنة ثمان وأربعين وركب الفرنسيين البحر إلى عكا وعظم

الفتح وأنشد الشعراء في ذلك وتساجلوا ولجمال الدين بن مطروح نائب دمشق أبيات في
البلقة يتداولها الناس لهذا العصر والله تعالى ولي التوفيق وهي .

قل للفرنسيس إذا جثته
آجرك الله على ما جرى
أتيت مصرًا تبغي ملكها
فساقت الحين إلى أدهم
وكل أصحابك أودعتهم
خمسون ألفاً لا يرى منهم
وفقت الله لأمثالها
إن كان باباكم بذار راضياً
أوصيكم خيراً به أنه
لو كان دارشد على زعمكم
فقل لهم إن أضمروا عبودة
دار ابن لقمان على حالها
والطواشي في لغة أهل المشرق هو الخصي ويسمونه الخادم أيضاً والله أعلم .

مقال صدق عن قول فصيح
من قتل عباد يسوع المسيح
تحسب أن الزمر بالطبل ربح
ضاق بهم في ناظريك الفسيح
بسوء تدبيرك بطن الضريح
إلا قتيلاً أو أسير جريح
لعلننا من شركم نستريح
فرب غش قد أتى من نصيح
لطف من الله إليكم أتيح
ما كان يستحسن هذا القبيح
لأخذ ثار أو لقصد قبيح
والقيد باق والطواشي صبيح

* (استيلاء الناصر صاحب حلب على دمشق وبيعة الترك بمصر
لموسى الأشرف بن أطرز بن المسعود صاحب اليمن
وتراجعها ثم صلحها) *

ولما قتل المعظم تورانشاه ونصب الأمراء بعده شجرة الدر زوجة الصالح إمتعض لذلك أمراء
بني أيوب بالشام وكان بدر الصوابي بالكرك والشولك ولاه الصالح عليها وحبس عنده فتح
الدين عمر بن أخيه العادل فاطلقه من محبسه وباع له وقام بتدبير دولته جمال الدين بن
يغمر بدمشق واجتمع مع الأمراء القصرية بها على استدعاء الناصر صاحب حلب وتعليكه
فسار وملك دمشق واعتقل جماعة من موالي الصالح وبلغ الخبر إلى مصر فخلعوا شجرة الدر
ونصبوا موسى الأشرف بن مسعود أخي الصالح بن الكامل وهو الذي ملك أخوه أطرز
واسمه يوسف باليمن بعد أبيهما مسعود وباعوا له واجلسوه على التخت وجعلوا أيبك انابكه ثم

انتقض الترك بغزة ونادوا بطاعة المغيث صاحب الكرك فنادى الترك بمصر بطاعة المستعصم وجدّدوا البيعة للأشرف وأتابكه ثم سار الناصر يوسف بعسكره من دمشق إلى مصر فجهز الأمراء العساكر إلى الشام مع أقطاي الحامدار كبير البحرية ويلقب فارس الدين فاجفلت عساكر الشام بين يديه ثم قبض الناصر يوسف صاحب دمشق على الناصر داود لشيء بلغه عنه وحسبه بحمص وبعث عن ملوك بني أيوب فجاءه موسى الأشرف صاحب حمص والرحبة وتدمر والصالح إسماعيل بن العادل من بعلبك والمعظم تورانشاه وأخوه نصر الدين أبنا صلاح الدين والأبجد حسام الدين والظاهر شادي أبنا الناصر وداود صاحب الكرك وتقي الدين عباس بن العادل واجتمعوا بدمشق وبعث في مقدّمته مولاه لؤلؤ الأرمني وخرج إليك التركماني في العساكر من مصر للقائهم وأفرج عن ولدي الصالح إسماعيل المعتقلين منذ أخذهم الهذباني من بعلبك ليتهم الناس أباهم ويستربوا به والتقى الجمعان في العباسية فانكشفت عساكر مصر وسارت عساكر الشام في أتباعهم وثبت إليك وهرب إليه جماعة من عساكر الناصر ثم صدق إليك الحملة على الناصر فتفرقت عساكره وسار منهزماً وحيء لأليك بلؤلؤ الأرمني أسيراً فقتله وأسر إسماعيل الصالح وموسى الأشرف وتوران شاه المعظم وأخوه ولحق المنهزمون من عسكر مصر بالبلد وشعر المتبعون لهم من عساكر الشام بهزيمة الناصر وراءهم فرجعوا ودخل إليك إلى القاهرة وحبس بني أيوب بالقلعة ثم قتل يغمور وزير الصالح إسماعيل المعتقل ببعلبك مع بنيه وقتل الصالح إسماعيل في محبسه ثم جهز الناصر العساكر من دمشق إلى غزة فتواقعوا مع فارس الدين أقطاي مقدّم عساكر مصر فهزمهم واستولوا عليها^(١) وتردّدت الرسل بين الناصر وبين الأمراء بمصر واصطلحوا سنة خمسين وجعلوا التخيم بينهم نهر الأردن ثم أطلق إليك حسام الدين الهذباني فسار إلى دمشق وسار في خدمة الناصر وجاءت إلى الناصر شفاعة المستعصم في الناصر داود صاحب الكرك الذي حبسه بحمص فأفرج عنه ولحق ببغداد ومعه إبناه الأبجد والظاهر فنعه الخليفة من دخولها فطلب وديعته فلم يسعف بها وأقام في أحياء عرية ثم رجع إلى دمشق بشفاعة من المستعصم للناصر وسكن عنده والله تعالى ينصر من يشاء من عباده .

(١) أي على غزة كما في تاريخ أخبار البشر لأبي الفداء ج ٣ ص ١٨٥ : في هذه السنة (حوادث سنة ٦٤٨) بعد هزيمة الملك الناصر صاحب الشام سار فارس الدين أقطاي بثلاثة آلاف فارس إلى غزة فاستولى عليها . ثم عاد إلى الديار المصرية .

* (خلع الأشرف بن أطرز واستبداد أيك وأمراء الترك بمصر) *

قد تقدّم لنا آنفاً بيعة أمراء التركان بمصر للأشرف موسى بن يوسف أطرز بن الكامل وأنهم خطبوا له وأجلسوه على التخت بعد أن نصبوا للملك أيك وكان طموحاً إلى الإستبداد وكان أقطاي الجامدار من أمراء البحرية يدافعه عن ذلك ويغض من عنائه منافسة وغيره فأرصد له أيك ثلاثة من الممالك اغتالوه في بعض سكك القصر وقتلوه سنة اثنتين وخمسين وكانت جماعة البحرية ملتفة عليه فانفضوا ولحقوا بالناصر في دمشق واستبد أيك بمصر وخلع الأشرف وقطع الخطبة له فكان آخر أمراء بني أيوب بمصر وخطب أيك لنفسه ثم تزوّج شجرة الدر أم خليل الملكة قبله فلما وصل البحرية إلى الناصر بدمشق أطمعوه في ملك مصر واستحثوه فتجهز وسار إلى غزة وبرز أيك بعساكره إلى العباسية فنزل بها وانتقض عليه^(١) فتوهموا بالثورة به فارتاب بهم ولحقوا بالناصر ثم ترددت الرسل بين الناصر وأييك فاصطلحوا على أن يكون التخم بينهم العريش وبعث الناصر إلى المستعصم مع وزيره كمال الدين بن العديم في طلب الخلعة وكان أيك قد بعث بالهدية والطاعة إلى المستعصم ففعل المستعصم الناصر بالخلعة حتى بعثها إليه سنة خمس وخمسين ثم قتل المغز أيك قتله شجرة الدر غيلة في الحمام سنة خمس وخمسين غير من خطبته بنت لؤلؤ صاحب الموصل فنصبوا مكانه ابنه علياً ولقبوه المنصور وثاروا به من شجرة الدر كما نذكره في أخبارهم إن شاء الله تعالى .

* (مسير المغيث بن العادل صاحب الكرك مع البحرية إلى مصر وإنهزامهم) *

كان البحرية منذ لحقوا بالناصر بعد مقتل أقطاي الجامدار مقيمين عنده ثم ارتاب بهم وطردهم آخر سنة خمس وخمسين فلحقوا بغزة وكاتبوا المغيث فتح الدين عمر بن العادل بالكرك وقد كنا ذكرنا أن بدر الصوافي أخرجه من محبسه بالكرك بعده مقتل تورانشاه بمصر وولاه الملك وقام بتدبير دولته وبعث إليه الآن بيبرس البندقداري مقدّم البحرية من غزة

(١) يبااض بالأصل وفي تاريخ أبي الفداد ج ٣ ص ١٩٠ وفيها (حوادث سنة ٦٥٣) عزمت العزيزية المقيمون مع المغز أيك على القبض عليه وعلم بذلك ، واستعد لهم فهربو من مخيمهم على العباسية .

يدعوه إلى الملك وبلغ الخبر إلى الناصر بدمشق فجهز العساكر إلى غزة فقاتلهم وإنهزموا إلى الكرك فتلقاهم المغيث وقسم فيهم الأموال واستحثوه لملك مصر فسار معهم وبرزت عساكر مصر لقتالهم مع قطز مولى أليك المعز ومواليه فالتقى الفريقان بالعباسية فانهزم المغيث والبحرية إلى الكرك ورجعت العساكر إلى مصر وفي خلال ذلك أخرج الناصر داود بن المعظم من دمشق حاجا ونادى في الموسم بتوسله إلى المستعصم في وديعته وإنصرف مع الحاج إلى العراق فأكبره المستعصم على براءته من وديعته فكتب وأشهد ولحق بالبرية وبعث إلى الناصر يوسف يستعطفه فأذن له وسكن دمشق ثم رجع مع رسول المستعصم الذي جاء معه إلى الناصر بالخلة والتقليد فأقام بقرقيسيا حتى يستأذن له الرسول فلم يأذن له فأقام عند أحياء العرب في التيه فقربوا في ثقلهم من الكرك فقبض عليه المغيث صاحب الكرك وحبسه حتى إذا زحف التتر لبغداد بحث عنه المستعصم ليعثه مع العساكر لمداغتهم وقد استولى التتر على بغداد فرجع ومات ببعض قرى دمشق بالطاعون سنة ست وخمسين إنتهى والله تعالى أعلم .

* (زحف الناصر صاحب دمشق إلى الكرك وحصارها والقبض على البحرية) *

ولما كان من المغيث والبحرية ما قدّمناه ورجعوا منهزمين إلى الكرك بعث الناصر عساكره من دمشق إلى البحرية فالتقوا بغزة وإنهزمت عساكر الناصر وظفرت البحرية بهم واستفحل أمرهم بالكرك فسار الناصر بنفسه إليهم بالعساكر من دمشق سنة سبع وخمسين وسار معه صاحب حماء المنصور بن المظفر محمود فترلوا على الكرك وحاصروها وأرسل المغيث إلى الناصر في الصلح فشرط عليه أن يحبس البحرية فأجاب ونفي الخبر إلى بيبرس أميرهم البندقداري فهرب في جماعة منهم ولحق بالناصر وقبض المغيث على الباقيين وبعث بهم إلى الناصر في القيود ورجع^(١) الكرك ثم بعث إلى الأمراء بمصر وزيره كمال الدين بن العديم يدعوه إلى الاتفاق إلى مدافعة التتر وفي أيام مقدم ابن العديم مصر خلع الأمراء علي ابن المعز أليك وقبض عليه أتابك عسكره وموالي أبيه وجلس على التخت وخطب لنفسه

(١) بياض بالأصل وفي تاريخ أبي الفداء ج ٣ ص ١٩٨ : وقبض المغيث على من بقي عنده من البحرية ومن جملتهم سنقر الأشقر وسكر وبراقت . وأرسلهم على الجبال إلى الملك الناصر فبعث بهم إلى حلب فاعتقلوا بها ، واستقر الصلح بين الملك الناصر وبين الملك المغيث صاحب الكرك .

وقبض على الأمراء الذين يرتاب منازعتهم كما نذكره في أخبارهم وأعاد ابن العديم إلى مرسله صاحب دمشق بالإجابة والوعد بالمظاهرة والله تعالى ينصر من يشاء من عباده .

* (استيلاء التتر على الشام وإنقراض ملك بني أيوب وهلاك من هلك منهم) *

ثم زحف التتر وسلطانهم هلاكو إلى بغداد واستولى على كرسي الخلافة وقتلوا المستعصم وطمسوا معالم الملة وكادت تكون من أشراط الساعة وقد شرحناها في أخبار الخلفاء ونذكرها في أخبار التتر فبادر الناصر صاحب دمشق بمصانعة وبعث ابنه العزيز محمداً إلى السلطان هلاكو بالهدايا والالطاف فلم يغن ورده بالوعد ثم بعث هلاكو عساكره إلى ميفارقين وبها الكامل محمد بن المظفر شهاب الدين غازي بن العادل الكبير فحاصروها سنتين ثم ملكوها عنوة سنة ثمان وخمسين وقتلوه وبعث العساكر إلى إربل فحاصروها ستة أشهر وفتحوها وسار ملوك بلاد الروم كيكائوس وقلج أرسلان ابنا كنجسرو إلى هلاكو أثر ما ملك بغداد فدخلوا في طاعته ورجعوا إلى بلادهم وسار هلاكو إلى بلاد أذربيجان ووفد عليه هنالك لؤلؤ صاحب الموصل سنة سبع وخمسين ودخل في طاعته ورده إلى بلده وهلك أثر ذلك وملك الموصل مكانه ابنه الصالح وسنجار ابنه علاء الدين ثم أوفد الناصر ابنه على هلاكو بالهدايا والتحف على سبيل المصانعة واعتذر عن لقائه بالتخوف على سواحل الشام من الإفرنج فتلقي ولده بالقبول وعذره وأرجعه إلى بلده بالمهادنة والمواعدة الجميلة ثم سار هلاكو إلى حران وبعث ابنه في العساكر إلى حلب وبها المعظم تورانشاه بن صلاح الدين نائباً عن الناصر يوسف فخرج لقتالهم في العساكر وأكمن له التتر واستجروهم ثم كروا عليهم فاتحنوا فيهم ورحلوا إلى اعزاز فلكوها صلحاً وبلغ الخبر إلى الناصر وهو بدمشق معسكر من ثورة سنة ثمان وخمسين وجاء الناصر بن المظفر صاحب حماة فأقام معه ينتظر أمرهم ثم بلغه أن جماعة من مواليه اعتمرُوا على الثورة به فكّر راجعاً إلى دمشق ولحق أولئك الموالي بغزة ثم أطلع على خبثهم وأن قصدهم تملك أخيه الظاهر فاستوحش منهم ولحق الظاهر بهم فنصبوه للأمر واعصوبوا عليه وكان معهم بيبرس البندقداري وشعر بتلاشي أحوالهم فكاتب المظفر صاحب مصر واستأمن إليه فأمنه وسار إلى مصر فتلقي بالكرامة وأنزل بدار الوزارة وأقطعه السلطان قطز قليوب بأعماله ثم هرب هلاكو إلى الفرات فملك^(١) وكان بها

(١) بياض بالأصل : وفي أخبار البشر ج ٣ ص ٢٠٠ : إن هولاكو عبر الفرات بمجموعة ونازل حلب .

إسماعيل أخو الناصر معتقلاً فأطلقه وسرحه إلى عمله بالصبيّة وبانياس وولاه عليها وقدم صاحب أرزن إلى تورانشاه نائب حلب يدعوه إلى الطاعة فامتنع فسار إليها وملكها عنوة وأمنها واعتصم تورانشاه والحامية بالقلعة وبعث أهل حماة بطاعتهم إلى هلاكو وأن يبعث عليهم نائباً من قبله ويسمى برطانتهم الشحنة فأرسل إليهم قائداً يشمى خسرو شاه وينسب في العرب إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه وبلغ الناصر أخذ حلب فأجفل عن دمشق واستخلف عليها وسار إلى غزة واجتمع عليه مواله وأخوه وسار التتر إلى نابلس فلكوها وقتلوا من كان بها من العسكر وسار الناصر من غزة إلى العريش وقدم رسله إلى قطز تسأله النصر من عدوهم واجتماع الأيدي على المدافعة ثم تقدّموا إلى (١) واستراب الناصر بأهل مصر فسار هو وأخوه الظاهر ومعها الصالح بن الأشرف موسى بن شيركوه إلى التيه فدخلوا إليه وفارقهم المنصور صاحب حماة والعساكر إلى مصر فتلقاهم السلطان قطز بالصالحية وأنسهم ورجع بهم إلى مصر واستولى التتر على دمشق وسائر بلاد الشام إلى غزة وولوا على جميعها أمراءهم ثم افتتحت قلعة حلب وكان بها جماعة من البحرية معتقلين منهم سنقر الأشقر فدفعهم هلاكو إلى السلطان جق من أكابر أمرائه وولى على حلب عماد الدين القزويني ووفد عليه بحلب الأشرف موسى بن منصور بن إبراهيم بن شيركوه صاحب حمص وكان الناصر قد أخذها منه كما قدّمناه فأعادها عليه هلاكو وردّ جميع ولايته بالشام إلى رأيه وسار إلى قلعة حارم فلكها واستباحها وأمر بتخريب أسوار حلب وقلعتها وكذلك حماة وحمص وحاصروا قلعة دمشق طويلاً ثم تسلموها بالأمان ثم ملكوا بعلبك وهدموا قلعتها وساروا إلى الصبيّة وبها السعيد بن العزيز بن العادل فلكوها منه على الامان وسار معهم ووفد على هلاكو فخر الدين بن الزكي من أهل دمشق فولاه القضاء بها ثم اعترم هلاكو على الرجوع إلى العراق فعبروا الفرات وولى على الشام أجمع أميراً اسمه كتبغا من أكابر أمرائه واحتمل عماد الدين القزويني من حلب وولى مكانه آخر وأما الناصر فلما دخل في التيه هاله أمره وحسن له أصحابه قصد هلاكو فوصل إلى كتبغا نائب الشام يستأذنه ثم وصل فقبض عليه وسار به إلى (٢)

(١) بياض بالأصل : وفي أخبار البشر ج ٣ ص ٢٠٢ : ثم سار الملك الناصر والملك المنصور صاحب حماة والعسكر ووصلوا إلى قطيئة أفجرى بها فتنة بين التركاني والأكراد الشهرزورية .

(٢) بياض بالأصل وذكر أي الفداء ج ٣ ص ٢٠٤ : وسار حسين الكردي إلى كتبغا نائب هولاكو وعرفه بموضع الملك الناصر فأرسل كتبغا إليه وقبض عليه وأحضره إلى عجلون وكانت بعد عاصية فأمرهم الملك الناصر بتسليمها فسلمت إليهم فهدمها .

بدمشق ثم بحماة وبها الأشرف صاحب حمص وخسرو شاه نائبا فخرجا لتلقيه ثم مرّ بجلب ووصل إلى هلاكو فأقبل عليه ووعده برده إلى ملكه ثم ثار المسلمون بدمشق بالنصارى أهل الذمة وخربوا كنيسة مريم من كنائسهم وكانت من أعظم الكنائس في الجانب الذي فتحه خالد بن الوليد رحمه الله وكانت لهم أخرى في الجانب الذي فتحه أبو عبيدة بالأمان ولما ولي الوليد طالبيهم في هذه الكنيسة ليدخلها في جامع البلد وأعلى لهم في السوم فامتنعوا فهدمها وزادها في الجامع لأنها كانت لصقه فلما ولي عمر بن عبد العزيز استعاضوه فعوضهم بالكنيسة التي ملكها المسلمون بالعنوة مع خالد بن الوليد رحمه الله وقد تقدّم ذكر هذه القصة فلما ثار المسلمون الآن بالنصارى أهل الذمة خربوا كنيسة مريم هذه ولم يبقوا لها اثر اثم إنّ العساكر الإسلامية اجتمعت بمصر وساروا إلى الشام لقتال التتر صحبة السلطان قطز صاحب^(١) ومعه المنصور صاحب حماة وأخوه الأفضل فسار إليه كتبغا نائب الشام ومعه الأشرف صاحب حمص والسعيد صاحب الصبيبة ابن العزيز بن العادل والتقوا على عين جالوت بالغور فانهزم التتر وقتل أميرهم النائب كتبغا وأسر السعيد صاحب الصبيبة فقتله قطز واستولى على الشام أجمع وأقر المنصور صاحب حماة على بلده ورجع إلى مصر فهلك في طريقه قتله بيبرس البندقداري وجلس على التخت مكانه وتلقب بالظاهر حسبا يذكر ذلك كله في دولة الترك ثم جاءت عساكر التتر إلى الشام وشغل هلاكو عنهم بالفتنة مع قومه وأسف على قتل كتبغا نائبه وهزيمة عساكره فأحضر الناصر ولامه على ما كان منه من تسهيله عليه أمر الشام وتجنّى عليه أنه غره بذلك فاعتذر له الناصر فلم يقبل فرماه بسهم فأنفذه ثم أتبعه بأخيه الظاهر وبالصالح بن الأشرف موسى صاحب حمص وشغفت زوجة هلاكو في العزيز بن الناصر وكان مع ذلك يحبه فاستبقاه وانقرض ملك بني أيوب من الشام كما انقرض قبلها من مصر واجتمعت مصر والشام في مملكة الترك ولم يبق لبني أيوب بهما ملك إلا للمنصور بن المظفر صاحب حماة فإن قطزاً أقره عليها والظاهر بيبرس من بعده وبقي في إمارته هو وبنوه مدّة من دولة الترك وطاعتهم حتى أذن الله بانقراضهم وولي عليها غيرهم من أمرائهم كما نذكر في أخبار دولتهم والله وارث الأرض ومن عليها والعاقبة للمتقين .

(١) بياض بالأصل وفي أخبار البشر ج ٣ ص ٢٠٤ : لما اجتمعت العساكر الإسلامية بمصر عزم الملك المظفر قطز مملوك المعز أيك على الخروج إلى الشام لقتال التتر .

(دولة الترك)

* (الخبر عن دولة الترك القائمين بالدولة العباسية بمصر والشام من بعد بني أيوب ولهذا العهد ومباذي أمورهم وتصارييف أحوالهم) *

قد تقدم لنا ذكر الترك وأنسابهم أول الكتاب عند ذكر أمم العالم ثم في أخبار الأمم السلجوقية وأنهم من ولد يافث بن نوح باتفاق من أهل الخليفة فعند نسبة العرب أنهم من عامور بن سويل بن يافث وعند نسبة الروم أنهم من طيراش بن يافث هكذا وقع في التوراة والظاهر أن ما وقع لنسابة العرب غلط وأن عامور هو مصحف كומר لأن كاهه تنقلب عند التعريب غيناً معجمة فربما صحف غيناً مهملة أو بقيت بحالها وأما سويل فغلط بالزيادة وأما ما وقع للروم من نسبتهم إلى طيراش فهو منقول في الإسرائيليات وهو رأي مرجوح عندهم لمخالفته لما في التوراة وأما شعوبهم وأجناسهم فكثيرة وقد عددنا منهم أول الكتاب التفرغز وهم التتر والخطا وكانوا بأرض طمغاج وهي بلاد ملوكهم في الإسلام تركستان وكاشغر وعددنا منهم أيضاً الخزلخية والغز الذين كان منهم السلجوقية والهياطلة الذين منهم الخليج وبلادهم الصغد قريباً من سمرقند ويسمون بها أيضاً وعددنا منهم أيضاً الغور والخزر والقفجاق ويقال الخفشاخ ويمك والعلان ويقال اللان وشركس وأركش وقال صاحب كتاب زجار في الكلام على الجغرافيا أجناس من الترك كلهم وراء النهر إلى البحر المظلم وهي العسية والتفرغزية والخرخيرية والكميكية والخزلخية والخزر والحاسان وتركش وأركش وخفشاخ والخلخ والغزية وبلغار وخجكت ويمناك وبرطاس وسنجرت وخرجان وأنكر وذكر في موضع آخر أنكر من شعوب الترك وأنهم في بلاد البنادقة من أرض الروم وأما مواطنهم فإنهم ملكوا الجانب الشمالي من المعمور في النصف الشرقي منه قبالة الهند والعراق في ثلاثة أقاليم هي السادس والسابع والخامس كما ملك العرب الجانب الجنوبي من المعمور أيضاً في جزيرة العرب وما إليها من أطراف الشام والعراق وهم رحالة مثلهم وأهل حرب وافتراس ومعاش من التغلب والنهب إلا في الأقل وقد ذكرنا أنهم عند الفتح لم يذعنوا إلا بعد طول حرب وممارسة أيام سائر دولة بني أمية وصدرنا من صولة بني العباس وامتلات أيدي العرب يومئذ من سبهم فاتخذوهم خولا في المهن والصنائع ونساءهم فرشا للولادة كما فعلوه في سبي الفرس والروم وسائر الأمم الذين قاتلوهم على الدين وكان شأنهم أن لا يستعينوا برقيقهم في شيء مما يعانونه من الغزو والفتوح ومحاربة الأمم ومن أسلم منهم تركوه لسبيله التي هو

عليها من أمر معاشه على طاغية هواه لأنَّ عصية العرب كانت مستفحلة يومئذ وشوكتهم قائمة مرهفة ويدهم ويد سلطانهم في الأمر جميعاً ومرامهم إلى العز والمجد واحد وكانوا كأسنان المشط لتزاحم الأنساب وغضاضة الدين حتى إذا أرهف الملك حدّه ونهج إلى الاستبداد طريقه واحتاج السلطان في القيام بأمره إلى الإستظهار على المنازعين فيه من قومه بالعصية المدافعة دونه والشوكة المعترض شباها في اذياله حتى تجدد أنوفهم عن التطاول إلى رتبته وتغض أعنتهم عن السير في مضماره اتخذ بنو العباس من لدن المهدي والرشد بطانة إصطنعواهم من موالي الترك والروم والبربر ملؤا منهم المواكب في الأعياد والمشهد والحروب والصوائف والحراسة على السلطان وزينة في أيام السلم واكتافاً لعصاة الملك حتى لقد اتخذ المعتصم مدينة سامرا لترهمل تخرجاً من أضرار الرعية باصطدام مراكبهم وتراكم القتام بجوهم وضيق السكك على المارين بزحامهم وكان إسم الترك غالباً على جميعهم فكانوا تبعالهم ومندرجين فيهم وكانت حروب المسلمين لذلك العهد في القاصية وخصوصاً مع الترك متصلة والفتوح فيهم متعاقبة وأمواج السي من كل وجه متداركة وربما رام الخلفاء عند استكمال بغيتهم واستجاء عصابتهم إصطفاء عليه منهم للمخالصة وقواد العساكر ورؤساء المراكب فكانوا يأخذون في تدريجهم لذلك بمذاهب الترشيح فينتقون من أجود السي الغلمان كاللدنانير والحوار كالآلء ويسلمونهم إلى قهارة القصور وقرمة الدواوين يأخذونهم بحدود الإسلام والشرعية وآداب الملك والسياسة ومراس الثقافة في المران على المناضلة بالسهام والمسالحة بالسيوف والمطاعنة بالرماح والبصر بأمور الحرب والفروسية ومعانة الخيول والسلاح والوقوف على معاني السياسة حتى إذا تنازعوا في الترشيح وإنسلخوا من جلدة الخشونة إلى رقة الحاشية وملكة التهذيب إصطنعوا منهم للمخالصة ورقومهم في المراتب واختاروا منهم لقيادة العساكر في الحروب ورياسة المواكب أيام الزينة ورتق الفتوق الحادثة وسدّ الثغور القاصية كل على شاكلة غنائه وسابق إصطناعه فلم يزل هذا دأب الخلفاء في إصطناعهم ودعامة سرير الملك بعمدهم وتمهيد الخلافة بمقاماتهم حتى سمو في درج الملك وامتلات جوانجهم من الغزو وطمحت أبصارهم إلى الإستبداد فتغلبوا على الدولة وحجروا الخلفاء وقعدوا بدست الملك ومدرج النهي والأمر وقادوا الدولة بزمامهم وأضافوا إسم السلطان إلى مراتبهم وكان مبدأ ذلك واقعة المتوكل وما حصل بعدها من تغلب الموالي واستبدادهم بالدولة والسلطان ونهج السلف منهم في ذلك السبيل للخلف واقتدى الآخر بالأول فكانت لهم دول في الإسلام متعدّدة تعقب غالباً دولة أهل العصية وشوكة النسب كمثل دولة بني

سامان وراء النهر وبني سبكتكين بعدهم وبني طولون بمصر وبني طنج وما كان بعد الدولة السلجوقية من دولتهم مثل بني خوارزم شاه بما وراء النهر وبني طغرلتيك بدمشق وبني ارتق بماردين وبني زنكي بالموصل والشام وغير ذلك من دولهم التي قصصناها عليك في تصانيف الكتاب حتى إذا استغرقت الدولة في الحضارة والترف ولبست أثواب البلاء والعجز ورميت الدولة بكفرة التتر الذين أزالوا كرسي الخلافة وطمسوا رونق البلاد وأدالوا بالكفر من الإيمان بما أخذ أهلها عند الإستغراق في التمتع والتشاغل في اللذات والإسترسال في الترف من تكاسل المهمل والقعود عن المناصرة والإنسلاخ من جلدة الرأس وشعار الرجولية فكان من لطف الله سبحانه أن تدارك الإيمان بأحياء رفاقه وتلافى شمل المسلمين بالديار المصرية بحفظ نظامه وحماية سياجه بأن بعث لهم من هذه الطائفة التركية وقبائلها الغزيرة المتوافرة أمراء حامية وأنصاراً متوافية يجلبون من دار الحرب إلى دار الإسلام في مقادة الرق الذي كمن اللطف في طيه وتعرفوا العز والخير في مغبته وتعرضوا للعناية الربانية بتلافيه يدخلون في الدين بغزائم إيمانية وأخلاق بدوية لم يدنسها لؤم الطباع ولا خالطتها أقدار اللذات ولا دنسها عوائد الحضارة ولا كسر من سورتها غزارة الترف ثم يخرج بهم التجار إلى مصر أرسلالاً كالقطا نحو الموارد فيستعرضهم أهل الملك منهم ويتنافسون في أثمانهم بما يخرج عن القيمة لا لقصد الإستبعاد إنما هو إكثاف للعصية وتغليظ للشوكة ونزوع إلى العصية الحامية يصطفون من كل منهم بما يؤنسونه من شيم قومهم وعشائهم ثم يتزلونهم في غرف الملك ويأخذونهم بالمخالصة ومعاودة الترية ومدارسة القرآن وممارسة التعليم حتى يشتدوا في ذلك ثم يعرضونهم على الرمي والثقافة وركض الخيل في الميادين والمطاعنة بالرماح والمناصعة بالسيوف حتى تشتد مهم السواعد وتستحكم الملكات ويستيقنوا منهم المدافعة عنهم والاستماتة دونهم فإذا بلغوا إلى هذا الحد ضاعفوا أرزاقهم ووفروا من أقطامهم وفرضوا عليهم إستجداء السلاح وإرتباط الخيول والإستكثار من أجناسهم لمثل هذا القصد وربما عمروا بهم خطط الملك ودرجهم في مراتب الدولة فيستترشح من يستترشح منهم لإقتعاد كرسي السلطان والقيام بأمر المسلمين عناية من الله تعالى سابقة ولطائف في خلقه سارية فلا يزال نشو منهم يردف نشوا وجيل يعقب جيلا والإسلام يتهيج بما يحصل به من الغناء والدولة ترف أغصانها من نضرة الشباب وكان صلاح الدين يوسف بن أيوب ملك مصر والشام وأخوه العادل أبو بكر من بعده ثم بنوهم من بعدهم قد تناغوا في ذلك بما فوق الغاية واختص الصالح نجم الدين أيوب آخر ملوكهم بالمبالغة في ذلك والأمعان فيه فكان عامة عسكره منهم فلما إنفض عشيرة وخذله

أنصاره وقعد عنه أولياؤه وجنوده لم يدع سبباً في استجلابهم إلا أنه من إستجادة المترددين إلى ناحيتهم ومراضاة التجار في أثمانهم بأضعاف ثمنهم وكان رقيقهم قد بلغ الغاية من الكثرة لما كان التتر قد دوخوا الجانب الغربي من ناحية الشمال وأوقعوا بسكانه من الترك وهم شعوب القفجاق والروس والعلان والمولات وما جاورهم من قبائل جركس وكان ملك التتر بالشمال يومئذ دوشي خان بن جنسكز خان قد أصابهم بالقتل والسي فامتلات أيدي أهل تلك النواحي برقيقهم وصاروا عند التجار من أنفس بضائعهم والله تعالى أعلم

* (ذكر بيبرس البندقداري) *

في تاريخه حكاية غريبة عن سبب دخول التتر لبلادهم بعد أن عد شعوبهم فقال ومن قبائلهم يعني القفجاق قبيلة طغصبا وستا ويرج أغلا والبولى وقنغرا على وأوغلي ودورت وقلابا أعلى وجرثان وقد كابركلي وكن هذه إحدى عشرة قبيلة وليس فيها ذكر الشعوب العشرة القديمة الذكر التي عددها النسابة كما قدمناه أول الترجمة وهذه والله أعلم بطون متفرعة من القفجاق فقط وهي التي في ناحية الغرب من بلادهم الشمالية فإن سياق كلامه إنما هو في الترك المحليين من تلك الناحية لا من ناحية خوارزم ولا ما وراء النهر قال بيبرس ولما استولى التتر على بلادهم سنة ست وعشرين والملك يومئذ بكرسي جنكزخان لولده دوشي خان وإتفق أن شخصاً من قبيلة دورت يسمى منقوش بن كتمرخرج متصيداً فلقبه آخر من قبيلة طغصبا اسمه آقا كبك وبين القبيلتين عداوة مستحكمة فقتله وأبطأ خبره عن أهله فبعثوا طليعة لإستكشاف أمره اسمه جلنغر فرجع إليهم وأخبرهم وأنه قتل وسمى لهم قاتله فجمعوا للحرب وتزاحفت القبيلتان فانهمزمت قبيلة طغصبا وخرج آقا كبك القاتل وتفرق جمعه فأرسل أخاه أقصر إلى ملكهم دوشي يستعلم ما على ذوي قبيلة دورت القفجاقية وذكره ما فعل كتمر وقومه بأخيه وأغراه بهم وسهل له الشأن فيهم وبعث دوشي خان جاسوسه لإستكشاف حالهم واختيار مراسهم وشكيمتهم فعاد إليه بتسهيل المرام فيهم وقال إن رأيت كلاباً مكين على فريستهم متى طردتهم عنها تمكنت منها فأطعمه ذلك في بلاد القفجاق واستحثه أقصر الذي جاء صريحاً وقال له ما معناه نحن ألف رأس تجر ذنباً واحداً وأنتم رأس واحد تجر ألف ذنب فزاده ذلك أغراء ونهض يجمع التتر فأوقع بالقفجاق وأثن فيهم قتلاً وسبياً وأسرا وفرقهم في البقاع وامتلات أيدي التجار وجلبوهم إلى مصر فعوضه الله بالدخول

في الإيمان والإستيلاء على الملك والسلطان إنتهى كلام بيبرس ومساق القصة يدل على أن قبيلة دورت من القفجاق وأن قبيلة طغصبا من التتر فيقتضي ذلك أن هذه البطون التي عددت ليست من بطن واحد وكذلك يدل مساقها على أن أكثر هؤلاء الترك الذين بديار مصر من القفجاق والله تعالى أعلم .

* (الخبر عن استبداد الترك بمصر وانفرادهم بها عن بني أيوب ودولة المعز أيبك أول ملوكهم) *

قد تقدم لنا أن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل بن العادل قد استكثر من الممالك الترك ومن في معناهم من التركمان والأرمن والروم وجركس وغيرهم إلا أن إسم الترك غالب على جميعهم لكثرتهم ومزيتهم وكانوا طوائف متميزين بسمات من ينسبون إليه من نسب أو سلطان فمنهم العزيزية نسبة إلى العزيز عثمان بن صلاح الدين ومنهم الصالحية نسبة إلى هذا الصالح أيوب ومنهم البحرية نسبة إلى القلعة التي بناها الصالح بين شعبي النيل أزاء المقياس بما كانوا حاميها وكان هؤلاء البحرية شوكة دولته وعصاة سلطانه وخواص داره وكان من كبرائهم عز الدين أيبك الجاشنكير التركماني ورديفه فارس الدين أقطاي الجامدار وركن الدين بيبرس البندقداري ولما كان ما قدمناه و وفاة الصالح بالمنصورة في محاصرة الإفرنج بدمياط في سنة سبع وأربعين وكتمانهم موته ورجوعهم في تدبير أمورهم إلى شجرة الدر زوجة الصالح وأم ولده خليل وبعثهم إلى إبنه المعظم تورانشاه وانتظاره وأن الإفرنج شعروا بموت الصالح فدخلوا إلى معسكر المسلمين على حين غفلة فانكشف أوائل العسكر وقتل فخر الدين الأتابك ثم أفرغ الله الصبر وثبت أقدامهم وأبلى أمراء الترك في ذلك اليوم بلاء حسناً ووقفوا مع شجرة الدر زوج السلطان تحت الرايات يتوهون بمكانها فكانت لهم الكرة وهزم الله العدو و ثم وصل المعظم تورانشاه من كيفا فبايعوا له وأعطوه الصفقة وانتظم الحال واستطاع المسلمون على الإفرنج برأً وبحراً فكان ما قدمناه من هزيمتهم والفتك بهم وأسر ملكهم الفرنسيي ثم رحل المعظم أثر هذا الفتح إلى مصر لشهرين من وصوله ونزل بفارس كور يريد مصر وكانت بطانته قد استطالوا على موالي أبيه وتقسموهم بين النكبة والإهمال فاتفق كبراء البحرية على قتله وهم أيبك وأقطاي وبيبرس فقتلوه كما مرّ ونصبوا للملك شجرة الدر أم خليل وخطب لها على المنابر ونقش إسمها على السكة ووضعت علامتها على المراسم ونصها أم خليل وقام أيبك التركماني بأتابكية العسكر ثم فودي الفرنسيي بالتزول عن دمياط وملكها المسلمون سنة ثمان وأربعين وسرحوه في البحر إلى بلاده بعد أن توثقوا منه باليمين أن لا

يتعرض لبلاد المسلمين ما بقي واستقلت الدولة بمصر للترك وانقرضت منها دولة بني أيوب بقتل المعظم وولاية المرأة وما اكتنف ذلك فامتعضوا له وكان فتح الدين عمر بن العادل قد حبسه عمه الصالح أيوب بالكرك لنظر بدر الصوابي خادمه الذي ولاه على الكرك والشولك لما ملكهما كما مر فاطلق بدر الدين من محبسه وباع له وقام بأمره ولقبه المغيث واتصل الخبر بمصر وعلموا أن الناس قد نعموا عليهم ولاية المرأة فاتفقوا على ولاية زعيمهم أيبك لتقدمه عند الصالح وأخيه العادل قبله فبايعوا له وخلعوا أم خليل ولقبوه بالمعز فقام بالأمر وانفرد بملك مصر وولى مولاه سيف الدين قطز نائباً وعمر المراتب والوظائف بأمراء الترك والله تعالى ينصر من يشاء من عباده .

* (نهوض الناصر صاحب دمشق من بني أيوب إلى مصر وولاية الأشرف موسى مكان أيبك) *

كان الملك الصالح أيوب قبل موته قد استخلف جمال الدين بن يغمور على دمشق مكان ابن مطروح وأمرأ الدولة الأيوبية بها متوافرون فلما بلغهم استبداد الترك بمصر وولاية أيبك وبيعه المغيث بالكرك أمعنوا النظر في تلافي أمورهم وكبراء بني أيوب يومئذ بالشام الناصر يوسف بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين حلب وحمص وما إليها فاستدعوه وبايعوا له بدمشق وأغروه بطلب مصر واتصل الخبر للترك في مصر فاعتزموا على أن ينصبوا بعض بني أيوب فيكفوا به السنة النكير عنهم فبايعوا لموسى الذي كان أبوه يوسف صاحب اليمن وهو يوسف أطسر بن المسعود بن الكامل وهو يومئذ ابن ست سنين ولقبوه الأشرف وترشح له أيبك عن كرسي السلطان إلى رتبة الأتابكية واستمر الناصر على غلوائه في النهوض إلى مصر واستدعى ملوك الشام من بني أيوب فأقبل إليه موسى الأشرف الذي كان صاحب حمص وإسماعيل الصالح بن العادل صاحب بعلبك والمعظم تورانشاه بن صلاح الدين وأخوه نصر الدين وإبنا داود الناصر صاحب الكرك وهما الأجد حسن والظاهر شادي وإرتحل من دمشق سنة ثمان وأربعين وفي مقدمته أتابكه لؤلؤ الأرمني وبلغ الخبر إلى مصر فاضطرب الأمر ونادوا بشعار الخلافة والدعاء للمستعصم وجددوا البيعة على ذلك للأشرف وجهزوا العساكر وخرجوا للقائهم وسار في المقدمة أقطاي الجامدار وجمهور البحرية وتبعهم أيبك ساقه في العساكر والتقى الجمع بالعباسية فانكشف عسكر مصر أولاً وتبعهم أهل الشام وثبت المعز في القلب ودارت عليه رحى الحرب وهرب إليه جماعة من عسكر الناصر فمهم أمراء العزيزية

مثل جمال الدين لا يدعون وشمس الدين أتنز اليرلي وشمس الدين أتنز الحسامي غضبوا من رياسة لؤلؤ عليهم فهربوا وبقي لؤلؤ في المعركة صامداً ثم حمل المعز على الناصر وأصحابه فانهزموا وانفض عسكرهم وجيء بلؤلؤ الأتابكي أسيراً فقتله صبراً وبأمراء بني أيوب فحبسهم ورجع إليك من الوقعة فوجد عساكر الناصر مجتمعين بالعباسية يظنون الغلب لهم فعدل إلى بليس ثم إلى القلعة ورجعت عساكر الشام من أتباع المهزمين لما شعروا بهزيمة صاحبهم فلحقوا بالناصر بدمشق ودخل إليك إلى القاهرة وحبس بني أيوب بالقلعة ثم قتل منهم إسماعيل الصالح ووزيره ابن يغمور الذي كان معتقلاً من قبل ولما وصل الناصر إلى دمشق أراح علل عساكره وعجل الكربة إلى مصر ونزل غزة سنة خمسين وبرزت عساكر مصر للقائه فتوافقوا ملياً ثم وصل نجم الدين البادر إلى رسول المستعصم فأصلح بين الطائفتين على أن يكون القدس والساحل إلى نابلس للمعز والتخيم بين المملكتين نهر الأردن وإنعقد الأمر على ذلك ورجع كل إلى بلده وأخرج المعز عن أمراء بني أيوب الذين حبسهم يوم الوقعة والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (واقعة العرب بالصعيد مع أقطاي) *

لما شغل الصالح بالإفرنج وما بعدهم عظم فساد العرب بالصعيد واجتمعوا على الشريف خضر الدين أبي ثعلب بن نجم الدين عمر بن فخر الدين إسماعيل بن حصن الدين ثعلب الجعفري من ولد جعفر بن أبي طالب الذين أجازوا من الحجاز لما غلبهم بنو عمهم بنواحي المدينة في الحروب التي كانت بينهم وأطاعه أعراب الصعيد كافة ولم يقدر على كفهم عن الراية واتصل ذلك وهلك الصالح واستبدّ الترك بمصر وشغلوا عنهم بما كان من مطالبة بني أيوب لهم فلما فرغ المعز إليك من أمر الناصر وعقد الصلح معه بعث لحربهم فارس الدين أقطاي وعز الدين إليك الأفرم أمير البحرية فساروا إليهم ولقوهم بنواحي أخميم فهزموهم وقرّ الشريف ناجياً بنفسه ثم قبض عليه بعد ذلك وقتل ورجعت العساكر إلى القاهرة والله تعالى أعلم .

* (مقتل أقطاي الجامدار وفرار البحرية إلى الناصر ورجوع إليك) *

* (إلى كرسيه) *

كان أقطاي الجامدار من أمراء البحرية وعظماهم ويلقب فارس الدين وكان رديفاً للمعز إليك في سلطانه وأتابكه وكان يغض من عنانه عن الطموح إلى الكرسي وكان يخفض من

جناحه للبحرية يتألفهم بذلك فيميلون له عن أبيك فاعتر في الدولة واستفحل أمره وأخذ من المعز الإسكندرية اقطاعاً وتصرف في بيت المال وبعث فخر الدين محمد بن الناصر بهاء الدين بن حياء إلى المظفر صاحب حماة في خطبة إبنته فتزوجها وأطلق يده في العطاء والإقطاع فعم الناس وكثر تابعه وغص به المعز أبيك وأجمع قتله فاستدعاه بعض الأيام للقصر للشورى سنة اثنتين وخمسين وقد اكمن له ثلاثة من مواليه في ممره بقاعة الأعمدة وهم قطز ويهادل وسنجر فوثبوا عليه عند مروره بهم وبأدروه بالسيوف وقتلوه لحينه واتصلت الهيعة بالبحرية فركبوا وطافوا بالقلعة فرمى إليهم برأسه فانفضوا واستراب أمراؤهم فاجتمع ركن الدين بيبرس البندقداري وسيف الدين قلاوون الصالح وسيف الدين سنقر الأشقر وبدر الدين بنسر الشمسي وسيف الدين بلبان الرشيد وسيف الدين تنكر وأخوه سيف الدين موافق ولحقوا بالشام فيمن انضم إليهم من البحرية واختفى من تخلف منهم واستصفيت أموالهم وذخائرهم وارتجع ما أخذه اقطاعي من بيت المال ورد ثغر الإسكندرية إلى أعمال السلطان وإنفرد المعز أبيك بتدبير الدولة وخلع موسى الأشرف وقطع خطبته وخطب لنفسه وتزوج شجرة الدر زوجة الصالح التي كانوا ملكوها من قبل واستخلص علاء الدين أيدغدي العزيزي وجماعة العزيزية وأقطعه دمياط ولما وصل البحرية وأمراؤهم إلى غزة كاتبوا الناصر يستأذنونه في القدوم وساروا إليه فاحتفل في مبرتهم وأغروه بملك مصر فأجابهم وجهز العسكر وكتب المعز فيهم إلى الناصر وطلبوا منه القدس والبلاد الساحلية فاقطعها لهم ثم سار الناصر إلى الغور وبرز إلى القاهرة في العزيزية ومن إليهم ونزل العباسية وتوافق الفريقان مدة ثم اضطلحوا ورجع كل إلى بلده سنة أربع وخمسين وبعث أبيك رسوله إلى المستعصم بطاعته وطلب الأولوية والتقليد ولما رجع إلى مصر قبض على علاء الدين أيدغدي لإستراتبه به وأعاد دمياط إلى أعمال السلطان واتصلت أحواله إلى أن هلك في الدولة والله تعالى أعلم .

* (فرار الأفرم إلى الناصر بدمشق) *

كان عز الدين أبيك الأفرم الصالح والياً على قوص واخميم وأعمالها فقوي أمره وهم بالإستبداد وأراد المعز عزله فامتنع عليه فبعث بعض الخوارزمية مددا له ودس إليهم الفتك به فلما وصلوا إليه استخدمهم وخلطهم بنفسه فاغتالوه وقبضوا عليه وتراموا إليه للحين فبطشوا بهم وقتلوهم وخلعوه ثم عزله بعد ذلك عز الدين الصميري في خدمته واستدعاه إلى مصر فأقام عنده ثم بعثه مع أقطاعي إلى الصعيد وحضر معه الشريف أبو ثعلب والعرب كما مر

وعاد أقطاي إلى مكانه من الدولة وأوعز المعز أليك إلى الأفرم بالمقام لتمهيد بلاد الصعيد وأن يكون الصميري في خدمته وبلغه وهو هناك أن المعز عدا على أقطاي وقتله وأن أصحابه البحرية قرؤا إلى الشام فاستوحش وأظهر العصيان واستدعى الشريف أبا ثعلب وتظاهر معه على الفساد وجمعوا الأعراب من كل ناحية ثم بعث المعز سنة ثلاث وخمسين شمس الدين اليرلي في العساكر فهزمهم واعتقل الشريف فلم يزل في محبسه إلى أن قتله الظاهر ونجا الأفرم في فل من مواليه إلى الواحات ثم اعترم على قصد الشام فرجع إلى الصعيد مع جماعة من اعراب جذام مروا به على السويس والطور ورجع عنه مواليه إلى مصر ولما انتهى إلى غزة تولع به الناصر فأذنه بالقدوم عليه بدمشق وركب يوم وصوله فلقاه بالكسوة وأعطاه خمسة آلاف دينار ولم يزل عنده بدمشق إلى أن هرب البحرية من الكرك إلى مصر كما يذكر فخشي أن يأخذه الناصر وكاتب الأتابك قطز بمصر وسار إليه فقبله أولا ثم قبض عليه بعد ذلك واعتقله بالإسكندرية وكان الصميري قد بقي بعد الأفرم في ولاية الصعيد واستفحل فيه فسوّلت له نفسه الإستبداد ولم يُتَم له فهرب إلى الناصر سنة أربع وخمسين إنتهى. والله تعالى أعلم.

* (مقتل المعز أليك وولاية ابنه علي المنصور) *

كان المعز أليك عندما استفحل أمره ومهد سلطانه ودفع الأعداء عن حوزته طمحت نفسه إلى مظاهرة المنصور صاحب حماة ولؤلؤ صاحب الموصل ليصل يده بهما وأرسل إليهما في الخطبة وأثار ذلك غيرة من زوجته شجرة الدرّ وأغرت به جماعة من الخصيان منهم محسن الخزري وخصى العزيزي ويقال سنجر الخادمان فينتوه في الحمام بقصره وقتلوه سنة خمس وخمسين لثلاث سنين من ولايته وسمع مواليه الناعية من جوف الليل فجاءوا مع سيف الدين قطز وسنجر الغتمي وبهادر فدخلوا القصر وقبضوا على الجوجري فقتلوه وفرّ سنجر العزيزي إلى الشام وهما بقتل شجرة الدرّ وقام الموالى الصالحية دونها فاعتقلوها ونصبوا للملك علي بن المعز أليك ولقبوه المنصور وكان أتابكه علم الدين سنجر الحلبي واشتمل موالى المعز على ابنه المنصور فكبسوا علم الدين سنجر واعتقلوه وولوا مكانه أقطاي المعزي الصالحى مولى العزيز على الدولة في نقضها وإبرامها سنة ست وخمسين وأغرته أم المنصور بالصاحب شرف الدين الغازي لأنّ المعز كان يستودعه سراياه عنده فاستصفاه وقتله وفي هذه السنة توفي زهير بن

علي المهلي وكان يكتب عن الصالح ويلازمه في سجنه بالكرك ثم صحبه إلى مصر والله تعالى أعلم .

* (نهوض البحرية بالمغيث صاحب الكرك وإنهزامهم) *

قد ذكرنا فرار البحرية إلى الناصر ونهوضهم به إلى مصر وخروج أيبك إلى العباسية وما كان بينهما من الصلح فلما إنعقد الصلح ورجع الناصر إلى دمشق ورجعوا عنه إلى قلعة^(١) ولم يرضوا الصلح فاستراب بهم الناصر وصرفهم عنه فلحقوا بغزة ونابلس وبعثوا إلى المغيث صاحب الكرك بطاعتهم فأرسل الناصر عساكره للإيقاع بهم فهزمهم فسار إليهم بنفسه فهزموه إلى اللقاء ولحقوا بالكرك وأطمعوا المغيث في مصر واستمدّوه لها فأمدّهم بعسكره وقصدوا مصر وكبرأؤهم ببيبرس البندقداري وقلاوون الصالحى وبلبان الرشيدى وبرز الأمير سيف الدين قطز بعساكر مصر إلى الصالحية فهزمهم وقتل بلغار الأشرفى وأسر قلاوون الصالحى وبلبان الرشيدى وأطلق قلاوون بعد أيام في كفالة أستاذ الدار فاختنفى ثم لحق بأصحابه واستحثوا المغيث إلى مصر فنهض في عساكره سنة ست وخمسين ونزل الصالحية وقدم إليه عز الدين الرومى والكافورى والهاشر ممن كان يكاتبه من أمراء مصر وبرز سيف الدين قطز في عساكر مصر والتقى الجمعان فانهزم المغيث ولحق في الفل بالكرك وفرت البحرية إلى الغور فوجدوا هنالك أحياء من الأكراد قرّوا من جبال شهرزور أمام التتر فاجتمعوا بهم والتحموا بالصهر معهم وخشي الناصر غائلة اجتماعهم فجهز العساكر من دمشق إليهم والتقوا بالغور فانهزمت عساكره فتجهز ثانياً بنفسه وسار إليهم فخاموا عن لقائه وافترقوا هلحق الأكراد بمصر واعترضهم التركمان في طريقهم بالعريش فأوقعوا بهم وخلصوا إلى مصر ولحق البحرية بالكرك مع عسكر المغيث ووعدهم بالنصر وأرسل إليه من دمشق في أسلامهم إليه وتوعده^(٢) أنفسهم واضطربوا فقرّ ببيبرس وقلاوون إلى الصحراء وأقاموا بها ثم لحقوا بمصر وأكرمهم الأتابك قطز وأقطعهم وأقاموا عنده ولما قرّ ببيبرس وقلاوون من المغيث قبض على بقية أمراء البحرية سنقر الأشقر وشكرو برابق وبعث بهم إلى

(١) بياض بالأصل ولم نعثر في المراجع التي بين أيدينا على إسم هذه القلعة .

(٢) بياض بالأصل : ولم نعثر في المراجع التي بين أيدينا على تصويب هذه العبارة ومقتضى السياق : ونوعه بقتلهم هم أنفسهم .

الناصر فحبسهم بقلعة حلب إلى أن استولى التتر عليها ونقلهم هلاكوا إلى بلاده والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (خلع المنصور علي بن أبيك واستبداد قطز بالملك) *

ثم كان ما ذكرناه ونذكره من زحف هلاكوا إلى بغداد واستيلائه عليها وما بعدها إلى الفرات وفتح ميفارقين وإربل ومسير لؤلؤ صاحب الموصل إليه ودخوله في طاعته ووفادة ابن الناصر صاحب دمشق إليه رسولا عن أبيه بالهدايا والتحف على سبيل المصانعة والعذر عن الوصول بنفسه خوفاً على سواحل الشام من الإفرنج فارتاب الأمراء بشأنهم واستصغروا سلطانهم المنصور علي بن المعز أبيك عن مدافعة هذا العدو لعدم ممارسته للحروب وقلة دربته بالوقاع واتفقوا على البيعة لسيف الدين قطز المعزي وكان معروفاً بالصرامة والإقدام فبايعوا له وأجلسوه على الكرسي سنة ست وخمسين ولقبوه المظفر وخلعوا المنصور لستين من ولايته وحبسوه وأخويه بدمياط ثم غربها ولقبوه المظفر وخلعوا المنصور لستين من ولايته وحبسوه وأخويه بدمياط ثم غربها الظاهر بعد ذلك إلى القسطنطينية وكان المتولون لذلك الصالحة والعززية ومن يرجع إلى قطز من المعزية وكان بهادر وسنجر الغنمي غائبين فلما قدما استراب بها قطز وخشي من نكبرهما ومزاحمتها فقبض عليهما وحبسهما وأخذ في تمهيد الدولة فاستوثقت له وكان قطز من أولاد الملوك الخوارزمية يقال أنه ابن أخت خوارزم شاه واسمه محمود بن مودود أسره التتر عند الحادثة عليهم وبيع واشتراه ابن الزعيم حكاه النووي عن جماعة من المؤرخين والله تعالى ينصر من يشاء من عباده .

* (استيلاء التتر على الشام وانقراض أمر بني أيوب ثم مسير قطز بالعساكر وإرتجاعه الشام من أيدي التتر وهزيمتهم وحصول الشام في ملك الترك) *

ثم عبر هلاكوا الفرات سنة ثمان وخمسين وفرّ الناصر وأخوه الظاهر إلى التيه ولحق بمصر المنصور صاحب حماة وجماعة البحرية الذين كانوا بأحياء العرب في القفر وملك هلاكوا بلاد الشام واحدة واحدة وهدم أسوارها وولى عليها وأطلق المعتقلين من البحرية بحلب مثل سنقر الأشقر وشكر وبراق واستخدمهم ثم قفل إلى العراق لإختلاف بين أخوته واستخلف على

الشام كتبغا من أكبر أمرائه في إثني عشر ألفاً من العساكر وتقدّم إليه بمطالعة الأشرف إبراهيم بن شيركوه صاحب حمص بعد أن ولاه على مدينة دمشق وسائر مدن الشام واحتمل معه الناصر وابنه العزيز بعد أن استشاره في تجهيز العساكر بالشام لمداغة أهل مصر عنها فهوّن عليه الأمر وقللهم في عينه فجهز كتبغا ومن معه ولما فصل سار كتبغا إلى قلعة دمشق وهي ممتنة بعد فحاصرها وافتتحها عنوة وقتل نائبا بدر الدين بربك وخيم بمرج دمشق وجاءه من ملوك الإفرنج بالساحل ووفد عليه الظاهر أخو الناصر صاحب صرخد فردّه إلى عمله وأوفد عليه المغيث صاحب الكرك ابنه العزيز بطاعته فقبله وردّه إلى أبيه واجتمعت عساكر مصر واحتشد المظفر العرب والتركمان وبعث إليهم بالعطايا وأزاح العلل وبعث كتبغا إلى المظفر قطز بأن يقيم طاعة هلاكو بمصر فضرب أعناق الرسل ونهض إلى الشام مصمماً للقاء العدو ومعه المنصور صاحب حماة وأخوه الأفضل وزحف كتبغا وعساكر التتر ومعه الأشرف صاحب حمص والسعيد صاحب الضبيّة ابن العزيز بن العادل وبعث إليهما قطز يستميلهما فوعده الأشرف بالإنهزام يوم اللقاء وأساء العزيز الردّ على رسوله وأوقع به والتقى الفريقان بالغور على عين جالوت وتحيز الأشرف عندما تناشبا فانهزم التتر وقتل أميرهم كتبغا في المعركة وجيء بالسعيد صاحب الضبيّة أسيراً فوبخه ثم قتله وجيء بالعزيز بن المغيث وأسر يومئذ^(١) الذي ملك مصر بعد ذلك ولقي العادل بيبس المنهزمين في عسكر من الترك فأثنى فيهم وانتهى إلى حمص قلتي مدداً من التتر جاء لكتبغا فاستأصلهم ورجع إليه الأشرف صاحب حمص من عسكر التتر فأقرّه على بلده وبعث المنصور على بلده حماة وأقرّه عليها وردّه إليه المعرة وانتزع منه سلمية فأقطعها لأمير العرب مهنا بن مانع بن جديلة وسار إلى دمشق فهرب من كان بها من التتر وقتل من وجد بها من بقاياهم ورتب العساكر في البلاد وولى على دمشق علم الدين سنجر الحلبي الصالح وهو الذي كان أتابك علي بن أبيك ونجم الدين أبا الهيچاء ابن خشتين الكردي وولى على حلب السعيد ويقال المظفر علاء الدين بن لؤلؤ صاحب الموصل وكان وصل إلى الناصر بمصر هارباً أمام التتر وسار معه فلما دخل الناصر منها لحق هو بمصر وأحسن إليه قطز ثم ولاه الناصر على حلب الآن ليتوصل إلى أخبار التتر من أخيه الصالح بالموصل وولى على نابلس وغزة والسواحل شمس الدين دانشير اليرلي من أمراء العزيز محمد وهو أبو الناصر وكان هرب منه عند نهوضه إلى مصر في جماعة من العزيزية ولحق بأتابك ثم إرتاب بهم وقبض على بعضهم ورجع اليرلي في الباقيين

(١) بياض بالأصل : ويظهر من الفصول اللاحقة أنه الظاهر بيبس لأنه هو الذي ملك مصر بعد ذلك .

إلى الناصر فاعتقله بقلعة حلب حتى سار إلى التتر فلما دخل إليها سار إليهم مع العساكر إلى مصر فأكرمه المظفر وولاه الآن على السواحل وغزة وأقام المظفر بدمشق عشرين ليلة وأقبل إلى مصر ولما بلغ إلى هلاكه ما وقع بقومه في الشام واستيلاء الترك عليه إتهم صاحب دمشق بأنه خدعه في إشارته وقتله كما مر وانقرض ملك بني أيوب من الشام أجمع وصار للملك مصر من الترك والله يرث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

* (مقتل المظفر وولاية الظاهر بيبرس) *

كان البحرية من حين مقتل أميرهم أقطاي الجامدار يتحينون لأخذ ثاره وكان قطز هو الذي تولى قتله فكان مسترياً بهم ولما سار إلى التتر ذهل كل منهم عن شأنه وجاء البحرية من القفر هارين من المغيث صاحب الكرك فوثقوا لأنفسهم من السلطان قطز أحوج ما كان إلى أمثالهم من المدافعة عن الإسلام وأهله فأمنهم واشتمل عليهم وشهدوا معه واقعة التتر على عين جالوت وأبلغوا فيها والمقدمون فيهم يومئذ بيبرس البندقداري وأثر الأصبهاني وبلبان الرشيد وبككون الجوكنداري وبندوغار التركي فلما إنهمز التتر من الشام واستولوا عليه وحسر ذلك المد وأفرج عن الخائفين الروح عاد هؤلاء البحرية إلى ديدنهم من التردد لئلا أقطاي فلما قفل قطز من دمشق سنة ثمان وخمسين أجمعوا أن يبرزوا به في طريقهم فلما قارب مصر ذهب في بعض أيامه يتصيد وسارت الرواحل على الطريق فاتبعوه وتقدم إليه أنز شفيعاً في بعض أصحابه فشفعه فأهوى يقبل يده فأمسكها وعلاه بيبرس بالسيف فخرّ صريعاً للدين والفم ورشقه الآخرون بالسهم فقتلوه وتبادروا إلى المخيم وقام دون فارس الدين اقطاي على ابن المعز أليك وسأل من تولى قتله منكم فقالوا بيبرس فبايع له وأتبعه أهل المعسكر ولقبوه الظاهر وبعثوا أيدمر الحلبي بالخبر إلى القلعة بمصر فأخذ له البيعة على من هناك ووصل الظاهر منتصف ذي القعدة من السنة فجلس على كرسیه واستخلف الناس على طبقاتهم وكتب إلى الأقطار بذلك ورتب الوظائف وولى الأمراء وولى تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الأعز الوزارة مع القضاء واقتدى بآثار أستاذه الصالح نجم الدين ومبدأ أمر هذا الظاهر بيبرس أنه كان من موالي علاء الدين أيدكين البندقداري مولى الصالح فسخط عليه واعتقله وانتزع ماله ومواليه وكان منهم بيبرس فصيره مع الجامدارية وما زال يترقى في المراتب إلى أن تقدم في الحروب ورياسة المراكب ثم كان خبره بعد الصالح ما قصصناه إنتهى والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (انتقاض سنجر الحلي بدمشق ثم أقوس البرلي بحلب) *

ولما بلغ علم الدين سنجر بدمشق مقتل قطز وولاية الظاهر بيبرس انتقض ودعا لنفسه وجلس على التخت بدمشق وتلقب المجاهد وخطب لنفسه وضرب السكة باسمه وتمسك المنصور صاحب حماة بدعوة الظاهر وجاءت عساكر التتر إلى الشام فلما شارفوا البيرة جرد إليهم السعيد بن لؤلؤ من حلب عسكرياً فهزمهم التتر وقتلهم وإتهم الأمراء العزيزية والناصرية ابن لؤلؤ في ذلك فاعتقلوه وقدموا عليهم حسام الدين الجوكنداري وأقره الظاهر وزحف التتر إلى حلب فلكوها وهرب حسام الدين إلى حماة ثم زحف إليها التتر فلحق صاحبها المنصور وأخوه علي الأفضل إلى حمص وبها الأشرف بن شيركوه واجتمعت إليه العزيزية والناصرية وقصدوا التتر سنة تسع وخمسين فهزموهم بعد هزيمتهم ونازلوا حماة وسار المنصور والأشرف صاحب حمص إلى سنجر الحلي بدمشق ولم يدخلها في طاعته لضعفه وسار التتر من حماة إلى أرامية فحاصروها يوماً وعبروا الفرات إلى بلادهم وبعث بيبرس الظاهر صاحب مصر أستاذه علاء الدين البندقداري في العساكر لقتال سنجر الحلي بدمشق وقاتلهم فهزموه ولحقوا إلى القلعة ثم خرج منها ليلاً إلى بعلبك وأتبعوه فقبضوا عليه وبعثوه إلى الظاهر فاعتقله واستقر أيديهم بدمشق ورجع صاحب حمص وحماة إلى بلديهما وبعث الظاهر إلى أيديهم بالقبض على بهاء الدين بقرى وشمس الدين أقوش البرلي^(١) وغيرهما من العزيزية فقبض على بقرى وفر العزيزية والناصرية مع أقوش البرلي وطالبوا صاحب حمص وصاحب حماة في الإنتقاض فلم يحياهم إلى ذلك فقال لفخر الدين^(٢) أطلب لي الظاهر المقدم معك في خدمتك وبينما هو يسير لذلك خالفه البرلي إلى حلب وثار بها وجمع العرب والتركمان ونصب للحرب فجاءت العساكر من مصر فقاتلوه وغلبوه عليها ولحق بالبيرة فلكها واستقر بها حتى إذا جهر الظاهر عساكره سنة ستين إلى حلب مع سنقر الرومي سار معه صاحب حماة وصاحب حمص للإغارة على أنطاكية ولقيهم البرلي وأعطاهم طاعته وأقره الظاهر على البيرة ثم ارتاب به بعد ذلك واعتقله ثم علاء الدين أيديهم البندقداري مولى السلطان بدمشق وولى عليها بيبرس الوزير ورجع والله ينصر من يشاء من عباده إنتهى .

(١) واسمه في أخبار البشر ج ٣ ص ٢١٠ : أقوش البرلي .

(٢) بياض بالأصل وفي أخبار البشر ج ٣ ص ٢١١ : فلما قدم البرلي إلى حلب كان بها فخر الدين الحمصي المذكور، فقال له البرلي : نحن في طاعة الملك الظاهر .

* (البيعة للخليفة بمصر ثم مقتله بالحديثة وغانة على يد التتر والبيعة للآخر الذي استقرت الخلافة في عقبه بمصر) *

لما قتل الخليفة عبدالله المستعصم ببغداد بقي رسم الخلافة الإسلامية عطلاً بأقطار الأرض والظاهر مشوّف إلى تجديده وعمارة دسّته ووصل إلى مصر سنة تسع وخمسين عمّ المستعصم وهو أبو العباس أحمد بن الظاهر كان بقصورهم ببغداد وخلص يوم البيعة وأقام يتردّد في الأحياء إلى أن لحق بمصر فسرّ الظاهر بقدومه وركب للقائه ودعا الناس على طبقاتهم إلى أبواب السلطان بالقلعة وأفرد بالجلس أدبا معه وحضر القاضي تاج الدين ابن بنت الأعزّ فحكم باتصال نسبه بالشجرة الكريمة بشهادة العرب الواصلين به والخدم الناجعين من قصورهم ثم بايع له الظاهر والناس على طبقاتهم وكتب إلى النواحي بأخذ البيعة له والخطبة على المنابر ونقش اسمه في السكة ولقب المستنصر وأشهد هو حيثنذ الملاءم بتفويض الأمر للظاهر والخروج له عن العهد وكتب بذلك سجله وأنشأه فخر الدين بن لقمان كاتب الترسل ثم ركب السلطان والناس كافة إلى خيمة بنيت خارج المدينة فقرأ التقليد على الناس وخلع على أهل المراتب والخواص ونادى السلطان بمظاهرة وإعادته إلى دار خلافته ثم خطب هذا الخليفة يوم الجمعة وخشع في منبره فأبكى الناس وصلى وانصرفوا إلى منازلهم ووصل على أثره الصالح إسماعيل بن لؤلؤ صاحب الموصل وأخوه إسحق صاحب الجزيرة وقد كان أبوهما لؤلؤ استخدم هلاكوكما مرّ وأقره على الموصل وما إليها وتوفي سنة سبع وخمسين وقد ولي ابنه إسماعيل على الموصل وابنه إسماعيل المجاهد على جزيرة ابن عمر وابنه السعيد على سنجار وأقرهم هلاكوك على أعمالهم ولحق السعيد بالناصر صاحب دمشق وسار معه إلى مصر وصار مع قطز وولاه حلب كما مرّ ثم اعتقل ثم ارتاب هلاكوك بالأخوين فأجفلا ولحقا بمصر وبالغ الظاهر في إكرامهم وسألوه في إطلاق أخيه المعتقل فأطلقه وكتب لهم بالولاية على أعمالهم وأعطاهم الألوية وشرع في تجهيز الخليفة إلى كرسيه ببغداد فاستخدم له العساكر وأقام له الفساطيط والخيام ورتب له الوظائف وأزاح علل الجميع يقال أنفق في تلك النوبة نحو من ألف ألف دينار ثم سار من مصر في شوال من السنة إلى دمشق ليعث من هناك الخليفة وابني لؤلؤ إلى ممالكهم ووصل إلى دمشق ونزل بالقلعة وبعث بليان الرشيدي وشمس الدين سنقر إلى الفرات وصمم الخليفة لقصده وفارقهم وسار الصالح إسماعيل وأخواه إلى الموصل وبلغ الخبر إلى هلاكوك فجرد العساكر إلى الخليفة وكبسوه بغانة والحديثة فصايرهم قليلاً ثم

استشهد وبعث العساكر إلى الموصل فحاصروها تسعة أشهر حتى جهدهم الحصار واستسلموا فلكها التتر وقتلوا الصالح إسماعيل والظاهر خلال ذلك مقيم بدمشق وقد وفد عليه بنو أيوب من نواحي الشام وأعطوه طاعتهم المنصور صاحب حماة والأشرف صاحب حمص فأكرم وصلها وولاهما على أعمالها وأذن لها في إتخاذ الآلة وبسط حكمها على بلاد الإسماعيلية وإلى المنصور تل باشر الذي اعتاضه عن حمص لما أخذها منه الناصر صاحب حلب ووفد على الظاهر أيضاً بدمشق الزاهد أسد الدين شيركوه صاحب حمص وصاحب بعلبك والمنصور والسعيد ابنا الصالح إسماعيل بن العادل والأبجد بن الناصر داود والأشرف بن مسعود والظاهر بن المعظم فأكرم وفادتهم وقابل بالإحسان والقبول طاعتهم وفرض لهم الأرزاق وقرر الجرايات ثم قفل إلى مصر وأفرج عن العزيز بن المغيث الذي كان اعتقله قطز وأطلقه يوم الموقعة بالكرك وولى على أحياء العرب بالشام عيسى بن مهنا بن مانع بن جريلة من رجالاتهم ووفر لهم الإقطاع على حفظ السابلة إلى حدود العراق ورجع إلى مصر فقدم عليه رجل من عقب المسترشد من خلفاء بني العباس ببغداد اسمه أحمد فأثبت نسبه ابن بنت الأعز كالأول وجمع الظاهر الناس على مراتبهم وباع له وفوض إليه هو الأمور وخرج إليه عن التدبير وكانت هذه البيعة سنة ستين ونسبه عند العباسيين في أدراج نسبهم الثابت أحمد بن أبي بكر علي بن أبي بكر بن أحمد بن الإمام المسترشد وعند نسابة مصر أحمد بن حسن بن أبي بكر بن الأمير أبي علي القتبي بن الأمير حسن بن الإمام الراشد بن الإمام المسترشد هكذا قال صاحب حماة في تاريخه وهو الذي استقرت الخلافة في عقبه بمصر لهذا العهد إنتهى والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (فرار التركمان من الشام إلى بلاد الروم) *

كان التركمان عند دخول التتر إلى بلاد الشام كلهم قد أجفلوا إلى الساحل واجتمعت أحياءهم بالحوكان قريباً من صفد وكان الظاهر لما نهض إلى الشام إعترضه رسل الإفرنج من يافا ويبروت وصفد يسألونه في الصلح على ما كان لعهد صلاح الدين فأجابهم وكتب به إلى الانبردور^(١) ملكهم ببلاد إفرنسة وراء البحر فكانوا في ذمة من الظاهر وعهد ووقعت بين الإفرنج بصفد وبين أحياء التركمان واقعة يقال أغار فيها أهل صفد عليهم فأوقع بهم التركمان وأسروا عدة من رؤسائهم وفادوهم بالمال ثم خشوا عاقبة ذلك من الظاهر فارتحلوا إلى بلاد الروم وأقفر الشام منهم والله تعالى ينصر من يشاء من عباده .

(١) أي الامبراطور

* (انتفاض الأشرية والعززية واستيلاء اليرلي على البيرة) *

كان هؤلاء العززية والأشرية من أعظم جموع هؤلاء الموالي وكان مقدم الأشرية بهاء الدين بقرى ومقدم العززية شمس الدين أقوش وكان المظفر قطز قد أقطعه نابلس وغزة وسواحل الشام ولما ولي الظاهر إنتقض عليه سنجر الحلبي بدمشق وجهاز أستاذة علاء الدين البندقداري في العساكر لقتاله وكان الأشرية والعززية بحلب وقد انتقضوا على نائبها السعيد بن لؤلؤ كما مرّ فتقدم البندقداري باستدعائهم معه إلى دمشق ثم أضاف الظاهر بيسان لليرلي زيادة على ما بيده فسارو ملك دمشق ثم أوعز الظاهر إلى البندقداري بالقبض على العززية والأشرية فلم يتمكن الامن بقرى مقدم الأشرية وفارقه الباقون وانتقضوا واستولى شرف الدين اليرلي على البيرة وأقام بها وشن الغارات على التتر شرقي الفرات فنال منهم ثم جهز عساكره إليه مع جمال الدين بامو الحموي فهزمهم وأطلقهم وأقام الظاهر على استمالته بالترغيب والترهيب حتى جنح إلى الطاعة واستأذن في القدوم وسار بكباس الفخري للقائه فلقاه بدمشق سنة إحدى وستين ثم وصل فأوسع السلطان يداً وعطاءً والواصلين معه على مراتبهم واختصه بمراكبته ومشورته وسأله التزول عن البيرة فنزل عنها فقبلها الظاهر وأعاضه عنها والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (استيلاء الظاهر على الكرك من يد المغيث وعلى حمص بعد وفاة

صاحبها) *

لما قفل السلطان من الشام سنة ستين كما قدّمناه جرّد عسكرياً إلى الشوبك مع بدر الدين أيديري فلكها وولى عليها بدر الدين بليان الخصي ورجع إلى مصر وكان عند المغيث بالكرك جماعة من الأكراد الذين اجفلوا من شهرزور أمام التتر إلى الشام وكان قد اتخذهم جنداً لعسكرته فسرحهم للإغارة على الشوبك ونواحيه فاعتزم السلطان على الحركة إلى الكرك مخافة المغيث وبعث بالطاعة واستأمن الأكراد فقبلهم الظاهر وأمن الأكراد فوصلوا إليه ثم سار سنة إحدى وستين إلى الكرك واستخلف على مصر سنجر الحلبي واستخلف على غزة قلني هنالك أمّ المغيث تستعطفه وتستأمن منه لحضور ابنها فأجابها وسار إلى بيسان فسار المغيث للقائه فلما وصل قبض عليه وبعثه من حينه إلى القاهرة مع أقسنقر الفارقاني وقتل بعد ذلك بمصر وولى على الكرك عز الدين أيديمر وأرسل نور الدين بيسري الشمسي ليؤمن أهل الكرك

ويرتب الأمور بها وأقام بالطور في انتظاره فأبلغ يسري القصد من ذلك ورجع إليه فارتحل إلى القدس وأمر بعمارة مسجده ورجع إلى مصر وبلغه وفاة صاحب حمص موسى الأشرف ابن إبراهيم المنصور شريكه المجاهد بن ناصر الدين محمد بن أسد الدين شريكوه وكانت وراثته له من آبائه أقطعه نور الدين العادل لجدّه أسد الدين ولم تزل في أيديهم وأخذها الناصر يوسف صاحب حلب سنة ست وأربعين وعوضه عنها تل باشر وأعادها عليه هلاكوه وأقره الظاهر توفي سنة إحدى وستين وصارت للظاهر وانقرض منها ملك بني أيوب والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (هزيمة التتر على البيرة وفتح قيسارية وارسوف بعدها) *

ثم رجعت عساكر التتر الى البيرة مع ردمانة من أمراء المغل سنة ثلاث وستين فحاصروها ونصبوا عليها المجانيق فجهاز السلطان العساكر مع لوغان من أمراء الترك فساروا في ربيع من السنة وسار السلطان في اثرهم وانتهى الى غزة ولما وصلت العساكر الى البيرة وأشرفوا عليها والعدو يحاصرها أجفلت عساكر التتر وساروا منهزمين وخلفوا سوادهم وأثقالهم فنهبت العساكر وارتحل السلطان من غزة وقصد قيسارية وهي للافرنج فتزل عليها عاشر جمادي من السنة فنصب المجانيق ودعا أهلها للحرب واقتحمها عليهم فهربوا الى القلعة فحاصرها خمسا وملكها عنوة وفرّ الافرنج منها ثم رحل في خوف من العساكر الى عملها فشّن عليها الغارة وسرح عسكرا الى حيفا فملكها عنوة وخربوها وقلعتها في يوم أو بعض يوم ثم ارتحل الى ارسوف فنازلها مستهل جمادي الأخيرة فحاصرها وفتحها عنوة وأسر الافرنج الذين بها وبعث بهم الى الكرك وقسم أسوارها على الامراء فرموها وعمد الى ما ملك في هذه الغزاة من القرى والضيايع والأرضين فقسّمها على الامراء الذين كانوا معه وكانوا اثنين وخمسين وكتب لهم بذلك وقفل الى مصر وبلغه الخبر بوفاة هلاكه ملك التتر في ربيع من السنة وولاية ابنه ابغا مكانه وما وقع بينه وبين بركة صاحب الشمال من الفتنة ولاول دخوله لمصر قبض على شمس الدين سنقر الرومي وحبسه وكانت الفتنة قبل غزاته بين عيسى بن مهنا ولحق زامل بعد ذلك بهلاكه ثم استأمن الى الظاهر فامنه وعاد الى احيائه والله تعالى أعلم .

* (غزو طرابلس وفتح صفد) *

كانت، طرابلس للافرنج وبها سمند بن البرنس الأشتر وله معها انطاكية وبلغ السلطان انه قد

تجهز للقتال فلقية النائب بها علم الدين سنجر الباشقر وانهمز المسلمون واستشهد كثير منهم فتجهز السلطان للغزو وسار من مصر في شعبان سنة أربع وستين وترك ابنه السعيد عليا بالقلعة في كفالة عز الدين ايدمر الحلي وقد كان عهد لابنه السعيد بالملك سنة اثنتين وستين ولما انتهى الى غزة بعث العساكر صحبة سيف الدين قلاون ايدغدي الغريزي فنازل القليعات وحلب وعرقا من حصون طرابلس فاستأمنوا اليه وزحفت العساكر وسار السلطان الى صفد فحاصرها عشرا ثم اقتحمها عليهم في عشرين من رمضان السنة وجمع الافرنج الذين بها فاستلحمهم أجمعين وأنزل بها الحامية وفرض أرزاقهم في ديوان العطاء ورجع الى دمشق والله تعالى أعلم .

* (مسير العساكر لغزو الارمن) *

هؤلاء الارمن من ولد أخي ابراهيم عليه السلام من بني قوميل بن ناحور وناحور بن تارح وعبر عنه في التريل بأزر وناحور اخو ابراهيم عليه السلام ويقال أن الكرج اخوة الأرمن وارمينية منسوبة اليهم وآخر مواطنهم الدروب المجاورة لحلب وقاعدتها سيس ويلقب ملكهم التكفور وكان ملكهم صاحب هذه الدروب لعهد الملك الكامل وصلاح الدين من بعده اسمه قليج بن اليون واستنجد به العادل وأقطع له وكان يعسكر معه وصالحه صلاح الدين على بلاده ثم كان ملكهم لعهد هلاكو والتتر هيثوم بن قسطنطين ولعله من أعقاب قليج أو قرابته ولما ملك هلاكو العراق والشام دخل هيثوم في طاعته فأقره على سلطانه ثم أمره بالاغارة على بلاد الشام وأمدّه صاحب بلاد الروم من التتر وسار سنة اثنتين وستين ومعه بنوكلاب من أعراب حلب وانتهوا الى سيس وجهاز الظاهر عساكر حاة وحمص فساروا اليهم وهزموهم ورجعوا الى بلادهم فلما رجع السلطان من غزاة طرابلس سنة أربع وستين سرح العساكر لغزو سيس وبلاد الأرمن وعليهم سيف الدين قلاون والمنصور صاحب حاة فساروا لذلك وكان هيثوم ملكهم قد ترهب ونصب للملك ابنه كيقومن فجمع كيقومن الأرمن وسار للقائهم ومعه أخوه وعمه وأوقع بهم المسلمون قتلا وأسرا وقتل أخوه وعمه في جماعة من الأرمن واكتسحت عساكر المسلمين بلادهم واقتحموا مدينة سيس وخربوها ورجعوا وقد امتلأت أيديهم بالغنائم والسبي وتلقاهم الظاهر من دمشق عند قارا فلما رأهم ازداد سرورا بما حصل لهم وشكا اليه هنالك الرعية ما لحقهم من عدوان الأحياء الرحالة وانهم ينهبون موجودهم ويبيعون ما يتخطفونه منهم من الافرنج بعكا فأمر باستباحهم

وأصبحوا فيها في أيدي العساكر بين القتل والاسر والسبي ثم سار الى مصر وأطلق كيقيمون من ملك الأرمن وصالحه على بلده ولم يزل مقيما الي أن بعث أبوه في فدائه وبذل فيه الأموال والقلاع فأبى الظاهر من ذلك وشرط عليه خلاص الامراء الذين أخذهم هلاكو من سجن حلب وهم سنقر الاشقر وأصحابه فبعث فيهم تكفر الى هلاكو فبعث بهم اليه وبعث الظاهر بابنه منتصف شوال وتسلم القلاع التي بذلت في فدائه وكانت من أعظم القلاع وأحصنها منها مرزبان ورعبان وقدم سنقر الأشقر على الظاهر بدمشق وأصبح معه في الموكب ولم يكن أحد علم بأمره وأعظم اليه السلطان النعمة ورفع الرتبة ورعى له السابقة والصحة وتوفي هيثوم سنة ستين بعدها والله تعالى ينصر من يشاء من عباده .

* (مسير الظاهر لغزو حصون الافرنج بالشام وفتح يافا والشقيف ثم انطاكية) *

كان الظاهر عندما رجع من غزاة طرابلس الى مصر أمر بتجديد الجامع الأزهر واقامة الخطبة به وكان معطلا منها منذ مائة سنة وهو أول مسجد أسسه الشيعة بالقاهرة حين اختطوها ثم خرج الى دمشق لخبر بلغه عن التتر ولم يثبت فسار من هنالك الى صفد وكان أمر عند مسيره بعمارتها وبلغه اغارة أهل الشقيف على الثغور فقصدها وشن الغارة على عكا واكتسح بسائطها حتى سأل الافرنج منه الصلح على ما يرضيه فشرط المقاسمة في صيدا وهدم الشقيف واطلاق تجار من المسلمين كانوا أسروهم ودية بعض القتلى الذي أصابوا دمه وعقد الصلح لعشر سنين ولم يوفوا بما شرط عليهم فنهض لغزوهم ونزل فلسطين في جبادى سنة ست وستين وسرح العساكر لحصار الشقيف ثم بلغه مهلك صاحب يافا من الافرنج وملك ابنه مكانه وجاءت رسله اليه في طلب المودة فحبسهم وصبح البلد فاقتحمها ولحأ أهلها الى القلعة فاستترهم بالأمان وهدمها وكان أول من اختط مدينة يافا هذه صنكل من ملوك الافرنج عند ما ملكوا سواحل الشام سنة ثلاث وتسعين واربعمائة ثم مدنها وأتم عمارتها ريذا فرنس المأسور على دمياط عندما خلص من محبسه بدار بن لقمان ثم رجع الى حصن الشقيف فحاصره وافتتحه بالأمان وبث العساكر في نواحي طرابلس فاكتسحوها وخرّبوا عمرانها وكنائسها وبادر صاحب طرطوس بطاعة السلطان وبعث الى العساكر بالميرة وأطلق الأسرى الذين عنده ثلثمائة أو يزيدون ثم ارتحل السلطان الى حمص وحماة يريد انطاكية

وقدّم سيف الدين قلاوون في العساكر فنازل انطاكية في شعبان فسار^(١) المنصور صاحب حماة وجاعة البحرية الذين كانوا بأحياء العرب في القفر وكان صاحب انطاكية سمند بن تيمند وكانت قاعدة ملك الروم قبل الإسلام اختطها انطيوخس من ملوك اليونانيين واليه تنسب ثم صارت للروم وملكها المسلمون عند الفتح ثم ملكها الافرنج عندما ساروا الى ساحل الشام أعوام التسعين والاربعائة ثم استطردوا صلاح الدين من البرنس ارناط الذي قتله في واقعة حطين كما مرّ ثم ارتجعها الافرنج بعد ذلك على يد البرنس الأشتر وأظنه صنكل ثم صارت لابنه تيمند ثم لابنه سمند وكان عندما حاصرها الظاهر بطرابلس وكان بها كنداصطبل عم يغمور ملك الأرمن أفلت من الواقعة عليه بالذراوند واستقرّ بانطاكية عند سمند فخرج في جموعه لقتال الظاهر فانهزم أصحابه وأسر كنداصطبل على أن يحمل أهل انطاكية على الطاعة فلم يوافقوه ثم جهدهم الحصار واقتحمها المسلمون عنوة وأنحنوا فيهم ونجا فلهم الى القلعة فاستنزلوا على الامان وكتب الظاهر الى ملكهم سمند وهو بطرابلس وأطلق كنداصطبل وأقاربه الى ملكهم هيثوم بسيس ثم جمع الغنائم وقسمها وخرّب قلعة انطاكية وأضرّمها نارا واستأ من صاحب بغراس فبعث اليه سقر الفارقي استاذ داره فلكها وأرسل صاحب عكا الى الظاهر في الصلح وهو ابن أخت صاحب قبرس فعقد له السلطان الصلح لعشر سنين ثم عاد الى مصر فدخلها ثالث أيام التشريق من السنة والله تعالى أعلم .

* (الصلح مع التتر) *

ثم نهض السلطان من مصر سنة سبع وستين لغزو الافرنج بسواحل الشام وخلف على مصر عز الدين ايدمر الحلي مع ابنه السعيد ولي عهده وانتهى الى ارسوف فبلغه أن رسلا جاؤا من عند ابغا بن هلاكو ومروا نقفور ملك الروم فبعث بهم الى^(٢) فبعث أميرا من حلب لاجتماعهم وقرأ كتاب ابغا نقفور تكفر في الصلح ويحتال فيما أذاعه من رسالته فأعاد رسله بجوابهم وأذن للامراء في الإنطلاق الى مصر ورجع الى دمشق ثم سار منها في خف من العسكر الى القلاع وبلغه وفاة ايدمر الحلي بمصر فخيم بخربة اللصوص وأغذ السير الى مصر متكررا منتصفا شعبان في خف من التركان وقد طوى خبره عن معسكره وأوهمهم القعود في

(١) بياض بالاصل وفي اخبار البشرج ٤ ص ٢٣ : ولما فرغ السلطان من فتح طرابلس وهدمها عاد الى الديار المصرية واعطى صاحب حماة الدستور فعاد الى بلده .

(٢) بياض بالاصل ولم نعث بالمراجع التي بين ايدينا على اسم البلد الذي ارسلهم اليها .

خيمته عليلا ووصل الى القلعة ليلة الثلاثاء رابعة سفره فتنكر له الحراس وطولع مقدّم الطواشية فطلب منهم امارة على صدقهم فأعطوها ثم دخل فعرفوه وباكر الميدان يوم الخميس فسّر به الناس ثم قضى حاجة نفسه وخرج ليلة الإثنين عائدا الى الشام كما جاء فوصل الى مخيمه ليلة الجمعة تاسع عشر شعبان وفرح الامراء بقدمه ثم فرق البعوث في الجهات وأغاروا على صور وملكوا احدى الضياع وساحوا في بسيط كركو فاكسحوها وامتلات أيديهم بالغنائم ورجعوا والله تعالى أعلم .

* (استيلاء الظاهر على صهيون) *

كان صلاح الدين بن أيوب قد أقطعها يوم فتحها وهي سنة أربع وثمانين وخمسمائة لناصر الدين منكبرس فلم تزل بيده الى أن هلك وولي فيها بعده ابنه مظفر الدين عثمان وبعده ابنه سيف الدين بن عثمان واستبدّ الترك بمصر وبعث سيف الدين أخاه عماد الدين سنة ستين بالهدايا الى الملك الظاهر بيبرس فقبلها وأحسن اليه ثم مات سيف الدين سنة تسع وستين وكان أوصى أولاده بالتزول للظاهر عن صهيون فوفد ابنه سابق الدين وفخر الدين على السلطان بمصر فأكرمها وأقطعها وولى سابق الدين منها أميرا وولى على صهيون من قبله ولم يزل كذلك الى أن غلب عليها سنقر الاشقر عندما انتقض بدمشق أيام المنصور والله تعالى أعلم .

* (نهوض الظاهر الى الحج) *

ثم بلغ الظاهر أنّ أبا نجي بن أبي سعد بن قتادة غلب عمه ادريس بن قتادة على مكة واستبدّ بها وخطب للظاهر فكتب له بالامارة على مكة واعترم على النهوض الى الحج وتجهز لذلك سنة سبع وستين وأزاح علل أصحابه وشيع العساكر مع اقتنقر الفارقاني استاذ داره الى دمشق وسار الى الكرك موريا بالصيد وانتهى الى الشويك ورحل منه لاحدى عشرة ليلة من ذي القعدة ومّر بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة وأتم التسليم فأحرم من ميقاتها وقدم مكة لخمس من ذي الحجة وغسل الكعبة بيده وحمل لها الماء على كفه واباح للمسلمين دخولها وأقام على بابها يأخذ بأيديهم ثم قضى حجه ومناسكه وولى نائبا على مكة شمس الدين مروان وأحسن الى الامير أبي نجي والى صاحب ينبع وخليص وسائر شرفاء الحجاز وكتب الى صاحب اليمن : اني بمكة وقد وصلت في سبع عشرة خطوة ثم فصل من

مكة ثالث عشر ذي الحجة فوصل المدينة على سبعة أيام ووصل الى الكرك منسلخ السنة ثم وصل دمشق غرة ثمان وستين وسار الى زيارة القدس وقدّم العساكر مع الامير اقسنقر الى مصر وعاد من الزيارة فأدركهم بتل العجول ووصل القلعة ثالث صفر من السنة والله تعالى أعلم.

* (اغارة الافرنج والتتر على حلب

ونهوض السلطان اليهم) *

كان صمغان من أمراء التتر مقبلا ببلاد الروم وأميرا عليهما ف وقعت المراسلة بينه وبين الافرنج في الاغارة على بلاد الشام وجاء صمغان في عسكره لموعدهم فأغار على أحياء العرب بنواحي حلب وبلغ الخبر الى الظاهر سنة ثمان وستين وهو يتصيد بنواحي الاسكندرية فنهض من وقته الى غزة ثم الى دمشق ورجع التتر على أعقابهم ثم سار الى عكا فاكسح نواحيها وأثنى فيها وفعل كذلك بحصن الاكراد ورجع الى دمشق آخر رجب ثم الى مصر ومّر بعسقلان فخرّبها وطمس آثارها وجاءه الخبر بمصر بأنّ الفرنسييس لويس بن لويس وملك انكلترة وملك اسكوسنا^(١) وملك نودل وملك برشلونة وهو ريدراكون وجماعة من ملوك الافرنج جاؤا في الاساطيل الى صقلية وشرعوا في الاستكثار من الشواني وآلة الحرب ولم يعرف وجه مذهبهم فاهتم الظاهر بحفظ الثغور والسواحل واستكثر من الشواني والمراكب ثم جاء الخبر الصحيح بأنهم قاصدون تونس فكان من خبرهم ما نذكره في دولة السلطان بها من بني أبي حفص والله تعالى أعلم.

* (فتح حصن الاكراد وعكا وحصون صور) *

ثم سار السلطان سنة تسع وستين لغزو بلاد الافرنج وسرّح ابنه السعيد في العساكر الى المرقب لنظر الامير قلاون وبيعليك الخزندار وسار هو الى طرابلس فاكسحوا سائر تلك النواحي ل حصن الأكراد عاشر شعبان من السنة فحاصره السلطان عشرا ثم اقتحمت أرباضه وانحجر الافرنج في قلعته واستأمنوا وخرجوا الى بلادهم وملك الظاهر الحصون وكتب الى صاحب الأستبار بالفتح وهو بطرسوس وأجاب بطلب الصلح فعقد له على طرسوس

(١) هي اسكوتلندا

والمرقب وارتحل السلطان عن حصن الأكراد بعد أن شحنه بالاقوات والحامية ونازل حصن عكا^(١) واشتد في حصاره واستأ من أهله اليه وملكه ثم ارتحل بعد الفطر الى طرابلس واشتد في قتالها وسأل صاحبها البرنس الصلح فعقد له على ذلك لعشر سنين ورجع الى دمشق ثم خرج آخر شوال الى العليقة وملك قلعتة بالأمان على أن يتركوا الأموال والسلاح واستولى عليه وهدمه وسار الى اللجون وبعث اليه صاحب صور في الصلح على أن ينزل له عن خمس من قلاعه فعقد له الصلح لعشر سنين وملكها ثم كتب الى نائبه بمصر أن يجهز عشرة من الشواني الى قبرس فجهزها ووصلت ليلا الى قبرس والله أعلم .

* (استيلاء الظاهر على حصون الاسماعيليه بالشام) *

كان الاسماعيليه في حصون من الشام قد ملكوها وهي مصياف والعليقه والكهف والمنيفه والقدموس وكان كبيرهم لعهد الظاهر نجم الدين الشعراي وكان قد جعل له الظاهر ولايتها ثم تأخر عن لقائه في بعض الاوقات فعزله وولى عليها خادم الدين بن الرضا على أن ينزل له عن حصن مصياف وأرسل معه العساكر فتسلموه منه ثم قدم عليه سنة ثمان وستين وهو على حصن الأكراد وكان نجم الدين الشعراي قد أسنّ وهم فاستعجب وأعتبه الظاهر وعطف عليه وقسم الولاية بينه وبين ابن الرضا وفرض عليها مائة وعشرين ألف درهم يحملانها في كل سنة ولما رجع سنة تسع وستين وفتح حصن الأكراد مرّ بحصن العليقة من حصونهم فلما كان من يد ابن الرضا منتصف شوال من السنة وأنزل به حامية ثم سار لقتال التتر على البيرة كما يذكر ورجع الى مصر فوجد الاسماعيليه قد نزلوا على الحصون التي بقيت بأيديهم وسلموها لنواب الظاهر فلما وصلوا وانتظمت قلاع الاسماعيليه في ملكة الظاهر وانقرضت منها دعوتهم والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (حصار التتر البيرة وهزيمتهم عليها) *

ثم بعث ابغا بن هلاكو العساكر الى البيرة سنة احدى وسبعين مع درباري من مقدمي أمرائه فحاصرها ونصب عليها المجانيق وكان السلطان بدمشق فجمع العساكر من مصر والشام وزحف الى الفرات وقد جهز العساكر على قاصيته فتقدم الامير قلاون وخالط التتر عليها في

(١) وفي اخبار البشر حصن عكا (ج ٤ ص ٦)

خيمهم فجالوا معه ثم انهمزوا وقتل مقدمهم وحاض السلطان بعساكره بحر الفرات اليهم فأجفلوا وتركوا خيامهم بما فيها وخرج أهل البيرة فنبهوا سوادهم وأحرقوا آلات الحصار ووقف السلطان بساحتها قليلا وخلع على النائب بها^(١) لحق درباري بسلطانه ابغا مفلولا فسخطه ولم يعتبه والله تعالى وليّ التوفيق .

* (غزوة سييس وتحريرها) *

ثم نهض الظاهر من مصر لغزو سييس في شعبان سنة ثلاث وسبعين وانتهى الى دمشق في رمضان وسار منها وعلى مقدمته الامير قلاون وبدر الدين بليك الخازندار فوصلوا الى المصيصة وافتتحوها غنوة وجاء السلطان على اثرهم وسار يجمع العساكر الى سييس بعد أن كنف الحامية بالبيرة خوفا عليها من التتر وبعث حسام الدين العنتابي ومهنا بن عيسى أمير العرب بالشام للاغارة على بلاد التتر من ناحيتها وسار إلى سييس فخر بها وبث السرايا في نواحيها فانتهوا الى بانياس وأذنة واكتسحوا سائر الجهات ووصل الى دربند الروم وعاد الى المصيصة في التعبية فأحرقها ثم انتهى الى انطاكية فأقام عليها حتى قسم الغنائم ثم رحل الى القصر وكان للافرنج خالصة لتبركهم برومة الذي يسمونه البابا فافتتحه ولقيه هنالك حسام الدين العنتابي ومهنا بن عيسى راجعين من اغارتهم وراء الفرات ثم بلغه مهلك البرنس سمند بن تيمند صاحب طرابلس فبعث الظاهر بليان الدوادار ليقرّر الصلح مع بنه فقرره على عشرين ألف دينار وعشرين أسيرا كل سنة وحضر لذلك صاحب قبرس وكان جاء معزيا لبني البرنس ورجع الدوادار الى الظاهر فقفل الى دمشق متصفاً ذي الحجة والله تعالى ينصر من شاء من عباده .

* (ايقاع الظاهر بالتتر في بلاد الروم) *

* ومقتل البرواناة بمدخلته في ذلك *

كان علاء الدين البرواناة متغلبا على غياث الدين كنجسرو صاحب بلاد الروم من بني قليج ارسلان وقد غلب التتر على جميع ممالك بلاد الروم وأبقوا على كنجسرو اسم الملك في كفالة البرواناة^(٢) وأقاموا أميرا من أمرائهم ومعه عسكر التتر حامية بالبلاد ويسمونه بالشحنة وكان أول

(١) بياض بالاصل وفي اخبار البشرج ٤ ص ٧ : ثم عاد الملك الظاهر فوصل الى الديار المصرية في الخامس والعشرين من جمادي الآخرة من هذه السنة .

(٢) وفي اخبار البشرج ٤ ص ١٠ : واسم البرواناة المذكور سليمان ، والبرواناة لقب وهو «الحاجب» بالعجمي .

أمير من التتر ببلاد الروم ييكنو وهو الذي افتتحها وبعده صمغان وبعده توقوو وتدوان شريكين في أمرهما لعهد الملك الظاهر وكان البرواناة يتأفف من التتر لاستطاعتهم عليه وسوء ملكهم ولما استفحل أمر الظاهر بمصر والشام أمل البرواناة الظهور على التتر والكرة لبني قليج ارسلان بمالأة الظاهر فداخله في ذلك وكتبه وزحف ابغا ملك التتر الى البيرة سنة أربع وسبعين وخرج الظاهر بالعساكر من دمشق وكتبه البرواناة يستدعيه وأقام الظاهر على حمص وأرسل اليه البرواناة يستحثه للقاء التتر وعزم ابغا على البرواناة في الوصول فاعتذر ثم رحل متثاقلا وكتب اليه الامراء بعده بأن الظاهر قد نهض الى بلاد الروم بوصيته اليه بذلك فبعث ابغا واستمدّه فأمدّه بعساكر المغل وأمره بالرجوع لمدافعة الظاهر فرجع ووجد جماعة من الامراء قد كاتبوا الظاهر واستحثوه للقدوم فسقط في أيديهم وحيل بينهم وبين مرامهم ورجع الى مصر في رجب من السنة وأقام بها حولا. ثم لحق توقوو وتدوان أمير التتر ببلاد الروم وسار الى الثغور بالشام وبلغ السلطان خبرهما فسار من مصر في رمضان سنة خمس وسبعين وقصد بلاد الروم وانتهى الى النهر الأزرق فبعث شمس الدين سنقر الاشقر فلقى مقدمة التتر فهزمهم ورجع الى السلطان وساروا جميعا فلقوا التتر على البلنشين ومعهم علاء الدين البرواناة في عساكره فهزمهم وقتل الأمير توقوو وتدوان وفر البرواناة وسلطانهم كنجسرو لما كان منفردا عنهم وأسركثير من المغل منهم سيلار بن طغرل ومنهم قفجاق وجاروصي وأسرو علاء الدين بن معين الدين البرواناة وقتل كثير منهم ثم رحل السلطان الى قيسارية فلكها وأقام عليها ينتظر البرواناة لموعدها كان بينهما وأبطأ عليه وقفل راجعا ورجع خبر الهزيمة الى ابغا ملك التتر واطلع من بعض عيونهم على ما كان بين البرواناة والظاهر من المداخلة فتذكر للبرواناة اوجاء لوقته حتى وقف على موضع المعركة وارتاب لكثرة القتلى من المغل وأن عسكر الروم لم يصب منهم أحد فرجع على بلادهم بالقتل والتخريب والأكتساح وامتنع كثير من القلاع ثم أمنهم ورجع وسار معه البرواناة وهم يقتله أولا ثم رجع لتخليته لحفظ البلاد فأعول نساء القتلى من المغل عند بابه فرحم لبيكاهن وبعث أميرا من المغل فقتله في بعض الطريق والله سبحانه وتعالى أعلم بغيه وأحكم .

* (وفاة الظاهر وولاية ابنه السعيد) *

ولما رجع السلطان من واقعه بالتتر على البلستين وقيسارية طرقة المرض في محرم سنة ست وسبعين وهلك من آخره وكان يبليك الخزنदार مستوليا على دولته فكتم موته ودفنه ورجع

بالعساكر الى مصر فلما وصل القلعة جمع الناس وباع لبركة بن الملك الظاهر ولقبه السعيد وهلك بيليك اثر ذلك فقام بتدبير الدولة استاذ داره شمس الدين الفارقي وكان نائب مصر أيام مغيب الظاهر بالشام واستقامت أموره ثم قبض على شمس الدين سنقر الاشقر وبدر الدين بيسري من أمراء الظاهر بسعاية بطانته الذين جمعهم عليه لأول ولايته وكانوا من أوغاد الموالي وكان يرجع اليهم لمساعدتهم له على هواه وصارت شيبته ولما قبض على هذين الأميرين نكر ذلك عليه خاله محمد بن بركة خان فاعتقله معها فاستوحشت أمه لذلك فأطلق الجميع فارتاب الأمراء وأجمعوا على معاتبته فاستعتب واستحلفوه ثم أغراه بطانته بشمس الدين الفارقي مدبر دولته فقبض عليه واعتقله وهلك لا يام من اعتقاله وولى مكانه شمس الدين سنقر الالبي ثم سعى أولئك البطانة به فغزله وولى مكانه سيف الدولة كونك الساقى صهر الأمير سيف الدين قلاون على أخت زوجته بنت كرمون كان أبوها من أمراء التتر قد خرج الى الظاهر واستقرّ عنده وزوج بنته من الأمير قلاون وبنته الاخرى من كوزبك ثم حضر عند السعيد لاشين الربيعي من حاشيته وغلب على هراة واستمال أهل الدولة بقضاء حاجاتهم واستمرّ معروفا لهم واستمرّ الحال على ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (خلع السعيد وولاية أخيه شلامش) *

ولما استقرّ السعيد بملكه في مصر أجمع المسير الى الشام للنظر في مصالحه فسار لذلك سنة سبع وسبعين فاستقرّ بدمشق وبعث العساكر الى الجهات وسار قلاون الصالحى وبدر الدين بيسري الى سيس زين له ذلك لاشين الربيعي والبطانة الذين معه وأغروه بالقبض عليهم عند مرجعهم ثم حدث بين هؤلاء البطانة وبين النائب سيف الدين كونك وحشة وآسفوه بما يلقون فيه عند السلطان فغضب لذلك وسارت العساكر فأغاروا على سيس واكتسحوا نواحيها ورجعوا فلقبهم النائب كونك وأسرّ اليهم ما أضمر لهم السلطان فخيّموا بالمرج وقعدوا عن لقاء السلطان وبعثوا اليه بالعذل في بطانته وأن ينصف نائبه منهم فأعرض عنهم ودس لموالي أبيه أن يعاودوهم اليه فأطلعوهم على كتابه فزادهم ضغنا وصرحوا بالانتقاض فبعث اليهم سنقر الاشقر وسنقر التركيتي استاذ داره بالاستعطاف فردّوها فبعث أمه بنت بركة خان فلم يقبلوها وارتحلوا الى القاهرة فوصلوها في محرّم سنة ثمان وسبعين وبالقلعة عز الدين ابيك الافرم الصالحى أمير جنّدار وعلاء الدين اقطوان الساقى وسيف الدين بليان أستاذ داره فضبطوا أبواب القاهرة ومنعوا من الدخول وتردّدت المراسلة بينهم وخرج ابيك الافرام

واقطوان ولاشين التركماني للحديث فتقبضوا عليهم ودخلوا الى بيوتهم ثم باكروا القلعة بالحصار ومنعوا عنها الماء وكان السعيد بعد منصرفهم من دمشق سار في بقية العساكر واستنفر الاعراب وبث العطاء وانتهى الى غزة فتفرقت عنه الاعراب واتبعهم الناس ثم انتهى الى بليس ورأى قلة العساكر فردّ عن الشام مع عز الدين ايدمر الظاهري الى دمشق والنائب بها يومئذ اقوش فقبض عليه وبعث به الى الأمراء بمصر ولما رحل السعيد من بليس الى القلعة أعتزل عنه سنقر الاشقر وسار الأمراء في العساكر لأعتراضه دون القلعة وألقى الله عليه حجابا من الغيوم المتراكمة فلم يهتدوا الى طريقه وخلص الى القلعة وأطلق علم الدين سنجر الحنفي من محبسه ليستعين به ثم اختلف عليه بطانته وفارقه بعضهم فرجع الى مصانعة الأمراء بأن يترك لهم الشام أجمع فأبوا الاحبسه فسألهم أن يعطوه الكرك فأجابوه وحلفهم على الأمان وحلف لهم أن لا يتنقض عليهم ولا يداخل أحدا من العساكر ولا يستميله فبعثوه من حينه الى الكرك وكتبوا الى النائب بها علاء الدين ايدكر الفخري أن يمكنه منها ففعل واستمر السعيد بالكرك وقام بدولته ايدكر الفخري واجتمع الأمراء بمصر وعرضوا الملك على الأمير قلاون وكان أحق به فلم يقبل وأشار الى شلامش بن الظاهر وهو ابن ثمان سنين فنصبوه للملك في ربيع سنة ثمان وسبعين ولقبوه بدر الدين وولى الأمير قلاون أتابك الجيوش وبعث مكان جمال الدين اقوش نائب دمشق بتسلمها منه وسار اقوش الى حلب نائبا وولى قلاون في الوزارة برهان الحصري السنحاوي وجمع الماليك الصالحية ووفر اقطاعاتهم وعمرهم مراتب الدولة وأبعد الظاهرية وأودعهم السجون ومنع الفساد ولم يقطع عنهم رزقا الى أن بلغ العقاب فيهم أجله فأطلقهم تباعا واستقام أمره والله تعالى أعلم .

* (خلع شلامش وولاية المنصور قلاون) *

أصل هذا السلطان قلاون من القفجاق ثم من قبيلة منهم يعرفون برج أعلى وقد مر ذكرهم وكان مولى لعلاء الدين اقسنقر الكابلي مولى الصالح نجم الدين أيوب فلما مات علاء الدين صار من موالى الصالح وكان من نفرتهم واستقامتهم ما قدّمناه ثم قدم الى مصر في دولة المظفر قطز مع الظاهر بيبرس ولما ملك الظاهر قربه واختصه وأصهر اليه ثم باع لابنه السعيد من بعده ولما استوحش الأمراء من السعيد وخلعوه رغبوا من الأمير قلاون في الولاية عليهم كما قدّمناه ونصب أخاه شلامش بن الظاهر فوافقه الأمراء على ذلك طواعية له واتصلت رغبتهم في ولايته مدة شهرين حتى أجابهم الى ذلك فبايعوه في جمادى سنة ثمان وسبعين

فقام بالامر ورفع كثيرا من المكوس والظلامات وقسم الوظائف بين الأمراء وولى جماعة من مماليكه امرة الالوف وزادهم في الأقطاعات وأفرج لوقته عن عز الدين ايبك الافرم الصالحى وولاه نائباً بمصر ثم استبقاه فأعفاه وولى مملوكه حسام الدين طرنطاي مكانه ومملوكه علم الدين سنجر الشجاعى رئاسة الدواوين وأقرّ الصاحب برهان الدين السنجارى فى الوزارة ثم عزله بفخر الدين ابراهيم بن لقمان وبعث عز الدين ايدمر الظاهري الذى كان اعتقله جمال الدين اقوش حين رجع بعساكر الشام عن السعيد بن الظاهر من بليس فجىء به مقيدا واعتقله والله تعالى ولىّ التوفيق .

* (انتقاض السعيد بن الظاهر بالكرك ووفاته وولاية أخيه خسرو مكانه) *

ولما ملك السلطان قلاون شرع السعيد بالكرك وكاتب الأمراء بمصر والشام فى الإنتقاض وخاطبه السلطان بالعتاب على نقض العهد فلم يستعيب وبعث عساكره مع حسام الدين لاشين الجامدار الى الشويك فاستولى عليها فبعث السلطان نور الدين بليك الايدمرى فى العساكر فارتدّها فى ذى القعدة سنة ثمان وسبعين وقارن ذلك وفاة السعيد بالكرك واجتمع الأمراء الذين بها ومقدمهم نائبه ايدكين الفخرى وقال ايدكين أنّ نائبه كان ايدغرى الحرانى فنصبوا أخاه خسرو ولقبوه المسعود نجم الدين واستولى الموالى على رأيه وأفاضوا المال من غير تقدير ولا حساب حتى أنفقوا ما كان بالكرك من الذخيرة التى أدّخرها الملك الظاهر وبعض أمراء الشام فى الخلاف وبعثوا العساكر فاستولوا على الصليب وحاصروا صرخد فامتنعت وكاتبوا سنقر الاشقر المتظاهر على الخلاف فبعث السلطان ايبك الافرم فى العساكر لحصار الكرك فحاصرها وضيق عليها ثم سأل المسعود فى الصلح على ما كان الناصر داود بن المعظم فأجاباه السلطان قلاون وعقده ذلك ثم انتقض ثانية ونزع عنه نائبه علاء الدين ايدغرى الحرانى ونزع عنه الى السلطان فصدق ما نقل عنه من ذلك ثم بعث السلطان سنة خمس وثمانين نائبه حسام الدين طرنطاي فى العساكر لحصار الكرك فحاصروها واستنزل المسعود وأخاه شلامش منها على الأمان وملكها وجاء بهما الى السلطان قلاون فأكرمها وخطبها بولده الى أن توفي فغزبها الاشرف الى القسطنطينية .

* (انتفاض سنقر الاشقر بدمشق وهزيمته ثم امتناعه بصهيون) *

كان شمس الدين سنقر الاشقر لما استقرّ في نيابة دمشق أجمع الإنتفاض والاستبداد وتسلم القلاع من الظاهرية وولى فيها وطالب المنصور قلاون دخول الشام بأسرها من العرش الى الفرات في ولايته وزعم أنه عاهده على ذلك وولى السلطان على قلعة دمشق مولاه حسام الدين لاشين الصغير سلحدارا في ذي الحجة سنة ثمان وسبعين ففكر ذلك سنقر وانتقض ودعا لنفسه ثم بلغه خبر قلاون وجلوسه على التخت فدعا الأمراء وأشاع أن قلاون قتل واستحلفهم على منعته وحبس من امتنع من اليمن وتلقب الكامل وذلك في ذي الحجة من السنة وقبض على لاشين نائب القلعة وجهز سيف الدين الى المالك الشامية والقلاع للاستحلاف وولى في وزارة الشام مجد الدين اسمعيل بن كسيرات وسكن سنقر بالقلعة ثم بعث السلطان ايبك الأفرم بالعساكر الى الكرك لما توفي السعيد صاحبها وانتهى الى غزة واجتمع اليه ببليك الايدمرى منقلبا من الشوك بعد فتحه فحذرهم سنقر الاشقر وخاطب الأفرم يتجنى على السلطان بأنه لم يفرده بولاية الشام وولى في قلعة دمشق وفي حلب وبعث الأفرم بالكتاب الى السلطان قلاون فأجابه وتقدّم الى الأفرم أن يكاتبه بالعزل فيما فعله وارثكه فلم يرجع عن شأنه وجمع العساكر من عمالات الشام واحتشد العربان وبعثهم مع قرا سنقر المعري الى غزة فلقبهم الأفرم وأصحابه وهزمهم وأسروا جماعة من أمرائهم وبعثوا بهم الى السلطان قلاون فأطلقهم وخلع عليهم ولما وصلت العساكر مفلولة الى دمشق عسكر سنقر الاشقر بالمرج وكاتب الأمراء بغزة يستميلهم وبعث السلطان العساكر بمصر مع علم الدين سنجر لاشين المنصوري وبدر الدين بكتاش الفخري السلحدار فساروا الى دمشق فلقبهم الاشقر على الجسر بالكسرة فهزموه في صفر سنة تسع وسبعين وتقدّموا الى دمشق فلكوها وأطلق علم الدين سنجر لاشين المنصوري من الاعتقال وولاه نيابة دمشق وولى على القلعة سيف الدين سنجر المنصوري وكتب الى السلطان بالفتح وسار سنقر الى الرحبة فامتنع عليه نائبا فسار الى عيسى بن مهنا ورجع عنه الى الفل وكاتبوا ابغا ملك التتر واستحثوا ملك الشام يستميلونه فلم يجب وبعث اليه العساكر فأجفلوا الى صهيون وملكها سنقر وملك معها شيزر وبعث السلطان العساكر لحصار شيزر مع عز الدين الأفرم فحاصرها وجاءت الأخبار بزحف ابغا ملك التتر الى الشام في مواعدة سنقر وابن مهنا واستدعى صغار صاحب

بلاد الروم فيمن معه من المغل وانه بعث بيدو ابن أخيه طرخان صاحب ماردين وصاحب سيس من ناحية أذربيجان وجاء هو على طريق الشام وفي مقدمته أخوه منكوتر فلما تواترت الأخبار بذلك أفرج الأفرم عن حصار شيزر ودعا الاشقر الى مدافعة عدو المسلمين فأجابه ورفع عن موالاة ابغا وسار من صهيون للاجتماع بعساكر المسلمين وجمع السلطان العساكر بمصر وسار الى الشام واستخلف على مصر ابنه أبا الفتح عليا بعد أن ولاه عهده وقرأ كتابه بذلك على الناس وخرج لجمع العساكر في جمادى سنة تسع وسبعين وانتهى الى غزة ووصل التتر الى حلب وقد أجفل عنها أهلها وأقفرت منازلها فأضرموا النار في بيوتها ومساجدها وتولى كبر ذلك صاحب سيس والأرمن وبلغهم وصول السلطان الى غزة فأجفلوا راجعين الى بلادهم وعاد السلطان الى مصر بعد أن جرد العساكر الى حمص وبلاد السواحل بجبايتها من الأفرنج ورجع سنقر الاشقر الى صهيون وفارقه كثير من عسكره فلحقوا بالشام وأقام معه سنقر الدوادار وعز الدين اردن والأمراء الذين مكنوه من قلاع الشام عند انتفاضه والله سبحانه وتعالى أعلم .

مسير السلطان لحصار المرقب ثم الصلح معهم ومع سنقر الاشقر بصهيون ومع بني الظاهر بالكرك

كان الافرنج الذين بحصن المرقب عندما بلغهم هجوم التتر على الشام شنوا الغارات في بلاد المسلمين من سائر النواحي فلما رجع التتر عن الشام استأذن بليان الطباخي صاحب حصن الأكراد في غزوهم وسار اليهم في حامية الحصون بنواحيه وجمع التركمان وبلغ حصن المرقب ووقف أسفله واستطرد له أهل الحصن حتى تورط في أوعار الجبل ثم هجموا عليه دفعة فانهزم ونالوا من المسلمين وبلغ الخبر الى السلطان فخرج من مصر لغزوهم آخر سنة تسع وسبعين واستخلف ابنه مكانه وانتهى الى الروحاء فوصله هنالك رسل الافرنج في تقرير الهدنة مع أهل المرقب على أن يطلقوا من أسروه من المسلمين في واقعة بليان فعقد لهم في الحرم سنة ثمانين وعقد لصاحب بيت الاستبار وابنه ولصاحب طرابلس سمند بن تيمند ولصاحب عكا على بلادهم وعلى قلاع الاسماعيلية وعلى جميع البلاد المستجدة الفتح وما سيفتحه على أن يسكن عمال المسلمين باللاذقية وأن لا يستجدوا اسير قلعة ولا غيرها ولا يداخلوا التتر في فتنه ولا يبرؤا عليهم الى بلاد المسلمين إن أطاقوا ذلك وعقد معهم ذلك لاحدى عشرة سنة وبعث السلطان من أمرائه من يستحلف الافرنج على ذلك وبلغه الخبر

بأن جماعة من أمرائه أجمعوا الفتك به وداخلوا الافرنج في ذلك وكان كبيرهم كوندك فلما وصل الى بيسان قبض عليه وعليهم وقتلهم واستراب من داخلهم في ذلك ولحقوا بسنقر في صهيون ودخل السلطان دمشق وبعث العساكر لحصار شيزر ثم ترددت الرسل بينه وبين الاشقر في الصلح على أن يتزل عن شيزر^(١) ويتعوض عنها بالشقر وبكاس وعلى أن يقتصر في حامية الحصون التي لقطره على ستمائة من الفرسان فقط ويطرد عنه الأمراء الذين لحقوا به فتم الصلح على ذلك وكتب له التقليد بتلك الأعمال ورجع من عنده سنجر الدوادار فأحسن اليه السلطان وولى على نياية شيزر بليان الطباخي وكان بنو الظاهر بالكرك يسألون السلطان في الصلح بالزيادة على الكرك كما كان السلطان داود فلما تم الصلح مع سنقر رجعوا الى القنوع بالكرك وبعث اليهم السلطان بأقاربهم من القاهرة وأتم لهم العقد على ذلك وبعث الأمير سلحدار والقاضي تاج الدين بن الأثير لاستحلافهم والله تعالى أعلم .

* (واقعة التتر بحمص ومهلك ابغا سلطاتهم باثرها) *

ثم زحف التتر سنة ثمانين الى الشام من كل ناحية متظاهرين فصار ابغا في عساكر المغل وجموع التتر وانتهى الى الرحبة فحاصرها ومعه صاحب ماردن وقدم أخوه منكوتر في العساكر الى الشام وجاء صاحب الشمال منكوتر من بني دوشي خان من كرسيهم بصراي مظاهراً لابغا بن هلاكو على الشام فرّ بالقسطنطينية ثم نزل بين قيسارية وتفليس ثم سار الى منكوتر بن هلاكو وتقدّم معه الى الشام وخرج السلطان من دمشق في عساكر المسلمين وسابقهم الى حمص ولقيه هناك سنقر الاشقر فيمن معه من أمراء الظاهرية وزحف التتر ومن معهم من عساكر الروم والافرنج والارمن والكرج ثمانون ألفاً أويزidon والتقى الفريقان على حمص وجعل السلطان في ميمنته صاحب حاة محمد بن المظفر ونائب دمشق لاشين السلحدار وعيسى بن مهنا فيمن اليه من العرب وفي الميسرة سنقر الاشقر في الظاهرية مع جموع التركمان ومن اليهم جماعة من أمرائه وفي القلب نائبه حسام الدين طرناطي والحاجب ركن الدين اياحي وجمهور العساكر المماليك ووقف السلطان تحت الرايات في مواليه وحاشيته ووقفت عساكر التتر كراديس وذلك منتصف رجب سنة ثمانين واقتتلوا ونزل الصبر

(١) بياض بالاصل ، وفي أخبار البشر ج ٤ ص ١٤ : وقع بينهم الصلح على ان يسلم شيزر الى السلطان ويسلم سنقر الاشقر : الشقر وبكاس وكانتا قد ارتجعتا منه .

ثم انفضت ميسرة المسلمين واتبعهم التتر وانفضت ميسرة التتر ورجعوا على ملكهم منكوتر في القلب فانهمز ورجع التتر من اتباع ميسرة المسلمين فمروا بالسلطان وهو ثابت في مقامه لم يبرح ورجع أهل الميرة ونزل السلطان في خيامه ورحل من الغد في اتباع العدو وأوعز الى الحصون التي في ناحية الفرات باعتراضهم على المقابر فعدلوا عنها وخاضوا الفرات في المجاهل فغرقوا ومّر بعضهم بردّ سلمية فهلكوا وانتهى الخبر الى ابغا وهو على الرحبة فأجفل الى بغداد وصرف السلطان العساكر الى أماكنهم وسار سنقر الاشقر الى مكانه بصهيون وتخلّف عنه كثير من الظاهرية عند السلطان وعاد السلطان الى دمشق ثم الى مصر آخر شعبان من السنة فبلغه الخبر بمهلك منكوتر بن هلاكو بهمدان ومنكوتر صاحب الشمال بصراي فكان ذلك تماما للفتح ثم هلك ابغا بن هلاكو سنة احدى وثمانين وكان سبب مهلكه فيما يقال انه اتهم شمس الدين الجريز وزيره باغتيال أخيه منكوتر منصرفه من واقعة حمص فقبض عليه وامتحنه واستصفاه فدنس له الجويني من سمه ومات وكان ابغا اتهم بأخيه أيضا أميراً من المغل كان شحنة بالجزيرة فقتر منها وأقام مشركاً وبعث السلطان قلاون بعثاً الى ناحية الموصل للاغارة عليها وانتهوا الى سنجر فصادفوا هذا الامير وجاؤا به الى السلطان فحبسه ثم أطلقه وأثبت اسمه في الديوان وكان يحدث بكثير من أخبار التتر وكتب بعضها عنه وبعث السلطان في هذه السنة بعوثاً أخرى الى نواحي سبيس من بلاد الروم جزاء بما كان من الارمن في حلب ومساجدها فاكسحوا تلك النواحي ولقمهم بعض أمراء التتر بمكان هنالك فهزموه ووصلوا الى جبال بلغار ورجعوا غانمين وبعث السلطان شمس الدين قرا سنقر المنصوري الى حلب لاصلاح ما خرب التتر من قلعتها وجامعها فأعاد ذلك الى أحسن ما كان عليه ثم أسلم ملوك التتر فبعث أولاً بكدار بن هلاكو صاحب العراق باسلامه وأنه تسمى أحمد وجاءت رسله بذلك الى السلطان وهم شمس الدين أتابك ومنعود بن كيكائوس صاحب بلاد الروم وقطب الدين محمود الشيرازي قاضي شيواس وشمس الدين محمد بن الصاحب من حاشية صاحب ماردين وكان كتابه مؤرخاً يجادى سنة احدى وثمانين وحملوا على الكرامة وأجيب سلطانهم بما يناسبه ثم وصل رسول قودان بن طقان المتولي بكرسي الشمال بعد أخيه منكوتر سنة اثنتين وثمانين بخبر ولايته ودخوله في دين الإسلام وبطلب تقليد الخليفة واللقب منه والراية للجهاد فيمن يليه من الكفار فأسعف بذلك والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (استيلاء السلطان قلاون على الكرك وعلى صهيون ووفاة صاحب حماة) *

ثم توفي المنصور محمد بن المظفر صاحب حماة في شوال سنة اثنتين وثمانين وولي السلطان ابنه المظفر وبعث بالخلع له ولا قاربه وسار السلطان قلاون الى الشام في ربيع سنة ثلاث وثمانين لمحاصرة المرقب بما فعلوه من ممالأة العدو فحاصره حتى استأمنوا اليه وملك الحصن من أيديهم وانتظر وصول سنقر الاشقر من صهيون فلم يصل فرجع الى مصر وجهاز النائب حسام الدين طرنطاي في العساكر لحصار الكرك بما وقع من شلامش وخسرو من الإنتقاض فسار سنة خمس وثمانين وحاصره حتى استأمنوا وجاء بهم الى السلطان فركب للقائهم وبالع في اكرامهم ثم ساءت سيرتهم فاستراب بهم واعتقلهم وغربهم الى القسطنطينية وولى على الكرك عز الدين المنصوري وبعده بيرس الدويدار مؤلف أخبار الترك ثم جهز السلطان ثانيا النائب طرنطاي بالعساكر لحصار سنقر الاشقر بصهيون لانتقاضه واغارته على بلاد السلطان فسار لذلك سنة ست وثمانين وحاصره حتى استأمن من هو ومن معه وجاء به السلطان وأنزله بالقلعة ولم يزل عنده الى أن هلك السلطان فقبض عليه وتولى ابنه الأشرف من بعده كما نذكره إن شاء الله تعالى .

* (وفاة ميخائيل ملك القسطنطينية) *

قد تقدم لنا كيف تغلب الافرنج على القسطنطينية من يد الروم سنة ستمائة وكان ميخائيل هذا من بطارقتهم أقام في بعض الحصون بنواحيها فلما أمكنته الفرصة بيثها وقتل من كان بها من الافرنج وفرّ الباقون في مراكبهم واجتمع الروم الى ميخائيل هذا وملكوه عليهم وقتل الملك الذي قبله وكان بينه وبين صاحب مصر والناصر قلاون من بعده اتصال ومهاداة ونزل بنو الظاهر عليه عندما غربوا من مصر ثم مات ميخائيل سنة احدى وثمانين وولى ابنه مأنذر ويلقب الراونس وميخائيل هذا يعرف بالأشكري وبنوه من بعده بنو الاشكري وهم ملوك القسطنطينية الى هذا العهد والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده .

* (أخبار النوبة) *

كان الملك الظاهر وفد عليه أعوام سنة خمس وسبعين ملك النوبة من تشكيل مستنجدا به

على ابن أخيه داود لما كان تغلب عليه وانتزع الملك من يده فوعده السلطان وأقام ينتظر واستفحل ملك داود وتجاوز حدود مملكته الى قرب اسوان من آخر الصعيد فجهز السلطان العساكر اليه مع اقسنقر الفارقاني وايبك الأفرم أستاذ داره وأطلق معهم مرتشكين ملك النوبة فساروا لذلك واستنفروا العرب وانتهوا الى رأس الجنادل واستولوا على تلك البلاد وأمّنوا أهلها وساروا في البلاد فلقبهم داود الملك فهزموه وأثنخوا في عساكره وأسروا أخاه وأخته وأمه وسار الى مملكة السودان بالابواب ورآه فقاتله ملكها وهزمه وأسره وبعث به مقيدا الى السلطان فاعتقل بالقلعة الى أن مات واستقرّ مرتشكين في سلطان النوبة على جرایة مفروضة وهدايا معلومة في كل سنة وعلى أن تكون الحصون المجاورة لاسوان خالصة للسلطان وعلى أن يمكن ابن أخيه داود وجميع أصحابه من كل ما لهم في بلادهم فوفى بذلك ثم مات الظاهر وانقرض دولته ودولة بنيه وانتقل الملك الى المنصور قلاون فبعث سنة ست وثمانين العساكر الى النوبة مع علم الدين سنجر الخياط وعز الدين الكوراني وسار معهم نائب قوص عز الدين ايدمر السيفي بعد ان استنفر العربان أولاد أبي بكر وأولاد عمر وأولاد شريف وأولاد شيبان وأولاد كتر الدولة وجماعة من الغرب وبني هلال وساروا على العدو الغربية والشرقية في دنقلة وملكهم بيتامون هكذا اسماء النوبي وأظنه أخا مرتشكين وبرزوا للعساكر فهزمتهم واتبعتهم خمسة عشر يوما وراء دنقلة ورتب ابن أخت بيتامون في الملك ورجعت العساكر الى مصر فجاء بيتامون الى دنقلة فاستولى على البلاد ولحق ابن أخته بمصر صريحا بالسلطان فبعث معه عز الدين أيبك الأفرم في العساكر ومعه ثلاثة من الأمراء وعز الدين نائب قوص وذلك سنة ثمان وثمانين وبعثوا المراكب في البحر بالازودة والسلاح ومات ملك النوبة باسوان ودفن بها وجاء نائبه صريحا الى السلطان فبعث معه داود ابن أخي مرتشكين الذي كان أسيرا بالقلعة وتقدّم جريس بين يدي العساكر فهرب بيتامون وامتنع بجزيرة وسط النيل على خمس عشرة مرحلة وراء دنقلة ووقفت العساكر على ساحل البحر وتعذر وصول المراكب الى الجزيرة من كثرة الحجر وخرج بيتامون منها فلاحق بالابواب ورجع عنه أصحابه ورجعت العساكر الى دنقلة فملكوا داود ورجعوا الى مصر سنة تسع وثمانين لتسعة أشهر من مسيرهم بعد أن تركوا أميرا منهم مع الملك داود ورجعوا الى مصر ورجع بيتامون الى دنقلة وقتل داود وبعث الامير الذي كان معهم الى السلطان وحمله رغبة في الصلح على أن يؤدّي الضريبة المعلومة فأسعف لذلك واستقرّ في ملكه انتهى والله تعالى أعلم .

* (فتح طرابلس) *

كان الافرنج الذين بها قد نقضوا الصلح وأغاروا على الجهات فاستنفر السلطان العساكر من مصر والشام وازاح عنهم وجهز آلات الحصار وسار اليها في محرم سنة ثمان وثمانين فحاصرها ونصب عليها المجانيق وفتحها عنوة لأربعة وثلاثين يوما من حصارها واستباحها وركب بعضهم الشواني للنجاة فردتهم الريح الى السواحل فقتلوا وأسروا وأمر السلطان بتخريبها فخربت وأحرقت وفتح السلطان ما اليها من الحصون والمعقل وأنزل حاميتها وعاملها بحسن الأكراد ثم اتخذ حصنا آخر لترك النائب والحامية في العمل وسمي باسم المدينة وهو الموجود لهذا العهد وكان من خبر هذه المدينة من لدن الفتح أن معاوية أيام ولايته الشام لعهد عثمان بن عفان رضي الله عنه بعث اليها سفيان بن مخنف الأزدي فحاصرها وبنى عليها حصنا حتى جهد أهلها الحصار وهربوا منها في البحر وكتب سفيان الى معاوية بالفتح وكان يبعث العساكر كل سنة للمرابطة بها ثم جاء الى عبد الملك بن مروان بطريق من الروم وسأله في عمارتها والتزول بها مجمعا على أن يعطيه الخراج فأجابه وأقام قليلا ثم غدر بمن عنده من المسلمين وذهب الى بلاد الروم فتخطفته شواني المسلمين في البحر وقتله عبد الملك ويقال الوليد وملكها المسلمون وبقي الولاية يملكونها من دمشق الى أن جاءت دولة العبيديين فأفردوها بالولاية ووليها رمان الخادم ثم سر الدولة ثم أبو السعادة علي بن عبد الرحمن بن جبارة ثم نزال ثم مختار الدولة بن نزال وهؤلاء كلهم من أهل دولته ثم تغلب قاضيا أمين الدولة أبو طالب الحسن بن عمار وتوفي سنة أربع وستين واربعمائة وكان من فقهاء الشيعة وهو الذي صنف الكتاب الملقب بخراب الدولة ابن منقذ بن كمود فقام بولاية أخيه أبي الحسن ابن محمد بن عمار ولقبه جلال الدين وتوفي سنة اثنتين وتسعين صنجيل من ملوكهم واسمه ميمنت ومعناه ميمون وصنجيل اسم مدينة عرف بها وأقام صنجيل يحاصرها طويلا وعجز ابن عمار عن دفاعه ثم قصد سلطان السلجوقية بالعراق محمد بن ملكشاه مستنجدا به واستخلف بالمناقب ابن عمه على طرابلس ومعه سعد الدولة فتيان بن الاغر فقتله أبو المناقب ودعا للأفضل ابن أمير الجيوش المستبد على خلفاء العبيديين بمصر لذلك العهد ثم هلك صنجيل وهو محاصرها وولي مكانه السرداني من زعمائهم وبعث الأفضل قائدا الى طرابلس فأقام بها وشغل عن مدافعة العدو ويجمع الأموال ونمي عنه الى الأفضل أنه يروم الاستبداد فبعث آخر مكانه ونافر أهل البلد لسوء سيرته فتبين وصول المراكب من مصر بالمدد وقبض

على اعيانهم وعلى مخلف فخر الملك بن عمار من أهله وولده وبعث بهم الى مصر وجاء فخر الملك بن عمار بعد أن قطع حبل الرجاء في يده من أنجاد السلجوقية لما كانوا فيه من الشغل بالفتنة وربما علله بعضهم بولاية الوزارة له ثم رجع الى دمشق سنة اثنتين وخمسمائة ونزل على طغتكين الأتابك ثم ملكها السرداني سنة ثلاث وخمسمائة بعد حصارها سبع سنين وجاء ابن صنحليل من بلاد الافرنج فملكها منه واقامت في مملكته نحو من ثلاثين سنة ثم ثار عليه بعض الزعماء وقتله بطرس الاعور واستخلف في طرابلس القوش بطرار ثم كانت الواقعة بين صاحب القدس ملك الافرنج وبين زنكي الأتابك صاحب الموصل وانهزم الافرنج وأسر القوش في تلك الواقعة ونجا ملك الافرنج الى تغريب فتحصن بها وحضره زنكي حتى اصطلمحا على أن يعطي تغريب ويطلق زنكي الأسرى في الواقعة فانطلق القوش الى طرابلس فاقام بها مدة ووثب الاسماعيلية به فقتلوه وولي بعده رهند صيبا وحضر مع الافرنج سنة سبع وخمسين وقعة حارم التي هزمهم فيها العادل وأسر رهند يومئذ وبقي في اعتقاله الى أن ملك صلاح الدين يوسف بن أيوب فاطلقه سنة سبعين وخمسمائة ولحق بطرابلس ولم تزل في ملكه وملك ولده الى أن فتحها المنصور سنة ثمان وثمانين كما مرّ والله تعالى أعلم .

* (إنشاء المدرسة والمارستان بمصر) *

كان المنصور قلاوون قد اعترم على انشاء المارستان بالقاهرة ونظر له الاماكن حتى وقف نظره على الدار القطبية من قصور العبيدين وما يحاورها من القصرين واعتمد انشاء هنالك وجعل الدار أصل المارستان وبنى بازائه مدرسة لتدريس العلم وقبة لدفنه وجعل النظر في ذلك لعلم الدين الشجاعى فقام بانشاء ذلك لأقرب وقت وكملت العمارة سنة اثنتين وثمانين وسبعمائة ووقف عليها املاكا وضياعاً بمصر والشام وجلس بالمارستان في يوم مشهود تناول قدحا من الأشربة الطيبة وقال وقفت هذا المارستان على مثلي فمن دوني من أصناف الخلق فكان ذلك من صالح آثاره والله أعلم .

* (وفاة المنصور قلاوون وولاية ابنه خليل الاشرف) *

كان المنصور قلاوون قد عهد لابنه علاء الدين ولقبه الصالح وتوفي سنة سبع وثمانين فولى العهد مكانه ابنه الآخر خليل ثم انتقض الافرنج بعكا وأغاروا على النواحي ومرّت بهم رفقة من التجار يريق من الروم والترك جلبوهم للسلطان فنهوهم وأسروهم فأجمع السلطان

غزوهم وخرج في العساكر بعد الفطر من سنة تسع وثمانين واستخلف ابنه خليلا على القاهرة ومعه زين الدين سيف وعلم الدين الشجاعى الوزير وعسكر بظاهر البلد فطره المرض ورجع الى قصره فرض وتوفي في ذي القعدة من السنة فبوع ابنه خليل ولقب الاشرف وكان حسام الدين طرنطاي نائب المنصور اليه فأقره وأشرك معه زين الدين سيف في نيابة العتبة وأقر علم الدين الشجاعى على الوزارة وبدر الدين إيدو استاذ داره وعز الدين أيلك خزنदार وكان حسام الدين لاشين السلجدار نائبا بدمشق وشمس الدين قراسنقر الجوكندار نائبا بحلب فأقرهما وجمع ما كان بالشام من ولادة أبيه ثم قبض على النائب حسام الدين طرنطاي لأيام قلائل وقتله واستولى على مخلفه وكان لا يعبر عنه كان الناص منها ستمائة ألف دينار وحملت كلها لخزائنه واستقل بدر الدين بالنيابة وبعث الى محمد بن عثمان بن السلجوس من الحجاز فولاه الوزارة وكان تاجرا من تجار الشام وتقرب له أيام أبيه واستخدم له فاستعمله في بعض أقطاعه بالشام ووفر جبايتها فولاه ديوانه بمصر فأسرف في الظلم وأنهى أمره الى طرنطاي النائب فصادره المنصور وامتحنه ونفاه عن الشام وحج في هذه السنة وولى الأشرف فكان أول أعماله البعث عنه وولاه الوزارة فبلغ المبالغ في الظهور وعلو الكلمة واستخدم الخواص له وترفع عن الناس واستقل الرتب وقبض الأشرف على شمس الدين سنقر وحبسه وكان قد قبض مع طرنطاي النائب على عز الدين سيف لما بلغه أنه يدبر عليه مع طرنطاي ثم ثبتت عنده براءته فاطلقه والله تعالى أعلم .

* (فتح عكا وتحريرها) *

ثم سار الأشرف أول سنة تسعين وستائة لحصار عكا متمما عزم أبيه فيها فجهز العساكر واستنفر أهل الشام وخرج من القاهرة فاغذ السير الى عكا ووافاه بها أمراء الشام والمظفر بن المنصور صاحب حماة فحاصرها ورمها بالمجانيق فهدم كثير من أبراجها وتلاها المقاتلة لاقتحامها فرشقوهم بالسهم فإ^(١) من اللبؤ وزحفوا في كنها وردموا الخندق بالتراب فحمل كل واحد منهم ما قدر عليه حتى طموه وانتهوا الى الابراج المهتمة فالصقوها بالارض واقتحموا البلد من ناحيتها واستلحموا من كان فيها وأكثروا القتل والنهب ونجا القل من العدو الى ابراجها الكبار التي بقيت ماثلة فحاصرها عشرة آخر ثم اقتحمها عليهم

(١) بياض بالأصل وفي اخبار البشرج ٤ ص ٢٥ : وكانوا يرمونها بالنشاب والجوارح وكان القتال من قدامنا من جهة المدينة .

فاستوعبهم السيف وكان الفتح منتصف جمادي سنة سبعين لمائة وثلاث سنين من ارتجاع الكفار لها من يد صلاح الدين سنة سبع وثمانين وخمسمائة وأمر الأشرف بتخريبها فخربت وبلغ الخبر الى الافرنج بصور وصيدا وعتلية وحيفا فأجفلوا عنها وتركوها خاوية ومّر السلطان بها وأمر بهدمها فهدمت جميعا وانكف راجعا الى دمشق وتقبض في طريقه على لاشين نائب دمشق لأنّ بعض الشياطين أوحى اليه أن السلطان يروم الفتك به فركب للفرار وأتبعه علم الدين سنجر الشجاعي وسار الى بيروت ففتحها ومّر السلطان بالكرك فاستعفى نائبها ركن الدين بيبرس الدوادار وهو المؤرخ فولى مكانه جبال الدين اتسر الاشرفي ورجع السلطان الى القاهرة فبعث شلامش وخسرو ابني الظاهر من محبسها بالاسكندرية الى القسطنطينية ومات شلامش هنالك وأفرج عن شمس الدين سنقر الأشقر وحسام الدين لاشين المنصوري اللذين اعتقلهما كما قدّمناه وقبض على علم الدين سنجر نائب دمشق وسبق الى مصر معتقلا وأمر السلطان ببناء الرفوف بالقلعة على أوسع ما يكون وارفعه وبنى القبة بإزائه للجلوس السلطان أيام الزينة والفرح فبنيت مشرفة على سوق الخيل والميدان والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (فتح قلعة الروم) *

ثم سار السلطان سنة احدى وتسعين في عساكره الى الشام بعد أن أفرج عن حسام الدين لاشين وردّه الى إمارته وانتهى الى دمشق ثم سار الى حلب ثم دخل منها الى قلعة الروم فحاصرها في جمادي من السنة وملكها عنوة بعد ثلاثين يوما من الحصار وقاتل المقاتلة الذريعة وخرب القلعة وأخذ فيها بترك الارمن أسيرا وانكف السلطان راجعا الى حلب فأقام بها شعبان وولى عليها سيف الدين الطباقي نائبا مكان قراسنقر الظاهري لأنه ولاه مقدّم الممالك ورحل الى دمشق ف قضى بها عيد الفطر واستراب لاشين النائب فهرب ليلة الفطر وأركب السلطان في طلبه وتقبض عليه بعض العرب في حيه وجاء به الى السلطان فبعثه مقيدا الى القاهرة وولى على نيابة دمشق عز الدين أيبك الحميدي عوضا عن علم الدين سنجر الشجاعي ورجع الى مصر فافرج عن علم الدين سنجر الشجاعي وتوفي لسنة بعد إطلاقه ثم قبض على سنقر الأشقر وقتله وسمع نائبه يبدو ببراءة لاشين فأطلقه وتوفي ابن الأثير بعد شهر فولى مكانه ابنه عماد الدين أيوب وكان أيوب قد اعتقله المنصور لأول ولايته فأطلقه الأشرف هذه السنة ثلاث عشرة سنة من اعتقاله واستخلصه للمجالسة والشورى وتوفي

القاضي فتح الدين محمد بن عبد الله بن عبد الظاهر كاتب السرّ وصاحب ديوان الانشاء وله التقدّم عنده وعند أبيه فولى مكانه فتح الدين أحمد بن الأثير الحلي وترك ابن عبد الظاهر ابنه علاء الدين عليا فالقى عليه النعمة منتظا في جملة الكتاب ثم سار السلطان الى الصعيد يتصيد واستخلف بيدو النائب على دار ملكه وانتهى الى قوص وكان ابن السلوس قد دس اليه بأنّ بيدو احتجن بالصعيد من الزرع ما لا يحصى فوقف هنالك على مخازنها واستكثرها وارتاب بيدو لذلك ولما رجع الأشرف الى مصر ارتجع منه بعض اقطاعه وبقي بيدو مرتابا من ذلك وأتحف السلطان بالهدايا من الخيام والهجن وغيرها والله تعالى أعلم .

* (مسير السلطان الى الشام وصلاح الأرمن ومكثه في مصيا وهدم الشويك) *

ثم تجهز السلطان سنة اثنتين وتسعين الى الشام وقدم بيدو النائب بالعساكر وعاج على الكرك على الهجن فوقف عليها وأصلح من أمورها ورجع ووصل الى الشام فوافاه رسول صاحب سيس ملك الارمن راغباً في الصلح على أن يعطى تهنسا ومرعش وتل حمدون ف عقد لهم على ذلك وملك هذه القلاع وهي في غم الدرب من ضياع حلب وكانت تهنسا للمسلمين ولما ملك هلاكو حلب باعها النائب من ملك الأرمن سيس ثم سار السلطان الى حمص ووصل اليها في رجب من السنة ومعه المظفر صاحب حماة ونزل سلمية ولقيه مهنا بن عيسى أمير العرب فقبض عليه وعلى أخويه محمد وفضل وابنه موسى وبعثهم معتقلين مع لاشين الى دمشق ومن هناك الى مصر فحبسوا بها وولى على الغرب مكانهم محمد بن أبي بكر بن علي ابن جديلة وأوعز وهو بجمص الى نائب الكرك بهدم قلعة الشويك فهدمت وانكف راجعا الى مصر وقدم العساكر مع بيدو وجاء في الساقاة على الهجن مع خواصه ولما دخل على مصر أفرج عن لاشين المنصوري والله تعالى أعلم .

* (مقتل الأشرف وولاية أخيه محمد الناصر في كفالة كيبغا) *

كان النائب بيدو مستوليا على الاشرف والاشرف مستريب به حتى كأنه مستبدّ وكان مستوحشا من الاشرف واعتزم الاشرف سنة ثلاث وتسعين على الصيد في البحيرة فخرج

اليها ويبعث وزيره ابن السلعوس للاسكندرية لتحصيل الأموال والاقشة فوجد^(١) يبدو قد سبقوا اليها واستصفوا ما هنالك فكاتب السلطان بذلك فغضب واستدعى يبدو فويحه وتوعده ولم يزل هو يلاطفه حتى كسر من سورة غضبه ثم خلس الى أصحابه وداخلهم في التوثب به وتولى كبر ذلك منهم لاشين المنصوري نائب دمشق وقرا سنقر المنصوري نائب حلب وكان الأمراء كلهم حاقدين على الاشرف لتقدمه حاشيته عليهم ولما كتب اليه السلعوس بقله المال صرف مواليه الى القلعة تخفيفا من النفقة وبقي في القليل وركب بعض أيامه يتصيد وهو مقيم على فرجة فاتبعوه وأدركوه في صيده فأوجس في نفسه الشر منهم فعاجلوه وعلوه بالسيوف ضربه أولا يبدو وثني عليه لاشين وتركوه مجنحدا بمصرعه منتصف محرم من السنة ورجعوا الى المخيم وقد أبرموا أن يولوا يبدو فلوله ولقبوه القاهر وتقبض على بيسري الشمسي وسيف الدين بكتمر السلحدار واحتملوهما وساروا الى قلعة الملك وكان زين الدين سيف قد ركب للصيد فبلغه الخبر في صيده فسار في اتباعهم ومعه سوس الجاشنكير وحسام الدين أستاذ دار وركن الدين سوس وطقجي في طائفة من الجاشنكيرية وادركوا القوم على الطرانة ولما عاينهم يبدو وبيسري وبكتمر المعتقلين في المخيم رجعوا الى كيبغا^(٢) وأصحابه وقرع عن يبدو من كان معه من العربان والجند وقتل قليلا ثم قتل ورجع برأسه على القناة وافترق أصحابه قرا سنقر وlashين بالقاهرة ويقال أن لاشين كان مخفيا في مأذنة جامع ابن طولون ووصل كيبغا وأصحابه الى القلعة وبها علم الدين الشجاعي واستدعوا محمد بن قلاون أخا الاشرف وبايعوه ولقبوه الناصر وقام بالنيابة كيبغا وبالانابكية حسام الدين وبالوزارة علم الدين سنجر وبالأستاذ دراية ركن الدين سوس الجاشنكير واستبدوا بالدولة فلم يكن الناصر يملك معهم شيئا من أمره وجدوا في طلب الأمراء الذين داخلو يبدو في قتل الاشرف فاستوعبهم بالقتل والصلب والقطع وكان بهادر رأس نوبة وأقوش الموصل فقتلا وأحرقت أشلاؤهما وشفع كيبغا في لاشين وقرا سنقر المتولين كبر ذلك فظفها من الاختفاء وعادا الى محلها من الدولة ثم تقبض على الوزير محمد بن السلعوس عند وصوله من الاسكندرية وصادته الوزير الشجاعي وامتحنته فمات تحت الامتحان وأفرج عن

(١) بياض بالاصل ، وفي أخبار البشر ج ٤ ص ٣٠ : وركب في نفر قليل من خواصه للصيد ، فقصد ممالك والده وهم : بيدرا نائب السلطنة ، ولاجين الذي كان عزله السلطان عن نيابة السلطنة بدمشق واعتقله مرة بعد اخرى ، وقرا سنقر الذي عزله عن نيابة السلطنة بحلب ، وانضم اليهم بادر رأس النوبة وجماعة من الأمراء .
(٢) ورد هذا الاسم في الاحيان «كسيفا» ومرة اخرى «كتبغا» وأحيانا «كيبغا» وقد ورد في تاريخ أخبار البشر «كتبغا» بمواضع مختلفة .

عز الدين ابيك الافرم الصالحى وكان الاشرف اعتقله سنة اثنتين وتسعين والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (وحشة كيبيغا ومقتل الشجاعى) *

ثم ان الشجاعى لطف محله من الناصر واختصه بالمداخلة وأشار عليه بالقبض على جماعة من الأمراء فاعتقلهم وفيهم سيف الدين كرجى وسيف الدين طونجى وطوى ذلك عن كيبيغا وبلغه الخبر وهو في موكب بساحة القلعة وكان الأمراء يركبون في خدمته فاستوحش وارتاب بالشجاعى وبالناصر ثم جاء بعض مماليك الشجاعى الى كيبيغا في الموكب وجرد سيفه لقتله فقتله مماليكه وتأخر هو ومن كان معه من الأمراء عن دخول القلعة وتقبضوا على سوس الجاشنكير استاذ دار وبعثوا به الى الاسكندرية ونادوا في العسكر فاجتمعوا وحاصروا القلعة وبعث اليهم السلطان أميرا فشرطوا عليه أن يمكّنهم من الشجاعى فامتنع وحاصروه سبعا واشتد القتال وفر من كان بقي في القلعة من العسكر الى كيبيغا وخرج الشجاعى لمدافعتهم فلم يغن شيئا ورجع الى السلطان وقد خامره الرعب فطلب أن يحبس نفسه فضى به الممالك الى السجن وقتلوه في طريقهم وبلغ الخبر الى كيبيغا ومن كان معه فذهبت عنهم الهواجس واستأنموا للسلطان فأنهم واستحلفوه فحلف لهم ودخلوا الى القلعة وافاض كيبيغا العطاء في الناس وأخرج من كان في الطباق من الممالك بمداخلة الشجاعى فأنزلهم الى البلد بمقاصر الكسرو دار الوزارة والحوار وكانوا نحو من تسعة آلاف فأقاموا بها ولما كان المحرم فاتح سنة أربع وتسعين استعدوا ليلة وركبوا فيها جميعا وأخرجوا من كان في السجون ونهبوا بيوت الأمراء واعجلهم الصبح عن تمام قصدهم وباكرهم الحاجب بهادر بيعض العساكر فهزمهم وافترقوا وتقبض على كثير منهم فأخذ منهم العقاب مأخذه قتلا وضربا وعزلا وأفرج عن عز الدين ابيك الافرم وأعيد الى وظيفته أمير جندار ثم هلك قريبا واستحكم أمر السلطان ونائبه كيبيغا وهو مستبد عليه واستمر الحال على ذلك الى أن كان ما نذكره أن شاء الله تعالى والله تعالى ولىّ التوفيق .

* (خلع الناصر وولاية كيبيغا العادل) *

ولما وقعت الوحشة بين كيبيغا والشجاعى وتلتها هذه الفتنة استوحش كيبيغا في ظاهر أمره وانقطع عن دار النيابة متمارضا وتردد السلطان لعيادته ثم حمل بطانته على الاستبداد بالملك

والجلوس على التخت وكان طموحا لذلك من أول أمره فجمع الأمراء ودعاهم الى بيعته فبايعوه وخلع الناصر وركب الى دار السلطان فجلس على التخت وتلقب بالعدل وأخرج السلطان من قصور الملك وكان مع أمه ببعض الحجر وولى حسام الدين لاشين نائبا والصاحب فخر الدين عمر بن عبد العزيز الخليلي الداروزيرا نقله اليها من النظر في الديوان لعلاء الدين ولى العهد ابن قلاون وعز الدين ايبك الأقرم الصالحى أمير جندار وبهادر الحلبي أمير حاجب وسيف الدين مناص أستاذ دار وقسم اماره الدولة بين مماليكه وكتب الى نواب الشام بأخذ البيعة فاجابوا بالسمع والطاعة وقبض على عز الدين ايبك البخازندار نائب طرابلس وولى مكانه فخر الدين ايبك الموصلى وكان الخازندار يتزل حصن الاكراد ونزل الموصلى بطرابلس وعادت دار اماره ثم وفد سنة خمس وتسعين على العدل كييفا طائفة من التتر يعرفون بالاربدانية ومقدمهم طرنطاي كان مداخل لبدي كنجاب ابن عمه ملك التتر فلما سار الملك الى غازان خافه طرنطاي وكانت احيائه بين غازان والموصل وأوعز غازان الى التتر الذين من مارتكن فأخذ الطرق عليهم وبعث قط قرا من أمرائه للقبض على طرنطاي ومن معه من أكابر قبيله فسار لذلك في ثمانين فارساً فقتله طرنطاي وأصحابه وعبروا الفرات الى الشام واتبعهم التتر من ديار بكر فكروا عليهم فهزمهم وأمر العدل سنجر الدوادار أن يتلقاهم بالرحب واحتفل نائب دمشق لقدمهم ثم ساروا الى مصر فتلقاهم شمس الدين قرا سنقر وكانوا يجلسون مع الأمراء بباب القلعة فانفوا لذلك وكان سببا لخلع العدل كما نذكر ووصل على اثرهم بقية قومهم بعد أن مات منهم كثير ثم رسخوا في الدولة وخلطهم الترك بأنفسهم وأسلموا واستخدموا أولادهم وخلطوهم بالصهر والولاء والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (خلع العدل كييفا وولاية لاشين المنصور) *

كان أهل الدولة تقموا على السلطان كييفا العدل تقديم مماليكه عليهم ومساواة الاربدانية من التتر بهم فتفاوضوا على خله وسار الى الشام في شوال سنة خمس وتسعين فعزل عز الدين ايبك الحموي نائب دمشق واستصفاه وولى مكانه سيف الدين عزلو من مواليه ثم سار الى حمص متصيذا ولقيه المظفر صاحب حماة فأكرمه وردّه الى بلده وسار الى مصر والأمراء مجتمعون خله والفتك بماليكه وانتهى الى العوجاء من أرض فلسطين وبلغه عن بيسري الشمسي انه كاتب التتر فنكر عليه واغلظ له في الوعيد وارتاب الأمراء من ذلك وتمشت

رجالاتهم واففقوا وركب حسام الدين لاشين وبدر الدين بيسري وشمس الدين قرا سنقر وسيف الدين قفجاق وبهادر الحلبي الحاجب وبكتاش الفخري وببليك الخازندار واقوش الموصلي وبكتمر السلحدار وسلار وطغجي وكرجي ومعطاي ومن انضاف اليهم بعد أن بايعوا لاشين وقصدوا نحيم بكتوت الأزرق فقتلوه وجاءهم ميحاص فقتلوه أيضا وركب السلطان كيبغا في لفيقه فحملوا عليه فانهمز الى دمشق وباع القوم لاشين ولقبوه المنصور وشرطوا عليه أن لا ينفر دعنهم برأي فقبل وسار الى مصر ودخل القلعة ولما وصل كيبغا الى دمشق لقيه نائبه سيف الدين عزلو وأدخله القلعة واحتاط على حواصل لاشين والأمراء الذين معه وأمن جماعة من مواليه ووصلت العساكر التي كانت مجردة بالرحبة ومقدمهم جاغان وكانوا قد داخلوا لاشين في شأنه ونزلوا ظاهر دمشق واففقوا على بيعة لاشين وأعلنوا بدعوته وانحل أمر العادل وسأل ولاية صرخد وألقي بيده فحبس بالقلعة لستين من ولايته وبعث الأمراء ببيعتهم للاشين ودخل سيف الدين جاغان الى القلعة ثم وصل كتاب لاشين ببعثه الى مصر وبعث الى كيبغا بولاية صرخد كما سأل ووصل قفجق المنصوري نائبا عن دمشق وأفرج لاشين بمصر عن ركن الدين بيبرس الجاشنكير وغيره من المالك وولى قرا سنقر نائبا وسيف الدين سلار أستاذ دار وسيف الدين بكتمر السلحدار أمير جاندار وبهادر الحلبي صاحب^(١) وأقر فخر الدين الحلبي على وزارته ثم عزله وولى مكانه شمس الدين سنقر الاشقر وقبض على قرا سنقر النائب وسيف الدين سلار أستاذ دار آخر سنة ست وتسعين وولى مكانه سيف الدين منكوتر الحسامي مولاه واستعمل سيف الدين قفجق المنصوري نائبا ثم أمر بتجديد عمارة جامع ابن طولون ونذب لذلك علم الدين سنجر الدوادار وأخرج للنفقة فيه من خالص ماله عشرين ألف دينار ووقف عليه املاكاً وضياعاً ثم بعث سنة تسع وسبعين بالناصر محمد بن قلاون الى الكرك مع سيف الدين سلار أستاذ دار وقال لزين الدين بن مخلوف فقيه بيته هو ابن استاذي وأنا نائبه في الامر ولو علمت أنه يقوم بالامر لاقته وقد خشيت عليه في الوقت فبعثته الى الكرك فوصلها في ربيع وقال النووي انه بعث معه جمال الدين بن أقوش ثم قبض السلطان في هذه السنة على بدر الدين بيسري الشمسي بسعاية منكوتر نائبه لان لاشين أراد أن يعهد اليه بالامر فردّه بيسري عن ذلك وقبحه عليه فدرس منكوتر بعض ممالك بيسري وانها الى السلطان أنه يريد الثورة فقبض عليه آخر ربيع الثاني من السنة وأودعه السجن فمات في محبسه وقبض في هذه السنة على

(١) بياض في الاصل ، ولم نعث في المراجع التي بين ايدينا على إسم هذه القاطعة أو البلدة .

بهادر الحلبي وعلى عز الدين ايبك الحموي ثم أمر في هذه السنة برّد الأقطاعات في النواحي وبعث الأمراء والكتاب لذلك وتولّى ذلك عبد الرحمن الطويل مستوفي الدولة وقال مؤرّخ حاة المؤيد كانت مصر منقسمة على أربعة وعشرين قيراطا أربعة منها للسلطان والكلف والرواتب وعشرة للأمراء والإطلاقات والزيادات وعشرة للاجناد الحلقة فصيروها عشرة للأمراء والإطلاقات والزيادات والأجناد وأربعة عشر للسلطان فضعف الجيش وقال النووي قرّر للخاص في الروك الجيزة واطفج ودمياط ومنفلوط والكوم الاحمر وحولت السنة الخراجية من سنة ست وتسعين وهذا في العدد انما هو بعد انقضاء ثلاثة وثلاثين سنة واحدة وهي تفاوت ما بين السنين الشمسية والقمرية وهو حجة ديوان الجيش في انقضاء التفاوت الجيشي وهو تحويل بالاقلام فقط وليس فيه نقص شيء ثم أقطعت البلاد بعد الروك واستثنت المراتب الجسرية والرزق الأحباسية انتهى كلام النووي رحمه الله والله تعالى أعلم .

* (فتح حصون سويس) *

ولما ولي سيف الدين منكوتمر النيابة وكانت مختصا بالسلطان استولى على الدولة وطلب من السلطان أن يعهد له بالملك فنكر ذلك الامراء وثنوا عنه السلطان فتنكر لهم منكوتمر وأكثر السعاية فيهم حتى قبض على بعضهم وتفرق الآخرون في النواحي وبعث السلطان جماعة منهم سنة سبع وتسعين لغزو سويس وبلاد الأرمن كان منهم بكتاش أمير سلاح وقرا سنقر وبكتمر السلحدار وتدلار وتمراز ومعهم الالني نائب صفد في العساكر ونائب طرابلس ونائب حماة ثم أردفهم بعلم الدين سنجر الدوادار وجاءت رسل صاحب سويس وأغاروا عليها ثلاثة أيام واكتسحوها ثم مروا ببغراس ثم بمرج انطاكية وأقاموا بها ثلاثا ومروا بجسر الحديد ببلاد الروم ثم قصدوا تل حمدون فوجدوها خاوية وقد انتقل الارمن الذين بها الى قلعة النجيمة وفتحوا قلعة مرعش وحاصروا قلعة النجيمة أربعين يوما وافتتحوها صلحا وأخذوا احد عشر حصنا منها المصبصة وحموم وغيرها واضطرب أهلها من الخوف فأعطوا طاعتهم ورجع العساكر الى حلب وبلغ السلطان لاشين أن التتر قاصدون الشام فجهز العساكر الى دمشق مع جمال الدين أقوش الأفرم وأمره أن يخرج العساكر من دمشق الى حلب مع قفجق النائب فسار الى حمص وأقام بها ثم بلغهم الخبر برجوع التتر ووصل أمر السلطان الى سيف الدين الطباخي نائب حلب بالقبض على بكتمر السلحدار والالني نائب صفد وجماعة

من الامراء بحلب بسعاية بكثر وحاول الطباخي ذلك فتعذر عليه وبرز تدلار الى بسار فتوفي بها وأقام الآخرون وشعروا بذلك فلهحقوا بقفجق النائب على حمص فامنهم وكتب الى السلطان يشفع فيهم فأبطأ جوابه وعزله سيف الدين كرجي وعلاء الدين ايدغري من اجارتهم فاستراب وولى السلطان مكانه على دمشق جاغان فكتب الى قفجق بطلبهم فنفروا وافترق عسكره وعبر الفرات الى العراق ومعه أصحابه بعد أن قبضوا على نائب حمص واحتملوه ولحقهم الخبر بقتل السلطان لاشين وقد تورطوا في بلاد العدو فلم يمكنهم الرجوع ووفدوا على غازان بنواحي واسط وكان قفجق من جند التتر وأبوه من جند غازان خصوصا ولما وقعت الفتنة بين لاشين وغازان وكان فيروز أتابك غازان مستوحشا من سلطانه فكاتب لاشين في اللحاق به واطلع سلطانه على كتبه فأرسل الى قطلوشاه نائب حران فقبض على فيروز وقتله وقتل غازان أخويه في بغداد والله تعالى أعلم .

* (مقتل لاشين وعود الناصر محمد بن قلاوون الى ملكه) *

كان السلطان لاشين قد فوض امر دولته الى مولاه منكوتر فاستطال وطمع في الاستبداد ونكره الامراء كما قدّمناه فأغرى السلطان بهم وشردهم كلّ مشرد بالنكبة والبعاد وكان سيف الدين كرجي من الجاشنكير ومقدّما عليهم كما كان قرا سنقر مع الاشرف وكان جماعة المماليك معصوبين عليه وسعى منكوتر في نيابته على القلاع التي افتتحت من الارمن ببلاد سيس فاستغنى من ذلك وأسرّها في نفسه وأخذ في السعاية على منكوتر وظاهره على أمره قفجي من كبار الجاشنكيرية وكان لطقجي صهر من كبار الجاشنكيرية اسمه طنطاي أغلظ له منكوتر يوما في المخاطبة فامتعض وفرغ الى كرجي وطقجي فاتفقوا على اغتيال السلطان وقصدوه ليلا وهو يلعب بالشطرنج وعنده حسام الدين قاضي الحنفية فأخبره كرجي بغلق الابواب على المماليك فنكره ولم يزل يتصرّف أمامه حتى ستر سيفه بمنديل طرحه عليه فلما قام السلطان لصلاة العتمة نحاها عنه وعلاه بالسيف وافتقد السلطان سيفه فنعاوروه بسيوفهم حتى قتلوه وهما بقتل القاضي ثم تركوه وخرج كرجي الى طقجي بمكان انتظاره وقصدوا منكوتر وهو بدار النيابة فاستجار بطقجي فأجاره وحبسه بالحبّ ثم راجعوا رأيهم واتفقوا على قتله فقتلوه وكان مقتل لاشين في ربيع سنة ثمان وتسعين وكان من موالي علي بن المعز ابيك فلما غرب للقسطنطينية تركه بالقاهرة واشتراه المنصور قلاوون من القاضي بحكم البيع على الغائب بألف درهم وكان يعرف بلاشين الصغير لانه كان هناك لاشين آخر أكبر منه وكان نائباً

بمحض ولما قتل اجتمع الامراء وفيهم ركن الدين بيبرس الجاشنكير وسيف الدين سلار أستاذ دار وحسام الدين لاشين الرومي وقد وصل على البريد من بلاد سويس جمال الدين أقوش الأفرم وقد عاد من دمشق بعد أن أخرج النائب والعساكر الى حمص وعز الدين ايبك الخزندار وبدر الدين السلحدار فضبطوا القلعة وبعثوا الى الناصر محمد بن قلاوون بالكرك يستدعونه للملك فاعترم طقجي على الجلوس على التخت واتفق وصول الأمراء الذين كانوا يجلب منصرفين من غزاة سويس وفيهم سيف الدين كرجي وشمس الدين سرقشاه ومقدمهم بدر الدين بكتاش الفخري أمير سلاح فأشار الامراء على طقجي بالركوب للقائهم فأنفأولا ثم ركب ولقيهم وسألوه عن السلطان فقال قتل فقتلوه وكان كرجي عند القلعة فركب هاربا وأدرك عند القرافة وقتل ودخل بكتاش والامراء للقلعة لحول من غزاة سويس ثم اجتمعوا بمصر وكان الامر دائرا بين سلار وبيبرس وايبك الجامدار وأقوش الأفرم وبكتاش أمير جندار وكرت الحاجب وهم ينتظرون وصول الناصر من الكرك وكتبوا الى الامراء بدمشق بما فعلوه فوافقوا عليه ثم قبضوا على نائبها جاغان الحسامي وتولى ذلك بهاء الدين قرا ارسلان السني فاعتقل ومات لايام قلائل فبعث الامراء بمصر مكانه سيف الدين قطلوبك المنصوري ثم وصل الناصر محمد بن قلاوون الى مصر في جمادى سنة ثمان وتسعين فبايعوا له وولى سلار نائبا وبيبرس أستاذ دار وبكتاش الجوكندار أمير جندار وشمس الدين الاعسر وزيرا وعزل فخر الدين بن الخليلي بعد أن كان أقره وبعث على دمشق جمال الدين أقوش الأفرم عوضا عن سيف الدين قطلوبك واستدعاه الى مصر فولاه حاجبا وبعث على طرابلس سيف الدين كرت وعلى الحصون سيف الدين كراي وأقر بليان الطباخي على حلب وأفرج عن قرا سنقر المنصوري وبعثه على الضبينة ثم نقله الى حماة عندما وصله وفاة صاحبها المظفر آخر السنة وخلع على الامراء وبث العطايا والأرزاق واستقر في ملكه وبيبرس وسلار مستوليان عليه والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده .

* (الفتنة مع التتر) *

قد كنا قدّمنا ما كان من فرار قفجق نائب دمشق الى غازان وحدث الوحشة بين المملكتين فشرع غازان في تجهيز العساكر الى الشام وبعث شلامش بن امال بن بكوفي خمسة وعشرين ألفا في عساكر المغل ومعه أخوه قطقطو وأمره بالمسير من جهة سويس فصار لذلك ثم حدثته نفسه بالملك فعاضع وطلب الملك لنفسه وكاتب ابن قزمان أمير التركمان فصار اليه في

عشرة آلاف فارس وسار في ستين ألف فارس وسار الى سيواس فامتنعت عليه وكتب الى صاحب مصر مع مخلص الرومي يستنجد به الى نائب دمشق بانجاده وبلغ الخبر غازان فبعث لقتاله مولاي من أمراء التتر في خمسة وثلاثين ألف فارس ولحقه الى سيواس فانتقض عليه العسكر ورجع التتر الى مولاي ولحق التركمان بالجبال ولحق هو بسيس في قل من العسكر وسار الى دمشق ثم الى مصر وسأل من السلطان لاشين أن يمدّه بعسكر ينقل به عياله الى الشام فأمر السلطان نائب حلب أن ينجده على ذلك فبعث معه عسكرا عليهم بكتمر الحلبي وساروا الى سيواس فاعترضهم التتر وهزموهم وقتل الحلبي ونجا سلامش الى بعض القلاع فاستنزله غازان وقتله واستقرّ أخوه قطقطو ومخلص وأقطع لها وانتظما في عسكر مصر والله تعالى أعلم .

* (واقعة التتر على الناصر واستيلاء غازان على الشام ثم ارتجاعه

منه) *

قد كنا قدّمنا ما حدث من الوحشة بين التتر وبين الترك بمصر وقدّمنا من أسبابها ما قدّمناه فلما بويع الناصر بلغه أنّ غازان زاحف الى الشام فتجهز وقدم العساكر مع قطبلك الكبير وسيف الدين غزار ، وسار على أثرهم آخر سنة ثمان وسبعين وانتهى الى غزة فنمي اليه أنّ بعض المماليك بمجمعون للتوثب عليه وأنّ الاربدانية الذين وفدوا من التتر على كيبيغا داخلوهم في ذلك وبينها هو يستكشف الخبر إذ بمملوك من أولئك قد شهر سيفه واخترق صفوف العساكر وهم مصطفىون بظاهر غزة فقتل لحينه وتبع أمرهم من هذه البادرة حتى ظهرت حليتها فسبق الاربدانية ومقدمهم طرناطي وقتل بعض المماليك وحبس الباقون بالكرك ورحل السلطان الى عسقلان ثم الى دمشق ثم سار ولقي غازان ما بين سلمية وحمص بمجمع المروج ومعه الكرج والارمن في مقدّمته أمراء الترك الذين هربوا من الشام وهم قفجق المنصوري وبكتمر السلحدار وفارس الدين البكي وسيف الدين غزار فكانت الجولة منتصف ربيع فانهزمت ميمنة التتر وثبت غازان ثم حمل على القلب فانهزم الناصر واستشهد كثير من الامراء وفقد حسام الدين قاضي الحنفية وعماذ الدين اسمعيل ابن الامير وسار غازان الى حمص فاستولى على الذخائر السلطانية وطار الخبر الى دمشق فاضطرب العامة وثار الغوغاء وخرج المشيخة الى غازان يقدمهم بدر الدين بن جماعة وتقي الدين بن تيمية وجلال الدين القزويني وبقي البلد فوضى وخاطب المشيخة غازان في الأمان فقال قد خالفكم الى بلدكم

كتاب الأمان ووصل جماعة من أمرائه فيهم اسمعيل ابن الامير والشريف الرضي وقرأ كتاب الامان ويسمونه بلغاتهم الفرمان وترجل الامراء بالبساتين خارج البلد وامتنع علم الدين سلحدار بالقلعة فبعث اليه اسمعيل يستترله بالامان فامتنع فبعث اليه المشيخة من أهل دمشق فزاد امتناعا ودس اليه الناصر بالتحفظ وأنّ المدد على غزة ووصل قفجق بكثر فترلوا الميدان وبعثوا الى سنجر صاحب القلعة في الطاعة فاساء جوابهم وقال لهم أنّ السلطان وصل وهزم عساكر التتر التي اتبعته ودخل قفجق الى دمشق فقرأ عهد غازان له بولاية دمشق والشام جميعا وجعل اليه ولاية القضاء وخطب لغازان في الجامع وانطلقت أيدي العساكر في البلد بأنواع جميع العيث وكذا في الصالحية والقرى التي بها والمزة وداريا وركب ابن تيمية الى شيخ الشيوخ نظام الدين محمود الشيباني وكان نزل بالعادية فأركبه معه الى الصالحية وطردها منها أهل العيث وركب المشيخة الى غازان شاكين فنعوا من لقائه حذرا من سطوته بالتتر فيقع الخلاف ويقع وبال ذلك على أهل البلد فرجعوا الى الوزير سعد الدين ورشد الدين فأطلقوا لهم الاسرى والسبي وشاع في الناس أنّ غازان أذن للمغل في البلد وما فيه ففرغ الناس الى شيخ الشيوخ وفرضوا على أنفسهم أربعمائة ألف درهم مصانعة له على ذلك وأكروها على غرمها بالضرب والحبس حتى كلت ونزل التتر بالمدرسة العادية فأحرقوها ارجواش نائب القلعة ونصب المنجنيق على القلعة بسطح جامع بني أمية فأحرقوه فأعيد عمله وكان المغل يحرسونه فانتهكوا حرمة المسجد بكلّ محرّم من غير استثناء وهجم أهل القلعة فقتلوا النجار الذي كان يصنع المنجنيق وهدم نائب القلعة ارجواش ما كان حولها من المساكن والمدارس والابنية ودار السعادة وطلبوا مالا يقدرّون عليه وامتنع القضاء والخطباء وعطلت الجماعات والجمعة وفحش القتل والسبي وهدمت دار الحديث وكثير من المدارس ثم قفل الى بلده بعد ان ولى على دمشق والشام قفجق وعلى حماة وحمص بكثر السلحدار وعلى صفد وطرابلس والساحل فارس الدين البكي وخلف نائبه قطلوشاه في ستين ألف حامية للشام واستصحب وزيره بدر الدين بن فضل الله وشرف الدين ابن الامير وعلاء الدين بن القلانسي وحاصر قطلوشاه القلعة فامتنعت عليه فاعترم على الرحيل وجمع له قفجق الاوغاد في جمادى من السنة وبقي قفجق منفردا بأمره فأمن الناس بعض الشيء وأمر مماليكه ورجعت عساكر التتر من اتباع الترك بعد ان وصلوا الى القدس وغزة والرملة واستباحوا ونهبوا وقائدهم يومئذ مولاي من أمراء التتر فخرج اليه ابن تيمية واستوهبه بعض الاسرى فأطلقهم وكان الملك الناصر لما وصل الى القلعة ووصل معه كبيغا العادل وكان حضر

معه المعركة من محلّ نيابته بصرخد فلما وقعت الهزيمة سار مع السلطان الى مصر وبقي في خدمة النائب سلار وجرد السلطان العساكر وبث النفقات وسار الى الصالحية وبلغه رحيل غازان من الشام ووصل اليه بليان الطباخي نائب حلب على طريق طرابلس وجمال الدين الافرم نائب دمشق وسيف الدين كراي نائب طرابلس واتفق السلطان في عساكرهم وبلغه أنّ قتلوشاه نائب غازان رحل من الشام على أثر غازان فتقدّم بيبرس وسار في العساكر ووقعت المراسلة بينه وبين قفجق ويكتمر والبكي فاذعنوا للطاعة ووصلوا الى بيبرس وسلار فبعثوا بهم الى السلطان وهو في الصالحية في شعبان من السنة فركب للقائهم وبالغ في تكريمهم والانطاع لهم وولى قفجق على الشوبك ورحل عائدا الى مصر ودخل بيبرس وسلار الى مصر وقرروا وفي ولايتها جمال الدين أقوش الافرم بدمشق وفي نيابة حلب قرا سنقر المنصوري الجوكندار لاستعفاء بليان الطباخي عنها وفي طرابلس سيف الدين قطلبك وفي حماة كبيغا العادل وفي قضاء دمشق بدر الدين بن جماعة لوفاة امام الدين بن سعد الدين القزويني وعاد بيبرس وسلار الى مصر منتصف شوال وعاقب الافرم كلّ من استخدم للتر من أهل دمشق وأغرى عساكره جبل كسروان والدرزية لما نالوا من العسكر عند الهزيمة وألزم أهل دمشق بالرماية وحمل السلاح وفرضت على أهل دمشق ومصر الاموال عن بعث الخيالة والمساكن لاربعة أشهر وضمان للقرى وكثر الأرجاف سنة سبعمائة بحركة التتر فتوجه السلطان الى الشام بعد أن فرض على الرعية أموالا واستخرجها لتقوية عساكره وأقام بظاهر غزة أياما يؤلف فيها الامصار ثم بعث ألني فارس الى دمشق وعاد الى مصر منسلخ ربيع الآخر وجاء غازان بعساكره وأجفلت الرعايا أمامه حتى ضاقت بهم السبل والجهات فنزل ما بين حلب ومرس ونازلها واكتسح البلاد الى انطاكية وجبل السمرو وأصابهم هجوم البرد وكثرة الامطار والوحل وانقطعت الميرة عنهم وعدمت الاقوات وصوحت المراعي من كثرة الثلج وارتحلوا الى بلادهم وكان السلطان قد جهز العساكر كما قلنا الى الشام صحبة بكتمر السلحدار نائب صفد وولى مكانه سيف الدين فنحاص المنصوري ثم وقعت المراسلة بين السلطان الناصر وبين غازان وجاءت كتبه وبعث الناصر كتبه ورسله وولى السلطان علي حمص فارس الدين البكي والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (وفاة الخليفة الحاكم وولاية ابنه المستكفي

والغزاة الى العرب بالصعيد) *

ثم توفي الخليفة الحاكم بأمر الله أحمد وهو الذي ولاه الظاهر وبايع له ستة ستين فتوفي سنة احدى وسبعائة لاحدى وأربعين سنة من خلافته وقد عهد لابنه أبي الربيع سليمان فبايع له الناصر ولقبه المستكفي وارتفعت شكوى الرعايا في الصعيد من الاغراب وكثر عيهم فجهاز السلطان العساكر مع شمس الدين قرا سنقر فاكسحهم وراجعوا الطاعة وقرر عليهم مالا حملوه ألف ألف وخمسمائة ألف درهم وألف فرس واحدا وألني جمل اثنين وعشرة آلاف ألف رأس من الغنم وأظهروا الاستكانة ثم أظهروا النفاق فسار اليهم كافل المملكة سلار ويبرس في العساكر فاستلحموهم وأبادوهم وأصابوا أموالهم ونعمهم ورجعوا واستأذن يبرس في قضاء فرضه فخرج حاجا وكان أبو نعي أمير مكة قد توفي وقام بأمره في مكة ابنه رميثة وخميصة واعتقلا أخويهما عطيفة وأبا الغيث فنقبا السجن وجاءا الى يبرس مستعدين على أخويهما فقبض عليهما يبرس وجاء بهما الى القاهرة وفي ستة ستين وسبعائة بعدها خرجت الشواني مشحونة بالمقاتلة الى جزيرة أرواد في بحر طرطوس وبها جماعة من الافرنج قد حصنوها وسكنوها فلكوها وأسروا أهلها وخربوها وأذهبوا آثارها والله تعالى وليّ التوفيق .

* (تقرير العهد لاهل الذمة) *

حضر في سنة سبعائة وزير من المغرب في غرض الرسالة فرأى حال أهل الذمة وترفعهم وتصرفهم في أهل الدولة فنكره وقبح ذلك واتصل بالسلطان نكيره فأمر يجمع الفقهاء للنظر في الحدود التي تقف عندها أهل الذمة بمقتضى عهود المسلمين لهم عند الفتح وأجمع الملاء فيهم على ما نذكر وهو أن يميز بين أهل الذمة بشعار يخصهم فالنصارى بالعمائم السود واليهود بالصفور والنساء منهن بعلامات تناسهن وأن لا يركبوا فرساً ولا يحملوا سلاحاً وإذا ركبوا الحمير يركبونها عرضاً ويتنحون وسط الطريق ولا يرفعوا أصواتهم فوق صوت المسلمين ولا يعلوا بناءهم على بناء المسلمين ولا يظهروا شعائرهم ولا يضربوا بالنواقيس ولا ينصروا مسلماً ولا يهودوه ولا يشتروا من الرقيق مسلماً ولا من سباه مسلم ولا من جرت عليه سهام المسلمين ومن دخل منهم الحمام يجعل في عنقه جرساً يتميز به ولا ينقشوا فص الخاتم

بالعربي ولا يعلموا أولادهم القرآن ولا يخدموا في أعمالهم الشاقة مسلماً ولا يرفعوا النيران ومن زنا منهم بمسلمة قتل وقال البترك بحضرة العدول حرمت على أهل ملتي وأصحابي مخالفة ذلك والعدول عنه وقال رئيس اليهود أوقعت الكلمة على أهل ملتي وطائفتي وكتب بذلك إلى الأعمال * (ولنذكر) * في هذا الموضع نسخة كتاب عمر بالعهد لأهل الدمة بعد كتاب نصارى الشام ومصر اليه ونصه هذا كتاب لعبدالله عمر أمير المؤمنين من نصارى أهل الشام ومصر لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا وذرائنا وأموالنا وأهل ملتنا وشرطنا على أنفسنا أن لا تحدث في مدائننا ولا فيما حولها ديراً ولا كنيسة ولا عليّة ولا صومعة راهب ولا نجدد ما خرب منها ولا ما كان في خطط وأن نوسع أبوابنا للمارة ولبنى السيل وأن ننزل من مربنا من المسلمين ثلاث ليال نطعمهم ولا نؤوي في كنائسنا ولا في منازلنا جاسوساً ولا نكتم عيباً للمسلمين ولا نعلم أولادنا القرآن ولا نظهر شرعنا ولا ندعوا اليه أحداً ولا نمنع أحد من ذي قرابتنا الدخول في دين الإسلام إن أرادوه وأن نوقر المسلمين ونقوم لهم في مجالسنا إذا أرادوا الجلوس ولا نتشبه بهم في شيء من ملابسهم في قلنسوة ولا عمامة ولا نعلين ولا فرق شعر ولا نسمى بأسمائهم ولا نكنى بكنائهم ولا نركب السروج ولا نتقلد بالسيوف ولا نتخذ شيئاً من السلاح ولا نحمله معنا ولا ننقش على خواتمنا بالعربية وأن نخز مقدّم رؤسنا ونكرم نزيلنا حيث كنا وأن نشد الزنابير على أوساطنا ولا نظهر صلباننا ولا نفتح كنفتنا في طريق المسلمين ولا أسواقهم ولا نضرب بنواقيسنا في شيء من حضرة المسلمين ولا نخرج شعائنا ولا طواغيتنا ولا نرفع أصواتنا مع موتانا ولا نوخذ النيران في طرق المسلمين ولا أسواقهم ولا نجاورهم بموتانا ولا نتخذ من الرقيق ما جرت عليه سهام المسلمين ولا نطلع في منازلهم ولا نعلي منازلنا فلما أتى عمر بالكتاب زاد فيه ولا نضرب أحداً من المسلمين شرطنا ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا وقبلنا عليه الأمان فإن نحن خلفنا في شيء مما شرطنا لكم علينا وضمنناه على أنفسنا وأهل ملتنا فلا دمة لنا عليكم وقد حلّ بنا ما حلّ بغيرنا من أهل المعاندة والشقاق فكتب عمر رضي الله عنه أمض ما سألوه وألحق فيه حرفاً اشترطه عليهم مع ما اشترطوه من ضرب مسلماً عمداً فقد خلع عهده وعلى أحكام هذا الكتاب جرت فتاوى الفقهاء في أهل الدمة نصاً وقياساً وأمّا كنائسهم فقال أبو هريرة أمر عمر بهدم كل كنيسة استحدثت بعد الهجرة ولم يبق إلا ما كان قبل الإسلام وسير عروة بن محمد فهدم الكنائس بصنعاء وصالح القبط على كنائسهم وهدم بعضها ولم يبق من الكنائس إلا ما كان قبل الهجرة وفي اباحة رمها واصلاحها لهم خلاف معروف بين الفقهاء والله تعالى وليّ التوفيق .

* (إيقاع الناصر بالتر على شقحب) *

ثم تواترت الأخبار سنة اثنتين وسبعمئة بحركة التتر وأن قطلوشاه وصل الى جهة الفرات وأنه قدم كتابه الى نائب حلب بأن بلادهم محلة وأنهم يرتادون المراعي بنواحي الفرات فخادع بذلك عن قصده ويوهم الرعية أن يحفلوا من البسائط ثم وصلت الأخبار باجارتهم الفرات فأجفل الناس أمامهم كل ناحية ونزل التتر مرعش وبعث العساكر من مصر مدداً لأهل الشام فوصلوا الى دمشق وبلغهم هنالك أن السلطان قازان وصل في جيوش التتر الى مدينة الرحبة ونازلها فقدم نائبها قرى وعلوفة واعتذر له بأنه في طاعته الى أن يرد الشام فإن ظفر به فالرحبة أهون شيء وأعطاه ولده رهينة على ذلك فأمسك عنه ولم يلبث أن عبر الفرات راجعاً إلى بلاده وكتب إلى أهل الشام كتاباً مطولاً يندرهم فيه أن يستمدوا عسكر السلطان أو يستجيشوه ويخادعهم بلين القول وملاطفته وتقدم قطلوشاه وجوبان الى الشام بعساكر التتر يقال في تسعين ألفاً أو يزيدون وبلغ الخبر الى السلطان فقدم العساكر من مصر وتقدم بيبرس كافل المملكة الى الشام والسلطان وسار على اثره ومعهم الخليفة أبو الربيع وساروا في التعبية ودخل بيبرس دمشق وكان النائب بحلب قرا سنقر المنصوري وقد اجتمع اليه كئيغا العادل نائب حماة وأسد الدين كرجي نائب طرابلس بمن معهم من العساكر فأغار التتر على القرينين وبها أحياء من التتركان كانوا أجفلوا أمامهم من الفرات فاستاقوا أحياءهم بما فيها واتبعهم العساكر من حلب فأوقعوا بهم واستخلصوا أحياء التتركان من أيديهم وزحف قطلوشاه وجوبان يجمعونها الى دمشق يظنان أن السلطان لم يخرج من مصر والعساكر والمسلمون مقيمون بمرج الصفر وهو المسمى بشقحب مع ركن الدين بيبرس ونائب دمشق أقوش الأفرم ينتظرون وصول السلطان فارتابوا لزحف التتر وتأخروا عن مراكزهم قليلا وارتاعت الرعايا من تأخرهم فأجفلوا الى نواحي مصر وبينما هم كذلك إذ وصل السلطان في عساكره وجموعه غرة رمضان من السنة فرتب مصافه وخرج لقصدهم فالتقى الجمعان بمرج الصفر وحمل التتر على ميمنة السلطان فثبت الله أقدامهم وصابروهم الى أن غشى الليل واستشهد جماعة في الجولة ثم انهزم التتر ولحقوا الى الجبل يعتصمون به واتبعهم السلطان فأحاط بالجبل الى أن أظلم الصباح وشعر المسلمون باستأثرتهم فأفرجوا لهم من بعض الجوانب وتسلل معظمهم مع قطلوشاه وجوبان وحملت العساكر الشامية على من بقي منهم

فاستلحموهم وأبادوهم واتبعت الخيول آثار المنهزمين وقد اعترضهم إلا وحال بما كان
السلطان قدّم إلى أهل الأنهار بين أيديهم فبشقوها ووحلت خيولهم فيها فاستوعبوهم قتلا وأسرا
وكتب السلطان إلى قازان بما يحدث عليه الحسرة ويملاً قلبه رعباً وبعث البشائر إلى مصر ثم
دخل إلى دمشق وأقام بها عيد الفطر وخرج لثالثه منها إلى مصر فدخلها آخر شوال في موكب
حفل ومشهد عظيم وقر الإسلام بنصره وتيمن بنقيب نوابه وأنشده الشعراء في ذلك وفي هذه
السنة توفي كييغا العادل نائب حماة وهو الذي كان وليّ الملك بمصر كما تقدّم ذكره فدفن
بدمشق وتوفي أيضاً بليان الجوكندار نائب حمص وتوفي أيضاً القاضي تقيّ الدين بن دقيق
العيد بمصر لولايته ست سنين بها وولى مكانه بدر الدين بن جماعة وهلك قازان ملك التتر
يقال أصابته حمى حادة للهزيمة التي بلغت فهلك وولى أخوه خربندا وفيها أفرج السلطان
عن رميثة وحميصة ولدى الشريف أبي نعي وولاهما بدلا من أخويهما عطيفة وأبي الغيث
والله تعالى أعلم .

(أخبار الأرمن)

* (أخبار الأرمن وغزو بلادهم وإدعائهم الصلح

ثم مقتل ملكهم صاحب سيس على يد التتر) *

قد كان تقدّم لنا ذكر هؤلاء الأرمن وأنهم وإخوتهم الكرج من ولد قوبل بن ناحور بن آزر وناحور أخوا إبراهيم عليه السلام وكانوا أخذوا بدين النصرانية قبل الملة وكانت مواطنهم أرمينية وهي منسوبة إليهم وقاعدتها خلاط وهي كرسيّ ملكهم ويسمى ملكهم النكفور ثم ملك المسلمون بلادهم وضربوا الجزية على من بقي منهم واختلف عليهم الولاة ونزلت بهم الفتن وخرجت خلاط فانتقل ملكهم إلى سيس عند الدروب المجاورة لحلب وانزوا إليها وكانوا يؤدّون الضريبة للمسلمين وكان ملكهم لعهد نور الدين العادل قليج بن اليون وهو صاحب ملك الدروب واستخدم للعادل وأقطع له ملك المصيصة وأردن وطرسوس من يد الروم وأبقاه صلاح الدين بعد العادل نور الدين على ما كان عليه من الخدمة وغدر في بعض السنين بالتركيان فغزاهم صلاح الدين وأخنى عليهم حتى أذعنوا ورجع إلى حاله من أداء الجزية والطاعة وحسن الجوار بثغور حلب ثم ملكهم لعهد الظاهر هيثوم بن قسطنطين ابن يانس ويظهر أنه من أعقاب قليج أو من أهل بيته ولما ملك هلاكو العراق والشام دخل هيثوم في طاعته وأقره على سلطانه وأجلب مع التتر في غزواتهم على الشام وغزاسنة إثنين وستين صاحب بلاد الروم من التتر واستنفر معه بني كلاب من أعراب حلب وعاثوا في نواحي عنتاب ثم ترهب هيثوم بن قسطنطين ونصب إبنه للملك وبعث الظاهر العساكر سنة أربع وستين ومعه قلاون المنصور صاحب حماة إلى بلادهم فلقمهم ليون في جموعه قبل الدربند فانهزم وأسرو خرب العساكر مدينة سيس وبذل هيثوم الأموال والقلاع في فداء إبنه ليون فشرط عليه الظاهر أن يستوهب سنقر الأشقر وأصحابه من أبغا بن هلاكو وكان هلاكو أخذهم من سجن حلب فاستوهبهم وبعث بهم وأعطى خمساً من القلاع منها رغبان ومرزبان لما توفي هيثوم سنة تسع وستين وملك بعده إبنه ليون وبقي الملك في عقبه وكان بينهم وبين الترك نفرة واستقامة لقرب جوارهم من حلب والترك يردّون العساكر إلى بلادهم حتى أجابوا بالصلح على الطاعة والجزية وشحنة التتر مقيم عندهم بالعساكر من قبل شحنة بلاد الروم ولما توفي ليون ملك بعده إبنه هيثوم ووُثب عليه أخوه سنباط فخلعه وحبسه بعد أن سمل عينه الواحدة وقتل أخاهما الأصغر يروس ونازلت عساكر الترك لعده

قلعة حموض من قبل العادل كييفا فاستضعف الأرمن سنباط وهموا به فلحق بالقسطنطينية وقدموا عليهم أخاه رندين فصالح المسلمين وأعطاهم مرعش وجميع القلاع على جيحان وجعلوهم تخا ورجعت العساكر عنهم ثم أفرج رندين عن أخيه هيثوم الأعور سنة تسع وستين فأقام معه قليلاً ثم وثب برندين ففرّ إلى القسطنطينية وأقام هيثوم بسيس في ملك الأرمن وقدم ابن أخيه تروس معسول أتابكا واستقامت دولته فيهم وسارمع قازان في وقعته مع الملك الناصر فعاث الأرمن في البلاد واستردّوا بعض قلاعهم وخربوا تل حمدون فلما هزم الناصر التتر سنة إثنين وسبعائة بعث العساكر إلى بلادهم فاسترجعوا القلاع وملكوا حمص واكتسحوا بسائط سيس وما إليها ومنع الضريبة المقررة عليهم فأنفذ نائب حلب قراسنقر المنصوري سنة سبع وستائة العساكر إليهم مع أربعة من الأمراء فعاثوا في بلادهم واعترضهم شحنة التتر بسيس فهزموهم وقتل أميرهم وأسر الباقون وجهاز العساكر من مصر مع بكتاش الفخري أمير سلاح من بقية البحرية وانتهاوا إلى غزة وخشي هيثوم مغبة هذه الحادثة فبعث إلى نائب حلب بالجزية التي عليهم لسنة خمس وقبلها وتوسل بشفاعته إلى السلطان فشفعه وأمنه وكان شحنة التتر ببلاد الروم لهذا العهد أرفلي وكان قد أسلم لما أسلم ابغا وبنى مدرسة بأذنة وشيد فيها مئذنة ثم حدث بينه وبين هيثوم صاحب سيس وحشة فسعى فيه هيثوم عند خربندا ملك التتر بأنه مداخل لأهل الشام وقد واطأهم على ملك سيس وما إليها واستشهد له بالمدرسة والمئذنة وكتب بذلك إلى أرفلي بعض قرابته فأسرّها في نفسه وإغثاله في صنع دعاه إليه وقبض على وافد من ممالك الترك كان عند هيثوم من قبل نائب حلب يطلب الجزية المقررة عليه وهو أيدغددي الشهرزوري ولم يزل في سجن التتر إلى أن فرّ من محبسه بتوريز سنة عشر وسبعائة ونصب لملك سيس أوشني بن ليون وسار ارفلي إلى خربندا فسايقه ألتاق أخو هيثوم بنسائه وولده مستعدين عليه ففتجع لهم خربندا وسط أرفلي وقتله وأقر أوشين أخاه في ملكه لسيس فبادر إلى مراسلة الناصر بمصر وتقرير الجزية عليه كما كانت وما زال يبعثها مع الأحيان والله تعالى أعلم .

* (مراسلة ملك المغرب ومهاداته) *

كان ملك المغرب الاقصى من بني مرين المتولين أمره من بعد الموحدين وهو يوسف بن يعقوب بن عبد الحق قد بعث إلى السلطان الناصر سنة أربع وسبعائة رسوله علاء الدين أيدغددي الشهرزوري من الشهرزورية المقربين هنالك أيام الظاهر بيبرس ومعه هدية حافلة من الخيل

والبغال والإبل وكثير من ماعون المغرب وسائر طرفه جملة من الذهب العين في ركب عظيم من المغاربة ذاهبين لقضاء فرضهم فقابلهم السلطان بأبلغ وجوه التكرمة وبعث معهم أميراً لإكرامهم وقراهم في طريقهم حتى قضوا فرضهم وعاد الرسول أيدغدي المذكور من حجه ستة خمس فبعث السلطان معه مكافأة هديتهم بما يليق بها من النفاسة وعين لذلك أميرين من بابه أيدغدي البابلي وأيدغدي الخوارزمي كل منهما لقبه علاء الدين فانتهاوا إلى يوسف بن يعقوب بمكانه من حصار تلمسان كما هو في ربيع الآخر سنة ست قابلهم بما يجب لهم ولمرسلهم وأوسع لهم في الكرامة والحباء وبعثهم إلى ممالكه بفاس ومراكش ليتطوفا بها ويعاينا مسرتها وهلك يوسف بن يعقوب بمكانه من حصار تلمسان وانطلق الرسولان المذكوران من فاس راجعين من رسالتهم في رجب سنة سبع في ركب عظيم من أهل المغرب اجتمعوا عليهم لقصد الحج ولقوا السلطان أبا ثابت البزولي^(١) من بعد يوسف بن يعقوب في طريقهم فبالغ في التكرمة والإحسان إليهم وبعث إلى مرسلهم الملك الناصر بهدية أخرى من الخيل والبغال والابل ثم مروا بتلمسان وبها أبو زيان وأبو حموانا عثمان بن يغبراس فلم يصرفا إليهما وجهاً من القبول وطلباً منها خفير يخفرهما إلى تخوم بلادهما لما كانت نواحي تلمسان قد اضطربت بعد مهلك يوسف بن يعقوب وما كان من شأنه فبعث معها بعض العرب فلم يغن عنهم واعترضهم في طريقهم أشرار حصن من زغبة بنواحي المرية فبالغوا في الدفاع فلم يغن عنهم واستولى الأشرار على الركب بما فيه ونهبوا جميع الحجاج ورسل الملك الناصر معهم وخلصوا برؤوسهم إلى الشيخ بكر بن زغلي شيخ بني يزيد بن زغبة بوطن حمزة بنواحي بجاية فأوصلهم إلى السلطان بجاية أبي البقاء خالد من ولد الأمير أبي زكريا يحيى ابن عبد الواحد بن أبي حفص ملوك أفريقية فكساهم وحملهم إلى حضرة تونس وبها السلطان أبو عصيدة محمد بن يحيى الوائق من بني عمه فبالغ في تكريمهم وسافر معهم إبراهيم ابن عيسى من بني وسنار أحد أمراء بني مرين كان أميراً على الغزاة بالأندلس وخرج لقضاء فرضه فرتبتونس واستنهضه سلطانها على الإفرنج بجزيرة جربة فسار إليها بقومه ومعه عبد الحق بن عمر بن رحو من أعيان بني مرين وكان الشيخ أبو يحيى زكريا بن أحمد اللحياني يحاصرها في عسكر تونس فأقام معهم مدة ثم استوحش أبو يحيى اللحياني من سلطانه بتونس فلحق بطرابلس وساروا جميعاً إلى مصر وتقدم السلطان بإكرامهم حتى قضوا فرضهم وعادوا إلى المغرب واستمد أبو يحيى اللحياني السلطان الناصر فأمدّه بالأموال والماليك وكان سبباً لإستيلائه على الملك بتونس كما نذكره في أخباره أن شاء الله تعالى .

(١) وفي نسخة ثانية الجزولي .

* (وحشة الناصر من كافليه بيبرس وسلار ولحاقه بالكرك وخلعه والبيعة لبيبرس) *

ثم عرضت وحشة بين السلطان الناصر وبين كافليه بيبرس وسلار سنة سبع فامتنع من العلامة على المراسم وترددت بينه وبينهم السعاة بالعتاب وركب بعض الأمراء في ساحة القلعة من جوف الليل ودافعهم الحامية في جوف الليل وافترقوا وامتنع السلطان لذلك وازداد وحشة ثم سعى بكتمر الجوكندار في إصلاح الحال وحمل السلطان على تغريب بعض الخواص من مماليكه إلى القدس وكان بيبرس ينسب إليهم هذه الفتنة ونشأتها من أجلهم ففر بهم السلطان وأعتب الأميرين ثم أعيد الموالي من القدس إلى محلهم من خدمتهم واتهم السلطان الجوكندار في سعايته فسخطه وأبعده وبعثه نائباً عن صفد ثم غص بما هو فيه من الحجر والإستبداد وطلب الحج فهجره بيبرس وسلار وسار على الكرك سنة ثمان وودعه الأمراء واستصحب بعضاً منهم فلما مرّ بالكرك دخل القلعة وأخرج النائب جمال الدين أقوش الأشرف إلى مصر وبعث عن أهله وولده كانوا مع المحمل الحجازي فعادوا إليه من العقبة وصرف الأمراء الذين توجهوا معه وأظهر الإنقطاع بالكرك للعبادة وأذن لهم في إقامة من يصلح لأمرهم فاجتمعوا بدار النيابة وتشاوروا واتفقوا على أن يكون بيبرس سلطاناً عليهم وسلار على نيابته وبايعوا بيبرس في شوال سنة ثمان ولقبوه المظفر وقلده الخليفة أبو الربيع وكتب للناصر بناية الكرك وعينت له إقطاع يختص بها وقام سيف الدين سلار بالنيابة على عادة من قبله وأقر أهل الوظائف والرتب على مراتبهم وبعث أهل الشام بطاعتهم واستقر بيبرس في سلطانه والله تعالى أعلم .

* (انتقاض الأمير بيبرس وعود الناصر إلى ملكه) *

ولما دخلت سنة تسع هرب بعض موالي الناصر فلحقوا بالكرك وقلق الظاهر بيبرس المظفر وبعث في أثرهم فلم يدركوهم واتهم آخرون فقبض عليهم ونشأت الوحشة لذلك واتصلت المكاتب من الأمراء الذين بالشام إلى السلطان بالكرك وخرج من مكانه يريد النهوض إليهم ثم رجع ووصل كتاب نائب دمشق أقوش الأفرم فسكن الحال وبعث الجاشنكير بيبرس إلى السلطان برسالة مع الأمير علاء الدين مغلاطي أيدغلي وقطلوبغا تتضمن الأرجاف فثارت لها حفاظته وعاقب الرسولين وكاتب أمراء الشام يتظلم من بيبرس وأصحابه بمصر ويقول

سلمت لهم في الملك ورضيت بالضنك رجاء الراحة فلم يرجعوا عني وبعثوا إلى بالوعيد وأنهم فعلوا ما فعلوا بأولاد المعز أيك وبيبرس الظاهر ومثل ذلك من القول ويستجدهم ويمت إليهم بوسائل الترية والعق في دفاع هؤلاء عنه والا لحقت ببلاد التروبعث بهذه الرسالة مع بعض الجند كان مستخدماً بالكرك من عهد أقوش الاشرفي وأقام هنالك وكان مولعاً بالصيد فاتصل بالسلطان في مصايد وبعث إليه ذات يوم شكواه فقال أنا آكون رسولك الى امراء الشام فبعث إليهم بهذه الرسالة فامتعضوا وأجابوه بالطاعة كما يجب منهم وسار السلطان الى البلقاء وأرسل جمال الدين أقوش الأفرم نائب دمشق إلى مصر فأخبر الجاشنكير بيبرس بالحال واستمده بالعساكر للدفاع فبعث إليه بأربعة آلاف من العساكر مع كبار الأمراء وأزاح عنهم وأنفق في سائر العساكر بمصر وكثر الأرجاف وشغبت العامة وتعين ممالك السلطان للخروج إلى النواحي إستراتيجية بمكانهم ووصل الخبر برجوع السلطان من البلقاء إلى الكرك لرأي رآه واستراب لرجعته سائر أصحابه وحاشيته وخاف أن يهجمهم عساكر مصر بما كان يشاع عندهم من اعتزام بيبرس على ذلك ثم دس السلطان إلى ممالكهم وشيع إليهم فأجابوه وأعاد الكتاب إلى نواب الشام مثل شمس الدين اقسنقر نائب حلب وسيف الدين نائب حمص فأجابوه بالسمع والطاعة وبعث نائب حلب ولده إليه واستنصوه للوصول فخرج من الكرك في شعبان سنة تسع ولحق به طائفة من أمراء دمشق وبعث النائب أقوش أميرين لحفظ الطرقات فلحقا بالسلطان وكتب بيبرس الجاشنكير إلى نواب الشام بالوقوف مع جمال الدين أقوش نائب دمشق والإجتماع على السلطان الناصر عن دمشق فأعرضوا ولحقوا بالسلطان وسار أقوش إلى البقاع والشقيف واستأمن إلى السلطان فبعث إليه بالأمان مع أميرين من أكابر أمرائه وسار إلى دمشق فدخلها وهي خالصة يومئذ لسيف الدين بكتمر أمير جامدار جاءه من صفد وهاجر إلى خدمته فتلقيه وجازاه أحسن الجزاء ثم وصل أقوش الأفرم فتلقيه السلطان بالميرة والتكرمة وأقره على نيابه دمشق واضطربت أمور الجاشنكير بمصر وخرجت طائفة من ممالك السلطان هارين إلى الشام فسرح في أثرهم العساكر فأدركوهم ونال الهاربون منهم قتلاً وجراحة ورجعوا وتجمعت وثاب العامة والغوغاء وأحاطوا بالقلعة وجأهروا بالخلعان وقبض على بعضهم وعوقب فلم يزددهم الاعتوا وتحاملاً وارتاب الجاشنكير لحاله واجتمع الناس للحلف وحضر الخليفة وجدّد عليه وعليهم الحلف وبعث نسخة البيعة لتقرأ بالجامع يوم الجمعة فصاح الناس بهم وهوا أن يحصبوهم على المنبر فرجع إلى النفقة وبذل المال واعتزم على المسير إلى الشام وقدم

أكابر الأمراء فلحقوا بالسلطان من دمشق منتصف رمضان وقدم بين يديه أميرين من أمراء غزة فوصلها واجتمعت إليه العرب والتركمان وبلغ الخبر إلى الجاشنكير فجمع إليه شمس الدين سلار وبدر الدين بكتوت الجوكندار وسيف الدين السلحدار وفاوضهم في الأمر فرأوا أن الخرق قد اتسع ولم يبق إلا البدار بالرغبة إلى السلطان أن يقطعه الكرك أو حجة أو صهيون ويتسلم السلطان ملكه فأجمعوا على ذلك وبعثوا ببيرس الدوادر وسيف الدين بهادر بعد أن أشهد الجاشنكير بالخلع وخرج من القلعة إلى أطفيح بماليكه فلم يستقر بها وتقدم قاصداً أسوان واحتمل ما شاء من المال والذخيرة وخيول الإصطبل وقام بحفظ القلعة صاحبه سيف الدين سلار وكاتب السلطان يطالعه بذلك وخطب للسلطان على المنابر ودعى باسمه على المآذن وهتف باسمه العامة في الطرقات وجهاز سلار سائر شعار السلطنة ووصلت رسل الجاشنكير إلى السلطان بما طلب فأسعفه بصهيون وردّهم إليه بالأمان والولاية ووافى السلطان عيد الفطر بالبركة ولقيه هنالك سيف الدين سلار وأعطاه الطاعة ودخل السلطان إلى القلعة وجلس باقي العيد بالإيوان جلوساً فخماً واستحلف الناس عامة وسأله سلار في الخروج إلى إقطاعه فأذن له بعد أن خلع عليه فخرج ثالث شوال وأقام ولده بيباب السلطان ثم بعث السلطان الأمراء إلى أخميم فانتزعوا من الجاشنكير ما كان احتمله من المال والذخيرة وأوصلوها إلى الخزائن ووصل معهم جماعة من مماليكه كانوا أمراء واختاروا الرجوع إلى السلطان وولى السلطان سيف الدين بكتمر الجوكندار أمير جاندار نائباً بمصر وقراسنقر المنصوري نائباً بدمشق وبعث نائبها الأفرم نائباً بصرخد وسيف الدين قفجق نائباً بحلب وسيف الدين بهادر نائباً بطرابلس وخرجوا جميعاً إلى الشام وقبض السلطان على جماعة من الأمراء ارتاب بهم وولى على وزارته فخر الدين عمر بن الخليلي عوضاً عن ضياء الدين أبي بكر ثم إنصرف ببيرس الجاشنكير متوجهاً إلى صهيون وبها بهادر^(١) بها الأشجعي موكل به إلى حيث قصد ورجع عنه الأمراء الذين كانوا عنده إلى السلطان فاستضاف بعضهم إلى مماليكه واعتقل بعضهم ثم بدا للسلطان في أمره وبعث إلى قراسنقر وبهادر وهما مقيمان بغزة ولم ينفصلا إلى الشام أن يقبضا عليه فقبضا عليه وبعثا به إلى القلعة آخر ذي القعدة فاعتقل ومات هنالك والله تعالى وليّ التوفيق .

(١) بياض بالأصل وفي أخبار البشر ج ٤ ص ٥٨ : ثم أن ببيرس المذكور قصد إلى صهيون حسبما كان قد سأله فبرز من أطفيح إلى السويس وسار إلى الصالحية ، ثم سار منها حتى وصل إلى موضع بأطراف غزة يسمى العنصر قريب الداروم ، وكان قراسنقر متوجهاً إلى دمشق نائباً بها على ما استقر عليه الحال فوصل إليه المرسوم بالقبض على ببيرس الجاشنكير .

* (خبر سلار ومآل أمره) *

لما إنتقل السلطان إلى ملكه بمصر وكان لسلار من السعي في أمره وتمكين سلطانه ما ذكرناه وكانت له سوء بال عند السلطان يعني برعها له وكانت الشوك من أقطاعه فرغب إلى السلطان في المسير إليها والتخلي فيها فأذن له وخلع عليه وزاده في أقطاعه وأقطاع ممالكه وأتبعه مائة من الطواشبة بأقطاعهم وسار من مصر إلى الشوك في شوال سنة ثمان وسبعائة ثم بعث له داود المقصور بالكرك مضافاً إلى الشوك وباللواء وبخلعة مذهبة ومركب ثقل ومنطقة مجوهره وأقام هنالك فلما كانت سنة عشر بعدها نفي إلى السلطان عن جماعة من الأمراء أنهم معتمرون على الثورة وفيهم أخو سلار فقبض عليهم جميعاً وعلى شيع سلار وحاشيته الذين بمصر وبعث علم الدين الخوالي لإستقدامه من الكرك تأنيسه وتسكيناً فقدم في ربيع من السنة واعتقل إلى أن هلك في معتقله واستصفيت أمواله وذخائره بمصر والكرك وكانت شيئاً لا يعبر عنه من الأموال والفصوص والآلي والدروع والكراع والإبل ويقال أنه كان يغل كل يوم من أقطاعه وضياعه ألف دينار وأما أوليته فإنه لما خلص من أسر التتر صار مولى لعلاء الدين علي بن المنصور قلاون ولما مات صار لأبيه قلاون ثم لابنه الأشرف ثم لأخيه محمد بن الناصر وظهر في دولهم كلها وكان بينه وبين لاشين مودة فاستخدم له وعظم في دولته متقرباً في المراكب متحرّياً لحبة السلطان إلى أن انقرض أمره ويقال أنه لما إحتضر في محبسه قيل له قد رضي عنك السلطان فوثب قائماً ومشى خطوات ثم مات والله أعلم .

انتقاض النواب بالشام ومسيرهم إلى التتر وولاية تنكر على الشام

كان قفجق نائب حلب قد توفي بعد أن ولاه السلطان فنقل مكانه إلى حلب^(١) الكرجي من حماة سنة عشر فتظلم الناس منه فقبض عليه ونقل إليها قراستقر المنصوري من نيابة دمشق وولى مكانه بدمشق سيف الدين كراي المنصوري سنة إحدى عشرة ثم سخطه واعتقله وولى مكانه بدمشق جمال الدين أقوش الأشرفي نقله إليها من الكرك

(١) بياض بالأصل وفي أخبار البشر ج ٤ ص ٦٠ : وإتفق عند ذلك موت سيف الدين قفجق نائب السلطنة بحلب في يوم السبت سلخ جمادى الأولى ، فلما وصل خبر موته إلى الأبواب الشريفة أنعم السلطان بنبابة السلطنة بحلب على استدمر موضع سيف الدين قفجق .

وتوفي بها محمد^(١) نائب طرابلس فنقل إليها أقوش الأفرم من صرخد ثم قبض على بكتمر الجوكندار نائب مصر وحبسه بالكرك وجعل مكانه في الثانية بيبرس الدوادار ثم إرتاب قراسنقر نائب حلب فهرب إلى البرية واجتمع مع مهنا بن عيسى ويقال أنه استأذن السلطان في الحج فأذن له فلما توسط البرية استوعرها فرجع فثبته الأمراء الذين بحلب من دخولها إلا بإذن السلطان فرجع إلى الفرات وبعث مهنا بن عيسى شافعاً له عند السلطان فقبله وردّه إلى نيابة حلب ثم بلغ السلطان أنّ خربندا ملك التتر زاحف إلى الشام فجهز العساكر من مصر وتقدّم إلى عساكر الشام بأن يجتمعوا معهم بحمص فارتاب قراسنقر وخرج من حلب وعبر الفرات ثم راجع نفسه واستأمن السلطان على أن يقيم بالفرات فأقطعه السلطان الشوليك يقيم بها فلم يفعل وبقي بمكان من الفرات مع مهنا بن عيسى ثم إرتاب جماعة من الأمراء فلحقوا به وفيهم أقوش الأفرم نائب طرابلس وأمضوا عزمهم على اللحاق بخربندا فوصلوا إلى ماردين فلقاهم صاحبها بالكرامة وحمل إليهم تسعين ألف درهم ورتب لهم الأتاوات ثم ساروا إلى خلاط إلى أن جاءهم إذن خربندا فساروا إليه واستحثوه للشام وبلغ الخبر إلى السلطان فأتهم الأمراء الذين في خدمته بالشام بمدخله قراسنقر وأصحابه فاستدعاهم وبعث على حلب سيف الدين^(٢) مكان قراسنقر وعلى طرابلس

بكتمر الساقى مكان أقوش وبعث على العرب فضل بن عيسى مكان أخيه مهنا ووصل الأمراء إلى مصر فقبض عليهم جميعاً وعلى أقوش الأشرفي نائب دمشق وولى مكانه تنكز الناصري سنة اثنتي عشرة وجعل له الولاية على سائر الممالك الإسلامية وقبض على نائبه بمصر بيبرس الدوادار وحبسه بالكرك وولى مكانه أرغون الدوادار وعسكر بظاهر القلعة وإرتحل بعد عيد الفطر من السنة فلقبه الخبر أثناء طريقه بأن خربندا وصل إلى الرحبة ونازلها وإنصرف عنها راجعاً فانكفأ السلطان إلى دمشق وفرق العساكر بالشام ثم سار إلى الكرك واعترم على قضاء فرضه تلك السنة وخرج حاجاً من الكرك ورجع سنة ثلاث عشرة إلى الشام وبعث إلى مهنا بن عيسى يستميله وعاد الرسول بامتناعه ثم لحق سنة ست عشرة بخربندا وأقطعه بالعراق وأقام هنالك فلم يرجع إلا بعد مهلك خربندا والله سبحانه وتعالى أعلم .

(١) يياض بالأصل ، ولم نعث بالمراجع التي بين أيدينا على الاسم الكامل لنائب طرابلس في تلك السنة .
(٢) يياض بالأصل ، وفي أخبار البشر ج ٤ ص ٦٧ : وفيها قرر السلطان سيف الدين سودي الجمندار (الأشرفي ثم الناصري) في نيابة السلطنة بحلب المحروسة موضع قراسنقر .

* (رجوع حماة إلى بني المظفر شاهنشاه بن أيوب ثم لبني الأفضل منهم وانقراض أمرهم) *

قد كان تقدّم لنا أن حماة كانت من أقطاع تقيّ الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب أقطعه إياها عمه صلاح الدين بن أيوب سنة أربع وسبعين وخمسمائة فلم تزل بيده إلى أن توفي سنة سبع وثمانين وخمسمائة فأقطعه ابنه ناصر الدين محمداً ولقبه المنصور وتوفي سنة سبع عشرة وستمئة بعد عمه صلاح الدين والعاقل فولها ابنه قليج أرسلان ويلقب الناصر سنة ست وعشرين وكان أخوه المظفر ولي عهد أبيه عند الكامل بن العادل فجهازه بالعساكر من دمشق وملكها من يد أخيه وأقام بها إلى أن هلك سنة ثلاث وأربعين وولي ابنه محمد ويلقب المنصور ولم يزل في ولايتها إلى أن سار يوسف بن العزيز ملك الشام من بني أيوب هارباً إلى مصر أيام التتر فسار معه المنصور صاحب حماة وأخوه الأفضل ثم خشي من الترك بمصر فرجع إلى هلاكو واستمر المنصور إلى مصر فأقام بها وملك هلاكو الشام وقتل الناصر وسائر بني أيوب كما مرّ ثم سار قطز إلى الشام عند ما رجع هلاكو عنه عندما شغل عنه بفتنة قومه فارتجعه من ملكة التتر وولى على قواعده وأمصاره وردّ المنصور إلى حماة فلم يزل والياً عليها وحضر واقعة على التتر بجمص سنة ثلاثين وكان يتردد إلى مصر سائر أيامه ويخرج مع البعوث إلى بلاد الأرمن وغيرها ويعسكر مع ملوك مصر متى طلبوه لذلك ثم توفي ثلاث وثمانين وأقرّ قلاون ابنه المظفر على ما كان أبوه وجري هو معهم على سنته إلى أن توفي سنة ثمان وتسعين عندما بويع الناصر محمد بن قلاون بعد لاشين، وانقطع عقب المنصور فولى السلطان عليها قراسنقر من أمراء الترك نقله إليها من الضيئة وأمره باستقرار بني أيوب وسائر الناس على أقطاعاتهم ثم كان استيلاء قازان على الشام ورجوعه سنة تسع وتسعين ومسير بيبرس وسلار وانتزاع الشام من التتر وكان كييغا العادل الذي ملك مصر وخلعه لاشين نائباً بصرخند فجلا في هذه الوقائع وتنصح لبيبرس وسلار وحضر معهم بدمشق فولوه على حماة وغزا بالعساكر بلاد الأرمن وحضر هزيمة التتر مع الناصر سنة اثنتين وسبعمئة فرجع إلى حماة فمات بها وولى السلطان بعده سيف الدين قفجق استدعاه إليها من أقطاعه بالشويك وكان الأفضل علاء الدين أخو المنصور صاحب حماة توفي أيام أخيه المنصور وخلف ولداً اسمه إسماعيل ولقبه عماد الدين ونشأ في دولتهم عاكفاً على العلم والأدب حتى توفر منها حظه وله كتاب في التاريخ مشهور ولما رجع السلطان الناصر من الكرك إلى كرسية وسطا بيبرس وسلار راجع نظره في الإحسان إلى أهل هذا البيت واختار منهم عماد الدين إسماعيل هذا

وولاه على حماة مكان قومه ست عشرة وسبعائة وكان عند رجوعه إلى ملكه قد ولى نيابة حلب سيف الدين قفجق وجعل مكانه بجاة أيدير الكرجي وتوفي قفجق فنقل أيدير من حماة إلى حلب مكانه وولى إسماعيل على حماة كما قلناه ولقبه المؤيد ولم يزل عليها إلى أن توفي سنة اثنتين وثلاثين وولى الناصر ابنه الأفضل محمد برغبة أبيه إلى السلطان في ذلك ثم مات الملك الناصر في ذي الحجة سنة إحدى وأربعين وقام بعده بالأمر مولاه قوص ونصب ابنه أبا بكر محمدا فكان أول شيء أحدثه عزل الأفضل من حماة وبعث عليها مكانه صقر دمول النائب وسار الأفضل إلى دمشق فمات بها سنة اثنتين وأربعين وانقرضت إيالة بني أيوب من حماة والبقاء لله وحده لأربّ غيره ولا معبود سواه .

* (غزو العرب بالصعيد وفتح ملطية وآمد) *

ثم خرج السلطان سنة ثلاث عشرة فمسكر بالأهرام موريا بالترهة وقد بلغه ما نزل بالصعيد من عيث العرب وفسادهم في نواحيه وإضرارهم بالسابلة فسرح العساكر في كل ناحية منه وأخذ المهلاك منهم مأخذة إلى أن تغلب عليهم واستباحهم من كل ناحية وشردهم من خلفهم ثم سرح العساكر سنة أربع عشرة بعدها إلى ملطية وهي للأرمن وملكها عنوة . وسار لذلك تنكر نائب دمشق بعساكر الشام وستة من أمراء مصر ونازلوها في محرم سنة خمس عشرة وبها جموع من نصارى الأرمن والعربان وقليل من المسلمين تحت الجزية فقاتلهم حتى ألقوا باليد واقتحموها عنوة واستباحوها وجاؤا بملكها مع الأسرى فأبقاه السلطان وأنعم عليه ثم نمي عنه أنه يكاتب ملوك العراق فحبسه ثم بعث السلطان العساكر من حلب سنة خمس عشرة إلى عرقية من أعمال آمد ففتحوها وجاءت العساكر سنة سبع عشرة ثانية إلى آمد ففتحوها واستباحوها وغنموا منها أموالا جمة والله تعالى ينصر من يشاء من عباده .

* (الولايات) *

وفي سنة خمس عشرة سخط السلطان سيف الدين نمر نائب طرابلس الذي وليها بعد أقوش الأفرم وأمدّه به وسيق معتقلاً إلى مصر وولى مكانه سيف الدين كستاي ثم هلك فولى مكانه شهاب الدين قرطاي نقله إليها من نيابة حمص وولى نيابة حمص سيف الدين أقطاي ثم قبض سنة ثمان عشرة على طغاي الحسامي من الجاشنكيرية وصرف نائباً إلى صفد مكان بكتمر الحاجب ثم سخطه فأحضره معتقلاً وحبسه بالاسكندرية وبعث على صفد سيف

الدين أقطاي نقله إليها من حمص وبعث على حمص بدر الدين بكتوت القرماني والله تعالى أعلم .

* (العماثر) *

ابتدأ السلطان سنة إحدى عشرة وسبعائة ببناء الجامع الحديد بمصر وأكمّله ووقف عليه الأوقاف المغلة ثم أمر سنة أربع عشرة ببناء القصر الأبلق من قصور الملك فجاء من أفرح المصانع الملوكية وفي سنة ثمان عشرة أمر بتوسعة جامع القلعة فهدم ما حوله من المساكن وزيد فيه إلى الحد الذي هو عليه بهذا العهد ثم أمر في سنة ثلاث وعشرين بعمارة القصور لمنازله بسرياقوس وبنى بازائها الخانقاه الكبيرة المنسوبة إليه وفي سنة ثلاث وثلاثين أمر بعمارة الأيوان الضخم بالقلعة وجعله مجلس ملكه وبيت كرسية ودعاه دار العدل والله تعالى أعلم .

* (حجات السلطان) *

وحج الملك الناصر محمد بن قلاوون في أيام دولته ثلاث حجات أولاً سنة ثلاث عشرة عند ما إنقراض قراستقر نائب حلب وأقوش الأفرم نائب طرابلس ومهنا بن عيسى أمير العرب وجاء خربندا إلى الشام ورجع من الرحبة فسار السلطان من مصر إلى الشام وبلغه رجوع خربندا فسار من هناك حاجا وقضى فرضه سنة ثلاث عشرة ورجع إلى الشام ثم حج الثانية سنة تسع عشرة ركب إليها من مصر في أواخر ذي القعدة ومعه المؤيد صاحب حماة والأمير محمد ابن أخت علاء الدين ملك الهند صاحب دلي^(١) ولما قضى حجه إنطلق الأمير محمد ابن أخت علاء الدين من هناك إلى الهند على اليمن ورجع إلى مصر فأفرج عن رميثة أمير مكة من بني حسن وعن المعتقلين بمحبسه ووصله ووصلهم ثم حج الثالثة سنة إثنين وثلاثين ومعه الأفضل بن المؤيد صاحب حماة على عادة أبيه في مراكة السلطان وقفل من حجه سنة ثلاث وثلاثين فأمر بعمل باب الكعبة مصفحاً بالفضة أنفق فيه خمسة وثلاثين ألف درهم وفي منصرفه من هذه الحجة مات بكثر الساق من أعظم أمراضه ويقال أنه سمه وهو من مماليك بيبرس الجاشنكير وانتقل إلى الناصر فجعله أمير السقا وعظمت منزلته عنده ولطفت خلته حتى كانا لا يفترقان إماً في بيت السلطان وإماً في بيته وكان حسن السياسة في الغاية وخلف بعد وفاته من الأموال والجواهر والذخائر ما يفوت الحصر والله تعالى وليّ التوفيق بمنه وكرمه .

(١) أظنها دلهي .

* (أخبار النوبة وإسلامهم) *

قد تقدّم لنا غزو الترك إلى النوبة أيام الظاهر بيبرس والمنصور قلاوون لما كان عليهم من الجزية التي فرضها عمرو بن العاص عليهم وقررها الملوك بعد ذلك وربما كانوا يماطلون بها أو يمتنعون من أدائها فتغزوهم عساكر المسلمين من مصر حتى يستقيموا وكان ملكهم بدنقلة أيام سارت العساكر من عند قلاوون إليها سنة ثمانين وستمائة وإسمه سمامون ثم كان ملكهم لهذا العهد إسمه آي لا أدري أكان معاقباً لسمامون أو توسط بينهما متوسط وتوفي آي سنة ست عشرة وسبعائة وملك بعده في دنقلة أخوه كريس ثم نزع من بيت ملوكهم رجل إلى مصر إسمه نشلي وأسلم فحسن إسلامه وأجرى له رزقاً وأقام عنده فلما كانت سنة ست عشرة أمتنع كريس من أداء الجزية فجهز السلطان إليه العساكر وبعث معها عبدالله نشلي المهاجر إلى الإسلام من بيت ملكهم فخام كريس عن لقاءهم وفرّ إلى بلد الأبواب ورجعت العساكر إلى مصر واستقر نشلي في ملك النوبة على حاله من الإسلام وبعث السلطان إلى ملك الأبواب في كريس فبعث به إليه وأقام بباب السلطان ثم أنّ أهل النوبة اجتمعوا على نشلي وقتلوه بمألة جماعة من العرب سنة تسع ويخثوا عن كريس ببلد الأبواب فألقوه بمصر وبلغ الخبر إلى السلطان فبعثه إلى النوبة فلحقها وانقطعت الجزية بإسلامهم ثم انتشرت أحياء العرب من جهينة في بلادهم واستوطنوها وملكوها وملئوها عيثاً وفساداً وذهب ملوك النوبة إلى مدافعتهم فعجزوا ثم ساروا إلى مصانعتهم بالصهر فاقترب ملكهم وصار لبعض أبناء جهينة من أمهاتهم على عادة الأعاجم في تملك الأخت وابن الأخت فتمزق ملكهم واستولى أعراب جهينة على بلادهم وليس في طريقه شيء من السياسة المملوكية للآفة التي تمنع من انقياد بعضهم إلى بعض فصاروا شيعاً لهذا العهد ولم يبق لبلادهم رسم للملك وإنما هم الآن رجاله بادية يتبعون مواقع القطر شأن بوادي الأعراب ولم يبق في بلادهم رسم للملك لما أحالته صبغة البداوة العربية من صبغتهم بالخلطة والإلتحام والله غالب على أمره والله تعالى ينصر من يشاء من عباده .

بقية أخبار الأرمن إلى فتح أياس ثم فتح سيس
وانقراض أمرهم

قد كنا قدّمنا أخبار الأرمن إلى قتل ملكهم هيثوم على يد أيدغدي شحنة التتر ببلاد الروم

سنة سبع واستقرار الملك بسيس لأخيه أوسير بن ليون وكان بينه وبين قزمان ملك التركان مصاف سنة تسع عشرة فهزمه قزمان ولم يزل أوسير بن ليون ملكاً عليهم إلى سنة اثنتين وسبعين فهلك ونصبوا للملك بعده ابنه ليون صغيراً ابن اثنتي عشرة سنة وكان الناصر قد طلب أوسير أن يتزل له عن القلاع التي تلي الشام فانسع وجهاز إليه عساكر الشام فاكسحوا بلاده وخربوها وهلك أوسير على أثر ذلك ثم أمر الناصر كبيغا نائب حلب بغزو سيس فدخل إليها بالعساكر سنة ست وثلاثين واكتسح جهاتها وحصر قلعة النقيز وافتحها وأسر من الأرمن عدة يقال بلغوا ثلثمائة وبلغ خبرهم إلى النصارى بإياس فثاروا بمن عندهم من المسلمين وأحرقوهم غضباً للأرمن لمشاركتهم في دين النصرانية ولم يثبت أن بعث إلى السلطان دمرداش بن جويان شحنة المغل ببلاد الروم يعرفه بدخوله في الإسلام ويستنفر عساكره لجهاد نصارى الأرمن فأسعفه بذلك وجهاز إليه عساكر الشام من دمشق وحلب وحماة سنة سبع وثلاثين ونازلوا مدينة أياس ففتحوها وخربوها ونجافلهم إلى الجبال فاتبعتهم عساكر حلب وعادوا إلى بلادهم ثم سار سنة إحدى وستين بندمر الخوارزمي نائب حلب لغزو سيس ففتح أذنة وطرسوس والمصيصة ثم قلعتي كلال والجرايدة وسنباط كلا وتمرور وولى نائبين في أذنة وطرسوس وعاد إلى حلب وولى بعده على حلب عشقيم النصارى فسار سنة ست وسبعين وحصر سيس وقلعتها شهرين إلى أن نفدت أقواتهم وجهدهم الحصار فاستأمنوا ونزلوا على حكمه فخرج ملكهم النكفور وأمرأوه وعساكره إلى عشقيم فبعث بهم إلى مصر واستولى المسلمون على سيس وسائر قلاعها وانقرضت منها دولة الأرمن والبقاء لله وحده إنتهى .

* (الصلح مع ملوك التتر وصهر الناصر مع ملوك الشمال منهم) *

كان للتتر دولتان مستفحلتان إحداهما دولة بني هلاكو آخذ بغداد والمستولي على كرسي الإسلام بالعراق وأصارها هو وبنوه كرسياً لهم ولهم مع ذلك عراق العجم وفارس وخراسان وما وراء النهر ودولة بني دوشي خان بن جنكزخان بالشمال متصلة إلى خوارزم بالمشرق إلى القرم وحدود القسطنطينية بالجنوب وإلى أرض بلغار بالمغرب وكان بين الدولتين فتن وحروب كما تحدث بين الدول المتجاورة وكانت دولة الترك بمصر والشام مجاورة لدولة بني هلاكو وكان يطمعون في ملك الشام ويرددون الغزو إليه مرة بعد أخرى ويستميلون أولياءهم وأشياعهم من العرب والتركمان فيستظهرون بهم عليهم كما رأيت ذلك في أخبارهم وكانت

بين ملوكهم من الجانبين وقائع متعددة وحروبهم فيها سجل وربما غلبوا من الفتنة بين دولة بني دوشي وبين بني هلاكو ولبعدهم عن فتنة بني دوشي خان لتوسط المالك بين مملكتهم ومملكة مصر والشام فتقع لهم الصاغية إليهم وتتجدد بينهم المراسلة والمهاداة في كل وقت ويستحث ملك الترك ملك صراي من بني دوشي خان لفتنة بني هلاكو والأجلاب عليهم في خراسان وما إليها من حدود مملكتهم ليشغلهم عن الشام ويأخذوا بحجزتهم عن النهوض إليه وما زال ذلك دأبهم من أول دولة الترك وكانت رغبة بني دوشي خان في ذلك أعظم يفتخرون به على بني هلاكو ولما ولي صراي أنبك من بني دوشي خان سنة ثلاث عشرة وكان نائباً ببلاد الروم قطلغمير وفدت عليه الرسل من مصر على العادة فعرض لهم قطلغمير بالصهر مع السلطان الناصر ببعض نساء ذلك البيت على شرطية الرغبة من السلطان في ظاهر الأمر والتمهل منهم في إمضاء ذلك وزعموا أن هذه عادة الملوك منهم ففعل السلطان ذلك وردد الرسل والهدايا اعماماً ستة الى أن استحكم ذلك بينهم وبعثوا اليه بمخطوبته طلبناش بنت طغاجي بن هند وابن بكر بن دوشي سنة عشرين مع كبير المغل وكان مقلداً يحمل على الأعناق ومعهم جماعة من أمرائهم وبرهان الدين أمام أزيك ومروا بالقسطنطينية فبالغ لشكري في كرامتهم يقال أنه أنفق عليهم ستين ألف دينار وركبوا البحر من هناك إلى الإسكندرية ثم ساروا بها إلى مصر محمولة على عجلة وراء ستور من الذهب والحرير يحرقها كديش يقود ، إثنان من موالها في مظهر عظيم من الوقار والتجلة ولما قاربوا مصر ركب للقائم النائبان أرغون وبكتمر الساقى في العساكر وكريم الدين وكيل السلطان وأدخلت الخاتون إلى القصر واستدعى ثالث وصولها القضاة والفقهاء وسائر الناس على طبقاتهم إلى الجامع بالقلعة وحضر الرسل الوافدون عندهم بعد أن خلع عليهم وإنعقد النكاح بين وكيل السلطان ووكيل أزيك وإنفض ذلك المجمع وكان يوماً مشهوداً ووصلت رسل أبي سعيد صاحب بغداد والعراق سنة اثنتين وعشرين وفيهم قاضي توريز يسألون الصلح وانتظام الكلمة واجتماع اليد على إقامة معالم الإسلام من الحج وإصلاح السابلة وجهاد العدو فأجاب السلطان إلى ذلك وبعث سيف الدين أيتمش الحمدي لأحكام العقد معهم وامتضاء إيمانهم فتوجهه لذلك بهدية سنوية وعاد سنة ثلاث وعشرين ومعه رسل أبي سعيد ومعه جويان لمثل ذلك فتم ذلك وانعقد بينهم وقد كانت قبل ذلك تجددت الفتنة بين أبي سعيد وصاحب صراي نفرة من أزيك صاحب صراي من تغلب جويان على أبي سعيد وفتكه في المغل وكانت بين جويان وبين سبول صاحب خوارزم وما وراء النهر فتنة ظهر فيها أزيك

وأمدّه بالعساكر فاستولى أزيك على أكثر بلاد خراسان وطلب من الناصر بعد الإلتحام بالصهر المظاهرة على أبي سعيد وجوبان فأجابه إلى ذلك ثم بعث إليه أبو سعيد في الصلح كما قلناه فأثّر وعقد له وبلغ الخبر إلى أزيك ورسّل الناصر عنده فأغلظ في القول وبعث بالعتاب واعتذر له الناصر بأنهم إنما دعوه لإقامة شعائر الإسلام ولا يسع التخلف عن ذلك فقبل ثم وقعت بينه وبين أبي سعيد مراوضة في الصلح بعد أن استردّ جوبان ما ملكه أزيك من خراسان فتوابع كل هؤلاء الملوك واصطلحوا ووضعوا أوزار الحرب حيناً من الدهر إلى أن تقلبت الأحوال وتبدّلت الأمور والله مقلب الليل والنهار.

* (مقتل أولاد بني نمي أمراء مكة من بني حسن) *

قد تقدّم لنا استيلاء قتادة على مكة والحجاز من يد الهواشم واستقرارها لبنيه إلى أن استولى منهم أبو نمي وهو محمد بن أبي سعيد علي بن قتادة ثم توفي سنة اثنتين وسبعائة وولي مكانه ابنه رميثة وخميصة واعتقلا أخويهما عطيفة وأبا الغيث ولما حج الأميران كافلا المملكة ببيرس وسلا هربا إليهما من مكان إعتقالهما وشكيا ما نالهما من رميثة وخميصة فأشكاهما الأميران واعتقلا رميثة وخميصة وأوصلاههما إلى مصر ووليا عطيفة وأبا الغيث وبعثا بهما إلى السلطان صحبة الأمير أيدمر الكوكبي الذي جاء بالعساكر معها ثم رضي السلطان عنهما وولاهما مكان رميثة وخميصة وبعث معها العساكر ثانياً سنة ثلاث عشرة وقرّ رميثة وخميصة عن البلاد ورجع العسكر وأقام أبو الغيث وعطيفة فرجع إليهما رميثة وخميصة وتلاقوا فانهزم أبو الغيث وعطيفة فسارا إلى المدينة في جوار منصور بن حماد فأمدّهما ببني عقبة وبني مهدي ورجع إلى حرب رميثة وخميصة فاقتلوا ثانياً ببطن مرو فانهزم أبو الغيث وقتل واستمرّ رميثة وخميصة ولحق بهما أخوهما عطيفة وسار معها ثم تشاجروا سنة خمس عشر ولحق رميثة بالسلطان مستعدياً على أخويه فبعث معه العساكر ففرّ خميصة بعد أن استصفي أهل مكة وهرب إلى السبعة مدن ولحقته العساكر فاستلحق أهل تلك المدن ولقيهم فانهزموا ونجا خميصة بنفسه ثم رجعت العساكر فرجع وبعث رميثة يستنجد السلطان فبعث إليه العساكر ففرّ خميصة ثم رجع واتفق مع أخويه رميثة وعطيفة ثم لحق عطيفة بالسلطان سنة ثمان عشرة وبعث معه العساكر فتقبضوا على رميثة وأوصلوه معتقلا فسجن بالقلعة واستقرّ عطيفة بمكة وبقي خميصة مشرداً ثم لحق بملك التتر ملك العراق خربندا واستنجده على ملك الحجاز فانجده بالعساكر وشاع بين الناس أنه داخل الروافض الذين عند خربندا في

إخراج الشيخين من قبريها وعظم ذلك على الناس ولقبه محمد بن عيسى أخومها حسبة وامتعاضا للدين وكان عند خربندا فاتبعه واعترضه وهزمه ويقال أنه أخذ منه المعاول والفؤس التي أعدوها لذلك وكان سبياً لرضا السلطان عنه وجاء خميسة إلى مكة سنة ثمانى عشرة وبعث الناصر العساكر إليه فهرب وتركها ثم أطلق رميته سنة تسع عشرة فهرب إلى الحجاز ومعه وزيره علي بن هنجس فرد من طريقه واعتقل وأفرج عنه السلطان بعد مرجعه من الحج سنة عشرين ثم أن خميسة استأمن السلطان سنة عشرين وكان معه جماعة من المالك هربوا إليه فحاموا أن يحضروا معه إلى السلطان فاغتالوه وحضروا وكان السلطان قد أطلق رميته من الاعتقال فأمكنه منهم فثار من المباشر قتل أخيه وعفا عن الباقيين ثم صرف السلطان رميته إلى مكة وولاه مع أخيه عطيفة واستمرت حالها ووفد عطيفة سنة إحدى وعشرين على الأبواب ومعه قتادة صاحب الينع يطلب الصريح على ابن عمه عقيل قاتل ولده فأجابه السلطان وجهاز العساكر لصريخه وقوبل كل منها بالأكراد وانصرفوا وفي سنة إحدى وثلاثين وقعت الفتنة بمكة وقتل العبيد جماعة من الأمراء والترك فبعث السلطان أيدغمش ومعه العساكر فهرب الشرفاء والعبيد وحضر رميته وبذل الطاعة وحلف متبرئاً مما وقع فقبل منه السلطان وعفا له عنها واستمرت حاله على ذلك إلى أن هلك سنة (١) وتداولت الإمارة بين إبنه عجلان وبقيه ثم استبد عجلان كما نذكره (٢) في أخبارهم وورثتها بنوه لهذا العهد كما نذكره مرتباً في أخبارهم إن شاء الله تعالى .

* (حج ملك التكرور) *

كان ملك السودان بصحراء المغرب في الإقليم الأول والثاني منقسماً بين أمم من السودان أولهم مما يلي البحر المحيط أمة صوصو وكانوا مستولين على غانة ودخلوا في الإسلام أيام الفتح وذكر صاحب كتاب رجاز في الجغرافيا أن بني صالح من بني عبد الله بن الحسن بن الحسن كانت لهم بها دولة وملك عظيم ولم يقع لنا في تحقيق هذا الخبر أكثر من هذا وصالح من بني حسن مجهول وأهل غانة منكرون أن يكون عليهم ملك لأحد غير صوصو ثم يلي أمة صوصو أمة مالي من شرقهم وكرسي ملكهم بمدينة بني ثم من بعدهم شرقاً عنهم أمة كوكو ثم التكرور بعدهم وفيما بينهم وبين النوبة أمة كانم وغيرها وتحولت الأحوال باستمرار العصور

(١) بياض بالأصل ، ولم نعر على سنة هلاكه في المراجع التي بين أيدينا .

(٢) قوله كما نذكره هذا قد تقدم في المجلد الرابع مفصلاً مع إختلاف يسير في بعض الأسماء .

فاستولى أهل مالي على ما وراءهم وبين أيديهم من بلاد صوصو وكوكو وآخر ما استولوا عليه بلاد التكرور واستفحل ملكهم إلى الغاية وأصبحت مدينتهم بني حاضرة بلاد السودان بالمغرب ودخلوا في دين الإسلام منذ حين من السنين وحج جماعة من ملوكهم وأول من حج منهم برمندار وسمعت في ضبطه من بعض فضلائهم برمند أنه وسيله في الحج هي التي اقتفاها ملوكهم من بعده ثم حج منهم منساوي بن ماري جاطة أيام الظاهر بيبرس وحج بعده منهم مولاهم صاكوره وكان تغلب على ملكهم وهو الذي افتتح مدينة كوكو ثم حج أيام الناصر وحج من بعده منهم منسا موسى حسبما ذكر في أخبارهم عند دول البربر عند ذكر صنهاجة ودولة لمتونة من شعوبهم ولما خرج منسا موسى من بلاد المغرب للحج سلك على طريق الصحراء وخرج عند الأهرام بمصر وأهدى إلى الناصر هدية حفيلة يقال أن فيها خمسين ألف دينار وأنزله بقصر عند القرافة الكبرى وأقطعه إياها ولقيه السلطان بمجلسه وحدته ووصله وزوده وقرب إليه الخيل والهجن وبعث معه الأمراء يقومون بخدمته إلى أن قضى فرضه سنة أربع وعشرين ورجع فأصابته في طريقه بالحجاز نكبة تخلصه منها أجله وذلك أنه ضل في الطريق عن المحمل والركب وانفرد بقومه عن العرب وهي كلها مجاهل لهم فلم يهتدوا إلى عمران ولا وقفوا على مورد وساروا على السميت إلى أن نفذوا عند السويس وهم يأكلون لحم الحيتان إذا وجدوها والأعراب تتخطفهم من أطرافهم إلى أن خلصوا ثم جدد السلطان له الكرامة ووسع له في الجباء وكان أعدا لفنقته من بلاده فيما يقال مائة حمل من التبر في كل حمل ثلاثة قناطير فنفتت كلها وأعجزته النفقة فاقترض من أعيان التجار وكان في صحبته منهم بنو الكويك فاقترضوه خمسين ألف دينار وابتاع منهم القصر الذي أقطعه السلطان وأمضى له ذلك وبعث سراج الدين بن الكويك معه وزيره يرد له منه ما أقرضه من المال فهلك هنالك وأتبعه سراج الدين آخر أيامه فمات هنالك وجاء ابنه فخر الدين أبو جعفر بالبعض وهلك منسا موسى قبل وفاته فلم يظفروا منه بشيء انتهى والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (أنجاد المجاهد ملك اليمن) *

قد تقدم لنا استبداد علي بن رسول فلك بعد مهلك سيده يوسف أئمز بن الكامل بن العادل بن أيوب ويلقب المسعود وكان علي بن رسول أستاذ داره ومستولياً على دولته فلما هلك سنة ست وعشرين وستمائة نصب ابن رسول ابنه موسى الأشرف للملكه وكفله قريباً

واستولى ابن رسول وأورث ملكه باليمن لبنيه لهذا العهد وانتقل الأمر للمجاهد منهم علي بن داود والمؤيد بن يوسف المظفر بن عمر بن المنصور بن علي بن رسول سنة إحدى وعشرين وانتقض عليه جلال الدين ابن عمه الأشرف فظهر عليه المجاهد واعتقله ثم انتقض عليه عمه المنصور سنة ثلاث وعشرين وحبسه وأطلق من حبسه واعتقل عمه المنصور وكان عبدالله الظاهر بن المنصور قائماً بأمر أبيه ومنازلة المجاهد سنة أربع وعشرين بالصريح إلى الناصر سليمان الترك بمصر وكان هو وقومه يعطونهم الطاعة وييعنون إليهم الأتاوة من الأموال والهدايا وطرف اليمن وما عونه فجهز لهم الناصر صحبة يببرس الحاجب وطنبال من أعظم أمرائه فساروا إلى اليمن ولقيهم المجاهد بعدن فأصلحوهم بين الفريقين على أن تكون^(١) ويستقرّ المجاهد في سلطانه باليمن ومالوا على كل من كان سبباً في الفتنة فقتلوه ودّخوا اليمن وحملوا أهله على طاعة المجاهد ورجعوا إلى محلهم من الأبواب السلطانية والله تعالى ولي التوفيق .

* ولاية أحمد ابن الملك الناصر على الكرك *

ولما استفحل ملك السلطان الناصر واستمرّ وكثر ولده طمحت نفسه إلى ترشيح ولده لتقرّ عينه بملكهم فبعث كبيرهم أحمد إلى قلعة الكرك سنة ست وعشرين ورتب الأمراء المقيمين بوظائف السلطان فسار إلى الكرك وأقام بها أربع سنين ممتعاً بالملك والدولة وأبوه قرير العين بامارته في حياته ثم استقدمه سنة ثلاثين وأقام فيه سنة الختان واحتفل في الصنيع به وختن معه من أبناء الأمراء والخواص جماعة إنتقاهم ووقع إختياره عليهم ثم صرفه إلى مكان إمارته بالكرك فأقام بها إلى أن توفي الملك الناصر وكان ما ذكره والله تعالى أعلم .

* (وفاة مرداش بن جوبان شحنة بلاد الروم ومقتله) *

كان جوبان نائب مملكة التتر مستولياً على سلطانه أبي سعيد بن خربندا لصغره وكانت حاله مع أبيه خربندا قريباً من الإستيلاء فولى على مملكة بلاد الروم دمرdash ثم وقعت الفتنة بينهم وبين ملك الشمال أزلک من بني دوشي خان على خراسان وسار جوبان من بغداد سنة تسع وعشرين لمدافعته كما يأتي في أخبارهم وترك عند السلطان أبي سعيد ببغداد ابنه خواجا

(١) بياض بالأصل في جميع النسخ ، ولم نعرف في المراجع التي بين أيدينا على تصويب هذه العبارة .

دمشق فسعى به أعداؤه وأنهبوا عنه قبائح من الأفعال لم يحتملها له فسطا به وقتله وبلغ الخبر إلى أبيه جوبان فانتقض وعاجله أبو سعيد بالمسير إلى خراسان فتفرقت عنه أصحابه وفر فادرك بهراة وقتل وأذن السلطان أبو سعيد لأهله أن ينقلوه إلى التربة التي إختطها بالمدينة النبوية لدفنه فاحتملوه ولم يتوقفوا على إذن صاحب مصر فنعهم صاحب المدينة ودفنوه بالبقيع ولما بلغ الخبر بمقتله إلى ابنه دمرداش في إمارته ببلاد الروم خشي على نفسه فهرب إلى مصر وترك مولاه أرتق مقيماً لأمر البلد وأنزله بسيواس ولما وصل إلى دمشق وركب النائب لتلقيه وسار معه إلى مصر فأقبل عليه السلطان وأحلّه محل الكرامة وكان معه سبعة من الأمراء ومن العسكر نحو ألف فارس فأكرمهم السلطان وأجرى عليهم الأرزاق وأقاموا عنده وجاءت على أثره رسل السلطان أبي سعيد وطلبه بدمّة الصلح الذي عقده مع الملك الناصر وأوضحوا لعلم السلطان من فساد طويته وطوية أبيه جوبان وسعيهم في الأرض بالفساد ما أوجب إعطاءه باليد وشرط السلطان عليهم إمضاء حكم الله تعالى في قراسنقر نائب حلب الذي كان قرّسنة إثنتي عشرة مع أقوش الأقرم إلى خربندا وأغروه بملك الشام ولم يتم ذلك وأقاموا عند خربندا وولي أقوش الأقرم على همدان فمات بها سنة ست عشرة فولي صاحبه قراسنقر مكانه بهمدان فلما شرط عليهم السلطان قتله كما قتل دمرداش أمضوا فيه حكم الله تعالى وقتلوه جزاء بما كان عليه من الفساد في الأرض -والله متولي جزائهم ثم وصل على أثر ذلك ابن السلطان أبي سعيد ومعه جماعة من قومه في تأكيد الصلح والإصهار من السلطان فقولوا بالكرامة التي تليق بهم واتصلت المراسلة والمهاداة بين هذين السلطانين إلى أن توفيا والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

* (وفاة مهنا بن عيسى أمير العرب بالشام وأخبار قومه) *

هذا الحيّ من العرب يعرفون بآل فضل رحالة ما بين الشام والجزيرة وتربة نجد من أرض الحجاز يتقلبون بينها في الرحلتين ويتسبون في طيء ومعهم أحياء من زبيد وكلب وهذيل ومذحج أحلاف لهم ويناهضهم في الغلب والعدد آل مراد يزعمون أنّ فضلاً ومرادا أبناء ربيعة ويزعمون أيضاً أنّ فضلاً ينقسم ولده بين آل مهنا وآل علي وأنّ آل فضل كلهم بأرض حوران فغلبهم عليها آل مراد وأخرجوهم منها فترلوا حمص ونواحيها وأقامت زبيد من أحلافهم بحوران فهم بها حتى الآن لا يفارقونها قالوا ثمّ إتصل آل فضل بالدول السلطانية وولوهم على أحياء العرب وأقطعوهم على إصلاح السابلة بين الشام والعراق فاستظهروا

برياستهم على آل مراد وغلبوهم على المشايقي فصار عامة رحلتهم في حدود الشام قريباً من التلول والقرى لا ينجعون إلى البرية إلا في الأقل وكانت معهم أحياء من أفريق العرب مندرجون في لفيفهم وحلفهم من مذحج وعامر وزبيد كما كان آل فضل إلا أن أكثر من كان مع آل مراد من أولئك الأحياء وأوفرهم عدة بنو حارثة بن سنيس إحدى شعوب طيء هكذا ذكر لي الثقة عندي من رجالتهم وبنو حارثة هؤلاء متغلبون لهذا العهد في تلول الشام لا يحاوزونها إلى العمران ورياسة آل فضل لهذا العهد لبني مهنا وينسبونه هكذا مهنا بن مانع ابن جديلة بن فضل بن بدر بن ربيعة بن علي بن مفرج بن بدر بن سالم بن حصّة بن بدر ابن سميع ويقفون عند سميع ويقول رعاؤهم أن سميعاً هذا هو الذي ولدته العباسة أخت الرشيد من جعفر بن يحيى البرمكي وحاشى لله من هذه المقالة في الرشيد وأخته وفي إنتساب كبراء العرب من طيء إلى موالي العجم من برمك وأنسابهم ثم أن الوجدان يحيل رياسة هؤلاء على هذا الحلي إن لم يكونوا من نسبهم وقد تقدّم مثل ذلك في مقدّمة الكتاب وكان مبدأ رياستهم من أول دولة بني أيوب قال العماد الأصهباني في كتاب البرق السامي نزل العادل بمرج دمشق ومعه عيسى بن محمد بن ربيعة شيخ الأعراب في جموع كثيرة إنتهى وكانت الرياسة قبلهم لعهد الفاطميين لبني جراح من طيء وكان كبيرهم مفرج بن دغفل ابن جراح وكان من إقطاعه الرملة وهو الذي قبض على افتكين مولى بني بويه لما إنهمز مع مولاه بختيار بالعراق وجاء به إلى المعز فأكرمه ورقاه في دولته ولم يزل شأن مفرج هكذا وتوفى سنة أربع وأربعمائة وكان من ولده حسان ومحمود وعلي وجران وولي حسان بعده وعظم صيته وكان بينه وبين خلفاء الفاطميين نفرة واستجاشة وهو الذي هدم الرملة وهزم قائدهم هاروق التركي وقتله وسبى نساءه وهو الذي مدحه التهامي وقد ذكر المسيحي وغيره من مؤرخي دولة العبيديين في قرابة حسان بن مفرج فضل بن ربيعة بن حازم بن جراح وأخاه بدر بن ربيعة ولعل فضلاً هذا هو جدّ آل فضل وقال ابن الأثير وفضل بن ربيعة بن حازم كان آباؤه أصحاب البلقاء والبيت المقدس وكان فضل تارة مع الإفرنج وتارة مع خلفاء مصر ونكره لذلك طغركين أتاك دمشق وكافل بني تش وطرده من الشام فنزل على صدقة بن مزيد وحالفه ووصله حين قدم من دمشق بتسعة آلاف دينار فلما خالف صدقة بن مزيد على السلطان محمد بن ملك شاه سنة خمس مائة وما بعدها ووقعت بينهما الفتنة إجتمع فضل هذا وقرواش بن شرف الدولة مسلم بن قريش صاحب الموصل وبعض امراء التركمان كانوا أولياء صدقة فساروا في الطلائع بين يدي الحرب وهربوا إلى السلطان

فأكرمهم وخلع عليهم وأنزل فضل بن ربيعة بدار صدقة بن يزيد ببغداد حتى إذا سار السلطان لقتال صدقة استأذنه في الخروج إلى البرية ليأخذ بحجرة صدقة فأذن له وعبر إلى الأنبار ولم يرجع للسلطان بعدها إنتهى كلام ابن الأثير ويظهر من كلامه وكلام المسيحي أن فضلا هذا وبدرا من آل جراح من غير شك ويظهر من سبأ هؤلاء نسبه أن فضلا هذا هو جدهم لأنهم ينسبون فضل بن علي بن مفرج وهو عند الآخرين فضل بن علي بن جراح فلعل هؤلاء نسبوا ربيعة إلى مفرج الذي هو كبير بني الجراح لطول العهد وقلة المحافظة على مثل هذا من البادية الغفل وأما نسبة هذا الحي في طيء فبعضهم يقول أن الرياسة في طيء كانت لأياس بن قبيصة من بني سنبس بن عمرو بن الغوث بن طيء وأياس هو الذي ملكه كسرى على الحيرة بعد آل المنذر عندما قتل النعمان بن المنذر وهو الذي صالح خالد بن الوليد على الحيرة ولم تزل الرياسة على طيء في بني قبيصة هؤلاء صدرا من دولة الإسلام فلعل آل فضل هؤلاء وآل الجراح من أعقابهم وإن كان إنقرض أعقابهم فهم من أقرب الحي إليه لأن الرياسة في الأحياء والشعوب إنما تتصل في أهل العصية والنسب كما مر أول الكتاب وقال ابن حزم عند ما ذكر أنساب طيء أنهم لما خرجوا من اليمن نزلوا أجا وسلمى وأوطنوها وما بينهما ونزل بنو اسد ما بينهما وبين العراق وفضل كثير منهم وهم بنو خارجة بن سعد بن عبادة من طيء ويقال لهم جديلة نسبة إلى أمهم بنت تيم الله وحبيش والأسعد إخوتهم رحلوا عن الجبلين في حرب الفساد فلحقوا بحلب وحاضر طيء وأوطنوا تلك البلاد الأبنى رمان ابن جندب بن خارجة بن سعد فإنهم أقاموا بالجبلين فكان يقال لأهل الجبلين الجبليون ولأهل حلب وحاضر طيء من بني خارجة السهلون إنتهى فلعل هذه أحياء الذين بالشام من بني الجراح وآل فضل من بني خارجة هؤلاء الذين ذكر ابن حزم أنهم إنتقلوا إلى حلب وحاضر طيء لأن هذا الموطن أقرب إلى مواطنهم لهذا العهد من مواطن بني الجراح بفلسطين من جبل أجا وسلمى الذين هما موطن الآخرين والله أعلم أي ذلك يصح من أنسابهم ولنرجع الآن إلى سرد الخبر عن رياسة آل فضل أهل هذا البيت منذ دولة بني أيوب فنقول كان الأمير منهم لعهد بني أيوب عيسى بن محمد بن ربيعة أيام العادل كما قلناه ونقلناه عن العماد الأصبهاني الكاتب ثم كان بعده حسام الدين مانع بن خدينة بن غصينة بن فضل وتوفي سنة ثلاثين وستمائة وولي عليهم بعده ابنه مهنا ولما إرتجع قطز ثالث ملوك الترك بمصر وملك الشام من يد التترو هزم عسكرهم بعين جالوت أقطع سلمية لمهنا بن مانع وانتزعها من عمل المنصور بن المظفر بن شاهنشاه صاحب حماة ولم أقف على تاريخ وفاة مهنا ثم ولي

الظاهر على أحياء العرب بالشام عندما استفحل أمر الترك وسار إلى دمشق لتشييع الخليفة الحاكم عم المستعصم لبغداد فولى العرب عيسى بن مهنا بن مانع ووفر له الإقطاعات على حفظ السابلة وجلس ابن عمه زامل بن علي بن ربيعة من آل علي لإعنته وأعراضه ولم يزل أميراً على أحياء العرب وصلحوا في أيامه لأنه خالف أباه في الشدة عليهم وهرب إليه سنقر الأشقر سنة تسع وتسعين وكتبوا أبغا واستحثوه للملك الشام وتوفي عيسى بن مهنا سنة أربع وثمانين فولى المنصور قلاون بعده إبنه مهنا ثم سار الأشرف بن قلاون إلى الشام ونزل حمص ووفد عليه مهنا بن عيسى في جماعة من قومه فقبض عليه وعلى إبنه موسى وأخوه محمد وفضل ابني عيسى بن مهنا وبعث بهم إلى مصر فحبسوا بها حتى أفرج عنهم العادل كييغا عندما جلس على التخت سنة أربع وتسعين ورجع إلى إمارته ثم كان له في أيام الناصر نفرة واستجاشة وميل إلى ملوك التتر بالعراق ولم يحضر شيئاً من وقائع غازان ولما انتقض سنقر وأقوش الأفرم وأصحابهما سنة إثنتي عشرة وسبعائة لحقوا به وساروا من عنده إلى خربندا واستوحش هو من السلطان وأقام في أحيائه منقبضاً عن الوفاة ووفد أخوه فضل سنة إثنتي عشرة فرعى له حق وفادته وولاه على العرب مكان أخيه مهنا وبقي مهنا مشرداً ثم لحق سنة ست عشرة بخربندا ملك التتر فأكرمه وأقطعه بالعراق وهلك خربندا في تلك السنة فرجع إلى أحيائه وأوفدا بنيه أحمد وموسى وأخاه محمد بن عيسى مستعنيين للناصر ومتطارحين عليه فأكرم وفادتهم وأنزلهم بالقصر الأبلق وشملهم بالإحسان وأعتب مهنا وردو على إمارته وإقطاعه وذلك سنة سبع عشرة وحج هذه السنة إبنه عيسى وأخوه محمد وجماعة من آل فضل إثنا عشر ألف راحلة ثم رجع مهنا إلى ديدنه في مملأة التتر والإجلا ب على الشام واتصل ذلك منه فنقم السلطان عليه وسخطه قومه أجمع وكتب إلى نواب الشام سنة عشرين بعد مرجعه من الحج فطرد آل فضل عن البلاد وادال منهم آل علي عديدة نسبهم وولي منهم على أحياء العرب محمد بن أبي بكر وصرف إقطاع مهنا وولده إلى محمد وولده فأقام مهنا على ذلك مدة ثم وفد سنة إحدى وثلاثين مع الأفضل بن المؤيد صاحب حماة متوسلاً به ومتطارحاً على السلطان فأقبل عليه وردّ عليه إقطاعه وإمارته وذكر لي بعض أكابر الأمراء بمصر ممن أدرك وفادته أو حدث عنها أنه تجافى في هذه الوفاة عن قبول شيء من السلطان حتى أنه ساق من النياق المحلوبة واستقاها وأنه لم يغش باب أحد من أرباب الدولة ولا سألهم شيئاً من حاجته ثم رجع إلى أحيائه وتوفي سنة أربع وثلاثين فولى إبنه مظفر الدين موسى وتوفي سنة إثنتين وأربعين عقب مهلك الناصر وولي مكانه أخوه سليمان ثم هلك سليمان

سنة ثلاث وأربعين فولي مكانه لشرف الدين عيسى ابن عمه فضل بن عيسى ثم توفي سنة أربع وأربعين بالقدس ودفن عند قبر خالد بن الوليد رضي الله عنه وولي مكانه أخوه سيف بن فضل . ثم عزله السلطان بمصر الكامل بن الناصر سنة ست وأربعين ، وولي مكانه مهنا بن عيسى ثم جمع سيف بن مهنا ولقيه فياض بن مهنا فانهزم سيف ثم ولي السلطان حسين بن الناصر في دولته الأولى وهو في كفالة بيقاروس أحمد بن مهنا فسكنت الفتنة بينهم ثم توفي سنة تسع وأربعين فولي مكانه أخوه فياض وهلك سنة اثنتين وستين فولي مكانه أخوه خيار بن مهنا ولاه حسين بن الناصر في دولته الثانية ثم انتقض سنة خمس وستين وأقام سنين بالقفر ضاحياً إلى أن شفع فيه نائب حماة فأعيد إلى إمارته ثم انتقض سنة سبعين فولي السلطان الأشرف مكانه ابن عمه زامل بن موسى بن عيسى وجاء إلى نواحي حلب واجتمع إليه بنوكلاب وغيرهم وعاثوا في البلاد وعلى حلب يومئذ اقشتم المنصوري فبرز إليهم وانتهى إلى مخيمهم واستاق نعمهم وتخطى إلى الخيام فاستأثروا دونها وهزموا عساكره وقتل قشتمروا به في المعركة وتولى ذلك زامل بيده وذهب إلى القفر منتقلاً فولي مكانه معيقيل بن فضل بن عيسى ثم بعث معيقيل صاحبه سنة إحدى وسبعين يستأمن لخيار فأمنه ثم وفد خيار بن مهنا سنة خمس وسبعين فرضي عنه السلطان فأعاده إلى إمارته ثم توفي سنة سبع وسبعين فولي أخوه قارة إلى أن توفي سنة إحدى وثمانين فولي مكانه معيقيل بن فضل بن عيسى وزامل بن موسى بن مهنا شريكين في إمارتهما ثم عزلا لسنة من ولايتهما وولي بصير بن جبار بن مهنا واسمه محمد وهو لهذا العهد أمير على آل فضل وجميع أحياء طيء والله تعالى أعلم .

* (وفاة أبي سعيد ملك العراق وانقراض أمر بني هلاكو) *

ثم توفي أبو سعيد ملك العراق من التتر ابن خربندا بن ابغون ابغا بن هلاكو بن طولی خان بن جنكزخان سنة ست وثلاثين وسبعائة لعشرين سنة من ملكه ولم يعقب فانقرض بموته ملك بني هلاكو وصار الأمر بالعراق لسواهم واقترب ملك التتر في سائر ممالكهم كما نذكر في أخبارهم ولما استبدَّ ببغداد الشيخ حسن من أسباطهم كثر عليه المنازعون فبعث رسله إلى الناصر قبل وفاته يستنجد به على أن يسلم له بغداد ويعطي الرهن في العساكر حتى يقضي بها في أعدائه فأجابه الناصر إلى ذلك ثم توفي قريباً فلم يتم والأمر لله وحده .

وصول هدية ملك المغرب الأقصى مع رسله وكريمته صحبة الحاج

كان ملك بني مرين بالمغرب الأقصى قد استفحل لهذه الثغصور وصار للسلطان أبي الحسن علي بن السلطان أبي سعيد عثمان بن السلطان أبي يوسف بن يعقوب بن عبد الحق جد ملوكهم وأسف إلى ملك جيرانهم من الدول فرحف إلى المغرب الأوسط وهو في ملكة بني عبد الواد أعداء قومه من زناتة وملكهم أبو تاشفين عبد الرحمن بن أبي حمو موسى ابن أبي سعيد عثمان بن السلطان يغمراسن بن زيان جد ملوكهم أيضاً وكرسيه تلمسان سبعة وعشرين شهراً ونصب عليها الجانيق وادار بالأسوار سياجاً لمنع وصول الميرة والأقوات إليها وتقرى أعمالها بلداً بلداً فملك جميعها ثم افتتحها عنوة آخر رمضان سنة سبع وثلاثين ففرض جموعها وقتل سلطانها عند باب قصره كما تذكره في أخبارهم ثم كتب للملك الناصر صاحب مصر يخبره بفتحها وزوال العائق عن وفادة الحاج وأنه ناظر في ذلك بما يسهل سييلهم ويزيل عنهم وكانت كريمة من كرائم أبيه السلطان أبي سعيد ومن أهل فراشه قد اقتضت منه الوعد بالحج عندما ملك تلمسان فلما فتحها وأذهب عدوه منها جهز تلك المرأة للحج بما يناسب قرباتها منه وجهاز معها للملك الناصر صاحب مصر هدية فخمة مشتملة على خمسمائة من الجياد المغربية بعدتها وعدة فرسانها من السروج واللجم والسيوف وظرف المغرب وما عونه من شتى أصنافه ومن ثياب الحرير والصوف والكتان وصنائع الجلد حتى ليزعموا أنه كان فيها من أواني الخزف وأصناف الدرّ والياقوت وما يشبهها في سبيل التودّد وعرض أحوال المغرب على سلطان المشرق ولعظم قدر هذه الوافدة عند الناصر أوفد معها من عطاء قومه ووزرائه وأهل مجلسه فوفدوا على الناصر سنة ثمان وثلاثين وأحلهم بأشرف محل من التكرمة وبعث من إصطبلاته ثلاثين خطلاً من البغال يحملون الهدية من بحر النيل سوى ما تبعها من البخاتي والجمال وجلس لهم في يوم مشهود ودخلوا عليه وعرضوا الهدية فعمّ بها أهل دولته إحساناً في ذلك المجلس واستأثر منها على ما زعموا بالدرّ والياقوت فقط ثم فرقهم في منازلهم وأنزلهم دار كرامته وقد هيئت بالفرش والماعون ووفر لهم الجرايات واستكثر لهم من الأزودة وبعث أمراء في خدمتهم إلى الحجاز حتى قضوا فرضهم في تلك السنة وانقلبوا إلى سلطانهم فجهز الناصر معهم هدية إلى ملك المغرب تشتمل على ثياب الحرير المصنوعة بالإسكندرية وعين منها الحمل المتعارف في كل سنة الخزانة السلطان وقيمتها لذلك

العهد خمسون ألف دينار وعلى خيمة من خيم السلطان المصنوعة بالشام فيها أمثال البيوت والقباب والكفات مرساة أطرافها في الأرض بأوتاد الحديد والخشب كأنها قباب مائلة وعلى خيمة مؤزر باطنها من ثياب الحرير العراقية وظاهرها من ثياب القطن الصرافية مستجادة الصنعة بين الحدل والأوتاد أحسن ما يراه من البيوت وعلى صوان من الحرير مربع الشكل يقام بالحدل الحافظ ظلّه من الشمس وعلى عشرة من الجياد المقربات الملوكة بسروج ولحم ملوكية مصنوعة من الذهب والفضة مرصعة باللآلي والفصوص وبعث مع تلك الجياد خدم يقومون بنائها المتعارف فيها ووصلت الهدية إلى سلطان المغرب فوقعت منه أحسن المواقع وأعاد الكتب والرسل بالشكر واستحكت المودة بين هذين السلطانين واتصلت المهادة إلى أن مضيا لسبيلها والله تعالى وليّ التوفيق .

* (وفاة الخليفة أبي الربيع وولاية ابنه) *

قد ذكرنا أيام الظاهر وأنه أقام خليفة بمصر من ولد الراشد وصل يومئذ من بغداد واسمه أحمد بن محمد وذكرنا نسبه هنالك إلى الراشد وأنه بويع له بالخلافة سنة ستين وستمائة ولقبه الحاكم فلم يزل في خلافته إلى أن توفي سنة إحدى وسبعمائة وقد عهد لابنه سليمان فبايع له أهل دولة الناصر الكافلون لها ولقبوه المستكفي فبقي خليفة سائر أيام الناصر ثم تنكر له السلطان سنة ست وثلاثين لشيء نمي له عن بنيه فأسكنه بالقلعة ومنعه من لقاء الناس فبقي حولا كذلك ثم ترك سبيله ونزل إلى بيته ثم كثرت السعاية في بنيه فغربه سنة ثمان وثلاثين إلى قوص هو وبنيه وسائر أقاربه وأقام هنالك إلى أن هلك سنة أربعين قبل مهلك الناصر وقد عهد بالخلافة لابنه أحمد ولقبه الحاكم فلم يمض الناصر عهده في ذلك لأن أكثر السعاية المشار إليها كانت فيه فنصب للخلافة بعد المستكفي ابن عمه إبراهيم بن محمد ولقبه الواقف وهلك لأشهر قريبة فاتفق الأمراء بعده على إمضاء عهد المستكفي في ابنه أحمد فبايعوه سنة إحدى وأربعين وأقام في الخلافة إلى سنة ثلاث وخمسين فتوفي وولي أخوه أبو بكر ولقب المعتضد ثم هلك سنة ثلاث وستين لعشرة أشهر من خلافته ونصب بعده ابنه محمد ولقب المتوكل ونورد من أخباره في أماكنها ما يحضرنا ذكره والله سبحانه وتعالى أعلم بغيبه .

* (نكبة تنكر ومقتله) *

كان تنكر مولى من موالي لاشين إصطفاه الناصر وقربه وشهد معه وقائع التتر وسار معه إلى

الكرك وأقام في خدمته مدة خلعه ولما رجع إلى كرسيه ومهد أمور ملكه ورتب الولاية لمن يرضاه من أمرائه بعث تنكز إلى الشام وجعله نائباً بدمشق ومشاركاً لسائر بلاد الروم ففتح ملطية ودوخ بلاد الأرمن وكان يتردد بالوفادة على السلطان يشاوره وربما استدعاه للمفاوضة في المهمات واستفحل في دفاع التتر وكيادهم ولما توفي أبو سعيد وانقرض ملك بني هلاكو وافترق أمر بغداد وتورين وكانا معاً يحاورانه ويستنجدانه وسخطه بعضهم فراسل السلطان بغشه وأدّاهانه في طاعته وممالأة أعدائه وشرع السلطان في استكشاف حاله وكان قد عقد له على بنته فبعث دواذاره باجاريستقدمه للأعراس بها وكان عدواً له للمنافسة والغيرة فأشار على تنكز بالمقام وتخليه عن السلطان وغشه في النصيحة وحذر السلطان منه فبعث الملك الناصر إلى طشتمر نائب صفد أن يتوجه إلى دمشق ويقبض عليه فقبض عليه سنة أربعين ثمان وعشرين سنة لولايته بدمشق وبعث الملك الناصر مولاه لشمك إلى دمشق في العساكر فاحتاط على موجوده وكان شيئاً لا يعبر عنه من أصناف الممتلكات وجاء به مقيداً فاعتقل بالإسكندرية ثم قتل في محبسه والله تعالى أعلم .

وفاة الملك الناصر وإبنة أنوك قبله وولاية إبنة أبي بكر ثم كجك

ثم توفي الملك الناصر محمد بن المنصور قلاوون أجد ما كان ملكاً وأعظم استبداداً توفي على فراشه في ذي الحجة آخر إحدى وأربعين وسبعمائة بعد أن توفي قبله بقليل إبنة أنوك فاحتسبه وكانت وفاته ثمان وأربعين سنة من ولايته الأولى في كفالة طنبغا ولائتين وثلاثين من حين استبداده يأمره بعد بيبرس وصفا الملك له وولي النيابة في هذه ثلاثة من أمرائه بيبرس الدواذار المؤرخ ثم بكمر الجوكندار ثم أرغون الدواذار ولم يول أحد النيابة بعده وبقيت الوظيفة عطلاً آخر أيامه وأما دواذريه فأيدمر ثم سلار ثم الحلي ثم يوسف بن الأسعد ثم بغا ثم طاجار وكتب عنه شرف الدين بن فضل الله ثم علاء الدين بن الأمير ثم محيي الدين بن فضل الله ثم إبنة شهاب الدين ثم إبنة الآخر علاء الدين وولي القضاء في دولته تقي الدين بن دقيق العيد ثم بدر الدين بن جماعة وإنما ذكرت هذه الوظائف وإن كان ذلك ليس من شرط الكتاب لعظم دولة الناصر وطول أمدتها واستفحال دولة الترك عندها وقدّمت الكتاب على القضاة وإن كانوا أحقّ بالتقديم لأنّ الكتاب أمس بالدولة فإنهم من أعوان الملك ولما اشتدّ المرض بالسلطان وكان قوصون أحظى عظيم من أمرائه فبادر القصر في مماليكه

متسلحين وكان بشتك بضاهيه فارتاب وسلح أصحابه وبدا بينهما التنافس ودس بشتك الشكوى إلى السلطان فاستدعاهما وأصلح بينهما وأراد أن يعهد بالملك إلى قوصون فامتنع فعهد لابنه أبي بكر ومات فال من عماله بشتك إلى ولاية أحمد صاحب الكرك وأبي قوصون إلا الوفاء بعهد السلطان ثم رجع إليه بشتك بعد مراوضة فبوع أبو بكر ولقب المنصور وقام بأمر الدولة قوصون وردفه قطلوبغا الفخري فولوا على نيابة السلطان طقرد مر وبعثوا على حلب طشتمر وعلى حمص أخضر عوضاً عن طغراي وأقروا كيغا الصالحي على دمشق ثم استوحش بشتك من استبداد قوصون وقطلوبغادونه فطلب نيابة دمشق وكان يعجب بها من يوم دخلها للحوطة على تنكر فاستغفوه فلما جاء للوداع قبض عليه قطلوبغا الفخري وبعث به إلى الإسكندرية فاعتقل بها ثم أقبل السلطان أبو بكر على لذاته ونزع عن الملك وصار يمشي في سكك المدينة في الليل متنكراً مخالطاً للسوقة فنكر ذلك الأمراء وخلعه قوصون وقطلوبغا لسبعة وخمسين يوماً من بيعته وبعثوا به إلى قوص فحبس بها وولوا أخاه كجك ولقبوه الأشرف وعزلوا طقرد مر عن النيابة وقام بها قوصون وبعثوا طقرد مر نائباً على حماة وأدالوا به من الأفضل بن المؤيد فكان آخر من وليها من بني المظفر وقبضوا على طاجار الدويدار وبعثوا به إلى الاسكندرية فغرق في البحر وبعثوا بقتل بشتك في محبسه بالإسكندرية والله تعالى ينصر من يشاء من عباده .

* (مقتل قوصون ودولة أحمد بن الملك الناصر) *

لما بلغ الخبر إلى الأمراء بالشام باستبداد قوصون على الدولة غصوا من مكانه واعتزموا على البيعة لأحمد بن الملك الناصر وكان يومئذ بالكرك مقيماً منذ ولاه أبوه إمارتها كما قدّمناه فكاتبه طشتمر نائب حمص وأخضر نائب حلب واستدعاه إلى الملك وبلغ الخبر إلى مصر فخرج قطلوبغا في العساكر لحصار الكرك وبعثوا إلى طنبغا الصالحي نائب دمشق فسار في العساكر إلى حلب للقبض على طشتمر نائب حمص وأخضر وكان قطلوبغا الفخري قد استوحش من صاحبه قوصون وغص باستبداده عليه فلما فصل بالجند من مصر بعث بيعته إلى أحمد بن الملك الناصر بالكرك وسار إلى الشام فأقام دعوته في دمشق ودعا إليها طقرد مر نائب حماة فأجابه وقدم عليه وانتهى الخبر إلى طنبغا نائب دمشق وهو يحاصر حلب فافرج عنها ودعاه قطلوبغا إلى بيعة أحمد فأبى فانتقض عليه أصحابه وسار إلى مصر واستولى قطلوبغا الفخري على الشام أجمع بدعوة أحمد وبعث إلى الأمراء بمصر فأجابوا إليها

واجتمع أيدغمش وأقسنقر السلاري وغازي ومن تبعهم من الأمراء على البيعة لأحمد واستراب بهم قوصون كافل المملكة وهم بالقبض عليهم وشاور طنبغا اليحياوي من عنده من أصحابه في ذلك فغشوه وخذلوه وركب القوم ليلاً وكان أيدغمش عنده بالإصطبل وهو أمير الماصورية وهم قوصون بالركوب فخذله وثنى عزمه ثم ركب معهم واتصلت الهيعة ونادى في الغوغاء بنهب بيوت قوصون فنهبوا وخربوها وخربوا الحمامات التي بناها بالقرافة تحت القلعة ونهب شيخها شمس الدين الأصهباني فسلبوه ثيابه وإنطلقت أيدي الغوغاء في البلد ولحقت الناس منهم مضرات في بيوتهم واقتحموا بيت حسام الدين الغوري قاضي الحنفية فنهبوه وسبوا عياله وقادهم إليه بعض من كان يحق عليه من الخصوم فجرت عليه معرة من ذلك ثم اقتحم أيدغمش وأصحابه القلعة وتقبضوا على قوصون وبعثوا به إلى الإسكندرية فأت في محبسه وكان قوصون قد أخرج جماعة من الأمراء للقاء طنبغا الصالحى فسار قراستقر السلاري في أثرهم وتقبض عليهم وعلى الصالحى وبعث بهم جميعاً إلى الإسكندرية فيما بعد سنة خمس وأربعين وبعث لأحمد بن الملك الناصر وطير إليه بالخبر وتقبض على جماعة من الأمراء واعتقلهم ثم قدم السلطان أحمد من الكرك في رمضان سنة اثنتين وأربعين ومعه طشتمر نائب حمص وأخضر نائب حلب وقطلوبغا الفخري فولى طشتمر نائباً بمصر وقطلوبغا الفخري بعثه إلى دمشق نائباً ثم قبض على أخضر لشهر أو نحوه وقبض على أيدغمش وأقسنقر السلاري ثم ولى أيدغمش على حلب وبلغ الخبر إلى قطلوبغا الفخري قبل وصوله إلى دمشق فعدل إلى حلب وأتبعته العساكر فلم يدركوه وتقبض على أيدغمش بحلب وبعث به إلى مصر فاعتقل مع طشتمر وإرتاب الأمراء بأنفسهم واستوحش السلطان منهم إنتهى والله أعلم .

* (مسير السلطان أحمد إلى الكرك وإتفاق الأمراء على خلعه والبيعة لأخيه الصالح) *

ولما استوحش الأمراء من السلطان وإرتاب بهم إرتحل إلى الكرك لثلاثة أشهر من بيعته واحتمل معه طشتمر وأيدغمش معتقلين واستصحب الخليفة الحاكم واستوحش نائب صفد بيبرس الأحمدي وسار إلى دمشق وهي يومئذ فوضى فتلقاه العسكر وأنزلوه وبعث السلطان في القبض عليه فأبى من إعطاء يده وقال إنما الطاعة لسلطان مصر وأما صاحب الكرك فلا وطالت غيبة السلطان أحمد بالكرك واضطرب الشام فبعث إليه الأمراء بمصر في

الرجوع إلى دار ملكه فامتنع وقال هذه مملكتي أنزل من بلادها حيث شئت وعمد إلى طشتمر وأيدغمش الفخري فقتلها فاجتمع الأمراء بمصر وكبيرهم بيبرس العلافي وأرغون الكامل وخلعوه وبايعوا لأخيه إسماعيل في محرم سنة ثلاث وأربعين ولقبوه الصالح فولى أفسنقر السلاري ونقل أيدغمش الناصري من نيابة حلب إلى نيابة دمشق وولى مكانه بجلب طقمرود ثم عزل أيدغمش من دمشق ونقل إليها طقمرود وولى بجلب طنبغا المارداني ثم هلك المارداني فولى مكانه طنبغا اليحياوي واستقامت أموره والله تعالى وليّ التوفيق .

ثورة رمضان بن الناصر ومقتله وحصار الكرك ومقتل السلطان أحمد

ثم أن بعض الممالك داخل رمضان بن الملك الناصر في الثورة بأخيه وواعدوه قبة النصر فركب إليهم وأخلفوه فوقف في ممالكه ساعة يهتفون بدعوته ثم استمرّ هارباً إلى الكرك وأتبعه العسكر مجذّين السير في الطريق وجاؤا به فقتل بمصر وإرتاب السلطان بالكثير من الأمراء وتقبض على نائبه أفسنقر السلاري وبعث به إلى الإسكندرية فقتل هنالك وولى مكانه إنجاح الملك ثم سرح العساكر سنة أربع وأربعين لحصار الكرك مترادفة ونزع بعض العساكر عن السلطان أحمد من الكرك فلحقوا بمصر وكان آخر من سار من الأمراء لحصار الكرك قاري ومساري سنة خمس وأربعين فأخذوا بمخنقه ثم اقتحموا عليه وملكوه وقتلوه فكان لبثه بالملك في مصر ثلاثة أشهر وأياماً وانتقل إلى الكرك في محرم سنة ثلاث وأربعين إلى أن حوصر ومثل به وتوفي في أيامه طنبغا المارداني نائب حلب فولى مكانه طنبغا اليحياوي وسيف الدين طراي الجاشنكير نائب طرابلس فولى مكانه أفسنقر الناصري والله تعالى أعلم .

* (وفاة الصالح بن الناصر وولاية أخيه الكامل) *

ثم توفي الملك الصالح إسماعيل بن الملك الناصر حتف أنفه سنة ست وأربعين لثلاث سنين وثلاثة أشهر من ولايته وبويع بعده أخوه زين الدين شعبان ولقب الكامل وقام بأمره أرغون العلاوي وولى نيابة مصر وعرض إنجاح الملك إلى صفد ثم ردّه من طريقه معتقلاً إلى دمشق وبعث إلى القهاري الكبير فبعثه إلى حبس الإسكندرية واستدعى طقمرود نائب دمشق وكجك الأشرف المخلوع بن الناصر الذي ولاه قوصون وهلك إنجاح الملك الجوكندار في محبسه بدمشق إنتهى والله أعلم .

* (مقتل الكامل وبيعة أخيه المظفر حاجي) *

كان السلطان الكامل قد أرهف حده في الإستبداد على أهل دولته فراراً مما يتوهم فيهم من الحجر عليه فتراسل الأمراء بمصر والشام وأجمعوا الإدالة منهم وانتقض طنبغا البحيائي ومن معه بدمشق سنة سبع وأربعين وبرز في العساكر يريد مصر وبعث الكامل منجو اليوسفي يستطلع أخبارهم فحبسه البحيائي واتصل الخبر بالكامل فجرد العساكر إلى الشام واعتقل حاجي وأمير حسين بالقلعة واجتمع الأمراء بمصر للثورة وركبوا إلى قبة النصر مع أيدمر الحجازي وأقسقر الناصري وأرغون شاه فركب إليهم الكامل في موابيه ومعه أرغون العلوي نائبه فكانت بينهما جولة هلك فيها أرغون العلوي ورجع الكامل إلى القلعة منهزماً ودخل من باب السرّ مخفياً وقصد محبس أخويه ليقتلها فحال الخدام دونها وغلقوا الأبواب وجمع الذخيرة ليحملها فعاجلوه عنها ودخلوا القلعة وقصدوا حاجي بن الناصر فأخرجوه من معتقله وجاؤا به فبايعوه ولقبوه المظفر وافتقدوا الكامل وتهددوا جواريه بالقتل فدلوا عليه واعتقل مكان حاجي بالدهشة وقتل في اليوم الثاني وأطلق حسين وقام بأمر المظفر حاجي أرغون شاه والحجازي وولوا طقتمر الأحمدي نائباً بحلب والصلاحى نائباً بمحصر وحبس جميع موالى الكامل وأخرج صندوق من بيت الكامل قيل أن فيه السحر فأحرق بمحضر الأمراء ونزع المظفر حاجي إلى الإستبداد كما نزع أخوه قبض على الحجازي والناصري وقتلها لأربعين يوماً من ولايته وعلى أرغون شاه وبعثه نائباً إلى صفد وجعل مكان طقتمر الأحمدي في حلب تدمر البدرى وولى على نيابة الحاج أرقطاي وأرهف حده في الإستبداد وارتاب الأمراء بمصر والشام وانتقض البحيائي بدمشق سنة ثمان وأربعين وداخله نواب الشام في الخلاف ووصل الخبر إلى مصر فاجتمع الأمراء وتواعدوا للوثوب ونمي الخبر إلى المظفر فأركب موابيه من جوف الليل وطافوا بالقلعة وتداعى الأمراء إلى الركوب واستدعاهم من الغد إلى القصر وقبض على كل من اتهمه منهم بالخلاف وهرب بعضهم فأدرك بساحة البلد واعتقلوا جميعاً وقتلوا من تلك الليلة وبعث بعضهم إلى الشام فقتلوا بالطريق وولى من الغد مكانهم خمسة عشر أميراً ووصل الخبر إلى دمشق فلاذ البحيائي بالمغالطة يخادع بها وقبض على جماعة من الأمراء وكان السلطان المظفر قد بعث الأمير الحباق من خاصته إلى الشام عندما بلغه إنتقاض طنبغا البحيائي يستطلع أخباره فحمل الناس على طاعة المظفر وأغراهم بالبحيائي حتى قتلوه وبعثوا برأسه إلى مصر وسكنت الفتنة واستوسق الملك للمظفر والله سبحانه وتعالى أعلم .

مقتل المظفر حاجي بن الناصر وبيعة أخيه حسن الناصر ودولته الأولى

قد كنا قدّمنا أنّ السلطان بعث جبّقا إلى الشام حتى مهدّه ومما أثر الخلاف منه ورجع إلى السلطان سنة ثمان وأربعين وقد استوسق أمره فوجد الأمراء مستوحشين من السلطان ومنكرين عليه اللعب بالحمام فتتصح له بذلك يريد إقلاعه عنه فسخط ذلك منه وأمر بالحمام فذبحت كلها وقال لجبّقا أنا أذبح خياركم كما ذبحت هذه فاستوحش جبّقا وغداه على الأمراء والنائب بيقاروس^(١) وثاروا بالسلطان وخرجوا إلى قبة النصر وركب المظفر في مواله والأمراء الذين معه قد داخلوا الآخرين في الثورة ورأيهم واحد في خلعه فبعث إليهم الأمير شيخوا بتلطف لهم فأبوا إلاّ خلعه فجاءهم بالخبر ثم رجع إليهم وزحف معهم ولحق بهم الأمراء الذين مع المظفر عندما تورّط في اللقاء وحمل عليه بيقاروس فأسلمه أصحابه وأمسكه باليد فذبحه في تربة أمّه خارج القلعة ودفن هناك ودخلوا القلعة في رمضان من السنة وأقاموا عامّة يومهم يتشاورون فيمن يولونه حتى همّ أكثر الموالى بالثورة والركوب إلى قبة النصر فحينئذ بايعوا حسن بن الملك الناصر ولقبوه الناصر بلقب أبيه فوكل بأخيه حسين ومواله لنفسه ونقل المال الذي بالحوش فوضعه بالخزانة وقام بالدولة ستة من الأمراء وهم شيخوا وطاز والحبّقا وأحمد شادي الشرنخانة وأرغون الإسماعيلي والمستبدّ عليهم جميعاً بيقاروس ويعرف بالقاسمي فقتل الحجازي وأقسنقر القائمين بدولة المظفر بمحبسها بالقلعة وولي بيقاروس نائباً بمصر فكان أرقطاي وأرغون شاه نائباً بحلب مكان تدمير البدري ثم نقله إلى دمشق منذ مقتل اليحياوي وولي مكانه بحلب أياص الناصر ثم تقبض بيقاروس على رفيقه أحمد شادي الشرنخانة وغرّبه إلى صفد وأبعد الحبّقا من رفقته وبعثه نائباً على طرابلس وبعث أرغون الإسماعيلي منهم نائباً على حلب وفي هذه السنة وقعت الفتنة بينه وبين مهنا بن عيسى ولقيه فهزمه ووفد أحمد أخوه على السلطان فولاه إمارة العرب وهدأت الفتنة بينهم ثم هلك سنة تسع وأربعين بعدها وولي أخوه فياض كما مرّ في أخبارهم والله تعالى أعلم .

(١) بياض في جميع النسخ ولم نعرف في المراجع التي بين أيدينا للتصويب .

* (مقتل أرغون شاه نائب دمشق) *

كان خبر هذه الواقعة الغربية أن الجبقا بعثوه نائباً على طرابلس وسار صحبة أياض الحاجب نائباً على حلب سنة خمسين وانتهاوا إلى دمشق ونمي إلى الجبقا عن أرغون شاه أنه تعرض لبعض حرمه بصنيع جمع فيه نسوان أهل الدولة بدمشق فكتب إليه ليلا وطرقه في بيته فلما خرج إليه قبض عليه وذبحه في ربيع وصنع مرسوماً سلطانياً دافع به الناس والأمراء واستصفي أمواله ولحق بطرابلس وجاء الأمر من مصر باتباعه وإنكار المرسوم الذي أظهره فرحفت العساكر من دمشق وقبضوا على الجبقا وأياض الحاجب بطرابلس وجاؤا بهما إلى مصر فقتلا وولي الشمس الناصري نيابة دمشق مع أرغون شاه وصلب أرغون الكافلي وذلك في جمادى سنة خمسين واصل أرغون شاه من بلاد الصين جلب إلى السلطان أبي سعيد ملك التتر ببغداد فأعطاه للأمير خواجا نائب جويان وأهداه خواجا للملك الناصر فحظي عنده وقدمه رأس نوبة وزوجه بنت عبد الواحد ثم ولاه الكامل استاذ دارثم عظمت مرتبته أيام المظفر وجعل نائباً في صفد ثم في حلب . ولما حبس طنبيغا البحيوي على دمشق بسعاية الجبقا كما مرّ ولى أرغون شاه بدمشق والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (نكبة بيقاروس) *

ثم إن السلطان حسن شرع في الإستبداد وقبض على منجك اليوسفي استاذ داره وعلى السليدار واعتقلها من غير مشورة بيقاروس وأصحابه وكان لمنجك اختصاص بيقاروس وأخوه معه فارتاب واستأذن السلطان في الحج هو وطاز فأذن لها ودس إلى طاز بالقبض على بيقاروس وسارا لشأنها فلما نزلا بالينبع قبض طاز على بيقاروس فخرج ورغب إليه في أن يتركه يحج مقيداً فتركه فلما قضى نسكه ورجعوا حبسه طاز بالكرك بأمر السلطان وأفرج عنه بعد ذلك وولي نيابة حلب وانتقض بها كما نذكر بعد أن شاء الله تعالى وبلغ خبر اعتقاله إلى أحمد شادي الشرنخانة بصفد فانتقض وجهز السلطان إليه العساكر فقبض عليه وجيء به إلى مصر فأعتقل بالإسكندرية وقام بالدولة مغلاي من أمرائها والله تعالى أعلم .

* (واقعة الظاهر ملك اليمن بمكة واعتقاله ثم اطلاقه) *

كان ملك اليمن وهو المجاهد علي بن داود المؤيد قد جاء إلى مكة حاجاً سنة إحدى وخمسين

وهي السنة التي حج فيها طاز وشاع في الناس عنه أنه يروم كسوة الكعبة فتنكر وفد المصريين لوفد اليمنيين ووقعت في بعض الأيام هبة في ركب الحاج فتحاربوا وإنهزم المجاهد وكان بيقاروس مقيداً فأطلقه وأركبه ليستعين به فجلا في تلك الهبة وأعيد إلى اعتقاله ونهب حاج اليمن وقيد المجاهد إلى مصر فاعتقل بها حتى أطلق في دولة الصالح سنة اثنتين وخمسين وتوجه معه قشتمر المنصوري ليعيده إلى بلاده فلما انتهى إلى الينبع أشيع عنه أنه همّ بالهرب فقبض عليه قشتمر المنصوري وحبسه بالكرك ثم أطلق بعد ذلك وأعيد إلى ملكه والله أعلم .

* (خلع حسن الناصر وولاية أخيه الصالح) *

لما قبض السلطان حسن على بيقاروس وحبسه وتنكر لأهل دولته ورفع عليهم مغلطي وإختصه واستوحشوا لذلك وتفاوضوا وداخل طاز وهو كبيرهم جماعة من الأمراء في الثورة وأجابه إلى ذلك بيقو الشمسي في آخرين واجتمعوا لخلعة وركبوا في جمادي سنة اثنتين وخمسين فلم يمانعهم أحد وملكوا أمرهم ودخلوا القلعة وقبض طاز على حسن الناصر واعتقله وأخرج أخاه حسينا من اعتقاله فبايعه ولقبه الصالح وقام بحمل الدولة وأخرج بيقو الشمسي إلى دمشق وبيقر إلى حلب أسيرين وانفرد بالأمر ثم نافسه أهل الدولة واجتمعوا على الثورة وتولى كبر ذلك مغلطي ومنكلي وبيقا القمري وركبوا فيمن اجتمع إليهم إلى قبة النصر للحرب فركب طاز وسلطانه الصالح في جموعه وحمل عليهم ففض جمعهم وأثنى فيهم وقبض على مغلطي ومنكلي فحبسها بالإسكندرية وأفرج عن منجك وعن شيخو وجعله أتابكه على العساكر وأشركه في سلطانه وولى سيف الدين ملاي نيابته وإختص سرغتمش ورقاه في الدولة وقبض على الشمسي الحمدي نائب دمشق ونقل إليها لمكانه أرغون الكامل من حلب وأفرج عن بيقاروس بالكرك وبعثه مكانه إلى حلب ثم تغير منجك واختفى بالقاهرة والله تعالى أعلم .

انتقاض بيقاروس واستيلائه على الشام ومسير السلطان إليه ومقتله

قد تقدّم لنا ذكر بيقاروس وقيامه بدولة حسن الأولى ونكتبه في طريقه إلى الحج بالكرك ولما أطلقه طاز وولاه على حلب أدركته المنافسة والغيرة من طاز واستبداده بالدولة فحدثته نفسه

بالخلاف وداخل نواب الشام ووافقه في ذلك بلكش نائب طرابلس وأحمد شادي الشرنخانة نائب صفد وخالفه أرغون الكاملي نائب دمشق وتمسك بالطاعة وتعاهد هؤلاء على الخلاف مع شيخو وسرغتمش في رجب سنة ثلاث وخمسين ثم دعا بيقاروس العرب والتركمان إلى الموافقة فأجابه جبار بن مهنا من العرب وقراجا بن العادل من التركمان في جموعهما وبرز من حلب بقصد دمشق فأجفل عنها أرغون النائب إلى غزة واستخلف عليها الجبقا العادلي ووصل بيقاروس فلحها وامتنت القلعة فحاصرها وكثر العيث من عساكره في القرى وسار السلطان الصالح وأمراء الدولة من مصر في العساكر في شعبان من السنة وأخرج معه الخليفة المعتضد أبا الفتح أبا بكر بن المستكفي وعثر بين يدي خروجه على منجك ببعض البيوت لسنة من اختفائه فبعث به سرغتمش إلى الإسكندرية وبلغ بيقاروس خروج السلطان من مصر فأجفل عن دمشق وثار العوام بالتركمان فأثنوا فيهم ووصل السلطان إلى دمشق ونزل بالقلعة وجهز العساكر في إتباع بيقاروس فجاءوا بجماعة من الأمراء الذين كانوا معه فقتل السلطان بعضهم ثالث الفطر وحبس الباقين وولى على دمشق الأمير عليا المارداني ونقل منها أرغون الكاملي إلى حلب وسرح العساكر في طلب بيقاروس مع مغلطي الدوادار وعاد إلى مصر فدخلها في ذي القعدة من السنة وسار مغلطي في طلب بيقاروس وأصحابه فأوقع بهم وتقبض على بيقاروس وأحمد وقطلمش وقتلهم وبعث برؤسهم إلى مصر أوائل سنة أربع وخمسين وأوعز السلطان إلى أرغون الكاملي نائب حلب بأن يخرج في العساكر لطلب قراجا بن العادل مقدم التركمان فسار إلى بلده البلسين فوجدها مقفرة وقد أجفل عنها فهدمها أرغون وأتبعه إلى بلاد الروم فلما أحس بهم أجفل ولحق بابن أرشا قائد المغل في سيواس ونهب العساكر أحياء واستاقوا مواشيه ثم قبض عليه ابن أرشا قائد المغل وبعث به إلى مصر فقتل بها وسكنت الفتنة وأطلق المعتقلون بالإسكندرية وتأخر منهم مغلطي ومنجك أياماً ثم أطلقا وغربا إلى الشام والله تعالى أعلم .

* (واقعة العرب بالصعيد) *

وفي أثناء هذه الفتن كثر فساد العرب بالصعيد وعيثم وإنتهوا الزروع والأموال وتولى كبر ذلك الأحذب وكثرت جموعه فخرج السلطان في العساكر سنة أربع وخمسين ومعه طاز وسار شيخو في المقدمة فهزم العرب واستلحهم جموعهم وامتلات أيدي العساكر بغنائهم وخلص السلطان من الظهر والسلاح ما لا يعبر عنه وأسر جماعة منهم فقتلوا وهرب الأحذب

حتى استأمن بعد رجوع السلطان فأمنه على أن يمتنعوا من ركوب الخيل وحمل السلاح ويقبلوا على الفلاحة والله تعالى أعلم .

* (خلع الصالح وولاية حسن الناصر الثانية) *

كان شيخو أتابك العساكر قد إرتاب بصاحبه طاز فدخل الأمراء بالثورة بالدولة وتربص بها إلى أن خرج طاز سنة خمس وخمسين إلى البحيرة متصيداً وركب إلى القلعة فخلع الصالح ابن بنت تنكرز وقبض عليه وألزمه بيته لثلاث سنين كوامل من دولته وباع لحسن الناصر أخيه وأعادته إلى كرسيه وقبض على طاز فاستدعاه من البحيرة فبعثه إلى حلب نائباً وعزل أرغون الكاملي فالحق بدمشق حتى تقبض عليه سنة ست وخمسين وسبق إلى الإسكندرية فحبس بها وبلغ الخبر بوفاة الشمسي الأحمدي نائب طرابلس وولى مكانه منجك واستبد شيخو بالدولة وتصرف بالأمر والنهي وولى على مكة عجلان بن رميثة وأفرده بإمارتها وكانت له الولاية والعزل والحل والعقد سائر أيامه واعتمده الملوك من النواحي شرقاً وغرباً بالمخاطبات وكان رديفه في حمل الدولة سرغتمش من موالي السلطان والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده بمنه .

* (مهلك شيخو ثم سرغتمش بعده واستبداد السلطان بأمره) *

لم يزل شيخو مستبداً بالدولة وكافلاً للسلطان حتى وثب عليه يوماً بعض الموالي بمجلس السلطان في دار العدل في شعبان سنة ثمان وخمسين اعتمده في دخوله من باب الايوان وضربه بالسيف ثلاثاً أصاب بها وجهه ورأسه وذراعيه فخرّ لليدين ودخل السلطان بيته وانفض المجلس واتصلت الهيعة بالعسكر خارج القلعة فاضطربوا واقتحم موالي شيخو القلعة إلى الايوان يتقدمهم خليل بن قوصون وكان ربيبه لأن شيخو تزوج بأمه فاحتمل شيخو إلى منزله وأمر الناصر بقتل المملوك الذي ضربه فقتل ليومه وعاده الناصر من الغد وتوجل من الوثبة أن تكون بأمره وأقام شيخو عليلاً إلى أن هلك في ذي القعدة من السنة وهو أول من سمي الأمير الكبير بمصر واستقل سرغتمش رديفه بحمل الدولة وبعث عن طاز فأمسكه بحلب وحبسه بالإسكندرية وولى مكانه الأمير عليا المارداني نقله إليها من دمشق وولى مكانه بدمشق منجك اليوسفي ثم تقبض السلطان على سرغتمش في رمضان سنة تسع وخمسين وعلى جماعة من الأمراء معه مثل مغطاي الدودادار وطشتمر القامسي الحاجب وطنبغا الماجاري وخليل

بن قوصون ومحا السلحدار وغيرهم وركب مواليه وقاتلوا ممالك السلطان في ساحة القلعة صدر نهار ثم انهزموا وقتلوا واعتقل سرغتمش وجماسته المنكوبون بالاسكندرية وقتل بمحبسه لسبعين يوما من اعتقاله وتخطت النكبة إلى شيعته وأصحابه من الامراء والقضاة والعمال وكان الذي تولى نكبة هؤلاء كلهم بأمر السلطان منكلي بيبقا الشمسي ثم استبد السلطان بملكه واستولى على أمره وقدم مملوكه بيبقا القمري وجعله أمير ألف وأقام في الحجابة الجاي اليوسفي ثم بعثه إلى دمشق نائباً واستقدم منجك نائب دمشق فلما وصل إلى غزة استتر واختفى فولى الناصر مكانه بدمشق الأمير عليا المارداني نقله من حلب وولى على حلب سيف الدين بكتمر المؤمني ثم أдал من علي المارداني في دمشق باستدمر ومن المؤمني في حلب بمندمر الحوراني وأمره السلطان سنة احدى وستين بغزو سيس وفتح أذنة وطرسوس والمصيصة في حصون أخرى وولى عليها ورجع فولاه السلطان نيابة دمشق مكان استدمر وولى على حلب أحمد بن القمري ثم عثر بدمشق سنة احدى وستين على منجك بعد أن نال العقاب بسببه جماعة من الناس فلما حضر عفا عنه السلطان وأمدّه وخيره في التزول حيث شاء من بلاد الشام وأقام السلطان بقية دولته مستبداً على رجال دولته وكان يأنس بالعلماء والقضاة ويجمعهم في بيته متبذلاً ويفاوضهم في مسائل العلم ويصلهم ويحسن إليهم ويخالطهم أكثر ممن سواهم إلى أن انقضت دولته والبقاء لله وحده .

* (ثورة بيبقا ومقتل السلطان حسن وولاية

منصور بن المظفر حاجي في كفالة بيبقا) *

كان بيبقا هذا من موالى السلطان حسن وأعلامهم منزلة عنده وكان يعرف بالخاصكي نسبة إلى خواص السلطان وكان الناصر قد رقاہ في مراتب الدولة وولاه الأمانة ثم رفعه إلى الأتابكية وكان لجنوحه إلى الاستبداد كثيراً ما ييوج بشكاية مثل ذلك فأحضره بعض الليالي بين حرمه وصرفه في جملة من الخدمة لبعض مواليه وقادها فأسرھا بيبقا في نفسه واستوحش وخرج السلطان سنة اثنتين وستين إلى كوم برى وضرب بها خيامه وأذن للخاصكي في محيّمه قريبا منه ثم نفي عنه خبر الانتفاض فأجمع القبض عليه واستدعاه فامتنع من الوصول وربما أشعره داعيه بالاسترابة فركب اليه الناصر بنفسه فيمن حضره من ممالكه وخواص أمراءه تاسع جمادى من السنة وبرز اليه بيبقا وقد أنذر به واعتدله فصدقه القتال في ساحة محيّمه

وانهزم أصحاب السلطان عنه ومضى الى القلعة وبيقا في اتباعه فامتنع الحراس بالقلعة من اخافة طارقة جوف الليل فترسب في المدينة واختفى في بيت الأمير ابن الأركشي بالحسينية وركب الأمراء من القاهرة مثل ناصر الدين الحسيني وقشتمر المنصوري وغيرهما المدافعة ببيقا فلقبهم ببولاق وهزمهم واجتمع ثانية وثالثة وهزمهم وتنكر الناصر مع ايدمر الدوادار يحاولان النجاة الى الشام واطلع عليهما بعض المماليك فوشى بهما إلى ببيقا فبعث من أحضره فكان آخر العهد به ويقال انه امتحنه قبل القتل فدلّه على أموال السلطان وذخائره وذلك لست سنين ونصف من تملكه ثم نصب ببيقا للملك محمد بن المظفر حاجي ولقبه المنصور وقام بكفالاته وتدبير دولته وجعل طنبغا الطويل رديفه وولى قشتمر المنصوري نائباً وغشتمر أمير مجلس وموسى الأركشي أستاذ دار وأفرج عن القاسمي وبعثه نائباً بالكرك وأفرج عن طاز وقد كان عمي فبعثه الى القدس بسؤاله ثم الى دمشق ومات بها في السنة بعدها وأقر عجلان في ولاية مكة وولى على عرب الشام جبار بن مهنا وأمسك جماعة من الأمراء فحبسهم والله تعالى أعلم .

* (انتفاض استدمر بدمشق) *

ولما اتصل بالشام ما فعله ببيقا وأنه استبدّ بالدولة وكان استدمر نائباً بدمشق كما قدّمناه امتنع لذلك وأجمع الانتفاض وداخله في ذلك مندمر والبري ومنجك اليوسفي واستولى على قلعة دمشق وسار في العساكر ومعه السلطان المنصور ووصل الى دمشق واعتصم القوم بالقلعة وتردّدت بينهما القضاة بالشام حتى نزلوا على الامان بعد أن حلف ببيقا فلما نزلوا اليه بعث بهم الى الإسكندرية فحبسوا بها وولى الأمير المارداني نائباً بدمشق وقطلوبغا الأحمدي نائباً بحلب مكان أحمد بن القتمري بصفد وعاد السلطان المنصور وبيقا إلى مصر والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (وفاة الخليفة المعتضد بن المستكفي وولاية ابنه المتوكل) *

قد تقدّم لنا أنّ الخليفة المستكفي لما توفي قبل وفاة الملك الناصر عهد لابنه أحمد ولقبه الحاكم وأنّ الناصر عدل عنه إلى ابراهيم بن محمد عمّ المستكفي ولقبه الوائق فلما توفي الناصر آخر سنة احدى وأربعين أغار الأمراء القائمون بالدولة والأمير أحمد الحاكم ابن المستكفي ولي عهده فلم يزل في خلافته إلى أن هلك سنة ثلاث وخمسين لاوّل دولة الصالح سبط

تنكر وولي بعده أخوه أبو الفتح أبو بكر بن المستكفي ولقب المعتضد ثم توفي سنة ثلاث وستين عشرة أعوام من خلافته وعهد إلى ابنه أحمد فولى مكانه ولقب المستكفي والله تعالى أعلم .

* (خلع المنصور وولاية الاشرف) *

ثم بدا لبيقا الخاصكي في أمر المنصور محمد بن حاجي فخلعه استراة به في شعبان سنة أربع وستين لسبعة وعشرين شهرا من ولايته ونصب مكانه شعبان بن الناصر حسن بن الملك الناصر وكان أبوه قد توفي في ربيع الآخر من تلك السنة وكان آخر بني الملك الناصر فمات فولى ابنه شعبان ابن عشر سنين ولقبه الاشرف وتولى كفالته وفي سنة خمس وستين عزل المارداني من دمشق وولى مكانه منكلي بغا نقله من حلب وولى مكانه قطلوبغا الاحمدي وتوفي قطلوبغا فولى مكانه غشقتمر المارداني ثم عزل غشقتمر سنة ست وستين فولى مكانه سيف الدين فرجي وأوعز اليه سنة سبع وستين أن يسير في العساكر لطلب خليل بن قراجا بن العادل أمير التركان فيحضره معتقلا فسار اليه وامتنع في خرت برت فحاصره أربعة أشهر واستأ من خليل بعدها وجاء إلى مصر فأمنه السلطان وخلع عليه وولاه ورجع إلى بلده وقومه والله تعالى أعلم .

* (واقعة الإسكندرية) *

كان أهل جزيرة قبرص من أئم النصرانية وهم من بقايا الروم وانما يتسبون لهذا العهد إلى الافرنج لظهور الافرنج على سائر أئم النصرانية والا فقد نسبهم هروشيوش إلى كيتم وهم الروم عندهم ونسب أهل رودس إلى دوداتم وجعلهم اخوة كيتم ونسبها معا إلى رومان وكانت على أهل قبرص جزية معلومة يؤدونها لصاحب مصر وما زالت مقررة عليهم من لدن فتحها على يد معاوية أمير الشام أيام عمر وكانوا إذا منعوا الجزية يسلط صاحب الشام عليهم أساطيل المسلمين فيفسدون مراسيها ويعيثون في سواحلها حتى يستقيموا لأداء الجزية وتقدم لنا آنفا في دولة الترك أن الظاهر بيبرس بعث إليها سنة تسع وستين وستائة اسطولا من الشواني وطرق مرساها ليلا فتكسرت لكثرة الحجارة المحيطة بها في كل ناحية ثم غلب لهذه العصور أهل جنوة من الافرنج على جزيرة رودس حازتها من يد لشكري صاحب القسطنطينية سنة ثمان وسبعائة وأخذوا بمخنقتها وأقام أهل قبرص معهم بين فتنة وصلح وسلم وحرب آخر أيامهم وجزيرة قبرص هذه على مسافة يوم وليلة في البحر قبالة طرابلس منصوبة على سواحل الشام

ومصر واطلعوا بعض الأيام على غرة في الأسكندرية وأخبروا حاجيهم وعزم على انتهاز الفرصة فيها فنهض في أساطيله واستنفر من سائر الافرنج ووافى مرساها سبع عشر من المحرم سنة سبع وستين في اسطول عظيم يقال بلغ سبعين مركبا مشحونة بالعدة والعدد ومعه الفرسان المقاتلة بخيولهم فلما أرسى بها قدمهم الى السواحل وعسى صفوفه وزحف وقد غص الساحل بالنظارة برزوا من البلد على سبيل التزهة لا يلقون بالألما هو فيه ولا ينظرون مغبة أمره لبعد عهدهم بالحرب وخاميتهم يومئذ قليلة وأسوارهم من الرماة المناضلين دون الحصون خالية ونائبها القائم بمصالحها في الحرب والسلام وهو يومئذ خليل بن عوام غائب في قضاء فرضه فما هو الا أن رجعت تلك الصفوف على التعبية ونضحوا العوام بالنبل فأجفلوا متسابقين إلى المدينة وأغلقوا أبوابها وصعدوا إلى الأسوار ينظرون ووصل القوم إلى الباب فأحرقوه واقتحموا المدينة واضطرب أهلها وماج بعضهم في بعض ثم أجفلوا إلى جهة البر بما أمكنهم من عيالهم وولدهم وما اقتدروا عليه من أموالهم وسالت بهم الطرق والأباطح ذاهبين في غير وجه حيرة ودهشة وشعر بهم الأعراب أهل الضاحية فتخطفوا الكثير منهم وتوسط الأفرنج المدينة ونهبوا ما مروا عليه من الدور وأسواق البر ودكاكين الصيارفة ومودعات التجار وملؤا سفنهم من المتاع والبضائع والذخيرة والصامت واحتملوا ما استولوا عليه من السبي والأسرى وأكثر ما فيهم الصبيان والنساء ثم تسایل اليهم الصريح من العرب وغيرهم فانكفأ الافرنج إلى أساطيلهم وانكشوا فيها بقية يومهم وأقلعوا من الغد وطار الخبر إلى كافل الدولة بمصر الأمير بيقا فقام في ركائبه وخرج لوقته بسلطانه وعساكره ومعه ابن عوام نائب الأسكندرية منصرفه من الحج وفي مقدمته خليل بن قوصون وقطلوبغا الفخري من أمرائه وعزائمهم مرهفة ونياتهم في الجهاد صادقة حتى بلغهم الخبر في طريقهم باقلاع العدو فلم يشنه ذلك واستمر إلى الإسكندرية وشاهد ما وقع بها من معرة الخراب وآثار الفساد فأمر بهدم ذلك واصلاحه ورجع ادراجه إلى دار الملك وقد امتلأت جوانحه غيظا وحنقا على أهل قبرص فأمر بإنشاء مائة اسطول من الأساطيل التي يسمونها القربان معترما على غزو قبرص فيها بجميع من معه من عساكر المسلمين بالديار المصرية واحتفل في الاستعداد لذلك واستكثر من السلاح وآلات الحصار وكمل غرضه من ذلك كله في رمضان من السنة لثمانية أشهر من الشروع فيه فلم يقدر على تمام غرضه من الجهاد لما وقع من العوائق كما نقصه والله تعالى وليّ التوفيق .

* (ثورة الطويل ونكبته) *

كان طنبغا الطويل من موالي السلطان حسن وكانت وظيفته في الدولة أمير سلاح وهو مع ذلك رديف بيبقا في أمره وكان يؤمل الاستبداد ثم حدث له المنافسة والغيرة من بيبقا كما حدث لسائر أهل الدولة عندما استكمل أمره واستفحل سلطانه وداخلوا الطويل في الثورة وكان دوادار السلطان ارغون الأشقري وأستاذ دار المحمدي وبيناهم في ذلك خرج الطويل للسرحة بالعباسية في جمادى سنة سبع وستين وفشا الأمر بين أهل الدولة فمني إلى بيبقا واعترم على اخراج الطويل إلى الشام وأصدر له المرسوم السلطاني بنبابة دمشق وبعث به اليه وبالخلعة على العادة مع ارغون الأشقري الدوادار وروس المحمدي أستاذ دار من المداخلين له ومعه ارغون الأرقى وطنبغا العلائي من أصحاب بيبقا فردّهم الطويل وأساء عليهم وواعد بيبقا قبة النصر فهزمهم وقبض على الطويل والأشقري والمحمدي وحبسوا بالإسكندرية ثم شفع للسلطان في الطويل في شهر شعبان من السنة وبعثه إلى القدس ثم أطلق الأشقري والمحمدي وبعث بهما إلى الشام وولى مكان الطويل طيدمر الباسلي ومكان الأشقري في الدويدارية طنبغا الأبى بكري ثم عزله بيبقا العلائي وولى مكانه روس العادل المحمدي وكان جماعة من الأمراء أهل وظائف في الدولة قد خرجوا مع الطويل وحبسوا فولى في وظائفهم أمراء آخرين ممن لم تكن له وظيفة واستدعى منكلي بيبقا الشمسي نائب دمشق الى مصر يطلبه فقدم نائباً بحلب مكان سيف الدين برجى وأذن له في الإستكثار من العساكر وجعلت رتبته فوق نائب دمشق وولى مكانه بدمشق اقطمر عبد العزيز انتهى والله تعالى أعلم .

* (ثورة المماليك بيبقا ومقتله واستبداد استدمر) *

كان طنبقا قد طال استبداده على السلطان وثقلت وطاته على الأمراء وأهل الدولة وخصوصاً على مماليكه وكان قد استكثر من المماليك وأرهف حدّه لهم في التأديب وتجاوز الضرب فيهم بالعصا إلى جدد الانوف واصطلام الآذان فكنتموا الأمر في نفوسهم وضمايرهم لذلك وطووا على الغش وكان كبير خواصه استدمر واقتفان الاحمدي ووقع في بعض الأيام بمثل هذه العقوبة في أخي استدمر فاستوحش له وارتاب وداخل سائر الأمراء في الثورة يرون فيها نجاتهم منهم وخلصوا النجوى مع السلطان فيه واقتضوا منه الاذن وسرّح السلطان بيبقا إلى

البحيرة في عام ثمان وسبعين وانعقد هؤلاء المالك المتفاوضون في الثورة بمتزل الطرانة وبيتوا له ونمي اليه خبرهم ورأى العلامات التي قد أعطيا من أمرهم فركب مكرًا في بعض خواصه وخاض النيل إلى القاهرة وتقدم إلى نواتية البحر أن يرسوا سفنهم عند العدو الشرقية ويمنعوا العبور كل من يرومه من العدو الغربية وخالفه استدمر واقتفان إلى السلطان في ليلتهم وبايعوه على مقاطعة بيبقا ونكتبه ولما وصل بيبقا إلى القاهرة جمع من كان بها من الأمراء والحجاب من ممالكه وغيرهم وكان بها ابيك البدرى أمير ماخورية فاجتمعوا عليه وكان يقتدر النظامى وارغون ططن بالعباسية سارحين فاجتمعوا اليه فخلع الاشرف ونصب أخاه اتوك ولقبه المنصور وأحضر الخليفة فولاه واستعد للحرب وضرب نجمة بالجزيرة الوسطى على البحر ولحق به من كانت له معه طاغية من الأمراء الذين مع السلطان بصحابة أو أمر أو ولاية مثل بيبقا العلائى الدوادار ويونس الرمام وكمشيقا الحموي وخليل بن قوصون ويعقوب شاه وقربا البدرى وابتغا الجوهري ووصل السلطان الاشرف من الطرانة صبيحة ذلك اليوم على التعبية قاصدا دار ملكه وانتهى إلى عدوة البحر فوجدها مقفرة من السفن فخيم هنالك وأقام ثلاثا وبيبقا وأصحابه قبالتهم بالجزيرة الوسطى ينفحونهم بالنبل ويرسلون عليهم الحجارة من الجانيق وصواعق الأنفاط وعوالم النظارة في السفن الى أن تتوسط فيركبونها ويحركونها بالمجاديف ناحية إلى السلطان حتى كملت منها عدة وأكثرها من القربان التي أنشأها بيبقا وأجاز فيها السلطان وأصحابه إلى جزيرة الفيل وسار على التعبية وقد ملأت عساكره وتابعه بسيط الأرض وتراكم القتام بالجو وغشيت سحابه موكب بيبقا وأصحابه فتقدموا للدفاع وصدقتهم عساكر السلطان القتال فانفضوا عن بيبقا وتركوه أوحش من وتد في قلاع فولى منهزما ومر بالميدان فصلى ركعتين عند بابه واستمر إلى بيته والعوام ترجمه في طريقه وسار السلطان في تعبيته إلى القلعة ودخل قصره وبعث عن بيبقا فجاء به واعتقل بحبس القلعة سائر يومه فلما غشي الليل ارتاب المالك بجياته وجاءوا إلى السلطان يطلبونه وقد أضمرؤا الفتك به وأحضره السلطان وبينما هو مقبل على التضرع للسلطان ضربه بعضهم فأبان رأسه وارتاب من كان منهم خارج القصر في قتله فطلبوا معايته ولم يزلوا يناولون رأسه من واحد إلى واحد حتى رماه آخرهم في مشعل كان بازائه ثم دفن وفرغ من أمره وقام بأمر الدولة استدمر الناصري ورديفه بيبقا الاحمدي ومعها بجاس الطازي وقربا الصرغمشي وتغري بدمشق المتولون كبر هذه الفعلة وتقبضوا على الامراء الذين عدلوا عنهم إلى بيبقا فحبسوههم بالإسكندرية وقد مر ذكرهم وعزل خليل بن قوصون وألزم بيته وولوا أمراء مكان المحبوسين

وأهل وظائف من كانت له واستقرّ أمر الدولة على ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (واقعة الاجلاب ثم نكبتهم

ومهلك استدمر وذهاب دولته) *

ثم تنافس هؤلاء القامون بالدولة وحبسوا قرابقا السرغتمشي صاحبهم وامتعض له تغري بدمشق وداخل بعض الأمراء في الثورة ووافقه ايبك البدري وجماعة معه وركب منتصف رجب سنة ثمان وستين للحرب فركب له استدمر وأصحابه فتقبضوا عليهم وحبسوهم بالإسكندرية وعظم طغيان هؤلاء الاجلاب وكثر عيْثهم في البلد وتجاوزهم حدود الشريعة والملك وفاوض السلطان أمراءه في شأنهم فأشاروا بمعالجتهم وحسم دائهم فنبذ السلطان اليهم العهد وجلس على كرسيه بالأساطيل وتقدّم الى الأمراء بالركوب فركب الجاني اليوسني وطغتم النظامي وسائر أمراء السلطان ومن استخدموه من ممالك بيقا وتحيز اليهم ايقا الجلب وبجاس الطازي عن صاحبها استدمر وركب لقتالهم استدمر وأصحابه وسائر الاجلاب وحاصروا القلعة إلى أن خرج عند الطلحساء السلطانية فاختل مركز الأمراء وفارقهم المستخدمون عندهم من ممالك بيقا فانقض جمعهم وانهزموا وثبت الجاني اليوسني وارغون التتر في سبعين من ممالكهم فوقفوا قليلا ثم انهزموا إلى قبة النصر وقتل دروط ابن أخي الحاج الملك وقبض على ايقا الجلب جريحا وعلى طغتم النظامي وعلى بجاس الطازي والجاني اليوسني وارغون التتر وكثير من امراء الألوف ومن دونهم واستولى استدمر وأصحابه الاجلاب على السلطان كما كانوا وولى مكان المحبوسين من الأمراء وأهل الوظائف وعاد خليل بن قوصون على امرته وعزل قشتمر عن طرابلس وحبس بالاسكندرية واستبدل بكثير من أمراء الشام واستمرّ الحال على ذلك بقية السنة والاجلاب على حالهم في الاستهتار بالسلطان والرعية فلما كان محرم سنة تسع وستين عادوا إلى الاجلاب على الدولة فركب أمراء السلطان إلى استدمر يشكونهم ويعاتبونهم في شأنهم فقبض على جماعة منهم كسريهم الفتنة وذلك يوم الاربعاء سادس صفر فلما كان يوم السبت عاودوا الركوب ونادوا بخلع السلطان فركب السلطان في ممالكه ونحو المائتين والتف عليهم العوامّ وقد حثقوا على الاجلاب بشرائهم فيهم وركب استدمر في الاجلاب على التعية وهم ألف وخمسمائة وجاؤا من وراء القلعة على عادتهم حتى شارفوا القوم فأحجموا ووقفوا وأدلفتهم الحجارة من أيدي العوامّ بالمقالب وحملت عليهم العساكر فانهزموا وقبض على قرابقا السرغتمشي وجماعة معه فحبسوا بالخزانة

ثم جيء باستدمر أسيرا وشفع فيه الأمراء فشفعهم السلطان وأطلقه باقيا على أتابكيته ونزل إلى بيته بقبض الكيس وكان خليل بن قوصون تولى أتابكا في تلك الفترة فأمره السلطان أن يياكر به لحبسه من الغد فركب خليل إلى بيته وحمله على الانتقاض على أن يكون الكرسي لخليل بعلاقة نسبته إلى الملك الناصر من أمه فأجتمع منهم جماعة من الاجلاب وركبوا بالرميلة فركب الهم السلطان والأمراء في العساكر فانهزموا وقتل كثير منهم وبعثوا بهم إلى الاسكندرية فحبسوا بها وقتل كثير ممن أسر في تلك الواقعة منهم وطيف بهم على الجبال في أقطار المدينة ثم تتبع بقية الاجلاب بالقتل والحبس بالغور القاصية وكان ممن حبس منهم بالكرك بقوق العثماني الذي ولي الملك بعد ذلك بمصر وبركة الجولاني وطنبغا الجوباني وجركس الخليلي ونعنع وأقاموا كلهم متلفين بين السجن والنفي إلى أن اجتمع شملهم بعد ذلك كما نذكره واستبد السلطان بأمره بعض الشيء وأفرج عن الجاني اليوسفي وطغتمر النظامي وجماعة من المسجونين من أمرائه وولى الجاني أمير سلاح وولى يبقا المنصوري وبكتمر الحمدي من أمراء الاجلاب في الاتابكية شريكين ثم نفي عنهما أنهما يرومان الثورة واطلاق المسجونين من الاجلاب والاستبداد على السلطان فقبض عليهما وبعث عن منكلي بغا الشمسي من حلب وأقامه في الاتابكية واستدعى أمير على المارداني من دمشق وولاه النيابة وولى في جميع الوظائف استبدالا وانشاء بنظره واختياره وكان منهم مولاه ارغون الاشرفي وما زال يرقيه في الوظائف إلى أن جعله أتابك دولته وكان خالصته كما سذكر وولى على حلب مكان منكلي بغا طنبغا الطويل وعلى دمشق مكان المارداني بدمر الخوارزمي ثم اعتقله وصادره على مائة ألف دينار ونفاه إلى طرسوس وولى مكانه منجك اليوسفي نقله إليها من طرابلس وأعاد إليها عشقتمر المارداني كما كان قبله ثم توفي طنبغا الطويل بحلب آخر سنة تسع وستين بعد أن كان يروم الانتقاض فولى مكانه استبغا الأبوبكري ثم عزله سنة سبعين وولى مكانه قشتمر المنصوري والله تعالى وليّ التوفيق بمنه وفضله .

* (مقتل قشتمر المنصوري بحلب في واقعة العرب) *

كان جهازين مهنا أمير العرب من آل فضل قد انتقض وولى السلطان مكانه ابن عمه نزال بن موسى بن عيسى واستمر جهاز على خلافه ووطىء بلاد حلب أيام المصيف واجتمع اليه بنوكلاب وامتدت أيديهم على السابلة فخرج الهم نائب حلب قشتمر المنصوري في عساكره فأغار على أحيائه واستاق نعمهم ومواشيهم وشره إلى اصطلامهم فتدامروا دون

احيائهم وكانت بينه وبينهم جولة أجلت عن قشتمر المنصوري وابنه محمد قتيلين ويقال قتلها يعبر بن جواز ورجعت عساكر الترك منهزمين إلى حلب وذهب جواز إلى القفر ناجيا به وولى السلطان على العرب معيقيل بن فضل ثم استأمن له جواز بن مهنا وعادوا الطاعة فأعاده السلطان إلى إمارته والله تعالى أعلم .

* (استبداد الجاثي اليوسفي ثم انتفاضه ومقتله) *

لما أذهب السلطان الأشرف أثر الاجلاب من دولته وقام بعض الشيء بأمره فاستدعى سنكلي بغا من حلب وجعله أتابكا وأمير علي المارداني من دمشق وجعله نائباً وولى الجاثي اليوسفي أمير سلاح وولى اصبغا عبدالله دوادار بعد أن كان الاجلاب ولوا في الدوادارية منهم واحد بعد واحد ثم سخطه وولى مكانه اقظمر الصباحي وعمر سائر الخطط السلطانية بمن وقع عليه اختياره ورقى مولاه ارغون شاه في المراتب من واحدة إلى أخرى إلى أن أربى به على الأتابكية كما يأتي وولى بهادر الجمالي أستاذ دار ثم أمير الماخورية تردد بينهما ثم استقرّ أخيراً في الماخورية وولى محمد بن اسقلاص أستاذ دار وولى بيقا الناصري الحجابة بعد وظائف أخرى نقله منها وزوج أمّه الجاثي اليوسفي فعلت رتبته بذلك في الدولة واستغلظ أمره وأغلظ له الدوادار يوما في القول ففني وولى مكانه منكوتر عبد الغني ثم عزل سنة اثنتين وسبعين لسنة من ولايته وولى السلطان مكانه طشتمر العلّائي الذي كان دواداراً لبيقا واستقرّت الدولة على هذا النمط والجاثي اليوسفي مستبدّ فيها ووصل قود منجك من الشام سنة أربع وسبعين بمالا يعبر عنه اشتمل على الخيل والبخاتي المجللة والجمال والهجن والقماش والحلاوات والحلي والطرف والمواعين حتى كان فيها من الكلاب الصائدة والسباع والابل ما لم ير مثله في أصنافه ثم وصل قود قشتمر المارداني من حلب على نسبة ذلك والله تعالى أعلم .

* (انتفاض الجاثي اليوسفي ومهلكه) *

* واستبداد الأشرف بملكه من بعده) *

لم تزل الدولة مستقرّة على ما وصفناه إلى أن هلك الأمير منكلي بغا الأتابك منتصف سنة أربع وسبعين واستضاف الجاثي اليوسفي الأتابكية إلى ما كان بيده ورتبته أشدّ من ذلك كله وهو القائم المستبدّ بها ثم توفيت أم السلطان وهي في عصمته فاستحق منها ميراثا دعاه لئوم

الاخلاق فيه إلى المباحكة في المخلف وتجايف السلطان له عن ذلك الا أنه كان ضيق الصدر شرس الأخلاق فكان يغلظ القول بما يخشن الصدور فأظلم الجوى بينه وبين السلطان وتمكنت فيه السعاية وذكرت هذه انتقاضه الاول وذلك أنه كان سخط في بعض النزعات على بعض العوام من البلد فامر بالركوب إلى العامة وقتلهم فقتل منهم كثير ونفي الخبر إلى السلطان على السنة أهل البصائر من دولته وعذلوه عنده فاستشاط السلطان وزجره وأغلظ له فغضب وركب إلى قبة النصر منتقضا وذهب السلطان في مداراة أمره إلى الملاطفة واللين وكان الأتابك منكلي بغا يوم ذاك حيا فأوعز السلطان اليه فرجع وخلع عليه وأعادته إلى أحسن ما كان فلما بدرت هذه الثانية حذر السلطان بطانته من شأنه وخرج هو منتقضا وركب في مماليكه بساحة القلعة وجلس السلطان وترددت الرسل بينهما بالملاطفة فأصر واستكبر ثم أذن السلطان للماليكه في قتاله وكان أكثرهم من الاجلاب ممالك بيقا وقد جمعهم السلطان واستخدمهم في جملة ابنه أمير علي ولى عهده فقاتلوه في محرم سنة خمس وتسعين وكان موقفه في ذلك المعترك إلى حائط الميدان المتصل بالأساطيل فنفذت له المقاتلة من داخل الأساطيل ونضحوه بالسهم فتنحى عن الحائط حتى إذا حل مركزه ركبوا خيولهم وخرجوا من باب الأساطيل وصدقوا عليه الحملة فانهزم إلى بركة الحبش ورجع من وراء الجبل إلى قبة النصر فأقام بها ثلاثا والسلطان يراوضه وهو يشتم وشيعه يتسللون عنه ثم بعث اليه السلطان لمة من العسكر ففر أمامهم إلى قلوب واتبعوه فخاض البحر وكان آخر العهد به ثم أخرج شلوه ودفن وأسف السلطان لمهلكه ونقل أولاده إلى قصره ورتب لهم ولحاشيته الارزاق في ديوانه وقبض على من اتهمه بمدخلته وأرباب وظائفه فصدروا كلهم وعزلوا وغربوا إلى الشام واستبد السلطان بأمره واستدعى ايدمر القرى الدوادر وكان نائبا بطرابلس فولاه أتابكا مكان الجاني ورفع رتبته وولى أرغون شاه وجعله أمير مجلس وولى سرغتمش من مواليه أمير سلاح واختص بالسلطان طشتمر الدوادر وناصر الدين محمد بن اسقلاص أستاذ دار فكانت أمور الدولة منقسمة بينها وتصاريقها تجري بساستها إلى أن كان ما نذكره والله تعالى ولى التوفيق .

* (استقدام منجك للنيابة) *

كان أمير علي المارداني قد توفي سنة اثنتين وسبعين وبقيت وظيفته خلوا لمكان الجاني اليوسفي وأحكامه ولما هلك سنة خمس وسبعين ولى السلطان اقطمر عبد الغني نائبا ثم بدا له أن يولي في النيابة منجك اليوسفي لما رآه فيه من الأهلية لذلك والقيام به ولتقلبه في الامارة منذ عهد

الناصر حسن وأنه كان من مواليه أخا لبيقا روس وطاز وسرغتمش فهو بقية المناجب فلما وقع نظره عليه بعث في استقدامه ببيقا الناصري من أمراء دولته وولى مكانه بندمر الخوارزمي وأعاد عشقتمر إلى حلب مكانه ووصل منجك إلى مصر آخر سنة خمس وسبعين ومعه مماليكه وحاشيته وصهر روس المحمدي فاحتفل السلطان في تكريمته وأمر أهل الدولة بالركوب لتلقيه فتلقيه الأمراء والعساكر وأرباب الوظائف من القضاة والفقهاء والدواوين وأذن له في الدخول من باب السرّراكبا وخاصة السلطان مشاة بين يديه حتى نزل عند مقاعد الطواشية بباب القصر حيث يجلس مقدم الممالك ثم استدعى إلى السلطان فدخل وأقبل عليه السلطان وشافه بالنيابة المطلقة وفوّض اليه الولاية والعزل في سائر المراتب السلطانية من الوزراء والخواص والقضاة والاقواف وغيرها وخلع عليه وخرج ثم قرر تقليده بذلك في الايوان ثاني يوم وصوله فكان يوما مشهودا وولى الاشرف في ذلك اليوم ببيقا الناصري الذين قدم به حاجبا ثم سافر عشقتمر نائب حلب آخر سنة ست وسبعين بعدها بالعساكر إلى بلاد الأرمن ففتح سائر أعمالها واستولى على ملكها النكفور بالامان فوصل بأهله وولده إلى الابواب السلطانية ورتب لهم الارزاق وولى السلطان على سيس وانقرض منها ملك الارمن وتوفي منجك آخر هذه السنة فولى السلطان اقتمر الصاجي المعروف بالحلى ثم عزله ورفع مجلسه وولى مكانه اقتمر الاتقي ثم توفي جبار بن مهنا أمير العرب بالشام فولى السلطان ابنه يعبرا مكانه ثم توفي أمير مكة من بني حسن فولى الاشرف مكانه واستقرت الامور على ذلك والله أعلم .

* (الخبر عن ممالك ببيقا وترشيحهم في الدولة) *

كان السلطان الاشرف بعد أن سطا بممالك ببيقا تلك السطوة وقسمهم بين القتل والنفي وأسكنهم السجون وأذهب أثرهم من الدولة بالجملة أرجع جملة منهم بعد ذلك وعاتبه منكلي ابغا في شأنهم وأنّ في اتلافهم قص جناح الدولة وانهم ناشئة من الجند يحتاج الملك لمثلهم فندم على من قتل منهم وأطلق من بقي من المحبوسين بعد خمس من السنين وسرحهم إلى الشام يستخدمون عند الأمراء وكان فيمن أطلق الجماعة بحبس الكرك وهم برقوق العثماني وبركة الجوباني وطبقا الجوباني وجركس الخليلي ونعنع فأطلقوا إلى الشام ودعا منجك صاحب الشام كبراءهم إلى تعليم الممالك ثقافة الرمح وكانوا بصراء بها فأقاموا عنده مدة أخبرني بذلك الطنبقا الجوباني أيام اتصالي به قال وأقنا عند منجك إلى أن استدعاه السلطان الاشرف وكتب اليه الجائي اليوسني بمثل ذلك فاضطرب في أيها يحبيه فيها ثم أراد أن يخرج من العهدة فردّ الامر إلينا فأبينا الا امتثال أمره فتحرير ثم اهتدى إلى أن يبعث إلى

الجاني اليوسفي ودس إلى قرطاي كافل الأمير علي ابن السلطان وكان صديقه بطلبنا من الجاني بخدمة وليّ العهد وصانع الجهتين بذلك قال وصرنا إلى وليّ العهد فعرضنا على السلطان ابيه واختصنا عنده بتعليم الثقافة لماليكه إلى أن دعانا السلطان يوم واقعة الجاني وهو جالس بالاصطبل فندبنا لحربه وذكرنا حقوقه وأزاح عللنا بالحياد والاسلحة فجلبنا في قتله إلى أن انهزم وما زال السلطان بعدها يرعى لنا ذلك ويقدمنا انتهى خبر الجواني وكان طشتمر الدوادار قد لطف محله عند الاشرف وخلال وجهه وكان هواه في اجتماع ممالك بيقا في الدولة يستكثر بهم فيما يومله من الاستبداد على السلطان فكان يشير في كل وقت على الاشرف باستقدامهم من كل ناحية واجتماعهم عصابة للدولة يخادع بذلك عن قصده وكان محمد بن اسقلاص استاذ دار يساميه في الدولة ويزاحمه في مخالصة الاشرف ولطف المحل عنده بنى السلطان عن ذلك ويحذره مغبة اجتماعهم فغص طشتمر بذلك وكان عند السلطان ممالك دونه من ممالكه الخاصكية شبابا قد اصطفاهم وهذبهم وخالصهم بالحب والصهر ورشحهم للمراتب وولى بعضهم وكان الاكابر من أهل الدولة يفضون اليهم بحاجاتهم ويتوسلون بمساعيم فصرف طشتمر اليهم وجه السعاية وغشي مجالسهم وأغراهم بابتغاء اسقلاص وانه يصدّ السلطان أكثر الاوقات عن اغراضهم منه ويبعد أبواب الانعام والصلوات منه وصدق ذلك عندهم كثرة حاجاتهم في وظيفته وتقرّر الكثير منها عليهم عنده فوغرت صدورهم منه وأغروا به السلطان باطباق اغراء طشتمر ظاهرا حتى تمت عليهم نكبته وجمعت الكلمة وقبض عليه منتصف جمادي سنة سبع وثمانين ونفاه إلى القدس فخلا لطشتمر وجه السلطان وانفرد بالتدبير واجتمع الممالك البييقاوية من كل ناحية حتى كثروا أهل الدولة وعمروا مراتبها ووظائفها واحتاروها من جوانبها إلى أن كان ما ذكره أن شاء الله تعالى والله أعلم .

حج السلطان الاشرف وانتقاض الممالك عليه بالعقبة وما كان مع ذلك من ثورة قرطاي بالقاهرة وبيعة الامير علي ولي العهد ومقتل السلطان اثر ذلك

لما استقرّ السلطان في دولته على أكمل حالات الاستبداد والظهور واذعان الناس لطاعته في كل ناحية وأكمل الله له الامتاع بملكه ودنياه سمّت نفسه إلى قضاء فرضه فأجمع الحج سنة

ثمان وسبعين وتجهز لذلك واستكثر من الرواحل المستجادة والزودة المثقلة من سائر الاصناف واستعدّ للسفر واحتفل في الابهة بما لم يعهد مثله واستخلف ابنه ولي العهد في ملكه وأوصى النائب اكتمر عبد النبي بمباكرة بابه والانهاء إلى مراسمه وأخرج بني الملك الناصر المحجوبين بالقلعة مع سرد الشيخوني إلى الكرك يقيمون به إلى منصرفه وتجهز الخليفة العباسي محمد المتوكل بن المعتضد والقضاة للحج معه وجهاز جماعة من الأمراء أهل دولته وأزاح عنهم وملأ بمعرفه حقائبهم وخرج ثاني عشر شوال في المراكب والقطارات يروق الناظرين كثرة ومخافة وزينة والخليفة والقضاة والأمراء حفا فيه وبرز النظارة حتى العواتق من خدورهنّ وتجلت بمركبهم البسيطة ومأجت الأرض بهم موجا وخيم بالبركة منزل الحاج وأقام بها أياما حتى فرغ الناس من حاجاتهم وارتحل فما زال يتنقل في المنازل إلى العقبة ثم أقام فيها على عادة الحاج وكان في نفوس المالك وخصوصا البيضاوية وهم الاكثر شجى يتشوقون به إلى الاستبداد من الدولة فتنكروا واشتطوا في اقتضاء أرزاقهم والمباشرون يعلمونهم وانتهى امرهم إلى الفساد ثم طلبوا العلوفة المستقبلية إلى دار الازلم فاعتذر المباشرون بأن الاقوات حملت إلى أمام فلم يقبلوا وكشفوا القناع في الانتقاض وباتوا ليلتهم على تعبئة واستدعى الاشرف طشتمر الدوادار وكان كبيرهم ففاوضه في الامر ليفك من عزمهم فأجمل العذر عنهم وخرج اليهم فخرجوا ثم ركبوا من الغد واصطفوا واركبوا طشتمر معهم ومنعوه من معاودة السلطان وتولى كبر ذلك منهم مبارك الطازي وسراي تمر المحمدي وبطلقمر العلائي وركب السلطان في خاصته يظنّ أنهم يرعون أو يحنح اليه بعضهم فأبوا الا الاحفاف على قتاله ونضحوا موكبهم بالنبل لما عاينوه فرجع إلى خيامه منهزما ثم ركب البحر في ليف من خواصه ومعه ارغون شاه الاتابك وبيقا الناصري ومحمد بن عيسى صاحب الدرك من لفائف الاعراب أهل الضاحية وفي ركابه جماعة الشباب الذين أنشأهم في محالسته ورشحهم للوظائف في دولته كما مرّ وخام الفل الى القاهرة وقد كان السلطان عندما سافر عن القاهرة ترك بها جماعة من الأمراء والممالك مقيمين في وظائفهم كان منهم قرطاي الطازي كافل امير علي ولي العهد واقتمر الخليلي وقشتمر واستدمر السرغتمشي وايبك البدري وكان شيطان من التمردة قد أوحى إلى قرطاي بأنه يكون صاحب الدولة بمصر فكان يتشوّف لذلك ويترصّد له وربما وقع بينه وبين وزير الدولة منازعة في جرایة ممالك مكفوله وليّ

العهد وعلوفاتهم أغلظ له فيها الوزير فوجم وأخذ في أسباب الأنتقاض وداخل في ذلك بعض أصحابه وواعدهم ثالث ذي القعدة وتقدم إلى داية وليّ العهد ليلة ذلك اليوم بأن يصلح من شأنه ويفرغ عليه ملابس السلطان ويهيئه لجلوس التخت وركب هو وصبيحة ذلك اليوم ووقف بالرميلة عند مصلى العيد وتناول قطعة من ثوب فنصّبها لواء وكان صبيان المدينة قد شرعوا في اتخاذ الدبادب والطبيلات للعيد فأمر بتناول بعضها منهم وقرعت بين يديه وتسائل الناس إليه من كل أوب ونزل من كان بطباق القصر وغرفة وبالقاهرة من الممالك واجتمعوا إليه حتى كظ ذلك الفضاء وجاءوا تعادي بهم الخيل فاستغلظ لفيهم ثم اقتحم القلعة في جمعه من باب الاصطبل إلى بيت مكفوله وليّ العهد أمير علي عند باب الستارة يطلبونه وقبضوا على زمام الذود وكانوا عدة حتى أحضروا وليّ العهد وجاءوا به على الاكتاف إلى الايوان فأجلسوه على التخت وأحضروا ايدير نائب القلعة فباع له ثم أنزلوه إلى باب الاصطبل وأجلسوه هناك على الكرسي واستدعى الأمراء القاعين بالقاهرة فبايعوه وحبس بعضهم بالقلعة وبعث اكتمر الحلي إلى الصعيد يستكشف أحواله واختص منهم ايبك فجعله رديفا في دولته وباتوا كذلك وأصبحوا يسألون الركبان ويستكشفون خبر السلطان وكان السلطان لما انهزم من العقبة سار ليلتين وجاء إلى البركة آخر الثانية وجاءه الخبر بواقعة القاهرة وما فعله قرطاي وتشاوروا فأشار محمد بن عيسى بقصد الشام وأشار آخرون بالوصول إلى القاهرة وسار السلطان إليها واستمرّوا إلى قبة النصر وتهافتوا عن رواحلهم بالطلاق وقد أنهكهم التعب وأضناهم السير فما هو إلا أن وقعوا لمناكبهم وجنوبهم وغشيم النعاس وجاء الناصري إلى السلطان الاشراف من بينهم فتنصح له بأن يتسلل من أصحابه ويتسرب في بعض البيوت بالقاهرة حتى يتبين له وجه مذهبه وانطلق بين يديه فقصد بعض النساء ممن كان يتتاب قصده واختفى فظن النجاة في ذلك وفارقه الناصري يطلب نفقا في الارض وقد كانوا بعثوا من قبة النصر بعض الممالك عنهم روائد يستوضحون الخبر فأصبحوا بالرميلة أمام القلعة وتعرف الناس أنه من الحاج فرفعوه إلى صاحب الدولة وعرض عليه العذاب حتى أخبره عن السلطان وأنه وأصحابه بقبة النصر مصرعين من غشي النوم فطار اليهم شراد العسكر مع استدمر السرغتمشي والجمهور في ساقتهم حتى وقفوا اليهم في مضاجعهم وافتقدوا السلطان من بينهم وقتلوهم جميعا وجاءوا برؤسهم ووجموا لافتقاد السلطان ونادوا بطلبه وعرضوا العذاب والقتل على محمد بن عيسى صاحب الدرك فتبرأ وحبس رهينة من ثقاته ثم جاءت امرأة إلى ايبك فدلته عليه في بيت جارتها فاستخرجوه من

ذلك البيت ودفعوه إلى ابيك فامتحنه حتى دلم على الذخيرة والأموال ثم قتلوه خنقا
وجددوا البيعة لابنه الأمير عليّ ولقبوه المنصور واستقلّ بدولته كافله من قبل الأمير قرطاي
ورديفه ابيك البدري واستقرّ الامر على ذلك .

مجيء طشتمر من العقبة وانهزامه ثم مسيره إلى الشام وتجديد البيعة للمنصور بأذن الخليفة وتقديمه

لما انهزم السلطان من العقبة ومضى إلى القاهرة اجتمع أهل الثورة على قشتمر وألقوا اليه
القياد ودعوا الخليفة إلى البيعة له فتفادى من ذلك ومضى الحاج من مكة مع أمير المحمل
بهادر الجمالي على العادة ورجع القضاة والفقهاء إلى القدس وتوجه طشتمر والأمراء إلى مصر
لتلا في السلطان أو تلفة فلقيم خبر مهلكه بعجروود وما كان من بيعة ابنه واستقلال قرطاي
بالمملك فثاب لهم رأي آخر في حرب أهل الدولة وساروا على التعية وبعثوا في مقدمتهم
قطلقتمر ولقي طلائع مصر فهزمهم وسار في اتباعهم إلى ساحة القلعة فلم يشعر الا وقد تورّط
في جمهور العسكر فتقبضوا عليه وكان قرطاي قد بعث عن اقتمر الصاحبي الحنبلي من
الصعيد ويرجع في العساكر لحرب قشتمر وأصحابه فبرز اليهم والتقوا في ساحة القلعة وانهزم
قشتمر إلى الكيمان بناحية مصر ثم استأمن فأمّنه واعتقلوه ثم جمع الناس ليوم مشهود وحضر
الخليفة والأمراء والقضاة والعلماء وعقد الخليفة للمنصور بن الاشرف وقوض اليه وقام
قرطاي بالدولة وقسم الوظائف فولى قشتمر اللفاف واستأمر الصرغتمشي دودار و ابيك
البدري أمير مجلس وقرطاي الطازي رأس نوبة ويااس الصرغتمشي دودار و ابيك البدري
أمير الماخورية وسردون جركس أستاذ دار واقتمر الحنبلي نائبا وجعل له الأقطاع للاجناد
والأمراء والنواب وأفرج عن طشتمر العلّائي الدودار واقطعه الاسكندرية وأحضر بني الملك
الناصر من الكرك مع حافظهم سردون الشيخوني وولاه حاجبا وكذلك قلو ط الصرغتمشي
وأصاب الناس في آخر السنة طاعون إلى أول سنة تسع وسبعين فهلك طشتمر اللفاف
الأتابك وولي مكانه قرطاي الطازي في وظيفته واستدعى بيبقا الناصري من الشام فاخصه
الأمير الكبير قرطاي بالمخالصة والمشاورة .

* (نكبة قرطاي واستقلال ابيك بالدولة ثم مهلكه) *

كان ابيك الغزي هذا قد ردف قرطاي في حمل الدولة من أول ثورتهم وقيامهم على

السلطان فخالصه وخلطه بنفسه في الاصحار اليه وكان ايبك يروم الاستبداد بشأن أصحابه وكان يعرف من قرطاي عكوفه على لذاته وانقسامه مع ندمائه فعمل قرطاي في صفر سنة تسع وسبعين ضيافة في بيته وجمع ندماءه مثل سودون جركس ومبارك الطازي وغيرهم واهدى له ايبك نبذا أذيب فيه بعض المرقدات فباتوا يتعاطونه حتى غلبهم السكر على أنفسهم ولم يفيقوا فركب ايبك من ليلته وأركب السلطان المنصور معه واختار الامر لنفسه واجتمع اليه الناس وأفاق قرطاي بعد ثلاث وقد انحلت عنه العقدة واجتمع الناس على ايبك فبعث اليه قرطاي يستأ من فأمته ثم قبض عليه فسيره إلى صفد واستقل ايبك بالملك والدولة ثم بلغه مبتصف صفر من السنة انتقاض طشتمر بالشام وانتقاض الامراء هنالك في سائر الممالك على الخلاف معه فنأدى في الناس بالمسير إلى الشام فتجهزوا وسرح المقدمة آخر صفر مع ابنه أحمد وأخيه قطلوفجا وفيها من مماليكه وممالك السلطان وجماعة من الأمراء كان منهم الاميران برقوق وبركة المستبدان بعد ذلك ثم خرج ايبك ثاني ربيع في الساقة بالسلطان والأمراء والعساكر وانتهوا إلى بليس وثار الأمراء الذين كانوا مع أخيه في المقدمة ورجع اليه منهزما فأجفل راجعا إلى القلعة بالسلطان والعساكر وخرج عليه ساعة وصوله يوم الإثنين جماعة من الأمراء وهم قطلتمر العلائي الطويل والطنبقا السلطاني والنعناع وواعدوه قبة النصر فسرح اليهم العساكر مع أخيه قطلوفجا فأوقعوا به وتقبضوا عليه وبلغ الخبر إلى ايبك فسرح من حضره من الأمراء للقائهم وهم أيدمر الشمسي واقطمر عبد الغني وبهادر الجمالي ومبارك الطازي في آخرين ولما تواروا عنه ركب هو هاربا إلى كيما مصر واتبعه ايدمر القنائي فلم يقف له على خبر ودخل الأمراء من قبة النصر إلى الاصطبل وامضوا الأمراء إلى قطلتمر العلائي وهم يحاذونه وأشير عليه بخلع المنصور والبيعة لمن يقوم على هذا الامر من أبناء السلطان فأبى ثم وصل صبيحة الثلاثاء الأمراء الذين ثاروا فجاء أخو ايبك في مقدمة العسكر وفيهم بيبقا الناظري ودمرداش اليوسفي وبلاط من أمراء الالوف وبرقوق وبركة وغيرهما من الطلخامات فنازعوه الامر وغلبوهم عليه وبعثوا بهم إلى الإسكندرية معتقلين وقوض الأمراء إلى بيبقا الناظري فقام بأمرهم وهو شعاع وآراؤهم مختلفة ثم حضر يوم الاحد التاسع من ربيع ايبك صاحب الدولة وظهر من الاختفاء وجاء إلى بلاط منهم وأحضره عند بيبقا الناظري فبعث به إلى الإسكندرية فحبسه بها وكان بيبقا الناظري يختص برقوق وبركة بالمفاوضة استرابة بالآخرين فاتفق رأيهم على أن يستدعي طشتمر من الشام وينصبوه للامارة فبعثوا اليه بذلك وانتظروه .

استبداد الأميرين أبي سعيد برقوق وبركة بالدولة من بعد ايك ووصول طشتمر من الشام وقيامه بالدولة ثم نكبته

لما تغلب هؤلاء الأمراء على الدولة ونصبوا بيبقا الناظري ولم يمشوا له الطاعة بقي أمرهم مضطربا وآراؤهم مختلفة وكان برقوق وبركة أبصر القوم بالسياسة وطرق التدبير وكان الناظري يخالصهما كما مرّ فتفاوضوا في القبض على هؤلاء المتصدين للمنازعة وكبح شكائهم وهم دمرداش اليوسفي وترباي الحسيني وافتقلاص السلجوقي واستدرا ابن العثماني في آخرين من نظرائهم وركبوا منتصف صفر وقبضوا عليهم أجمعين وبعثوا بهم إلى الاسكندرية فحبسهم بها واصطفوا بلاطا منهم وولوه الامارة وخلطوه بأنفسهم وأبقوا بيبقا الناظري على اتابكيته كما كان وأنزلوه من القلعة فسكن بيت شيخو قبائلته وولى برقوق أمير الماخورية ونزل باب الاصطبل وولى بركة الجوباني أمير مجلس واستقرت الدولة على ذلك وكان طشتمر نائب الشام قد انتقض واستبدّ بأمره وجمع عساكر الشام وامراءه واستنفر العرب والتركمان وخيم بظاهر دمشق يريد السير إلى مصر وبرز ايك من مصر بالسلطان والعساكر يريد الشام لمحاربه فكان ما قدّمناه من نكبته وخروج الأمراء عليه ومصيرهم إلى جاعة البيقاوية الطائرين بايك ومقدّمهم بيبقا الناظري ثم تفاوض بيبقا الناظري مع برقوق وبركة في استدعاء طشتمر فوافقاه ونظراه رأيا وفيه طلب الصلح من الذين معه وحسم الداء منه بكونهم في مصر فكتبوا اليه بالوصول إلى مصر للاتابكية وتدبير الدولة وانه شيخ البيقاوية وكبيرهم فسكنت نفسه لذلك ووضع أوزار الفتنة وسار الى مصر فلما وصلها اختلفوا في أمره وتعظيمه وأركبوا السلطان إلى الزيدانية لتلقيه ودفعوا الأمراء اليه وأشاروا له إلى الاتابكية ووضعوا زمام الدولة في يده فصار اليه التولية والعزل والحلّ والعقد وولى بيبقا الناظري أمير سلاح مكان سباطا وبعثوا بلاطا إلى الكرك لاستقلال طشتمر بمكانه وولى بندمر الخوارزمي نائبا بدمشق على سائر وظائف الدولة وممالك الشام كما اقتضاه نظره ووافق عليه استاذ دار برقوق وبركة وولى ايك اليوسفي قرتب برقوق رأس نوبه مكان الناصري واستمرّ الحال على ذلك وبرقوق وبركة اثناء هذه الامور يستكثران من الممالك استغلاظا لشوكتها واكتناها لعصبيتها أن يمتدّ الأمير إلى مراتبها فيبدلان الجاه لتابعها ويوفران الاقطاع لمن يستخدم لها ويخصان بالامرة من يحنح من أهل الدولة اليهم والى ابوابها وانصرفت الوجوه عن سواهما وارتاب طشتمر بنفسه في ذلك وأغراه أصحابه بالتوثب بهذين الأميرين

فلما كان ذو الحجة سنة تسع وسبعين استعجل أصحابه على غير روية وبعثوا اليه فأحجم وقعد عن الركوب واجتمع برقوق وبركة بالاصطبل فركن اليه وقاتل ممالك طشتمر بالرميلة ساعة من نهار وانهمزوا وافترقوا واستأ من طشتمر فأمنوه واستدعوه إلى القلعة فقبضوا عليه وعلى جماعة من أصحابه منهم اطلمش الارغوني ومدلان الناصري وأمير حاج بن مغلطاي ودواداره أرغون وبعث بهم إلى الاسكندرية فحبسوا بها وبعث معهم ببيقا الناصري كذلك ثم أفرج عنه لايام وبعثه نائباً على طرابلس ثم أفرج عن طشتمر بعد ذلك إلى دمياط ثم إلى القدس إلى أن مات سنة سبع وثمانين واستقامت الدولة للاميرين بعد اعتقالها وخلت لها من المنازعين وولى الامير برقوق اتابكا وولى الماخورية الجايي الشمسي وولى قريه انيال أمير سلاح مكان ببيقا الناصري وولى أقتمر العثماني دوادار مكان اطلمش الارغوني وولى الطنبقا الجوباني رأس نوبة ثانيا ودمرداش أمير مجلس وتوفي ببيقا النظامي نائب حلب فولى مكانه عشقتمر المارداني ثم استأذن عشقتمر فأذن له وحبس بالاسكندرية وولى مكانه بلج تمرناشي الحسيني الدمرداشي ثم أفرج عنه وأقام بالقدس قليلا ثم استدعاه بركة وأكرم نزله وبعثه نائباً إلى حلب .

* (ثورة انيال ونكبته) *

كان انيال هذا أمير سلاح وكان له مقام في الدولة وهو قريب الامير برقوق وكان شديد الانحراف على الامير بركة ويحمل قريه على منافرتة ولا يبيحه إلى ذلك فاعتزم على الثورة وتحين لها سفر الامير بركة إلى البحيرة يتصيد فركب الامير برقوق في بعض تلك الايام متصيدا بساحة البلد فرأى ان قد خلاله الجوفركب وعمد إلى باب الاصطبل فلكنه ومعه جماعة من مماليكه وممالك الامير برقوق وتقبضوا على أمير الماخورية جركس الخليلي واستدعوا السلطان المنصور ليظهره للناس فنعه المقدمون من باب الستارة وجاء الامير برقوق من صيده ومعه الاتابك الشمسي فوصلوا الى منزله خارج القلعة وأفرغوا السلاح على سائر مماليكهم وركبوا إلى ساحته الاصطبل ثم قصدوا إلى الباب فأحرقوه وتساق الامير قرطاي المنصوري من جهة باب السرّ وفتح له فدخلوا منه ودافعوا انيال وانتقض عليه الممالك الذين كانوا معه من ممالك الامير برقوق ورموه بالسهم فانهمز ونزل إلى بيته جريحا وأحضر إلى الأمير برقوق فاعتذر له بانه لم يقصد بفعلته الا التغلب على بركة فبعث به إلى الاسكندرية معتقلا وأعاد ببيقا الناصري أمير سلاح كما كان واستدعي لها من نيابة طرابلس

ووصل الخبر إلى بركة فأسرع الكرّ من البحيرة وانتظم الحال ونظروا في الوظائف التي خلت في هذه الفتنة فعمروها بمن يقوم بها واختصوا بها من حسن غناؤه في هذه الواقعة مثل قردم وقرط وذلك سنة إحدى وثمانين وأقام أنيال معتقلا بالاسكندرية ثم أفرج عنه في صفر سنة اثنتين وثمانين وولى على طرابلس ثم توفي منكلي بقا الاحمدي نائب حلب فولى أنيال مكانه ثم تقبض عليه آخر السنة وحبس بالكرك وولى مكانه ببيقا الحمدي نائب دمشق فولى مكانه بندمر الخوارزمي ثم توفي سنة إحدى وثمانين جيار بن المهنا أمير العرب بالشام فولى مكانه معقل بن فضل بن عيسى وزامل بن موسى بن عيسى شريكين ثم عزلا وولى يعبر بن جيار.

* (ثورة بركة ونكبته واستقلال الامير برقوق بالدولة) *

كان هذا الامير بركة يعادل الامير برقوق في حمل الدولة كما ذكرناه وكان أصحابه يقوِّضون اليه الاستبداد في الاموال وكان الامير برقوق كثير الثبت في الامور والميل إلى المصالح فيعارضهم في الغالب ويضرب على أيديهم في الكثير من الاحوال فغصوا بمكانه وأغروا بركة بالثوب والاستقلال بالامر وسعوا عنده بأشمس من كبار أصحاب الامير برقوق وأنه يحمل برقوق على مقاطعة بركة ويفسد ذات بينها وأنه يطلب الأمر لنفسه وقد اعترم على الثوب عليها فجاء بركة بذلك إلى الامير برقوق وأراد القبض على أشمس فنعه الامير برقوق ودفع عنه وعظم انحراف بركة على أشمس ثم عن الامير برقوق وسعى في الاصلاح بينها الاكابر حتى كمال الدين شيخ التكية والخلدي شيخ الصوفية من أهل خراسان وجاؤا بأشمس إلى بركة مستعتباً فأعته وخلع عليه ثم عاود الانحراف ثانية ففسح أعطافه وسكن وهو مجمع الثورة والفتك ثم عاود حاله تلك الثالثة واتفق أن صنع في بيت الامير برقوق لسرورولمة في بعض أيام الجمعة في شهر ربيع سنة اثنتين وثمانين وحضر عنده أصحاب بركة كلهم وأهل شوكته وقد جاءه النصيح بأن بركة قد أجمع الثورة غداة يومه فقبض الامير برقوق على من كان عنده من أصحاب بركة ليقص جناحه منهم وأركب حاشيته للقبض عليه واصعد بدلان الناصري على مأذنة مدرسة حسن فنضحه بالنبل في اصطبله وركب بركة إلى قبة النصر وخيم بها ونودي في العامة بنهب بيوته فنهبها للوقت وخربوها وتحيز اليه ببيقا الناصري فخرج معه وجلس الامير برقوق بباب القلعة من ناحية الاصطبل وسرّح الفرسان للقتال واقتتلوا عامّة يومهم فزحف بركة على تعبيتين احدهما لبيقا الناصري وخرج الاق الشعبانيّ للقاءه وأشمس للقاء ببيقا الناصري فانهمز أصحاب بركة ورجع إلى قبة النصر وقد اثنوا بالجراح

وتسلل أكثرهم إلى بيته وأقام الليل ثم دخل إلى جامع البلدة وبات به ونمي إلى الأمير برقوق خبره فأركب اليه الطنبقا الجوباني وجاء به إلى القلعة وبعث به الأمير برقوق إلى الاسكندرية فحبس بها إلى أن قتله النائب بها صلاح الدين بن عزام وقتل به في خبر يأتي شرحه ان شاء الله تعالى وتقبض على يبيقا الناصري وسائر شيعته من الامراء وأودعهم السجون إلى أن استحال الاحوال وولى وظائفهم من أوقف عليه نظره من امراء الدولة وأفرج عن انيال النائب قبله وبعثه نائبا على طرابلس واستقل بحمل الدولة وانتظمت به أحوالها واستراب سندمر نائب دمشق لصحابته مع بركة فتقبض عليه وعلى أصحابه بدمشق وولى نيابة دمشق عشقتمر ونيابة حلب انيال وولى اشمس الاتابكية مكان بركة والاق الشعباني أمير سلاح والطنبقا الجوباني أمير مجلس وابقا العثماني دودار وجركس الخليلي أمير الماخورية والله تعالى وليّ التوفيق .

* (انتقاض أهل البحيرة وواقعة العساكر) *

كان هؤلاء الطواعن الذين عمروا الدولة من بقايا هواره ومزاته وزناته يعمرونها بمن تحت أيديهم من هذه القبائل وغيرهم ويقومون بخراج السلطان كل سنة في ابانه وكانت الرياسة عليهم حتى في اداء الخراج لبدر بن سلام وآبائه من قبله وهو من زناته احدى شعوب لواتة وكان للبادية المتبذين مثل أبي ذئب شيخ أحياء مهراة وعسرة ومثل بني التركية امراء العرب بعقبة الاسكندرية اتصال بهم لاحتياجهم إلى الميرة من البحيرة ثم استخدموا لامراء الترك في مقاصدهم وأموالهم واعتروا بجاههم وأسفوا على نظائرهم من هواره وغيرهم ثم حدثت الزيادة في وظائف الجباية كما هي طبيعة الدول فاستقلوها وحدتتهم أنفسهم بالامتناع منها لما عندهم من الاعتزاز فأرهبوا في الطلب وحبس سلام بالقاهرة وأجفل ابنه بدر إلى الصعيد بالقبليّة واعترضته هناك عساكر السلطان فقاتلهم وقتل الكاشف في حربه وسارت اليه العساكر سنة ثمانين مع الاق الشعباني وأحمد بن يبيقا وانيال قبل ثورته فهربوا وعاثت العساكر في خلفهم ورجعوا وعاد بدر إلى البحيرة وشغلت الدولة عنهم بما كان من ثورة انيال وبركة بعده واتصل فساد بدر وامتناعه فخرجت اليه العساكر مع الاتابك اشمس والأمير سلام والجوباني أمير مجلس وغيرهم من الامراء الغربية ونزلت العساكر البحيرة واعتزم بدر على قتالهم فجاءهم النذير بذلك فانتبدوا عن الخيام وتركوها خاوية ووقفوا على مراكزهم حتى توسط القوم المخيم وشغلوا بنهبه فكثرت عليهم العساكر فكادوا

يستلحمونهم ولم يفلت منهم الا الاقل وبعث بدر بالطاعة واعتذر بالخوف وقام بالخراج فرجعت العساكر وولى بكتمر الشريف على البحيرة ثم استبدل منه بقرط بن عمر ثم عاد بدر إلى حاله فخرجت العساكر فهرب أمامها وعاث القرط فيهم وقتل الكثير من رجالهم وحبس آخرين ورجع عن بدر أصحابه مع ابن عمه ومات ابن شادي وطلب الباقي الامان فأمنوا وحبس رجال منهم وضمن الباقيون القيام بالخراج واستأمن بدر فلم يقبل فلحق بناحية الصعيد واتبعته العساكر فهرب واستبيح محلفه واحيائه ولحق ببرقة ونزل على أبي ذئب فأجاره واستقام أمر البحيرة وتمكن قرط من جبايتها وقتل رحاب وأولاد شادي وكان قرطاي يستوعب رجالهم بالقتل وأقام بدر عند أبي ذئب يتردد ما بين احيائه وبين الواحات حتى لقيه بعض أهل الثأر عنده فثاروا منه سنة تسع وثمانين وذهب مثالا في الآخرين والله تعالى أعلم .

* (مقتل بركة في محبسه وقتل ابن عزام بثأره) *

كان الامير بركة استعمل أيام امارته خليل بن عزام استاذ داره ثم اتهمه في ماله وسخطه ونكبه وصادره على مال امتحنه عليه ثم أطلقه فكان يطوي له على النكت ثم صار بركة إلى ما صار اليه من الاعتقال بالاسكندرية وتولي ابن عزام نيابتها فحاول على حاجة نفسه في قتل بركة ووصل إلى القاهرة متبرئا من أمره متخوفا من مغبته ورجع وقد طوى من ذلك على الدغل ثم حمله الحقد الكامن في نفسه على اغتياله في جنح الليل فأدخل عليه جماعة متسلحين فقتلوه وزعم انه أذن له في ذلك وبلغ الخبر إلى كافل الدولة الامير برقوق وصرح بماليكه بالشكوى اليه فأنكر ذلك وأغلظ على ابن عزام وبعث دوداره الامير يونس يكشف عن سببه واحضار ابن عزام فجاء به مقيدا وأوقفه على شنيع مرتكبه في بركة فحلف الامير ليقادّن منه به وأحضر إلى القلعة في منتصف رجب من سنة اثنتين وثمانين فحضر بباب القلعة اسواط ثم حمل على جمل مشتهرا وأنزل إلى سوق الخيل فتلقاه ممالك بركة فتناولوه بالسيف إلى أن توافقت أسلأوه بكل ناحية وكان فيه عظة لمن يتعظ أعادنا الله من درك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الاعداء انتهى .

* (وفاة السلطان المنصور عليّ بن الاشرف وولاية الصالح أمير حاج) *

كان هذا السلطان عليّ بن الاشرف قد نصبه الامير قرطاي في ثورته على أبيه الاشرف وهو

ابن اثني عشرة سنة فلم يزل منصورا والامر يتقل من دولة كما ذكرناه إلى أن هلك لخمس سنين من ولايته في صفر سنة ثلاث وثمانين فحضر الامير برقوق واستدعى الامراء واتفقوا على نصب أخيه أمير حاج ولقبوه الصالح وأركبوه إلى الايوان فأجلسوه على التخت وقلده الخليفة على العادة وجعل الامير برقوق كافله في الولاية والنظر للمسلمين لصغره حيثئذ عن القيام بهذه العهدة وأفتى العلماء يومئذ بذلك وجعلوه من مضمون البيعة وقرئ كتاب التقليد على الامراء والقضاة والخاصة والعامة في يوم مشهود وانفض الجمع وانعقد أمر السلطان وبيعته وضرب فيها للامير برقوق بسهم والله تعالى مالك الامور.

* (وصول أنس الغساني والد الامير برقوق وانتظامه في الامراء) *

اصل هذا الامير برقوق من قبيلة جرکس الموطنين ببلاد الشمال في الجبال المحيطة بوطء القفجاق والروس واللان من شرقها المطل على بساطهم ويقال انهم من غسان الداخلين إلى بلاد الروم مع أميرهم جبلة بن الايهم عندما أجفل هرقل إلى الشام وسار إلى القسطنطينية وخبر مسيره من أرض الشام وقصته مع عمر بن الخطاب رضى الله عنه متناقلة معروفة بين المؤرخين وأما هذا الرأي فليس على ظاهره وقبيلة جرکس من الترك معروفة بين النسابين ونزولهم بتلك المواطن قبل دخول غسان وتحقيق هذا الرأي أن غسان لما دخلوا مع جبلة إلى هرقل أقاموا عنده ويشوا من الرجوع لبلادهم وهلك هرقل واضطرب ملك الروم وانتشرت الفتنة هنالك في ممالكهم واحتاجت غسان إلى الحلف للمدافعة في الفتن وحالفوا قبائل جرکس ونزلوا في بسيط جبلهم من جانبه الشرقي مما يلي القسطنطينية وخالطوهم بالنسب والصهر واندرجوا فيهم حتى تلاشت احيائهم وصاروا إلى تلك الاماكن وأووا من البسائط إلى الجبال مع جرکس فلا يبعد مع هذا أن تكون أنسابهم تداخلت معهم ممن انتسب إلى غسان من جرکس وهو مصدق في نسبه ويستأنس له بما ذكرناه فهو نسبة قوية في صحته والله تعالى أعلم وجلب هذا الامير برقوق على عهد الامير بيبقا عثمان قراجا من التجار المعروفين يومئذ بتلك الجهات فلکه بيبقا وربي في اطباق بيته واوى من قصده وشد في الرماية والثقافة وتعلم آداب الملك وانسلخ من جلدة الخشونة وترشح للرياسة والامارة والسعادة تشير اليه والعناية الربانية تحوم عليه ثم كان ما ذكرناه من شأن ممالك بيبقا ومهلك

كبيرهم يومئذ استدمرو كيف تقسموا بين الجلاء والسجن وكان الامير برقوق اعزه الله تعالى
من أدركه التمحص فلبث في سجن الكرك خمس سنين بين أصحاب له منهم فكانت تهوينا
لما لقي من بوائقه وشكرا له بالرجوع إلى الله ليتم ما قدّر الله فيه من حمل امانته واسترعاء
عباده ثم خلص من ذلك الحبس مع أصحابه وخلي سبيله فانطلقوا إلى الشام واستخلصهم
الامير منجك نائب الشام يومئذ وكان بصيرا مجربا فألقى محبته وعنايته على هذا الامير لما رأى
عليه من علامات القبول والسعادة ولم يزل هناك في خالصته إلى أن هجس في نفس
السلطان الاشرف استدعاء المرشحين من مماليكه وهذا الامير يقدمهم وأفاض فيهم الاحسان
واستضافهم لولده الامير علي ولم يكن الا أيام وقد انتقض الجاني القائم بالدولة وركب على
السلطان فأحضرهم السلطان الاشرف وأطلق أيديهم في خيوله المقربة وأسلحته المستجادة
فاصطفوا منها ما اختاروه وركبوا في مدافعة الجاني وصدقوه القتال حتى دافعه على الرميّة ثم
اتبعوه حتى ألقى نفسه في البحر فكان آخر العهد به واحتلوا بمكان من أثره السلطان
واختصاصه فسوّغ لهم الاقطاعات وأطلق لهم الجرايات ولهذا الامير بين يديه من بينهم مزيد
مكانة ورفع محل إلى أن خرج السلطان الاشرف إلى الحج وكان ما قدّمناه من انتقاض
قرطاي واستبداده ثم استبداد ايبك من بعده وقد عظم محل هذا الامير من الدولة ونما عزه
وسمت رتبته ثم فسد أمر ايبك وتغلب على الامر جماعة من الامراء مفترقي الاهواء وخشي
العقلاء انتقاض الامر وسوء المغبة فبادر هذا الامير وتناول الحبل بيده وجعل طرفه في يد
بركة رديفه فأمسك معه برهة من الايام ثم اضطرب وانتقض وصار إلى ما صار اليه من
الهلاك واستقل الامير برقوق بحمل الدولة والعناية الربانية تكفله والسعادة تواخيه وكان من
جميل الصنع الرباني له أن كيّف الله غريبة في اجتماع شمل أبيه به فقدم وفد التجار بابيه
من قاصية بلادهم بعد أن أعملوا الحيلة في استخلاصه وتلطفوا في استخراجهم وكان اسمه
أنس فاحتفل ابنه الامير برقوق من مبرته وأركب العساكر وسائر الناس على طبقاتهم لتلقيه
واعدّ الخيام بسرياقوس لزوله فحضروا هنالك جميعا في ثاني ذي الحجة سنة اثنتين وثمانين
وجلس الامير أنس الوافد صدر المجلس وهم جميعا حفافيه من القضاة والأمرأ ونصب
السماط قطع الناس وانتشروا ثم ركبوا إلى البلد وقد زينت الاسواق وأوقدت الشموع
وماجت السكك بالنظارة من عالم لا يحصيهم الا خالقهم وكان يوما مشهودا وأنزله
بالاصطبل تحت المدينة الناصرية ونظمه السلطان في أقربائه وبني عمه وبني اخوانه واجتمع
شملهم به وفرض لهم الارزاق وقرّره في الوظائف ثم مات هذا الاب الوافد وهو الامير

أنس رحمه الله في أواسط (١) وثمانين بعد أن أوصى بحجة اسلامه وشرفت مراتب الامارة بمقامه ودفنه السلطان بترية الدوادار يونس ثم نقله إلى المدفن بجوار المدرسة التي أنشأها بين القصرين سنة ثمان وثمانين والله يؤتي الملك من يشاء

* (خلع الصالح أمير حاج وجلس الأمير برقوق على التخت واستبداده بالسلطان) *

كان أهل الدولة من البيقاوية من ولي منهم هذا الأمير برقوق قد طمعوا في الاستبداد وظفروا بلذة الملك والسلطان ورتعوا في ظل الدولة والامان ثم سمت أحوالهم إلى أن يستقل أميرهم بالدولة ويستبد بها دون الاصاغر من المنتصبين بالمملكة وربما أشار بذلك بعض أهل الفتيا يوم بيعة أمير حاج وقال لا بد أن يشرك معه في تفويض الخليفة الأمير القائم بالدولة لتشدد الناس إلى عقدة محكمة فأمضي الأمر على ذلك وقام الأمير بالدولة فأنس الرعية بحسن سياسته وجميل سيرته واتفق أن جماعة من الأمراء المختصين بهذا الصبي المنصوب غصوا بمكان هذا الأمير وتفاوضوا في الغدر به وكان متولي ذلك منهم ابقا العثماني دوادار السلطان ونفي الخبر اليه بذلك فتقبض عليهم وبعث ابقا إلى دمشق على امارته وغرب الآخرين إلى قوص فاعتقلوا هنالك حتى أنفذ الله فيهم حكمه واشفق الأمراء من تدبر مثل هؤلاء عليهم وتفاوضوا في محو الاصاغر من الدست وقيامه بأمرهم مستقلا فجمعهم لذلك في تاسع عشر رمضان سنة أربع وثمانين وحضر الخاصة والعامة من الجند والقضاة والعلماء وأرباب الشورى والفتيا وأطبقوا على بيعته وعزل السلطان أمير حاج فبعث اليه أميرين من الأمراء فادخلوه إلى بيته وتناولوا السيف من يده فأحضرها ثم ركب هذا السلطان من مجلسه بياب الاصطبل وقد لبس شعار السلطنة وخلعة الخلافة فدخل إلى القصور السلطانية وجلس بالقصر الابلق على التخت وأتاه الناس ببيعتهم أرسالا وانعقد أمره يومئذ ولقب الملك الظاهر وقرعت الطبول وانتشرت البشائر وخلع على أمراء الدولة مثل أشمس الأتابك والطنبقا الجوباني أمير مجلس وجركس الخليلي أمير الماخورية وسودون الشيخوني نائبا والطنبقا المعلم أمير سلاح ويونس النوروي دوادار وقردم الحسيني رأس نوبة وعلى كتابه أوحده الدين بن ياسين كاتب سره ادال به من بدر الدين بن فضل الله كاتب سر السلطان من قبل وعلى جميع أرباب

(١) بياض بالاصل ، ولم نعر في المراجع التي بين ايدينا على هذه السنة .

الوظائف من وزير وكاتب وقاض ومحتسب وعلى مشاهير العلم والفتيا والصوفية وانتظمت الدولة أحسن انتظام وسر الناس بدخولهم في آيالة السلطان يقدر للأمور قدرها ويحكم أو أخيرا واستأذنه الطنبقا الجوباني أمير مجلس في الحج تلك السنة وأذن له فانطلق لقضاء فرضه وعاد انتهى والله تعالى أعلم .

* (مقتل قرط وخلع الخليفة ونصب ابن عمه الواثق للخلافة) *

كان قرط بن عمر من التركمان المستخدمين في الدولة وكان له اقدام وصرامة رقابها إلى محل من مرادفة الأمراء في وجوههم ومذاهبهم ودفع إلى ولاية الصعيد ومحاربة أولاد الكثر من العرب الجائلين في نواحي اسوان فكان له في ذلك غناء وأحسن في تشريدهم عن تلك الناحية ثم بعث إلى البحيرة واليا عند انتقاض بدر بن سلام وفراره ومرجع العساكر من تمهيدها فقام بولايتها وتبع آثار أولئك المنافقين وحسم عليهم وحضر في ثورة انبال فجلا في ذلك اليوم لشهامته واقدامه وكان هو المتولي تسور الحائط واحراق الباب الظهراني الذي ولجوا عليه وامسكوه فكان يمت بهذه الوسائل اجمع والسلطان يرعى له الا انه كان ظلوما غشوما فكثرت شكايات الرعايا والمظلمين به فتقبض عليه لأول بيعته وأودعه السجن ثم عفا عنه وأطلقه وبقي مابكرا باب السلطان مع الخواص والاولياء وطوى على الغث وتربص بالدولة ونفي عنه أنه فاوض الخليفة المتوكل بن المعتضد في الانتقاض والاجلاب على الدولة بالعرب المخالفين بنواحي برقة من أهل البحيرة وأصحاب بدر بن سلام وأن يفوض الخليفة الامر إلى سوى هذا السلطان القائم بالدولة وانه داخل في ذلك بعض ضعفاء العقول من امراء الترك ممن لا يؤبه له فاحضرهم من غداته وعرض عليهم الحديث فوجموا وتناكروا وأقر بعضهم واعتقل الخليفة بالقلعة وأخرج قرط هذا لوقته فطيف به على الحمل مسمرا ابلاغا في عقابه ثم سيق إلى مصرعه خارج البلد وقد بالسيف نصفين وضم الباقيون إلى السجن وولى السلطان الخلافة عمر بن ابراهيم الواثق من أقاربه وهو الذي كان الملك الناصر ولى أباه ابراهيم بعد الخليفة أبي الربيع وعزل عن ابنه أحمد كما مر وكان هذا كله في ربيع سنة خمس وثمانين وولى مكانه أخوه زكريا ولقب المعتصم واستقرت الاحوال إلى أن كان ما نذكره أن شاء الله تعالى .

* (نكبة الناصري واعتقاله) *

كان هذا الناصري من ممالك بيقا وأرباب الوظائف في أيامه وكان له مع السلطان الظاهر ذمة وداد وخلة من لدن المرئي والعشرة فقد كانوا أتراباً بها وكانت لهم دالة عليه لعلو سنه وقد ذكرنا كيف استبدوا بعد ابيك ونصبوا الناصري أتابكا ولم يحسن القيام عليها وجاء طشتمر بعد ذلك فكان معه حتى في النكبة والمحبس ثم أشخص إلى الشام وولى على طرابلس ثم كانت ثورة انيال ونكبته في جمادى سنة احدى وثمانين فاستقدمهم من طرابلس وولى أمير سلاح مكان انيال واستخلصه الامير بركة وخلطه بنفسه وكانت نكبته فحبس معه ثم أشخص إلى الشام وكان انيال قد أطلق من اعتقاله وولى على حلب سنة اثنتين وثمانين مكان منكلي بقري الاحمدي فاقام بها سنة أو نحوها ثم نفي عنه خبر الانتقال فقبض عليه وحبس بالكرك وولى مكانه على حلب بيقا الناصري في شوال سنة ثلاث وثمانين وقعد الظاهر على التخت لسنة بعدها واستبد بملك مصر وكان الناصري لما عنده من الدالة يتوقف في انفاذ أوامره لما يراه من المصالح بزعمه والسلطان ينكر ذلك ويحقد عليه وكان له مع الطنبقا الجوباني أمير مجلس أحد اركان الدولة حلف لم يغن عنه وأمر السلطان بالقبض على سولي بن بلقادر حين وفد عليه بحلب فأني من ذلك صونا لوفائه بزعمه ودس بذلك إلى سولي فهرب ونجا من النكبة ووفد على السلطان سنة خمس وثمانين وجدد حلفه مع الجوباني ومع أشمس الأتابك ورجع إلى حلب ثم خرج بالعساكر إلى التركان آخر سنة خمس وثمانين دون إذن السلطان فانهزم وفسدت العساكر ونجا بعد ثلاثة جريحا وأحقد عليه السلطان هذه كلها ثم استقدمه سنة سبع وثمانين فلما انتهى إلى سرياقوس تلقاه بها أستاذ دار فقبض عليه وطير به إلى الإسكندرية فحبس بها مدة عامين وولى مكانه بحلب الحاجب سودون المظفر وكان عيبة نصيح للسلطان وعينا على الناصري فيما يأتيه ويذره لانه من وظائف الحاجب للسلطان في دولة الترك خطة البريد المعروفة في الدول القديمة فهو بطانة السلطان بما يحدث في عمله ويعترض شجا في صدر من يروم الانتقال من ولاته وكان هذا الحاجب سودون هو الذي ينمي أخباره إلى السلطان ويطلعه على مكا من مكره فلما حبس الناصري بالاسكندرية ولاه مكانه بحلب وارتاب الجوباني من نكبة الناصري لما كان بينهما من الوصلة والحلف فوجم واضطرب وتبين السلطان منه النكر فنكبه كما نذكره بعد إن شاء الله تعالى وأقصاه والله أعلم .

اقصاء الجوباني إلى الكرك ثم ولايته على الشام بعد واقعة بندمر

أصل هذا الأمير الجوباني من قبائل الترك واسمه الطنبقا وكان من موالي يبيقا الخاصكي المستولي على السلطان الاشرف وقد مر ذكره ربي في قصره وجوّزه ولقن الخلال والآداب في كنفه وكانت بينه وبين السلطان خلة ومصافاة اكسبتها له تلك الكفالة بما كانا رضيعي ثديها وكوكي أفقها وتربي مراقها وقد كان متصلا فيما قبله بينها من لدن المربي في بلادهم واشتمل بعضهم على بعض واستحكم الاتحاد حتى بال عشرة أيام التمهيص والاغتراب كما مرّ فلقد كان معتقلا معه بالكرك أيام المحنة خمسا من السنين أدال الله لهذا السلطان حزنها بالمسرة والنحوسة بالسعادة والسجن بالملك وقسمت للجوباني بها شائبة من رحمة الله وعنايته في خدمة السلطان بدار الغربية والمحنة والفته به في المنزل الخشن لتعظم له الوسائل وتكرم الازمة والعهود

أن الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم في المنزل الخشن

ثم كان انطلاقها إلى الشام ومقامها جميعا واستدعاهما إلى دار الملك ورقبها في درج العز والتغريب كذلك وكان للسلطان أصحاب سراة يمتون اليه بمثل هذه الوسائل ويتنظمون في ملكها وكان متميز الرتبة عنهم سابقا في مرقى درجات العز أمامهم مجلبا في الحلبة التي فيها طلقهم إلى أن ظفر بالملك واستولى على الدولة وهو يستبعمهم في مقاماته ويوطئهم عقبه ويذل لهم الصعاب فيقتحمونها ويحوزهم الرتب فيستهمون عليها ثم اقتعد منبر الملك والسلطان واستولى على كرسيه وقسم مراتب الدولة ووظائفها بين هؤلاء الأصحاب وآثر الجوباني منهم بالصفاء والمرباع فجعله أمير مجلسه ومعناه صاحب الشورى في الدولة وهو ثاني الأتابك وتلو رتبته فكانت له القدم العالية من أمرائه وخلصائه والحظ الوافر من رضاه وايثاره وأصبح أحد الاركان التي بها عمد دولته باساطينها وأرسي ملكه بقواعدها إلى أن دبت عقارب الحسد إلى مهاده وحوّمت شبة السعاية على قرطاسه وارتاب السلطان بمكانه وأعجل الحزم على امهاله فتقبض عليه يوم الاثنين لسبع بقين من سنة سبع وثمانين وأودعه بعض حجر القصر عامّة يومه ثم أقصاه إلى الكرك وعواطف الرحمة تنازعه وسجاي الكرم والوفاء تقض من سخطه ثم سمح وهو بالخير أسمح وجنح وهو إلى الأدنى من الله أجنح فسرّح اليه من الغد بمرسوم النيابة على تلك الأعمال فكانت غريبة لم يسمع بمثلها من حلم

هذا السلطان واناته وحسن نيته وبصيرته وكرم عهده وجميل وفائه وانطلقت الاسلح
بالدعاء له وامتلات القلوب بالحبه وعلم الاولياء والخاصة والشيع والكافة انهم في كفالة أمن
ولطف ومملكة احسان وعدل ثم مكث حولا يتعقب أحواله ويتتبع سيره وأخباره طاوياً شأنه
في ذلك عن سائر الاولياء إلى أن وقف على الصحيح من أمره وعلم خلوص مصادقته
وجميل خلوصه فاحقق سعي الداعين وخابت ظنون الكاشحين وأداله العتي من العتاب
والرضا من النكري واعتقد أن يمحو عنه هواجس الاسترابة والاستيحاش ويرده إلى أرفع
الامارة وبينما هويطوي على ذلك ضميره ويناجي سره اذ حدثت واقعة بندمر بالشام فكانت
ميقاتا لبدر السعادة وعلماً على فوزه بذلك الحظ كما نذكر أن شاء الله تعالى وخبر هذه الواقعة
أن بندمر الخوارزمي كان نائباً بدمشق وقد مر ذكره غير مرة وأصله من الخوارزمية اتباع
خوارزم شاه صاحب العراق عند استيلاء التتر وافترقوا عند مهلكه على يد جنكرخان في
ممالك الشام واستخدموا لبني أيوب والترك أول استبدادهم بمصر وكان هذا الرجل من
أعقاب أصلهم وكان له نجابة جذبت بضيعه ونصب عند الأمراء من سوقيه فاستخدم بها إلى
أن ترشح للولاية في الأعمال وتداول امارة دمشق مع منجك اليوسفي وعشقتهم الناصري
وكان له انتقاض بدمشق عند تغلب الخاصكي وحاصره واستترله بامانه ثم أعيد إلى ولايته
ثم تصرمت تلك الدول وتغلب هذا السلطان على الامر ورادفه فيه فولوه على دمشق وكانت
صاغيته مع بركة فلما حدث انتقاض بركة كتب اليه والى بقري بدمشق أولياؤه هنالك
بالاستيلاء على القلعة وكتب برقوق إلى نائب القلعة يحذرهم فركب جتتمراخ طاز وابن
جرجي ومحمد بيك وقاتلوه ثلاثاً ثم أمسكوه وقيدوه ومعه بقري بن برقش وجبريل مرتبه
وسيقوا إلى الاسكندرية فحبسوا فلما قتل بركة أطلق بندمر ومن كان حبس من أصحاب بركة
مثل بيبقا الناصري ودمرداش الأحمدي ثم استخلصه السلطان برقوق ورده إلى عمله الاول
بعد جلوسه على التخت والشام له وكان جماعاً للاموال شديد الظلامة فيها متحيزاً على
استخلاصها من أيدي أهلها بما يطرق لهم من أسباب العقاب مصانعا للحاشية بماله من
حاميته إلى أن سئم الناس ايبالته وترحمت القلوب منه وكان بدمشق جماعة من الموسوسين
المسامرين لطلب العلم بزعمهم متهمون في عقيدتهم بين مجسم ورافضي وحلولي جمعت بينهم
انساب الضلال والحرمان وقعدوا عن نيل الرتب بما هم فيه تلبسوا باظهار الزهد والنيكير على
الخلق حتى على الدولة في توسعة بطلان الاحكام والجباية عن الشرع إلى السياسة التي
تداولها الخلفاء وأرخص فيها العلماء وأرباب الفتيا وحملة الشريعة بما تمس اليه الحاجة من

الوازع السلطاني والمعونة على الدفاع وقديما نصبت الشرطة الصغرى والكبرى ووظيفة المظالم ببغداد دار السلام ومقر الخلافة وايوان الدين والعلم وتكلم الناس فيها بما هو معروف وفرضت ارزاق العيساكر في أثمان البياعات عن حاجة الدولة الاموية فليس ذلك من المنكر الذي يعتد بتغييره فلبس هؤلاء الحمقى على الناس بامثال هذه الكلمات وداخلوا من في قلبه مرض من الدولة وأوهمو أن قد توثقوا من الحل والعقد في الانتفاض فرية انتحلوها وجمعا انهوه نهايته وعدوا على كافل القلعة بدمشق وحاميتها يسألونهم الدخول معهم في ذلك لصحابة كانت بين بعضهم وبينه فاعتقلهم وطالع السلطان بأمرهم وتحدث الناس أنهم داخلوا في ذلك بندمر النائب بمداخلة بعضهم كابنه محمد شاه ونمي الخبر بذلك إلى السلطان فارتاب به وعاجله بالقبض والتوثق منه ومن حاشيته ثم أخرج مستوفي الاموال بالحضرة لاستخلاص ما احتازه من أموال الرعايا واستأثر به على الدولة وأحضر هؤلاء الحمقى ومن بسوء سيرتهم مقتدون إلى الابواب العالية فقدفوا في السجون وكانوا أحق بغير ذلك من أنواع العذاب والنكال وبعث السلطان لعشقتمر الناصري وكان مقما بالقدس أن يخرج نائبا على دمشق فتوجه اليها وأقام رسم الامارة بها أياما ظهر فيها عجزه وبين عن تلك الرتبة قعوده بما أصابه من وهن الكبر وطوارق الزمانة والضعف حتى زعموا أنه كان يحمل على الفراش في بيته إلى منعقد حكمه فعندها بعث السلطان عن هذا الامير الجوباني وقد خلص من الفتن ابريزه وأينع بنفحات الرضا والقبول عوده وأفرح بمطالعة الانس والقرب روعه فجاء من الكرك على البريد وقد أعدت له أنواع الكرامة وهيء له المنزل والركاب والفرش والثياب والآنية والخوان والخرثى والصوان واحتفل السلطان لقدمه وتلقيه بما لم يكن في أمله وقضى الناس العجب من حلم هذا السلطان وكرم عهده وجميل وفائه وتحدث به الركبان ثم ولاه نيابة دمشق وبعثه لكرسيها مطلق اليد ماضي الحكم عزيز الولاية وعسكر بالزيدانية ظاهر القاهرة ثالث ربيع الاول من سنة سبع وثمانين وارتحل من الغد وسعادة السلطان تقدمه ورضاه ينقله إلى أن قارب دمشق والناس يتلقونه أرسالا ثم دخل المدينة غرة ربيع الثاني وقد احتفل الناس لقدمه وغصت السكك بالمتزهين وتناولوا خبره واستقل بولاية دمشق وعناية السلطان تلاحظه بجمال هذا المشهد الحفيل وتناقلوا خبره واستقل بولاية دمشق وعناية السلطان تلاحظه ومذاهب الطاعة والخلوص تهديه بحسن ذكره وأفاض الناس الثناء في حسن اختياره وجمال مذهبه وأقام السلطان في وظيفته أحمد ابن الامير بيبقا فكان أمير مجلس والله غالب على أمره .

* (هدية صاحب افريقية) *

كان السلطان لهذا العهد بافريقية من الموحدين ومن أعقاب الأمير أبي زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي المستبد بافريقية على بني عبد المؤمن ملوك مراکش أعوام خمس وعشرين وستائة وهو أحمد بن محمد بن أبي بكر بن يحيى بن ابراهيم أبي زكريا سلسلة ملوك كلهم ولم تر ملوك المغرب على القدم ولهذا العهد يعرفون ملوك الترك بمصر حقهم ويوجبون لهم الفضل والمزية بما خصهم الله من ضخامة الملك وشرف الولاية بالمساجد المعظمة وخدمة الحرمين وكانت المهاداة بينهم تتصل بعض الأحيان ثم تنقطع بما يعرض في الدولتين من الأحوال وكان لي اختصاص بذلك السلطان ومكان من مجلسه ولما رحلت إلى هذا القطر سنة أربع وثمانين واتصلت بهذا السلطان بمصر الملك الظاهر سألني عنه لأول لقيه فذكرته له بأوصافه الحميدة وما عنده من الحب والثناء ومعرفة حقه على المسلمين أجمع وعلى الملوك خصوصاً في تسهيل سبيل الحج وحماية البيت للطائفتين والعاكفين والركع السجود أحسن الله جزاءه ومثوبته ثم بلغني أن السلطان بافريقية صدّ أهلي وولدي عن اللحاق بي اغتباطاً بمكاني وطلباً لفريقي إلى بابه ورجوعي فتطارحت على هذا السلطان في وسيلة شفاعة تسهل منه الاذن فاسعفني بذلك وخاطبت ذلك السلطان كان الله له أغبطه بمودة هذا السلطان والعمل على مواصلته ومهاداته كما كان بين سلفهم في الدولتين فقبل مني وبادر إلى اتخافه بمقربات افليس عندنا في المغرب تحفة تطرف بها ملوك الشرق الا الجياد العرب وأمّا ما سوى ذلك من أنواع الطرف والتحف بالمغرب فكثير لديهم أمثاله ويقبح أن يطرف عظماء الملوك بالتافه المطروح لديهم واختار لتلك سفيتته التي أعدّها لذلك وأنزل بها أهلي وولدي بوسيلة هذا السلطان أيده الله لسهولة سبيل البحر وقرب مسافته فلما قاربوا مرسى الاسكندرية عاقبتهم عواصف الرياح عن احتلال السفينة وغرق معظم ما فيها من الحيوان والبضائع وهلك أهلي وولدي فيمن هلك ونفقت تلك الجياد وكانت رائحة الحسن صافية النسب وسلم من ذلك المهلك رسول جاء من ذلك السلطان لمدّ العهد وتقرّر المودة فتلقى بالقبول والكرامة وأوسع التزل والقرى ثم اعترم على العودة إلى مرسله فانتقي السلطان ثياباً من الوشي المرقوم من عمل العراق والاسكندرية يفوت القيمة واستكثر منها واتحف بها السلطان ملك افريقية على يد هذا الرسول على عادة عظماء الملوك في اتخافهم وهداياهم وخاطبت ذلك السلطان معه يحسن الثناء على قصده وجميل موقع هديته من السلطان واستحكام

مودّته له وأجاني بالعدر من الموقع وأنه مستأنف من الاتحاف للسلطان واستحكام مودّته لما يسره الحال فلما قدم الحاج من المغرب سنة ثمان وثمانين وصل فيهم من كبار الغرب بدولته وأبناء الاعاظم المستبدّين على سلفه عبيد بن القائد أبي عبدالله محمد بن الحكيم بهدية من المقرّبات رائقة الحلّى رائعة الاوصاف منتخبة الاجناس والانساب غريبة الالوان والاشكال فاعترضها السلطان وقابلها بالقبول وحسن الموقع وحضر الرسول بكتابه فقرء وأكرم حامله وأنعم عليه بالزاد لسفر الحج وأوصى أمراء المحمل ففرضه على أكمل الاحوال وكانت أهمّ أمنيّاته ثم انقلب ظافرا بقصده واعاده السلطان إلى مرسله بهدية نحو من الاولى من أجناس تلك الثياب ومستجادهما مما يجاوز الكثيرة ويفوت واستحكمت عقدة المودّة بين هذين السلطانين وشكرت الله على ما كان فيها من أثر مسعاي ولوقلّ وكان وصل في جملة الحاج من المغرب كبير العرب من هلال وهو يعقوب بن علي بن أحمد أمير رياح المواطنين بضواحي قسنطينة وبجاية والزاب في وفد من بنيه وأقربائه ووصل في جملتهم أيضا عون بن يحيى بن طالب بن مهلهل من الكعوب أحد شعوب سليم المواطنين بضواحي تونس والقيروان والجريد وبنو أبيه ففرضوا فرضهم أجمعون وانقلبوا إلى مواطنهم أواسط شهر ربيع الآخر من سنة تسع وثمانين واطردت أحوال هذه الدولة على أحسن ما يكون والله متولي أمرها بمنه وكرمه انتهى .

* (حوادث مكة وأمراءها) *

قد تقدّم لنا أنّ ملك مكة سار في هذه الاعصار لبني قتادة من بني مطاعن الهواشم بني حسن وذلك منذ دولة الترك وكان ملكهم بها بدويا وهم يعطون الطاعة للملك مصر ويقيمون مع ذلك الدولة العباسية للخليفة الذي ينصبه الترك بمصر إلى أن استقرّ أمرها آخر الوقت لأحد بن عجلان من رميثة بن أبي ندى أعوام سنة ستين وسبعائة بعد أبيه عجلان فأظهر في سلطانه عدلا وتعففا عن أموال الناس وقبض أيدي أهل العيث والظلم وحاشيتهم وعبيدهم وخصوصا عن المجاورين وأعانه على ذلك ما كان له من الشوكة بقوة أخواله ويعرفون بني عمر من اتباع هؤلاء السادة ومواليهم فاستقام أمره وشاع بالعدل ذكره وحسنت سيرته وامتلات مكة بالمجاورين والتجار حتى غصت بيوتها بهم وكان عنان ابن عمه مقامس بن رميثة ومحمد ابن عمه مقامس بن رميثة ينفسون عليه ما آتاه الله من الخير ويجدون في أنفسهم اذ ليس يقسم لهم برضاهم في أموال جبايته فتنكروا له وهوا بالانتقاض فتقبض

عليهم وكان لهم حلف مع أخيه محمد بن عجلان فراوده على تركهم أو حبسهم فحبسوا
ولبثوا في محبسهم ذلك حولا أو فوقه ثم نقبوا السجن ليلا وفروا فأدركوا من ليلتهم وأعيدوا
إلى محبسهم وأفلت منهم عنان بن مقامس وخجا إلى مصر سنة ثمان وثمانين صريخا
بالسلطان وعن قليل وصل الخبر ب وفاة أحمد بن عجلان على فراشه وأن أخاه كبش بن
عجلان نصب ابنه محمدا مكانه وقام بأمره وانه عمد إلى هؤلاء المعتقلين فسمهم صونا للامر
عنهم لمكان ترشيحهم فنكر السلطان ذلك وسخطه من فعلاتهم وافتياتهم ونسب إلى كبش
وأنه يفسد مكة بالفساد بين هؤلاء الاقارب ولما خرج الحاج سنة ثمان وثمانين أوصى أمير
حاج بعزل الصبي المنصوب والاستبدال عنه بابن عنان بن مقامس والقبض على كبش ولما
وصل الحاج إلى مكة وخرج الصبي لتلقي المحمل الخلافي وقد أرسد الرجال حفافيه
للبطش بكبش وأميره المنصوب فقعده كبش عن الحضور وجاء الصبي وترجل عن فرسه
لتقبيل الخف من راحلة المحمل على العادة فوثب به أولئك المرصدون طعنا بالخناجر يظنون
كبيشا ثم غابوا فلم يوقف لهم على خبر وتركوه طريقا بالبطحاء ودخل الأمير إلى الحرم فطاف
وسعي وخلع على عنان بن مقامس الامارة على عادة من سلف من قومه ونجا كبش إلى
جدة من سواحل مكة ثم لحق بأحياء العرب المتبذين بيقاع الحجاز صريخا فقعدها عن
نصرته وفاء بطاعة السلطان وافترق أمره وخذله عشيره وانقلب الأمير بالحاج إلى مصر فعنفه
السلطان على قتله الصبي فاعتذر بافتيات أولئك الرجال عليه فعذره وجاء كبش بعد
منصرف الحاج وقد انضم اليه أوباش من العرب فقعده بالمرصد يخيف السابلة والركاب
والمسافرين ثم زحف إلى مكة وحاصرها أول سنة تسع وثمانين وخرج عنان بن مقامس بعض
الأيام وبارزه فقتله واضطرب الامر بمكة وامتدت أيدي عنان والاشرار معه إلى أموال
المجاورين فتسلطوا عليها ونهبوا زرع الأمراء هنالك وزرع السلطان للصدقة وولى السلطان
علي بن عجلان واعتقله حسما لمادة طوارق الفساد عن مكة واستقر الحال على ذلك إلى أن
كانت فتنة الناصر كما نذكر أن شاء الله تعالى انتهى .

انتقاض منطاش بملطية ولحاقه بسيواس ومسير العساكر في طلبه

كان منطاش هذا وتمرّاي الدمرداشي الذي مرّ ذكره أخوين لتمرّاز الناصري من موالي الملك

الناصر محمد بن قلاون وريبا في كفالة أمّها وكان اسم تمرّتي محمداً وهو الأكبر واسم منطاش أحمد وهو الأصغر واتصل تمرّتي بالسلطان الأشرف وترقى في دولته في الوظائف الى أن وليّ بحلب سنة ثمانين وكانت واقعته مع التركمان وذلك انه وفد عليه أمراؤهم فقبض عليهم لما كان من عيشتهم في النواحي واجتمعوا فصار اليهم وأمدّه السلطان بعساكر الشام وحياة وانهمزوا أمامهم الى الدربند ثم كرّوا على العساكر فهزموها ونهبوها في المضايق وتوفي تمرّتي سنة اثنتين وثمانين وكان السلطان الظاهر برقوق يرعى لها هذا الولاء فولى منطاش على ملطية ولما قعد على الكرسي واستبدّ بالسلطان بدت من منطاش علامات الخلاف فهمّ به ثم راجع ووفد وتنصل للسلطان وكان سودون باق من أمراء الألوف خالصة للسلطان ومن أهل عصبيته وكان من قبل ذلك في جملة الأمير تمرّتي فرعاً لمنطاش حق أخيه وشفع له عند السلطان وكفل حسن الطاعة منه وانه يخرج على التركمان المخالفين ويحسم علل فسادهم وانطلق الى قاعدة عمله بملطية ثم لم تزل آثار العصيان بادية عليه وربما داخل أمراء التركمان في ذلك ونفي الخبر الى السلطان فطوى له وشعر هو بذلك فراسل صاحب سيواس قاعدة بلاد الروم وبها قاض مستبدّ على صبيّ من أعقاب بني أرشي ملوكها من عهد هلاكو قد اعصوب عليه بقية من احياء التتر الذين كانوا حامية هنالك مع الشحنة فيها كما ذكره ولما وصلت رسل منطاش وكتبه الى هذا القاضي بادر باجابه وبعث رسلاً وفداً من أصحابه في اتمام الحديث معه فخرج منطاش الى لقائهم واستخلف على ملطية دواذاره وكان مغفلاً فخشي مغبة ما يرومه صاحبه من الانتقاض فلاذ بالطاعة وتبرأ من منطاش وأقام دعوة السلطان في البلد وبلغ الخبر الى منطاش فاضطرب ثم استمرّ وسار مع وفد القاضي الى سيواس فلما قدم عليه وقد انقطع الحبل في يده أعرض عنه وصار الى مغالطة السلطان عما أتاه من مداخلة منطاش وقبض عليه وحبسه وسرح السلطان سنة تسع وثلاثين عساكره مع يونس الدواذار وقردم رأس نوبة والطنبقا الرماح أمير سلاح وسودون باق من أمراء الألوف وأوعز الى الناصري فأتى وطلب أن يخرج معهم بعساكره الى انيال اليوسني من أمراء الألوف بدمشق وساروا جميعاً وكان يومئذ ملك التتر بما وراء النهر وخراسان تمر من نسب جفطاي قد زحف الى العراقيين واذربيجان وملك توريز عنوة واستباحها وهو يحاول ملك بغداد فسارت هذه العساكر تورّي بغزوه ودفاعه حتى اذا بلغوا حلب أتى اليهم الخبر بأن تمر رجع بعساكره لخارج خرج عليه بقاصية ما وراء النهر فرجعت عساكر السلطان الى جهة سيواس واقتحموا تخومها على حين غفلة من أهلها فبادر القاضي الى اطلاق منطاش لوقته

وقد كان أيام حبسه يوسوس اليه بالرجوع عن موالاته السلطان وممالأته ولم يزل يقتل له في الذروة والغارب حتى جنح الى قوله فبعث لأحياء التتر الذين كانوا ببلاد الروم فيئة ابن اريثا ابن أول فسار اليهم واستجاشهم على عسكر السلطان وحذرهم استتصال شأفتهم باستتصال ملك ابن اريثا وبلده ووصلت العساكر خلال ذلك الى سيواس فحاصروها أياما وضيقوا عليها وكادت أن تلقي باليد ووصل منطاش أثر ذلك بأحياء التتر فقاتلهم العساكر ودافعوهم ونالوا منهم وجلا الناصري في هذه الوقائع وأدرك العساكر الملل والضجر من طول المقام وبطء الظفر وانقطاع الميرة بتوغلهم في البلاد وبعد الشقة فتداعوا للرجوع ودعوا الأمراء إليه فجنح لذلك بعضهم فانكفؤا على تعبيتهم وسار بعض التتر في اتباعهم فكروا عليهم واستلحموهم وخلصوا الى بلاد الشام على أحسن حالات الظهور ونية العود ليحسموا علل العدو ويمحو أثر الفتنة والله تعالى أعلم .

* (نكبة الجوباني واعتقاله بالاسكندرية) *

كان الامراء الذين حاصروا سيواس قد لحقهم الضجر والسامة من طول المقام وفرع قدم الطنبقا^(١) المعلم منهم الى الناصري مقدم العساكر بالشكوى من السلطان فيما دعاهم اليه من هذا المرتكب وتفاوضوا في ذلك مليا وتداعوا الى الافراج عن البلد بعد أن بعثوا الى القاضي بها واتخذوا عنده يدا بذلك وأوصوه بمنطاش والابقاء عليه ليكون لهم وقفا للفتنة وعلم يونس الدوادار أنهم في الطاعة فلم يسعه خلافهم فقوض لهم ولما انتهى الى حلب غدا عليه دمرداش من أمرائها فنصح له بأن الجوباني نائب دمشق مداخل للناصر في تمريضه في الطاعة وأنها مصران على الخلاف وقفل يونس الى مصر فقص على السلطان نصيبته واستدعى دمرداش فشافه السلطان بذلك واطلع منه على جلي الخبر في شأنها وكان للجوباني ممالك أوغاد قد أبطرتهم النعمة واستهواهم الجاه وشرهوا الى التوثب وهو يزجرهم فصاروا الى اغرائه بالحاجب يومئذ طرنطاي فقعده في بيته عن المجلس السلطاني وطير بالخبر الى مصر فاستراب الجوباني وسابقه بالحضور عند السلطان لينضح عنه ما علق به من الأوهام وأذن له في ذلك فنهض من دمشق على البريد في ربيع سنة تسعين ولما انتهى الى سرياقوس أزعج اليه استاذ داره بهادر المنجكي فقبض عليه وطير به السفن الى الاسكندرية وأصبح السلطان من الغد فقبض على قردم والطنبقا المعلم وأحقهما به فحبسوا هنالك جميعا

(١) كذا بالأصل ويرد هذا الاسم تارة طنبقا وطورا الطنبقا وهولقب تركي .

وانحسم ماكان يتوقع من انتفاضهم وولى السلطان مكان الجوباني بدمشق طرنطاي الحاجب
ومكان قردم بمصر ابن عمه مجماس ومكان المعلم دمرdash واستمر الحال على ذلك .

فتنة الناصري واستيلاؤه على الشام ومصر واعتقال السلطان بالكرك

لما بلغ الناصري بحلب اعتقال هؤلاء الامراء استراب واضطرب وشرع في أسباب الانتقاض
ودعا اليه من يشيع الشر وساسرة الفتن من الامراء وغيرهم فأطاعوه وافتتح أمره بالنكير
للأمير سودون المظفري والانحراف عنه لما كان منه في نكبته واغراء السلطان به ثم ولايته
مكانه ومن وظائف الحاجب في دولة الترك خطة البريد المعروفة في الدول القديمة فهو يطالع
السلطان بما يحدث في عمله ويعترض شجى في صدر من يريد الانتقاض من ولاته فأظلم
الجوبين هؤلاء الرهط وبين المظفري وتفاقم الامر وطير بالخبر الى السلطان فأخرج للوقت
دواداره الأصغر تلكتمر ليصلح بينهما ويسكن الثائرة وحين سمعوا بمقدمه ارتبأوا وارتبكوا في
أمرهم وقدم تلكتمر فتلقاه الناصري وألقى اليه كتاب السلطان بالندب الى الصلح مع
الحاجب والاعضاء له فأجاب بعد أن التمس من حقائق تلكتمر مخاطبة السلطان وملاطفته
للأمراء حتى وقف عليه ثم غلب عليه أولئك الرهط من أصحابه بالفتك بالحاجب
فأطاعهم وباكرهم تلكتمر بدار السعادة ليتّم الصلح بينهم وتذهب الهواجس والنفرة فدعاه
الناصر الى بعض خلواته وبينما هو يجادته واذا بالقوم قد وثبوا على الحاجب وفتكوا به وتولى
كبر ذلك انبعا الجوهرى واتصلت الهبة فوجم تلكتمر ونهض الى محل نزوله واجتمع الامراء
الى الناصري واعصوبوا عليه ودعاهم الى الخلعان فأجابوا وذلك في محرم سنة احدى
وتسعين واتصل الخبر بطرابلس وبها جماعة من الأمراء يرومون الانتقاض منهم بدلار
الناصرى عميد الفتن فتولى كبرها وجمع الذين تمالأوا عليها وعمدوا الى الايوان السلطاني
المسمى بدار السعادة وقبضوا على النائب وحبسوه ولحق بدلار الناصري في عساكر طرابلس
وأمرائها وفعل مثل ذلك أهل حلب وحمص وسائر ممالك الشام وسرح السلطان العساكر
لقتالهم فسارا يتمش الاتابك ويونس الدوادار والخليلي جركس أمير الماخورية وأحمد بن
بييكا أمير مجلس وايدكاز صاحب الحجاب فيمن اليهم من العساكر وانتخب من أبطال
مما ليكهم وشجعانهم خمسمائة مقاتل واستضافهم الى الخليلي وعقد لهم لواءه المسمى

بالشاليش وأزاح علمهم وعلل سائر العساكر وساروا على التعية منتصف ربيع السنة وكان الناصري لما فعل فعلته بعث عن منطاش وكان مقبلاً بين أحياء التتر منذ رجوع العساكر عن سيواس فدعاه ليمسك معه جبل الفتنة والخلاف فجاء وملاًه مبرة واحساناً واستنفر طوائف التركمان والعرب ونهض في جموعه يريد دمشق وطرنتاي نائبها يواصل تعريف السلطان بالاخبار ويستحث العساكر من مصر على خلع نائبها الامير الصفوي وبينه وبين الناصر علاقة وصحبة فاسترابوا به وتقبضوا عليه ونهبوا بيته وبعثوا به حبساً الى الكرك ولولا مكانه محمد باكيش بن جند التركماني كان مستخدماً عند بندمر هو وابوه وولي لهذا العهد على نابلس وما يحاورها فنقلوه الى غزة ثم تقدّموا الى دمشق واختاروا من القضاة وفداً أوفدوه على الناصري وأصحابه للإصلاح فلم يجيبوا وأمسكوا الوفد عندهم وساروا للقاء ولما تراءى الجمعان بالمرج نزع أحمد بن بيبكا وايدكاز الحاجب ومن معها الى القوم فساروا معهم واتبعهم ممالك الامراء وصدق القوم الحملة على من بقي فانفضوا ولحاً ايتمش الى قلعة دمشق فدخلها وكان معه مكتوب السلطان بذلك متى احتاج اليه وذهب يونس حيران وقد أفرده ممالكه فلقية عنقا أمير الامراء وكان عقد له بعض التزعات أيام سلطانه فتقبض عليه وأحيط بحركسن الخليلي وممالك السلطان حوله وقد أبلوا في ذلك الموقف واستلحم عامتهم فخلص بعض العدو اليه وطعنه فأكبه ثم احتار رأسه وذهب ذلك الجمع شعاعاً وافترقت العساكر في كل وجه وجيء بهم أسرى من كلّ ناحية ودخل الناصري وأصحابه دمشق لوقتهم واستولوا عليها وعاثت عساكرهم من العرب والتركمان في نواحيها وبعث اليهم عنقا يستأذنهم في أمر يونس فأمر بقتله فقتله وبعث اليهم برأسه وأوعزوا الى نائب القلعة بحبس ايتمش عنده وفرقوا المحبوسين من أهل الواقعة على السجون بقلعة دمشق وصفد وحلب وغيرها وأظهر ابن باكيس دعوته بغزة وأخذ بطاعتهم ومرّ به انيال اليوسفي من أمراء الالوف بدمشق ناجياً من الواقعة الى مصر فقبض عليه وحبسه بالكرك واستعدّ السلان للمدافعة وولى دمرداش اتابكا مكان ايتمش وقرماش الجندار وادار مكان يونس وعمر سائر المراتب عمن فقد منها وأطلق الخليفة المعتقل المتوكل بن المعتضد وأعادته الى خلافته وعزل^(١) المنصوب مكانه وأقام الناصري وأصحابه بدمشق أياماً ثم أجمعوا المسير الى مصر ونهضوا اليها بجموعهم وعميت أنباؤهم حتى أطلت مقدمتهم على بليس ثم تقدّموا الى بركة الحاج وخيموا بها لسبع من جمادي الأخيرة من السنة وبرز السلطان في ممالكه ووقف

(١) بياض بالأصل ، وسوف يتضح لنا فيما يلي أن الخليفة المعزول هو أمير حاج بن الأشرف .

أمام القلعة بقية يومه والناس يتسايلون الى الناصري من العساكر ومن العامة حتى غصت بهم بسائط البركة واستأمن أكثر الامراء مع السلطان الى الناصري فأمنهم واطلع السلطان على شأنهم وسارت طائفة من العسكر وناوشوهم القتال وعادوا منهزمين الى السلطان وارتاب السلطان بأمره وعاین انحلال عقده فهدس الى الناصري بالصلح وبعث اليه بالملاطفة وأن يستمر على ملكه ويقوم بدولته خدمه وأعوانه وأشار بأن يتوارى بشخصه أن يصينه أحد من غير البيقايوة بسوء فلما غشيه الليل أذن لمن بقي معه من مماليكه في الانطلاق ودخل الى بيته ثم خرج متنكرا وسرى في غيابات المدينة وباكرهم الناصري وأصحابه القلعة فاستولوا عليها ودعوا أمير حاج ابن الاشرف فأعادوه الى التخت كما كان ونصبوه للملك ولقبوه المنصور وبادروا باستدعاء الجوباني والامراء المعتقلين بالاسكندرية فأغذوا السير ووصلوا ثاني يومهم وركب الناصري وأصحابه للقائهم وأنزل الجوباني عنده بالاصطبل وأشركه في أمره وأصبحوا ينادون بطلب السلطان الظاهر بقية يومهم ذلك ومن الغد حتى دلّ عليه بعض مماليك الجوباني وحين رآه قبل الارض وبالع في الأدب معه وحلف له على الامان وجاء به الى القلعة فأنزله بقاعة الغصة واشتوروا في أمره وكان حرص منطاش وزلار على قتله أكثر من سواهما وأبى الناصري والجوباني الا الوفاء بما اعتقد معهم واستقرّ الجوباني أتابك والناصري رأس النوبة الكبرى ودمرداش الاحمدي أمير سلاح وأحمد بن بيبقا أمير مجلس والابقا العثماني دوادار وانبقا الجوهري استاذدار وعمرت الوظائف والمراتب ثم بعثوا زلار نائباً على دمشق وأخرجوه اليها وبعثوا كتباً البيقايوي على حلب وكان السلطان قد عزله عن طرابلس واعتقله بدمشق فلما جاء في جملة الناصري بعثه على حلب مكانه وقبضوا على جماعة من الامراء فيهم النائب سودون باق وسودون الطرنطاي فحبسوا بعضهم بالاسكندرية وبعثوا آخرين الى الشام فحبسوا هنالك وتبعوا ممالك السلطان فحبسوا أكثرهم وأشخصوا بقيتهم الى الشام يستخدمون عند الامراء وقبضوا على استاذدار محمود قهرمان الدولة وقارون القصري فصادروه على ألف ألف درهم ثم أودعوه السجن وهم مع ذلك يتشاورون في مستقرّ السلطان بين الكرك وقوص والاسكندرية حتى اجتمعوا على الكرك ووروا بالاسكندرية حذراً عليه من منطاش فلما أرف مسيره قعد له منطاش عند البحر رصدًا وبات عامة ليله وركب الجوباني مع السلطان من القلعة وأركب معه صاحب الكرك موسى بن عيسى في لمة من قومه يوصلونه الى الكرك وسار معه برهة من الليل مشيعاً ثم رجع وشعر منطاش من أمره وطوى على الغش وأخذ ثياب الثورة كما يذكر ونجا السلطان الى الكرك في

فلّ من غلمانه ومواليه ووكل الناصري به حسن الكشكي من خواصه وولاه على الكرك وأوصاه بخدمته ومنعه ممن يرومه بسوء فتقدّمه الى الكرك وأنزله القلعة وهياً له النزول بما يحتاج اليه وأقام هنالك حتى وقع من لطائف الله في أمره ما يذكر بعد أن شاء الله تعالى وجاء الخبر أن جماعة من ممالك الظاهر كانوا محتفين منذ الوقعة فاعتزموا على الثورة بدمشق وانهم ظفروا بهم وحبسوا جميعاً ومنه أيقا الصغير والله تعالى أعلم .

ثورة منطاش واستيلاؤه على الأمر ونكبة الجوباني وحبس الناصري والامراء البيقاولية بالاسكندرية

كان منطاش منذ دخل مع الناصري الى مصر متربصاً بالدولة طاوياً جوانحه على الغدر لأنهم لم يوفروا حظه من الاقطاع ولم يجعلوا له اسماً في الوظائف حين اقتسموها ولا راعى له الناصري حق خدمته ومقارعتة الأعداء وكان ينقم عليه مع ذلك ايثاره الجوباني واختصاصه فاستوحش وأجمع الثورة وكان ممالك الجوباني لما حبس أميرهم وانتقض الناصري بجلب لحقوا به وجاءوا في جملة واشتملوا على منطاش فكان له بهم في ذلك السفر أنس وله اليهم صفو فدخل جماعة منهم في الثورة وحملهم على صاحبهم وتطفل على الجوباني في المخالصة بغشيان مجلسه وملابسة ندمائه وحضور مائدته وكان البيقاولية جميعاً ينقمون على الناصري ويرون أنه مقصر في الرواتب والاقطاع وطووا من ذلك على النكث ودعاهم منطاش الى التوثب فكانوا اليه أسرع وزينوه له وقعدوا عنه عند الحاجة ونمي الخبر الى الناصري والجوباني فعزموا على اشخاص منطاش الى الشام فمارض وتخلف في بيته أياماً يطاولهم ليحكم التدبير عليهم ثم عدا عليه الجوباني يوم الاثنين وقد أكن من بيته رجالاً للثورة فقبضوا على الجوباني وقتلوه حينه وركب منطاش الى الرملة فذهب مراكب الامراء بباب الاصطبل ووقف عند مأذنة المدرسة الناصرية وقد شحنها ناشبة ومقاتلة مع أمير من أصحابه ووقف في حمايتهم واجتمع اليه من داخله في الثورة من الاشرفية وغيرهم واجتمع اليه من كان بقي من ممالك الظاهر واتصلت الهبة فركب الأمراء البيقاولية من بيوتهم ولما أفضوا الى الرملة وقفوا ينظرون مآل الحال وبرز الناصري من الاصطبل فيمن حضر وأمر الأمراء بالحملة عليهم فوقفوا فأحجم هو عن الحملة وتخاذل أصحابه وأصحاب منطاش ومال الى الناصري ممالك الجوباني لنكبة صاحبهم فهتّددهم منطاش بقتله فافترقوا وتخاذل الفريقان آخر النهار وباكروا شأنهم من الغد وحمل الناصري فانهمز وأقاموا على ذلك ثلاثاً

وجموع منطاش في تزايد ثم انفض الناس عن الناصري عشية الاربعاء لسبعين يوما من دخول القلعة واقتحمها عليه منطاش ونهب بيوته وخزائنه وذهب الناصري حيران وأصحابه يرجعون عنه وباكر السبقاوية مجلس منطاش من الغد فقبض عليهم وسبق من تخلف منهم عن الناصري أفذاذا وبعث بهم جميعا الى الاسكندرية وبعث جماعة ممن حبسهم الناصري الى قوص ودمياط ثم جدّد البيعة لأمر حاج المنصور ثم نادى في ممالك السلطان بالعرض وقبض على جماعة منهم وقرّ الباكون وبعث بالمحبوسين منهم الى قوص وصادر جماعة من أهل الأموال وأفرج عن محمود استاذدار وخلع عليه ليوليه في وظيفته ثم بداله في أمره وعاد مصادرته وامتحانه واستصفى منه أموالا عظيمة يقال ستين قنطارا من الذهب ولما استقلّ بتدبير الدول عمر الوظائف والمراتب وولى فيها بنظره وبعث عن الاشقتمري من الشام وكان أخوه تمرتاي قد آخى بينهما فولاه النيابة الكبرى وعن استدمر بن يعقوب شاه فجعله أمير سلاح وعن انبغا الصفوي فولاه صاحب الحجاب واختص الثلاثة بالمشورة وأقامهم أركانا للدولة وكان إبراهيم بن بطلقتمر أمير جندار قد داخله في الثورة فرعى له ذلك وقدمه في أمراء الالوف ثم بلغه أنه تفاوض مع الامراء في الثورة به واستبداد السلطان فقبض عليه ثم أشخصه الى حلب على امارته هناك وكان قد اختص ارغون السمندار وألقى عليه محبته وعنايته فغشيه الناس وباكروا بابه وعظم في الدولة صيته ثم نمي عنه أنه من المداخلين لابراهيم أمير جندار فسطا به وامتحنه أن له على هؤلاء المداخلين لابراهيم فلاذ بالانكار وأقام في محبسه وأفرج عن سودون النائب فجاء الى مصر فألزمه بيته واستمر الحال على ذلك انتهى .

* (ثورة بذلار بدمشق) *

ولما بلغ الخبر الى بذلار بدمشق باستقلال منطاش بالدولة أنف من ذلك وارتاب وداخلته الغيرة جمع الانتقاض وكاتب نواب الممالك بالشام في حلب وغيرها يدعوهم الى الوفاق فأعرضوا عنه وتمسكوا بطاعتهم وكان الامير الكبير بدمشق جتتمر أخوطاز يداخل الأمراء هناك في التوثب به وتوثق منهم للدولة وبلغ الخبر الى بذلار فركب في ممالكه وشيعته يروم القبض عليه فلم يتمكن من ذلك واجتمعوا وظهرهم عامّة دمشق عليه فقاتلوه ساعة من نهار ثم أيقن بالغلب والهلكة فألقى بيده وقبضوا عليه وطيروا بالخبر الى منطاش وهو صاحب الدولة فأمر باعتقاله وهلك مريضا في محبسه وولى منطاش جتتمر نيابة دمشق واستقرت الأحوال على ذلك والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده .

خروج السلطان من الكرك وظفره بعساكر الشام وحصاره دمشق

ولما بلغ الخبر الى السلطان الظاهر بالكرك بأن منطاش استقلّ بالدولة وحبس البيقاولية جميعا وأزال منهم بأصحابه أهمته نفسه وخشي غائلته ولم يكن عند منطاش لأول استقلاله أهمّ من شأنه وشأن السلطان فكتب الى حسن الكشكي نائب الكرم بقتله وقد كان الناصري أوصاه في وصيته حين وكله به أن لا يمكنه ممن يرومه بسوء فتجافى عن ذلك واستدعى البريدي وفاوض أصحابه وقاضي البلد وكاتب السر فأشاروا بالتحرز من دمه جهد الطاقة فكتب الى منطاش معتذرا بالخطر الذي في ارتكابه دون اذن السلطان والخليفة فأعاد عليه الكتاب مع كتاب السلطان والخليفة بالاذن فيه واستحثه في الاجهاز عليه فأنزل البريدي وعلمه بالوعد وطاوله يرجو المخلص من ذلك وكانوا يطرون الامر عن السلطان شفقة واجلالا فشرع بذلك وأخلص اللجأ الى الله والتوسل بإبراهيم الخليل لأنه كان يراقب مدفنه من شباك في بيته وانطلق غلامه في المدينة حتى ظفروا برجال داخلوهم في حسن الدفاع عن السلطان وأفاضوا فيهم فأجابوا وصدقوا ما عاهدوا عليه واتعدوا لقتال البريدي وكان منزله بازاء السلطان فتوافوا ببابه ليلة العاشر من رمضان وهجموا عليه فقتلوه ودخلوا برأسه الى السلطان وشفار سيوفهم دامية وكان النائب حسن الكشكي يفطر على سباط السلطان تأنيسا لهم فلما رأهم دهش وهما بقتله فأجاره السلطان وملك السلطان أمره بالقلعة وبايعه النائب وصعد اليه أهل المدينة من الغد فبايعوه ووفد عليه عرب الضاحية من بني عقبة وغيرهم فأعطوه طاعتهم وفشا الخبر في النواحي فتساقط اليه مماليكه من كل جهة وبلغت أخباره الى منطاش فأوعز الى ابن باكيش نائب غزة أن يسير في العساكر الى الكرك وتردّد السلطان بين لقائه أو النهوض الى الشام ثم أجمع المسير الى دمشق فبرز من الكرك منتصف شوال فعكسر بالقبّة وجمع جموعه من العرب وسار في ألف أو يزيدون من العرب والترك وطوى المراحل الى الشام وسرح جتتمر نائب دمشق العساكر لدفاعه فيهم أمراء الشام وأولاد بندمر فالتقوا بشقحب وكانت بينهم واقعة عظيمة أجلت عن هزيمة أهل دمشق وقتل الكثير منهم وظفر السلطان بهم واتبعهم الى دمشق ونجا الكثير منهم الى مصر ثم أحس السلطان بأن ابن باكيش وعساكره في اتباعه فكرّ اليهم وأسرى ليلته وصحبهم على غفلة في عشر ذي القعدة فانهمزوا ونهب السلطان وقومه جميع ما معهم وامتلأت أيديهم واستفحل أمره ورجع الى

دمشق ونزل بالميدان وثار العوام وأهل القبيبات ونواحيا بالسلطان وقصدوه بالميدان فركب ناجيا وترك أنقاله فنهبا العوام وسلبوا من لقوه من مماليكه ولحق بقبة بلبغا فأقام بها وأغلقوا الأبواب دونه فأقام يحاصرههم الى محرم سنة اثنتين وتسعين وكان كمشيقا الحموي نائب حلب قد أظهر دعوته في عمله وكتبه بذلك عندما نهض من الكرك الى الشام كما نذكره ولما بلغه حصاره لدمشق تجهز للقائه واحتمل معه ما يزيح علل السلطان من كل صنف وأقام له أبهة ووصل اينال اليوسفي وقجاش ابن عم السلطان وجاعة من الامراء كانوا محبوسين بصفد وكان مع نائبها جاعة من ممالك السلطان يستخدمون فغدروا به وأطلقوا من كان من الأمراء في سجن صفد كما نذكر ولحقوا بالسلطان وتقدمهم اينال وهو محاصر لدمشق فأقاموا معه والله تعالى أعلم .

* (ثورة المعتقلين بقوص ومسير العساكر اليهم واعتقالهم) *

ولما بلغ الخبر الى الأمراء المحبوسين بقوص خلاص السلطان من الاعتقال واستيلاؤه على الكرك واجتماع الناس اليه فثاروا بقوص أوائل شوال من السنة وقبضوا على الوالي بها وأخذوا من مودع القاضي ما كان فيه من المال وبلغ خبرهم الى مصر فسرّح اليهم العساكر ثم بلغه أنهم ساروا الى اسوان وشايعوا الوالي بها حسن بن قرط فلحن^(١) لهم بالوعد وعرض بالوفاق فطمعوا واعتزموا أن يسيروا من وادي القصب من الجهة الشرقية الى السويس ويسيروا من هناك الى الكرك ولما وصل خبر ابن قرط آخر منطاش سندمر بن يعقوب شاه ثامن عشرين^(٢) من السنة وانكفأ جموعه وسار على العدو الشرقية في جموعه لاعتراضهم فوصل الى قوص وبادر ابن قرط فخالفه الى منطاش بطاغته فأكرمه وردّه على عمله فوافى ابن يعقوب شاه بقوص وقد استولى على النواحي واستنزل الامراء المخالفين ثم قبض عليهم وقتل جميع من كان معهم من ممالك السلطان الظاهر وممالك ولاية الصعيد وجاء بالامراء الى مصر فدخل بهم متصف ذي الحجة من السنة فأفرج عن أربعة منهم سوماي اللاي وحبس الباقيين والله تعالى أعلم .

(١) لحن اي اشار قال الشاعر :

ولقــمــد لحت لكم لكــما تفهموا والـلـحـن يفهمـه ذـو الالبـاب

ورحم الله المؤرخ غلبت عليه صناعة الترسل فكان كتابه هذا كتاب تاريخ وادب فهو نعم الأدب (من خط

الشيخ العطار)

(٢) بياض بالأصل ومكان البياض اسم الشهر ولم نعثري في المراجع التي بين ايدينا على اسم هذا الشهر .

* (ثورة كمشيقا بحلب وقيامه بدعوة السلطان) *

قد كنا قدّمنا أن الناصري ولي كمشيقا رأس نوبة نيابة حلب ولما استقلّ منطاش بالدولة ارتاب ودعاه بذلار لما ثار بدمشق الى الوفاق فامتنع ثم بلغه الخبر بخلاص السلطان من الاعتقال بالكرك فأظهر الانتفاض وقام بدعوة السلطان وخالفه ابراهيم بن أمير جندار واعصوب عليه أهل باقوسا من أرباض حلب فقاتلهم كمشيقا جميعا وهزمهم وقتل القاضي ابن أبي الرضا وكان معه في ذلك الخلاف واستقلّ بأمر حلب وذلك في شوال من السنة ثم بلغه أن السلطان هزم عساكر دمشق وابن باكيش وأنه مقيم بقبة بلبغا محاصرا لدمشق بعد أن نهبوا أنقاله وأخرجوه من الميدان فتجهز من حلب اليه في العساكر والحشود وجهز له جميع ما يحتاج اليه من المال والأقشة والسلاح والخيول والابل وخيام الملك بفرشها وما عونها وآلات الحصار وتلقاه السلطان وبالغ في تكرمته وفوض اليه في الاتابكية والمشورة وقام معه محاصرا لدمشق واشتدّ الحصار على أهل دمشق بعد وصوله واستكثر السلطان من المقاتلة وآلات الحصار وخرب كثيرا من جوانبها بحجارة المجانيق وتصدّعت حيطانها وأضرمت كثيرا من البيوت على أربابها فاحترقت واستولى الخراب والحريق على القيسيات أجمع وتفاحش فيها واشتدّ أهل القتال والدفاع من فوق الأسوار وتولى كبر ذلك منهم قاضي الشافعية أحمد بن القرشي بما أشار عليهم وفاه أهل العلم والدين بالنكير فيه وكان منطاش لما بلغه حصار دمشق بعث طنبقا الحلبي دوا دار الأشرف بمدد من المال يمدّ به العساكر هنالك وأقام معهم ثم بعث جتتمر الى أمير آل فضل يعبر بن جبار يستنجد به فجاء لقتالهم وسار كمشيقا نائب حلب فلقية وفض جموعه وأسر خادمه وجاء به أسيرا فن عليه السلطان وأطلقه وكساه وحمله وردّه الى صاحبه واستمرّ حصار دمشق الى أن كان ما ذكره ان شاء الله تعالى .

* (ثورة انيال بصفد بدعوة السلطان) *

كان انيال لما انهزم يوم واقعة دمشق قرّ الى مصر ومّرّ بغزة فاعتقله ابن باكيش وحبس بالكرك فلما استولى الناصري أشخصه الى صفد فحبس بها مع جماعة من الأمراء وولى على صفد قبطيك النظامي فاستخدم جماعة من ممالك برقوق واتخذ منهم بلبغا السلمي دوا دار فلما بلغه خلاص السلطان من الاعتقال ومسيره الى الشام داخل بلبغا ممالك استأذنه قطلوبغا في

الخلاف واللاحاق بالسلطان وهرب منهم جماعة فركب قطلوبغا في اتباعهم وأبقى بلبغا السلمي دوادار وحاجب صفد فاطلقوا أنيال وسائر المحبوسين من السلطان فملك أنيال القلعة ورجع قطلوبغا من اتباع الهاربين فوجدهم قد استولوا وامتنعوا وارتاب من مماليكه فسار عن صفد ونهب بيته ومحلفه ولحق بالشام فلقى الأمراء المنهزمين أمام السلطان بشقحب قاصدين مصر فسار معهم ولحق أنيال بالسلطان من صفد بعد أن ضبطها واستخلف عليها وأقام مع السلطان والله تعالى أعلم .

مسير منطاش وسلطانه أمير حاجي الى الشام وانهزامهم ودخول منطاش الى دمشق وظفر السلطان الظاهر بأمير حاجي والخليفة والقضاة وعوده للملكه

ولما تواترت الأخبار بهزيمة عساكر الشام وحصار السلطان الظاهر دمشق وظهور دعوته في حلب وصفد وسائر بلاد الشام ثم وصلت العساكر المنهزمون وأولاد بندمر ونائب صفد واستحثوه وتواترت كتب جنتمر نائب دمشق وصريخه أجمع منطاش أمره حيثنذ على المسير الى الشام فتجهز ونادى في العساكر وأخرج السلطان والخليفة والقضاة والعلماء سابع عشر ذي الحجة سنة احدى وتسعين وخيمو بالريمانية^(١) من ناحية القاهرة حتى أزاح العلك واستخلف على القاهرة دواداره صراي تمر وأطلق يده في الحل والعقد والتولية والعزل واستخلف على القلعة بكا الاشرفي وعمد الى خزانة من خزائن الذخيرة بالقلعة فسد بابها ونقها من أعلاها حتى صارت كهيئة الحب ونقل اليها من كان في سجنه من أهل دولة السلطان ونقل سودون النائب الى القلعة فأنزله بها وأمر بالقبض على من بقي من ممالك السلطان حيث كانوا فتسربوا في غيابات المدينة ولاذوا بالاختفاء وأوعز بسد كثير من أبواب الدروب بالقاهرة فسدت ورحل في الثاني والعشرين من الشهر بالسلطان وعساكره على التعبئة وطووا المراحل ونمي اليه أثناء طريقه أن بعض ممالك السلطان المستخدمين عند الامراء مجمعون على التوثب ومداخلون لغيرهم فأجمع السطوة بهم ففروا ولحقوا بالسلطان ولما بلغ خبره مسيرهم السلطان وهو محاصر دمشق ارتحل في عساكره الى لقائهم ونزل قريبا من شقحب وأصبحوا

(١) الريمانية بالراء المهملة المسماة الآن بالحصوة خارج القاهرة (من خط الشيخ العطار) .

على التعية وكمشيقا بعساكر حلب في ميمنة السلطان ومنطاش قد عى جيشه وجعل السلطان أمير حاجي والخليفة والقضاة والرماة من ورائهم ووقف معهم تمار تمرراس نوبة وسندمر بن يعقوب شاه أمير سلاح ووقف هو في طائفة من مماليكه وأصحابه في حومة المعترك فلما تراءى الجمعان حمل هو وأصحابه على ميمنة السلطان ففضوها وانهمز كمشيقا الى حلب ومروا في اتباعه ثم عطفوا على مخيم السلطان فنبهوه وأسروا قعجاش ابن عمه كان هناك جريحا ثم حطم السلطان على الذي فيه أمير حاجي والخليفة والقضاة فدخلوا في حكمه ووكل بهم واختلط الفريقان وصاروا في عى من أمرهم والسلطان في لمة من فرسانه يخترق جوانب المعترك ويحطم الفرسان ويشردهم في كل ناحية وشراد مماليكه وأمراته يتساقطون اليه حتى كثف جمعه ثم حمل على بقية العسكر وهم ملتشون على الصفدي فهزمهم ولحقوا بدمشق وضرب خيامه بشقحب ولما وصل منطاش الى دمشق أوهم النائب جتتمر أن الغلب له وأن السلطان أمير حاجي على الأثر ونادى في العساكر بالخروج في السلاح لتلقيه وخرج من الغد موريا بذلك فركب اليهم السلطان في العساكر فهزمهم وأنخن فيهم واستلحم كثيرا من عامّة دمشق ورجع السلطان الى خيامه وبعث أمير حاجي بالتبري من الملك والعجز عنه والخروج اليه من عهده فاحضر الخليفة والقضاة فشهدوا عليه بالخلع وعلى الخليفة بالتفويض الى السلطان والبيعة له والعود الى كرسيه وأقام السلطان بشقحب تسعاً واشتدّ كلب البرد واقتطعت الأقوات لقلة الميرة فأجمع العود الى مصر ورحل يقصدها وبلغ الخبر الى منطاش فركب لاتباعه فلما أطلّ عليه أحجم ورجع واستمرّ السلطان لقصده وقدم حاجب غزة للقبض على ابن باكيش فقبض عليه ولما وافى السلطان غزة ولى عليها مكانه وحمله معتقلا وسار وهو مستطلع أحوال مصر حتى كان ما نذكره ان شاء الله تعالى .

ثورة بكاء والمعتقلين بالقلعة واستيلاؤهم عليها بدعوة السلطان الظاهر
وعوده الى كرسيه بمصر وانتظام أمره

كان منطاش لما فصل الى الشام بسلطانه وعساكره كما مرّ واستخلف على القاهرة دواداره سراي تمر وأنزله بالاصطبل وعلى القلعة بكاء الاشرفي ووكله بالمعتقلين هنالك فأخذوا أنفسهم بالحرز والشدّة وبعد أيام نفي اليهم أن جماعة من ممالك السلطان مجتمعون للثورة وقد داخلوا مماليكهم فبيتوهم وقبضوا عليهم بعد جولة دافع فيها الممالك عن أنفسهم ثم تقبضوا على من داخلهم من مماليكهم وكانوا جماعة كثيرة وحدثت لهم بذلك رتبة واشتداد في الحرز فنادوا

بالوعيد لمن وجد عنده أحد من ممالك السلطان ونقلوا ابن أخت السلطان من بيت أمه الى القلعة وحبسوه وأوعزوا بقتل الامراء المعتقلين بالقيوم فقتلوا وعميت عليهم أنباء منطاش والعساكر وبعثوا من يقتص لهم الطريق ويسائل الركبان واعتزموا على قتل المسجونين بالقلعة ثم تلاوموا في ذلك ورجعوا الى التضييق عليهم ومنع المترددين بأقواتهم فضاقت أحوالهم وضجروا وأهملتهم أنفسهم وفي خلال ذلك عثر بعضهم على منفذ الى سرب تحت الارض يقضي الى حائط الاسطبل ففرحوا بذلك وتنسموا ريح الفرج ولما أظلمت ليلة الاربعاء غرّة صفر سنة اثنتين وتسعين مرّوا في ذلك السرب فوجدوا فيه آلة النقب فتقبوا الحائط وأفضوا الى أعلى الاسطبل وتقدّم بهم خاصكي من أكابر الخاصكية وهجموا على الحراس فثاروا اليهم فقتلوا بعضهم بالقيود من أرجلهم وهرب الباقون ونادوا شعبان بكّا نائب القلعة يوهمون أنه انتقض ثم كسروا باب الاسطبل الأعلى والاسفل وأفضوا الى منزل سراي تمر فأيقظه لغتهم وهلع من شأن بكّا فأرمى نفسه من السور ناجيا ومرّ بالحاجب قطلوبغا ولحق بمدرسة حسن وقد كان منطاش أنزل بها ناشبة من التركمان لحماية الاسطبل وأجرى لهم الارزاق وجعلهم لنظر تنكّر رأس نوبة ثم هجم أصحاب بكّا على بيت سراي تمر فنهبا ماله وقاشه وسلاحه وركبوا خيله واستولوا على الاسطبل وقرعوا الطبول ليلتهم وقاتلهم بكّا من الغد وسرب الرجال الى الطبلخانات فملكها ثم أزعجوه عنها وزحف سراي تمر وقطلوبغا الحاجب الى الاسطبل لقتالهم وبرزوا اليهم فقاتلوه واعتصموا بالمدرسة واستولى بكّا على أمره وبعث الى باب السر من المدرسة ليحرقه فاستأمن اليه التركمان الذين به فأنزلهم على الامان وسرّب أصحابه في البلد لنهب بيوت منطاش وأصحابه فعاثوا فيها وتسلل اليه ممالك السلطان المختفون بالقاهرة فبلغوا ألفا أو يزيدون ثم استأمن بكّا من الغد فأمنه سودون النائب وجاء به الى الناصري أمير سلاح ودمرداش وكان عنده فحبسها بكّا ثم وقف سودون على مدرسة حسن والارض تموج بعوالم النظارة فاستنزل منها سراي تمر وقطلوبغا الحاجب فترا على أمانه وهمّ العوالم بهما فحال دونها وجاء بهما الى بكّا فحبسها وركب سودون يوم الجمعة في القاهرة ونادى بالامان والخطبة للسلطان فخطب له من يومه وأمر بكّا بفتح السجون واخراج من كان فيها في حبس منطاش وحكام تلك الدولة وهرب الوالي حسن بن الكوراني خوفا على نفسه لما كان شيعا لمنطاش على ممالك السلطان ثم عثر عليه بكّا وحبسه مع سائر شيعة منطاش وأطلق جميع الأمراء الذين حبسهم بمصر ودمياط والقيوم ثم بعث الشريف عنان بن مقامس أمير بني حسن بمكة وكان محبوسا وخرج معهم فبعثه مع أخيه

أيضا على الهجن لاستكشاف خبر السلطان ووصل يوم الاحد بعدها كتاب السلطان مع ابن صاحب الدرك سيف بن محمد بن عيسى العائدي باعداد الميرة والعلوفة في منازل السلطان على العادة وقص خبر الواقعة وأن السلطان توجه الى مصر وانتهى الى الرملة ثم وصل أيضا أخوبكا يوم الاربعاء ثامن صفر بمثل ذلك وتتابع الواصلون من عسكر السلطان ثم نزل بالصالحية وخرج السلطان لتلقيه بالعكرشة ثم أصبح يوم الثلاثاء رابع صفر في ساحة القلعة وقلده الخليفة وعاد الى سريره ثم بعث عن الامراء الذين كان حبسهم منطاش بالاسكندرية وفيهم الناصري والجوباني وابن بيبقا وقرادمرdash وأبغا الجوهرى وسودون باق وسودون الطرنطاي وقردمر المعلم في آخرين متعددين واستعقبوا للسلطان فأعتبهم وأعادهم الى مراتبهم وولى انيال اليوسني اتابكا والناصرى أمير سلاح والجوباني رأس نوبة وسودون نائبا وبكادادار وقرقاش استاذ دار وكمشيقا الخاصكي أمير مجلس وتظلميش أمير الماخورية وعلاء الدين كاتب سر الكرك كاتب سرّه بمصر وعمر سائر المراتب والوظائف وتوفي قرقاش فولى محمود استاذ داره الأول ورعى له سوابق خدمته ومحنة العدوّ له في محبته وانتظم أمر دولته واستوثق ملكه وصرف نظره الى الشام وتلافيه من مملكة العدو وفساده والله تعالى أعلم .

ولاية الجوباني على دمشق واستيلاؤه عليها من يد منطاش ثم هزيمته ومقتله وولاية الناصري مكانه

لما استقرّ السلطان على كرسيه بالقاهرة وانتظمت أمور دولته صرف نظره الى الشام وشرع في تجهيز العساكر لازعاج العدو منه وعين الجوباني لنيابة دمشق ورياسة العساكر والناصرى لحلب لأن السلطان كان عاهد كمشيقا على اتابكية مصر وعين قرادمرdash لطرابلس مأمونا القلحطاوي لحماة فولى في جميع ممالك الشام ووظائفه وأمرهم بالتجهيز ونودي في العساكر بذلك وخرجوا ثامن جمادى الاولى من سنة اثنى وتسعين وكان منطاش قد اجتهد جهده في طي خبر السلطان بمصر عن أمرائه وسائر عساكره وما زال يفشوحى شاع وظهر بين الناس فانصرف هواهم الى السلطان وبعث في أثناء ذلك الأمير ايمازر نائبا على حلب فاجتمع اليه أهل كانفوسا وحاصر كمشيقا بالقلعة نحو من خمسة أشهر وشدّ حصارها وأحرق باب القلعة والجسر ونقب سورها من ثلاثة مواضع واتصل القتال بين الفريقين في أحد الأنقاب لشهرين على ضوء الشموع ثم بعث العساكر الى بعلبك مع محمد بن سندمر في نفر من قرابته وجنده فقتلهم منطاش بدمشق أجمعين ثم أوعز الى قشتمر الأشرفي نائب طرابلس بالمسير

الى حصار صفد فسار اليها وبرز اليه جندها فقاتلوه وهزموه فجهز اليها العساكر مع ابقا الصفدي كبير دولته فسار اليها في سبعائة من العساكر وقد كان لما تيقن عنده استيلاء السلطان على كرسيه بمصر جنح الى الطاعة والاعتصام بالجماعة وكاتب السلطان بمغامره ووعدده فلما وصل الى صفد بعث الى نائبها بطاعته وفارق أصحاب منطاش ومن له هوى فيه وصفوا اليه وبات ليلته بظاهر صفد وارتحل من الغد الى مصر فوصلها منتصف جمادى الأخيرة وأمراء الشام معسكرين مع الجوباني بظاهر القلعة فأقبل السلطان عليه وجعله من أمراء الالوف ولما رجع أصحابه من صفد الى دمشق اضطرب منطاش وتبين له نكر الناس وارتاب بأصحابه وقبض على جماعة من الامراء وعلى جتتم نائب دمشق وابن جرجي من أمراء الالوف وابن قفجق الحاجب وقتله والقاضي محمد بن القرشي في جملة من الأعيان واستوحش الناس ونفروا عنه واستأمنوا الى السلطان مثل محمد بن سندمر وغيره وهرب كاتب السربدر الدين بن فضل الله وناظر الجيش وقد كانوا يوم الواقعة على شقحب لحقوا بدمشق يظنون أن السلطان يملكها يومه ذلك فبقوا في ملكة منطاش وأجمعوا الفرار مرة بعد أخرى فلم يتبأ لهم وشرع منطاش في الفتك بالمتسعين الى السلطان من المالك المحبوسين بالقلعة وغيرهم وذبح جماعة من الجراكسة وهم بقتل اشمس فدفعه الله عنه وارتحل الامراء من مصر في العساكر السلطانية الى الشام مع الجوباني يطوون المراحل والامراء من دمشق يلقونهم في كل منزلة هاربين اليهم حتى كان آخر من لقيهم ابن نصير أمير العرب بطاعة أبيه ودخلوا حدود الشام ثم ارتبك منطاش في أمره واستقرّ الخوف والهلع والاسترابة بمن معه فخرج منتصف جمادى الأخيرة هاربا من دمشق في خواصه وأصحابه ومعه سبعون حملا من المال والأقشة واحتمل معه محمد بن اينال وانتقض عليه جماعة من المالك فرجعوا به الى أبيه وكان يعبر بن جبار أمير آل فضل مقيما في أحيائه ومعه أحياء آل مر وأميرهم عنقا ، فلحق بهم هنالك منطاش مستجيرا فأجاروه ونزل معهم ولما فصل منطاش عن دمشق خرج أشمس من محبسه وملك القلعة ومعه ممالك السلطان معصوبون عليه وأرسل الجوباني بالخبر فاغذ السير الى دمشق وجلس بموضع نيابته وقبض على من بقي من أصحاب منطاش وخدمه مع من كان حبس هو معهم ووصل الطنبقا الحلبي ودمرداش اليوسفي من طرابلس وكان منطاش استقدمهم وهرب قبل وصولهم وبلغ الخبر الى ايمار تمر وهو يحاصر حلب وأهل كافوسا معصوبون عليه فأجفل ولحق بمنطاش وركب كمشيقا من القلعة اليهم بعد أن أصلح الجسر وأركب معه الحجاب وقاتل أهل كافوسا ومن معهم من أشياع منطاش

ثلاثة أيام ثم هزمهم وقتل كمشيقا منهم أكثر من ثمانمائة وخرب كافوسا فأصبحت خرابا وعمر القلعة وحصنها وشحنها بالاقوات وبعث الجوباني العساكر الى طرابلس وملكوها من يد قشتمر الأشرفي نائب منطاش من غير قتال وكذلك حماة وحمص ثم بعث الجوباني نائب دمشق وكافل الممالك الشامية الى يعبر بن جبار أمير العرب باسلام منطاش واخراجه من أحيائه فامتنع واعتذر فبرز من دمشق بالعساكر ومعه الناصري وسائر الامراء ونهض الى مصر فلما انتهوا الى حمص أقاموا بها وبعثوا الى يعبر يعتذرون اليه فلج واستكبر وحال دونه وبعث اليه اشمس خلال ذلك من دمشق بأن جماعة شيعة بنذمر وجتتمر يرومون الثورة فركب الناصري الى دمشق وكبسهم وأثنخ فيهم ورجع الى العسكر وارتحلوا الى سلمية واستمر يعبر في غلوائه وترددت الرسل بينهما فلم تغن ثم كانت بين الفريقين حرب شديدة وحملت العساكر على منطاش والعرب فهزمهم الى الخيام واتبع دمرداش منطاش حتى جاوز به الحي وارتحلت العرب وحملوا بظانهم على العسكر فلم يثبتوا لحملتهم وكان معهم آل علي يجمعهم فنبههم من ورائهم وانهمزوا وأفرد الجوباني مماليكه فأسره العرب وسبق الى يعبر فقتله ولحق الناصري بدمشق وأسر جماعة من الامراء وقتل منهم أيقا الجوهرى ومأمون المعلم في عدد آخرين ونهب العرب مخيمهم وأثقالهم ودخل الناصري الى دمشق فبات ليلته وباكر من الغد آل علي في أحيائهم فكبسهم واستلجم منهم جماعة فثار منهم بما فعلوه في الواقعة ثم بعث اليه السلطان بناية دمشق منتصف شعبان من السنة فقام بأمرها وأحكم التصريف في حمايتها والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده .

* (إعادة محمود الى استاذية الدار واستقلاله في الدولة) *

هذا الرجل من ناشئة الترك وولدانهم ومن أعقاب كراي المنصوري منهم شب في ظل الدولة ومرعى نعمها ونهض بنفسه الى الاضطلاع والكفاية وباشر كثيرا من أعمال الأمراء والوزراء حتى أوفى على ثنية النجابة وعرضته الشهرة على اختيار السلطان فعجم عوده ونقد جوهره ثم الحق به اغراض الخدمة ببابه فأصاب شاكلة الرمية ومضى قدما في مذاهب السلطان مرهف الحد قوي الشكيمة فصدق ظنه وشكر اختياره ثم دفعه الى معاينة الحبس وشدّ الدواوين من وظائف الدولة فجلا فيها وهلك خلال ذلك استاذ الدار بهادر المنجكي سنة تسعين فأقامه السلطان مكانه قهرمانا لداره ودولته وانتصاره على دواوين الجباية من قراب اختياره ونقده جماعة للاموال غواصا على استخراج الحقوق السلطانية قارمنا للكنوز

اكسيرا للنقود مغناطيسا للقتية يسابق أقلام الكتاب ويستوفى تفاصيل الحساب بمدارك الهامة وتصور صحيح وحديث ثاقب لا يرجع الى حذاقة الكتاب ولا الى اسر الاعمال بل يتناول الصعاب فيذلها ويحوم على الأغراض البعيدة فيقربها وربما يحاضر بذكائه في العلوم فينقذ في مسائلها ويفحم جهابذتها موهبة من الله اختصه بها ونعمة أسبغ عليه لبوسها فقام بما دفع اليه السلطان من ذلك وأدرّ خروج الجباية فضاقت افنية الحواصل والخزائن بما تحصل وتسرب اليها وكفى السلطان مهمة في دولته وممالكه ورجاله بما يسوّج لهم من نعمه ويوسع من أرزاقه وعطائه حتى أزاح عنهم بتوالي انفاقه وقرّت عين السلطان باصطناعه وغص به الدواوين والحاشية ففوقوا اليه سهام السعاية وسلطوا عليه السنة المتظلمين فخلص من ذلك خلوص الابريز ولم تعلق به ظنة ولا حامت عليه ريبة ثم طرق الدولة ما طرقتها من النكبة والاعتقال وادعته المحنة غيابات السجون وحفت به أنواع المكاره واصطلمت نعمته واستصفيت أمواله في المصادرة والامتحان حتى زعموا أن الناصري المتغلب يومئذ استأثر منه بخمسة قناطير من دنانير الذهب ومنطاش بعده بخمسة وخمسين ثم خلس ابريزه من ذلك السبك وأهل قره بعد المحاق واستقل السلطان من نكبته وطلع بافق مصره وتمهد أريكة ملكه ودفعه لما كان بسبيله فأحسن الكثرة في الكفاية لمهمه وتوسيع عطاياه وأرزاقه وتمكين أحوال دولته وتسربت الجباية من غير حساب ولا تقرير الى خزائنه وأحسن النظر في الصرف والخرج بحزمه وكفايته حتى عادت الامور الى أحسن معهودها بيمن تعييته وسديد رأيه وصلابة عوده وقوة صرامته مع بذل معروفه وجاهه لمن تحت يده وبشاشته وكفايته لغاشيته وحسن الكرامة لمتنابه ومقابلة من يأتي اليه بكرم مقاصده فأصبح طرازاً للدولة وتاجاً للخواص وقذفه المنافسون بخطا السعايات فزلت في جهات حلم السلطان وجميل اغتيباطه وثبتته حتى أعييتهم المذاهب وانسلت عليهم الطرق ورسخت قدمه في الدولة واحتل من السلطان بكرم العهد والذمة ووثق بغنائه واضطلاعه فرمى اليه مقاليد الامور وأوطأ عقبه أعيان الخاصة والجمهور وأفرده في الدولة بالنظر في الأمور حسبانا وتقديرا وجمعا وتقريراً وكترًا موفرا وصرفا لا يعرف تبذيرا وبطرا وفي الانهاء بالعزل والاهانة مشهورا مع ما يمتاز به من الامر والشأن وسمو مرتبته على مرّ الازمان وهو على ذلك لهذا العهد عند سفر السلطان الى الشام لمدافعة سلطان المغل كما مرّ ذكره والله متولي الأمور لا رب غيره .

مسير منطاش ويعبر الى نواحي حلب وحصارها ثم مفارقة يعبر وحصاره عنتاب ثم رجوعه

ولما انهزمت العساكر بسلمية كما قلنا ارتحل يعبر في أحيائه ومعه منطاش وأصحابه الى نواحي حلب وسار يعبر الى بلد سرمين من اقطاعه ليقسمها في قومه على عادتهم وكان كمشيقا نائب حلب قد أقطعها الجند من التركان في خدمته فلما وافاها يعبر هربوا الى حلب فلقوا في طريقهم احمد بن المهدي في العساكر وقد نهض الى يعبر فرجعوا عنه ولقيهم علي بن يعبر فقاتلوه وهزموه وقتلوا بعض أصحابه صبوا ورجع يعبر الى أحيائه وارتحلوا الى حلب فحاصروها وضيقوا عليها أيام رمضان ثم راجع يعبر نفسه وراسل كمشيقا نائب حلب في الطاعة واعتذر عما وقع منه وطوق الذنب بالجوياني وأصحابه أهل الواقعة وسال الامان مع حاجبه عبد الرحمن فأرسله كمشيقا الى السلطان وأخبره بما اشترط يعبر فأجابه السلطان الى سؤاله وشعر بذلك منطاش بمكانه من حصار حلب فارتاب وخادع يعبر الى الغارة على التركان بقرهم فأذن للعرب في المسير معه وسار معه منهم سبعمائة فلما جاوز الدربند أرجلهم عن الخيل وأخذها ولحق بالتركان ونزل بمرعش بلد أميرهم سولي ورجع العرب مشاة الى يعبر فارتحل الى سبيله راجعا وسار منطاش الى عنتاب من قلاع حلب ونائبها محمد بن شهري فللكها واعتصم نائبها بالقلعة أياما ثم ثبت منطاش وأثنى في أصحابه وقتل جماعة من أمرائه وكانت العساكر قد جاءت من حلب وحماة وصدد لقتاله فهرب الى مرعش وسار منها الى بلاد الروم واضمحل أمره وفارقه جماعة من أصحابه الى العساكر وراجعوا طاعة السلطان آخر ذي العقدة من سنة اثنتين وسبعين وبعث سولي بن دلقادر أمير التركان في عشر ذي الحجة يستأمن الى السلطان فأمنه وولاه على البلستين كما كان والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (قدوم كمشيقا من حلب) *

قد كان تقدّم لنا أنّ كمشيقا الحموي رأس نوبة بيقا كان نائبا بطرابلس وأنّ السلطان عزله وجبسه بدمشق فلما استولى الناصري على دمشق أطلقه من الإعتقال وجاء في جملته إلى مصر فلما ولي على ممالك الشام وأعمالها وولاه على حلب مكانه متصرف إحدى وسبعين ولما استقل السلطان من النكبة وقصد دمشق كما مرّ أرسل كمشيقا إليه بطاعته ومشايعته على أمره وأظهر دعوته في حلب وما إليها من أعماله ثم سار السلطان الى دمشق وحاصرها وامتدّه كمشيقا بجميع

ما يحتاج إليه ثم جاءه بنفسه في عساكر حلب صريخاً وحمل إليه جميع حاجاته وأزاح عنه وأقام له رسوم ملكه وشكر السلطان أفعاله في ذلك وعاهده على أتابكية مصر ثم كانت الواقعة على شقحب فانهمز كمشيقا إلى حلب فامتنع بها وحاصره يمازتمر أتابك منطاش أشهراً كما مرّ ثم هرب منطاش من دمشق إلى العرب فأفرج أيمازتمر عن حلب ثم كانت واقعة الجوباني ومقتله وزحف منطاش ويعبر إلى حلب فحاصروها مدة ثم وقع الخلاف بينها وهرب منطاش إلى بلاد التركان ورجع يعبر إلى بلده سلمية واستأن إلى السلطان ورجع إلى طاعته متتصف شوال ولما أفرجوا عن حلب نزل كمشيقا من القلعة ورمّ خرابها وخرب بانفوسا واستلحم أهلها وأخذ في إصلاح أسوار حلب ورمّ ما ثلم منها وكانت خراباً من عهد هلاكو وجمع له أهل حلب ألف ألف درهم للنفقة فيه وفرغ منه لثلاثة أشهر ولما استوسق أمر السلطان وانتظمت دولته بعث إليه يستدعيه في شهر ذي الحجة سنة اثنتين وتسعين وولى مكانه في حلب قراد مرداش نقله إليها من طرابلس وولى مكانه أنيال الصغير فسار كمشيقا من حلب ووصل مصر تاسع صفر سنة ثلاث وتسعين فاهتزله السلطان وأركب الأمراء للقاءه مع النائب ثم دخل إلى السلطان فحياه وبالع في تكريمته وتلقاه بالرحب ورفع مجلسه فوق الأتابك أنيال وأنزله بيت منجك وقد هيا فيه من الفرش والماعون والخزنى ما فيه للمنزل ثم بعث إليه بالأقشنة وقرب إليه الجياد بالمراكب الثقيلة وتقدّم للأمراء أن يتحفوه بهداياهم فتناغوا في ذلك وجاؤا من وراء الغاية وحضر في ركابه من أمراء الشام الطنبيقا الأشرفي وحسن الكشكي فأكرمها السلطان واستقرّ كمشيقا بمصر في أعلى مراتب الدولة إلى أن توفي أنيال الأتابك في جمادى أربع وتسعين فولاه السلطان مكانه كما عاهده عليه بشقحب وجعل إليه نظر المارستان على عادة الأتابكية واستمرّ على ذلك لهذا العهد والله سبحانه وتعالى أعلم بغيه .

* (استقدام أيتمش) *

كان أيتمش النجاشي أتابك الدولة قد نكبه السلطان وسار في العساكر إلى الشام متتصف ربيع إحدى وتسعين لقتال الناصري وأصحابه لما إنتقض عليه وكانت الواقعة بينهم بالمرج من نواحي دمشق وإنهزمت العساكر ونجا أيتمش إلى قلعة دمشق ومعه كتب السلطان في دخولها متى إضطر إليه فامتنع بها وملكها الناصري من الغد بطاعة نائبا ابن الحمصي فوكل بايتمش وأقام حبيساً موسعاً عليه ثم سار الناصري إلى مصر وملكها وعاد السلطان إلى كرسية

في صفر سنة إثنين وتسعين كما فصل ذلك من قبل وأيتمش في أثناء ذلك كله محبوس بالقلعة ثم زحف الجوباني في جمادى الأخيرة وخلص أيتمش من اعتقاله وفتح ممالك السلطان السجن الذي كانوا فيه بقلعة دمشق وخرجوا وأعصوبوا على أيتمش قبل مجيء الجوباني وبعث إليه بالخبر وبعث الجوباني إلى السلطان بمثل ذلك فتقدم إليه السلطان بالمقام بالقلعة حتى يفرغ من أمر عدوه ثم كان بعد ذلك واقعة الجوباني مع منطاش والعرب ومقتله وولاية الناصري على دمشق مكانه ثم افترق العرب وفارقهم منطاش إلى التركمان وانتظمت ممالك الشام في ملكة السلطان واستوسق ملكه واستفحلت دولته فاستدعي الأمير أيتمش من قلعة دمشق وسار لاستدعائه قنوباي من ممالك السلطان ثامن ربيع الأول سنة ثلاث وتسعين ووصل إلى مصر رابع جمادى الأولى من السنة ووصل في ركابه حاجب الحجاب بدمشق ومعه الأمراء الذين حبسوا بالشام منهم جتتمر نائب دمشق وابنه وابن أخته وأستاذ داره طنبقا ودمرداش اليوسفي نائب طرابلس والطنبقا الحلبي والقاضي أحمد بن القريشي وفتح الدين بن الرشيد وكتب السر في ست وثلاثين نفراً من الأمراء وغيرهم ولما وصل أيتمش قابله السلطان بالكرمة والرحب وعرض الحاجب المساجين الذي معه ووبخ السلطان بعضهم ثم حبسوا بالقلعة حتى نفذ فيهم قضاء الله وقتلوا مع غيرهم ممن أوجبت السياسة قتلهم والله تعالى مالك الأمور لا رب سواه إنتهى .

* (هدية أفريقية) *

كان السلطان قد حصل بينه وبين سلطان أفريقية أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي بكر بن أبي حفص الموحي مودة والتثام وكانت كثيراً ما تجددها الهدايا من الجانبين ونذكرها إن شاء الله تعالى ولما بلغ الخبر إلى تونس بما كان من نكبة السلطان وما كان أمره امتعض له هذا السلطان بتونس وتفجع لشأنه وأقام يستطلع خبره ويستكشف من الجار التي تحضر إلى مصر من أهل تونس أنباءه حتى وقف على الحلبي من أمره وما كيف الله من أسباب السعادة في خلاصه وعوده إلى كرسية فلا السرور جوانحه وأوفد عليه بالتهنئة رسوله بهدية من المقربات على سبيل الوداد مع خالصة من كبراء الموحدين محمد بن أبي هلال فوصل في العشر الاواخر من رمضان سنة إثنين وتسعين فتلقاه السلطان بالكرامة وركب محمود أستاذ داره ليتلقاه عند نزوله من البحر بساحل بولاق وأنزل ببيت طشتمر بالرميلة قبالة الإصطبل وأجريت عليه النفقة بما لم يجر لأمثاله ورغب من السلطان في الحج فحج وأصبح هدية

إلى مرسله من ثياب الوشي والديباج والسلاح بما لم يعهده مثلها وإنصرف آخر ربيع سنة ثلاث وتسعين والله تعالى أعلم بغيبه .

* (حصار منطاش دمشق ومسير السلطان من مصر إليه وفراره ومقتل الناصري) *

لم يزل منطاش شريداً عند التركمان منذ فارق العرب ولما كان منتصف سنة ثلاث وتسعين اعترزم على قصد دمشق ويقال أن ذلك كان بإغراء الناصري يخادعه بذلك ليقبض عليه فسار منطاش من مرعش على نواحي حلب وتقدم خبره إلى حماة فهرب نائبا إلى طرابلس ودخل منطاش حماة ونادى فيها بالأمان ثم سار منها إلى حمص كذلك ثم إلى بعلبك وهرب نائبا إلى دمشق فخرج الناصري نائب دمشق في العساكر لمدافعته وسار على طريق الريداني فخالفه منطاش إلى دمشق وقدم إليها أحمد شكار بن أبي بندمر فثار شيعة الخوارزمية والبندمرية وفتحوا له أبواب البلد ومرت باصطبلات فقاد منها نحو من ثمانمائة فرس وجاء منطاش من الغد على أثره فنزل بالقصر الأبلق وأنزل الأمراء الذين معه في البيوت حوالي القصر وفي جامع سكن وجامع بيقا وشرع في مصادرة الناس والفريضة عليهم وأقام يومه في ذلك وإذا بالناصرى قد وصل عساكره فاقتتلوا عشية ذلك اليوم مرات ومن الغد كذلك وأقام كل واحد منهما في حومته والقتال متصل بينهما سائر رجب وشعبان ولما بلغ الخبر إلى السلطان إرتاب بالناصرى وإتهمه بالمداهنة في أمر منطاش وتجهز لقصد الشام وأدى في العساكر بذلك عاشر شعبان وقتل أهل الخلاف من الأمراء المحبوسين وأشخص البطالين من الأمراء إلى الإسكندرية ودمياط وخرج يوم عشرين شعبان فخيم بالريدانية حتى أزاح علل العساكر وقضوا حاجاتهم واستخلف على القاهرة الأتابك كمشيقا الحموي وأنزله الإصطبل وجعل له التصرف في التولية والعزل وترك بالقاهرة من الأمراء جماعة لنظر الأتابك وتحت أمره وأنزل النائب سودون بالقلعة وترك بها ستمائة من مماليكه الأصاغر وأخرج معه القضاة الأربعة والمفتين وإرتحل غرة رمضان من السنة بقصد الشام وجاء الخبر رابع الشهر بأن منطاش لما بلغه مسيرة السلطان من مصر هرب من دمشق منتصف شعبان مع عنقا بن^(١) أمير آل مرء الصريخ منطاش فكانت بينهما وقعة إنهمز فيها الناصري وقتل

(١) كذا بياض بالأصل ، ولم نعرف في المراجع التي بين أيدينا على إسم والد عنقا .

جماعة من أمراء الشام نحو خمسة عشر فهم إبراهيم بن منبج وغيره ثم خرج الناصري من الغد في إتباع منطاش وقد ذكر له أن الفلاحين نزعوا من نواحي دمشق واحتاطوا به فركب إليه منطاش ليقاتله ففارقه أتاكبه يماز تمز إلى الناصري في أكثر العساكر وولي هارباً ورجع الناصري إلى دمشق وأكرم ايماز تمز وأجمل له الوعد وجاءه الخبر بأن السلطان قد دخل حدود الشام فسار ليلقاه فلقيه بقانون وبالع السلطان في تكرمته وترجل حين نزوله وعانقه وأركبه بقربه وردّه إلى دمشق ثم سار في أثره إلى أن وصل دمشق وخرج الناصري ثانية ودخل إلى القلعة ثاني عشر رمضان من السنة والأمراء مشاة بين يديه والناصري راكب معه يحمل الخبز على رأسه وبعث يعبر في كتاب نائب حماة بالعدو عما وقع منه وأنه إتهم الناصري في أمر منطاش فقصد حسم الفتنة في ذلك واستأمن السلطان وضمن له إحضار منطاش من حيث كان فأمنه وكتب إليه بإجابة سؤاله ولما قضى عيد الفطر برز من دمشق سابع شوال إلى حلب في طلب منطاش ولقيه أثناء طريقه رسول سولي بن دلقادر أمير التركان بهديته واستمأنه وعذره عن تعرضه لسياس وأنه يسلمها لنائب حلب فقبل السلطان منه وأمنه ووعدّه بالجميل ثم وفد عليه أمراء آل مهنا وآل عيسى في الطاعة ومظاهرة السلطان على منطاش ويعبر وأنها نازلان بالرحبة من تخوم الشام فأكرم السلطان وفادتهم وتقبل طاعتهم وسار إلى حلب ونزل بالقلعة منها ثاني شوال ثم وصل الخبر إلى السلطان بأن منطاش فارق يعبرا ومّر ببلاد ماردين فواقعه عساكر هناك وقبضوا على جماعة من أصحابه وخلص هو من الواقعة إلى سالم الرودكاري من أمراء التركان فقبض عليه وأرسل إلى السلطان يطالعه بشأنه ويطلب بعض أمراء السلطان قراة مرداش نائب حلب في عساكره إلى سالم الرودكاري لإحضار منطاش وأتبعه بالناصري وأرسل الأتابك إلى ماردين لإحضار من حصل من أصحاب منطاش وإنهى أنيال إلى رأس العين وأتى أصحاب سلطان ماردين وتسلم منهم أصحاب منطاش وكتب سلطانهم بأنه معتمل في مقاصد السلطان ومرتصد لعدوه وإنهى قراة مرداش إلى سالم الرودكاري وأقام عنده أربعة أيام في طلب منطاش وهو يماطله فأغار قراة مرداش عليه ونهب أحياءه وفتك في قومه وهرب هو ومنطاش إلى سنجار وجاء الناصري على أثر ذلك ونكر على دمرداش ما أتاه وارتفعت الملاحة بينهما حتى همّ الناصري به ورفع الآلة بضربه ولم يحصل أحد منهم بطائل ورجعوا بالعساكر إلى السلطان وكتب إليه سالم الرودكاري بالعدو عن أمر منطاش وأن الناصري كتب إليه وأمره بالمحافظة على منطاش وأن فيه زبونا للترك فجلس السلطان بالقلعة جلوساً ضخماً سادس ذي الحجة من السنة

واستدعى الناصري فوبخه ثم قبض عليه وعلى ابن أخيه كشلي ورأس نوبة شيخ حسن وعلى أحمد بن الهمدار الذي أمكنه من قلعة حلب وأمر بقتله وقشتمر الأشرفي الذي وصل من ماردين معهم وولى على نيابة دمشق مكانه بطا الدوادار وأعطى إقطاعه لقراد مرداش وأمره بالمسير إلى مصر وولى مكانه بجلب حلبان رأس نوبة وولى أبا يزيد دوادارا مكان بطا ورعى له وسائله في الخدمة وتردّده في السفارة بينه وبين الناصري أيام ملك الناصري وأجلب على مصر وأشار عليه الناصري بالانتقاء كما ذكرناه فاختمى عند أصحاب أبي يزيد هذا بسعايته في ذلك ثم إرتحل من حلب ووصل إلى دمشق منتصف ذي الحجة وقتل بها جماعة من الأمراء أهل الفساد يبلغون خمسة وعشرين وولى على العرب محمد بن مهنا وأعطى إقطاع يعبر لجماعة من التركان وقتل إلى مصر ولقيه الأتابك كمشيقا والنائب سودون والحاجب سكيكس ثم دخل إلى القلعة على التعبية منتصف المحرم سنة أربع وتسعين في يوم مشهود ووصل الخبر لعاشر دخوله بوفاة بطا نائب دمشق فولى مكانه سودون الطرنطاي ثم قبض في منتصف صفر على قراد مرداش الأحمدي وهلك في محبسه وقبض على طنبقا المعلم وقراد الحسيني وجاء الخبر أواخر صفر من السنة بأن جماعة من الممالك مقدمهم إيقا دوادار بذلار لما هلك بطا واضطرب أصحابه وهرب بعضهم عمد هؤلاء الممالك إلى قلعة دمشق وهجموا عليها وملكوها ونقبوا السجن وأخرجوا المعتقلين به من أصحاب الناصري ومنطاش وهم نحو المائة وركبت العساكر إليها وحاصروها ثلاثا ثم هجموا على الباب فاحرقوه ودخلوا إلى القلعة فقبضوا عليهم أجمعين وقتلوهم وفر إيقا دوادار بذلار في خمسة نفر وانحسرت عليهم ثم وصل الخبر آخر شعبان من السنة بوفاة سودون الطرنطاي فولى السلطان مكانه كمشيقا الأشرفي أمير مجلس وولى مكان كمشيقا أمير شيخ الحاجكي إنتهى والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (مقتل منطاش) *

كان منطاش قر مع سالم الرودكاري إلى سنجار وأقام معه أياما ثم فارقه ولحق بيعبر فأقام في أحيائه وأصهر إليه بعض أهل الحي بابته فتزوجها وأقام معهم ثم سار أول رمضان سنة أربع وتسعين وعبر الفرات إلى نواحي حلب وأوقعت به العساكر هناك وهزمهم وأسروا جماعة من أصحابه ثم طال على يعبر أمر الخلاف وضجر قومه من إفتقاد الميرة من التلول فأرسل حاجبه يسأل الأمان وأنه يمكن من منطاش على أن يقطع أربع بلاد منها المعرة فكتب له الدوادار

أبو يزيد على لسانه بالإجابة الى ذلك ثم وفد محمد بن^(١) سنة خمس وتسعين فأخبر أنه كان مقيماً بسلمية في أحيائه ومعه التركمان المقيمون بشيزر فركبوا إليهم وهزموهم وضرب بعض الفرسان منطاش فأكبه وجرحه ولم يعرف في المعركة لسوء صورته بما أصابه من الشظف والحفاء فأردفه ابن يعبر ونجابه وقتل منهم جماعة منهم ابن بردعان وابن أنيال وجيء برؤسها إلى دمشق وأوعز السلطان إلى أمراء الشام أن يخرجوا بالعساكر وينفوه إلى أطراف البلاد لحمايتها حتى يرفع الناس زروعهم ثم زحف يعبر ومنطاش في العساكر أول جبادى الأخيرة من السنة إلى سلمية فلقبهم نائب حلب ونائب حماة فهزموهم ونهبوا حياهم وخالفهم نائب حلب إلى أحياء يعبر فأغار عليها ونهب سوادها وأموالها واستاق نعمها ومواشيها وأضرم النار فيما بقي وأكمن لهم ينتظر رجوعهم وبلغهم الخبر بجأة فأسرعوا الكر إلى أحيائهم فخرج عليهم الكمائن وأثخنوا فيهم وهلك بين الفريقين خلق من العرب والأمراء والمالِك ثم وفد على السلطان أواخر شعبان عامر بن طاهر بن جبار طائعاً للسلطان ومنازلاً لعمه وذكوان بن يعبر على طاعة السلطان وأنهم يمكنون من منطاش متى طلب منهم فأقبل عليه السلطان وأقل كاهله بالاحسان والمواعيد ودس معه إلى بني يعبر بامضاء ذلك ولهم ما يختارونه فلما رجع عامر ابن عمهم طاهر بمواعيد السلطان تفاوضوا مع آل مهنا جميعاً ورغبوهم فيما عند السلطان ووصفوا ما هم فيه من الضنك وسوء العيش بالخلاف والانحراف عن الطاعة وعرضوا على يعبر بأن يحييهم إلى إحدى الحسينين من إمساك منطاش أو تخليه سبيلهم إلى طاعة السلطان ويفارقهم هو إلى حيث شاء من البلاد فجزع لذلك ولم يسعه خلافهم وأذن لهم في القبض على منطاش وتسليمه إلى نواب السلطان فقبضوا عليه وبعثوا إلى نائب حلب فيمن يتسلمه واستحلفوه على مقاصدهم من السلطان لهم ولأبيهم يعبر فحلف لهم وبعث إليهم بعض أمرائه فامكنوه منه وبعثوا معه الفرسان والرجالة حتى أوصلوه ودخل إلى حلب في يوم مشهود وحبس بالقلعة وبعث السلطان أميراً من القاهرة فاقتمحه وقتله وحمل رأسه وطاف به في ممالك الشام وجاء به إلى القاهرة حادي عشر رمضان سنة خمس وتسعين فعلفت على باب القلعة ثم طيف بها مصر والقاهرة وعلقت على باب زويلة ثم دفعت إلى أهله فدفنوها آخر رمضان من السنة والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

(١) بياض بالأصل في جميع النسخ ولم نعرف في المراجع التي بين أيدينا على إسم والده .

* (حوادث مكة) *

قد كان تقدّم لنا أنّ عنان بن مقامس ولاء السلطان على مكة بعد مقتل محمد بن أحمد بن عجلان في موسم سنة ثمان وثمانين وأن كنيش بن عجلان أقام على خلافه وحاصره بمكة فقتل في حومة الحرب سنة تسع بعدها وساء أثر عنان وعجز عن مغالبة الأشراف من بني عمه وسواهم وامتدّت أيديهم إلى أموال المجاورين وصادروهم عليها ونهبوا الزرع الواصل في الشواني من مصر إلى جدّة للسلطان والأمراء والتجار ونهبوا تجار اليمن وساءت أحوال مكة بهم وبتابعهم وطلب الناس من السلطان إعادة بني عجلان لإمارة مكة ووفد على السلطان بمصر سنة تسع وثمانين صبيّ من بني عجلان اسمه علي فولاه على إمارة مكة وبعثه مع أمير الحاج وأوصاه بالإصلاح بين الشرفاء ولما وصل الأمير إلى مكة يومئذ قرقاش خشي الإشراف منه واضطرب عنان وركب للقائه ثم توجس الخيفة وكرّ راجعاً وأتبع الأشراف واجتمعوا على منابذة علي بن عجلان وشيعته من القواد والعييد ووفد عنان بن مقامس على السلطان سنة تسعين فقبض عليه وحبسه ولم يزل محبوساً إلى أن خرج مع بطا عند ثورته بالقلعة في صفر سنة ثنتين وتسعين وبعثه مع أخيه إيقا يستكشف خبر السلطان كما مرّ وانتظم أمر السلطان بسعاية بطا في العود إلى إمارته رعيًا لما كان بينها من العشرة في البحر وأسعفه السلطان بذلك وولاه شريكاً لعلّي بن عجلان في الإمارة فأقاما كذلك سنتين وأمرهما مضطرب والأشراف معصوبون على عنان وهو عاجز عن الضرب على أيديهم وعلي بن عجلان مع القواد والعييد كذلك وأهل مكة على وجل من أمرهم في ضنك من اختلاف الأيدي عليهم ثم استقدمهم السلطان سنة أربع وتسعين فقدموا أوّل شعبان من السنة فأكرمها ورفع مجلسها ورفع مجلس علي على سائرهم ولما انقضى الفطر ولي علي بن عجلان مستقلاً واستبلغ في الإحسان إليه بأصناف الأقمشة والخيول والممالك والحبوب وأذن له في الجراية والعلوفة فوق الكفاية ثم ظهر عليه بعد شهر وقد أعدّ الرواحل ليلحق بمكة هارباً فقبض عليه وحبسه بالقلعة وسار علي بن عجلان إلى مكة وقبض على الأشراف لتستقيم إمارته ثم خودع عنهم فأطلقهم فنفروا عنه ولم يعاودوا طاعته فاضطرب أمره وفسد رأيه وهو مقيم على ذلك لهذا العهد والله غالب على أمره أنه على كل شيء قدير .

* (وصول أحياء من التتر وسلطانهم إلى صاحب بغداد واستيلاؤه عليها ومسير السلطان بالعساكر إليه) *

كان هؤلاء التتر من شعوب الترك وقد ملكوا جوانب الشرق من تخوم الصين إلى ما وراء النهر ثم خوارزم وخراسان وجانبها إلى سجستان وكرمان جنوباً وبلاد القفقاق وبلغار شمالاً ثم عراق العجم وبلاد فارس وأذربيجان وعراق العرب والجزيرة وبلاد الروم إلى أن بلغوا حدود الفرات واستولوا على الشام مرة بعد أخرى كما تقدّم في أخبارهم ويأتي إن شاء الله تعالى وكان أول من خرج منهم ملكهم جنكزخان أعوام عشر وستائة واستقلوا بهذه الممالك كلها ثم انقسمت دولته بين بنينهم فيها فكان لبني دوشي خان منهم بلاد القفقاق وجانب الشمال بأسره ولبني هلاكو بن طولي خان خراسان والعراق وفارس وأذربيجان والجزيرة وبلاد الروم ولبني جفطاي خوارزم وما إليها واستمرت هذه الدول الثلاث إلى هذا العهد في مائة وثمانين سنة إنقرض فيها ملك بني هلاكو في سنة أربعين من هذه المائة بوفاة أبي سعيد آخرهم ولم يعقب وافترق ملكه بين جماعة من أهل دولته في خراسان وأصبهان وفارس وعراق العرب وأذربيجان وتوريز وبلاد الروم فكانت خراسان للشيخ ولي وأصبهان وفارس وسجستان للمظفر الأزدي وبنيه وخوارزم وأعمالها إلى تركستان لبني جفطاي وبلاد الروم لبني أرشا مولي من موالي دمرداش بن جويان وبغداد وأذربيجان والجزيرة للشيخ حسن بن حسين بن أبيغا بن أيكان وأيكان سبط أرغون بن أبغا بن هلاكو ولبنيه وهو من كبار المغل في نسبه ولم يزل ملكهم المفترق في هذه الدول متناقلاً بين أعقابهم إلى أن تلاشى وإضمحل واستقرّ ملك بغداد وأذربيجان والجزيرة لهذا العهد لأحمد بن أويس ابن الشيخ حسن سبط أرغون كما في أخبار يأتي شرحها في دول التتر بعد ولما كان في هذه العصور ظهر بتركستان وبخارى فيما وراء النهر أمير اسمه تمر في جموع من المغل والتتر ينسب هو وقومه إلى جفطاي لا أدري هو جفطاي بن جنكزخان أو جفطاي آخر من شعوب المغل والأول أقرب لما قدّمته من ولاية جفطاي بن جنكزخان على بلاد ما وراء النهر لعهد أبيه وإن اعترض معترض بكثرة هذا الشعب الذي مع تمر وقصر المدة أن هذه المدة من لدن جفطاي تقارب مائتي سنة لأنّ جفطاي كان لعهد أبيه جنكزخان يقارب الأربعين فهذه المدة أزيد من خمسة من العصور لأنّ العصر أربعون سنة وأقل ما يتناسل من الرجل في العصر عشرة من الولد فإذا ضوعفت العشرة بالضرب خمس مراتب كانت مائة ألف وأن فرضنا أن المتناسلين تسعة لكل عصر بلغوا في

الخمسـة عـصـور إلى نحو من سـبعـين ألفاً وإن جعلناها ثمانية بلغوا فوق الإثنـين وثلاثـين وإن جعلناها سبعة بلغوا ستة عشر ألفاً والسبعة أقل ما يمكن من الرجل الواحد لا سيما مع البداوة المقتضية لكثرة النسل والستة عشر ألفاً غصابة كافية في استتباع غيرها من العصابات حتى تنتهي إلى غاية العساكر ولما ظهر هذا فيما وراء النهر عبر إلى خراسان فملكها من يد الشيخ ولي صاحبها أعوام أربعة وثمانين بعد مراجفات وحروب وهرب الشيخ ولي إلى توريز فعمد إليه تمر في جموعه سنة سبع وثمانين وملك توريز وأذربيجان وخرابها وقتل الشيخ ولي في حروبه ومر بأصبهان فأعطوه طاعة معروفة وأطلّ بعد توريز على نواحي بغداد فأرجفوا منه وواقعت عساكره بأذربيجان جموع الترك أهل الجزيرة والموصل وكانت الحروب بينهم سجلاً ثم تأخر إلى ناحية أصفهان وجاءه الخبر بخارج خرج عليه من قومه يعرف بقمر الدين تطلّش ملك الشمال من بني دوشي خان بن جنكرخان وهو صاحب كرسي صراي أمده بأمواله وعساكره ففكر راجعاً إلى بلده وعميت أنبأؤه إلى سنة خمس وتسعين ثم جاءت الأخبار بأنه غلب قمر الدين الخارج عليه ومحا أثر فساد واستولى على كرسي صراي ففكر تمر راجعاً وملكها ثم خطى إلى أصفهان وعراق العجم وفارس وكرمان فملك جميعها من يد بني المظفر اليزدي بعد حروب هلك فيها ملوكهم وبددت جموعهم وراسله صاحب بغداد أحمد بن أويس وصانعه بالهدايا والتحف فلم يغن عنه وما زال يخادعه بالملاطفة والمراسلة إلى أن فتر عزم أحمد وافترت عساكره فصمد إليه يغذ السير حتى إنتهى إلى دجلة وسبق النذير إلى أحمد فأسرى من ليلة ومرّ بجسر الحلة فقطعه وصبح مشهد علي ووافى تمر وعساكره دجلة يوم الحادي والعشرين من شوال سنة خمس وتسعين وأجازوا دجلة سباحا ودخلوا بغداد واستولوا عليها وبعث العساكر في إتباع أحمد فلاحقوا بأعقابه وخاضوا إليه النهر عند الجسر المقطوع وأدركوه بالمشهد ففكر عليهم في جموعه وقتل الأمير الذي كان في إتباعه ورجعوا عنه بعد أن كانوا استولوا على جميع أثقاله ورواحله بما فيها من الأموال والذخيرة فرجعوا بها ونجا أحمد إلى الرحبة من تخوم الشام فأراح بها وطالع نائبها السلطان بأمره فأخرج إليه بعض خواصه بالنفقات والأزواد ليستقدمه فقدم به إلى حلب آخر ذي القعدة فأراح بها وطرقه مرض أبطأ به عن مصر وجاءت الأخبار بأن تمر عاث في مغلته واستصفي ذخائره واستوعب موجود أهل بغداد بالمصادرات لأغنيائهم وفقرائهم حتى مستهم الحاجة وأقفرت جوانب بغداد من العيث ثم قدم أحمد بن أويس على السلطان بمصر في شهر ربيع سنة ست وتسعين مستصرخاً به على طلب ملكه والإنتقام من عدوّه فأجاب السلطان صريخه

ونادى في عساكره بالتجهز إلى الشام وقد كان تمر بعدما استولى على بغداد زحف في عساكره إلى تكريت فأولى المخالفين وعشاء الحراة ورصد السابلة وأتاح عليها بجموعه أربعين يوماً فحاصرها حتى نزلوا على حكمه وقتل من قتل منهم ثم خربها وأسرها ثم انتشرت عساكره في ديار بكر إلى الرها ووقفوا عليها ساعة من نهار فلكوها واشفوا نعمتها وافترق أهلها وبلغ الخبر إلى السلطان فخيم بالريدانية أياماً أزاح فيها علل عسكره وأفاض العطاء في مماليكه واستوعب الحشد من سائر أصناف الجند واستخلف على القاهرة النائب مودود وإرتحل إلى الشام على التعبئة ومعه أحمد بن أويس صاحب بغداد بعد أن كفاه مهمه وسرب النفقات في تابعه وجنده ودخل دمشق آخر جمادي الأولى وقد كان أوعز إلى جلبان نائب حلب بالخروج إلى الفرات واستيعاب العرب والتركمان للإقامة هنالك رصداً للعدو فلما وصل إلى دمشق وفد عليه جلبان وطالعه بمهمات وما عنده من أخبار القوم ورجع لإنفاذ أوامره والفصل فيما يطالعه فيه وبعث السلطان على أثره العساكر مدداً له مع كميشتقا الأتابك وتلكميش أمير سلاح وأحمد بن بيبقا وكان العدو قد شغل بحصار ماردین فأقام عليها أشهراً ثم ملكها وعاثت عساكره فيها وامتنعت عليه قلعتها فارتحل عنها إلى ناحية بلاد الروم ومَرَّ بقلاع الأكراد فأغارَت عساكره عليها واكتسحت نواحيها والسلطان لهذا العهد وهو شعبان سنة ست وتسعين مقيم بدمشق مستجمع للوثبة به متى إستقبل جهته والله ولي الأمور وهذا آخر ما إنتهت إليه دولة الترك بإنهاء الأيام وما يعلم أخذ ما في غد والله مقدر الأمور وخالقها .

السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برفوق مولى الأشرف بن شعبان بن حسن	بطا	ب
الملك الناصر محمد بن قلاوون	الصالح أمير حاج	ع
مولى نجم الدين أيوب	بو	و
	الصالح حاجي	و
	نا	و
	أحمد	و
	الكامل شعبان	و
	ج	و
	قطز	و
	ع	و
	السعيد بركة بن الظاهر بيبرس	و
	و	و
	شلامس	و

(دولة بني رسول)

* (الخبر عن دولة بني رسول مولى بني أيوب الملك
باليمن بعدهم ومبدا أمرهم وتصاريف أحوالهم) *

قد كان تقدم لنا كيف استولى بنو أيوب على اليمن واختلف عليها الولاة منهم إلى أن ملكها من بني المظفر شاهنشاه بن أيوب حافده سليمان بن^(١) ابن المظفر وانتقض أيام العادل سنة اثنتي عشرة وستائة فأمر العادل ابنه الكامل خليفته على مصر أن يبعث ابنه يوسف المسعود إلى اليمن وهو أخو الصالح ويلقب بالتركي أطس ويقال أقسنس وقد تقدم ذكر هذا اللقب فلما ملكها المسعود من يد سليمان وبعث به معتقلا إلى مصر وهلك جهاد الإفرنج بدمياط سنة سبع وأربعين وهلك العادل أخو المسعود سنة خمس عشرة وستائة وولي بعده ابنه الكامل وجدّ العهد إلى يوسف المسعود على اليمن وحج المسعود سنة تسع عشرة وكان من خبره في تأخير أعلام الخليفة عن أعلامه ما مرّ في أخبار دولتهم ثم جاء سنة عشرين إلى مكة وأميرها حسن بن قتادة من بني مطا عن إحدى بطون بني حسن فجمع لقتاله وهزمه المسعود وملك مكة وولي عليها ورجع إلى اليمن فأقام به ثم طرده المرض سنة ست وعشرين فارتحل إلى مكة واستخلف على اليمن علي بن رسول التركاني أستاذ داره ثم هلك المسعود بمكة لأربع عشرة سنة من ملكه وبلغ خبر وفاته إلى أبيه وهو محاصر دمشق ورجع ابن قتادة إلى مكة ونصب علي بن رسول على اليمن موسى بن المسعود ولقبه الأشرف وأقام مملكا على اليمن إلى أن خلع وخلف المسعود ولد آخر اسمه يوسف ومات وخلفه ابنه واسمه موسى وهو الذي نصبه الترك بعد أبيك ثم خلعه ثم خلع علي بن رسول موسى الأشرف بن المسعود واستبدّ بملك اليمن وأخذ بدعوة الكامل بمصر وبعث أخويه رهنا على الطاعة ثم هلك سنة تسع وعشرين وولي ابنه المنصور عمر بن علي بن رسول ولما هلك علي بن منصور ولى بعده الكامل ابنه عمر ثم توفي الكامل سنة خمس وثلاثين وشغل بنو أيوب بالفتنة بينهم فاستغلظ سلطان عمر باليمن وتلقب المنصور ومنع الأتاوة التي كان يبعث بها إلى مصر فأطلق صاحب مصر العادل بن الكامل عمومته الذين كان أبوه رهنهم على الطاعة لينازعوه في الأمر فغلّبهم

(١) بياض بالأصل وفي أخبار البشر ج ٤ ص ١١٦ : سليمان بن سعد الدين شاهنشاه بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب .

وحبسهم وكان أمر الزيدية بصفد قد خرج من بني الرسي وصار لبني سليمان بن داود كما مرّ في أخبارهم ثم بوع من بني الرسي أحمد بن الحسين من بني الهادي يحيى بن الحسن بن القاسم الرسي بايع له الزيدية بخصن ملا وكانوا من يوم أخرجهم السليانيون من صفد قد أووا إلى جبل مكانه فلما بوع أحمد بن الحسين هذا لقبوه الموطىء وكان تحصن بملا وكان الحديث شائعاً بين الزيدية بأن الأمر يرجع إلى بني الرسي وكان أحمد فقيماً أديباً عالماً بمذهب الزيدية مجتهداً في العبادة وبوع سنة خمس وأربعين وستمائة وأهمّ عمر بن رسول شأنه فشمّر لحربه وحاصره بخصن ملامدة ثم أفرج عنه وجهاز العساكر لحصاره من الحصون المجاورة له ولم يزل قائماً بأمره إلى أن وثب عليه سنة ثمان وأربعين جماعة من مماليكه بمالاة بني أخيه حسن فقتلوه ثمان عشرة سنة من ولاية المظفر يوسف بن عمر ولما هلك المنصور علي بن رسول كما قلناه قام بالأمر مكانه ابنه المظفر شمس الدين يوسف وكان عادلاً محسناً وفرض الأتاوة عليه للملك مصر من الترك لما استقلوا بالملك وما زال يصانعهم بها ويعطيهم إياها وكان لأول ملكه إمتنع عليه حصن الدملوة فشغل بحصاره وتمكن أحمد الموطىء الناظر بخصن ملا من الزيدية من أعقاب بني الرسي فملك عشرين حصناً من حصون الزيدية وزحف إلى صفد فملكها من يد السليانيين ونزل له أحمد المتوكل إمام الزيدية منهم فبايعه وأمنه ولما كانوا في خطابة لم يزل في كل عصر منهم إمام كما ذكرناه في أخبارهم قبل ولم يزل المظفر والياً على اليمن إلى أن هلك بغته سنة أربع وتسعين لست وأربعين سنة من ملكة الأشرف عمر بن المظفر يوسف ولما هلك المظفر يوسف كما قلناه وولي بعده ابنه الأشرف محمد الدين عمر وكان أخوه داود والياً على الشحر فدعا لنفسه ونازعه الأمر فبعث الأشرف عساكره وقاتلوه وهزموه وقبضوا عليه وحبسه واستمرّ الأشرف في ملكه إلى أن سمته جاريته فمات سنة ست وتسعين لعشرين شهراً من ولايته^(١) أخوه داود بن المظفر المؤيد يوسف ولما هلك الأشرف بن عمر بن المظفر يوسف أخرج أخاه مؤيد الدين داود من معتقله وولوه عليهم ولقبوه المؤيد وافتتح أمره بقتل الجارية التي سمّت أخاه وما زال يواصل ملوك الترك بهداياه وصلاته وتحفه والضريبة التي قررها سلفه وانتهت هديته سنة إحدى عشرة وسبعمائة إلى مائتي وقرعير بالثياب والتحف وطرف اليمن ومائتين من الجمال والخيول ثم بعث سنة خمس عشرة بمثل ذلك وفسد ما بينه وبين ملوك الترك بمصر وبعث بهديته سنة ثمان عشرة فردّوها عليه ثم هلك سنة إحدى وعشرين وسبعمائة لخمس وعشرين سنة من

(١) بياض بالأصل وفي أخبار البشر ج ٤ ص ٣٣ : وتوفي والملك المؤيد داود في الإعتقال مقيداً.

ملكه وكان فاضلاً شافعيّ المذهب وجمع الكتب من سائر الأمصار فاشتملت خزانته على مائة ألف مجلد وكان يتفقد العلماء بصلاته ويبعث لإبن دقيق العيد فقيه الشافعية بمصر جوائزه ولما توفي المؤيد داود سنة إحدى وعشرين كما قلناه قام بملكه ابنه المجاهد سيف الدين علي ابن إثنين عشرة سنة والله وارث الأرض ومن عليها .

* (ثورة جلال الدين بن عمر الأشرف وحبسه) *

ولما ملك المجاهد علي شغل بلداته وأساء السيرة في أهل المناصب الدينية بال عزل والإستبدال بغير حق فنكره أهل الدولة وانتقض عليه جلال الدين ابن عمه عمر الأشرف وزحف إليه وكانت بينهما حروب ووقائع كان النصر فيها للمجاهد وغلب على جلال الدين وحبسه والله تعالى أعلم .

* (ثورة جلال الدين ثانياً وحبس المجاهد وبيعة المنصور أيوب بن المظفر يوسف) *

وبعد أن قبض المجاهد على جلال الدين ابن عمه الأشرف وحبسه لم يزل مشغلاً بلهوه عاكفاً على لذاته وضجر منه أهل الدولة وداخلهم جلال الدين في خلعه فوافقه فرحل إلى^(١) سنة إثنين وعشرين فخرج جلال الدين من حبسه وهجم عليه في بعض البساتين وقتك بحرمه وقبض عليه وباع لعمه المنصور أيوب بن المظفر يوسف واعتقل المجاهد عنده في نفر وأطلق جلال الدين ابن عمه والله تعالى أعلم بغيه .

(١) يياض بالأصل ، وفي تاريخ أخبار البشر ج ٤ ص ٩١ وفيها سنة ٧٢٢ ليلة الثلاثاء في ذي الحجة توفي بمرض ذات الحنب بتغر الملك المؤيد هزبر الدين داود بن المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول ، فاتفق أرباب الدولة وأقاموا ولده علي ولقب بالملك المجاهد سيف الإسلام بن داود المذكور ، وهو إذ ذاك أول ما قد بلغ . ثم خرج عليه عمه الملك المنصور أيوب ولقبه زين الدين أخو داود في سنة اثنين وعشرين وسبعمائة فملك اليمن واعتقل ابن أخيه سيف الإسلام . وقعد المنصور في مملكة اليمن دون ثلاثة أشهر ، ثم هجم من العسكر وأخرجوا سيف الإسلام وأعادوه إلى ملك اليمن واعتقلوا عمه المنصور أيوب ، وبقي أمر مملكة اليمن مضطرباً غير منتظم الأحوال .

* (خلع المنصور أيوب ومقتله وعود المجاهد إلى ملكه ومنازعة الظاهر بن المنصور أيوب له) *

ولما جلس المجاهد بقلعة تعز واستقل المنصور بالملك إجتمع شعبة المجاهد وهجموا على المنصور في بيته بتعز وحبسوه وأخرجوا المجاهد وأعادوه إلى ملكه ورجع أهل اليمن لطاعته وكان أسد الدين عبد الله بن المنصور أيوب بالدملوة فعصى عليه وإمتنع بها وكتب إليه المجاهد يهذه بقتل أبيه فلج وإتسع الخرق بينها وعظمت الفتنة وافترق عليهما العرب وكثر عيهم وكثر الفساد وبعث المنصور من محبسه إلى ابنه عبد الله أن يسلم الدملوة خوفاً على نفسه من القتل فأبى عبد الله من ذلك وأساء الرد على أبيه ولما يش المجاهد منه قتل أباه المنصور أيوب بن المظفر في محبسه وإجتمع أهل الدملوة وكبيرهم الشريف ابن حمزة وبايعوا أسد الدين عبد الله بن المنصور أيوب وبعث عسكرياً مع الشهاب الصفوي إلى زيد فحاصروها وفتحوها وجهز المجاهد عساكره إليها مع قائده علي بن الدوادار ولما قاربوا زيد أصابهم سيل وبيتهم أهل زيد فنالوا منهم وأسروا أمراءهم وإتهم المجاهد قائده علي بن الدوادار بمدخله عدوه فكتب إليه أن يسير إلى عدن لتحصيل موالها وكتب إلى والي عدن بالقبض عليه ووقع الكتاب بيد الظاهر فبعث به إلى الدوادار فرجع إلى عدن وحاصرها وفتحها وخطب بها للظاهر سنة ثلاث وعشرين وملك عدن بعدها ثم استمال صاحب صنعاء وحوض فقاموا بدعوة الظاهر وبعث المجاهد إلى مذحج والأكراد يستنجدهم فلم ينجدوه وهو بحصن المعديّة وكتب الظاهر إلى أشرف مكة وقاضيهما نجم الدين الطبري بأن الأمر قد استقر له باليمن والله تعالى ولي التوفيق لارب سواه .

* (وصول العساكر من مصر مدداً للمجاهد واستيلاؤه على أمره وصلحه مع الظاهر) *

ولما غلب الظاهر بن المنصور أيوب على قلاع اليمن وانتزعها من المجاهد وحاصره بقلعة المعديّة ، بعث المجاهد سنة أربع وعشرين بصريخه إلى السلطان بمصر من الترك الناصر محمد بن قلاوون سنة خمس وعشرين ، فبعث إليه العساكر مع بيبرس الحاجب وانيال من أمراء دولته ، ووصلوا إليه سنة خمس وعشرين فسار إليهم المجاهد من حصن المعديّة بنواحي عدن

إلى تعز فاستأمن إليه أهلها فأمّنهم وراسلوا الظاهر في الصلح فأجاب على أن تكون له الدملوة ، وتحالفوا على ذلك . وطلب أمراء الترك الشهاب الصفوي الذي أنشأ الفتنة بين المجاهد والظاهر فامتنع عن إجابتهم فركب بيبرس وهجم عليه في خيمته وقتله بسوق الخيل بتعز ، وانحنوا في العصاة على المجاهد في كل ناحية حتى اطاعوا ، وتمهد له الملك ورجعت العساكر إلى مصر سنة ست وعشرين والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (نزول الظاهر للمجاهد عن الدملوة ومقتله) *

ولما استقام الأمر للمجاهد باليمن واستخلفه الظاهر على الدملوة أخذ المجاهد في تأنيسه واحكام الوصلة به حتى اطمأن ، وهو يقتل له في الذروة والغارب حتى نزل له عن الدملوة وولى عليها من قبله وصار الظاهر في جملته . ثم قبض عليه وحبسه بقلعة تعز . ثم قتله في محبسه سنة أربع وثلاثين والله تعالى أعلم .

* (حج المجاهد علي بن المؤيد داود وواقعته مع أمراء مصر واعتقاله بالكرك ثم إطلاقه ورجوعه إلى ملكه) *

ثم حج المجاهد سنة إحدى وخمسين أيام حسن الناصري الأولى وهي السنة التي حج فيها طاز كافل المملكة أميراً وحج بيقاروس الكافل الآخر مقيداً لأن السلطان أمر طاز بالقبض عليه في طريقه . فلما قبض عليه رغب منه أن يخلي سبيله لإداء فرضه فأجابه وحج مقيداً . وجاء المجاهد ملك اليمن للحج وشاع عنه أنه يروم كسوة الكعبة فتكرر أمراء مصر وعساكرها لأهل اليمن ووقعت في بعض الأيام هيبه في ركب اليمن فتحاربوا وإنهزم وذبح سواده وركب أهل اليمن كافة وأطلق بيقاروس للقتال فجلا في تلك الوقعة وأعيد إلى اعتقاله . وحمل المجاهد إلى مصر معتقلاً فحبس ثم أطلق سنة اثنتين وخمسين في دولة الصالح . وبعثوا معه قشتمر المنصوري إلى بلاده . فلما انتهى إلى اليمن ظهر عليه قشتمر بأنه يروم الهرب فردّه وحبسه بالكرك . ثم أطلق بعد ذلك وأعيد إلى ملكه ، وأقام على مهادة صاحب مصر وصانعته إلى أن توفي سنة ست وستين لاثنتين وأربعين سنة من ملكه .

* (ولاية الأفضل عباس بن المجاهد علي) *

ولما توفي المجاهد سنة ست وستين ولي بعده ابنه عباس واستقام له ملك اليمن إلى أن هلك سنة ثمان وسبعين لاثنتي عشرة سنة من ملكه والله تعالى أعلم .

* (ولاية المنصور محمد بن الأفضل عباس) *

ولما توفي الأفضل عباس بن المجاهد سنة ثمان وسبعين ولي بعده ابنه المنصور محمد واستولى على أمره واجتمع جماعة من مماليكه سنة اثنتين وثمانين للثورة به وقتله وأطلع على شأنهم فهربوا إلى الدملوة وأخذهم العرب في طريقهم وجاؤا بهم وعفا عنهم واستمر في ملكه إلى أن هلك والله تعالى أعلم .

* (ولاية أخيه الأشرف بن الأفضل عباس) *

ولما توفي المنصور محمد بن الأفضل سنة (١) ولي أخوه الأشرف إسماعيل واستقام أمره وهو صاحب اليمن لهذا العهد لسنة ست وتسعين والله واژث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

(١) بياض بالأصل ولم نعثري في المراجع التي بين أيدينا على هذه السنة .

الانصار

الانصار اسمعيل بن الافضل عباس بن الجاهد علي بن المؤيد داود بن المظفر يوسف بن المنصور عمر بن علي بن رسول الزكرياني

الظاهر

الظاهر عبد الله بن المنصور أيوب

الخبر عن دولة التتر من شعوب الترك وكيف تغلبوا
على الممالك الإسلامية وانتزوا
على كرسي الخلافة ببغداد وما كان لهم من الدول المفترقة
وكيف أسلموا بعد ذلك ومبدأ أمورهم وتصارييف أحوالهم

قد تقدّم لنا ذكر التتر وأنهم من شعوب الترك وأنّ الترك كلهم ولد كומר بن يافث على الصحيح ، وهو الذي وقع في التوراة . وتقدم لنا ذكر أجناس الترك وشعوبهم وعددنا منهم الغزّ الذين منهم السلجوقية والهياطلة الذين منهم القلج ، وبلاد الصغد قريباً من سمرقند ويسمون بها أيضاً . وعددنا منهم الخطأ والطغر غر وهم التتر ، وكانت مساكن هاتين الأمتين بأرض طمغاج ، ويقال أنها بلاد تركستان وكاشغر وما إليها من وراء النهر وهي بلاد ملوكهم في الإسلام ، وعددنا منهم الخزلية والغور والخزر والخفشاخ وهم القفجاق ويمك والعلان ويقال الآن وجركس واركش . وعدّد صاحب روجار في كتابه على الجغرافيا العسّسه والتغز غزية والخر خيرية والكماكية والخزلية والخزر والخلج وبلغار ويمناك وبرطاس وسنجرت وخرجان وأنكر ، وذكر مساكن أنكر في بلاد البنادقة من أرض الروم وجمهور هذه الأمم من الترك فيما وراء الهز شرقاً إلى البحر المحيط بين الجنوب والشمال من الاقليم الأول إلى السابع ، والصين في وسط بلادهم .

وكانت الصين أولاً لبني صيني إخوانهم من بني يافث . ثم صار لهم واستولوا على معظمه إلا قليلاً من أطرافه على ساحل البحر ، وهم رجاله كما مرّ في ذكرهم أول الكتاب وفي دولة السلجوقية وأكثرهم من المفازة التي بين الصين وبلاد تركستان . وكان لهم قبل الإسلام دولة ، ولهم مع الفرس حروب مذكورة وملكهم لذلك العهد في بني فراسيان . وكان بينهم وبين العرب لأول الفتح حروب طويلة قاتلوهم على الإسلام ، فلم يجيبوا فأثخنوا فيهم ، وغلبوهم على أطراف بلادهم وأسلم ملوكهم على بلادهم وذلك من بعد القرن الأول . وكانت لهم في الإسلام دولة ببلاد تركستان وكاشغر ، ولا أدري من أي شعوبهم كان هؤلاء الملوك .

وقد قيل فيهم أنهم من ولد قراسيان ولا يعرف شعب فراسيان فيهم ، وكان هؤلاء الملوك يلقبون بالخاقان بالخاء والقاف سمة لكل من يملك منهم ، مثل كسرى للفرس وقيصر

للملوك الروم . وأسلم ملوكهم بعد صدر من الملة على بلادهم وملكهم فأقاموا بها ، وكان بينهم وبين بني سامان الملوك القائمين فيما وراء النهر بدولة بني العباس حرب وسلم إتصلت حالهم عليها إلى أن تلاشت دولتهم ودولة بني سامان جميعاً . وقام محمود بن سبكتكين من موالي بني سامان بدولتهم وملكهم فيما وراء النهر وخراسان .

وقد ظهر لذلك العهد بنو سلجوق وغلبوا ملوك الترك على أمرهم وأصبحوا في عداد ولايتهم شأن الدول البادية الجديدة مع الدول القديمة الحاضرة ، ثم قارعوا بني سبكتكين وغلبوهم على ملكهم فيما بعد المائة الرابعة واستولوا على ممالك الإسلام بأسرها ، وملكوا ما بين الهند ونهاية المعمور في الشمال وما بين الصين وخليج القسطنطينية في الغرب ، وعلى اليمن والحجاز والشام وفتحوا كثيراً من بلاد الروم واستفحلت دولتهم بما لم تنته إليه دولة بعد العرب والخلفاء في الملة . ثم تلاشت دولتهم وانقرضت بعد مائتين من السنين شأن الدول وسنة الله في العباد .

وكانوا بعد خروج السلجوقية إلى خراسان قد خلفتهم في بلاد بضواحي تركستان وحدود الصين . ولم يقدر ملوك الخانية بتركستان على دفاعهم لعجزهم عن ذلك فكان أرسلان خان ابن محمد بن سليمان يتزلمهم مسالح على الدروب ما بينه وبين الصين ، ويقطعهم على ذلك ويوقع بهم على الفساد والعيث ثم زحف من الصين ملك الترك الاعظم كوخان سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ، ولحقت به أمم الخطا ولقيهم الخان محمود بن محمد بن سليمان بن داود بن بقراخان صاحب تركستان وما وراء النهر من الخانية ، وهو ابن اخت السلطان سنجر بن ملك شاه صاحب خراسان من ملوك السلجوقية فهزموه . وبعث بالصريح إلى خاله سنجر ، فاستنفر ملوك خراسان وعساكر المسلمين وعبر جيحون للقائهم ، وسارت إليه أمم التتر والخطا وتواقعوا في صفر سنة ست وثلاثين وخمسمائة ، وإنهزم سنجر وأسرت زوجته ثم أطلقها كوخان ملك الترك ، واستولى على ما وراء النهر .

ثم مات كوخان سنة سبع وثلاثين وملك بعده بنته ، ثم ماتت فملك بعدها أمها زوجة كوخان وابنه محمد ، ثم إنقرض ملكهم واستولى الخطا على ما وراء النهر . ثم غلب على خوارزم علاء الدين محمد بن تكش كما قدمناه ، ويلقب هو وأبوه بخوارزم شاه . وكان ملوك الخانية ببلادهم فيما وراء النهر فاستصرخوا به على الخطا لما أكثر من عيثرهم وفسادهم ، فأجاب صريخهم وعبر النهر سنة ست وستائة ، وملكهم يومئذ كبير السن بصير في الحرب فلقبهم فهزموه وأسر خوارزم شاه ملكهم طانيكوه وحبسه بخوارزم ، وملك سائر بلاد الخطا

إلى أوركندا ، وأنزل به نوابه وزوج أخته من الخان صاحب سمرقند وأنزل معه شحنة كما كانت للخطا وعاد إلى بلاده .

وثار ملك الخانية بالشحنة بعد رجوعه بسنة وقتلهم ، وهم بقتل زوجته أخت خوارزم شاه وحاصره بسمرقند واقتحمها عليه عنوة وقتله في جماعة من أقاربه ، ومحا أثر الخانية وملكهم مما وراء النهر ، وأنزل في سائر البلد نوابه . وكانت أمة التتر من وراء الخطا هؤلاء قد نزلوا في حدود الصين ما بينها وبين تركستان ، وكان ملكهم كشلي خان وقع بينهم وبين الخطا من العداوة والحروب ، يقع بين الأمم المتجاورة . فلما بلغهم ما فعله خوارزم شاه بالخطا أرادوا الانتقام منهم ، وزحف كشلي خان في أمم التتر إلى الخطا لينتزع الفرصة فيهم ، فبعث الخطا إلى خوارزم شاه يتلطفون له ويسألونه النصر من عدوهم قبل أن يستحكم أمره وتضيق عنه قدرتهم وقدرته . وبعث إليه كشلي ملك التتر بمثل ذلك فتجهز يوههم كل واحد من الفريقين أنه له وأقام متبذراً عنها وقد توقعوا وإنهزم الخطا فمال مع التتر عليهم واستلحموهم في كل وجه ولم ينج منهم إلا قليل تحصنوا بين جبال في نواحي تركستان وقليل آخرون لحقوا بخوارزم شاه فكانوا معه وبعث خوارزم شاه إلى كشلي خان ملك التتر يعتد عليه بهزيمة الخطا وأنها إنما كانت بمظاهرتة فأظهر له الاعتراف وشكره ثم نازعه في بلادهم وأملاكهم وبعث خوارزم شاه بحربهم ثم علم أنه لا طاقة له بهم فكث براوغهم عن اللقاء وكشلي خان يعذله في ذلك وهو يغالطه واستولى كشلي خان خلال ذلك على كاشغر وبلاد تركستان وساغون ثم عمد خوارزم شاه إلى الشاش وفرغانة واسيجاب وقاشان وما حولها من المدن التي لم يكن في بلاد الله أنزه ولا أحسن عمارة فجلا أهلها إلى بلاد المسلمين وخرّب جميعها خوفاً أن يملكها التتر بعد ذلك وخرج على كشلي خان طائفة أخرى يعرفون بالمغل وملكهم جنكزخان فشغل كشلي خان بحربهم عن خوارزم شاه وعبر النهر إلى خراسان ونزل خوارزم إلى أن كان من أمره ما نذكره والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (استيلاء التتر على ممالك خوارزم شاه فيما وراء النهر

وخراسان ومهلك خوارزم شاه وتولية محمد بن تكش) *

ولما رحل السلطان إلى خراسان استولى على الممالك ما بينه وبين بغداد من خراسان ومازندران وباميان وغزنة إلى بلاد الهند وغلب الغورية على ما بأيديهم ثم ملك الري وأصبهان وسائر

بلاد الجبل وسار إلى العراق وبعث إلى الخليفة في الخطبة كما كانت الملوك بني سلجوق فامتنع الخليفة من ذلك كما مرّ ذلك كله في أخبار دولتهم ثم عاد من العراق سنة ست عشرة وثمانئة واستقرّ بنيسابور فوفدت عليه رسل جنكرخان بهدية من نفرة المعدنين ونوافج المسك وحجر اليشم والثياب الخطائية المنسوجة من وبر الإبل البيض ويخبر أنه ملك الصين وما بينها من بلاد الترك ويطلب المودة والإذن للتجار بالتردد لمناجرتهم من الجانبين وكان في خطابه أطراء السلطان خوارزم شاه بأنه مثل أعز أولاده فاستنكف السلطان من ذلك وامتنع له وأجمع عداوته واستدعى محموداً الخوارزمي من رسل جنكرخان واصطنعه ليكون عيناً له على صاحبه واستخبره عما قاله في كتابه من أنه ملك الصين واستولى على مدينة طوغاج فصدّق له ذلك وسأله عن مقدار العساكر فقللها وغشه في ذلك ثم نكر عليه الخطاب بالولد ثم صرف الرسل بما طلبوه من المودة والإذن للتجار ووصل على أثر ذلك بعض التجار من بلادهم إلى أطراور بها أنيال خان ابن خال السلطان خوارزم شاه فعثر على أموالهم ورفع إلى السلطان أنهم عيون على البلاد وليسوا بتجار فأمره بالإحتياط عليهم ففعل وأخذ أموالهم وقتلهم خفية وفشا الخبر إلى جنكرخان فبعث بالنكير على السلطان في ذلك وقال له إن كان فعله أنيال خان فابعثه إليّ وتهدّده على ذلك في كتابه فانزعج السلطان لها وقتل الرسل وبلغ الخبر إلى جنكرخان فسار في العساكر إلى بلاده وجبى السلطان من سمرقند خراج ستين حصن به أسوار سمرقند وجبى ثلاثة استخدم بها الفرسان لحمايتها ثم سار للقاء جنكرخان فكانت بينهما واقعة عظيمة هلك فيها كثير من الفريقين فكسبهم وهو غائب عنهم ورجع خوارزم شاه إلى جيحون وأقام عليه وفرق عساكره في أعمال ما وراء النهر بخارى وسمرقند وترمد وأنزل آبنايخ من أكبر أمرائه وأصحاب دولته في بخارى وجهلهم لنظره ثم جاء جنكرخان إليه فعبّر النهر بحفلاً وقصد جنكرخان أطراور فحاصرها وملكها غلابا وأسر أميرها أنيال خان الذي قتل التجار فأذاب الفضة في أذنيه وعينيه ثم حاصر بخارى وملكها على الأمان وقتلوا معه القلعة حتى خربها ثم غدر بهم فقتلهم وسباهم وفعل مثل ذلك في سمرقند سنة تسع عشرة ثم كتب كتباً إلى أمراء خوارزم شاه قرابة أمه كأنها أجوبة عن كتبهم إليه باستدعائه والبراءة من خوارزم شاه وذمه بعمقو أمه فبسط آمالهم في كتبه ووعد تركان خاتون أم السلطان وكانت في خوارزم فوعدها بزيارة خراسان وأن تبعث من يستخلفه على ذلك وبعث بالكتب من يعترض بها للسلطان فلما قرأها إرتاب بأمه وبقرابتها فاستوحشوا ووقع التقاطع والنفرة ولما استولى جنكرخان على ما وراء النهر ونجا نائب بخارى في الفل

أجفل السلطان وعبر جيحون ورجع عنه طوائف الخطا الذين كانوا معه وتحاذل الناس وسرح جنكزخان العساكر في أثره نحواً من عشرين ألفاً كانوا يسمونهم التتر المغربة لتوغلهم في البلاد غربي خراسان إلى بلاد القفجاق ووصل السلطان إلى نيسابور فلم يلبث بها وإرتحل إلى مازندان والتتر في أثره ثم إنتهى إلى همدان فكبسوه هنالك وفرقوا جموعه ونجا إلى جبال طبرستان فأقام بقرية بساحل البحر في فل من قومه ثم كبسه التتر أخرى فركب البحر إلى جزيرة في بحيرة طبرستان وخاضوا في أثره فغلبهم الماء ورجعوا وأقام خوارزم شاه بالجزيرة ومرض بها ومات سنة سبع عشرة وستائة وعهد لابنه جلال الدين سكري ولما بلغ خبر اجفاله إلى أمه تركان خاتون بخوارزم خرجت سارية واعتصمت بقلعة أيلاز من مازندان ورجع التتر عن إتباع خوارزم شاه فافتحوا قلاع مازندان وملكوها وملكوا قلعة أيلاز صلحاً وأسروا أم السلطان وبناته وتزوجهن التتر وتزوج دوشي خان بن جنكزخان واحدة وبقيت تركان خاتون أسيرة عندهم في ذل وخمول والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (مسير التتر المغربة بعد خوارزم شاه إلى العراق وأذربيجان واستيلاؤهم عليها إلى بلاد قفجاق والروس وبلاد الخزر) *

ولما رجع التتر المغربة من اتباع خوارزم شاه سنة سبع عشرة عادوا إلى همدان وانستفوا ما مروا عليه ، وصانعهم أهل همدان بما طلبوه ، ثم ساروا إلى سنجار كذلك ، ثم إلى قومس فامتنعوا منهم وحاصروها وملكوها غلاباً وقتلوا أكثر من اربعين ألفاً ثم ساروا إلى أذربيجان وصانعهم صاحب تبريز وانصرفوا إلى موقان ومروا ببلاد الكرج فاكسحوها وجمعوا لهم فهزمهم واثخنوا فيهم وذلك آخر سنة سبع عشرة ثم عادوا إلى مراغة فملكوها عنوة في صفر سنة ثمان عشرة واستباحوها ورحلوا عنها إلى أربل ، وبها مظفر الدين كوكبري . واستمد صاحب الموصل فأمدّه بالعساكر . ثم استدعاهم الخليفة الناصر إلى دقوقا للمدافعة عن العراق مع عساكره وولى عليهم مظفر الدين صاحب أربل فخام عن لقاءهم وخاموا عن لقاءه .

وساروا إلى همدان وبها شحتهم فامتنعوا من مصانعتهم وقتلوه فملكوها عنوة واستباحوها واستلحموا أهلها ، ورجعوا إلى أذربيجان فملكوا أردبيل واستباحوها وخربوها وساروا إلى تبريز ، وقد فارقتها أربك بن البهلوان إلى نقجوان فصانعوههم بالأمان ، وساروا إلى

يلقان وملكوها عنوة وافحشوا في القتل والمثلة واكتسحوا جميع الضاحية . ثم ساروا إلى كنجة قاعدة أَران فصانعمهم أهلها فساروا إلى بلاد الكرج فهزموهم وحاصروهم بقاعدتهم تفليس ، وردهم كثرة الأوعار عن التوغل فيها .

ثم قصدوا دربند شروان وحاصروا مدينة سماجي ودخلوه عنوة وملكوه واستباحوه ، وأعجزهم الدربند عن المسير فراسلوا شروان في الصلح ، فبعث إليهم رجالاً من أصحابه فقتلوا بعضهم وقتلوا الباقين أذلاء . وأفضوا من الدربند إلى أرض أسحمة ، وبها من القفجاق واللاز والغز وطوائف من الترك مسلمون وكفار أم لا تحصى . ولم يطبقوا مغالبتهم لكثرتهم فرجعوا إلى التصريب بينهم حتى استولوا على بلادهم . ثم اكتسحوها وأوسعوهم قتلاً وسبياً وفر أكثرهم إلى بلاد الروس وراءهم واعتصم الباقون بالجبال والغياض . وانتهى التتر إلى مدينتهم الكبرى سرداق على بحر نيطش المتصل بخليج القسطنطينية وهي مادتهم وفيها تجارتهم فللكها التتر وافترق أهلها في الجبال وركب أهلها البحر إلى بلاد الروم في إيالة بني قليج أرسلان .

ثم سار التتر سنة عشرين وسماية من بلاد قفجاق إلى بلاد الروس المجاورة لها ، وهي بلاد فسيحة وأهلها يدينون بالنصرانية فساروا إلى مدافعتهم في تخوم بلادهم ، ومعهم جموع من القفجاق أياماً . ثم إنهمزوا وانحن فيهم التتر قتلاً وسبياً ونهباً ، وركبوا السفن هاربين إلى بلاد الإسلام وتركوا بلادهم فاكتسحها التتر ، ثم عادوا عنها وقصدوا بلغار آخر السنة . واجتمع أهلها وساروا للقائهم بعد أن أكمّنوا لهم ثم استطردوا أمامهم وخرج عليهم الكمناء من خلفهم فلم ينج منهم إلا القليل . وإرتحلوا عائدين إلى جنكرخان بأرض الطالقان ، ورجع القفجاق إلى بلادهم واستقروا فيها . والله تعالى ولي التوفيق بمنه وكرمه .

* (مسير جنكرخان إلى خراسان وتغلبه

على أعماها وعلى خوارزم شاه) *

وكان جنكرخان بعد أن أجفل خوارزم شاه في جيحون ومسير التتر المغربية في طلبه ملك سمرقند فبعث عسكرياً إلى ترمذ ، وعسكرياً إلى خوارزم وعسكرياً إلى خراسان . وكان عسكري خوارزم أعظمها لأنها كرسي الملك ومأوى العساكر ، وبعث مع العساكر ابنه جفطاي وأركطاي فحاصروها خمسة أشهر ، وامتنعت فأمدهم جنكرخان بالعساكر متلاحقة ، وملكوها ناحية ناحية إلى أن استوعبوا . ثم نقبوا السد الذي يمنع ماء جيحون عنها فسال إليها

جيحون ففرقها وتقسم أهلها بين السند والعراق ، وهكذا قال ابن الأثير . وقال النسائي كاتب جلال الدين : إن دوشي خان عرض عليهم الأمان وخرجوا إليه فقتلهم أجمعين وذلك في محرّم سنة سبع عشرة وعاد دوشي خان والعساكر إلى جنكرخان فوجدوه بالطالقان .

وأما عسكر ترمذ فساروا إليها وملكوها وتقدموا إلى كلابه من قلاع جيحون فملكوها وخربوها ، وعسكر فرغانه كذلك . وأما عسكر خوارزم فعبروا إلى بلخ وملكوها على الأمان سنة سبع عشرة وأنزلوا بها شحنة . ثم ساروا إلى الزوزان وأيد حور ومازندان فملكوها وولوا عليها . ثم ساروا إلى الطالقان وحاصروا قلعة صاركوه وكانت منيعة ، وجاءهم جنكرخان بنفسه بعد إمتناعها ستة أشهر فحاصروها أربعة أشهر أخرى . ثم أمر بنقل الخشب والتراب ليجتمع به تل يتعالى به البلد . فلما استيقنوا الهلكة فتحوا الباب وصدقوا الحملة فنجأ الخيالة وتفرقوا في البلاد والشعاب وقتل الرجال ودخل التتر فاستباحوها . وبعث جنكرخان عسكرياً إلى سبا مع صهره قفجاق نون فقتل في حصارها ثم ملكوها فاستباحوها وخربوها .

ويقال قتل فيها أكثر من سبعين ألفاً . ثم بعث جنكرخان في العساكر إلى مدينة مرو ، وقد كان الناجون من هذه الوقائع انزوا إليها فاجتمعوا بظاهرها أكثر من مائتي ألف لا يشكون في الظفر ، فلما زحف إليهم التتر ولوا منهزمين وأثخنوا فيهم . ثم حاصروا البلد خمسة أشهر واستزلوا أميرها على الأمان . ثم قتلوه جميعاً وحضر جنكرخان قتلهم . يقال قتل فيها سبعماية ألف . ثم ساروا إلى نيسابور فاقتحموها عنده وقتلوا وعاثوا ، ثم إلى طرابلس كذلك . ثم ساروا إلى هراة فملكوها على الأمان وأنزلوا عندهم الشحنة وعادوا إلى جنكرخان بالطالقان ، وهو يرسل العساكر والسرايا في نواحي خراسان حتى أتوا عليها تخريباً ، وذلك كله سنة سبع عشرة ، والله تعالى أعلم .

* (إجمال جلال الدين ومسير التتر في إتباعه وفراره إلى الهند) *

ثم بعث العساكر في طلب جلال الدين وقد كان بعد مهلك أبيه وخروج تركان خاتون من خوارزم سار إليها وملكها واجتمع إليه الناس ثم نفي إليه أن قرابة تركان خاتون وهم البياروتية مالوا إلى أخيه يولغ شاه وابن أختهم وأنهم يريدون الوثوب بجلال الدين فقرّ ولحق بنيسابور وجاءت عساكر التتر إلى خوارزم فأجفل يولغ شاه وأخواه ليلحقوا به بنيسابور فأدركهم التتر وهم محاصرون قلعة قندهار فاستلحمهم ثم سار إلى غزنة فملكها من يد الثوار الذين استولوا عليها أيام هذه الفتنة وذلك سنة ثمان عشرة ولحق به أمراء أبيه الذين تغلبوا على نواحي

خراسان في هذه الفتنة وأزعجهم التتر عنها فحضروا مع جلال الدين كبسه التتر بقلعة قندهار ولحق فلهم بجنكزخان وبعث ابنه طولي خان لقتال جلال الدين فهزمه جلال الدين وقتله ولحق الفل من عساكره بجنكزخان فسار في أمم التتر ولقي جلال الدين فإنهم لم يفلت من التتر إلا الأقل ورجع جلال الدين فترل على نهر السند وقد كان جماعة من أمرائه إنزلوا عنه يوم الواقعة الأولى بسبب الغنائم فبعث إليهم يستألفهم فعاجله جنكزخان وقاتله ثلاثاً ثم هزمه واعترضه نهر السند فاقحمه وخلص إلى السند بعد أن قتل حرمه أجمعين وذلك سنة ثمان عشرة والله تعالى أعلم .

* (أخبار غياث الدين بن خوارزم شاه مع التتر) *

كان خوارزم شاه قد قسم الملك بين ولده فجعل العراق لغورنشاه وكرمان لغياث الدين تمشاه فلم ينفذ إليها أيام أبيه فلما فرّ خوارزم شاه إلى ناحية الريّ لقيه ابنه غورنشاه صاحب العراق ثم كانت واقعة التتر به على حدودي ولحق خوارزم شاه بجزيرة طبرستان ولحق غورنشاه بكرمان ثم رجع واستولى على أصبهان وعلى الري ثم زحف التتر إليه وحاصروه بقلعة أوند وقتلوه وكان أخوه غياث الدين بكرمان وملكه بينه وبين بقا طرابلسي أتابكه وقرّ إلى ناحية أذربيجان واستولى غياث الدين على العراق ومازندان وخورستان فأقطع بقا طرابلسي همدان ثم سار غياث الدين إلى أذربيجان فصانعه صاحبها أزيك بن بهلوان ولحق به من كان متغلباً من أمراء أبيه بخراسان وكان أبنايخ خان نائب بخارى قد تغلب بعد الواقعة على نسا ونواحها وجرجان وعلى شيروان وعامة خراسان وكان تكين بهلوان متغلباً على مرو فعبر جيحون سنة سبع عشرة وكبس شحنة التتر وأتبعوه إلى شيروان ولقوا أبنايخ خان على جرجان فهزموه ونجا فلهم إلى غياث الدين على العراق والريّ وما وراءها في الجنوب من موكان وأذربيجان وبقيت خوارزم طوائف وفي كلّ ناحية منها متغلب وعساكر التتر في كلّ وقت تدوّخ بلاد العراق وغياث الدين منهمك في لذاته والله تعالى أعلم .

* (رجوع جلال الدين من الهند واستيلاؤه على

العراق وكرمان وأذربيجان ثم زحف التتر إليه) *

ثم رجع جلال الدين من الهند سنة إحدى وعشرين واستولى على ملك أخيه غياث الدين

بالعراق وكرمان وبعث إلى الخليفة يطلب الخطبة فلم يسعف فاستعدّ لمحاربته وقد كانت بلاد الري من بعد تخريب التتر المغربة لها عاد إليها بعض أهلها وعمروها فبعث إليها جنكزخان عسكرياً من التتر فخربوها ثانية وخربوا ساوة وقم وقاشان وأجفل أمامهم عسكر خوارزم شاه من همدان فخربوها واتبعهم فكبسوهم في حدود أذربيجان ولحق بعضهم بتبريز والتتر في اتباعهم فصانعهم صاحبها أربك بن البهلوان وبعث بهم إلى التتر الذين في اتباعهم بعد أن قتل جماعة منهم وبعث برؤسهم وبالأموال على سبيل المصانعة فرجعوا عن بلاده وسار جلال الدين إلى أذربيجان سنة اثنتين وعشرين فملكها وكانت له فيها أخبار ذكرناها في دولته ثم بلغ السلطان جلال الدين أنّ التتر زحفوا من بلادهم وراء النهر إلى العراق فنهض من تبريز للقائهم في رمضان سنة خمس وعشرين ولقيهم على أصهبان وإنفض عنه أخوه غياث الدين في طائفة من العساكر وإنهزمت مسيرة التتر وسار السلطان في اتباعهم وقد أكمّنوا له وأحاطوا به واستشهد جماعة ثم صدق عليهم الحملة فأفروا له ومضى لوجهه وإنهزمت العساكر إلى فارس وكرمان وأذربيجان ورجع المتبعون للتتر من قاشان فوجدوه قد إنهزم فافترقوا أشتاتاً ولحق السلطان بأصهبان بعد ثمانية أيام فوجد التتر يحاصرون أصهبان فبرز إليهم في عساكرها وهزمهم وأتبعهم إلى الريّ وبعث العساكر في اتباعهم إلى خراسان ورجع إلى أذربيجان وأقام بها وكانت له فيها أخبار مذكورة في دولته والله سبحانه وتعالى أعلم

* (مسير التتر إلى أذربيجان واستيلاؤهم على

تبريز واقعتهم على جلال الدين بآمد ومقتله) *

كان التتر لما استقروا فيما وراء النهر عمروا تلك البلاد واختطوا قرب خوارزم مدينة عظيمة تعوض منها وبقيت خراسان خاوية واستبد بالمدن فيها طوائف من الأمراء أشباه الملوك يعطون الطاعة للسلطان جلال الدين منذ جاء من الهند وإنفرد جلال الدين بملك العراق وفارس وكرمان وأذربيجان وأران وما إلى ذلك وبقيت خراسان مجالا لغزاة التتر وعساكرهم وسارت طائفة منهم سنة خمس وعشرين إلى أصهبان وكانت بينهم وبين جلال الدين الواقعة كما مرّ ثم زحف جلال الدين إلى خلاط وملكها . وزحف إليه صاحبها الأشرف بن العادل من الشام وعلاء الدين كيقباد صاحب بلاد الروم ، وأوقعوا به كما مرّ في أخباره سنة سبع

وعشرين ، الواقعة التي أوهنت منه وحلت عرى ملكه . وكان مقدم الإسماعيلية بقلعة الموت عدواً لجلال الدين بما أثنى في بلاده ، وقرّر عليه وظائف الأموال ، فبعث إلى التتر يخبرهم أن الهزيمة أوهنته ويحثم على قصده ، فسار إلى أذربيجان أول سنة ثلاث وعشرين .

وبلغ الخبر إلى السلطان بمسيرهم فرحل من تبريز إلى موغان وأقام بها في انتظار شحنة خراسان ومازندران ، وشغل بالصيد فكسبه التتر ونهبوا معسكره ، وخلص إلى نهر رأس من أران . ثم رجع إلى أذربيجان وشتى بماهان . ثم جاءه النذير بمسير التتر إليه فرحل إلى أران وتحصن بها ، وثار أهل تبريز لما بلغهم خبر الواقعة الأولى بمن عندهم من عساكر الخوارزمية وقتلوهم ، ومنعهم رئيسهم الطغرياني من طاعة التتر . ووصل للسلطان جلال الدين ثم هلك قريباً فسلحوا بلادهم للتتر ، وكذا فعل أهل كنجة وأهل سلغار . ثم سار السلطان إلى كنجة وارتجعها وقتل المعترضين للثورة فيها ، وسار إلى خلاط واستمد الأشرف بن العادل صاحب الشام ففعله بالمواعيد ، وسار إلى مصر ويثس من إنجاده فبعث إلى جيرانه من الملوك يستنجدهم مثل صاحب حلب وآمد وماردين . وجرد عسكراً إلى بلاد الروم في خرت برت وملطية وأذربيجان فاقترحوها لما بين صاحبها كيقباد وبين الأشرف من الموالاة فاستوحش جميع الملوك من ذلك وقعدوا عن نصرته . وجاءه الخبر وهو بخلاط أن التتر زحفوا إليه فاضطرب في رحله ، وبعث أتابكه أوترخان في أربعة آلاف فارس طليعة ، فرجع وأخبره أن التتر رجعوا من حدود ملاذكرد ، وأشار عليه قومه بالمسير إلى أصفهان ، وزين له صاحب آمد قصد بلاد الروم وأطمعه في الاستيلاء عليها ليتصل بالقفقاق ويستظهر بهم على التتر ، ووعد الإمداد بنفسه يروم الانتقام من صاحب بلاد الروم لما ملك من قلاعه فخيم وعدل عن أصفهان ونزل بآمد . وبعث إليه التركمان بالنذير وأنهم رأوا نيران التتر فاتهم خبرهم . وصحبه التتر على آمد منتصف شوال سنة ثمان وعشرين وأحاطوا بخيمته ، وحمل عليهم أتابكه أوترخان وكشفهم عن الخيمة . وركب السلطان وأسلم أهله وسواده ، ورد أوترخان العساكر وانتبذ ليتواري عن عين العدو . وسار أوترخان إلى أصفهان واستولى عليها إلى أن ملكها التتر من يده سنة تسع وثلاثين . وذهب السلطان منجفلاً^(١) وقد امتلأت الدربندات والمضايق بالمفسدين من غير صنوفهم بالقتل والنهب ، فأشار عليه أوترخان بالرجوع ، فرجع إلى قرية من قرى ميفارقين ونزل في بيدرها وفارقه أوترخان إلى حلب . وهجم التتر على السلطان بالبيدر وقتلوا من كان معه ، وهرب فصعد إلى جبل الأكراد وهم

(١) ذهب ... (لغة ابن خلدون) .

مترصدون الطرق للنهب فسلبوه وهو ما بقتله . وشعر بعضهم أنه السلطان فضى به إلى بيته ليخلصه إلى بعض النواحي ، ودخل البيت في مغيبه بعض سفلتهم وهو يريد الثأر من الخوارزمية بأخ له قتل بخلاط فقتله ، ولم يغن عنه أهل البيت . ثم إنتشر الترت بعد هذه الواقعة في سواد آمد وأرزن وميفارقين وسائر ديار بكر فاكسحوها وخربوها ، وملكوا مدينة أسعد عنة فاستباحوها بعد حصار خمسة أيام ، ومروا بميفارقين فامتنعت ، ثم وصلوا إلى نصيبين فاكسحوها نواحيها ، ثم إلى سنجار وجبالها والخابور . ثم ساروا إلى أيدس فأحرقوها ، ثم إلى أعمال خلاط فاستباحوها هاكري وأرجيش . وجاءت طائفة أخرى من أذربيجان إلى أعمال أربل ومروا في طريقهم بالتركان الأيوية والأكراد الجوزقان فهبوا وقتلوا ، وخرج إليهم والي أربل مستمداً أهلها وعساكر الموصل فلم يدركوهم فعادوا وبقيت البلاد قاعاً صفصفاً . والله وارث الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين .

* (التعريف بجنكرخان وقسمة الأعمال بين ولده وإنفراده بالكرسي في قراقوم^(١) وبلاد الصين) *

هذا السلطان جنكرخان هو سلطان الترت لعهدده ثم من المغل أحد شعوبهم ، وفي كتاب لشهاب الدين بن فضل الله : أنه من قبيلة أشهر قبائل المغل وأكبرهم ، (وزايه التي بين الكاف والخاء ليست صريحة وإنما مشتملة بالصاد فينطق بها بين الصاد والزاي) وكان اسمه تمرجين ثم أصاروه جنكرخان تمام الإسم وهو بمعنى الملك عندهم . وأما نسبته فهي هكذا : جنكر بن بيسوكي بن بهادر بن تومان برتيل خان بن تومينه بن باد سقر بن تيدوان ديوم بن بقا بن مودنجه ، أحد عشر اسماً أعجمياً صعبة الضبط وهذا منحاه . وفي كتاب ابن فضل الله فيما نقله عن شمس الدين الأصفهاني إمام المعقولات بالمشرق أخذها عن أصحاب نظير الدين الطوسي قال : أن مودنجه إسم امرأة وهي جدتهم من غير أب . قالوا : وكانت متروجة وولدت ولدين إسم أحدهما بكتوت والآخر بلكتوت ، ويقال لولدها بنو الدلوكية . ثم مات زوجها وتأيمت وحملت وهي أيم فنكر عليها أقرباؤها فذكرت أنها رأت بعض الأيام نوراً دخل في فرجها ثلاث مرات ، وطراً عليها الحمل

(١) قراقوم : بفتح القاف والراء المهملة وألف وقاف مضمومة وواو ساكنة وميم ، معناه الرمل الأسود بالتركية . قال ابن سعيد : وقراقوم كانت قاعدة الترت ، وفي جهاتها بلاد المغل ، وهم خالصة الترت ومنها خاناتهم (تقويم البلدان لأبي الفداء) .

بعده . وقالت لهم : إن في حملها ثلاثة ذكور ، فإن صدق ذلك عند الوضع وإلا فافعلوا ما بدا لكم . فوضعت ثلاثة توائم من ذلك الحمل فظهرت براءتها بزعمهم ، إسم أحدهم : برقد والآخر قوناً والثالث نجعو وهو جد جنكرخان الذي في عمود نسبه كما مر ، وكانوا يسمونهم النورانيين نسبة الى النور الذي إدعته . ولذلك يقولون جنكرخان ابن الشمس .

وأما أوليته فقال يحيى بن أحمد بن علي النسائي كاتب جلال الدين خوارزم شاه في تاريخ دولته أن مملكة الصين متسعة ودورها مسيرة تسعة أشهر وهي منقسمة من قديم الزمان على تسعة أجزاء كل جزء منها مسيرة شهر ويتولى ملك كل جزء منها ملك يسمى بلغتهم خان ويكون نائباً عن الخان الأعظم قال وكان الأعظم الذي عاصر خوارزم شاه علاء الدين محمد بن تكش يقال له طرخان توارثها عن آباءه وكان مقيماً بطوغاج وهي وسط الصين وكان جنكرخان من أولئك الخانات الستة وكان من سكان البدو ومن أهل النجدة والشرف وكان مشتاه فارعون من بلاد الصين وكان من خاناتهم أيضاً ملك آخر إسمه دوشي خان كان متزوجاً بزوجة جنكرخان وإنفقت وفاته فحضر جنكرخان يوم وفاة زوجها دوشي خان فولته مكانه وحملت قومها على طاعته وبلغ الخبر إلى الخان الأعظم طرخان فنكر ذلك وزحف إليهم فقاتلوه وهزموه وغلبوه على أثر بلاده ثم صالحهم عليها وأقام متغلباً ثم مات بقية الخانات الستة وإنفرد جنكرخان بأمرهم جميعاً وأصبح ملكهم وكان بينه وبين خوارزم شاه من الحروب ما قدمناه وفي كتاب ابن فضل الله محكياً عن الصاحب علاء الدين عطاء وحدته به قال كان ملك عظيم من التتر في قبيلة عظيمة من قبائلهم يدعى أزيك خان وكان مطاعاً في قومه فإتصل به جنكرخان فقربه واستخلصه ونافسه قرابة السلطان وسعوا به عنده حتى استفسدوه عليه وطوى له وتربص به وسخط أزيك خان على مملوكين عنده فاستجارا بجنكرخان فأجارهما وضمن لهما أمانه وأطلعاه على رأي السلطان فيه فاستوحش وحذر وثبة السلطان فأجفل أمامه وأتبعه السلطان في عساكره فلما أدركه كرّ عليه جنكرخان فهزمه وغنم سواده وما معه ثم استمرت العداوة وانتبذ عن السلطان واستألف العساكر والأتباع وأفاض فيهم الإحسان فاشتدت شوكته ودخل في طاعته قبيلتان عظيمتان من المغل وهما أورات ومنفورات فعظمت جموعه وأحسن إلى المملوكين اللذين حذراه من أزيك خان ورفع رتبتهما وكتب لهما العهود بما إختياراه وكتب فيها أن يستمر ذلك لهما إلى تسعة بطون من أعقابهما ثم جهز العساكر لحرب أزيك خان فهزمه وقتله واستولى على مملكة التتر بأمرها ولما

توطأ أمره تسمى جنكزخان وكان اسمه ترجمين كما مرّ وكتب لهم كتاباً في السياسة سماه السياسة الكبيرة ذكر فيه أحكام السياسة في الملك والحروب والأحكام العامة شبه أحكام الشرائع وأمر أن يوضع في خزائنه وأن تختص بقرابته ولم يكن يؤتى بمثله وإنما كان دينه ودين آبائه وقومه الجوسية حتى ملكوا الأرض واستفحلت دولتهم بالعراق والشمال وما وراء النهر وأسلم من ملوكهم من هداه الله للإسلام كما نذكره إن شاء الله تعالى فدخلوا في عدد ملوك الإسلام إلى أن انقرضت دولهم وانقضت أيامهم والبقاء لله وحده وأما ولده فكثير وهو الذي يقتضيه حال بداوته وعصبيته إلا أن المشهور منهم أربعة أولهم دوشي خان ويقال جرجي وثانيهم جفطاي ويقال كداي وثالثهم أوكداي ويقال أوكتاي ورابعهم طولي بين التاء والطاء والثلاثة الأول لأمّ واحدة وهي أوبولى بنت تيكي من كبار المغل وعدّ شمس الدين الأصهباني الأربعة فقال جرجي وكداي وطولي وأوكداي وقال نظام الدين يحيى بن الحليم نور الدين عبد الرحمن الصيادي كاتب السلطان أبي سعيد فيما نقله عنه شهاب الدين بن فضل الله أن كداي هو جفطاي وجرجي هو طوشي فلما ملك جنكزخان البلاد قسم الممالك فكان لولده طوشي بلاد فيلاق إلى بلغار وهي دست القفجاق وأضاف إليه أران وهمدان وتبريز ومراغة وعيرلان وكتاي حدود آمد وقوباق وما أدري تفسير هذه وجعله ولي عهده وعين لجفطاي من الأيقور إلى سمرقند وبخارى وما وراء النهر ولم يعين لطولي شيئاً وعين لأخيه أوتكين نوى بلاد أبخت ولا أدري معنى هذا الاسم ولما استفحل ملكه واستولى على هذه الممالك جلس على التخت وانتقل إلى وطنه القديم بين الخطا والايقور وهو تركستان وكاشغر وفي ذلك الوطن مدينة قراقوم وبها كان كرسيه ومكانه بين أعمال ولده مكان المركز من الدائرة وكان كبير ولده طوشي ويقال دوشي ومات في حياته وخلف من الولد ناخوا وبركة وداوردة وطوفل هكذا قال ابن الحكيم وقال شمس الدين ناظو وبركة فقط ومات طولي أيضاً في حياته في حربه مع جلال الدين خوارزم شاه بنواحي غزنة وخلف من الولد منكو قبلاي وأزيك وهلاكوا والله تعالى أعلم بغيبه وأحكامه .

(طوش)

أوكداي

طولي — (صاحب التخت

تمر جین

جفتای

کداری

(البواتير)

بنو الدولكية

یہ کہیں

کتاب

ربقا بن مودنجہ

يونس سافجي

موقو باغي

وهي امرأة ولدت بزعمهم من غير زوج

* (ملوك التخت بقراقوم من بعد جنكزخان) *

قال ابن فضل الله ولما هلك جنكزخان استقلّ أوكداي بالتخت وبدست القفجاق وما معه وكان أصغر ولده وانتقل إلى قراقوم بمكانهم الأصلي فاعطى وقرایاق التي كانت بيده لابنه كفود ولم يتمكن كداي وهو جفطاي من مملكة ما وراء النهر ونازع ناظو بن دوشي خان في اران وهمدان وتبريز ومراغة وبعث أميرا من أمرائها لحمل أموالها والقبض على عماله بها وقد كان ناظو كتب اليهم بالقبض على ذلك الامير فقبضوا عليه وحملوه إلى ناظو فطحنه وبلغ ذلك إلى كفود فسار إلى ناظو في ستمائة ألف من العساكر وهلك قبل أن يصل اليه بعشر مراحل فبعث القوم إلى ناظو أن يكون صاحب التخت فأبى وجعله لاخته منكوفان بن طولي وبعثه اليه وأخويه معه قبلاي وهلاكو وبعث معهم أخاه بركة بن طولي في مائة ألف من العساكر ليجلسه على التخت فلما عاد من بخارى لقي الشيخ شمس الدين الباخوري من أصحاب نجم الدين كبير الصوفية فأسلم على يده وتأكدت صحبته ومعه وحرصه على التمسك بطاعة الخليفة ومكاتبته المعتصم ومبايعته ومهاداته وترددت الرسل بينه وبين المعتصم وتأكدت الموالات واستقل منكوفان بالتخت وولى أولاد جفطاي عمه على ما وراء النهر امضاء لوصية جنكزخان لابنهم التي مات دونها ووفد عليه جماعة من أهل قزوین وبلاد الجبل يشكون ما نزل بهم من ضرر الاسماعيلية وفسادهم فجهز أخاه هلاكو لقتالهم واستتصال قلاعهم ففضى لذلك وحسن لاخته منكوفان الاستيلاء على أعمال الخليفة فأذن له فيه وبلغ ذلك بركة فنكره على أخيه ناظو الذي ولى منكوفان لما كان بين بركة والمعتصم من الولاية والوصلة بوصية الشيخ الباخوري فبعث ناظو إلى أخيه هلاكو بالنهي عن ذلك وأن لا يتعدى مكانه وبلغته رسل ناظو بذلك وهو فيما وراء النهر قبل أن يفصل بالعساكر فأقام سنين امتثالا لامره حتى مات ناظو وتولى بركة مكانه فاستأذن أخاه منكوفان ثانية وسار لقصد الملاحدة وأعمال الخليفة فأوقع بالملاحدة وفتح قلاعهم واستلحمهم وأوقع بأهل همدان واستباحهم ليلهم إلى بركة وأخيه ناظو ثم سار إلى بركة بدست القفجاق فرحف اليه بركة في جموع لا تحصى والتقى واستمرّ القتل في أصحاب هلاكو وهمّ بالهزيمة ثم حال نهر الكرّ بين الفريقين وعاد هلاكو في البلاد واستحكمت العداوة بينهما وسار هلاكو إلى بغداد فكانت له الواقعة المشهورة كما مرّ ويأتي في أخبار دولته انشاء الله تعالى وفي كتاب ابن فضل الله فيما نقله عن شمس الدين الأصبهاني أنّ هلاكو لم يكن مستقلا بالملك وانما كان نائبا

عن أخيه منكوفان ولا ضربت السكة باسمه ولا ابنه ابغا وانما ضربها منهم ارغوحين استقل فجعل اسمه في السكة مع اسم صاحب التخت قال وكان شحنة صاحب التخت لا يزال ببغداد إلى أن ملك قازان فطرد الشحنة. وأفرد اسمه في السكة وقال ما ملكت البلاد الا بسيفي وبيت جنكرخان يرون أن بني هلاكو انما كانوا ثوارا وجنكرخان لم يملك طولي شيئا وأن أخاه منكوفان الذين ولاه عليها انما بعثه نائبا مع أن منكوفان انما ولاه ناظو بن دوشي خان كما مر قال ونقل عن ثقة أنه لم يبق هلاكو من يحقق نسبه لكثرة ما وقع فيهم من القتل غيرة على الملك ومن نجا طلب الاختفاء بشخصه فخفي نسبه الا ما قيل في محمل المنسوب إلى بحر جي قال شمس الدين الأصبهاني ونقله عن أمير كبير منهم أن أول من استقل بالتخت جنكرخان ثم ابنه أوكداي ثم ابنه كفود بن أوكداي ثم منكوفان بن طولي ثم أخوه ارييكان ثم أخوهما قبلاي ثم دمرفاي ويقال تمرفاي ثم تربي كيزي ثم كيزقان ثم سندمرقان بن طرما لابن جنكر بن قبلاي بن طولي انتهى كلام ابن فضل الله وعن غيره أن منكوفان جهز عساكر التتر أيام ملكه على التخت إلى بلاد الروم سنة^(١) مع أمير من أمراء المغل اسمه بيكوفلكها من يد بني قليج ارسلان كما هو مذكور في أخبارهم فاقامت في طاعة القان إلى أن انقرض أمر المغل منها ثم بعث منكوفان العساكر لغزو بلاد الخطا مع أخيه قبلاي بعد أن عهد له بالخانية ثم سار على اثره بنفسه واستخلف أخاه الآخر ازيك على كرسي قراقوم وهلك منكوفان في طريقه ذلك على نهر الطاي من بلاد الغور سنة ثمان وخمسين فجلس ازيك على التخت وعاد قبلاي من بلاد الخطا فرحف اليه ازيك فهزمه إلى بعض النواحي واستأثر بالغنائم عن اخوته وقومه فقالوا إلى طاعة قبلاي واستدعوه فجاء وقاتل أخاه ازيك فغلبه وتقبض عليه وحبسه واستقر في الغانية وبلغ الخبر إلى هلاكو وهو في الشام عندما استولى عليه فرجع لما كان يؤمله من الغانية ولما انتهى إلى جيحون بلغه استقلال أخيه قبلاي في الغانية وتبين له عجزه عنه فسأله وقنع بما في يده ورجع إلى العراق ثم نازع قبلاي في الغانية لآخر دولته سنة سبع وثمانين بعض بني أوكداي صاحب التخت الاول وهو قيدو بن قاشي بن كفود بن أوكداي ونزع اليه بعض أمراء قبلاي وزينوا له ذلك فسار له وبعث قبلاي العساكر للقائه مع ابنه تمقان فهزمه قيدو ورجع منهزما إلى أبيه فسخطه وطرده إلى بلاد الخطا ومات هنالك وسلط قبلاي على قيدو وكان غلب على ما وراء النهر براق بن ستف بن منكوفان بن جفطاي من بني جفطاي ملوك ما وراء النهر بوصية أبيهم جنكرخان

(١) يياض بالاصل ، ولم نعثر في المراجع التي بين ايدينا على هذه السنة .

* (ملوك بني جفطاي بن جنكرخان بتركستان وكاشغر وما

وراء النهر) *

هذا الاقليم هو مملكة الترك الاولى قبل الاسلام وأسلم ملوكهم على تركستان وكاشغر فأقاموا بها وملك بنو سامان نواحي بخارى وسمرقند واستبدوا ومنها كان ظهور السلجوقية والتمر من بعدهم ولما استولى جنكرخان على البلاد أوصى بهذه المملكة لابنه جفطاي ولم يتم ذلك في حياته ومات جفطاي دونه فلما ولي منكوفان بن طولي على التخت ولي أولاد جفطاي عمه على ما وراء النهر امضاء لوصية جنكرخان لابنهم التي مات دونها وولي منكوفان فلما هلك ولي أخوه هلاكو ابنه مبارك شاه ثم غلب عليهم قيدو بن قاشي بن كفود بن أوكداي بن جنكرخان وانتزع ما وراء النهر من أيديهم وكان جدّه كفوك صاحب التخت وبعده ولي منكوفان فلما ولي قيدو نازع صاحب التخت يومئذ وهو قبلاي وكانت بينهما حروب وأعان قبلاي في خلاها بني جفطاي على استرجاع ملكهم وولي منهم براق بن ستف بن منكوفان بن جفطاي وأمدّه بالعساكر والاموال فغلب قيدو بن قاشي بن كفود بن أوكداي بن جنكرخان وانتزع من صاحب التخت يومئذ واستبدّ بملك آبائه ثم هلك فولي من بعده دوا ثم من بعد دوا بنون له أربعة واحدا بعد واحد وهم كجك ثم اسعا ثم كبك ثم انجكداي ثم ولي بعد الاربعة دواتر ثم ترماشين ثم توزون بن اوماكان بن منكوفان بن جفطاي وتخلل هؤلاء من توثب على الملك ولم ينتظم له مثل سيساور بن اركتم بن بغاتر بن براق ولم يزل ملكهم بعد ترماشين مضطربا إلى أن ملك منهم جنقصب بن دواتر بن حلو بن براق بن ستف كانوا كلهم على دين المجوسية وخصوصا دين جنكرخان وعبادته الشمس وكان فيما يقال على دين النجشية فكان بنو جفطاي يعضون عليها بالنواجذ ويتبعون سياسته مثل أصحاب التخت فلما صار الملك إلى ترماشين منهم أسلم رحمه الله سنة خمس وعشرين وسبعائة وجاهد وأكرم التجار المترددين وكانت تجار مصر ممنوعين من بلاده فلما بلغهم ذلك قصدوها فحمدوها ولم انقرضت دول بني جنكرخان وتلاشت في جميع النواحي ظهر في أعقاب دولة بني جفطاي هؤلاء بسمرقند وما وراء النهر ملك اسمه تمر ولا أدري كيف كان يتصل نسبه فيهم ويقال انه من غير نسبهم وانما هو متغلب على صبي من أعقاب ملوكهم اسمه طغتمش أو محمود درج اسمه بعد مهلك أبيه واستبدّ عليه وأنه من أمرائهم وأخبرني من لقيته من أهل الصين أن أباه أيضا كان في مثل مكانه من الامارة والاستبداد وما أدري أهو

طبية في نسب جفطاي أو من أحلافهم واتباعهم وأخبرني الفقيه برهان الدين الخوارزمي وهو من علماء خوارزم وأعيانها قال كان لعصره وأول ظهوره ببخارى رجل يعرف بحسن من أمراء المغل وآخر بخوارزم من ملوك صراي أهل التخت يعرف بالحاج حسن الصوفي تياً وزحف إلى بخارى فملكها من يد حسن ثم إلى خوارزم وطالت حروبه مع الحاج حسن الصوفي وحاصرها مرارا وهلك حسن خلال ذلك وولي أخوه يوسف فملكها تمر من يده وخربها في حصار طويل ثم كلف بعمارتها وبناء ما خرب منها وانتظم له الملك بما وراء النهر ونزل قجارى ثم زحف إلى خراسان فملك هراة من يد صاحبها وأظنه من بقايا ملوك الغورية ثم زحف إلى مازندان وطال تمرسه وحروبه مع صاحبها الشيخ ولي إلى أن ملكها عليه ستة أربع وثمانين ولحق الشيخ ولي بتوريز إلى أن ملكها تمر ستة ثمان وثمانين فهلك في حروبه معها ثم زحف إلى أصبهان فاتوه طاعة ممرضة وخالفه في قومه كبير من أهل نسبه يعرف بمعمر الدين وأمدّه طغتمش صاحب التخت بصراي فكرّ راجعا وشغل بحربه إلى أن غلبه ومحا أثره وغلب طغتمش على ما بيده من البلاد ثم زحف إلى بغداد سنة خمس وتسعين فأجفل عنها ملكها أحمد بن أويس ابن الشيخ حسن المتغلب عليه بعد بني هلاكوفلحق أحمد ببر الشام سنة ست وتسعين واستولى تمر على بغداد والجزيرة وديار بكر إلى الفرات واستعدّ ملك مصر للقائه ونزل الفرات فأحجم عنه وتأخر عنه إلى قلاع الأكراد وأطراف بلاد الروم وأناخ على قراباغ ما بين أذربيجان والأبواب ورجع خلال ذلك طغتمش صاحب التخت إلى صراي وملكه فسار اليه تمر أول سنة سبع وتسعين وغلبه على ملكه وأخرجه عن سائر ممالكه ثم وصل الخبر آخر السنة بظفره بطغتمش وقتله إياه واستيلائه على جميع أعماله والحال على ذلك لهذا العهد والله وارث الارض ومن عليها وفي خبر العجم أنّ ظهوره سنة عذب يعنون سنة اثنين وسبعين وسبعائة بحساب الحمل في حروف هذه اللفظة والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق بمنه وكرمه .

جفصون دواتر بن حلون براق بن مستف بن منكو فان بن جفطاي بن
شاه
مبارك شاه
هلاكو
قيد بن قاشي بن كفود بن اوكداي
جفصون دواتر بن حلون براق بن مستف بن منكو فان بن جفطاي بن
شاه
مبارك شاه
هلاكو
قيد بن قاشي بن كفود بن اوكداي
جفصون دواتر بن حلون براق بن مستف بن منكو فان بن جفطاي بن
شاه
مبارك شاه
هلاكو
قيد بن قاشي بن كفود بن اوكداي

الخبر عن ملوك بني دوشي خان من التتر ملوك خوارزم ودست القفجاق ومبادي أمورهم وتصاريق أحوالهم

قد تقدّم لنا أنّ جنكزخان عين هذه البلاد لابنه دوشي خان وملكه عليها وهي مملكة متسعة في الشمال آخذة من خوارزم إلى ناركند وصفد وصرای إلى مدينة ماجرى واران وسرادق وبلغار وباشقرد وجللمان وفي حدود هذه المملكة مدينة باكو من مدن شروان وعندها باب الحديد ويسمونه دمرقو وتمر حدود هذه المملكة في الجنوب إلى حدود القسطنطينية وهي قليلة المدن كثيرة العمارة والله تعالى أعلم .

* (دوشي خان بن جنكرخان) *

وأول من وليها من التتر دوشي خان فلم يزل ملكا عليها إلى أن هلك في حياة أبيه كما مرّسته .

* (ناظو خان بن دوشي خان) *

ولما هلك دوشي خان ولي مكانه ابنه ناظو خان ويقال صامر خان ومعناه الملك المغير فلم يزل ملكا عليها إلى أن هلك سنة خمسين وسبعمائة .

* (طرطوبن دوشي خان) *

ولما هلك ناظو ولي أخوه طرطوب فأقام ملكا سنتين وهلك سنة اثنتين وخمسين ولما هلك ولي مكانه أخوه بركة هكذا نقل ابن فضل الله عن ابن الحكيم وقال المؤيد صاحب حمة في تاريخه انه لما هلك طرطوب هلك من غير عقب وكان لآخيه ناظو خان ولدان وهما تدان وبركة وكان مرشحا للملك فعدل عنه أهل الدولة وملكوا أخاه بركة وسارت أم تدان إلى هلاكه عندما ملك العراق تستحته لملك قومها فردّوها من الطريق وقتلوا واستمرّ بركة في سلطانه انتهى فنسب المؤيد بركة إلى ناظو خان بن دوشي خان وابن الحكيم على ما نقل ابن فضل الله جعله ابن دوشي خان نفسه وذكر المؤيد قصة اسلامه على يد شمس الدين الباخوري من أصحاب نجم الدين وأنّ الباخوري كان مقما ببخارى وبعث إلى بركة يدعوه إلى الإسلام فأسلم وبعث إليه كتابه باطلاق يده في سائر أعماله بما شاء فردّه عليه وأعمل بركة الرحلة إلى لقائه فلم يأذن له في الدخول حتى تطارح عليه أصحابه وسهلوا الاذن لبركة فدخل وجدّد الإسلام وعاهده الشيخ على اظهاره الإسلام وان يحمل عليه سائر قومه فحملهم واتخذ المساجد والمدارس في جميع بلاده وقرب العلماء والفقهاء ووصلهم وسياق القصة على ما ذكره المؤيد يدل على أنّ اسلامه كان أيام ملكه وعلى ما ذكر ابن الحكيم أنّ اسلامه كان أيام أخيه ناظو ولم يذكر ابن الحكيم طرطوب وإنما ذكر بعد ناظو أخاه بركة ولم نقف على تاريخ لدولتهم حتى يرجع اليه وهذا ما أدّى اليه الاجتهاد وما بعدها مأخوذ من تاريخ المؤيد صاحب حمة من بني المظفر بن شاهنشاه بن أيوب قال ثم بعث بركة أيام سلطانه أخاه ناظو إلى ناحية الغرب للجهاد وقاتل ملك اللان من الافرنج فانهزم ورجع ومات أسفا

ثم حدثت الفتنة بين بركة وبين قبلاي صاحب التخت وانتزع بركة الخاقانية من أعمال قبلاي وولى عليها سرخاد ابن أخيه ناظو وكان على دين النصرانية وداخله هلاكو في الانتقال على عمه بركة إلى أخيه قبلاي صاحب التخت ويقطعه الخاقانية وما يشاء معها وشعر بركة بشأنه وأن سرخاد يحاول قتله بالسّم فقتله وولى الخاقانية أخاه مكانه وأقام هلاكو طالبا بثأر سرخاد ووقعت الحرب بينه وبين بركة على نهر آمد سنة ستين ثم هلك هلاكو سنة ثلاث وستين وولي ابنه ابغا فسار إلى حربه وسرح بركة للقائه ستاي بن بانيغان بن جفطاي ونوغية بن تتر بن مغل بن دوشي خان فلما التقى الجمعان أحجم ستاي ورجع منهزما وانهمز ابغا أمام نوغية وأثنى في عساكره وعظمت منزلة نوغية عند بركة وسخط بركة ستاي وساعت منزلته عنده إلى أن هلك بركة سنة خمس وستين والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (منكوتر بن طغان بن ناظو خان) *

ولما هلك بركة ملك الدست بالشمال ملك مكانه منكوتر بن طغان بن ناظو خان ابن دوشي خان وطالت أيامه وزحف سنة سبعين إلى القسطنطينية لعدة وجدها على الاشكر ملكها فتلقاه بالخضوع والرغبة ورجع عنه ثم زحف سنة ثمانين إلى الشام في مظاهرة ابغا بن هلاكو ونزل بين قيسارية وابلستين من بلاد الروم ثم أجاز الدريند ومرّ بابغا وهو منازل الرحبة وتقدّم مع أخيه منكوتر بن هلاكو إلى حماة فنازلوها وزحف اليهم المنصور قلاون ملك مصر والشام من دمشق ولقيهم بظاهر حمص وكانت الدائرة على ملوك التتر وهلك خلق من عساكرهم وأسر آخرون وأجفل ابغا من منازل الرحبة ورجعوا إلى بلادهم منهزمين وهلك على أثر ذلك منكوتر ملك الشمال ومنكوتر بن هلاكو سنة احدى وثمانين ولما هلك منكوتر ملك مكانه ابنه تدان وجلس على كرسي ملكهم بصراي فأقام خمس سنين ثم ترهب وخرج عن الملك سنة ست وثمانين وانقطع إلى صحبة المشايخ الفقراء ولما ترهب تدان بن منكوتر وخرج عن الملك ملك مكانه اخوه قلابغا وأجمع على غزو بلاد الكرك واستنفر نوغية بن تتر بن مغل بن دوشي خان وكان حاكما على طائفة من بلاد الشمال وله استبداد على ملوك بني دوشي خان فنفر معه في عساكره وكانت عظيمة ودخلوا جميعا بلاد الكرك وأغاروا عليها وعاثوا في نواحيها وفصلوا منها وقد تمكن فصل الشتاء وسلك السلطان مسافة اعتسف فيها البيداء وهلك أكثر عساكره من البرد والجوع وأكلوا دوابهم وسار نوغية من أقرب المسالك فنجأ إلى بلاده سالما من تلك الشدة فاتهمه السلطان قلابغا بالادهان في أمره

وكان ينقم عليه استبداده حتى انه قتل امرأة كنجك وكانت متحكمة في أيام أبيه وأخيه وشكت إلى نوغينة^(١) فأمر بقتلها خنقاً وقتل أميراً كان في خدمتها اسمه بيطرا فتنكر له قلابغا وأجمع الفتك به وأرسل يستدعيه لما طوي له عليه ونمي الخبر بذلك إلى نوغينة فبالغ في اظهار النصيحة والاشفاق على السلطان وخاطب أمه بأنَّ عنده نصائح يودُّ لو ألقاها إلى السلطان في خلوة فثنت ابنها عن رأيه فيه وأشارت عليه باستدعائه والاطلاع على ما عنده وجاء نوغينة وقد بعث عن جماعة من اخوة السلطان قلابغا كانوا يميلون اليه ومنهم طغطاي وبولك وصراي وتدان بنو منكوتر بن طغان فجاءوا معه وقد توقفوا لما هجم السلطان قلابغا وركب للقاء نوغينة في لمة من عسكره وجاء نوغينة وقد أكنن له طائفة من العسكر فلما التقيا تحادثا مليا وخرج الكمناء وأحاطوا بالسلطان وقتلوه سنة تسعين وستمائة وأقبل طغطاي ابن منكوتر ولما قتل قلابغا ولوا مكانه طغطاي لوقته ورجع نوغينة إلى بلاده وبعث إلى طغطاي في قتل الأمراء الذين داخلوا قلابغا في قتله فقتلهم طغطاي أجمعين ثم تنكر طغطاي לנוغينة لما كان عليه من الاستبداد وأنف طغطاي منه وأظلم الجو بينهما واجتمع أعيان الدولة إلى نوغينة فكان يوغر صدرهم على طغطاي واصهر إلى طاز بن منجك منهم بابتته فسار اليه طغطاي ولقيه نوغينة فهزمه واعترضه نهر مل ففرق كثير من عسكره ورجع نوغينة عن اتباعه واستولى على بلاد الشمال وأقطع سبطه قراجا بن طشتمر سنة ثمان وسبعين مدينة القرم وسار اليها لقبض أموالها فأضافوه وبيتوه وقتلوه من ليلته وبعث نوغينة العساكر إلى القرم فاستباحوها وما يحاورها من القرى والضياع وخرب سائرها وكان نوغينة كثير الايثار لاصحابه فلما استبدَّ بأمره آثر ولده على الأمراء الذين معه وحسوا عليهم وكان رديفه من ملك المغل اياجى بن قرمش وأخوه قراجا فلما آثر ولده عليها نزعا إلى طغطاي في قومها وسار ولد نوغينة في اتباعها فرجع بعضهم واستمرَّ الباقون وقتل ولد نوغينة من رجع معه من أصحاب اياجى وقراجا وولدهم فامتعض لذلك أمراء المغل الذين معه ولحقوا بطغطاي واستحثوه لحرب نوغينة فجمع وسار اليه سنة تسع وتسعين بكوكان لك فانهزمت عساكر نوغينة وولده وقتل في المعركة وحمل رأسه إلى طغطاي فقتل قاتله وقال السوق لا تقتل الملوك واستبيح معسكر نوغينة وبيع سباياهم وأسراهم في الاقطار وكان بمصر منهم جماعة استرقوا بها وانتظموا في ديوان جندها ولما هلك نوغينة خلفه في أعماله ابنه جكك وانتقض عليه أخوه فقتله فاستوحش لذلك أصحابه وأجمعوا الفتك به وتولى ذلك نائبه طغرلحاي وصهره على أخته طاز بن منجك ونمي الخبر بذلك اليه وهو في بلاد اللازو الروس غازيا فهرب ولحق

(١) هكذا وقد وردني نسخ اخرى نوغينة و نوغينة .

بيلاده ثم لحق به عسكره فعاد إلى حربهم وغلبهم على البلاد ثم أمدهما طغطاي على جكا بن نوغينة فانهزم ولحق ببلاد أولاق وحاول الامتناع ببعض القلاع من بلاد أولاق وفيها صهره فقبض عليه صاحب القلعة واستخدم بها الطغطاي فأمره بقتله سنة احدى وسبعائة ونجا أخوه طراي وابنه قرا كسك شريدين وخلا الجولطغطاي من المنازعين والمخالفين واستقرت في الدولة قدمه وقسم أعماله بين أخيه صراي بغا وبين ابنه وأتزل منكلي بغا من ابنه في عمل نهر طنا مما يلي باب الحديد ثم رجع صراي بن نوغينة من مفره واستندم بصراي بغا أخي طغطاي فأذمه وأقام عنده فلما أنس به كشف له القناع عما في صدره واستهواه للانتقاض على أخيه طغطاي وكان أخوها ازبك أكبر منه وكان مقبياً عند طغطاي فركب اليه صراي بغا ليفاوضه في الشأن فاستعظمه واطلع عليه أخاهما طغطاي فأمره لوقته باحضار أخيه صراي بغا وصراي بن نوغينة وقتلها واستضاف عمل أخيه صراي بغا لابنه ايل بهادر ثم بعث في طلب قرا كسك بن نوغينة فأبعد في ناحية الشمال واستندم ببعض الملوك هنالك ثم هلك سنة تسع وسبعائة أخوه بذلك وابنه ايل بهادر وهلك طغطاي بعدهما سنة اثني عشرة والله تعالى أعلم .

* (أزبك بن طغرلحاي بن منكوتر) *

ولما هلك طغطاي بايع نائبه قطلمر لازبك ابن أخيه طغرلحاي بأشارة الخاتون تنوفالون زوج أبيه طغرلحاي وعاهده على الإسلام فأسلم واتخذ مسجداً للصلاة وأنكر عليه بعض أمرائه فقتله وتزوج الخاتون بثالون وكانت الموصلة بين طغطاي وبين ملوك مصر ومات طغطاي ورسله عند الملك الناصر محمد بن قلاوون فرجعوا إلى أزبك مكرمين وجدد أزبك الولاية معه وحببه قطلمر في بعض كرائعهم يرغبه وعين له بنت بذلك أخي طغطان وتكررت الرسالة في ذلك إلى أن تم الامر وبعثوا بكرميتهم المخطوبة إلى مصر فعقد عليها الناصر وبني بها كما مر في أخباره ثم حدثت الفتنة بين أزبك وبين أبي سعيد ملك التتر بالعراق من بني هلاكو وبعث أزبك عساكره إلى أذربيجان وكان بنو دوشي يدعون أن توريز ومراغة لهم وأن القان لما بعث هلاكو لغزو بلاد الاسماعيلية وفتح بغداد استكثر من العساكر وسار معه عسكر أهل الشمال هؤلاء وقررت لهم العلوقة بتوريز ولما مات هلاكو طلب بركة من ابنه ابغا أن يأذن له في بناء جامع تبريز ودار لنسج الثياب والطرز فأذن له فبناها وقام بذلك ثم اصطلحوا وأعيدت فادعى بنو دوشي خان أن توريز ومراغة من اعمالهم

ولم يزالوا مطالبين بهذه الدعوة فلما وقعت هذه الفتنة بين أزيك وأبي سعيد افتتح أمره بغزو موغان فبعث العساكر اليها سنة تسعة عشر فاكسحوا نواحيها ورجعوا وجمع جوبان على دولته وتحكمه في بني جنكرخان وأنه يأنف أن يكون براق بن ستف بن منكوفان بن جفطاي ملكا على خوارزم فأغراه أزيك فملك خراسان وأمدّه بالعساكر مع نائبه قطلنمر وسار سيول لذلك وبعث أبو سعيد نائبه جوبان لمدافعتها فلم يطق وغلب سيول على كثير من خراسان وصالحه جوبان عليهما وهلك سيول سنة عشرين ثم عزل أزيك نائبه قطلنمر سنة احدى وعشرين وولي مكانه عيسى كوكر ثم رده سنة أربع وعشرين إلى نيابته ولم تزل الحرب متصلة بين أزيك وأبي سعيد إلى أن هلك أبو سعيد سنة ست وثلاثين ثم هلك القان في هذه السنة ولما هلك أزيك بن طغرلخاي ولي مكانه ابنه جاني بك وكان أبو سعيد قد هلك قبله كما قلناه ولم يعقب وولي مكانه على العراق الشيخ حسن من أسباط ابغا بن هلاكو وافترق الملك في عمالاتهم طوائف وردد جاني بك العساكر إلى خراسان إلى أن ملكها سنة ثمان وخمسين ثم زحف إلى أذربيجان وتوريز وكان قد غلب عليها الشيخ الصغير ابن دمرداش بن جوبان وأخوه الأشرف من بعده كما يذكر في أخبارهم أن شاء الله تعالى فزحف جاني بك في العساكر إلى أذربيجان بتلك المطالبة التي كان سلفه يدعون بها فقتل الأشرف واستولى على توريز وأذربيجان وانكفأ راجعا إلى خوزستان بعد أن ولي على توريز ابنه برديك واعتل جاني بك في طريقه ومات .

* (برديك بن جاني) *

ولما اعتل جاني في ذهابه من توريز إلى خراسان طير أهل الدولة الخبر إلى ابنه برديك وقد استخلفه في توريز فولى عليها أميرا من قبله وأغذ السير إلى قومه ووصل إلى صراي وقد هلك أبوه جاني فولوه مكانه واستقل بالدولة وهلك لثلاث سنين من ملكه .

* (ماماي المتغلب على مملكة صراي) *

ولما هلك برديك خلف ابنه طغتمش غلاما صغيرا وكانت أخته بنت برديك تحت كبير من أمراء المغل اسمه ماماي وكان متحكما في دولته وكانت مدينة القرم من ولايته وكان يومئذ غائبا بها وكان جماعة من أمراء المغل متفرقين في ولايات الاعمال بنواحي صراي فقرقوا الكلمة واستبدلوا بأعمالهم فتغلب حاجي شركس على ناحية منج طرخان وتغلب أهل خان

على عمله وإيبك خان كذلك وكانوا كلهم يسمون أمراء المسيرة فلما هلك برديك وانقرضت الدولة واستبدَّ هؤلاء في النواحي خرج ماماي إلى القرم ونصب صيبا من ولد أزيك القان اسمه عبدالله وزحف به إلى صراي فهرب منها طغتمش ولحق بمملكة أرض خان في ناحية جبال خوارزم إلى مملكة بني جفطاي بن جنكرخان في سمرقند وما وراء النهر والمتغلب عليها يومئذ السلطان تمر من أمراء المغل وقد نصب صيبا منهم اسمه محمود وطغتمش وتزوج أمه واستبدَّ عليه فأقام طغتمش هناك ثم تنافس الأمراء المتغلبون على أعمال صراي وزحف حاجي شرکس صاحب عمل منج طرخان إلى ماماي فغلبه على صراي فملكها من يده وسار ماماي إلى القرم فاستبدَّ بها ولما زحف حاجي شرکس من عمله بعث أرض خان عساكره من نواحي خوارزم فحاصروا منج طرخان وبعث حاجي العساكر اليهم مع بعض أمرائه فأعمل الحيلة حتى هزمهم عن منج طرخان وقتل بهم وبالأمر الذي يقودهم وشغل حاجي شرکس بتلك الفتنة فزحف إليه إيبك خان وملك صراي من يده واستبدَّ بها أياما ثم هلك وولي بعده بصراي ابنه قاريخان ثم زحف إليه أرض خان من جبال خوارزم فغلبه على صراي وهرب قاريخان بن إيبك خان وعادوا إلى عملهم الأول واستقرَّ أرض خان بصراي وماماي بالقرم ما بينه وبين صراي في مملكته وكان هذا في حدود أعوام سنة ست وسبعين وطغتمش في خلال ذلك مقيم عند السلطان تمر فها وراء النهر ثم طمحت نفس طغتمش إلى ملك آبائه بصراي فجهز معه السلطان تمر العساكر وسار بها فلما بلغ جبال خوارزم اعترضه هناك عساكر أرض خان فقاتلوه وانهزم ورجع إلى تمر ثم هلك أرض خان قريبا من منتصف تلك السنة فخرج السلطان تمر بالعساكر مع طغتمش مددا له إلى حدود عمله ورجع واستمرَّ طغتمش فاستولى على أعمال أرض خان بجبال خوارزم ثم سار إلى صراي وبها عمال أرض خان فملكها من أيديهم واسترجع ما تغلب عليه ماماي من ضواحيها وملك أعمال حاجي شرکس في منج طرخان واستترع جميع ما كان بأيدي المتغلبين ومحا أثرهم وسار إلى ماماي بالقرم فهرب أمامه ولم يوقف على خبره ثم صح الخبر بمهلكه من بعد ذلك واستوسق الملك بصراي وأعمالها لطغتمش بن برديك كما كان لقومه .

* (حروب السلطان تمر مع طغتمش صاحب صراي) *

قد ذكرنا فيما مرَّ ظهور هذا السلطان تمر في دولة بني جفطاي وكيف أجاز من بخاري وسمرقند إلى خراسان أعوام أربعة وثمانين وسبعائة فترل على هراة وبها ملك من بقايا الغورية

فحاصرها وملكها من يده ثم زحف إلى مازندان وبها الشيخ ولي تغلب عليها بعد بني هلاكو فطالت حروبه معه إلى أن غلبه عليها ولحق الشيخ ولي بتوريز في فل من أهل دولته ثم طوي تمر الممالك طيا وزحف إلى أصبهان فاتاه ابن المظفر بها طاعته ثم إلى توريز سنة سبع وثمانين فملكها وخربها وكان قد زحف قبلها إلى دست القفجاق بصراي فملكها من يد طغتمش وأخرجه عنها فأقام بأطراف الاعمال حتى أجاز تمر إلى أصبهان فرجع إلى كرسيه وكان للسلطان تمر قريع في قومه يعرف بقمر الدين فراسله طغتمش صاحب صراي وأغراه بالانتقاض على تمر وأمدّه بالاموال والعساكر فعاث في تلك البلاد وبلغ خبره إلى تمر منصرفه من فتحه فكر راجعا وعظمت حروبه مع قمر الدين إلى أن غلبه وحسم علته وصرف وجهه إلى شانه الأول وقرر الزحف إلى طغتمش وسار طغتمش للقائه ومعه اعلان بلاط من أهل بيته فداخله تمر وجاعة الأمراء معه واستراب بهم طغتمش وقد حان اللقاء وتصافوا للحرب فصدم ناحية من عسكر تمر وصدم من لقي فيها وتبدد عياله وافترق الأمراء الذين داخلوا تمر وساروا إلى الثغور فاستولوا عليها وجاء طغتمش إلى صراي فاسترجعها وهرب اعلان بلاط إلى القرم فملكها وزحف اليه طغتمش في العساكر فحاصرها وخالفه أرض خان إلى صراي فملكها فرجع طغتمش وانتزعها من يده ولم تنزل عساكره تختلف إلى القرم وتعاهدا بالحصار إلى أن ملكها وظفر باعلان بلاط فقتله وكان السلطان تمر بعد فراغه من حروبه مع طغتمش سار إلى أصبهان فملكها أيضا واستوعب ملوك بني المظفر وعاملهم بالقتل وانتظم له أعمالهم جميعا في مملكته ثم زحف إلى بغداد فملكها من يد أحمد بن أويس سنة خمس وتسعين كما مر ذكره ولحق أحمد بالسلطان الظاهر صاحب مصر مستصرخا به فخرج معه في العساكر وانتهى إلى الفرات وقد سار تمر عن بغداد إلى مازندران فحاصرها وملكها وامتنعت عليه قلعتها فعاج من هنالك إلى حصون الاكراد ثم إلى بلاد الأرمن ثم إلى بلاد الروم وبعث السلطان الظاهر صاحب مصر العساكر مددا لابن أويس فسار إلى بغداد وبها شزيمة من عسكر تمر فملكها من أيديهم ورجع الملك الظاهر إلى مصر وقد أظلم الشتاء ورجع تمر إلى نواحي أعماله فأقام في عمل قراباق ما بين اذربيجان وهمدان والابواب ثم بلغ الخبر إلى تمر فسار من مكانه ذلك إلى محاربة طغتمش وعميت أنباؤه مدة ثم بلغ الخبر آخر سنة سبع وتسعين إلى السلطان فأن تمر ظفر بطغتمش وقتله واستولى على سائر أعماله والله غالب على أمره انتهى .

* (ملوك غزنة وباميان من بني دوشي خان) *

كانت أعمال غزنة وباميان هذه قد صارت لدوشي خان وهي من أعمال ما وراء النهر من جانب الجنوب وتاخم سجستان وبلاد الهند وكانت في مملكة بني خوارزم شاه فللكها الترتي لأول خروجهم من أيديهم وملكها جنكزخان لابنه دوشي خان وصارت لابنه أردنو ثم لابنه انجي بن أردنو وهلك على رأس المائة السابعة وخلف من الولد بيان وكبك ومنغطاي وانقسمت الأعمال بينهم وكان كبيرهم بيان في غزنة وقام بالملك بعد انجي ابنه كبك وانتقض عليه أخوه بيان واستمد بطغطاي صاحب صراي فأمده بأخيه بذلك واستنجد كبك بقتدو فأمده ولم يغن عنه وانهزم ومات سنة تسع وسبعائة واستولى بيان على الأعمال وأقام بغزنة وزحف اليه قوشناي ابن أخيه كبك واستمد بقتدو وغلب عمه على غزنة ولحق بيان بطغطاي واستقر قوشناي بغزنة ويقال أن الذي غلب عليها إنما هو أخوه طغطاي ولم نقف بعد على شيء من أخبارهم والله تعالى أعلم بغيه وأحكامه .

طغتمش — بن جانی بك بن ازبك بن طغرك خان — بن منكرمر بن طغان بن ناظرخان — بن دوئي خان — جنكزخان

၂
၃၆၇

57

4

५।०

‘

6

)·

॥१॥

١٠

ز
ح
قلا بقا
طغطاي

ج
صرحو
د
بركة

مغناطی

۱۰۰

دولة بني هولاكو

دولة بني هلاكو ملوك التتر بالعراقين وخراسان
ومبادي أمورهم وتصاريف أحوالهم

قد تقدّم لنا أنّ جنكزخان عهد بالتخت وهو كرسي الملك بقراقوم لابنه أوكداي ثم ورثه من بعده كفود بن أوكداي وأنّ الفتنة وقعت بينه وبين صاحب الشمال من بني جنكزخان وهو ناظو بن دوشي خان صاحب التخت بصراي وسار اليه في جموع المغل والتتر وهلك في طريقه وسلم المغل الذين معه التخت لناظو فامتنع من مباشرته بنفسه وبعث اليه أخاه منكوفان وبعث معه بالعساكر أخويه الآخرين قبلاي وهلاكو ومعها أخوهما بركة ليجلسه على التخت فأجلسه سنة خمسين وذكرنا سبب اسلام بركة عند مرجعه وأنّ منكوفان استقلّ بالتخت وولى بني جفطاي بن جنكزخان على بلاد ما وراء النهر امضاء لوصية جنكزخان وبعث أخاه هلاكو لتدوين عراق العجم وقلاع الاسماعيلية ويسمون الملاحدة والاستيلاء على ممالك الخليفة .

* (هلاكو بن طولي) *

ولما بعث منكوفان أخاه إلى العراق فسار لذلك سنة اثنتين وخمسين وسثمائة وفتح الكثير من قلاعهم وضيق بالحصار مخنفهم وولى خلال ذلك في كرسي صراي بالشمال بركة بن ناظو بن دوشي خان فحدثت الفتنة بينه وبين هلاكو ونشأت من الفتنة الحرب وسار بركة ومعه نوغان بن ططر بن مغل بن دوشي خان والتقوا على نهر نول وقد جمد ماؤه لشدة البرد وانخسف من تحته فانهزم هلاكو وهلك عامة عسكره وقد ذكرنا أسباب الفتنة بينها ثم رجع هلاكو إلى بلاد الإسماعيلية وقصد قلعة الموت وبها صاحبها علاء الدين فبلغه في طريقه وصية من ابن العلقمي وزير المستعصم ببغداد في كتاب ابن الصلايا صاحب أربل يستحثه للمسير إلى بغداد ويسهل عليه أمرها لما كان ابن العلقمي رافضيا هو وأهل محلته بالكرخ وتعصب عليهم أهل السنة وتمسكوا بأنّ الخليفة والدوادار يظاهرونهم وأوقعوا بأهل الكرخ وغضب لذلك ابن العلقمي ودس إلى ابن الصلايا بأربل وكان صديقا له بأن يستحث التتر ملك بغداد وأسقط عامة الجند يمويه بانه يصانع التتر يعطائهم وسار هلاكو والتتر إلى بغداد واستنفر

بنحو مقدّم التّربّلاذ الروم فيمن كان معه من العساكر فامتنع أوّلاً ثم أجاب وسار إليه ولما أطل هلاكو على بغداد في عساكره برز للقائه أيّك الدوادار في عساكر المسلمين فهزموا عساكر التّتر ثم تراجع التّتر فهزمهم واعترضهم دون بغداد بشوق إنبثقت في ليلتهم تلك من دجلة فحالت دونها فقتلوا أجمعين وهلك أيّك الدوادار وأسر الأمراء الذين معه ورجعوا إلى البلد فحاصروها مدّة ثم استأمن من ابن العلقمي للمستعصم ولنفسه آملاً بأنّ هلاكو يستبقه فخرج إليه في موكب من الأعيان وذلك في محرّم سنة ست وخمسين وتقبض على المستعصم فشده بالمعاول في عدل نجافيا عن سفك دمه بزعمهم ويقال أنّ الذي أحصى فيها من القتلى ألف ألف وثلاثمائة ألف واستولوا من قصور الخلافة وذخائرها على ما لا يحصره العدد والضبط وألقيت كتب العلم التي كانت في خزائنها بدجلة معاملة بزعمهم لما فعله المسلمون بكتب الفرس عند فتح المدائن واعترم هلاكو على إضرام بيوتها ناراً فلم يوافقه أهل مملكته واستبقى ابن العلقمي على الوزارة والرّتبة ساقطة عندهم فلم يكن قصارى أمره إلا الكلام في الدّخل والخرج متصرفاً من تحت آخر أقرب إلى هلاكو منه فبقي على ذلك مدّة ثم اضطرب وقته هلاكو ثم بعث هلاكو بعد فتح بغداد بالعساكر إلى ميفارقين وبها الكامل محمد بن غازي بن العادل فحاصروها سنين حتى جهد الحصار أهلها ثم اقتحموها عنوة واستلحموا حاميتها ثم بعث إليه بدر الدين لؤلؤ صاحب الموصل ابنه ركن الدين إسماعيل بالطاعة والهدية فتقبله وبعثه إلى القان الأعظم منكوفان بقراقوم وأبطأ على لؤلؤ خبره فبعث بالولدين الآخرين شمس الدين إسحق وعلاء الدين بهدية أخرى ورجعوا إليه بخبر ابنه وقرب إيا به فتوجه لؤلؤ بنفسه إلى هلاكو ولقيه بأذربيجان وحضر حصار ميفارقين وجاءه ابنه ركن الدين من عند منكوفان بولاية الموصل وأعمالها ثم هلك سنة سبع وخمسين وولي ابنه ركن الدين إسماعيل ويلقب الصّالح وبعث هلاكو عسكرياً إلى أربل فحاصرها ستة أشهر وامتنعت فأفرجت عنها العساكر فاغتم ابن الصّلايا الفرصة ونزل عنها لشرف الدين الكردي ولحق بهلاكو فقتله وكان صاحب الشام يومئذ الناصر بن العزيز محمد بن الظاهر غازي بن صلاح الدين فلما بلغه استيلاء هلاكو على بغداد بعث إليه ابنه بالهدايا والمصانعة والعذر عن الوصول بنفسه لمكان الإفرنج من سواحل الشام فقبل هديته وعذره ورجع ابنه بالمواعيد ولم يتم هلاكو الاستيلاء على الجزيرة وديار بكر وديار ربيعة وانتهى ملكه إلى الفرات وتاخم الشام وعبر الفرات سنة ثمان وخمسين فلك البيرة ووجد بها السعيد أخا الناصر بن العزيز معتقلاً فأطلقه وردّه إلى عمله بالضبيّة وبانياس ثم سار إلى حلب فحاصرها

مدة ثم ملكها ومنّ عليه وأطلقه ووجد بها المعتقلين من البحرية ممالك الصالح أيوب الذين حبسهم الناصر وهم سقر الأشقر وتنكرت وغيرها فأطلقهم وكان معهم أمير من أكابر القفجاق لحق به واستخدم له فجعلهم معه وولى على البلاد التي ملكها من الشام ثم جهز العساكر إلى دمشق وإرتحل الناصر إلى مصر ورجع عنه الصالح بن الأشرف صاحب حمص إلى هلاكو فولاه دمشق وجعل نوابه بها لنظره وبلغ الناصر إلى هلاكو ثم استوحش الخليفة من قطز سلطان مصر لما كان بينهما من الفتنة فخرج إلى هلاكو فأقبل عليه واستشاره في إزال الكائب بالشام فسهل له الأمر في عساكر مصر ورجع إلى رأيه في ذلك وترك نائبه كييغا من أمراء التتر في خف من الجنود فبعث كييغا إلى سلطان مصر وأساء رسله بمجلس السلطان في الخطاب بطلب الطاعة فقتلهم وسار إلى الشام فلقى كييغا بعين جالوت فانهزمت عساكر التتر وقتل كييغا أميرهم والسعيد صاحب الضيعة أخو الناصر كان حاضراً مع التتر فقبض عليه وقتل صبراً ثم بعث هلاكو العساكر إلى البيرة والسعيد بن لؤلؤ على حلب ومعه طائفة من العساكر فبعث بعضهم لمداغة التتر فانهزموا وحقق الأمراء على السعيد بسبب ذلك وحبسوه وولوا عليهم حسام الدين الجوكندار وزحف التتر إلى حلب فأجفل عنها واجتمع مع صاحبها المنصور على حمص وزحفوا إلى التتر فهزمهم وسار التتر إلى أقامية فحاصروها وهابوا ما وراءها وإرتحلوا إلى بلادهم وبلغ الخبر إلى هلاكو فقتل الناصر صاحب دمشق لإتهامه إياه فيما أشار به من الإستهانة بأهل مصر وكان هلاكو لما فتح الشام سنة ثمان وخمسين بلغه مهلك أخيه القان الأعظم منكوفان في مسيره إلى غزو بلاد الخطا فطمع في القانية وبادر لذلك فوجد أخاه قبلاي قد استقل فيها بعد حروب بدت بينه وبين أخيه أربك تقدّم ذكرها في أخبار القان الأعظم فشغل بذلك عن أمر الشام ثم لما يش من القانية قنع بما حصل عنده من الأقاليم والأعمال ورجع إلى بلاده والأقاليم التي حصلت بيده إقليم خراسان كرسية نيسابور ومن مدنه طوس وهراة وترمد وبلغ همدان ونهاند وكنجة عراق العجم كرسية أصهان ومن مدنه قزوین وقم وقاشان وشهرزور وسجستان وطبرستان وطلان وبلاد الإسماعيلية عراق العرب كرسية بغداد ومن مدنه الدينور والكوفة والبصرة أذربيجان وكرسيه توريز ومن مدنه حران وسلماس وقفجاق خوزستان كرسية شستر ومن مدنها الأهواز وغيرها فارس كرسية شيراز ومن مدنها كش ونعمان ومحمل رزون والبحرين ديار بكر كرسية الموصل ومن مدنها ميفارقين ونصيبين وسنجار واسعد ودبيس وحران والرها وجزيرة ابن عمر بلاد الروم كرسية قونية ومن مدنها ملطية وأقصرا وأورنكار وسيواس

وانطاكية والعلايا ثم أجلاه أحمد الحاكم خليفة مصر فزحف إلى بغداد وهذا الحاكم هو عمّ المستعصم لحق بمصر بعد الواقعة ومعه الصالح بن لؤلؤ بعد أن أزاله التتر من الموصل فنصب الظاهر بيبرس أحمد هذا في الخلافة سنة تسع وخمسين وبعثه لإسترجاع بغداد ومعه الصالح بن لؤلؤ على الموصل فلما أجازوا الفرات وقاربوا بغداد كبسهم التتر ما بين هيت وغانة فكبسوا الخليفة وفرّ ابن لؤلؤ وأخواه إلى الموصل فَنَازَهم التتر سبعة أشهر ثم اقتحموها عليهم عنوة وقتلوا الصالح وخشى الظاهر بيبرس غائلة هلاكه ثم أن بركة صاحب الشمال قد بعث إلى الظاهر سنة ستماية وسبعين بإسلامه فجعلها الظاهر وسيلة للوصول معه والانجاد وأغراه بهلاكه لولا بينهما من الفتنة فسار بركة لحربه وأخذ بحجزته عن الشام ثم بعث هلاكه عساكر التتر لحصار البيرة ومعه درباي من أكابر أمراء المغل وأردفه يابنه أبغا وبعث الظاهر عساكره لإنجاد أهلها فلما أطلوا على عسكر درباي وعانينهم أجفل وترك المخيم والآلة ولحق بابغا منهزماً فاعتقله وسخطه ثم هلك هلاكه سنة ثنتين وستين لعشر سنين من ولايته العراق والله أعلم .

* (أبغا بن هلاكه) *

ولما هلك هلاكه ولي مكانه ابنه أبغا وسار لأوّل ولايته لحرب بركة صاحب الشمال فسرح إليه بركة العساكر مع قريبه نوغاي بن ططر بن مغل بن دوشي خان ومع سستف بن منكوفان ابن جفطاي بن جنكرخان وخام سستف عن اللقاء ورجع منهزماً وأقام نوغاي فهزم أبغا وأثنى في عساكره وعظمت منزلته بذلك عند بركة ثم بعث سنة إحدى وسبعين عساكره مع درباي لحصار البيرة وعبر الظاهر إليهم الفرات وهزمهم وقتل أميرين مع درباي ولحق درباي بابغا منهزماً فسخطه وأدال منه بأبطاي وفي سنة اثنتين وسبعين زحف أبغا إلى تكدار بن موجي بن جفطاي بن جنكرخان وكان صاحبه فاستجد بابن عمه براق بن سستف بن منكوفان بن جفطاي فأمدّه بنفسه وعساكره واستنفر أبغا عساكر الروم وأميرهم طمقان والبروانة والتقى الجمعان ببلاد الكرج فانهزم تكدار ولحق إلى جبل هنالك حتى استأمن أبغا فأمنه وعهد أن لا يركب فرساً فارها ولا يمس قوساً ونغي إلى أبغا أن الظاهر صاحب مصر سار إلى بلاد الروم فبعث العساكر إليها مع قائدين من قواد المغل وهما تدوان ونغوا فسارا وملك الظاهر قيسارية من تخوم بلادهم وبلغ الخبر إلى أبغا فجاء بنفسه إلى موضع الهزيمة وعان مصارع قومه ولم يسمع ذكراً لأحد من عسكر البروانة أنه صرع فاتهمه وبعث عنه بعد مرجعه فقتله ثم سار

أبغا سنة ثمانين وعبر الفرات ونازل الرحبة وبعث إلى صاحب ماردين فتزل معه هناك وكان منكوتر ابن أخي بركة ملك صراي فسار بعساكره من المغل وحشود الكرج والأرمن والروم وممر بيسارية وابلسين وأجاز الدريند إلى الرحبة فنازلها وبعث أبغا إليه بالعساكر مع أخيه منكوتر بن هلاكو وأقام هو على الرحبة وزحف الظاهر من مصر في عساكر المسلمين فلقبهم التتر على حمص وإنهزم التتر هزيمة شنعاء هلك فيها عامة عساكرهم وأجفل أبغا من حصار الرحبة وهلك أخوه منكوتر بن هلاكو مرجعه من تلك الواقعة يقال مسموماً وأنه مر ببعض أمرائه بجيزة تسمى مومواغا كان يضطغن له بعض الفعلات فسقاه سماً عند مروره به وهرب إلى مصر فلم يدركوه وأنهم قتلوا أبناءه ونسائه ثم هلك أبغا سنة إحدى بعدها ويقال مسموماً أيضاً على يد وزيره صاحب شمس الدين الجوني مشير دولته وكبيرها حمله الخوف على ذلك والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (تكدار بن هلاكو ويسمى أحمد) *

ولما توفي أبغا كما ذكرناه وكان ابنه أرغو غائباً بخراسان فبايع المغل لأخيه تكدار فأسلم وتسمى أحمد وخطب بذلك الملوك لعصره وأرسل إلى مصر يخبرهم ويطلب المساعدة وجاء بذلك قاضي سيواس قطب الدين الشيرازي وأتابك بلاد الروم وابن الصاحب من وراء ماردين وكان أخوه قنقرطاي مع صمغان الشحنة فبعث تكدار عن أخيه فامتنع من الإجابة وأجاره غياث الدين كنجسرو صاحب بلاد الروم فتوعده تكدار فخاف منه وسار هو وقنقرطاي إلى تكدار فقتل أخاه وجلس غياث الدين وولى مكانه أخاه عز الدين وأدال من صمغان الشحنة بأولاطو من أمراء المغل ثم جهز العساكر إلى خراسان لقتال أخيه أرغو فسار إليهم أرغو وكيسهم وهزمهم وقتل فيهم فسار تكدار بنفسه فهزم أرغو وأسرهم وأثنى في عساكره وقتل إثني عشر أميراً من المغل فاستوحش أهل معسكره وكانوا ينقمون عليه إسلامه فثاروا عليه وقتلوا نائبه ثم قتلوه سنة اثنتين وثمانين وبعثوا إلى أرغو بن أبغا بطاعتهم والله تعالى أعلم .

* (أرغو بن أبغا) *

ولما ثار المغل على تكدار وقتلوه وبعثوا بطاعتهم إلى أرغو فجاء وولوه أمرهم فقام بسلطانه وقتل غياث الدين كنجسرو صاحب بلاد الروم في محبسه إتهمه بمداهنته في قتل عمه

قنقراطي وتقبض لأوّل ولايته على الوزير شمس الدين الجوني وكان متهماً بأبيه وعمه فقتله وولى على وزارته سعد اليهودي الموصلّي ولقبه سعد الدولة وكان عالماً بالحكمة وولى ابنه قازان وخريندا على خراسان لنظر نيروز أتاكبه ولما فرغ من أمور ملكه وكان قد عدل عن دين الإسلام وأحب دين البراهمة من عبادة الأصنام وانتحال السحر والرياضة له ووفد عليه بعض سحرة الهند فركب له دواء لحفظ الصحة واستدامتها فأصابه منه صرع فمات سنة سبعين والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (كتختابون أبغا) *

ولما هلك أرغون أبغا وابناه قازان وخريندا غائبان بخراسان إجتمع المغل على أخيه كتختابون فبايعوه وقدموه للملك ثم ساءت سيرته وأفحش في المناكر وإباحة الحرمات والتعرض للغلمان من أبنائهم وكان في عسكره بيدو بن عمر طرغاي بن هلاكو فاجتمع إليه أمراء المغل وبايعوه سرّاً وشعر بهم كتختابون ففرّ من معسكره إلى جهة كرمان وساروا في أثره فأدركوه بأعمال غانة وقتلوه سنة ثلاث وتسعين لثلاث سنين وأشهر من ولايته والله تعالى أعلم .

* (بيدو بن طرغاي بن هلاكو) *

ولما قتل أمراء المغل كتختابون أبغا وبايعوا مكانه لابن عمه بيدو بن طرغاي بن هلاكو وكان قازان بن أرغو بخراسان فسار لحرب بيدو ومعه الأتابك نيروز فلما تقاربا للقاء تردّد الناس بينهما في الصلح على أن يقيم نيروز الأتابك عند بيدو واصطلحا وعاد قازان ثم أرسل نيروز الأتابك إلى قازان يستحثه فسار من خراسان ولما بلغ الخبر إلى بيدو فاوض فيه نيروز الأتابك فقال أنا أكفيك فصر حتى أتى إليه فسرّحه ولما وصل إلى قازان أطلعه على شأن أمراء بيدو وأنهم راغبون عنه وحرّضه على المسير فامتنع لذلك بيدو وسار للقائهم فلما التقى الجمعان انتقض عليه أمراؤه بمدخله نيروز فانهزم ولحق بنواحي همدان فأدرك هناك وقتل سنة خمس وتسعين لثمانية أشهر من ملكه والله سبحانه وتعالى أعلم .

* (قازان بن أرغو) *

ولما انهزم بيدو وقتل ملك على المغل مكانه قازان بن أرغو فجعل أخاه خريندا والياً على

خراسان وجعل نيروز الأتابك مدبراً لمملكته وسعى لأول أمره في التدبير على طرغاي من أمرائه ومواليه من المغل الذي داخل يلدو في قتل كتمخاتو الذي تولى كبر ذلك فخافه طرغاي على نفسه وكان نازلاً بين بغداد والموصل فبعث إلى كييغا العادل صاحب مصر والشام يستأذنه في اللحاق به ثم ولي قازان على ديار بكر أميراً من أتباعه اسمه مولان فهزمه وقتل الكثير من أصحابه ونجا إلى الشام وبعث كييغا من تلقاه وجاء به إلى مصر ودخل مجلس الملك ورفع مجلسه فيها قبل أن يسلم واستقرّ هو وقومه الأوبرانية بمصر وأقطع لهم وكان ذلك داعياً إلى الفتنة بين الدولتين ثم قتل قازان الأتابك نيروز وذلك أنه استوحش من قازان وكاتب لاشين سلطان مصر والشام المتولي بعد كييغا وأحس نيروز بذلك فلحق بهراً مستجيراً بصاحبها وهو فخر الدين ابن شمس الدين كرت صاحب سجستان فقبض عليه فخر الدين وأسلمه إلى قطلوشاه فقتله وقتل قازان بعد ذلك أخويه ببغداد وهما حاجي ولكري وقفل السفير إليه بالكتاب من مصر ثم كان بعد ذلك مفر شلامس بن أيال بن منجو إلى مصر وكان أميراً في بلاد الروم على الطومار المحجر فيها والطومار عندهم عبارة عن مائة ألف من العساكر عن قازان فارتاب به وأرسل إلى لاشين يستأذنه في اللحاق به وبعث قازان العساكر إليه فقاتلوه وانفض عنه أكثر أصحابه فقرّ إلى مصر وترك أهله وولده وبعث معه صاحب مصر العساكر لتلقي أهله ومروا بسييس فاعترضه عساكر التتر هناك فهزموه وقتلوا أمير مصر الذي معه واعتصم هو ببعض القلاع فاستتلوه منها وبعثوا به إلى قازان فقتله وأقام أخوه قطقطو بمصر في جملة عسكرها ونشأت بهذه الفتنة بين قازان وأهل مصر ونزع إليه أمراء الشام فلحق نائب دمشق ، ويكتمر نائب حلب والبكي الظاهري وعزاز الصالحى واسترابوا بسلطانهم الناصر محمد بن قلاون فلحقوا به واستحثوه إلى الشام وسار سنة تسع وسبعين في عساكر المغل والأرمن ومعه نائبه قطلوشاه ومولي وجاء الملك الناصر من مصر في عساكر المسلمين ولما انتهى إلى غزة أطلع على تدبير بعض المماليك عليه من أصحاب كييغا ومدخله الأمراء الذين هاجروا من المغل إلى مملكة مصر لهم في ذلك فسبق جميعهم وارتحل إلى حمص للقاء التتر ثم سار فصبحهم بمرج المروج والتقى الجمعان وكانت الدبرة على المسلمين واستشهد منهم عدد ونجا السلطان إلى مصر وسار قازان على التعية فلك حمص واستوعب مخلف السلطان فيها ثم تقدم إلى دمشق فلك المدينة وتقدم إلى قفجاق لجباية أموالها ولحصار القلعة وبها علاء الدين سنجر المنصور فامتنع وهدم ما حولها من العمران وفيها دار السعادة التي بها أيوان الملك وسار قازان إلى حلب فلكها وامتنعت عليه القلعة وعاثت عساكره في البلاد

وانتهت غاراتهم إلى غزة ولما امتنعت عليه القلاع إرتحل عائداً إلى بلده وخلف قطلوشاه في عساكر لحماية البلد وحصار القلعة ويحيى بن جلال الدين لجباية الأموال وترك قفجاق على نيابة دمشق ويكتمر على نيابة حلب وحمص وحماة وكر الملك الناصر راجعاً إلى الشام بعد أن جمع العساكر وبث العطاء وأزاح العلل وعلى مقدمته سرمر الحاشنكير وسلار كافلا مملكته فتقدموا إلى حدود الشام وأقام هو بالصالحية واستأمن لها قفجاق ويكتمر النائبان بدمشق وحلب وراجعا طاعة السلطان واستولى سرمر وسلار على الشام ورجع قطلوشاه إلى العراق ثم عاود قازان المسير إلى الشام سنة اثنتين وسبعين وعبر الفرات ونزل على الرحبة وكاتب أهل الشام يخادعهم وقدم قطلوشاه فأغار على القدس وبها أحياء التركمان فقاتلوه ونالوا منه وتوقفوا هنالك وسار الناصر من مصر في العساكر ثالث شعبان ولقي قطلوشاه بمرج الصفر فهزمه بعد حرب شديدة وسار في إتباعهم إلى الليل فاعتصموا بجبل في طريقهم وبات المسلمون يحرسونهم ثم تسلّلوا وأخذ القتل منهم كل مأخذ واعترضهم الوحل من أمامهم من بثوق بثقت لهم من نهر دمشق فلم ينج منهم أحد وقدم الفل على قازان بنواحي كيلان ومرض هنالك ومات في ذي الحجة من السنة ويقال أنه مات أسفاً والله تعالى أعلم بالصواب .

* (خربندا بن أرغو) *

ولما هلك قازان ولي بعده أخوه خربندا وابتدا أمره بالدخول في دين الإسلام وتسمى بمحمد وتلقب غياث الدين وأقر قطلوشاه على نيابته ثم جهزه لقتال الكرد في جبال كيلان وقاتلهم فهزموه وقتلوه وولى مكانه جويان بن تدوان وأقام في سلطانه حسن الدين معظماً للخلفاء وكتب أسماءهم على سكه ثم صحب الروافض فساء اعتقاده وحذف ذكر الشيخين من الخطبة ونقش أسماء الأئمة الاثني عشر على سكه ثم أنشأ مدينة بين قروين وهمدان وسماها السلطانية ونزلها واتخذ بها بيتاً لطيفاً بلبن الذهب والفضة وأنشأ بازائها بستاناً جعل فيه أشجار الذهب بشمر اللؤلؤ والفصوص وأجرى اللبن والعسل أنهاراً وأسكن به الغلمان والحواري تشبيهاً له بالجنة وأفحش في التعرض لحرمات قومه ثم سار إلى الشام سنة ثلاث عشرة وعبر الفرات ونزل الرحبة ورجع ثم هلك ويقال مات مسموماً على يد بعض أمرائه سنة ست عشرة والله تعالى أعلم .

* (أبو سعيد بن خربندا) *

ولما هلك خربندا خلف إبنه أبا سعيد طفلاً صغيراً ابن ثلاث عشرة سنة فاستصغره جوبان وأرسل إلى أزيك ملك الشمال بصراي يستدعيه لملك العراقين فحذره نائبه قطلقتمر من ذلك وباع جوبان لأبي سعيد بن خربندا على صغره وبدأ أمره بقتل أبي الطيب رشيد الدولة فضل الله بن يحيى الهمداني المتهم بقتل أبيه فقتله وكان مقدماً في العلوم وسرياً في الغاية وله تاريخ جمع فيه أخبار التتر وأنسابهم وقبائلهم وكتبه مشجراً كما في كتابنا هذا وكان جوبان يومئذ بخراسان يقاتل عليها سيول بن براق بن ستف بن ماسان بن جفطاي صاحب خوارزم أغراه أزيك صاحب الشمال بخراسان وأمدّه بعساكره وكان جوبان موافقاً له فلما هلك خربندا طمع سيول في الاستيلاء على خراسان وكتب أمراء المغل بدولة أبي سعيد رغيبهم فأطمعوه فسار جوبان إلى الأردن ومعناه بلغتهم العسكر والمخيم وانتهى إلى أبي سعيد خبر أمرائه فقتل منهم أربعين ورجع جوبان إلى خراسان سنة ثمان عشرة وقد استولى سيول عليها وعلى طائفة من عراق العجم وبعث إليه أزيك صاحب الشمال نائبه قطلقتمر مدداً في العساكر فلقبهم جوبان وكانت بينهم حروب وانتزع جوبان ما ملكه سيول من بلاد خراسان وصالحه على ما بقي ورجع ثم سار أزيك ملك الشمال إلى مراغة فأغار عليها وغنم ورجع وأتبعه جوبان في العساكر فلم يدركه وهلك سيول سنة عشرين وإرتجع أبو سعيد ما كان بيده من خراسان وكان أزيك صاحب الشمال يتقم على أبي سعيد استبداد جوبان عليه وتحكمه في بني جنكزخان ويحرض أهل النواحي على جوبان ويتوقع له المهالك وأوصل الملوك في النواحي للمظاهرة على جوبان وسلطان أبي سعيد حتى لقد صاهر صاحب مصر على مثل ذلك ولم يتم الصلح لأبي سعيد معه كما مرّ في أخبارهم وجهز أزيك العساكر سنة عشرين لحرب جوبان فحاصروهم المديني بنهر كوزل الذي في حدود ملكهم فرجعوا ثم جهز جيشاً آخر مع قطلقتمر نائبه وكان جوبان نائب أبي سعيد قد ولي على بلاد الروم إبنه دمرداش فرحف سنة إحدى وعشرين إلى بلاد سبسي وافتتح منها قلاعاً ثلاثاً وخرّبها وبعث إلى الملك الناصر يطلب المظاهرة في جهاد الأرمن بسبسي فبعث السلطان عساكره سنة اثنتين وعشرين ومعهم من المتطوعة عدد وحاصروا سبسي ثم انعقد الصلح سنة ثلاث وعشرين بعدها بين الملك الناصر وبين أبي سعيد واستقامت الأحوال وحج أكابر المغل من قرابة أبي سعيد ملك التتر بالعراقين واتصلت المهاداة بينها وسار نائبه جوبان سنة خمس وعشرين إلى خراسان في

المعسكر وقد زحف إليه كبك بن سيول فجرت بينهما حروب وإنهزم جوبان واستولى كبك على خراسان ثم كبسه جوبان فهزمه وأنخن في عساكره وغلبه على خراسان فعادت إلى ملكة أبي سعيد وبينما جوبان مشغل بتلك الفتنة والحروب في نواحي خراسان إذ بلغه الخبر بأن السلطان أبا سعيد تقبض على ابنه خواجا دمشق فلما بلغه الخبر بذلك انتقض وزحف إليه أبو سعيد فافترق عنه أصحابه ولحق بهراة فقتل بها سنة ست وعشرين وأذن أبو سعيد لولده أن ينقلوا شلوه إلى تربته التي بناها بالمدينة النبوية على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ونقلوه فلم يقدر دفنه بها وتوقف أمير المدينة على اذن السلطان بمصر في ذلك فدفن بالبقيع ولما بلغ خبر جوبان لابنه دمرداش وهو أمير ببلاد الروم إنزعج لذلك ولحق بمصر فيمن معه من الأمراء والعساكر وأقبل السلطان الملك الناصر عليه وأحلّه محل التكرمة وجاءت على أثره رسل أبي سعيد يطلب حكم الله فيه لسعيه في الفساد والفتنة وأجابه السلطان إلى ذلك على أن يفعل مثل ذلك في قراسنقر النازع إليهم من أمراء الشام فأمضى ذلك فيهما جزاء بما قدّمت أيديهما ثم تأكدت أسباب المواصلّة والإلتحام بين هذين السلطانين بالأصهار والمهاداة واتصل ذلك وانقطع زبون العرب وفسادهم بين المملكتين وهلك السلطان أبو سعيد سنة ست وثلاثين ولم يعقب ودفن بالسلطانية واختلف أهل دولته وانقرض الملك من بني هلاكو وافترت الأعمال التي كانت في ملكهم وأصبحت طوائف في خراسان وفي عراق العجم وفارس وفي أذربيجان كله في عراق العرب وفي بلاد الروم كما نذكر ذلك والله وإرث الأرض ومن عليها وإليه يرجعون .

أبو سعيد بن خربندا بن أرغون بن أبيغاي
 ز
 قازان
 كنجاتو
 و
 بيدو بن طرخاي
 تنقرطاي
 هلاكو بن طوق خان بن
 جوك خان

(صاحب خوارزم نافع خربندا وابنه في خراسان)

كبك بن سيول بن براق بن سستف بن ماسان بن جفطاي بن

* (اضطراب دولة بني هلاكو وانقسام الملك طوائف في اعمالهم وانفراد الشيخ حسن ببغداد واستيلاء بنيه معها على توريز وما كان لهم فيها من الملك والدولة وابتدائها ومصايرها) *

لما هلك أبو سعيد بن خربندا ملك التتر بكريسي ببغداد سنة ست وثلاثين ولم يعقب نصب أمراء المغل الوزير غياث الدين وخلع أورخان ونصب للملك موسى خان من أسباطهم وقام بدولته الشيخ حسن بن حسين بن بييقا بن أملكخان وهو ابن عمه السلطان أبي سعيد سبط أرغون بن أبغا أنزله أبو سعيد بقلعة كانج من بلاد الروم ووكل به فلما هلك أبو سعيد وانحل

عقاله وذهب أبو نور بن ماس عفى عليها وبلغه شأن أهل الدولة ببغداد فلم يرضه ونهض إليها فقتل علي ماسا القائم بالدولة وعزل موسى خان الملك ونصب مكانه محمد بن عنبرجي وهو الذي تقدّم في ملوك التخت صحة نسبه إلى هلاك واستولى الشيخ حسن على بغداد وتوريز ثم سار إليه حسن بن دمرداش من مكان إملوته وإمارة أبيه ببلاد الروم وغلبه على توريز وقتل سلطانه محمد بن عنبرجي ولحق الشيخ حسن ببغداد واستقرّ حسن بن دمرداش في توريز ونصب للملك أخت السلطان أبي سعيد اسمها صاليك وزوجها لسليمان خان من أسباط هلاك واستقل بملك توريز وكان يعرف بالشيخ حسن الصغير لأنّ صاحب بغداد كان يشاركه في اسمه وهو أسن وأدخل في نسب الخان فيز الكبير وميز هذا بالصغير ولما استقل حسن الصغير بالملك والخان عنده عجز عنه الشيخ حسن الكبير وغلبته أمم التركان بضواحي الموصل إلى سائر بلاد الجزيرة فيقال أنه أرسل إلى الملك الناصر صاحب مصر بأن يملكه بغداد ويلحق به فيقيم عنده وطلب منه أن يبعث عساكره لذلك على أن يرهن فيهم ابنه فلم يتم ذلك لما إعترضه من الأحوال وافترت مملكة بني هلاك فكان هو ببغداد والصغير بتوريز وابن المظفر بعراق العجم وفارس والملك حسين بخراسان واستولى على أكثرها ملك الشمال أزيك صاحب التخت بصراي من بني دوشي خان بن جنكرخان ثم استوحش الشيخ حسن من سلطانه سليمان خان فقتله واستبد ثم هلك الشيخ حسن الصغير بن دمرداش بتوريز سنة أربع وأربعين وملك مكانه أخوه الأشرف ثم هلك الشيخ حسن الكبير ببغداد سنة سبع وخمسين والله تعالى أعلم .

* (أويس بن الشيخ حسن) *

ولما هلك الشيخ حسن الكبير ببغداد ولي مكانه ابنه أويس وكان بتوريز الأشرف بن دمرداش فرحف إليه ملك الشمال جاني بك بن أزيك سنة ثمان وخمسين وملكها من يده ورجع إلى خراسان بعد أن استخلف عليها ابنه واعتقل في طريقه فكتب أهل الدولة إلى ابنه برديك يستحثونه للملك فأغذ السير إليهم وترك بتوريز عاملها أخبجوخ فسار إليه أويس صاحب بغداد وغلبه عليها وملكها ثم إرتجعها منه أخبجوخ وأقام بها فرحف إليه ابن المظفر صاحب أصبهان وملكها من يده وقتله وانتظم في ملكه عراق العجم وتوريز وتستر وخوزستان ثم سار أويس فانترعها من يد ابن المظفر واستقرّت في ملكه ورجع إلى بغداد وجلس على التخت واستفحل أمره ثم هلك سنة ست وسبعين حسين بن أويس وقد خلف

بنين خمسة وهم الشيخ حسن وحسين والشيخ علي وأبوزيد وأحمد وكان وزيره زكريا وكبير دولته الأمير عادل كان كافلاً لحسن ومن إقطاعه السلطانية فاجتمع أهل الدولة وبايعوا لإبنه حسين بتوريز وقتلوا الشيخ حسن وزعموا أن أباهم أويسا أوصاهم بقتله وكان الشيخ علي بن أويس ببغداد فدخل في طاعة أخيه حسين وكان قنبر علي بادك من أمرائهم نائباً بتستر وخوزستان فبايع لحسين وبعث إليه بطاعته واستولى على دولته بتوريز زكريا وزير أبيه وكان إسماعيل ابن الوزير زكريا بالشام هارباً أمام أويس فقدم على أبيه زكريا وبعث إلى بغداد ليقوم بخدمة الشيخ علي فاستخلصه واستبدّ عليه فغلب شجاع بن المظفر على توريز وارتجعها منه ولما استقل حسين بتوريز كان بنو المظفر طامعين في ولايتها وقد ملكوها من قبل كما مرّ وانترعها أويس منهم فلما توفي أويس سار شجاع إلى توريز في عساكره فأجفل عنها حسين بن أويس إلى بغداد واستولى عليها شجاع ولحق حسين بأخيه الشيخ علي ووزيره إسماعيل ببغداد مستجيشاً بهما فسرّحوا معه العساكر ورجع ادراجه إليها فهرب عنها شجاع إلى خوزستان وحصن ملكه بها واستقرّ فيها .

* (مقتل إسماعيل واستيلاء حسين على بغداد ثم إرتجاعها منه) *

كان إسماعيل مستبدّاً على الشيخ علي ببغداد كما قدّمناه فتوثب به جماعة من أهل الدولة منهم مبارك شاه وقنبر وقرا محمد فقتلوه وعمه أمير أحمد منتصف إحدى وثمانين واستدعوا قنبر علي بادك من تستر فولوه مكان إسماعيل واستبدّ على الشيخ علي ببغداد ونكر حسين عليهم ما آتوه وسار في عساكره من توريز إلى بغداد ففارقها الشيخ علي وقنبر علي بادك إلى تستر واستولى حسين على بغداد واستمدّه فاتمه بمالأة أخيه الشيخ علي ولم يمدّه ونهض الشيخ علي من تستر إلى واسط وجمع العرب من عبادان والحزيرة فأجفل أحمد من واسط إلى بغداد وسار الشيخ علي في أثره فأجفل حسين إلى توريز واستوسق ملك بغداد للشيخ علي واستقرّ كل يبلده والله تعالى أعلم .

* (انتقاض أحمد واستيلاؤه على توريز ومقتل حسين) *

ولما رجع حسين من بغداد إلى توريز عكف على لذاته وشغل بلهوه واستوحش منه أخوه أحمد فلحق بأردبيل وبها الشيخ صدر الدين واجتمع إليه من العساكر ثلاثة آلاف أو

يزيدون فسار إلى توريز وطرقها على حين غفلة فملكها واختفى حسين أياماً ثم قبض عليه أحمد وقتله والله تعالى يؤيد بنصره من يشاء من عباده .

* (انتقاض عادل ومسيره لقتال أحمد) *

كان الأمير عادل والياً على السلطانية وكانت من أقطاعه فلما بلغه مقتل حسين إمتعض له وكان عنده أبو يزيد بن أوس فساراً إلى شجاع بن المظفر اليزدي صاحب فارس يستصرخانه على الأمير أحمد بن أوس فبعث العساكر لصريخها وبرز الأمير أحمد للقائهم ثم تقاربوا واتفقوا أن يستقر أبو يزيد في السلطانية أميراً ويخرج الأمير عادل عن مملكتهم ويقم عند شجاع بفارس واصطلحوا على ذلك وعاد أبو يزيد إلى السلطانية فأقام بها وأضر أمراؤه وخاصته بالرعايا فلدسوا بالصريخ إلى أحمد بتوريز فسار في العساكر إليه وقبض عليه وكحله وتوفي بعد ذلك ببغداد .

* (مقتل الشيخ علي واستيلاء أحمد على بغداد) *

لما قتل أحمد أخاه حسيناً جمع الشيخ علي العساكر واستنفر قرا محمد أمير التركمان بالجزيرة وسار من بغداد يريد توريز فبرز أحمد للقائه واستطرد له لما كان منه فبالغ في إتياعه إلى أن خفت عساكره فكر مستميتاً وكانت جولة أصيب فيها الشيخ علي بسهم فمات وأسر قرا محمد فقتل ورجع أحمد إلى توريز واستوسق له ملكها ونهض إليه عادل ابن السلطان أبي سعيد يروم فرصة فيه فهزمه ثم سار أحمد إلى بغداد وقد كان استبد بها بعد مهلك الشيخ علي خواجاً عبد الملك من صنائعهم بدعوة أحمد ثم قام الأمير عادل في السلطانية بدعوة أبي يزيد وبعث إلى بغداد قائداً اسمه برسق ليقم بها دعوته فأطاعه عبد الملك وأدخله إلى بغداد ثم قتله برسق ثاني يوم دخوله واضطرب البلد شهراً ثم وصل أحمد من توريز وخرج برسق القائد لمدافعته فانهزم وجيء به إلى أحمد أسيراً فحبسه ثم قتله وقتل عادل بعد ذلك وكفى أحمد شره وانتظمت في ملكه توريز وبغداد وتستر والسلطانية وما إليها واستوسق أمره فيها ثم انتقض عليه أهل دولته سنة ست وثمانين وسار بعضهم إلى تمر سلطان بني جفطاي بعد أن خرج من وراء النهر بملكه يومئذ واستولى على خراسان فاستصرخه على أحمد فأجاب صريخه وبعث معه العساكر إلى توريز فأجفل عنها أحمد إلى بغداد واستبد بها ذلك الثائر

ورجع تمر إلى مملكته الأولى وطمع طغتمش ملك الشمال من بني دوشي خان في انتزاع توريز من يد ذلك الثائر فसार إليها وملكها وزحف تمر في عساكره سنة سبع وثمانين إلى أصهبان وبعث العساكر إلى توريز فاستباحها وخربها واستولى على تستر والسلطانية وانتظمها في أعماله وانفرد أحمد ببغداد وأقام بها .

* (استيلاء تمر على بغداد ولحاق أحمد بالشام) *

كان تمر سلطان المغل بعد أن استولى على توريز خرج عليه خارج من قومه في بلاده يعرف بقمر الدين فجاءه الخبر عنه وأن طغتمش صاحب كرسي صراي في الشمال أمده بأمواله وعساكره فكرر راجعاً من أصهبان إلى بلاده وعميت أنبأؤه إلى سنة خمس وسبعين ثم جاءت الأخبار بأنه غلب قمر الدين الخارج عليه ومحا أثر فسادهم ثم استولى على كرسي صراي وأعمالها ثم خطى إلى أصهبان وعراق للعجم والزيّ وفارس وكرمان فملك جميعها من بني المظفر اليزدي بعد حروب هلك فيها ملوكهم وبادت جموعهم وشد أحمد ببغداد عزائمه وجمع عساكره وأخذ في الاستعداد ثم عدل إلى مصانعه ومهاداته فلم يغن ذلك وما زال تمر يخادعه بالملاطفة والمراسلة إلى أن فتر عزمه وافترقت عساكره فنهض إليه يغذ السير في غفلة منه حتى انتهى إلى دجلة وسبق النذير إلى أحمد فأسرى بغلس ليلة وحمل ما أقلته الرواحل من أمواله وذخائره وخرق سفن دجلة ومرّ بنهر الحلة فقطعه وصبح مشهد علي ووافى تمر وعساكره دجلة في حادي عشر شوال سنة خمس وتسعين ولم يجد السفن فاقتحم بعساكره النهر ودخل بغداد واستولى عليها وبعث العساكر في إتياع أحمد فساروا إلى الحلة وقد قطع جسرهما فخاضوا النهر عندها وأدركوا أحمد بمشهد علي واستولوا على أثقاله ورواحله ففكر عليهم في جموعه واستأثروا وقتل الأمير الذي كان في إتياعه ورجع بقية التتر عنهم ونجا أحمد إلى الرحبة من تخوم الشام فأراح بها إوطالع نائبها السلطان بأمره فسرح بعض خواصه لتلقيه بالنفقات والازواد وليستقدمه فقدم به إلى حلب وأراح بها وطرقه مرض أبطأ به عن مصر وجاءت الأخبار بأن تمر عاث في محلفه واستصفي ذخائره واستوعب موجود أهل بغداد بالمصادرات لأغنيائهم وفقرائهم حتى مستهم الحاجة وأقفرت جوانب بغداد من العيث ثم قدم أحمد بن أويس على السلطان بمصر في شهر ربيع سنة ست وتسعين مستصرخاً به على طلب ملكه والإنقاذ من عدوه فأجاب السلطان صريخه ونادى في عسكره بالتجهز إلى الشام وقد كان تمر بعدما استولى على بغداد زحف في عساكره إلى تكريت مأوى المخالفين

وعش الحراة ورصد السابلة وأناخ عليها بجموعه أربعين فحاصرها حتى نزلوا على حكمه
وقتل من قتل منهم ثم خربها وأقفرها وانتشرت عساكره في ديار بكر إلى الرها ووقفوا عليها
ساعة من نهار فملكوها وانتسفوا نعمها وافترق أهلها وبلغ الخبر إلى السلطان فخيم بالزيدانية
أياماً أزاح فيها علل عساكره وأفاض العطاء في ممالكه واستوعب الحشد من سائر أصناف
الجند واستخلف على القاهرة النائب سودون وإرتحل إلى الشام على التعبئة ومعه أحمد بن
أويس بعد أن كفاه مهمه وشرب النفقات في تابعه وجنده ودخل دمشق آخر جمادى الأولى
وقد كان أوعز إلى جلبان صاحب حلب بالخروج إلى الفرات واستنفر العرب والتركمان
للإقامة هناك رصدًا للعدو فلما وصل إلى دمشق وفد عليه جلبان وطلعه بمهاته وما عنده من
أخبار القوم ورجع لإنفاذ أوامره والفصل فيما يطالعه فيه وبعث السلطان على أثره العساكر
مدداً له مع كمشيقا الأتابك وتكلمش أمير سلاح وأحمد بن بيقا وكان العدو تمر قد شغل
بحصار ماردين فأقام عليها شهراً وملكها وعاثت عساكره فيها واكتسحت نواحيها وامتنعت
عليه قلعتها فارتحل عنها إلى ناحية بلاد الروم ومرّ بقلع الأكراد فأغارت عساكره عليها
واكتسحت نواحيها والسلطان لهذا العهد وهو شعبان سنة ستائة وتسعين مقيم بدمشق
مستجمع لنطاحه والثوبة به متى استقبل جهته والله سبحانه وتعالى وليّ التوفيق بمنه وكرمه .

ر.ك.
ر.ك.

أحمد بن أويس ابن الشيخ حسن بن اقبغا بن ايلكان سبط ارغون بن ابغا

الشيخ حسن أبو زيد

* (الخبر عن بني المظفر اليزدي المتغلبين على أصفهان وفارس
بعد إنقراض دولة بني هلاكو وابتداء أمورهم ومصايرها) *

كان أحمد المظفر من أهل يزد وكان شجاعاً واتصل بالدولة أيام أبي سعيد فولوه حفظ السابلة بفارس وكان منها مبدأ أمرهم وذلك أنه لما توفي أبو سعيد سنة ست وثلاثين وسبعائة ولم يعقب اضطربت الدولة ومرج أمر الناس وافترق الملك طوائف وغلب أربك صاحب الشمال على طائفة من خراسان فلكها واستبدَّ بهرة الملك حسين وألان محمود فرشحه من أهل دولة لسلطان أبي سعيد عاملاً على أصبهان وفارس فاستبدَّ بأمره واتخذ الكرسي بشيراز إلى أن هلك وولي بعده ابنه أبو إسحق أمير شيخ سالكا سبيله في الإستبداد وكانت له آثار جميلة وله صنف الشيخ عضد الدين كتاب المواقف والشيخ عماد الدين الكاشي شرح كتاب المفتاح وسموها بإسمه وتغلب أيضاً محمد بن المظفر على كرمان ونواحها فصارت بيده وطمع في الإستيلاء على فارس وكان أبو إسحق أمير شيخ قد قتل شريفاً من أعيان شيراز فنادى بالنكير عليه ليتوصل إلى غرض انتزاع الملك من يده وسار في جموعه إلى شيراز ومال إليه أهل البلد لفترتهم عن أمير شيخ لفعلة فيهم فأمكنوه من البلد وملكها واستولى على كرسيها وهرب أبو إسحق أمير شيخ إلى أصبهان وأتبعه فقر منه أيضاً وملك أصبهان وبث الطلب في الجهات حتى تقبض عليه وقتله قصاصاً بالشريف الذي قتله بشيراز وكان له من الولد أربعة شاه ولي ومحمود وشجاع وأحمد وتوفي شاه ولي أيام أبيه وترك ابنه منصوراً ويحيى وملك ابنه محمود أصبهان وابنه شجاع شيراز وكرمان واستبدَّ عليه محمود وشجاع وخلفاه في ملكه سنة ستين وكحلاه وتولى ذلك شجاع وسار إليه محمود من أصبهان بعد أن استجاش باويس بن حسن الكبير فأمدّه بالعساكر سنة خمس وستين وملك شيراز ولحق شجاع بكرمان من أعماله وأقام بها واختلف عليه عماله ثم استقاموا على طاعته ثم جمع بعد ثلاث سنين ورجع إلى شيراز ففارقها أخوه محمد إلى أصبهان وأقام بها إلى أن هلك سنة ست وسبعين فاستضافها شجاع إلى أعماله وأقطعها لابنه زين العابدين وزوجه يابنة أويس التي كانت تحت محمود وولى على مردى ابن أخيه شاه ولي ثم هلك شجاع سنة سبع وثمانين واستقل ابنه زين العابدين بأصبهان وخلفه في شيراز وفارس منصور ابن أخيه شاه ولي وكان عادل كبير دولة بني أويس بالسلطانية كما مر ولحق به منصور بن شاه ولي هارباً من شيراز أمام عمه زين

العابدين فحبس ثم قر من محبسه ولحق بأحمد بن أويس مستصرخاً به فصارخه وأنزله بتستر من أعماله ثم سار منها إلى شيراز ففارقها عمه زين العابدين إلى أصبهان وأخوه يحيى يزيد وعمها أحمد بن محمد بن المظفر بكرمان ثم زحف تمر سلطان التتر من بني جفطاي بن جنكركخان سنة ثمان وثمانين وملك توريز وخرها كما مر في أخباره فأطاعه يحيى صاحب يزد وأحمد صاحب كرمان وهرب زين العابدين من أصبهان وملكها عليه تمر فلحق بشيراز ورجع تمر إلى بلاده فيما وراء النهر وعميت أنباؤه إلى سنة خمس وتسعين فزحف إلى بلاد فارس وجمع منصور بن شاه ولي العساكر لحربه فخادعه تمر بولايته وانكفاً راجعاً إلى هراة فافترقت عساكر منصور بن شاه ولي وجاءت عيون تمر بخبر افتراقها إليه فأغذ السير وكبس منصور بن شاه ولي بظاهر شيراز وهو في قل من العساكر لا يحاوزون الفين فهرب الكثير من أصحابه إلى تمر واستقامت هو والباقيون وقاتلوا أشد قتال وفقد هو في المعركة فلم يوقف له على خبر وملك تمر شيراز واستضافها إلى أصبهان وولى عليها من قبله وقتل أحمد بن محمد صاحب كرمان وابنيه وولى على كرمان من قبله وقتل يحيى بن شاه ولي صاحب يزد وابنيه وولى على يزد من قبله واستلحم بني المظفر واستصفي زين العابدين بن شجاع بن محمود وهرب ابنه فلحق بخاله أحمد بن أويس وهو لهذا العهد مقيم معه بمصر والله وارث الأرض ومن عليها واليه يرجعون .

صاحب شيراز وفارس

منصور بن شاه ولي

كرمان

زين العابدين بن شجاع بن محمود بن محمد بن المظفر اليزدي

* (الخبر عن بني ارتنا ملوك بلاد الروم من المغل بعد بني هلاكو والإمام بمبادي أمورهم ومصايرها) *

قد سبق لنا أن هذه المملكة كانت لبني قليج أرسلان من ملوك السلجوقية وهم الذين أقاموا فيها دعوة الإسلام وانتزعوها من يد ملوك الروم أهل قسطنطينية واستضافوا إليها كثيراً من أعمال الأرض ومن ديار بكر فانفسحت أعمالهم وعظمت ممالكهم وكان كرسيم بقونية ومن أعمالها أقصرا وإنطاكية والعلايا وطغرل ودمر لو وقرا حصار ومن ممالكهم أذربيجان ومن أعمالها أقشهر وكامخ وقلعة كعونية ومن ممالكهم قيسارية ومن أعمالها نكرة^(١) وعدا قلية ومنال ومن ممالكهم أيضاً سيواس وأعمالها ملكوها من يد الوانشمند كما مر في أخبارهم ومن أعمالها نكسار وأقاسية وتوقات وقنات وكنكرة كورية وسامسول وصغوى وكسحونية وطرخلوا وبرلوا وما استضافوه من بلاد الأرمن خلاط وأرمينية الكبرى وأني^(٢) وسلطان وأرجيس وأعمالها ومن ديار بكر خرت برت وملطية وسميساط ومسارة فكانت لهم هذه الأعمال وما يتصل بها من الشمال إلى مدينة برصة ثم إلى مدينة خليج القسطنطينية واستفحل ملكهم فيها وعظمت دولتهم ثم طرقتها الهرم والفشل كما يطرق الدول ولما استولى التتر على ممالك الإسلام وورثوا الدول في سائر النواحي واستقرّ التخت الأعظم لمنكوفان أخي هلاكو وجهاز عساكر المغل سنة أربع وخمسين وسبائة إلى هذه البلاد وعليهم ييكون من أكابر أمرائهم وعلى بلاد الروم يومئذ غياث الدين كنجسرو بن علاء الدين كيقباد وهو الثاني عشر من ملوكهم من ولد قطلمش فترلوا على أرزن الروم بها سنان الدين ياقوت مولى علاء الدين فملكوها بعد حصار شهرين واستباحوها وتقدموا أمامهم ولقيهم غياث الدين بالصحراء على أقشهر وزنجان وإنهزم غياث الدين وإحتمل ذخيرته وعياله ولحق بقونية واستولى ييكون على محله ثم سار إلى قيسارية فملكوها وهلك غياث الدين أثر ذلك وملك بعده بعهد ابنه علاء الدين كيقباد وأشرك معه أخويه في أمره وهما عز الدين كيكافوس وركن الدين قليج أرسلان وعاشت عساكر التتر في البلدا فسار علاء الدين كيقباد إلى منكوفان صاحب التخت واختلف أخواه من بعده وغلب عز الدين كيكافوس واعتقل أخاه ركن الدين بقونية وبعث في أثر أخيه علاء الدين من يستفسد له منكوفان فلم يحصل من ذلك على طائل وهلك علاء الدين

(١) هي اليوم أنقرة .

(٢) والشهور : وأن .

في طريقه وكتب منكوفان بتشريك الملك بين عز الدين وركن الدين والبلاد بينهما مقسومة
فعر الدين من سيواس إلى تخوم القسطنطينية ولركن الدين من سيواس إلى أرزن الروم متصلا
من جهة الشرق ببلاد التتر وأفرج عز الدين عن ركن الدين واستقر في طاعة التتر وسار بيكو
في بلاد الروم قبل أن يرجع عز الدين فلقبه أرسلان دغمش من أمراء عز الدين فهزمه بيكو
إلى قونية فأجفل عنها عز الدين إلى العاليا وحاصرها بيكو فللكها على يد خطيبها وخرج إلى
بيكو فأسلمت زوجته على يده ومنع التتر من دخولها إلا وحداناً وأن لا يتعرضوا لأحد واستقر
عز الدين وركن الدين في طاعة التتر ولها اسم الملك والحكم للشحنة بيكو ولما زحف هلاكو
إلى بغداد سنة ست وخمسين واستنفر بيكو وعساكره فامتنع واعتذر بمن في طريقه من
طوائف الأكراد الفراسيلية والياروقية فبعث إليه هلاكو العساكر ومروا بأذربيجان وقد أجفل
أهلها وهم قوم من الأكراد فلكوها وساروا مع بيكو إلى هلاكو وحضروا معه فتح بغداد وما
بعدها ولما نزل هلاكو حلب استدعى عز الدين وركن الدين فحضرا معه فتحها وحضر معها
وزيرها معين الدين سليمان البرواناة واستحسنه هلاكو وتقدم إلى ركن الدين بأن يكون
السفير إليه عنه فلم يزل على ذلك ثم هلك بيكو مقدم التتر ببلاد الروم وولي مكانه صمقار
من أمراء المغل ثم اختلف الأميران عز الدين وغيث الدين سنة تسع وخمسين واستولى عز
الدين على أعمال ركن الدين فسار ومعه البرواناة إلى هلاكو صريخاً فأمدّه بالعساكر وسار
إلى عز الدين فهزمهم واستمدّه ثانياً فأمدّه هلاكو وإنهزم عز الدين فلحق بالقسطنطينية وأقام
عند صاحبها لشكري واستولى ركن الدين قليج أرسلان على بلاد الروم وامتنع التركمان الذين
بتلك الأعمال بأطراف الأعمال والثغور والسواحل وطلبوا الولاية من هلاكو فولاهم وأعطاهم
الله الملك فهم الملوك بها من يومئذ كما يأتي في أخبارهم إن شاء الله تعالى وأقام عز الدين
بالقسطنطينية وأراد التوثب بصاحبها لشكري ووشى به أخواله من الروم فاعتقله لشكري في
بعض قلاعه ثم هلك ويقال أن ملك الشمال منكوتر صاحب التخت بصراي حدث بينه
وبين صاحب القسطنطينية فتنة فغزاه واكتسح بلاده ومرّ بالقلعة التي بها عز الدين معتقلاً
فاحتمله معه إلى صراي وهلك عنده ولحق ابنه مسعود بعد ذلك بأبغا بن هلاكو فأكرمه
وولاه على بعض القلاع ببلاد الروم ثم أن معين الدين سليمان البرواناة إرتاب بركن الدين
فقتله غيلة سنة ست وستين ونصب ابنه كنجسرو^(١) للملك ولقبه غياث الدين وكان متغلباً عليه
مقيماً مع ذلك على طاعة التتر وربما كان يستوحش منهم فيكاتب سلطان مصر بالدخول في
طاعته وإطلع أبغا على كتابه بذلك إلى الظاهر بيبرس فنكره وهلك صمقار الشحنة فبعث

(١) وفي نسخة أخرى : كنجسرو.

أبغا مكانه أميرين من أمراء المغل وهما تدوان وتوقر فتقدما سنة خمس وسبعين إلى بلاد الشام ونزلا بابلستين ومعهما غياث الدين كنجسرو وكافله البرواناة في العساكر وسار الظاهر من دمشق فلقبهم بابلستين وقد قعد البرواناة لما كان تواعد مع الظاهر عليه وهزمهم الظاهر جميعاً وقتل الأميرين تدوان وتوقر في جماعة من التتر ونجا البرواناة وسلطانه فلم يصب منهم أحد واستراب السلطان بالبرواناة لذلك وملك الظاهر قيسارية كرسي بلاد الروم وعاد إلى مصر وجاء أبغا ووقف على مكانه الملحمة ورأى مصارع قومه فصَدَّقَ الريّة بمالأة الظاهر والبرواناة وأصحابه فاكسح البلاد وخربها ورجع ثم استدعى البرواناة إلى معسكره فقتله وأقام مكانه في كفالة كنجسرو أخاه عز الدين محمدًا ولم يزل غياث الدين والياً على بلاد الروم والشحنة من المغل حاكم في البلاد إلى أن ولي تكرار بن هلاكو وكان أخوه ققراطي مقيماً ببلاد الروم مع صمغار فبعث عنه وامتنع من الوصول فأوعز إلى غياث الدين وإعتقله بارزنكان وولي على بلاد الروم على الشحنة أولاً كو من أمراء المغل وذلك سنة إحدى وثمانين ويقال أن أرغوبن أبغا هو الذي ولي أولاً كوشحنة ببلاد الروم بعد صمغار وأن تدوان وتوقر إنما بعث بهما أبغا لقتال الظاهر ولم يرسلها شحنة ثم أقام مسعود بن عز الدين كيكافوس في سلطانه ببلاد الروم والحكم لشحنة التتر وليس له من الملك إلا اسمه إلى أن افرق وإضمحل أمره وبقي أمراء المغل يتعاقبون في الشحنة ببلاد الروم وكان منهم أول المائة الثامنة الأمير علي وهو الذي قتل ملك الأرمن هيشوش بن ليعون صاحب سيس واستعدى أخوه عليه بخربندا فأعداه وقتله كما مرّ في أخبار الأرمن في دولة الترك وكان منهم سنة عشرين وسبعائة الأمير ألبغا ولي السلطان أبو سعيد علي بلاد الروم دمرداش بن جويان سنة ثلاث وعشرين واستفحل بها ملكه وجاهد الأرمن بسيس واستمدّ الناصر محمد بن قلاون صاحب مصر عليهم فأمدّه بالعساكر وافتتحوا أياس عنوة ورجعوا ثم نكب السلطان أبو سعيد نائبه جويان بن بروان وقتله كما مرّ في أخبارهم وبلغ الخبر إلى دمرداش ابنه ببلاد الروم فاضطرب لذلك ولحق بمصر في عساكره وأمرائه فأقبل السلطان عليه وتلقاه بالكرمة والإيثار وجاءت رسل أبي سعيد في اتباعه تطلب حكم الله تعالى فيه بسعيه في الفساد وإثارة الفتنة على أن يفعل مثل ذلك في قراسنقر النازع إليهم من أمراء الشام فقتلوه وقتل دمرداش بمصر وذهباً بما كسبها وكان دمرداش لما هرب من بلاد الروم إلى مصر ترك من أمرائه إرتنا وكان يسمى النور إسم أبناء الملوك فبعث إلى أبي سعيد بطاعته فولاه على البلاد فللكها ونزل سيواس واتخذها كرسي ملكه ثم استبدّ حسن بن دمرداش بتوريز فبايع له إرتنا ثم انتقض وكاتب الملك الناصر

صاحب مصر ودخل في طاعته وبعث إليه بالولاية والخلع فجمع له حسن بن دمرdash وسار إليه بسيواس وسار ارتنا للقاءه بصحراء كسنوك وهزمه وأسر جماعة من أمرائه وذلك سنة أربع وأربعين واستفحل ملك ارتنا من يومئذ وعجز جوبان وحسن بن دمرdash عن طلبه إلى أن توفي سنة ثلاث وخمسين وأما بنوه من بعده فلا أدري من ملك منهم ولا ترتيب ولايتهم إلا أنه وقع في أخبار الترك أن السلطان أوعز سنة ست وستين إلى نائب حلب أن يسير في العساكر لإنجاد محمد بك بن إرتنا ففضوا وظفروا وما زال إرتنا وبنوه مستبدين ببلاد الروم وأعمالها واقتطع لهم التركمان منها بلاد الأرمن سيس وما إليها فاستولى عليها بنو دلقادر على خلافه وزحف إليه وهي في أيديهم لهذا العهد ولما خالف سعاروس من أمراء الترك سنة اثنتين وخمسين ظاهره قراجا بن دلقادر على خلافه وزحف إليه السلطان من مصر فافتقرت جموعه واتبعه العساكر فقتل وبعث السلطان سنة أربع وخمسين عسكرياً في طلب قراجا فساروا إلى ابلستين وأجفل عنها نائبها فنهبوا أحياءه ولحق هو بابن إرتنا بسيواس فقبض عليه وبعث به إلى السلطان بمصر فقتله واقتطع التركمان ناحية الشمال من أعمالهم إلى القسطنطينية وأنخنوا في أمم النصرانية وراءهم واستولوا على كثير من تلك الممالك وراء القسطنطينية وأميرهم لهذا العهد في عداد الملوك الأعظم ودولتهم ناشئة متجددة وكان صيباً بسيواس منذ أعوام الثمانين وهو من أعقاب بني إرتنا فاستبد عليه قاضي البلد لما كان كافلاً له بوصية أبيه ثم قتل القاضي ذلك الصبي أعوام اثنتين وتسعين واستبد بذلك وكانت هناك أحياء التتر يناهزون ثلاثين ألفاً أو نحوها مقيمين بتلك النواحي دمرdash بن جوبان ومن قبله من أمراء المغل فكانوا شيعة لبني إرتنا وعصابة لهم وهم الذين استنجد بهم القاضي حين وجهت إليه عساكر مصر في طلب منطاش الثائر الذي فر ثم لحق به وسارت عساكر مصر في طلبه سنة تسع وثمانين فاستنجد القاضي بأحياء التتر هؤلاء وجاؤا لإنجاده ورجعت عساكر مصر عنهم كما تقدم ذلك كله في أخبار الترك والحال على ذلك لهذا العهد والله مصير الأمور بحكمته وهو على كل شيء قدير.

ج ب ا

إبراهيم بن محمد بك بن ارتنا النوير عامل أبي سعيد على بلاد الروم

* (الخبر عن الدولة المستجدة للتركان في شمال بلاد الروم إلى خليج القسطنطينية وما وراءه لبني عثمان وإخوته) *

قد تقدّم لنا في أنساب العالم ذكر هؤلاء التركان وإنهم من ولد يافث بن نوح أي من توغرماء بن كومر بن يافث كذا وقع في التوراة وذكر الفيومي من علماء بني إسرائيل ونسابتهم أنّ توغرماءهم الخزر وأن الخزرهم التركان أخوة الترك ومواطنهم فيما وجدناه من بحر طبرستان ويسمى بحر الخزر إلى جو في القسطنطينية وشرقها إلى ديار بكر وبعد إنقراض العرب والأرمن ملكوا نواحي الفرات من أوله إلى مصبه في دجلة وهم شعوب متفرقون وأحياء مختلفون لا يحصرهم الضبط ولا يحويهم العدّ وكان منهم ببلاد الروم وجموع مستكثرة كان ملوكها يستكثرون بهم في حروبهم مع أعدائهم وكان كبيرهم فيها لعهد المائة الرابعة جق وكانت أحياءهم متوافرة وأعدادهم متكاثرة ولما ملك سليمان بن قطلمش قونية بعد أبيه وفتح انطاكية سنة سبع وسبعين من يد الروم طالبه مسلم بن قريش بما كان له على الروم فيها من الجزية فأنف من ذلك وحدثت بينها الفتنة وجمع قريش العرب والتركان مع أميرهم جق وسار إلى حرب سليمان بانطاكية فلما التقيا مال التركان إلى سليمان لعصبيّة الترك وإنهزم مسلم بن قريش وقتل وأقام أولئك التركان ببلاد الروم أيام بني قطلمش موطنين بالجبال والسواحل ولما ملك التتر ببلاد الروم وأبقوا على بني قطلمش ملكهم وولوا ركن الدولة قليج أرسلان بعد أن غلب أخوه عز الدين كيكاوس وهرب إلى القسطنطينية وكان أمراء هؤلاء التركان يومئذ محمد بك وأخاه الياس بك وصهره علي بك وقريبه سونج والظاهر أنهم من بني جق فانتقضوا على ركن الدولة وبعثوا إلى هلاكو بطاعتهم وتقرير الأثر عليهم وأن يبعث إليهم باللواء على العادة وأن يبعث شحنة من التتر يختص بهم فأضعفهم بذلك وقلدهم وهم من يومئذ ملوك بها ثم أرسل هلاكو إلى محمد بك الأمير يستدعيه فامتنع من المسير إليه واعتذر فأوعز هلاكو إلى الشحنة الذي ببلاد الروم إلى السلطان قليج أرسلان بمحاربته فساروا إليه وحاربوه ونزع عنه صهره علي بك ووفد على هلاكو فقدمه مكان محمد صهره ولقي محمد العساكر فانهزم وأبعد في المفرّ ثم جاء إلى قليج أرسلان مستامناً فأمنه وسار معه إلى قونية فقتله واستقرّ صهره علي بك أميراً على التركان وفتحت عساكر التتر نواحي بلاد الروم إلى اسطنبول والظاهر أنّ بني عثمان ملوكهم لهذا العهد من أعقاب علي بك أو أقاربه يشهد بذلك إتصال هذه الإمارة

ففيهم مدّة هذه المائة سنة ولما اضمحلّ أمر التتر من بلاد الروم واستقرّ بنو ارتنا بسيواس وأعمالها غلب هؤلاء التركمان على ما وراء الدروب إلى خليج القسطنطينية ونزل ملكهم مدينة برصا من تلك الناحية وكان يسمى أورخان بن عثمان جق فاتخذها داراً لملكهم ولم يفارق الخيام إلى القصور وإنما يتزل بخيامه في بسيطها وضواحيها وولي بعده ابنه مراد بك وتوغل في بلاد النصرانية وراء الخليج وافتتح بلادهم إلى قريب من خليج البنادقة وجبال جنوة وصار أكثرهم ذمّة ورعايا وعاث في بلاد الصقالبة بما لم يعهد لمن قبله وأحاط بالقسطنطينية من جميع نواحيها حتى اعتقل ملكها من أعقاب لشكري وطلب منه الذمّة وأعطاه الجزية ولم يزل على جهاد أم النصرانية وراه إلى أن قتله الصقالبة في حروبه معهم سنة إحدى وتسعين وسبعائة وولي بعده ابنه أبو يزيد وهو ملكهم لهذا العهد وقد استفحل ملكهم واستجدت بالغز دولتهم وكان قد غلب على قطعة من بلاد الروم ما بين سيواس وبلادهم من انطاكية والعلايا بجبال البحر إلى قونية بنو قرمان من أمراء التركمان وهم الذين كانوا في حدود أرمينية وجدّهم هو الذي هزم أوшин بن ليعون ملك سبيس من الأرمن سنة عشرين وسبعائة ثم كان بين بني عثمان جق وبين بني قرمان إتصال ومصاهرة وكان ابن قرمان لهذا العهد صهر السلطان مراد بك على أخته فغلبه السلطان مراد بك على ما بيده ودخل ابن قرمون صاحب العلايا في طاعته بل والتركمان كلهم وفتح سائر البلاد ولم يبق له إلا سيواس بلد بني ارتنا في استبداد القاضي الذي عليها وما أدري ما الله صانع بعد ظهور هذا الملك تمر المتغلب على ملك المغل من بني جفطاي بن جنكزخان وملك ابن عثمان لهذا العهد مستفحل بتلك الناحية الشمالية ومتسع في أقطارها ومرهوب عند أم النصرانية هنالك ودولته مستجدة عزيزة على تلك الأمم والأحياء والله غالب على أمره وإلى هنا إنتهت أخبار الطبقة الثالثة من العرب ودولهم وهم الأمم التابعة للعرب بما تضمنه من الدول الإسلامية شرقاً وغرباً لهم ولبن تبعهم من العجم فلنرجع الآن إلى ذكر الطبقة الرابعة من العرب وهم المستعجمة أهل الجبل الناشيء بعد إنقراض اللسان المضري ودروسه ونذكر أخبارهم ثم نخرج إلى الكتاب الثالث من الثالث في أخبار البربر ودولهم فنفرغ بفراغها من الكتاب إن شاء الله تعالى والله وليّ العون والتوفيق بمنه وكرمه .

تم طبع الجزء الخامس ويليه الجزء السادس أوّله الطبعة الرابعة

- ٣ الخبر عن دولة السلجوقية من الترك المستولين على ممالك الاسلام ودوله بالمشرق كلها الى حدود مصر مستبدين على الخليفة ببغداد من خلافة القائم الى هذا الزمان وما كان لهم من الملك والسلطان في أقطار العالم وكيف فعلوا بالعلماء وحجروهم وما تفرع عن دولتهم من الدول
- ٥ غزاة السلطان البارسلان الى خلاط واسر ملك الروم
- ٥ فتنة قاروت بك صاحب كرمان ومقتله
- ٦ استيلاء السلجوقية على دمشق وحصارهم مصر ثم استيلاء تتش ابن السلطان البارسلان على دمشق
- ٨ سفارة الشيخ أبي اسحق الشيرازي عن الخليفة
- ٨ اتصال بني جهير بالسلطان ملك شاه ومسير فخر الدولة لفتح ديار بكر
- ٨ استيلاء ابن جهير على الموصل
- ٩ فتح سليمان بن قطلمش انطاكية والخبر عن مقتله ومقتل مسلم بن قريش واستيلاء تتش على حلب
- ١٠ استيلاء ابن جهير على ديار بكر
- ١٠ استيلاء السلطان ملك شاه على حلب وولاية آقسنقر عليها
- ١١ خبر الزفاف
- ١٢ استيلاء السلطان ملك شاه على ما وراء النهر (عصيان سمرقند ففتحها ثانياً)
- ١٣ استيلاء تتش على حمص وغيرها من سواحل الشام
- ١٤ ملك اليمن
- ١٤ مقتل الوزير نظام الملك
- ١٥ وفاة السلطان ملك شاه وولاية ابنه محمود
- ١٦ منازعة بركيارق لاختيه محمود وانتظام سلطانه
- ١٧ منازعة تتش بن البارسلان وأخباره الى حين انهزامه
- ١٨ مقتل اسمعيل بن ياقوتي
- ١٨ مهلك توران شاه بن قاروت بك
- ١٨ وفاة المقتدي وخلافة المستظهر وخطبته لبركيارق

ص

- ١٨ استيلاء تتش على البلاد بعد مقتل اقسنقر ثم هزيمة بركيارق
- ١٩ مقتل تتش واستقلال بركيارق بالسلطان
- ٢٠ استيلاء كربوقا على الموصل
- ٢٠ استيلاء أرسلان أرغون أخي السلطان ملك شاه على خراسان ومقتله
- ٢١ ولاية سنجر على خراسان
- ٢٢ ظهور المخالفين بخراسان
- ٢٢ بداية دولة بني خوارزم شاه
- ٢٣ استيلاء الافرنج على انطاكية وغيرها من سواحل الشام
- ٢٤ انتفاض الامير أنز وقتله
- ٢٥ استيلاء الافرنج على بيت المقدس
- ٢٥ ظهور السلطان محمد بن ملك شاه والخطبة له ببغداد وحروبه مع أخيه بركيارق
- ٢٦ مقتل الباسلاني
- ٢٧ اعادة الخطبة ببغداد لبركيارق
- ٢٧ المصاف الاول بين بركيارق ومحمد ومقتل كوهراس وهزيمة بركيارق والخطبة لمحمد
- ٢٨ مسير بركيارق الى خراسان وانهزامه من أخيه سنجر ومقتل الامير داود حبشي أمير خراسان
- ٢٩ المصاف الثاني بين بركيارق ومحمد وهزيمة محمد وقتل وزيره مؤيد الملك والخطبة لبركيارق
- ٣٠ مسير بركيارق عن بغداد ودخول محمد وسنجر اليها
- ٣١ قتل بركيارق الباطنية
- ٣٢ المصاف الثالث بين بركيارق ومحمد والصلح بينهما
- ٣٣ انتفاض الصلح والمصاف الرابع بين السلطانين وحصار محمد باصبيان
- ٣٤ مسير صاحب البصرة الى واسط
- ٣٥ وفاة كربوقا صاحب الموصل واستيلاء جكرمش عليها واستيلاء سقمان بن ارتق على حصن كيفا
- ٣٦ ولاية كمستكين النصيري شحنة بغداد وقتلته مع أبي الغازي وحربه
- ٣٧ المصاف الخامس بين بركيارق ومحمد

استيلاء ملك بن بهرام على مدينة غانة

الصلح بين السلطانين بركيارق ومحمد

حرب سقمان وجكرمش الافرنج

وفاة بركيارق وولاية ابنه ملك شاه

حصار السلطان محمد الموصل

استيلاء السلطان محمد على بغداد وخلع ملك شاه ابن أخيه ومقتل اياز

استيلاء سقمان بن ارتق على ماردين وموته

خروج منكبرس على السلطان محمد ونكبه

مقتل فخر الملك بن نظام الملك

ولاية جاوولي سكاو على الموصل وموت جكرمش

مقتل صدقة بن مزيد

قدوم ابن عمار صاحب طرابلس على السلطان محمد

استيلاء مودود بن أبي شكين على الموصل من يد جاوولي

مقتل مودود بن انوتكين صاحب الموصل في حرب الافرنج وولاية البرسقي مكانه

مسير العساكر لقتال أبي الغازي وقطلغتكين والجهاد بعدهما

ولاية حيوس بك ومسعود ابن السلطان محمد على الموصل

ولاية جاوولي سكاو على فارس واخباره فيها ووفاته

وفاة السلطان محمد وملك ابنه محمود

وفاة المستظهر وخلافه ابنه المسترشد

خروج مسعود ابن السلطان محمد على أخيه محمود

خروج الملك طغرل على أخيه السلطان محمود

فتنة السلطان محمود مع عمه سنجر

استبداد علي بن سكران بالبصرة

استيلاء الكرج على تفليس

الحرب بين السلطان محمود وأخيه مسعود

ولاية اقسقر البرسقي على الموصل ثم على واسط وشحنة العراق

مقتل حيوس بك والوزير الشهيري

- ص
٦٠ رجوع طغرل الى طاعة أخيه السلطان محمود
٦١ مقتل وزير السلطان محمود
٦١ ظفر السلطان بالكرج
٦٢ عزل البرسقي عن شحنة العراق وولاية برتقش الزكوي
٦٢ بداية أمر بني اقسقر وولاية عماد الدين زنكي على البصرة
٦٢ استيلاء البرسقي على حلب
٦٣ مسير طغرل وديس الى العراق
٦٤ مقتل البرسقي وولاية ابنه عز الدين على الموصل
٦٥ وفاة عز الدين بن البرسقي وولاية عماد الدين زنكي على الموصل وأعمالها ثم استيلائه على حلب
٦٦ قدوم السلطان سنجر الى الري ثم قدوم السلطان محمود الى بغداد
٦٧ وفاة السلطان محمود وملك ابنه داود
٦٧ منازعه السلطان مسعود لداود ابن أخيه واستيلائه على السلطان بهمدان
٦٨ هزيمة السلطان مسعود وملك طغرل أخيه
٦٩ هزيمة السلطان داود واستيلاء طغرل بن محمد على الملك
٦٩ عود السلطان مسعود الى الملك وهزيمة طغرل
٧٠ عود الملك طغرل الى الجبل وهزيمة السلطان مسعود
٧٠ وفاة طغرل واستيلاء مسعود على الملك
٧٠ فتنه المسترشد مع السلطان مسعود ومقتله وخلافة ابنه الراشد
٧٢ فتنه الراشد مع السلطان مسعود
٧٣ حصار بغداد ومسير الراشد الى الموصل وخلعه وخلافة المقتني
٧٣ الفتنه بين السلطان مسعود وبين داود الراشد وهزيمة مسعود ومقتل الراشد
٧٥ فتنه السلطان سنجر مع خوارزم شاه
٧٥ استيلاء قراسنقر صاحب اذربيجان على بلاد فارس
٧٦ هزيمة السلطان سنجر أمام الخطا واستيلائهم على ما وراء النهر
٧٨ أخبار خوارزم شاه بخراسان وصلحه مع سنجر
٧٨ صلح زنكي مع السلطان مسعود

ص

٧٨

انتقاض صاحب فارس وصاحب الري

٧٩

مقتل طغابرك وعباس

٨٠

مقتل بوزابة صاحب فارس

٨٠

انتقاض الامراء على السلطان

٨١

وفاة السلطان مسمود وولاية ملك شاه ابن أخيه محمود ثم أخيه محمد من بعده

٨١

تغلب الغز على خراسان وهزيمة السلطان سنجر وأسر

٨٣

استيلاء المؤيد على نيسابور وغيرها

٨٤

استيلاء ايتاخ على الري

٨٤

الخبر عن سليمان شاه وحبيه بالموصل

٨٥

فرار سنجر من أسر الغز

٨٥

حصار السلطان محمد بغداد

٨٦

وفاة سنجر

٨٦

منازعة ايتاخ للمؤيد

٨٧

منازعة سنقر الغريزي للمؤيد ومقتله

٨٧

فتنة الغز الثانية بخراسان وخراب نيسابور على يد المؤيد

٨٨

استيلاء ملك شاه بن محمود على خوزستان

٨٨

وفاة السلطان محمد وولاية عمه سليمان شاه

٨٩

وفاة المقتني وخلافه المستنجد

٨٩

اتفاق المؤيد مع محمود الخان

٩٠

الحرب بين عسكر خوارزم شاه والأتراك البرزية

٩٠

وفاة ملك شاه بن محمود

٩١

قتل سليمان شاه والخطبة لأرسلان

٩٢

الحرب بين ايلدكر وانبانج

٩٢

الفتنة بنيسابور وتخريبها

٩٣

فتح المؤيد طوس وغيرها

٩٤

الحرب بين المسلمين والكرج

٩٤

ملك المؤيد اعمال قومس والخطبة للسلطان ارسلان بخراسان

ص

٩٤

اجلاء القارغليه من وراء النهر

٩٥

استيلاء سنقر على الطالقان وغرستان

٩٥

قتل صاحب هراة

٩٥

ملك شاه مازندان قومس وبسطام ووفاته

٩٦

حصر عسكر المؤيد نسا

٩٦

الحرب بين البهلوان وصاحب مراغة

٩٦

ملك شمله فارس وإخراجه عنها

٩٦

ملك ايلدكر الري

٩٧

وفاة صاحب كرمان والخلف بين أولاده

٩٧

وفاة خوارزم شاه وولاية ابنه سلطان شاه ومنازعة مع أخيه الأكبر

علاء الدين تكش

٩٨

وفاة الأتابك شمس الدين ايلديكز وولاية ابنه محمد البهلوان

٩٨

وفاة السلطان أرسلان بن طغرل

٩٩

وفاة البهلوان محمد بن ايلديكز وملك أخيه قزل

٩٩

قتل قزل أرسلان قطلغ وولاية أخيه

٩٩

قتل السلطان طغرل وملك خوارزم شاه الري ووفاة أخيه سلطان شاه

١٠٠

ملك الكرج الدويره

١٠١

قتل كوجه ببلاد الجبل وملك أيدغمش

١٠١

قصد صاحب مراغة وصاحب أربل أذربيجان

١٠١

وفاة صاحب مازندان والخلف بين اولاده

١٠٢

ملك ابن البهلوان مراغة

١٠٢

استيلاء منكلي على بلاد الجبل وأصفهان وغيرها وهرب أيدغمش وقتله

١٠٥

بنو أنوشتكين

١٠٦

وفاة محمد بن أنوشتكين وولاية ابنه أتنز

١٠٦

الحرب بين السلطان سنجر واتنز خوارزم شاه

١٠٦

انهزام السلطان سنجر من الاتراك الخطا وملكهم ما وراء النهر

١٠٧

وفاة اتنز وملك ولده أرسلان

- وفاة خوارزم شاه ارسلان وملك ولده سلطان شاه وبعده ولده
 ١٠٨ الآخر تكش وملك طغان شاه بن المؤيد ثم موته . ملك ابنه سنجر شاه
 ١١١ وفاة ايلديكز وملك ابنه محمد البهلوان
 ١١٢ وفاة ملك شاه خوارزم شاه تكش
 ١١٣ (الخطا) انهزام الخطا من الغورية
 ١١٣ ملك خوارزم شاه تكين الري وبلاد الجبل
 ١١٤ وفاة خوارزم شاه
 استيلاء ملوك الغورية على أعمال خوارزم شاه محمد تكش بخراسان وارتجاعه اياها
 ١١٥ منهم ثم حصاره هراة من أعمالهم
 ١١٨ حصار شهاب الدين خوارزم شاه وانهزامه أمام الخطا
 ١١٩ استيلاء خوارزم شاه على بلاد الغورية بخراسان
 ١٢٠ استيلاء خوارزم شاه على ترمذ وتسليمها للخطا
 ١٢١ استيلاء خوارزم شاه على الطالقان
 ١٢١ استيلاء خوارزم شاه على مازندان وأعمالها
 ١٢٢ استيلاء خوارزم شاه على ما وراء النهر وقتاله مع الخطا وأسره وخلاصه
 ١٢٣ مقتل ابن حرميل ثم استيلاء خوارزم شاه على هراة
 ١٢٤ استيلاء خوارزم شاه على بيروزكوه وسائر بلاد خراسان
 ١٢٤ هزيمة الخطا
 ١٢٤ انتفاض صاحب سمرقند
 ١٢٥ استلحام الخطا
 ١٢٦ استيلاء خوارزم شاه على كرمان ومكران والسند
 ١٢٧ استيلاء خوارزم شاه على غزنة وأعمالها
 ١٢٧ استيلاء خوارزم شاه على بلاد الجبل
 ١٢٨ طلب الخطبة وامتناع الخليفة منها
 ١٢٩ قسمة السلطان خوارزم شاه الملك بين ولده
 ١٣٠ أخبار تركمان خاتون أم السلطان محمد بن تكش
 ١٣٠ خروج التتر وغلبهم على ما وراء النهر وفرار السلطان أمامهم من خراسان

ص

- ١٣١ أجفال السلطان خوارزم شاه الى خراسان ثم الى طبرستان ومهلكه
- ١٣٢ مسير التتر بعد مهلك خوارزم شاه من العراق الى اذربيجان وما وراءها من البلاد هنالك
- ١٣٥ أخبار خراسان بعد مهلك خوارزم شاه
- ١٣٦ أخبار السلطان جلال الدين منكبرس مع التتر بعد مهلك خوارزم شاه واستقراره بغزنة
- ١٣٧ استيلاء التتر على مدينة خوارزم وتخريبها
- ١٣٨ أخبار آبنايخ نائب بخاري وتغلبه على خراسان ثم فراره أمام التتر الى الري
- ١٣٨ خبر ركن الدين غورشاه صاحب العراق من ولد خوارزم شاه
- ١٣٩ خبر غياث الدين بترشاه صاحب كرمان من ولد السلطان خوارزم شاه
- ١٤٠ أخبار السلطان جلال الدين منكبرس وهزيمته أمام التتر ثم عوده الى الهند
- ١٤١ أخبار جلال الدين بالهند
- ١٤٢ أحوال العراق وخراسان في ايام غياث الدين
- ١٤٢ وصول جلال الدين من الهند الى كرمان وأخباره بفارس والعراق مع أخيه غياث الدين
- ١٤٣ استيلاء ابن آبنايخ على نسا
- ١٤٤ مسير السلطان جلال الدين الى خوزستان ونواحي بغداد
- ١٤٤ أولية الوزير شرف الدين
- ١٤٥ عودة التتر الى الري وهذان وبلاد الجبل
- ١٤٥ وقائع اذربيجان قبل مسير جلال الدين اليها
- ١٤٦ استيلاء جلال الدين على اذربيجان وغزو الكرج
- ١٤٧ فتح السلطان مدينة كنجة ونكاحه زوجة ازبك
- ١٤٨ استيلاء جلال الدين على تفليس من الكرج بعد هزيمته اياهم
- ١٤٩ انتفاض صاحب كرمان ومسير السلطان اليه
- ١٥٠ مسير جلال الدين الى حصار خلاط
- ١٥٠ دخول الكرج مدينة تفليس واحراقها
- ١٥١ أخبار السلطان جلال الدين مع الاسماعيليه
- ١٥١ استيلاء حسام الدين نائب خلاط على مدينة خوي

ص

١٥٢

واقعة السلطان مع التتر على اصبهان

١٥٣

الوحشة بين السلطان جلال الدين وأخيه غياث الدين

١٥٣

انتقاض البهلوانية

١٥٤

ايقاع نائب خلط بالوزير

١٥٥

فتوحات الوزير باذريجان وارآن

١٥٦

أخبار الوزير بخراسان

١٥٦

خبر بلبان صاحب خلخال

١٥٧

تنكر السلطان للوزير شرف الملك

١٥٨

وصول القفجاق لخدمة السلطان

١٥٨

استيلاء السلطان على أعمال كستاسني

١٥٨

قدوم شروان شاه

١٥٩

مسير السلطان الى بلاد الكرج وحصاره قلاع بهرام

١٥٩

مسير السلطان الى خلط وحصارها

١٦٠

واقعة السلطان جلال الدين مع الاشرف وكيقباد وانهزامه أمامها

١٦١

الحوادث أيام حصار خلط

١٦٢

وصول جهان بهلوان ازبك من الهند

١٦٣

وصول التتر الى اذريجان

١٦٤

استيلاء التتر على تبريز وكنجة

١٦٤

نكبة الوزير ومقتله

١٦٥

ارتجاع السلطان كنجة

١٦٥

واقعة التتر على السلطان بآمد ومهلكه

الخبر عن دولة بني تتش بن البارسلان ببلاد الشام دمشق وحلب وأعمالها وكيف

١٦٨

تناوبوا فيها القيام بالدعوة العباسية والدعوة العلوية الى حين انقراض أمرهم .

١٦٩

مقتل تتش

١٧٠

استيلاء رضوان بن تتش على حلب

١٧١

استيلاء دقاق بن تتش على دمشق

١٧١

الفتنة بين دقاق وأخيه رضوان

ص

- ١٧٢ استيلاء دقاق على الرحبة
- ١٧٢ وفاة دقاق وولاية أخيه تلتاش ثم خلعه
- ١٧٣ الحرب بين طغركين والفرنج أشهراً
- ١٧٣ مسير رضوان صاحب حلب لحصار نصيبين
- ١٧٤ استيلاء الفرنج على اقامية
- ١٧٥ استيلاء طغركين على بصرى
- ١٧٥ غزو طغركين وهزيمته
- ١٧٦ انتفاض طغركين على السلطان محمد
- ١٧٧ وفاة رضوان بن تتش صاحب حلب وولاية ابنه البارسلان
- ١٧٧ مهلك لؤلؤ الخادم واستيلاء أبي الغازي ثم مقتل البارسلان وولاية أخيه السلطان شاه
- ١٧٨ هزيمة طغركين أمام الافرنج
- ١٧٨ منازل الافرنج دمشق
- ١٧٩ وفاة طغركين وولاية ابنه بوري
- ١٧٩ أسرت تاج الملك لديس بن صدقة وتمكين عماد الدين زنكي منه
- ١٨٠ وفاة تاج الملوك بوري صاحب دمشق وولاية ابنه شمس الملوك اسمعيل
- ١٨٠ استيلاء شمس الملوك على الحصون
- ١٨١ مقتل شمس الملوك وولاية أخيه شهاب الدين محمود
- ١٨١ استيلاء شهاب الدين محمود على حمص
- ١٨٢ استيلاء عماد الدين زنكي على حمص وغيرها من أعمال دمشق
- ١٨٢ مقتل شهاب الدين محمود وولاية أخيه محمد
- ١٨٣ استيلاء زنكي على بعلبك وحصاره دمشق
- ١٨٣ وفاة جمال الدين محمد بن بوري وولاية ابنه مجير الدين انز
- ١٨٤ مسير الافرنج لحصار دمشق
- ١٨٥ استيلاء نور الدين محمود العادل على دمشق وانقراض دولة بني تتش من الشام
- ١٨٦ الخبر عن دولة قطلمش وبنه ملوك قونية وبلاد الروم من السلجوقية ومبادي أمورهم وتصاريق أحوالهم

ص

- ١٨٨ استيلاء قليج ارسلان على الموصل
- ١٨٩ الحرب بين قليج ارسلان وبين الافرنج
- ١٨٩ مقتل قليج ارسلان وولاية ابنه مسعود
- ١٩٠ استيلاء مسعود بن قليج ارسلان على ملطية وأعمالها
- ١٩٠ وفاة مسعود بن قليج وولاية ابنه قليج ارسلان
- ١٩٠ مسير نور الدين العادل الى بلاد قليج ارسلان
- ١٩١ مسير صلاح الدين لحرب قليج ارسلان
- ١٩٢ قسمة قليج ارسلان أعماله بين ولده وتغلبهم عليه
- ١٩٢ وفاة قليج ارسلان وولاية ابنه غياث الدين
- ١٩٣ استيلاء ركن الدين سليمان على قونية وأكثر بلاد الروم وفرار غياث الدين
- ١٩٣ وفاة ركن الدين وولاية ابنه قليج ارسلان
- ١٩٣ استيلاء غياث الدين كسنجر على بلاد الروم من أخيه ركن الدين
- ١٩٤ مقتل غياث الدين كسنجر وولاية ابنه كيكافوس
- مسير كيكافوس الى حلب واستيلائه على بعض أعمالها ثم هزيمته وارتجاع البلد من يده
- ١٩٤ وفاة كيكافوس وملك أخيه كيغباد
- ١٩٥ الفتنة بين كيغباد وصاحب آمد من بني أرتق وفتح عدة من حصونه
- ١٩٥ استيلاء كيغباد على مدينة ارزنكان
- ١٩٦ فتنة كيغباد مع جلال الدين
- ١٩٦ مسير بني أيوب الى كيغباد وهزيمتهم
- ١٩٦ وفاة كيغباد وملك ابنه كنجسرو
- ١٩٧ وفاة غياث الدين وولاية ابنه كيغباد
- ١٩٧ وفاة كيغباد وملك أخيه كيكافوس
- ١٩٨ استيلاء التتر على قونية
- ١٩٩ الفتنة بين عز الدين كيكافوس وأخيه قليج ارسلان واستيلاء قليج ارسلان على الملك

ص

- ٢٠٠ خبر عز الدين كيكاس
- ٢٠٠ مقتل ركن الدين قليج ارسلان وولاية ابنه كنجسرو
- ٢٠٠ استيلاء الظاهر ملك مصر على قيسارية ومقتل البرنواه
- ٢٠١ خلع كنجسرو ثم مقتله وولاية مسعود ابن عمه كيكاس
- ٢٠٢ ملوك قونية من بلاد الروم وملكها من أيديهم التتر
- الخبر عن بني سكرمان موالي السلجوقية ملوك خلاط وبلاد أرمينية ومصر الملك الى
- ٢٠٣ مواليهم من بعدهم ومبادي أمرهم وتصاريق أحوالهم
- ٢٠٥ وفاة شاه أرمن سكرمان وولاية مكتمر مولى أبيه
- ٢٠٥ وفاة مكتمر وولاية أقسنقر
- ٢٠٥ وفاة أقسنقر وولاية محمد بن مكتمر
- ٢٠٦ نكبة ابن مكتمر واستيلاء بلبان على خلاط وأعمالها
- ٢٠٨ آخر دولة السلجوقية بخلاط وأرمينية وملكها منهم بنو أيوب
- أخبار الافرنج فيما ملكوه من سواحل الشام وثغوره وكيف تغلبوا عليه وبداية
- ٢٠٩ أمرهم في ذلك ومصابيره
- ٢١٠ استيلاء الافرنج على معرة النعمان ثم على بيت المقدس
- ٢١١ مسير العساكر من مصر لحرب الافرنج
- ٢١١ إيقاع ابن الدانشمند بالافرنج
- ٢١٢ حصار الافرنج قلعة جبلة
- ٢١٣ استيلاء الافرنج على سروج وقيسارية وغيرهما
- ٢١٣ حصار الافرنج طرابلس وغيرها
- ٢١٤ حصار الافرنج عسقلان وحروبهم مع عساكر مصر
- ٢١٥ استيلاء الافرنج على جبيل وعكا
- ٢١٥ غزو أمراء السلجوقية بالجزيرة الافرنج
- ٢١٦ حرب الافرنج مع رضوان بن تتش صاحب حلب
- ٢١٦ حروب الافرنج مع عساكر مصر
- ٢١٦ حروب الافرنج مع طغركين
- ٢١٧ استيلاء الافرنج على حصن افامية

ص

٢١٨

خبر الافرنج في حصار طرابلس

٢١٨

خبر القمص صاحب الرها مع جاوي ومع صاحب انطاكية

٢٢٠

حروب الافرنج مع طفركين

٢٢٠

استيلاء الافرنج على طرابلس وبيروت وصيدا وجيل وبانياس

٢٢١

استيلاء أهل مصر على عسقلان

٢٢١

استيلاء الافرنج على حصن الاثارب وغيره

٢٢٢

مسير الامراء السلجوقية الى قتال الافرنج

٢٢٣

حصار الافرنج مدينة صور

٢٢٣

أخبار مودود مع الافرنج ومقتله ووفاة صاحب انطاكية

٢٢٤

أخبار البرسقي مع الافرنج

٢٢٥

الحرب بين العساكر السلطانية والفرنج

٢٢٦

وفاة ملك الافرنج واخبارهم بعده مع المسلمين

٢٢٧

ارتجاع الرها من الافرنج

٢٢٧

استيلاء الافرنج على خرت برت وارتجاعها منهم

٢٢٨

استيلاء الافرنج على مدينة صور

٢٢٨

فتح البرسقي كفرطاب وانزاعه من الافرنج

٢٢٩

الحرب بين طفركين والافرنج

٢٢٩

هزيمة صاحب طرابلس

٢٣٠

فتح صاحب دمشق بانياس

٢٣٠

استيلاء شمس الملوك على الشقيف

٢٣٠

استيلاء الافرنج على جزيرة جربة من افريقية

٢٣١

فتح صاحب دمشق بعض حصون الافرنج

٢٣٢

استيلاء الافرنج على طرابلس الغرب

٢٣٢

استيلاء الافرنج على المهديّة

٢٣٥

استيلاء الافرنج على بونة ووفاة رجار صاحب صقلية وملك ابنه غليالم

٢٣٧

استيلاء الافرنج على عسقلان

٢٣٧

ثورة المسلمين بسواحل افريقية على الافرنج المتغلين فيها

ص

٢٣٨

ارتجاع عبد المؤمن المهدية من يد الافرنج

٢٣٩

حصار الافرنج أسد الدين شيركوه في بليس

٢٤١

حصار الافرنج القاهرة

٢٤٤

حصار الافرنج دمياط

٢٤٥

استيلاء الافرنج على القسطنطينية

الخبر عن دولة بني ارتق وملكهم لماردين وديار بكر ومبادي أمورهم وتصاريق

٢٤٦

أحوالهم

٢٤٨

استيلاء سقمان بن ارتق على ماردين

٢٤٩

وفاة سقمان بن ارتق وولاية أخيه أبي الغازي مكانه بماردين

٢٥٠

اضطراب أبي الغازي في طاعته وأسرته ثم خلاصه

٢٥٢

استيلاء أبي الغازي على حلب

٢٥٢

واقعة أبي الغازي مع الافرنج

٢٥٣

انتفاض سليمان بن أبي الغازي بحلب

٢٥٣

واقعة مالك بن بهرام مع جوسكين صاحب الرها

٢٥٤

وفاة أبي الغازي وملك بنيه من بعده

٢٥٥

وفاة تمرناش وولاية ابنه البي بعده

٢٥٥

ولاية حسام الدين بولق ارسلان بن أبي الغازي بن البي

٢٥٦

وفاة بولق وولاية أخيه ارتق

٢٥٦

مقتل النقش واستبداد ارتق المنصور واتصال الملك في عقبه

الخبر عن دولة بني زنكي بن اقسقر من موالي السلجوقية بالجزيرة والشام ومبادي

٢٦٠

أموالهم وتصاريق أحوالهم

٢٦٣

ولاية زنكي شحنة بغداد والعراق

٢٦٣

ولاية عماد الدين زنكي على الموصل وأعمالها

٢٦٤

استيلاء الاتابك زنكي على مدينة حلب

٢٦٥

استيلاء الاتابك زنكي على مدينة حماة

٢٦٥

فتح عماد الدين حصن الاثارب وهزيمة الافرنج

٢٦٦

واقعة عماد الدين مع بني ارتق

ص

- ٢٦٦ حصول ديس بن صدقة في أسر الاتابك زنكي
- ٢٦٧ مسير الاتابك زنكي الى العراق لمظاهرة السلطان مسعود وانضمامه
- ٢٦٧ مسير الاتابك عماد الدين الى بغداد وابنه وانضمامه
- ٢٦٨ واقعة الافرنج على أهل حلب
- ٢٦٨ حصار المسترشد الموصل
- ٢٦٩ ارتجاع صاحب دمشق مدينة حماة
- ٢٦٩ حصار الاتابك زنكي قلعة آمد واستيلاؤه على قلعة النور ثم حصار قلاع الحميدية
- ٢٧٠ استيلاء الاتابك على قلاع الهكارية وقلعة كواشي
- ٢٧١ حصار الاتابك زنكي مدينة دمشق
- ٢٧١ فتنة الراشد مع السلطان مسعود ومسيره الى الموصل وخلعه
- ٢٧٢ غزاة العساكر حلب الى الافرنج
- ٢٧٣ حصار الاتابك زنكي مدينة حمص واستيلاؤه على بغدوين وهزيمة الافرنج واستيلاؤه على حمص
- ٢٧٣ مسير الروم الى الشام وملكهم مراغة
- ٢٧٥ استيلاء الاتابك زنكي على بعلبك
- ٢٧٥ حصار الاتابك زنكي مدينة دمشق
- ٢٧٦ استيلاء الاتابك على شهرزور وأعمالها
- ٢٧٦ صلح الاتابك مع السلطان مسعود واستيلاؤه على أكثر ديار بكر
- ٢٧٧ فتح الرها وغيرها من أعمال الافرنج
- ٢٧٨ مقتل نصير الدين جقري نائب الموصل وولاية زين الدين علي كجك مكانه بالقلعة
- ٢٧٨ حصار زنكي حصن جعبر وفنك
- ٢٧٩ مقتل الاتابك عماد الدين زنكي
- ٢٧٩ استيلاء ابنه غازي على الموصل وابنه الآخر محمود على حلب
- ٢٨٠ عصيان الرها
- ٢٨٠ مصاهرة سيف الدين غازي لصاحب دمشق وهزيمة نور الدين محمود للافرنج

ص

- ٢٨١ وفاة سيف الدين غازي وملك أخيه قطب الدين مودود
- ٢٨٢ استيلاء السلطان محمود على سنجان
- ٢٨٢ غزو نور الدين الى انطاكية وقتل صاحبها وفتح أفايا
- ٢٨٣ هزيمة نور الدين جوسكين وأسر جوسكين
- ٢٨٣ استيلاء نور الدين على دمشق
- ٢٨٤ استيلاء نور الدين على تل باش وحصاره قلعة حارم
- ٢٨٤ استيلاء نور الدين على شيزر
- ٢٨٦ استيلاء نور الدين على بعلبك
- ٢٨٦ استيلاء أخي نور الدين على حران ثم ارتجاعها
- ٢٨٦ خبر سليمان شاه وحبسه بالموصل ثم مسيره منها الى السلطنة بهمدان
- ٢٨٨ حصار قلعة حارم وانزاع نور الدين أمام الافرنج ثم هزيمتهم وفتحها
- ٢٨٩ فتح نور الدين قلعة بانياس
- وفادة شاور وزير العاضد بمصر على نور الدين العادل صريخا وانجاده بالعسكر مع
- ٢٨٩ أسد الدين شيركوه
- ٢٩١ فتح نور الدين صافيتا وعريمة ومنبج وجعبر
- ٢٩٢ رحلة زين الدين نائب الموصل الى اربل واستبداد قطب الدين بملكه
- ٢٩٢ حصار نور الدين قلعة الكرك
- ٢٩٣ وفاة قطب الدين صاحب الموصل وملك ابنه سيف الدين غازي
- ٢٩٣ استيلاء نور الدين على الموصل واقاراه ابن أخيه سيف الدين عليها
- ٢٩٤ الوحشة بين نور الدين وصلاح الدين
- ٢٩٥ واقعة ابن ليون ملك الارمن بالروم
- ٢٩٦ مسير نور الدين الى بلاد الروم
- ٢٩٦ مسير صلاح الدين الى الكرك ورجوعه
- ٢٩٧ وفاة نور الدين محمود وولاية ابنه اسمعيل الصالح
- ٢٩٨ استيلاء سيف الدين غازي على بلاد الجزيرة
- ٢٩٨ حصار الافرنج بانياس
- ٢٩٩ استيلاء صلاح الدين على دمشق

ص

- ٢٩٩ استيلاء صلاح الدين على حمص وحماة ثم حصاره حلب ثم ملكه بعلبك
- ٢٠٠ حروب صلاح الدين مع سيف الدين غازي صاحب الموصل وغلبه اياه واستيلاؤه على بغدادين وغيرها من أعمال الملك الصالح ثم مصالحته على حلب
- ٣٠٢ عصيان صاحب شهرزور على سيف الدين صاحب الموصل ورجوعه
- ٣٠٢ نكبة كمستكين الخادم ومقتله
- ٣٠٣ وفاة الصالح اسمعيل واستيلاء ابن عمه عز الدين مسعود على حلب
- ٣٠٣ استيلاء عماد الدين على حلب ونزله عن سنجار لاختيه عز الدين
- ٣٠٤ مسير صلاح الدين الى بلاد الجزيرة وحصاره الموصل واستيلاؤه على كثير من بلادها ثم على سنجار
- ٣٠٦ استيلاء صلاح الدين على حلب وأعمالها
- ٣٠٦ نكبة مجاهد الدين قايمان
- ٣٠٧ حصار صلاح الدين الموصل وصلحه مع عز الدين صاحبها
- ٣٠٨ وفاة نور الدين يوسف صاحب اربل وولاية أخيه مظفر الدين
- ٣٠٩ حصار عز الدين صاحب الموصل جزيرة ابن عمر
- ٣٠٩ مسير عز الدين صاحب الموصل الى بلاد العادل بالجزيرة ورجوعه عنها
- ٣١٠ وفاة عز الدين صاحب الموصل وولاية ابنه نور الدين
- ٣١٠ وفاة عماد الدين صاحب سنجار وولاية ابنه قطب الدين
- ٣١١ استيلاء نور الدين صاحب الموصل على نصيبين
- هزيمة الكامل بن العادل على ماردين أمام نور الدين صاحب الموصل وبني عمه ملوك الجزيرة
- ٣١١
- ٣١٢ مسير نور الدين صاحب الموصل الى بلاد العادل بالجزيرة
- ٣١٢ هزيمة نور الدين صاحب الموصل أمام عسكر العادل
- ٣١٣ مقتل سنجر شاه صاحب جزيرة ابن عمر وولاية ابنه محمود بعده
- ٣١٤ استيلاء العادل على الخابور ونصيبين من أعمال صاحب سنجار وحصاره اياه
- ٣١٥ وفاة نور الدين صاحب الموصل وولاية ابنه القاهر
- ٣١٥ وفاة القاهر وولاية ابنه نور الدين ارسلان شاه في كفالة بدر الدين لؤلؤ
- ٣١٦ استيلاء عماد الدين صاحب عقر على قلاع الهكارية والزوزان

ص

- ٣١٦ مظاهره الاشرف بن العادل للؤلؤ صاحب الموصل
- ٣١٧ واقعة عساكر للؤلؤ بعماد الدين
- ٣١٧ وفاة نور الدين صاحب الموصل وولاية أخيه ناصر الدين
- ٣١٧ هزيمة للؤلؤ صاحب الموصل من مظفر الدين صاحب اربل
- ٣١٨ وفاة صاحب سنجار وولاية ابنه ثم مقتله وولاية أخيه
- ٣١٨ استيلاء عماد الدين على قلعة كواشي ولؤلؤ على تل اعفر والاشرف على سنجار
- ٣٢٠ صلح الاشرف مع مظفر الدين
- ٣٢٠ رجوع قلاع الهكارية والزوزان الى طاعة صاحب الموصل
- ٣٢٠ استيلاء صاحب الموصل على قلعة سوس
- ٣٢١ حصار مظفر الدين الموصل
- ٣٢١ انتفاض أهل العمادية على لؤلؤ ثم استيلاؤه عليها
- ٣٢٢ مسير مظفر الدين صاحب اربل الى أعمال الموصل وعوده عنها
- ٣٢٢ مسير التتر في بلاد الموصل واربل
- ٣٢٣ وفاة مظفر الدين صاحب اربل وعودها الى الخليفة
- ٣٢٣ بقية أخبار لؤلؤ صاحب الموصل
- ٣٢٤ وفاة صاحب الموصل وولاية ابنه الصالح
- الخبر عن دولة بنى أيوب القائمين بالدولة العباسية وما كان لهم من الملك بمصر
- ٣٢٦ والشام واليمن والمغرب وأولية ذلك ومصابره
- ٣٢٧ مسير أسد الدين شيركوه الى مصر واعادة شاور الى وزارته
- ٣٢٨ مسير أسد الدين ثانيا الى مصر وملكه الاسكندرية ثم صلحه عليها وعوده
- ٣٢٩ استيلاء أسد الدين على مصر ومقتل شاور
- ٣٣١ وفاة أسد الدين وولاية ابن أخيه صلاح الدين
- ٣٣٢ واقعة السودان بمصر
- ٣٣٢ منازلة الافرنج دمياط وفتح ايلة
- ٣٣٣ اقامة الخطبة العباسية بمصر
- ٣٣٤ الوحشة بين صلاح الدين ونور الدين
- ٣٣٤ وفاة نجم الدين أيوب

ص

٣٣٥

استيلاء قراقوش على طرابلس الغرب

٣٣٥

استيلاء نور الدين تورانشاه أيوب على بلاد النوبة ثم على بلاد اليمن

٣٣٦

واقعة عمارة ومقتله

٣٣٧

وصول الافرنج من صقلية الى الاسكندرية

٣٣٨

واقعة كثر الدولة بالصعيد

٣٣٨

استيلاء صلاح الدين على قواعد الشام بعد وفاة العادل نور الدين

واقعة صلاح الدين مع الملك الصالح وصاحب الموصل وما ملك من الشام بعد

٣٤٠

انهزامها

٣٤٠

مسير صلاح الدين الى بلاد الاسماعيلية

٣٤١

غزوات بين المسلمين والافرنج

٣٤١

هزيمة صلاح الدين بالرملة أمام الافرنج

٣٤٢

حصار الافرنج مدينة حماة

٣٤٢

انتفاض ابن المقدم ببلبك وفتحها

٣٤٣

وقائع مع الافرنج

٣٤٣

تخريب حصن الافرنج

٣٤٤

الفتنة بين صلاح الدين وقلج ارسلان صاحب الروم

٣٤٤

مسير صلاح الدين الى بلاد ابن اليون

٣٤٥

غزوة صلاح الدين الى الكرك

٣٤٥

مسير سيف الاسلام طغركين بن أيوب الى اليمن واليا عليها

دخول قلعة البيرة في ايالة صلاح الدين وغزوه الافرنج وفتح بعض حصونهم مثل

٣٤٦

الشقيف والغرر وبيروت

مسير صلاح الدين الى الجزيرة واستيلائه على حران والرها والرقه والخابور

٣٤٧

ونصيبين وسنجار وحصار الموصل

٣٤٩

مسير شاهرين صاحب خلاط لنجدة صاحب الموصل

٣٤٩

واقعة الافرنج في بحر السويس

٣٥٠

وفاة فرخشاه

٣٥٠

استيلاء صلاح الدين على آمد وتسليمها لصاحب كيفا

ص

٣٥١

استيلاء صلاح الدين على تل خالد وعتاب

٣٥١

استيلاء صلاح الدين على حلب وقلعة حارم

٣٥٢

غزوة بيسان

٣٥٣

غزوة الكرك وولاية العادل على حلب

٣٥٣

حصار صلاح الدين الموصل

٣٥٤

استيلاء صلاح الدين على ميفارقين

٣٥٥

قسمة صلاح الدين الاعمال بين ولده وأخيه

اتفاق القمص صاحب طرابلس مع صلاح الدين ومناذرة البرنس صاحب

٣٥٦

الكرك له وحصاره اياه والاغارة على عكا

٣٥٧

هزيمة الافرنج وفتح طبرية ثم عكا

٣٥٨

فتح يافا وصيدا وجبل وبيروت وحصون عكا

٣٥٩

وصول المركيش الى صور وامتناعه بها

٣٦٠

فتح عسقلان وما جاورها

٣٦٠

فتح القدس

٣٦٢

حصار صور ثم صفد وكوكب والكرك

غزو صلاح الدين الى سواحل الشام وما فتحه من حصونها وصلحه آخرامع

٣٦٤

صاحب انطاكية

٣٦٤

فتح جبلة

٣٦٥

فتح اللاذقية

٣٦٥

فتح صهيون

٣٦٦

فتح بكاس والشفر

٣٦٦

فتح سرمينية

٣٦٦

فتح برزية

٣٦٧

فتح درساك

٣٦٧

فتح بغراس

٣٦٨

صلح انطاكية

٣٦٨

فتح الكرك

ص

- ٣٦٨ فتح صفد
- ٣٦٩ فتح كوكب
- ٣٦٩ فتح الشقيف
- ٣٧٠ محاصرة الافرنج أهل صور لعكا والحروب عليها
- ٣٧١ الوقعة على عكا
- ٣٧٢ رحيل صلاح الدين عن الافرنج بعكا
- ٣٧٢ معاودة صلاح الدين حصار الافرنج على عكا
- ٣٧٣ وصول ملك الالمان الى الشام ومهلكه
- ٣٧٤ واقعة المسلمين مع الافرنج على عكا
- ٣٧٦ وفاة زين الدين صاحب اربل وولاية أخيه كوكبري
- ٣٧٧ وصول امداد الافرنج من الغرب الى عكا
- ٣٧٨ استيلاء الافرنج على عكا
- ٣٧٩ تخريب صلاح الدين عسقلان
- ٣٨١ مقتل المركيش وملك الكندهري مكانه
- ٣٨١ مسير الافرنج الى القدس
- ٣٨٢ الصلح بين صلاح الدين والافرنج ومسير ملك انكلطرية الى بلاده
- ٣٨٣ وفاة صلاح الدين وحال ولده وأخيه من بعده
- ٣٨٤ مسير العزيز من مصر الى حصار الافضل بدمشق وما استقرّ بينهم في الولايات
- ٣٨٥ حصار العزيز ثانيا دمشق وهزيمته
- ٣٨٥ استيلاء العادل على دمشق
- ٣٨٦ فتح العادل يافا من الافرنج واستيلاء الافرنج على بيروت وحصارهم تبين
- ٣٨٧ وفاة طغتكين بن أيوب باليمن وملك ابنه اسمعيل ثم سليمان بن تقي الدين شاهنشاه
- ٣٨٨ مسير العادل الى الجزيرة وحصاره ماردين
- ٣٨٨ وفاة العزيز صاحب مصر وولاية أخيه الافضل
- ٣٨٩ حصار الافضل دمشق وعوده عنها
- ٣٨٩ افراج الكامل عن ماردين
- ٣٩٠ استيلاء العادل على مصر

ص

٣٩١

مسير الظاهر والافضل الى حصار دمشق

٣٩٢

حصار ماردين ثم الصلح بين العادل والاشرف

٣٩٣

أخذ البلاد من يد الافضل

٣٩٣

واقعة الاشرف مع صاحب الموصل

٣٩٤

وصول الافرنج الى الشام والصلح معهم

٣٩٤

غارة ابن ليون على أعمال حلب

٣٩٥

استيلاء نجم الدين بن العادل على خلاط

٣٩٥

غارات الافرنج بالشام

٣٩٦

غارات الكرج على خلاط وأعمالها وملكهم ارجيش

٣٩٦

استيلاء العادل على الخابور ونصيبين من عمل سنجار وحصارها

٣٩٧

وفاة الظاهر صاحب حلب وولاية ابنه العزيز

٣٩٧

ولاية مسعود بن الكامل على اليمن

وصول الافرنج من وراء البحر الى سواحل الشام ومسيرهم الى دمياط وحصارها

٣٩٨

واستيلاؤهم عليها

٤٠٠

وفاة العادل واقتسام الملك بين بنيه

٤٠٠

وفاة المنصور صاحب حماة وولاية ابنه الناصر

٤٠١

مسير صاحب بلاد الروم الى حلب وانهزامه ودخولها في طاعة الاشرف

٤٠٢

دخول الموصل في طاعة الاشرف وملكه سنجار

٤٠٤

ارتجاع دمياط من يد الافرنج

٤٠٥

وفاة الاوحد نجم الدين بن العادل صاحب خلاط وولاية أخيه الظاهر غازي عليها

٤٠٥

فتنة المعظم مع أخويه الكامل والاشرف وما دعت اليه من الاحوال

وفاة المعظم صاحب دمشق وولاية ابنه الناصر ثم استيلاء الاشرف عليها واعتياض

٤٠٦

الناصر بالكرك

٤٠٧

استيلاء المظفر بن المنصور على حماة من يد أخيه الناصر

٤٠٧

استيلاء الاشرف على بعلبك من يد الابدج واقطاعها لآخيه اسمعيل بن العادل

٤٠٨

فتنة جلال الدين خوارزم شاه مع الاشرف واستيلاؤه على خلاط

٤٠٨

مسير الكامل في انجاد الاشرف وهزيمة جلال الدين أمام الاشرف

- ٤٠٩ استيلاء العزيز صاحب حلب على شيزر ثم وفاته وولاية ابنه الناصر بعده
- ٤١٠ فتنة كيقباد صاحب بلاد الروم واستيلاؤه على خلاط
- ٤١٠ وفاة الاشرف بن العادل واستيلاء الكامل على ممالكه
- وفاة الكامل وولاية ابنه العادل بمصر واستيلاء ابنه الآخر نجم الدين أيوب على دمشق
- ٤١١ أخبار الخوارزمية
- ٤١١ مسير الصالح الى مصر واعتقال الناصر له بالكرك
- ٤١٢ وفاة شيركوه صاحب مصر وولاية ابنه ابراهيم المنصور
- ٤١٢ خلع العادل واعتقاله واستيلاء أخيه الصالح أيوب على مصر
- ٤١٢ فتنة الخوارزمية
- ٤١٣ أخبار حلب
- ٤١٣ فتنة الصالح أيوب مع عمه الصالح اسمعيل على دمشق واستيلاء أيوب آخرها عليها
- مسير الصالح أيوب الى دمشق أولا وثانيا وحصار حمص وما كان مع ذلك من الاحداث
- ٤١٥ استيلاء الافرنج على دمياط
- ٤١٥ استيلاء الصالح على الكرك
- ٤١٦ وفاة الصالح أيوب صاحب مصر والشام وسيد ملوك الترك بمصر وولاية ابنه تورانشاه وهزيمة الافرنج وأسر ملكهم
- ٤١٦ مقتل المعظم تورانشاه وولاية شجر الدرّ وفداء الفرنسيين بدمياط
- ٤١٧ استيلاء الناصر صاحب حلب على دمشق وبيعة الترك بمصر لموسى الاشرف ابن اطسز بن المسعود صاحب اليمن وتراجعها ثم صلحها
- ٤١٨ خلع الاشرف بن اطسز واستبداد ابيك وأمراء الترك بمصر
- ٤٢٠ مسير المغيث بن العادل صاحب الكرك مع البحرية الى مصر وانهمامهم
- ٤٢٠ زحف الناصر صاحب دمشق الى الكرك وحصارها والقبض على البحرية
- ٤٢١ استيلاء التتر على الشام وانقراض ملك بني أيوب وهلاك من هلك منهم
- ٤٢٢ الخبر عن دولة الترك القاطنين بالدولة العباسية بمصر والشام من بعد بني أيوب ولهذا العهد ومباذي أمورهم وتصاريف أحوالهم
- ٤٢٦

ص

٤٢٩

ذكر بيبرس البندقاري

٤٣٠

الخبر عن استبداد الترك بمصر وانفرادهم بها عن بني أيوب ودولة المعز أيك أول ملوكهم

٤٣١

نهوض الناصر صاحب دمشق من بني أيوب الى مصر وولاية الاشرف موسى مكان ايك

٤٣٢

واقعة العرب بالصعيد مع اقطاي

٤٣٢

مقتل اقطاي الجامدار وفرار البحرية الى الناصر ورجوع ايك الى كرسية

٤٣٣

فرار الافرم الى الناصر بدمشق

٤٣٤

مقتل المعز ايك وولاية ابنه علي المنصور

٤٣٥

نهوض البحرية بالمغيث صاحب الكرك. وانهمزاهم

٤٣٦

خلع المنصور علي بن ايك واستبداد قطز بالملك

استيلاء التتر على الشام وانقراض امر بني أيوب ثم مسير قطز بالعساكر وارتجاعه

٤٣٦

الشام من أيدي التتر وهزيمتهم وحصول الشام في ملك الترك

٤٣٨

مقتل المظفر وولاية الظاهر بيبرس

٤٣٩

انتقاض سنجر الحلبي بدمشق ثم أقوش اليرلي بجلب

البيعة للحليفة بمصر ثم مقتله بالحديثة وغانة على يد التتر والبيعة للآخر الذي

٤٤٠

استقرت الخلافة في عقبه بمصر

٤٤١

فرار التركمان من الشام الى بلاد الروم

٤٤٢

انتقاض الاشرفية والعزيرية واستيلاء اليرلي على البيرة

٤٤٢

استيلاء الظاهر على الكرك من يد المغيث وعلى حمص بعد وفاة صاحبها

٤٤٣

هزيمة التتر على البيرة وفتح قيسارية وارسوف بعدها

٤٤٣

غزو طرابلس وفتح صفد

٤٤٤

مسير العساكر لغزو الارمن

٤٤٥

مسير الظاهر لغزو حصون الافرنج بالشام وفتح يافا والشقيف ثم انطاكية

٤٤٦

الصلح مع التتر

٤٤٧

استيلاء الظاهر على صهيون

٤٤٧

نهوض الظاهر الى الحج

٤٤٨

اغارة الافرنج والتتر على حلب ونهوض السلطان اليهم

ص

٤٤٨

فتح حصن الاكراد وعكا وحصون صور

٤٤٩

استيلاء الظاهر على حصون الاسماعيليه بالشام

٤٤٩

حصار التتر البيرة وهزيمتهم عليها

٤٥٠

غزوة سيس وتخريبها

٤٥٠

ايقاع الظاهر بالتتر في بلاد الروم ومقتل البرواناة بمدخلته في ذلك

٤٥١

وفاة الظاهر وولاية ابنه السعيد

٤٥٢

خلع السعيد وولاية أخيه شلامش

٤٥٣

خلع شلامش وولاية المنصور قلاون

٤٥٤

انتقاض السعيد بن الظاهر بالكرك ووفاته وولاية أخيه خسرو مكانه

٤٥٥

انتقاض سنقر الاشقر بدمشق وهزيمته وامتناعه بصهيون

مسير السلطان لخصار المرقب ثم الصلح معهم ومع سنقر الاشقر بصهيون ومع بني

٤٥٦

الظاهر بالكرك

٤٥٧

واقعة التتر بحمص ومهلك ابغا سلطانهم بأثرها

٤٥٩

استيلاء السلطان قلاون على اكرك وعلى صهيون ووفاته صاحب حماة

٤٥٩

وفاة ميخائيل ملك القسطنطينية

٤٥٩

أخبار النبوة

٤٦١

فتح طرابلس

٤٦٢

انشاء المدرسة والمارستان بمصر

٤٦٢

وفاة المنصور قلاون وولاية ابنه خليل الاشرف

٤٦٣

فتح عكا وتخريبها

٤٦٤

فتح قلعة الروم

٤٦٥

مسير السلطان الى الشام وصلاح الارمن ومكنه في مصيا وهدم الشويك

٤٦٥

مقتل الاشرف وولاية أخيه محمد الناصر في كفالة كيغا

٤٦٧

وحشة كيغا ومقتل الشجاع

٤٦٧

خلع الناصر وولاية كيغا العادل

٤٦٨

خلع العادل كيغا وولاية لاشين المنصور

٤٧٠

فتح حصون سيس

- ص
- ٤٧١ مقتل لاشين وعود الناصر محمد بن قلاون الى ملكه
- ٤٧٢ الفتنة مع التتر
- ٤٧٣ وفاة التتر على الناصر واستيلاء غازان على الشام ثم ارجاعه منه
- ٤٧٦ وفاة الخليفة الحاكم وولاية ابنه المستكفي والغزاة الى العرب بالصعيد
- ٤٨٦ تقرير العهد لاهل الذمة
- ٤٧٨ ايقاع الناصر بالتتر على شقحب
- أخبار الارمن وغزو بلادهم وادعائهم الصلح ثم مقتل ملكهم صاحب سيس على يد التتر
- ٤٨٠
- ٤٨١ مراسلة ملك المغرب ومهاداته
- ٤٨٣ وحشة الناصر من كافليه يبيرس وسلار ولحاقه بالكرك وخلعه والبيعة لبيبرس
- ٤٨٣ انتفاض الامير يبيرس وعود الناصر الى ملكه
- ٤٨٦ خبر سلار ومآل أمره
- ٤٨٦ انتفاض التواب بالشام ومسيرهم الى التتر وولاية تنكر على الشام رجوع حماة الى بني المظفر شاهنشاه بن أيوب ثم لبني الافضل منهم وانقراض أمرهم
- ٤٨٨
- ٤٨٩ غزو العرب بالصعيد وفتح ملطية وآمد
- ٤٨٩ الولايات
- ٤٩٠ العماثر
- ٤٩٠ حجات السلطان
- ٤٩١ أخبار النوبة واسلامهم
- ٤٩١ بقية أخبار الارمن الى فتح اياس ثم فتح سيس وانقراض أمرهم
- ٤٩٢ الصلح مع ملوك التتر وصهر الناصر مع ملوك الشمال منهم
- ٤٩٤ مقتل أولاد بني نعي أمراء مكة من بني حسن
- ٤٩٥ حج ملك التكرور
- ٤٩٦ انجاد المجاهد ملك اليمن
- ٤٩٧ ولاية أحمد بن الملك الناصر على الكرك
- ٤٩٧ وفاة دمرداش بن جويان شحنة بلاد الروم ومقتله

ص

٤٩٨

وفاة مهنا بن عيسى أمير العرب بالشام وأخبار قومه

٥٠٢

وفاة أبي سعيد ملك العراق وانقراض أمر بني هلاكو

٥٠٣

وصول هدية ملك المغرب الأقصى مع رسله وكريمته صحبة الحاج

٥٠٤

وفاة الخليفة أبي الربيع وولاية ابنه

٥٠٤

نكبة تنكر ومقتله

٥٠٥

وفاة الملك الناصر وابن أنوك قبله وولاية ابنه أبي بكر ثم كجك

٥٠٦

مقتل قوصون ودولة أحمد ابن الملك الناصر

٥٠٧

سير السلطان أحمد الى الكرك واتفاق الامراء على خلعه والبيعة لاختيه الصالح

٥٠٨

ثورة رمضان بن الناصر ومقتله وحصار الكرك ومقتل السلطان أحمد

٥٠٨

وفاة الصالح بن الناصر وولاية أخيه الكامل

٥٠٩

مقتل الكامل وبيعة أخيه المظفر حاجي

٥١٠

مقتل المظفر حاجي بن الناصر وبيعة أخيه حسن الناصر ودولته الاولى

٥١١

مقتل أرغون شاه نائب دمشق

٥١١

نكبة بيقاروس

٥١١

واقعة الظاهر ملك اليمن بمكة واعتقاله ثم اطلاقه

٥١٢

خلع حسن الناصر وولاية اخيه الصالح

٥١٢

انتقاض بيقاروس واستيلائه على الشام ومسير السلطان اليه ومقتله

٥١٣

واقعة العرب بالصعيد

٥١٤

خلع الصالح وولاية حسن الناصر الثانية

٥١٤

مهلك شيخو ثم سرغتمش بعده واستبداد السلطان بأمره

٥١٥

ثورة بيبقا ومقتل السلطان حسن وولاية منصور بن المعظم حاجي في كفالة بيبقا

٥١٦

انتقاض استدمر بدمشق

٥١٦

وفاة الخليفة المعتضد بن المستكفي وولاية ابنه المتوكل

٥١٧

خلع المنصور وولاية الاشرف

٥١٧

واقعة الاسكندرية

٥١٩

ثورة الطويل ونكبته

٥١٩

ثورة المالك بيبقا ومقتله واستبداد استدمر

ص

٥٢١

واقعة الاجلاب ثم نكبتهم ومهلك استدمر وذهاب دولته

٥٢٢

مقتل قشتمر المنصوري بحلب في واقعة العرب

٥٢٣

استبداد الجاني اليوسني ثم انتقاضه ومقتله

٥٢٣

انتقاض الجاني اليوسني ومهلكه واستبداد الاشرف بملكه من بعده

٥٢٤

استقدام منجك للنيابة

٥٢٥

الخبر عن ممالك بيقا وترشيحهم في الدولة

حج السلطان الاشرف وانتقاض الممالك عليه بالعقبة وما كان مع ذلك من ثورة

٥٢٦

قرطاي بالقاهرة وبيعة الامير علي ولي العهد ومقتل السلطان اثر ذلك

مجيء طشتمر من العقبة وانزاعه ثم مسيره الى الشام وتجديد البيعة للمنصور باذن

٥٢٩

الخليفة وتقديمه

٥٢٩

نكبة قرطاي واستقلال ابيك بالدولة ثم مهلكه

استبداد الامير ابي سعيد برقوق وبركة بالدولة من بعد ابيك ووصول طشتمر من

٥٣١

الشام وقيامه بالدولة ثم نكبته

٥٣٢

ثورة انيال ونكبته

٥٣٣

ثورة بركة ونكبته واستقلال الامير برقوق بالدولة

٥٣٤

انتقاض أهل البحيرة وواقعة العساكر

٥٣٥

مقتل بركة في محبسه وقتل ابن عزام بئاره

٥٣٥

وفاة السلطان المنصور علي بن الاشرف وولاية الصالح أمير حاج

٥٣٦

وصول أنس الغساني والد الامير برقوق وانتظامه في الامراء

٥٣٨

خلع الصالح أمير حاج وجلس الامير برقوق على التخت واستبداده بالسلطان

٥٣٩

مقتل قرط وخلع الخليفة ونصب ابن عمه الواثق للخلافة

٥٤٠

نكبة الناصري واعتقاله

٥٤١

اقصاء الجوباني الى الكرك ثم ولايته على الشام بعد واقعة بندمر

٥٤٤

هدية صاحب افريقية

٥٤٥

حوادث مكة وأمرائها

٥٤٦

انتقاض منطاش بملطية ولحاقه بسيواس ومسير العساكر في طلبه

٥٤٨

نكبة الجوباني واعتقاله بالاسكندرية

ص

- ٥٤٩ فتنة الناصر واستيلاؤه على الشام ومصر واعتقال السلطان بالكرك
- ٥٥٢ ثورة منطاش واستيلاؤه على الامر ونكبة الجوباني وحبس الناصري والامراء البيقاوية بالاسكندرية
- ٥٥٣ ثورة بذلار بدمشق
- ٥٥٤ خروج السلطان من الكرك وظفره بعساكر الشام وحصاره دمشق
- ٥٥٥ ثورة المعتقلين بقوص ومسير العساكر اليهم واعتقالهم
- ٥٥٦ ثورة كمشيقا بحلب وقيامه بدعوة السلطان
- ٥٥٦ ثورة انبال بصدد بدعوة السلطان
- ٥٥٧ مسير منطاش وسلطانه أمير حاجي الى الشام وانزاهمهم ودخول منطاش الى دمشق وظفر السلطان الظاهر بأمير حاجي والخليفة والقضاة وعوده للملكه
- ٥٥٨ ثورة بكاء والمعتقلين بالقلعة واستيلاؤهم عليها بدعوة السلطان الظاهر وعوده الى كرسية بمصر وانتظام أمره
- ٥٦٠ ولاية الجوباني على دمشق واستيلاؤه عليها من يد منطاش ثم هزيمته ومقتله وولاية الناصري مكانه
- ٥٦٢ إعادة محمود الى استاذية الدار واستقلاله في الدولة
- ٥٦٤ مسير منطاش ويعبر الى نواحي حلب وحصارها ثم مفارقة يعبر وحصاره عنتاب ثم رجوعه
- ٥٦٤ قدوم كمشيقا من حلب
- ٥٦٥ استقدام ايتمش
- ٥٦٦ هدية افريقية
- ٥٦٧ حصار منطاش دمشق ومسير السلطان من مصر اليه وفراره ومقتل الناصري
- ٥٦٩ مقتل منطاش
- ٥٧١ حوادث مكة
- ٥٧٢ وصول أحياء من التتر وسلطانهم الى صاحب بغداد واستيلاؤه عليها ومسير السلطان بالعساكر اليه
- ٥٧٦ الخبر عن دولة بني رسول مولى بني أيوب الملوك باليمن بعدهم ومبدأ أمرهم وتصايف أحوالهم

ص

٥٧٨

ثورة جلال الدين بن عمر الاشرف وحبيه

٥٧٨

ثورة جلال الدين ثانيا وحبس المجاهد وبيعة المنصور أيوب بن المظفر يوسف

٥٧٩

خلع المنصور أيوب ومقتله وعود المجاهد الى ملكه ومنازعة الظاهر بن المنصور له

٥٧٩

وصول العساكر من مصر مددا للمجاهد واستيلائه على أمره وصلحه مع الظاهر

٥٨٠

نزول الظاهر للمجاهد عن الدملة ومقتله

حج المجاهد بن المؤيد داود وواقعه مع أمراء مصر واعتقاله بالكرك ثم اطلاقه

٥٨٠

ورجوعه الى ملكه

٥٨١

ولاية الافضل عباس بن المجاهد علي

٥٨١

ولاية المنصور محمد بن الافضل عباس

٥٨١

ولاية أخيه الاشرف بن الافضل عباس

الخبر عن دولة التتر من شعوب الترك وكيف تغلبوا على الممالك الاسلامية وانتروا

على كرسي الخلافة ببغداد وما كان لهم من الدول المفرقة وكيف أسلموا بعد ذلك

٥٨٣

ومبدا أمورهم وتصاريف أحوالهم

استيلاء التتر على ممالك خوارزم شاه فيما وراء النهر وخراسان ومهلك خوارزم شاه

٥٨٥

وتولية محمد بن تكش

مسير التتر المغربية بعد خوارزم شاه الى العراق واذرييجان واستيلائهم عليها الى بلاد

٥٨٧

قفجاق والروس وبلاد الخزر

٥٨٨

مسير جنكزخان الى خراسان وتغلبه على أعمالها وعلى خوارزم شاه

٥٨٩

اجفال جلال الدين ومسير التتر في اتباعه وفراره الى الهند

٥٩٠

أخبار غياث الدين بن خوارزم شاه مع التتر

رجوع جلال الدين من الهند واستيلائه على العراق وكرمان واذرييجان ثم زحف

٥٩٠

التتر اليه

مسير التتر الى اذرييجان واستيلائهم على تبريز ثم واقعته على جلال الدين بآمد

٥٩١

ومقتله

التعريف بجنكزخان وقسمة الاعمال بين ولده وانفراده بالكرسي في قراقوم وبلاد

٥٩٣

الصين

٥٩٧

ملوك التخت بقراقوم من بعد جنكزخان

ص

٦٠٠

ملوك بني جفطاي بن جنكزخان بتركستان وكاشغر وما وراء النهر

الخبر عن ملوك بني دوشي خان من التتر ملوك خوارزم ودست القفجاق ومبادي

٦٠٢

أمورهم وتصاريق أحوالهم

٦٠٣

دوشي خان بن جنكزخان

٦٠٣

ناظوخان بن دوشي خان

٦٠٣

طرطوبن دوشي خان

٦٠٤

منكوتر بن طغان بن ناظوخان

٦٠٦

أزبك بن طغرلخاي بن منكوتر

٦٠٧

برديك بن جاني

٦٠٧

ماماي المتغلب على مملكة صراي

٦٠٨

حروب السلطان ترمع طغتمش صاحب صراي

٦١٠

ملوك غزنة وباميان من بني دوشي خان

٦١١

ملوك التخت بصراي

دولة بني هلاكو ملوك التتر بالعراقين وخراسان ومبادي امورهم وتصاريق

٦١٢

اعمالهم

٦١٢

هلاكو بن طولي

٦١٥

ابغا بن هلاكو

٦١٦

تكدار بن هلاكو ويسمى أحمد

٦١٦

أرغو بن أبغا

٦١٧

كتختاتو بن أبغا

٦١٧

بيدو بن طرغاي بن هلاكو

٦١٧

قازان بن أرغو

٦١٩

خريندا بن أرغو

٦٢٠

ابوسعيد بن خريندا

اضطراب دولة بني هلاكو وانقسام الملك طوائف في أعمالهم وانفراد الشيخ

٦٢٢

حسن ببغداد ...

٦٢٣

أويس بن الشيخ حسن

ص

- ٦٢٤ مقتل اسماعيل واستيلاء حسين على بغداد ثم ارتجاعها منه
- ٦٢٤ انتفاض أحمد واستيلاؤه على توريز ومقتل حسين
- ٦٢٥ انتفاض عادل وسيره لقتال أحمد
- ٦٢٥ مقتل الشيخ علي واستيلاء أحمد على بغداد
- ٦٢٦ استيلاء تمر على بغداد ولحاق أحمد بالشام
- الخبر عن بني المظفر اليزدي المتغلبين على اصفهان فارس بعد انقراض دولة بني هلاكو وابتداء أمورهم ومصايرها .
- ٦٢٨ الخبر عن بني ارتتا ملوك بلاد الروم من المغل بعد بني هلاكو والإمام بمبادي أمورهم ومصايرها
- ٦٣٠ الخبر عن الدولة المستجدة للتركمان في شمال بلاد الروم الى خليج القسطنطينية وما وراءه لبني عثمان وإخوته
- ٦٣٤

تم طبع الجزء الخامس من تاريخ ابن خلدون والله ولي التوفيق